تفسير القرآن الكريم
وإعرابه وبيانه

تأليف

الشيخ محمد علي طه الدرة
(رحمه الله)

المجلد الخامس

من سورة إبراهيم إلى سورة طه

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

لسان العرب

تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

المجلد الخامس

من سورة إبراهيم إلى سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ - 2009 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - بيروت

ردمك : 978-9953-520-23-0

الموضوع : تفسير - علوم القرآن

العنوان : تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه 10/1

التأليف : الشيخ محمد علي طه الدرة

الورق : كريم

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 7520

القياس : 17×24

التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : 53dots - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

ص.ب : 311 - صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 - تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

9789953520230

دار ابن كثير

سورة إبراهيم

على نبينا وعليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ألف صلاة وأزكى سلام

وهي مكية سوى آيتين، وهما قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا...﴾ إلخ وهي اثنتان وخمسون آية، وثمانمئة، وإحدى وستون كلمة، وثلاثة آلاف، وأربعمئة، وأربعة وثلاثون حرفاً.

تنبيه: انظر شرح الاستعاذة والبسملة، وإعرابهما في أول سورة (يوسف) على نبينا وعليه ألف صلاة، وأزكى سلام، وانظر شرح: ﴿الٓر﴾ وإعرابها في أول سورة (يونس) عليه السلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾

الشرح: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ أي: هذا الكتاب أنزلناه إليك يا محمد، والمراد به: القرآن الكريم، وانظر شرح: ﴿كِتَٰبٌ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (الحجر). ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: لتنقذ الناس بهذا القرآن من ظلمات الكفر والضلالة والجهل إلى نور الهدى والحق، وانظر الآية رقم [١٧] من سورة (الرعد). ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بتوفيقه، وتسهيله، فهو مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب، وأضيف الفعل إلى النبي ﷺ؛ لأنه الداعي، والمنذر الهادي. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: إلى دين الإسلام. هذا والصراط في الأصل: الطريق، استعير لدين الإسلام في كثير من الآيات، وهو يذكر، ويؤنث، والأول أكثر، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: القوي الغالب الذي لا يغلب، و﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المحمود بكل لسان، الممجد في كل مكان على كل حال.

الإعراب: ﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو، أو هذا كتاب، أو هذا القرآن كتاب، وهناك وجه آخر: وهو اعتبار ﴿الٓر﴾ مبتدأ وكتاب خبره، ونظيره الآية رقم [١] من سورة (الأعراف). ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة كتاب. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لِتُخْرِجَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام

التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (أنزلنا). ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل: (تُخْرِجَ). ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: متعلقان به أيضاً، ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعله، أو من مفعوله وتقدير الأول: مأذوناً لك، وتقدير الثاني: مأذوناً لهم، و(إِذْنِ): مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: الجار والمجرور بدل من ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وأجاز الزمخشري الاستئناف، كأنه قيل: إلى أي نور، فقيل: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ...﴾ إلخ، و﴿صِرَٰطِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: بدل من ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ أو عطف بيان عليه، وقيل: نعت له، ولا أسلمه؛ لأنهما اسمان من أسماء الله الحسنى، والاسم لا يوصف بالاسم.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٤٠] من سورة (الرعد). ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً، واختراعاً. هذا؛ وإطلاق ﴿مَا﴾ على ما ذكر فيه تغليب، لأن فيه كثيراً من العقلاء. هذا؛ وفي الكلام تهديد، ووعيد لمن ترك عبادة من يستحق العبادة، وعبدوا من لا يملك شيئاً في السموات والأرض، بل هو مملوك لله؛ لأنه من جملة ما خلق في هذا الكون.

هذا (وَيْلٌ): كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، وأصلها في اللغة العذاب والهلاك. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الويل: شدة العذاب، وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْوَيْلُ وادٍ في جهنَّمَ يَهْوِي فيهِ الْكَافِرُ أربعينَ خريفاً، قبلَ أن يَبْلُغَ قَعْرَه**». أخرجه الترمذي. هذا؛ والويل: مصدر لم يستعمل منه فعل؛ لأن فاءه وعينه معتلتان، ومثله وَيْح، ووَيْس، ووَيْب، وهو لا يثنى، ولا يجمع، وقيل: يجمع على ويلات بدليل قول امرئ القيس: [الطويل]

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

وإذا أضيفت هذه الأسماء؛ فالأحسن النصب على المفعولية المطلقة، وإذا لم تضف؛ فالأحسن فيها الرفع على الابتداء، وهي نكرات، وساغ ذلك لتضمنها معنى خاصاً. هذا؛ و(ويل): نقيض الْوَأْل، وهو النجاة.

أقول: وقد ينادى الويل إذا أضيف لياء المتكلم، أو نا، وسبقته أداة النداء، وانظر: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٧٢] من سورة (هود) عليه السلام، وانظر: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ في الآية رقم [٥٠] من سورة (الكهف)، ولا تنس: أنه قد أنث الويل في الآيتين المذكورتين.

الإعراب: ﴿ٱللَّهِ﴾: يقرأ بالجر على أنه بدل من العزيز الحميد، أو عطف بيان، ويقرأ بالرفع على أنه مبتدأ، خبره ما بعده، وأجاز أبو البقاء اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الله، واعتباره مبتدأ، وخبره محذوف دل عليه ما قبله. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة على قراءة الجر، وفي محل رفع خبره على قراءة الرفع. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَا﴾، أو بمحذوف صفتها. (ما) في الأرض، عطف على ما قبلهما، والإعراب والاعتبار مثل ذلك، والجملة الاسمية: ﴿لَهُۥ مَا فِى....﴾ إلخ: صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهِ....﴾ إلخ على قراءة الرفع مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَوَيۡلٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (ويل): مبتدأ، سوغ الابتداء به، وهو نكرة الدعاء؛ لأنه من المسوغات سواء أكان دعاء له، أو عليه... إلخ. ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مِنۡ عَذَابٖ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ويل بعد الخبر، وهو جائز، ولا يجوز أن يتعلقا بـ: (ويل) لأجل الفصل. انتهى. عكبري، وقال أبو السعود: متعلقان به على معنى يولولون، ويضجون منه، والأول أولى. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة عذاب، والجملة الاسمية: (ويل...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ③﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يختارون الفانية على الباقية، ويفضلون العاجلة على الآجلة. ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: يمنعون، ويصرفون، وهو بضم الصاد. هذا؛ ويأتي بمعنى: يعرضون، ويميلون، كما في قوله تعالى: ﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ ويأتي بضم الصاد وكسرها، كما يأتي بمعنى: يضجون فرحاً، وهو بكسر الصاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ ومصدر الأولين: صد، وصدود، ومصدر الأخير: صديد، والصدد: القرب، يقال: داري صدد داره، أي قبالتها وقربها، والصدد: القصد، تقول: رجعنا إلى ما نحن بصدده، أي بقصده، وهو أيضاً الميل بفتح الياء والناحية، قال البيضاوي: وقرئ بضم الياء من أصده، وهو منقول من صد صدوداً: إذا تنكب، وليس فصيحاً؛ لأن في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة. ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه وشريعته، وانظر شرح: ﴿سَبِيلِيٓ﴾ في الآية رقم [١٠٨] من سورة (يوسف) عليه السلام.

﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾: يطلبون لها اعوجاجاً، وميلاً عن القصد والاستقامة، وذلك بمنعهم الناس عن الدخول في الإسلام، وأنث الضمير على اعتبار السبيل مؤنثة. هذا والعوج بكسر العين وفتحها، وقد فرق العرب بينهما، فخصوا المكسور بالمعاني، والمفتوح بالأعيان، تقول:

في دينه عِوج بالكسر، وفي الجدار عَوج بالفتح. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الموصوفون بما ذكر. ﴿فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾ أي: ضلوا عن سبيل الله الحق، وحادوا عنه بمراحل عديدة. هذا؛ وفي إسناد البعد إلى الضلال مجاز عقلي؛ لأن البعيد في الحقيقة إنما هو الضال؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعله، كما تقول: جد جده.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من الكافرين، أو هو صفة لهم، أو هو منصوب على الذم بفعل محذوف، أو هو مبتدأ، خبره ما بعده، فهو مبني على الفتح في محل جر، أو في محل نصب، أو في محل رفع، وجملة: ﴿يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: حالة كونها مفضلة على الآخرة، وجملة: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. (يبغونها): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، وها: مفعول به، وقد كان هذا الضمير مجروراً بحرف الجر، فلما حذف الجار اتصل بالفعل، وانتصب به على حد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾. ﴿عِوَجًاۚ﴾: مفعول به ثان على التوسع. هذا؛ وقد قيل: إن الضمير مفعول به صراحة، و﴿عِوَجًاۚ﴾ حال من الضمير بمعنى: معوجة، ولا بأس به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿فِي ضَلَٰلِۢ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿بَعِيدٖ﴾: صفة ﴿ضَلَٰلِۢ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة على الوجهين الأولين في الموصول، وفي محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ. تأمل، وتدبر.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: إلا بلغة قومه الذين هو منهم، وبعث فيهم. ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ أي: ما أمروا به، فيفهموه عنه بيسر، وسهولة، وسرعة، ثم ينقلوه، ويترجموه لغيرهم، فإنهم أولى الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم. ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾: انظر الكلام على هاتين الجملتين في الآية رقم [٢٩] من سورة (الرعد). ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: هو القوي الغالب الذي لا يغلب. ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: هو الذي يضع الأمور مواضعها، وقدم العزيز، لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته.

هذا وقد قرئ: (بِلُسُنِ) بصيغة الجمع بضم اللام، وضم السين، وتسكينها أيضاً، وهو على هذا مؤنث كذراع، وأذرع، ويذكر فيجمع على ألسنة كحمار، وأحمرة، وتصغيره على التذكير: لُسَيْن، وعلى التأنيث لُسَيْنَة، وقد يجعل اللسان كناية عن كلمة السوء كما في قول الشاعر: [الوافر]

لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا وَحِنْتَ، ومَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا

فيؤنث لا غير، كما يجعل كناية عن الرسالة، أو عن القصيدة من الشعر كقول الآخر: [المتقارب]

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ فَجَلَّى أحادِيثُهَا عَنْ بَصَرْ

وقد يجعل كناية عن الكلمة الواحدة، كما في قول الأعشى، وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر: [البسيط]

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْو لَا عَجَبٌ مِنْهَا ولا سَخَرُ

قال الجوهري: يروى: «من علو» بضم الواو، وفتحها وكسرها، أي أتاني خبر من أعلى، والتأنيث للكلمة، وقد أطلقه الله على القرآن بكامله مع التذكير في سورة (النحل)، الآية رقم [١٠٣] حيث قال جل ذكره: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ كما أطلقه على الثناء الجميل، والذكر الحسن في قوله جلت قدرته: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) على نبينا وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

تنبيه: قال القرطبي: ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه، أي في نفي بعثة الرسول ﷺ إلى الناس كافة؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيدِهِ، لا يسمعُ بي أحدٌ مِنْ هذهِ الأمَّةِ، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثُمَّ لَمْ يؤمِنْ بالَّذِي أرْسلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أصحابِ النارِ**». أخرجه مسلم، وقال: «**أرْسِلَ كُلُّ نَبِيٍّ إلى أُمَّتِهِ بلسانِها، وأرسلني الله إلى كلِّ أَحْمَرَ، وأَسْوَدَ مِنْ خَلْقِهِ**». انتهى.

وقال الخازن: بعث رسول الله ﷺ من العرب، وبلسانهم، والناس تبع للعرب، فكان مبعوثاً إلى جميع الخلق؛ لأنهم تبع للعرب، ثم إنه يبعث إلى الأطراف، فيترجمون لهم بألسنتهم، ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم، وقيل: إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه، وكانت دعوته خاصة، وكان كتابه بلسان قومه، كان أقرب لفهمهم عنه، وقيام الحجة عليهم في ذلك، فإذا فهموه، ونقل عنهم؛ انتشر عنهم علمه، وقامت التراجم ببيانه، وتفهيمه لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير أهله، وإذا كان الكتاب واحداً بلغة واحدة، مع اختلاف الأمم، وتباين اللغات، كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين، في تعليم معانيه، وتفهيم فوائده، وغوامضه، وأسرار علومه، وجميع حدوده وأحكامه. انتهى.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿رَّسُولٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِلِسَانِ﴾: متعلقان

بمحذوف حال من رسول، التقدير: إلا متكلماً بلسان، وساغ ذلك منه مع كونه نكرة لتقدم النفي عليه، و(لسان) مضاف، و﴿قَوْمِهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُبَيِّنَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿رَّسُولٍ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، التقدير: للتبيين، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَيُضِلُّ﴾ الفاء: حرف استئناف. (يضل الله): مضارع وفاعله. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يضل الذي، أو شخصاً يشاء إضلاله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها. ﴿وَهُوَ﴾ الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: خبران للمبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿يَشَآءُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: المراد بالآيات: المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام، مثل: العصا، واليد، وفلق البحر، وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة، وقد رأيت ذلك مفصلاً في سورة (الأعراف)، وغيرها مما تقدم. ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: أخرج قومك بالدعوة إلى الإيمان من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وانظر الآية رقم [١٧] من سورة (الرعد). ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: بوقائع الله في الأمم السابقة، وأيام العرب حروبها ووقائعها، وقيل: ذكرهم ببلائه ونعمائه، وانظر شرح يوم في الآية رقم [٣] من سورة (هود) عليه السلام تجد ما يسرك. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: من التذكير بما ذكر. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لعظات، وعبرة. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: فهما صيغتا مبالغة بمعنى: كثير الصبر، وكثير الشكر، وإنهما خصهما الله بالاعتبار بالآيات، وإن كان فيها عبرة لجميع الناس؛ لأنهما هما اللذان ينتفعان بها دون غيرهما، فهو كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأن الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله إلا لمن يكون صابراً شاكراً، أما من لم يكن كذلك؛ فلا ينتفع بها ألبتة. بعد هذا انظر الصبر في الآية رقم [١١٥] من سورة (هود) عليه السلام، والآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد)، وانظر الشكر في الآية رقم [٧] الآتية، وانظر تذكير موسى لقومه في الآية رقم [٦١] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾ الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِآيَاتِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من موسى، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿أَنْ﴾: حرف تفسير؛ لأن معنى الإرسال القول، أو هي مصدرية. ﴿أَخْرِجْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿قَوْمَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: متعلقان بالفعل أخرج. ﴿إِلَى النُّورِ﴾: متعلقان به أيضاً، وجملة: ﴿أَخْرِجْ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار ﴿أَنْ﴾ تفسيرية، وتؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: «بأن أخرج» على اعتبارها مصدرية، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾. (ذكرهم): أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت» والهاء في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَنْ أَخْرِجْ...﴾ إلخ ﴿بِأَيَّامِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(أيام): مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي﴾: حرف جر. ﴿ذَٰلِكَ﴾: (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بفي، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة آيات، و(كلِّ): مضاف، و﴿صَبَّارٍ﴾: مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿شَكُورٍ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر قبلها لا محل لها.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ أي: واذكر وقت قال موسى لقومه مذكراً لهم بنعم الله عليهم. ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: فسر النعمة هنا بالإنجاء من كيد فرعون، واستعباده لهم، وفسرها في الآية رقم [٢٢] من سورة (المائدة) بجعل الأنبياء فيهم كثيرين، وبجعلهم ملوكاً، وبإيتائهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهذا كله كان بعد أن أنجاهم الله من هيمنة فرعون عليهم واستعباده لهم، فالفرق واضح بين النعمتين، وما في هذه الآية يضارع الآية رقم [٤٩] من سورة (البقرة) و [١٤١] من

سورة (الأعراف). ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يذيقونكم. وقيل: معناه: يديمون تعذيبكم. ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أشده وأفظعه، وإن كان كله سيئاً؛ لأنه أقبح بالإضافة إلى سائره. و﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: الذكور. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يتركون بناتكم أحياء.

وسبب ذلك: أنَّ فرعون رأى في منامه رؤيا أفزعته، فعبرها له الكهنة بأن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون ذهاب ملك فرعون على يده. ﴿بَلَآءٌ﴾: اختبار وامتحان، ويكون في الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ فيمتحن الله تعالى بالخير؛ ليشكروا، وبالشر؛ ليصبروا، وقال ابن كيسان: أبلاه وبلاه في الخير والشر، وقيل: الأكثر في الخير: أبليته، وفي الشر بلوته، وفي الاختبار: ابتليته، وبلوته. قاله النحاس. واسم الإشارة: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ يجوز أن يكون إشارة إلى الإنجاء، وهو خير محبوب، ويجوز أن يكون إشارة إلى الذبح، وهو شر مكروه.

هذا؛ وموسى في الأصل (موشى) بالشين مركباً من اسمين: الماء والشجر، فالماء يقال له في العبرانية: «مو»، والشجر يقال له: «شا» فعربته العرب، وقالوا: موسى بالسين، وسبب تسميته بذلك: أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء والشجر لمَّا ألقته أمه فيه، كما هو مذكور في سورة (طٰه) و(القصص)، وموسى هو ابن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: قال الجمل: قال المسعودي: ولا يعرف لفرعون تفسير في العربية، وظاهر كلام الجوهري: أنه مشتق من معنى العتو، فإنه قال: الفراعنة: العتاة، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة، أي دهاء، ومكر، وفرعون لقب لمن ملك العمالقة في مصر، كقيصر وكسرى، لملكي الفرس والروم، وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان، وقيل: هو ابن مصعب، واسمه الوليد من بقايا قوم عاد، وفرعون يوسف عليه السلام: هو الريان بن الوليد، وقد رأيت: أنه قد أسلم على يد يوسف، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة.

هذا والسوء كل ما يغم الإنسان من أمر دنيوي، أو أخروي، وهو في الأصل مصدر، ويؤنث بالألف، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وقيل: إن السوأى تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن، والسوء أيضاً: العمل السيئ، وأطلق عليه ذلك؛ لأنه يسوء صاحبه، ويغمه عند مجازاته به في الدنيا وفي الآخرة. و﴿بَلَآءٌ﴾: أصله: (بَلَاوٌ) فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة، وأصل أبناء: (أبناو) وأصل نساء: (نساي) فإعلالهما مثل إعلال: (بلاء) بلا فارق.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف، وجملة: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿ٱذْكُرُواْ﴾: أمر مبني على حذف

النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نِعْمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾، أو بمحذوف حال منه، وجملة: ﴿ٱذْكُرُوا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ: ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾، أو هو بدل منها بدل اشتمال، وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾. ﴿أَنجَىٰكُم﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ والكاف مفعول به. ﴿مِّنْ ءَالِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿ءَالِ﴾: مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعوله الأول، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ضمير المخاطبين، أو من آل فرعون، والرابط على الاعتبارين: الضمير فقط. ﴿سُوٓءَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾: مضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ إذ الأصل: العذاب السوء، وجملة: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب حال مثلها، ومثلها جملة: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾. ﴿وَفِى﴾: الواو: حرف استئناف. (في): حرف جر. ﴿ذَٰلِكُم﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ(في)، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم في الجميع حرف دال على جمع المذكر. ﴿بَلَآءٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَلَآءٌ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة بلاء، والجملة الاسمية: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم...﴾ إلخ مستأنفة، وهي من مقول موسى عليه السلام، وقيل: معطوفة على الجمل الفعلية قبلها، وقيل: محتملة للحالية.

تنبيه: قال سبحانه وتعالى في سورة (البقرة): ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بغير واو، وقال هنا: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ بزيادة الواو، والسبب في ذلك: أن قوله ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في سورة (البقرة) تفسير لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو، ودخول الواو هنا لبيان: أن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح، وبالتذبيح أيضاً، فهو نوع من أنواع العذاب، فالواو للتنويع.

تنبيه: تذبيح الصبيان وقلتهم بلاء ظاهر، وترك البنات أحياء بلاء من حيث أن الفراعنة كانوا يستخدمونهن كالإماء، بالإضافة لما يتبع ذلك من انتهاك أعراضهن، وامتهان شرفهن، فهو أكبر بلاء عند ذوي المروءات، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: تأذن، وأذن بمعنى: أعلم، وأخبر. مثل، أوعد وتوعد، والثاني أبلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: لئن

شكرتم إنعامي؛ لأزيدنكم من فضلي، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أي: لئن شكرتم نعمتي؛ لأزيدنكم من طاعتي. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: المراد بالكفر هنا جحود النعم؛ لأنه مذكور في مقابلة الشكر. ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ أي: عقابي الشديد لمن جحد نعمتي، وسمى سبحانه جحود النعمة كفراً؛ لأن معنى الكفر اللغوي: الستر، والتغطية كما رأيت في الآية رقم [٣٧] من سورة (يوسف) عليه السلام، فمن جحد النعمة كان بمنزلة من سترها، وغطاها. وجملة القول: إن شكر العبد لله على نعمه يعود على نفسه بالثواب العظيم، والنفع العميم، وعدم الشكر لا يضر الله شيئاً، خذ قوله تعالى في سورة (النمل) حكاية عن قول سليمان عليه السلام: ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ وقوله تعالى في سورة (لقمان): ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

فائدة: وعد الله عز وجل بالمزيد من النعم إن شكره العبد عليها، ولم يستثن، بينما استثنى في خمسة أشياء بعد الوعد فيها، فاستثنى الإغناء، فقال: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَ﴾ وفي الإجابة، فقال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ وفي الرزق، فقال: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفي المغفرة، فقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وفي التوبة، فقال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ ومعنى الاستثناء التعليق بالمشيئة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (إذ): هي مثل ما قبلها في الآية السابقة. ﴿تَأَذَّنَ﴾: ماض. ﴿رَبُّكُمْ﴾: فاعل والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لَئِن﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿شَكَرْتُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والميم حرف دال على جماعة الذكور، والمفعول محذوف، التقدير: شكرتموني، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ اللام: واقعة في جواب القسم. (أزيدنكم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: «أنا» والنون حرف لا محل له، والكاف مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: لأزيدنكم نعمة فوق نعمتكم، والجملة الفعلية هذه جواب القسم لا محل لها، وجواب الشرط محذوف على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

واحْـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وقَـسَـمْ ... جـوابَ مَـا أَخَّـرْتَ فـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقال: لئن... إلخ، أو في محل نصب مفعول به لـ: ﴿تَأَذَّنَ﴾؛ لأنه يجري مجرى قال. انتهى. بيضاوي. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ إعرابه مثل سابقه، وجواب القسم محذوف، التقدير: لأعذبنكم، دل عليه ما بعده،

وإنما حذف هنا، وصرح به في جانب الوعد؛ لأن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد، ويعرِّض بالوعيد. انتهى. بيضاوي. والكلام معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عَذَابِي﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم المصدر لفاعله. ﴿لَشَدِيدٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي تعليل لما قبلها. هذا؛ والكلام: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ...﴾ إلخ من كلام موسى عليه السلام فهو في محل نصب مقول القول، وقيل: هو من قول الله تعالى، فيكون مستأنفاً.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ⁽٨⁾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ أي: لقومه. ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: من الإنس والجن وغيرهما، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾: عن شكركم لنعمه، وغني عن إيمانكم وطاعتكم. ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحق للحمد في ذاته، محمود تحمده الملائكة، وتنطق بحمده ذرات المخلوقات، فما ضررتم بالكفر إلا أنفسكم، حيث حرمتموها مزيد الإنعام من فضله، وعرضتموها للعذاب الشديد.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال موسى): ماض وفاعله. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَكْفُرُوٓاْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، التقدير: بالله، والجملة الفعلية لا محل لها على نحو ما سبق. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل في محل رفع توكيد لواو الجماعة. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على واو الجماعة. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من واو الجماعة وما عطف عليها، فهي حال مؤكدة. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية: (إن الله. . .) إلخ في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ وإن اعتبرت الجواب محذوفاً، التقدير: فلن تضروا الله شيئاً؛ فتكون الجملة الاسمية تعليلاً لهذا المحذوف، وهو كلام سديد، و(إن) الشرطية ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال موسى. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية رقم [٦] فهي في محل جر مثلها.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ⁽٩⁾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: قال بعض المفسرين: يحتمل أن يكون هذا من كلام موسى لقومه حكاه الله عنه، ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى

ابتداء لنبينا ﷺ، والمخاطب بذلك كفار قريش، وانظر الكلام على الأقوام الثلاثة مفصلاً في سورة (الأعراف)، وسورة (هود) عليه السلام، والمقصود منه التذكير بأمر القرون الماضية، والأمم الخالية، وحصول العبرة، والعظة بأحوال من تقدم، وهلاكهم بسبب سوء أعمالهم. ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ﴾ أي: الأقوام الثلاثة. ﴿لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾: لا يحصي عددهم، ولا يعرف نسبهم إلا الله تعالى، كما قال جل ذكره: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا﴾.

والنسابون في جميع العصور، وإن نسبوا إلى آدم؛ فلا يدَّعون إحصاء جميع الأمم، وإنما ينسبون البعض، ويمسكون عن نسب البعض، وقد روي عن النبي ﷺ لما سمع النسابين ينسبون إلى معد بن عدنان، ثم زادوا، فقال: «كذب النسابون: إن الله يقول: ﴿لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾». وقد روي عن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون. ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالدلالات الواضحات، والمعجزات الباهرات.

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: عضوها غيظاً مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيكون كقوله تعالى: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾، أو وضعوا أيديهم على أفواههم تعجباً مما جاءت به الرسل، أو استهزاء عليه، كمن غلبه الضحك، أو هو إسكات للرسل، أي أشاروا بأيديهم إلى أفواههم: أن اسكتوا تكذيباً لهم، أو هو أمر لهم بإطباق الأفواه، وأشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم، وما نطقت به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرۡنَا﴾ إشارة على أن لا جواب لهم سواه، أو المعنى ردوا الأيدي في أفواه الأنبياء يمنعونهم من التكلم، وعلى هذا يحتمل أن يكون تمثيلاً، وقيل: الأيدي بمعنى: الأيادي، أي أيادي الأنبياء، التي هي مواعظهم، وما، أوحي إليهم من الحكم والشرائع في أفواههم؛ لأنهم إذا كذبوا، ولم يقبلوا، فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه. هذا؛ وجمع ﴿أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ على الأصل؛ لأن الأصل في فم: فوه، مثل حوض، وأحواض، وثوب، وأثواب.

وانظر شرح اليد في الآية رقم [٥٠] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أي: كفرنا بما تدعون، وتزعمون: أن الله أرسلكم به؛ لأنهم لم يعترفوا بأن الله أرسلهم ولو اعترفوا لكانوا مؤمنين. ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ﴾ أي: من التوحيد، وعبادة إله واحد، ونبذ عبادة الأصنام. ﴿مُرِيبٖ﴾: موقع في الريبة.

الإعراب: ﴿أَلَمۡ﴾ الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَأۡتِكُمۡ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والكاف مفعول به. ﴿نَبَؤُاْ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿قَوۡمِ﴾: بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، بدل بعض من كل، و﴿قَوۡمِ﴾ مضاف،

و﴿نُوحٍ﴾: مضاف إليه. (عاد): معطوف على ما قبله. (ثمود): معطوف أيضاً مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وقيل: والتأنيث بدل العجمة. (الذين): مبتدأ. ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، لا: نافية. ﴿يَعۡلَمُهُمۡ﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّهُۚ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة معترضة بين المفسر، وهو ﴿نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ﴾ وتفسيره، وهو قوله: ﴿جَآءَتۡهُمۡ...﴾ إلخ هذا وجه للإعراب، وقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ﴾ عطف على قوم نوح... الخ، أو على ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، وقوله: ﴿لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ اعتراض كما ذكر، وهذان الوجهان ضعيفان؛ لأن قوله تعالى: ﴿جَآءَتۡهُمۡ...﴾ إلخ لا يفسر نبأ الذين، وإنما الوجه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير «قد» قبلها، وعليه فالاعتراض واقع بين الحال وصاحبها. هذا، وأجاز أبو البقاء اعتبار (الذين من بعدهم) بدلاً من سابقه، وأجاز في الجملتين الفعليتين بعده الحالية، والاستئناف، كما أجاز اعتبار (الذين من بعدهم) مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ خبره، أو حال من الاستقرار، وجملة: ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾ الخبر، ويعني خبراً ثانياً على اعتبار الأولى خبراً، أو خبراً واحداً على اعتبار الأولى حالاً. ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿رُسُلُهُم﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقد رأيت الأقوال في محل الجملة الفعلية. (ردُّوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَيۡدِيَهُمۡ﴾: مفعول به. ﴿فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة: (ردُّوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كَفَرۡنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِمَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة والموصوفة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء، وتقدير القرطبي المصدرية لا وجه له ألبتة، وجملة: ﴿كَفَرۡنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، والكلام ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ...﴾ إلخ يحتمل أن يكون من كلام موسى فهو في محل نصب مقول القول، ومستأنف على احتماله مبتدأ من كلام الله تعالى. (إنا): مثل سابقتها. ﴿لَفِي﴾ اللام: هي المزحلقة. (في شكٍّ) متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بـ: ﴿شَكٍّ﴾؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف صفة له، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿تَدۡعُونَنَآ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، و(نا): مفعوله. ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُرِيبٖ﴾: صفة ثانية لـ: ﴿شَكٍّ﴾، وجملة: ﴿تَدۡعُونَنَآ

إِلَيۡهِ﴾ صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (إلى)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا لَفِى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾

الشرح: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ أي: هل تشكون في الله؟ وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة. ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: خالقهما ومخترعهما، ومنشئهما، وموجدهما بعد العدم لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة إلا له. ﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ أي: إلى عبادته وطاعته، والإيمان بالرسل، والكتب، والملائكة، واليوم الآخر وغير ذلك. ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ أي: يدعوكم لما ذكر ليغفر لكم ذنوبكم، إن آمنتم وصدقتم. ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ أي: إلى حين انقضاء آجالكم، فلا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ أي: لستم إلا مثلنا في الهيئة والصورة، تأكلون مما نأكل، وتشربون مما نشرب، ولستم ملائكة، فلا فضل لكم علينا، فلم تخصون بالنبوة دوننا؟ ولو شاء الله أن يبعث إلى البشر رسلاً لبعث من جنس أفضل. ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾: تمنعونا. ﴿عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أي: من الحجارة، والأوثان. ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: بحجة واضحة على صحة دعواكم، وهذا جدال ومحال منهم، فإن الرسل ما دعوهم إلى الإيمان إلا وقد أيدهم الله بالمعجزات، ولكنهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات الواضحة، والحجج الدامغة، واقترحوا عليهم آيات أخرى تعنتاً، ولجاجاً.

الإعراب: ﴿قَالَتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، وحذف متعلقه اكتفاءً بذكره في الآية التالية. ﴿رُسُلُهُمۡ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَفِي﴾ الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (في الله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شَكّٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿شَكّٞ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور لاعتمادهما على الاستفهام، وفي الحقيقة هو نائب فاعل بفعل محذوف، التقدير: أيوجد في الله شك، أو هو فاعل، التقدير: أيثبت في الله شك، وعليه فالجملة فعلية، وهي في محل نصب مقول القول. ﴿فَاطِرِ﴾: بدل من لفظ الجلالة، أو صفة له، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: معطوف على ما قبله، ﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة

على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط. ﴿لِيَغۡفِرَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ أيضاً و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾: متعلقان بالفعل (يغفر) أيضاً، و﴿مِّن﴾ للتبعيض أي: يغفر بعض ذنوبكم، وعليه يقتصر الغفران على حقوق الله تعالى وحدها، وقيل: (مِنْ) زائدة، وهذا على مذهب الأخفش الذي يجيز زيادة من في الإيجاب وعليه فالغفران يشمل جميع الذنوب؛ لأن الإيمان يجبُّ ما قبله، ويكون ﴿ذُنُوبِكُمۡ﴾ مفعولاً به منصوباً، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد والكاف في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ﴾: معطوف على (يغفر) منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والكاف في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّسَمّٗى﴾: صفة أجل مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي. ﴿أَنتُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثۡلُنَا﴾: صفة بشر، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿تُرِيدُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَصُدُّونَا﴾: مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون... الخ، والواو فاعله، و(نا): مفعول به، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿تُرِيدُونَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿بَشَرٞ﴾، وحمل على معناه؛ لأنه بمنزلة القوم والرهط. كقوله: ﴿أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾، أو هي في محل نصب حال من بشر بعد وصفه بما تقدم، وجوز فيها أن تكون مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بـ «عن»، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو عن شيء كان يعبده آباؤنا، ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير الشأن محذوف. ﴿يَعۡبُدُ﴾: مضارع. ﴿ءَابَآؤُنَا﴾: فاعله. و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وليس الكلام من باب التنازع؛ لأنه كان يجب أن تثبت واو الجماعة على إعمال أحد الفعلين في الاسم الظاهر، والإضمار في الآخر. ﴿فَأۡتُونَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (ائتونا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل

لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما تدعونه حقاً؛ فأتونا. ﴿بِسُلْطَانٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة له.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: نحن كما قلتم بشر، لا ننكر ذلك، ولا نترفع عنه. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: بالهداية للإيمان، والتوفيق للطاعة، ويصطفي للنبوة من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف، ويختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة، وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بحجة، وبرهان، ومعجزة تدل على صدق دعوانا إلا بإذن الله، ومشيئته، وإرادته. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فليعتمدوا عليه لا على غيره، فهو الذي يحفظهم، ويرد عنهم كيد أعدائهم، وفحواه: أننا نتوكل على الله في معاندتكم، ومعاداتكم. عمموا الأمر للإشعار بما يوجب التوكل، وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً، وهو ما يفيده الآية التالية.

الإعراب: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: انظر الإعراب في الآية السابقة. ﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿نَّحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثْلُكُمْ﴾: صفة بشر، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَمُنُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وجملة: ﴿يَشَآءُ﴾ صفة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يشاؤه. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف المنصوب، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾، والجملة الفعلية: ﴿يَمُنُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (لكنَّ) والجملة الاسمية: (لكنَّ...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَنَآ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّأْتِيَكُم﴾ في محل رفع اسمها مؤخراً. ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، التقدير:

إلا مأذوناً لنا. هذا؛ وأجاز أبو البقاء ومكي اعتبار المصدر المؤول في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿بِإِذْنِ﴾ متعلقين بمحذوف خبرها، وعليه يكون ﴿لَنَآ﴾ متعلقين بـ: ﴿كَانَ﴾، و﴿بِإِذْنِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: (ما كان لنا...) إلخ مستأنفة، وهي من مقول الرسل كما هو واضح. الواو: فيما أرى زائدة. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الزائدة، والواو عاطفة. (ليتوكل): مضارع مجزوم بلام الأمر، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقد قال أبو البقاء في مثلها: دخلت الفاء لمعنى الشرط، والمعنى هنا: إن اعتدى أحد علينا؛ فنحن نتوكل على الله، وعلى هذا فالواو ليست زائدة، وإنما هي عاطفة جملة شرطية على الكلام السابق، وتكون الفاء هي الفصيحة، ولا يخفى ما فيه من التكلف. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أيُّ عذر لنا في ترك التوكل على الله، وعدم الاعتماد عليه. ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ أي: وقد دلنا على الطرق التي نعرفه بها، ونعلم أن كل شيء بمشيئته وإرادته، وبيَّن لنا الطرق التي توصل إلى رحمته، وتنجي من سخطه ونقمته. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ﴾ أي: والله لنصبرن على أذاكم قولاً كان، أو فعلاً. وعلى الله، ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: عليه فليعتمد المعتمدون: وليفوضوا شؤونهم وأمورهم إليه، وليستسلموا لحكمه وقضائه وقدره، فهو الذي يكفيهم، ويدفع عنهم شر أعدائهم؛ إن توكلوا واعتمدوا عليه. هذا؛ وفي الآية التفات بالنسبة لما قبلها، وذلك من الغيبة إلى التكلم، وانظر الالتفات في الآية رقم [٤١] من سورة (الرعد)، وانظر التوكل في الآية رقم [٦٧] من سورة (يوسف) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

تنبيه: قال الخازن: فإن قلت: كيف كرر الأمر بالتوكل، وهل من فرق بين التوكلين؟ قلت: نعم التوكل الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل، والتوكل الثاني، فيه إشارة إلى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم، وإبقائه وإدامته، فحصل الفرق بين التوكلين.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾ الواو: حرف استئناف، (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَنَآ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبره. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿نَتَوَكَّلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المصدرية والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في عدم التوكل، أو في ترك التوكل، والجار والمجرور متعلقان

بمحذوف حال من (نا) والعامل الاستفهام لما فيه من معنى الفعل. ﴿وَقَدْ﴾ الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿هَدَىٰنَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، و(نا): مفعول به أول. ﴿سُبُلَنَا﴾: مفعول به ثان، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: (قد هدانا...) إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة، والجملة الاسمية: (ما لنا...) إلخ مستأنفة، وهي من مقول الرسل. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم بالله، اللام: واقعة في جواب القسم، (نصبرن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه من مقول الرسل أيضاً. وانظر سورة (الرعد) [٣٢] ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَآ﴾: مصدرية، ﴿ءَاذَيْتُمُونَا﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، و(نا): مفعول به، وما والفاعل في تأويل مصدر في محل جر بعلى، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، انظر الشرح. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَآ﴾ موصولة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: على الذي آذيتمونا به، وانظر إعراب مثل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ في الآية السابقة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم...﴾ إلخ: حلف كفار الأمم السابقة على أحد أمرين مهدِّدين لرسلهم: إما إخراجهم من بلدهم وأرضهم، أو عودهم إلى دينهم وطريقتهم، وهو يوهم بظاهره: أن الرسل كانوا على دين أقوامهم في أول الأمر حتى يعودوا فيها، وهذا محال في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم من أول نشأتهم نشؤوا على التوحيد، وهو بمعنى: الصيرورة هنا؛ إذ المعنى: لتصيرن في ملتنا، وهذا التعبير مستعمل في كلام العرب، وفيه تأويل آخر، وهو أن الرسل قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أممهم، فلما أرسلوا إليهم أظهروا مخالفتهم، ودعوهم إلى الله، فقالوا لهم: لتعودن في ملتنا ظناً منهم: أنهم كانوا على ملتهم، ثم خالفوهم، وقد تقدم مثل هذا في الآية رقم [٨٧] من سورة (الأعراف). ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾: فأخبرهم ربهم بعد هذه المخاطبات، والمحاورات. ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

هذا وأصل ﴿لَتَعُودُنَّ﴾: لتعودَننَّ فحذفت نون الرفع لتوالي النونات، فصار: «لتعودُونَّ» فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على الدال دليلاً عليها.

تنبيه: كثيراً ما يعبر القرآن عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، وغير ذلك، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولا سيما من قرأ القرآن، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم وكيف نكَّل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب، والتعبير عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين... إلخ ليكون لطفاً للمؤمنين في ترك الجرائم من ظلم، واعتداء، وفسوق، وإسراف، وغير ذلك من الأعمال التي يبغضها الله ورسوله.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿كَفَرُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل (قال) والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نخرجنكم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال الذين...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنْ أَرْضِنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف، ﴿لَتَعُودُنَّ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، أو اسمه، والنون حرف لا محل لها، والجملة الفعلية المعطوفة على ما قبلها. ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف خبره. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أوحى): ماض. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان به. ﴿رَبُّهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وإعراب ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مثل إعراب ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب قسم محذوف، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول لقول محذوف، أو في محل نصب مفعول به لـ: (أوحى) إجراءً له مجرى (قال)، وجملة: (أوحى...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: الخطاب للرسل، والمراد بالأرض: أرض الكفرة، وديارهم، وقد حقق الله ذلك للرسل؛ حيث أهلك أقوامهم، وأورثهم أرضهم، كما قال تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ هذا وقرئ: (ليهلكن) (وليسكننكم) بالياء اعتباراً لأوحى. ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى الموحى به، وهو إهلاك الظالمين، وإسكان المؤمنين مع المرسلين. ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي: موقفي، وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحساب يوم القيامة. أو المعنى: خاف قيامي عليه، ومراقبتي له، وحفظي لأعماله. والمقام: مصدر كالقيام، يقال: قام قياماً، ومقاماً، والمقام أيضاً: مكان الإقامة، وبالضم فعل الإقامة.

وأصله: (مُقْوَم) بفتح الميم، أو ضمها، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف بعد سلب سكونها، ثم يقال: تحركت الواو بحسب الأصل؛ وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً. ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي: وعيدي بالعذاب، أو عذابي الموعود للكفار، بعد هذا انظر «الخوف» في الآية رقم [١٣] من سورة (الرعد)، وانظر «الوعد والوعيد» في الآية رقم [٣١] منها.

الإعراب: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: انظر إعراب ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾ في الآية السابقة، والكاف مفعول به أول. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ منصوب على الظرفية المكانية عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب انتصاب المفعول به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: (دخلْتُ الْمَدينةَ، ونزلْتُ البلدَ، وسكنْتُ الشّامَ)، ويجب أن نلاحظ هنا أن الفعل متعد بالهمزة إلى الثاني، فعومل معاملة المفعول الواحد؛ إذا كان الفعل ثلاثياً، أي غير متعد بالهمزة. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ على ما فيها من اعتبارات. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لِمَنْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر، وجملة: ﴿خَافَ مَقَامِى﴾ صلة من، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها، وجملة: (خاف...) إلخ معطوفة عليها. ﴿وَعِيدِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ومثله قل في: ﴿مَقَامِى﴾ والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ أي: واستنصروا، أي: أذن للرسل في الاستفتاح على قومهم، والدعاء بهلاكهم، قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية عنه، وبه قال مجاهد، وقتادة.

وفي رواية أخرى عن ابن أبي عباس، وبه قال ابن زيد وغيره: استفتحت الأمم بالدعاء، كما قالت قريش: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٢] من سورة (الأنفال)، وقيل: إن الرسل والأمم استفتحوا، فالرسول كان يقول: «إنهم كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحاً» كما في الآية رقم [٨٩] من سورة (الأعراف)، والأمم كانت تقول: إنْ كان هؤلاء صادقين؛ فعذبنا، نظيره قوله تعالى حكاية عن قولهم: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: خسر، وهلك، والخيبة: قطع الأمل من الشيء المرغوب فيه، والمطلوب تحصيله. ﴿جَبَّارٍ﴾: المتكبر الذي لا يرى لأحد حقاً عليه، بل يرى نفسه فوق كل الناس. ﴿عَنِيدٍ﴾: المعاند للحق، المجانب له، والعنيد والعنود والعاند: المعاند للحق، والمخالف له، وفعله يأتي من الباب الأول والثاني، والرابع، والخامس، والمصدر عَنْداً، وعنوداً، وعَنَداً وهو مأخوذ من العند، وهو الناحية، أي أخذ في ناحيته معرضاً، قال الشاعر: [الرجز]

إِذَا نَزَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطاً ... إِنِّي كَبِيرٌ لا أُطِيقُ الْعَنَدَا

والعنيد والجبار لفظان مترادفان بمعنى: واحد، وإن اللفظ مختلف.

تنبيه: ذكرت في كتابي فتح القريب المجيب الشاهد [٧٤] أنَّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، كان خليفة، وكان خليعاً فاسقاً، متهتكاً مولعاً بالرذائل والمفاسد، جباراً عنيداً، لاهياً عن تدبير أمور الرعية، وأحوال الخلافة، وقد فتح المصحف مستفتحاً، فوافق ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ...﴾ إلخ فمزقه بيديه، وأنشد: [الوافر]

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ... فَهَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ

إِذَا مَا جِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ ... فَقُلْ يَا رَبُّ مَزَّقَنِي الْوَلِيدُ

فلم يلبث أياماً حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده، ومزقه الله شرَّ ممزَّق ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

الإعراب: (استفتحوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، وقرئ بصيغة الأمر، عطفاً على جملة: ﴿لَنُهْلِكَنَّ...﴾ إلخ فيكون موجهاً إلى الرسل خاصة، وإذناً لهم بالدعاء على أقوامهم. (خاب): ماض. ﴿كُلُّ﴾: فاعله، و﴿كُلُّ﴾ مضاف، و﴿جَبَّارٍ﴾ مضاف إليه، وهو في الأصل صفة لموصوف محذوف؛ إذ التقدير: كل شخص جبار، ﴿عَنِيدٍ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف، أو هو بدل من جبار على الترادف، وجملة: (خاب. . .) إلخ معطوفة على جملة محذوفة، أي فنُصر الرسل وسعدوا، وربحوا، وخاب. . . إلخ.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦﴾

الشرح: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: من أمام الجبار العنيد، وانظر الآية رقم [٧١] من سورة (هود) عليه السلام تجد ما يسرك ويثلج صدرك. ﴿جَهَنَّمُ﴾ أي: فإنه مرصد بها، واقف على شفيرها في الدنيا، مبعوث إليها في الآخرة، وقيل: المعنى من وراء حياة الجبار العنيد جهنم. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ أي: الجبار العنيد. ﴿مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾ أي: مثل الصديد، كما يقال للرجل الشجاع: أسد؛ أي: مثل الأسد، وهو تمثيل وتشبيه، وقيل: هو ما يسيل من أجسام أهل النار من القيح والدم، وقال محمد بن كعب القرظي: هو ما يسيل من فروج الزناة، والزواني، وانظر الآية التالية.

الإعراب: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثالثة للموصوف المحذوف، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿جَهَنَّمُ﴾: فاعل بالجار والمجرور لاعتمادهما على الموصوف، وفي الحقيقة نائب فاعل لفعل مقدر؛ أي: يوجد من ورائه جهنم. هذا؛ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿جَهَنَّمُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صفة للموصوف المحذوف، أو حال منه على نحو ما تقدم. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (يسقى): مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، ونائب الفاعل يعود إلى الشخص الجبار، وهو المفعول الأول. ﴿مِن مَّآءٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿صَدِيدٖ﴾: عطف بيان، أو بدل من ﴿مَّآءٖ﴾، وقيل: هو نعت لـ: ﴿مَّآءٖ﴾، كما تقول: هذا خاتمٌ حديدٌ، والبصريون لا يجيزون عطف البيان في النكرات، وأجازه الكوفيون، وتبعهم الفارسي، وهو بصري. وجملة: (يُسقى...) إلخ معطوفة على الصفة قبلها، فهو عطف جملة فعلية على مثلها على الإعراب الأول في: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ وعطف جملة فعلية على اسمية على الإعراب الثاني، وقيل: الجملة معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: يلقى فيها، ويسقى، فيكون المحل للمقدرة، وجملة: (يُسقى...) إلخ تابعة لها.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾

الشرح: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ أي: يتحسى الجبار العنيد الماء الصديد، ويشربه لا بمرة واحدة، بل يبتلعه جرعة بعد جرعة لمرارته، وكراهته، وحرارته، ونتنه، فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ قال: «**يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فيكرهُهُ، فإذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، ووقعتْ فروةُ رأسِهِ، فإذا شربَهُ، قَطَّعَ أمْعَاءَهُ حتى تخرجَ مِنْ دُبُرِهِ**».

يقول الله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾» خرجه الترمذي، وقال: حديث غريب. انتهى. قرطبي.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: ولا يقارب أن يبتلعه، فكيف تكون الإساغة، فهو كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها، فكيف يراها؟! وساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغاً إذا كان سلساً سهلاً، وقيل: ﴿يَكَادُ﴾ صلة؛ أي: يسيغه بعد إبطاء. ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يأتيه أسباب الموت من كل جهة، عن يمينه وشماله، ومن فوقه، وتحته، ومن قدامه، وخلفه. وقيل: إنه لا يبقى عضو من أعضائه إلا وكل به نوع من العذاب، لو مات سبعين مرة لكان أهون عليه من نوع منها في فرد لحظة: إما حية تنهشه، أو عقرب تلدغه، أو نار تسفعه، أو قيد برجليه، أو غل في عنقه، أو سلسلة يقرن بها، أو تابوت يكون فيه، أو زقوم، أو حميم، أو غير ذلك من أنواع العذاب.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ﴾ أي: لا يموت، فيستريح، وقال ابن جريح: تعلق روحه في حنجرته، فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه، فتنفعه الحياة، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ وقال الشاعر: [الطويل]

أَلَا مَنْ لِنفسٍ لا تموتُ فينقَضِي ... شَقَاهَا، ولا تحيَا حياةً لها طَعْمُ

﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: شديد متواصل الآلام من غير فتور.

بعد هذا؛ فالموت: انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته، وموت القلب: قسوته، فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح، أما المَيْتُ والمَيْتَةُ بفتح الميم وسكون الياء فيهما، فهو من فارقت روحه جسده، وجمعه: أموات، وأما المشدد فهو الحي الذي سيموت، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وجمعه موتى، قال الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ: [البسيط]

فَفُزْ بعِلْمٍ، ولا تَجْهَلْ بهِ أَبَداً ... فَالنَّاسُ مَوْتَى، وأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

هذا وقد قال بعض الأدباء في الفرق بين المشدد والمخفف: [الطويل]

أَيَا سائِلي تَفْسِيرَ مَيْتٍ وَمَيِّتٍ ... فدُونكَ قد فَسَّرْتُ ما عنهُ تَسْأَلُ

فَمَنْ كانَ ذا روحٍ، فذَلِكَ مَيِّتٌ ... وَمَا الْمَيْتُ إلَّا مَنْ إلَى الْقَبْرِ يُحْمَلُ

هذا هو الأصل الغالب في الاستعمال، وقد يتعاوضان كما في قول ابن الرعلاء الغساني: [الخفيف]

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَراحَ بمَيْتٍ ... إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

إنما الميْتُ مَنْ يعيشُ كئِيباً ... كاسِفاً بَالُهُ قليلَ الرَّجَاءِ

أقول: ومن هذا ما في الآية رقم [٢٧] من سورة (آل عمران)، وما في الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنعام) حيث استعمل المشدد فيهما لفاقد الحياة والروح، كما هو واضح فيهما. هذا؛ ولا تنس: أن أصل ميت المشدد (مَيْوِت)؛ لأنه مِنْ: مات يموت، فقل في إعلاله: اجتمعت الياء والواو: وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وقل مثله في إعلال سيِّد، وهيِّن، وصَيِّب، ونحو ذلك، وانظر شرح (كاد) في الآية رقم [١١٧] من سورة (التوبة) أو الآية رقم [٧٣] من سورة (الإسراء)، والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى «الجبار العنيد» والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿مَّآءٍ﴾، أو هي في محل نصب حال من نائب فاعل (يسقى)، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَكَادُ﴾: مضارع ناقص، واسمه يعود إلى الجبار، وجملة: ﴿يُسِيغُهُۥ﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها. (يأتيه): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْمَوْتُ﴾: فاعل. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَوْتُ﴾، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿مَكَانٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: (يأتيه. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسمها. ﴿بِمَيِّتٍ﴾ الباء: حرف جر صلة. (ميت): خبر ما منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وإن اعتبرت (ما) مهملة؛ فالباء تكون زائدة في خبر المبتدأ، وعلى الاعتبارين فالجملة اسمية، وهي في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿غَلِيظٌ﴾: صفة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ أي: صفة الذين كفروا بربهم التي هي مثل في الغرابة، ووقوع المثل بمعنى: الصفة موجود في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ وأنكر أبو علي الفارسي وقوع المثل بمعنى: الصفة، وقال: معناه الشبه، ألا تراه يجري مجراه في مواضعه، ومتصرفاته، كقولك: مررت برجل مثلك، كما تقول: مررت برجل شبهك،

وقال الفراء: المثل مقحم للتوكيد. ﴿كَرَمَادٍ﴾: هو ما يسقط من الحطب والفحم بعد إحراقه بالنار. ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: فنسفته، وطيرته، ولم تبق منه شيئاً. ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: وصف اليوم بالعصوف، والعصوف من صفة الريح؛ لأن الريح تكون فيه، كقولك: يوم بارد، ويوم حار، وليلة ماطرة؛ لأن الحر والبرد والمطر توجد فيهما وهذا يسمى بالمجاز العقلي، وقيل: معناه في يوم عاصف الريح؛ لأنه قد تقدم ذكرها.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: المعنى: أنهم لا يجدون ثواباً في الآخرة للأعمال الصالحة التي عملوها في الدنيا، وأملوا نفعاً من ورائها. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ أي: ذلك هو الخسران الكبير؛ أي: لأن أعمالهم ضلت، وهلكت، فلا يرجى عودها، وإنما جعله الله كبيراً بعيداً لعدم استدراكه بالموت وضياعه، وانظر الآية رقم [٣] هذا ومثل هذه الآية في بيان ضياع أعمال الكافر قوله تعالى في سورة (النور) رقم [٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا...﴾ إلخ وقوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٢٣]: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

تنبيه: في الآية الكريمة التشبيه التمثيلي بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ وهو ما انتزع من متعدد، فالمشبه مركب من الذين كفروا، وأعمالهم الصالحة التي يقومون بها في حياتهم، والمشبه به مركب من الرماد، واشتداد الريح، واليوم العاصف، وجه الشبه أن الريح العاصف تطير الرماد، وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى له أثر، فكذلك كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لا تنفعهم فتيلاً.

تنبيه: في الآية الكريمة مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها، ووجه المشابهة بين هذا المثل، وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماد، وتفرق أجزاءه حيث لا يبقى منه شيء، وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم حتى لا يبقى منها شيء. وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في سورة (التوبة) رقم [٥٥] وانظر الآية رقم [١٥] من سورة (هود) عليه السلام تجد فيهما الدواء الشافي لقلبك، والغذاء الكافي لروحك.

الإعراب: ﴿مَّثَلُ﴾: مبتدأ، اختلف في خبره، فقال سيبويه: محذوف، التقدير: فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا، وقال الخليل: خبره جملة: ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ أي: صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم... إلخ كقولك: قولي: يقوم زيد. وانظر الشرح. وقال الفراء: المثل مقحم للتأكيد، والمعنى: الذين كفروا بربهم أعمالهم... إلخ. والعرب تفعل ذلك كثيراً بالمثل، وانظر الآية رقم [٣٥] من سورة (الرعد)، و﴿مَّثَلُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿كَرَمَادٍ﴾: متعلقان بمحذوف

خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً فهي الخبر، وتكون مضافة و(رماد) مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ مستأنفة، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، وهذان الاعتباران إنما هما على رأي: سيبويه، وهي في محل رفع خبر المبتدأ على رأي: الخليل والفراء، مع اختلاف تقديرهما، وقيل: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿مَّثَلُ﴾، و﴿كَرَمَادٍ﴾ الخبر. ﴿ٱشْتَدَّتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿بِهِ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلرِّيحُ﴾: فاعله. ﴿فِى يَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَاصِفٍ﴾: صفة يوم، وانظر الشرح، وقرئ بإضافة يوم إلى عاصف بدون تنوين، وجملة: ﴿ٱشْتَدَّتْ...﴾ إلخ في محل جر صفة رماد. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَقْدِرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، أو من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف حال من شيء، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي كسبوه، أو من شيء كسبوه، وعلى اعتبار (ما): مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بمن، التقدير: من كسبهم، واعتبارها موصوفة ضعيف معنى. ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿ٱلضَّلَٰلُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير فصلاً فـ: ﴿ٱلضَّلَٰلُ﴾ خبر ذلك، ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾: صفة الضلال، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: خطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته، وقيل: لكل واحد على التلوين. انتهى. بيضاوي. والرؤية هنا قلبية؛ لأن المعنى: ألم تنظر بعين البصيرة إلى خلق السموات والأرض. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة البالغة، والوجه الذي يحق أن يخلق عليه، وقرئ: (خالق). ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يعدمكم، ويهلككم أيها الناس. ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أفضل وأطوع منكم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ والمعنى: إن الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على إفناء قوم وإماتتهم، وإيجاد خلق سواهم؛ لأن القادر لا يصعب عليه شيء. ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ أي: الاستبدال المذكور. ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي:

بمتعذر، أو متعسر، فإن الله قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، ومن كان هذا شأنه كان جديراً بأن يؤمن به ويعبد، رجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ و٨٩].

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾ الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَرَ﴾: مضارع مجزوم بـ(لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الله. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل خلق، أو هما متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: خلقاً ملتبساً بالحق، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿تَرَ﴾، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَشَأْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (يأت): مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى الله. ﴿بِخَلْقٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿جَدِيدٍ﴾: صفة خلق، هذا؛ ويجوز في العربية نصب (يأت) ورفعه، وهذا على القاعدة: «إذا عطف مضارع بالواو، أو بالفاء على جواب الشرط يجوز رفعه ونصبه وجزمه». قال ابن مالك رحمه الله تعالى: [الرجز]

وَالْفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الْجزَا إنْ يَقْتَرِنْ ... بِالْفَا، أو الْوَاوِ بِتَثْلِيثٍ قَمِنْ

ولم أجد من قرأ بنصب الفعل، أو جزمه، وقد قرئ بالرفع والنصب والجزم في الآية رقم [٢٨٤] من سورة (البقرة). ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِعَزِيزٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (عزيز): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وإن اعتبرت (ما) مهملة فالباء زائدة في خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وقيل: معطوفة على ما قبلها، أو في محل نصب حال، ولا وجه له ألبتة.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: برز الكفار من قبورهم يوم القيامة للحساب والجزاء، والبروز: الظهور، ومعنى ﴿لِلَّهِ﴾ أي: لأجل أمر الله إياهم بالبروز، وهذا يكون بعد النفخة الثانية، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾. فقال الضعفاء: أي: الأتباع. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ أي: عن الإيمان في الدنيا، وهم القادة، والرؤساء. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: تابعين لكم في تكذيب الرسل، وتبع يجوز أن يكون مصدراً، على حذف مضاف؛ أي: ذوي تبع، ويجوز أن يكون جمع تابع، مثل راصد، ورصد، وباقر، وبقر، وخادم، وخدم. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾: دافعون عنا، يقال: أغنى عنه: إذا دفع عنه الأذى. وأغناه: إذا، أوصل إليه النفع. ﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: الذي سيحل بنا بسبب كفرنا، وضلالنا.

قالوا: أي: القادة والسادة مجيبين للضعفاء. ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي: للإيمان واتباع الرسل. ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ أي: ولكن ضللنا سواء السبيل، فأضللناكم، وقيل: المعنى: لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ أي: مستو علينا الصبر والجزع، والجزع أبلغ من الحزن؛ لأنه يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه، والجزع عدم الصبر، أما الحزن فقد يكون معه الصبر؛ لذا كان الحزن مباحاً، والجزع محرماً مذموماً. ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: من مهرب وملجأ، ولا منجى مما نحن فيه. هذا؛ ويجوز أن يكون مصدراً كالمغيب، والمشيب، وأن يكون اسم مكان كالمبيت والمصيف. هذا؛ وانظر شرح: ﴿سَوَآءٌ﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (الرعد).

تنبيه: قال محمد بن كعب القرظي ـ رضي الله عنه ـ: بلغني: أن أهل النار يستغيثون بالخزنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فردت عليهم الخزنة: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ فردت الخزنة: ﴿فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ أي: في ضياع، فلما يئسوا مما عند الخزنة ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ﴾ سألوا الموت، فلا يجيبهم ثمانين سنة، والسنة ثلاثمئة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون، ثم يجيبهم بقوله: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ فلما يئسوا مما عنده، قال بعضهم لبعض: تعالوا فلنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا، فصبروا، وطال صبرهم، فلم ينفعهم، وجزعوا، فلم ينفعهم، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ...﴾ إلخ. انتهى. خازن.

تنبيه: الأفعال: (برزوا)، (قال)، (قالوا). في هذه الآية، والأفعال: (قال)، (قُضِيَ) في الآية التالية، والفعل: (أُدْخِلَ) في الآية التالية لها أيضاً كلها بلفظ الماضي، وهي تنص على شيء يقع في المستقبل، بلا ريب، والتعبير بالأفعال الماضية بدل الأفعال المستقبلة، إنما هو لتحقق وقوع ما يذكر، وهذا التعبير مستعمل في القرآن الكريم بكثرة، مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ والمراد بأمر الله الحشر، والنشر... إلخ، وهذا الاستعمال، إنما هو فن من فنون البلاغة، ألا فليتنبه العالمون.

الإعراب: ﴿وَبَرَزُواْ﴾: الواو: حرف استئناف. (برزوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من واو الجماعة، فيها معنى التأكيد. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال الضعفاء): ماض وفاعله. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما بعدهما على اعتباره مصدراً، أو اسم فاعل، وقيل: متعلقان بمحذوف حال منه، كان نعتاً له... إلخ ﴿تَبَعًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّغْنُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَنَّا﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّغْنُونَ﴾. ﴿مِنْ عَذَابِ﴾: متعلقان به أيضاً، وقيل: متعلقان بمحذوف حال مما بعدهما على مثال ما سبق، و﴿عَذَابِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول به لاسم الفاعل ﴿مُّغْنُونَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وأجاز أبو البقاء أن يكون شيء واقعاً موقع المصدر؛ أي: غناء، فيكون ﴿مِنْ عَذَابِ﴾ متعلقين بـ: ﴿مُّغْنُونَ﴾، والجملة الاسمية: ﴿فَهَلْ أَنتُم...﴾ إلخ مستأنفة، وهي من مقول الضعفاء. تأمل.

﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿هَدَىٰنَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، و(نا): مفعول به أول، والثاني محذوف، تقديره: للإيمان. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: ﴿هَدَىٰنَا ٱللَّهُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل، ومفعول به أول، والثاني محذوف، التقدير: لهديناكم إليه، واللام واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾، والجملة الفعلية جواب

﴿لَوْ﴾ لا محل لها. و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول. وجملة: (قالوا. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر مقدم. ﴿عَلَيْنَآ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَوَآءٌ﴾. ﴿أَجَزِعْنَآ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتسوية. (جزعنا): فعل وفاعل، وهمزة التسوية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معادل لهمزة التسوية. ﴿صَبَرْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية هذه مؤولة بمصدر، ومعطوف على سابقه، وتقدير الكلام: جزَعُنا، وصبْرُنا سواء. هذا؛ وجوز اعتبار سواء مبتدأ، والمصدر المؤول خبراً عنه، والأول أقوى لأن سواء نكرة، كما ترى، ولا مسوغ لوقوعه مبتدأ، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مَّحِيصٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا ويجوز اعتبار ﴿مَا﴾ حجازية تعمل عمل «ليس» والإعراب لا يتغير كثيراً، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: يعني لما فرغ منه، وانتهى الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيجتمع أهل النار على إبليس اللعين، ويأخذون في لومه، وتقريعه، وتوبيخه، فيقوم فيهم خطيباً، ويقول لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: البعث، والجنة، والنار، وثواب المطيع، وعقاب العاصي، فصدقكم وعده. ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾: أن لا بعث، ولا جنة، ولا نار، ولا ثواب، ولا عقاب، ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أي: فقد جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه. ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: تسلط، وقهر، فألجئكم إلى الكفر، والمعاصي. أو المعنى: لم آتكم بحجة على ما وعدتكم به، وزينته لكم في الدنيا، وانظر التوسع في شرح: ﴿سُلْطَٰنٌ﴾ في الآية رقم [٩٩] من سورة (النحل).

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ أي: إلا دعائي إياكم إلى الكفر، والمعاصي بتسويلي، وتزييني، وهو ليس من باب القهر والجبر. ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ أي: أسرعتم إلى إجابتي. ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ أي: على وسوستي؛ لأنكم عرفتم عداوتي لكم، ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾: حيث سارعتم إلى طاعتي، وخالفتم، أوامر ربكم، وكان الواجب أن لا تلتفتوا إلي، ولا تسمعوا قولي، فلما رجحتم قولي، ووسوستي على

الدلائل الظاهرة، كان اللوم بكم أولى بإجابتي ومتابعتي من غير حجة ولا برهان. ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثكم من العذاب، ومنقذكم منه. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمغيثي ومنقذي، والصارخ، والمستصرخ: هو الذي يطلب النصرة والمعاونة، والْمُصْرِخ: هو المغيث، قال سلامة بن جندل: [البسيط]

كُنَّا إذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّراخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

الظنابيب جمع ظنبوب، وهو حرف الساق اليابس من قدم، وقال أمية بن أبي الصلت: [الطويل]

ولَا تَجْزَعُوا إنِّي لَكُمْ غيْر مُصْرِخ وَلَيْسَ لَكُمْ عندي غَنَاءٌ وَلَا نَصْرُ

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ أي: كفرت بجعلكم إياي شريكاً لله في عبادته، وتبرأت من ذلك، والمعنى: تنصل إبليس ممن تبعوه في الدنيا. ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يحتمل أن يكون من تتمة كلام الشيطان، أو ابتداء كلام من الله تعالى، وفي حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين، وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم، ويتدبروا عواقبهم.

روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**فيقولُ عيسَى: هلْ أَدُلكُمْ على النبيّ الأميّ؟ فيَأْتوني، فيأذَنُ اللهُ لِي أَنْ أَقُومَ فيثورَ من مجلسي أطيبُ ريحٍ شَمَّها أَحَدٌ حَتَّى آتيَ رَبِّي، فيُشَفِّعُنِي، ويَجْعَلُ لِي نوراً مِنْ شَعْرِ رَأْسي إلى ظهْرِ قَدَمي، ثمَّ يقولُ الكفارُ: قد وجدَ المؤمنون مَنْ يشفعُ لهُمْ، فَمَنْ يشفعُ لنا؟ فيقولون: ما هُوَ غَيْرُ إبليسَ الذي أَضَلَّنَا، فيأتونَهُ، فيقولُونَ: قَدْ وَجَدَ المؤمنون مَنْ يَشْفَعُ لهم، فإنكَ أَنْتَ أَضَلَلْتَنَا، فيقومُ، فيثورُ مِنْ مجلسِهِ أنْتَنُ ريحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ، ثُمَّ تعظُمُ جهَنَّمُ، ويقولُ عِنْدَ ذلِكَ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ...﴾ إلخ». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٨] من سورة (مريم) عليها السلام، فإنه جيد.

تنبيه: ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾: أصله بمصرخين لي، فحذفت اللام الجارة، ثم حذفت النون للإضافة على قاعدة جمع المذكر السالم، ثم أدغمت ياء الجمع بياء المتكلم؛ لأن الأولى ساكنة، والثانية متحركة، ثم حركت الياء الثانية بالفتحة طلباً للخفة، وتخلصاً من توالي ثلاث كسرات، وقرئ بكسر الياء على أصل التخلص من التقاء الساكنين، أو إتباعاً لكسرة الخاء. وجاء في حديث بدء الوحي «**أو مخرجيَّ هم؟**». ولكن هنا أصله: أو مخرجون لي هم. فقلبت الواو ياء، ثم حصل الإدغام بعد حذف اللام الجارة، وحذف النون. تأمل. ولمكي كلام طويل في ذلك لا طائل تحته.

تنبيه: لعلك تدرك معي أن بين الآية الكريمة والحديث الشريف تعارضاً، بل إن هذا التعارض موجود في الحديث ذاته، فقول الشيطان المذكور إنما هو بعد إدخال أهل الجنة الجنة، وإدخال أهل النار النار، والفراغ من الحكم بين العباد، والحديث الشريف نص في الشفاعة العظمى بدليل قول عيسى عليه الصلاة والسلام: هل أدلكم على النبي، وإني إزاء هذا التعارض

أقف مكتوف الأيدي، لا أحير جواباً، فمن كان عنده جواب فليتفضل بإرساله إلينا مشكوراً، والله الموفق والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: ماض وفاعله. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل (قال). ﴿قُضِيَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْأَمْرُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿وَعَدَكُمْ﴾: ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿وَعْدَ﴾: مفعول مطلق، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه، من إضافة الموصوف للصفة، وانظر تقدير الجملة المحذوفة في الشرح، وهي: (فصدقكم). وقول القرطبي: هو إضافة الشيء إلى نفسه، كقولهم: مسجد الجامع لا وجه له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: (قال...) إلخ مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها، لا محل لها على الاعتبارين. (وعدتكم): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على خبر (إن)، وكذلك جملة: (أخلفتكم) معطوفة عليها أيضاً. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِيَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بسلطان، أو بمحذوف حال منه، كان صفة له... إلخ، أو هما متعلقان بالخبر المحذوف، ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: اسم كان مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد: ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء منقطع. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب يؤول مع الفعل بعده بمصدر في محل نصب على الاستثناء، التقدير: إلا دعائي إياكم. ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (استجبتم): فعل وفاعل. ﴿لِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَلُومُونِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً منكم فلا... إلخ. (لوموا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَنفُسَكُم﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَّآ﴾: نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسمها. ﴿بِمُصْرِخِكُمْ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مصرخكم): خبر ما منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: إعرابها مثل إعراب سابقتها بلا فارق، وهي معطوفة عليها. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿كَفَرْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِمَآ﴾: متعلقان بالفعل

قبلهما. ﴿أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية صلة (ما)، على اعتبارها موصولة، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: كفرت بالذي أشركتمونيه، وهو الله تعالى بطاعتكم إياي، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر، التقدير: كفرت بإشراككم إياي. ﴿مِن قَبۡلُۗ﴾: متعلقان بالفعل (أشركتم) على اعتبار (ما) مصدرية، ومتعلقان بالفعل ﴿كَفَرۡتُ﴾ على اعتبار (ما) موصولة، وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، وجملة: ﴿كَفَرۡتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ مع الكلام قبلها في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اسمها منصوب وعلامة نصبه... إلخ. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٞ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿لَهُمۡ﴾ متعلقين بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، فيكون ﴿عَذَابٌ﴾ فاعلاً، بمتعلقهما. هذا؛ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول على اعتبارها من مقول الشيطان، ومستأنفة على اعتبارها من مقول الله تعالى. تأمل، وتدبر.

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾

الشرح: ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ: لما شرح الله حال الكفار الأشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال السعداء، وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم، والأجر الجزيل؛ إذ اقتضت حكمة الله ورحمته أن لا يذكر التكذيب من الكافرين؛ إلا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الإيمان، إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة؛ إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر الغضب والسخط؛ ليكون المؤمن راغباً، راهباً، خائفاً، راجياً.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾: بأمره، وفضله، وإنعامه، وهذا يدل على أنهم لا يدخلون الجنة بعملهم إلا بعد إذنه تعالى وتكرمه عليهم، وقد تقدم معنا كثير من ذلك، وانظر الاحتراس في الآية رقم [٢٩] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿وَأُدۡخِلَ﴾: الواو: حرف استئناف، (أدخل): ماض مبني للمجهول، وقرئ (وأدخل) بضم اللام على أنه مضارع مرفوع فيكون فاعله مستتراً تقديره: «أنا». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل، أو في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿جَنَّٰتٖ﴾: منصوب على الظرفية المكانية عند بعض

النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام. بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب انتصاب المفعول به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: «دخلت المدينة، ونزلت البلد، وسكنت الشام». ويجب أن تلاحظ هنا أن الفعل متعدٍ بالهمزة إلى الثاني، فعومل معاملة المفعول الواحد إذا كان الفعل ثلاثياً؛ أي: غير متعد بالهمزة، وعلامة نصب ﴿جَنَّٰتٍ﴾ الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في محل نصب صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الموصول منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بمحذوف حال ثانية من واو الجماعة؛ أي: مأذوناً لهم، و(إذن): مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وأجيز تعليق ﴿بِإِذْنِ﴾ بالفعل (أدخل)، كما أجيز تعليقهما بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وجملة: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله حسب ما تراه في الشرح. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالمصدر (تحية). ﴿سَلَٰمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وأجيز اعتبارها حالاً من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهي حال مقدرة، أو حال من المضمر في ﴿خَٰلِدِينَ﴾، فلا تكون حالاً مقدرة، وأجيز أن تكون في موضع نصب صفة جنات. انتهى. مكي. وينبغي أن تعلم أن الحال بالنسبة للزمان على ثلاثة أقسام: حال مقارنة، وهي الغالبة نحو قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾، وحال مقدرة، وهي المستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، وحال محكية: وهي الماضية، نحو جاء زيدٌ أمْسِ رَاكِباً.

هذا وقد قال أيضاً: ونصب ﴿جَنَّٰتٍ﴾ على حذف الجر، وهو نادر لا يقاس عليه، تقول: دخلت الدار، وأدخلت زيداً الدار، تريد: في الدار، والدليل على أن دخلت لا يتعدى أن نقيضه لا يتعدى، وهو خرجت، وكل فعل لا يتعدى نقيضه لا يتعدى هو. انتهى، مكي، ولكن ما ذكرته أولاً هو المشهور عن سيبويه وغيره، فليتأمل. هذا وقد أجاز أبو البقاء عطف جملة: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ بالبناء للمجهول على جملة: (برزوا)، أو على جملة: ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا...﴾ إلخ. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: خطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته، وقيل: لكل واحد على التلوين. والرؤية هنا قلبية؛ لأن المعنى: ألم تنظر أيها الإنسان بعين البصيرة إلى ضرب هذا المثل؟!

ومعنى ضرب مثلاً: وضعه، ووصفه، وبينه. هذا؛ والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الآخر، ويصوره، وقيل: هو تشبيه شيء بشيء آخر. هذا؛ ومَثَل بفتح الميم والثاء يأتي بمعنى: الصفة، كما رأيت في الآية رقم [١٨] وأيضاً الآية رقم [٣٥] من سورة (الرعد). هذا؛ وهو بكسر الميم وسكون الثاء، ومثله مثيل بمعنى: شبه وشبيه، فهو اسم متوغل في الإبهام، لا يتعرف بإضافته إلى الضمير، ولا إلى غيره من المعارف؛ ولذلك نعتت به النكرة في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ويوصف به المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وتستعمل على ثلاثة، أوجه: الأول بمعنى: التشبيه كما رأيت، كقوله تعالى: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، والثاني بمعنى: نفس الشيء وذاته كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ عند بعضهم؛ حيث قال: المعنى ليس كذاته شيء، والثالث زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ أي: بما آمنتم به.

هذا والمثل بفتح الميم والثاء هو: القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة من بعض الوجوه، والممثل بمضربه؛ أي: هو الحالة الأصلية التي ورد الكلام فيها، وما أكثر الأمثال في اللغة العربية، علماً بأن ألفاظ الأمثال لا تغير، تذكيراً وتأنيثاً، إفراداً وتثنيةً وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، مثل (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ) فإنه يضرب لكل من فرط في تحصيل شيء في أوانه، ثم يطلبه بعد فواته. هذا؛ ويجمع مثل بكل معانيه على أمثال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

﴿كَلِمَةً﴾: فيها ثلاث لغات؛ الأولى: كَلِمَة على وزن نَبِقَة، وهي الفصحى، ولغة أهل الحجاز، وبها نَطق القرآن الكريم في آيات كثيرة، وجمعها: كلم كنَبِق، والثانية: كِلْمَة على وزن سِدْرَة، والثالثة: كَلْمَة على وزن تَمْرَة، وهما لغتا تميم، وجمع الأولى كِلْم كسِدْر، والثانية كَلْم كتمْر، وكذلك كل ما كان على وزن فعِل، نحو كبِد وكتِف، فإنه يجوز فيه اللغات الثلاث، فإن كان الوسط حرف حلق، جاز فيه لغة رابعة، وهي إتباع الأول للثاني في الكسر، نحو فِخِذ وشِهِد، وهي ـ أي: الكلمة ـ في الأصل: قول مفرد، مثل: محمد، وقام، وقعد، وفي، ولن، وقد تطلق على الجمل المفيدة، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠] وقال النبي ﷺ: «**أَصْدَقُ كَلِمةٍ قالَهَا شَاعِرٌ كلمةُ لبيد**»: [الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيءٍ ـ مَا خَلَا اللهَ ـ بَاطِلُ   وكُلُّ نَعِيمٍ ـ لا مَحَالَةَ ـ زائِلُ

المراد بـ: «كلمة» الشطر الأول بكامله، وتقول: قال فلان كلمة، والمراد بها كلام كثير، وهو شائع ومستعمل عربية في القديم والحديث، وانظر شرح الكلام في الآية رقم [٥٤] من سورة

(يوسف) عليه السلام، بعد هذا فالمراد بالكلمة كلمة: (لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله)، وهي كلمة الإيمان، والمراد بالشجرة شجرة النخل، وبه قال ابن عباس، وابن مسعود، وأنس، ومجاهد وعكرمة، والضحاك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقالَ: «**أَخْبِروني عن شجَرةٍ شِبْهِ الرجلِ؟**». أو قال: «**كالرجلِ الْمُسْلِمِ لا يَتَحاتُّ وَرَقُها، تُؤْتي أُكُلَها كلَّ حين؟**». قال ابن عمر: فوقع في نفسي: أنها النخلةُ، ورأيتُ أبا بكرٍ، وعمرَ لا يتكلمانِ، فكرهْتُ أَنْ أتكلَّمَ، فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: «**هي النخلةُ**». قال: فلمَّا قُمْنَا قلْتُ لعمرَ: يا أبتاه والله لقدْ وقعَ في نفسي أنها النخلةُ! فقال: ما منعكَ أَنْ تتكلم؟! قلْتُ: فلَمْ أركُمْ تتكلمون، فكرهْتُ أَنْ أتكلَّمَ، أو أقولَ شيئاً. فقال عمر: لأَنْ تكونَ قُلْتَهَا أحبُّ إليَّ مِنْ كذَا وكذَا ـ. متفق عليه. انتهى. خازن.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ مَثَلَ الإيمانِ كَمَثَلِ شَجَرةٍ ثَابِتَةٍ، الإيمانُ عُروقُهَا، والصَّلاة أَصْلُها، والزَّكاةُ فرُوعُهَا، والصِّيَامُ أغْصانُها، والتَّأَذّي في اللهِ نَبَاتُها، وحسنُ الْخُلُقِ ورَقُها، وَالْكَفُّ عَنْ محارِمِ اللهِ ثَمَرَتُها**». انتهى. قرطبي. وعنه ﷺ: «**مَثَلُ المؤمِنِ كالنخلةِ، إنْ صَاحبْتَهُ نَفَعَكَ، وإن جَالَسْتَهُ نَفَعَكَ، وإنْ شاوَرْتَهُ نَفَعَكَ، كالنخلَةِ كُلُّ شيءٍ مِنْهَا يُنْتَفعُ بِهِ، وقالَ: كُلُوا مِنْ عَمَّتِكُمْ**». يعني النخلةَ. ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**أكرِمُوا عَمَّاتِكُمُ النخلَ فَإِنَّهُنَّ الْمُطْعِمَاتُ في المَحْلِ**».

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: جذورها متشعبة في الأرض وثابتة وقوية، وكذلك الإيمان في قلب المؤمن ثابت وراسخ. ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: فروعها باسقة ومرتفعة إلى أعلى، وكذلك الإيمان، كما ستعرفه في الآية التالية.

الإعراب: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: انظر الآية رقم [١٩] ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من ﴿مَثَلًا﴾ تقدم عليه، وعلى العامل. التقدير: ألم تر ضرب الله مثلاً حال كونه مسؤولاً عن حاله من غرابته وإحكامه وغير ذلك. والاستفهام معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: ماض وفاعله ومفعوله. ﴿كَلِمَةً﴾: بدل من ﴿مَثَلًا﴾. ﴿طَيِّبَةً﴾: صفة ﴿كَلِمَةً﴾: ﴿كَشَجَرَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿كَلِمَةً﴾، وهذا على اعتبار ﴿ضَرَبَ﴾ متعدياً لمفعول واحد، وقد رأيت شرحه ومعناه، فإن كان بمعنى: صير، فهو متعد لاثنين: ﴿كَلِمَةً﴾ المفعول الأول و﴿مَثَلًا﴾ المفعول الثاني تقدم على الأول، بمعنى: جعلها مثلاً، وعلى هذا ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي كشجرة طيبة، كما قاله ابن عطية، وأجازه الزمخشري، ولكنه بدأ بالأول. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. والجملة: ﴿كَيْفَ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل قبلها، وجملة: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿طَيِّبَةٍ﴾: صفة شجرة. ﴿أَصْلُهَا﴾: مبتدأ، وها: في محل جر بالإضافة. ﴿ثَابِتٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جر صفة ثانية لـ: (شَجَرَةٍ)، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، (فرعها): مبتدأ، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿تُؤْتِي...﴾ إلخ: تعطي النخلة ثمرها كل وقت بأمر ربها. هذا؛ والحين في اللغة: الوقت، يطلق على القليل والكثير، واختلفوا في مقداره هنا، فقال مجاهد وعكرمة: الحين هنا سنة كاملة؛ لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة. وقال سعيد بن جبير، وقتادة، والحسن: ستة أشهر، يعني من وقت طلعها إلى حين انصرامها. وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً. وقال علي بن أبي طالب: ثمانية أشهر، يعني أن مدة حملها باطناً وظاهراً ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر، من حين ظهور حملها إلى إدراكها. وقال سعيد بن المسيب: شهران، يعني من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها. وقال الربيع بن أنس: ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ يعني غدوة وعشية؛ لأن ثمر النخل يؤكل أبداً، ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، فيؤكل منها الجمار والطلع، والبلح والبسر، والمنصف والرطب، وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطري الرطب، فأكلها دائم في كل وقت. وهذا القول هو الجدير بالاعتبار، انتهى. خازن، وكذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الأوقات كلها.

قال الجلال: كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء، ويناله بركته وثوابه كل وقت. انتهى. والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة؛ لأن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. وفحوى الآيتين: أن فيهما التشبيه التمثيلي، وهو المنتزع من متعدد، وهو ما رأيت شرحه. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير، وتصوير للمعاني، وتقريب لها من الحس. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لعلهم يتعظون، فيعتبرون. هذا وفي قوله: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾ مجاز عقلي؛ لأن النخلة لا تؤتي الأكل، وإنما يأتي به الله تعالى.

الإعراب: ﴿تُؤْتِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى الشجرة. ﴿أُكُلَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿كُلَّ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿تُؤْتِي﴾، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿حِينٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(إذن) مضاف، و﴿رَبِّهَا﴾

مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، و(ها): في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿تُؤۡتِيٓ...﴾ إلخ في محل جر صفة ثانية لـ: (شَجَرَةٍ)، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، والاستئناف ممكن. تأمل. ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: مضارع وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية تعليل لضرب الأمثال، وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد). تأمل، وتدبر.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: المراد به كلمة الشرك. ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: المراد بها شجرة الحنظل، قاله أنس بن مالك، ومجاهد، وفي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنها الثوم. ﴿ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ﴾: اقتلعت من أصلها. ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾: يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الأرض؛ لأنها ليس لها أصل ثابت في الأرض، ولا فرع صاعد في السماء، كذلك الكافر لا خير فيه، ولا يصعد له قول طيب، ولا عمل صالح، ولا لاعتقاده أصل ثابت، فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة، وهذا هو التشبيه التمثيلي الذي رأيت مثله في الآية السابقة.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بقِنَاع عليه رُطَبٌ، فقال: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ قَالَ: **هِيَ النَّخْلَةُ**. ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ قال: **هِيَ الْحَنْظَلَةُ**». أخرجه الترمذي مرفوعاً، وموقوفاً، وقال: الموقوف أصح.

الإعراب: ﴿وَمَثَلُ﴾: الواو: حرف عطف. (مثل): مبتدأ، ومثل مضاف، و﴿كَلِمَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿خَبِيثَةٍ﴾: صفة كلمة. ﴿كَشَجَرَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿خَبِيثَةٍ﴾: صفة (شجرة). ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث، ونائب الفاعل يعود إلى شجرة، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية لـ: (شَجَرَةٍ)، أو هي في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم. ﴿مِن فَوۡقِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿فَوۡقِ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرَارٖ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَا﴾ حجازية، والإعراب واضح عليه، والجملة الاسمية على الاعتبارين تصلح لأن تكون صفة ثانية لـ: (شَجَرَةٍ)، وأن تكون حالاً من نائب الفاعل، والجملة الاسمية: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ أي: الذي ثبت بالحجة عندهم، وتمكن من قلوبهم. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: فلا يزلون إذا افتتنوا في دينهم كزكريا، ويحيى، وجرجيس، وشمعون، والذين فتنهم أصحاب الأخدود، وكالسحرة الذين صلبهم فرعون، ويلحق بهم من أوذوا، أو فتنوا من المسلمين، وعذبوا في الله كعمار بن ياسر، وأبيه، وبلال، وصهيب وغيرهم. ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ أي: في القبر حين يسألهم الملكان عن ربهم، ودينهم، ونبيهم، فيجيبون بالصواب. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ أي: الكفار، فلا يهتدون للجواب بالصواب، بل يقولون: لا ندري. ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: يعني من التوفيق، والخذلان، والهداية، والإضلال، والتثبيت، وعدمه، لا اعتراض عليه في جميع أفعاله، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] من سورة (الرعد)، وانظر ما ذكرته من التعبير عن الكافرين بالظالمين ونحوه في الآية رقم [١٣].

تنبيه: كثير من المفسرين يقولون: إن المراد بقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ سؤال القبر، والمراد بقوله: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ يوم القيامة عند البعث والحساب، وأرى أن التفسير الأول أولى الأمور؛ الأول: أن معنى الحياة لا يكون لمن دفن تحت الأرض وفارق الدنيا. الثاني: أن كل من خرجت روحه من جسده قد انتقل من دار إلى دار، ومن حال إلى حال، والدار الثانية غير الأولى، والحال الثانية غير الأولى، وهو واضح بداهة. الثالث: قد ورد أن كل من مات فقد قامت قيامته، وانقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو غير ذلك. الرابع: لم يثبت أن ابن آدم يسأل بعد البعث والحشر مَنْ ربك ومَنْ نبيك... إلخ، والذي ثبت أنه يسأل في القبر بعد الدفن، والأحاديث الشريفة كثيرة في هذا المعنى، وهي كلها مشفوعة بالآية الكريمة التي الكلام فيها أكتفي بما يلي:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ العبْدَ إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عنه أصحابُهُ، وإنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ إذَا انْصَرَفُوا عنه، أَتَاهُ مَلَكَانِ فيُقْعِدانِهِ، فيَقُولانِ لَهُ: ما كُنْتَ تقولُ في هذا الرَّجُلِ محمَّدٍ؟ فأمَّا المؤمِن فيقولُ: أشْهَدُ أنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورسُولُهُ، فيقالُ لَهُ: انْظُرْ إلى مقعدكَ مِنَ النار أبدلَكَ اللهُ بِهِ مقعداً مِنَ الجنةِ، قال النبيُّ ﷺ: فيراهُمَا جميعاً، وَأَمَّا الكافِرُ، أو الْمنافِقُ، فيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ ما يقولُ الناسُ فيهِ، فيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بمطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بيْنَ أذُنَيْهِ، فيصيحُ صَيْحَةً يسمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**». رواه البخاري، واللفظ له، ومسلم.

قال القرطبي: وقيل: إن سبب نزول هذه الآية ما روي عن النبي ﷺ لما وصف مساءلة منكر ونكير، وما يكون من جواب الميت قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! أيكون معي عقلي؟ قال: «**نعم**». قال: كُفِيتُ إذاً، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

الإعراب: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾: مضارع وفاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾: متعلقان بالفعل يثبت. ﴿ٱلثَّابِتِ﴾: صفة القول. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يُثَبِّتُ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو ضعيف. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وبعضهم يعتبره مضافاً إليه، والأول أولى. ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿يُثَبِّتُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ...﴾ إلخ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ...﴾ إلخ معطوفة أيضاً. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يفعل الذي، أو شيئاً يشاؤه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يفعل مشيئته. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: انظر مثله في الآية رقم [١٩] و[٢٤] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ أي: جعلوا بدل نعمة الله عليهم الكفر بأن وضعوه مكانها، فإنهم لما كفروها؛ سلبت منهم، فصاروا تاركين لها، محصلين الكفر مكانها، كأهل مكة، خلقهم الله تعالى، وأسكنهم حرمه، وجعلهم قوام بيته، ووسع عليهم أبواب رزقه، وشرفهم بمحمد ﷺ، فكفروا ذلك، فقحطوا سبع سنين، وأُسِروا، وقتلوا يوم بدر، وصيروا أذلاء، فصاروا مسلوبي النعمة، موصوفين بالكفر. وقال علي، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في الأفجرين من قريش: بني مخزوم، وبني أمية، فأما بنو أمية؛ فمتعوا إلى حين، وأما بنو مخزوم؛ فأهلكوا يوم بدر. وقيل: هم متنصرة العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه حين لطم الفزاري، فجعل عمر له القصاص بمثلها، فلم يرض، وأَنِفَ، فارتد متنصراً، ولحق بالروم في جماعة من قومه، ولما حضرته الوفاة ندم، فقال: [الطويل]

تَنَصَّرَتِ الأشرافُ مِنْ عارِ لَطْمَةٍ ... وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لها ضَرَرْ

تكَنَّفَنِي منها لَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ ... وبِعْتُ لَهَا العَيْنَ الصَّحيحةَ بالْعَوَرْ

فَيَا لَيْتَنِي أرْعَى المخاض بِبَلْدَةٍ ... ولَمْ أنكرِ القولَ الذي قَالَه عُمَرْ

أقول: يبعد أن تكون الآية نزلت في هؤلاء؛ لأن ما فعله جبلة وأصحابه كان في خلافة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ وإن كان حكمها ومعناها ينطبقان عليهم، وعلى من حذا حذوهم إلى يوم القيامة. ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ﴾: أنزلوهم. ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دار الهلاك، وهي جهنم. والبوار: الهلاك، وفي المصباح: بار الشيء يبور بوراً بالضم: هلك، وبار الشيء بواراً: كسد على الاستعارة؛ لأنه إذا ترك؛ صار غير منتفع به، فأشبه الهالك من هذا الوجه، وأرض بور: لم تزرع، وبور جمع: بائر، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ورجل بائر: فاسد، لا خير فيه، وفي الأساس: فلان له نوره، وعليك بوره. أي: هلاكه، ونزلت بوار على الكفار؛ أي: هلاك.

ومن المجازات: بارت البياعات: كسدت، وسوق بائرة، وبارت الأيم: إذا لم يرغب فيها، وكان الرسول ﷺ يتعوذ من بوار الأيم، وبارت الأرض: إذا لم تزرع، وأرض بوار، وأرضون بور.

الإعراب: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: انظر الآية رقم [١٩] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لا قلبية، ﴿بَدَّلُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نِعْمَتَ﴾: مفعول به أول، و﴿نِعْمَتَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿كُفْرًا﴾: مفعول به ثان وقيل العكس؛ أي: ﴿كُفْرًا﴾ هو المفعول الأول، و﴿نِعْمَتَ﴾ هو المفعول الثاني، والمعنى لا يؤيده، وجملة: ﴿بَدَّلُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: (أحلوا. . .) إلخ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح و﴿دَارَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْبَوَارِ﴾ مضاف إليه.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿جَهَنَّمَ﴾: واد من أودية النار، أو المراد بها النار جميعها. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يحترقون فيها، ويقاسون حرها، وشدائدها، وفي المصباح صَلِيَ بالنَّارِ، وصَلِيها صلياً من باب تعب: وجد حرها. ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي: المستقر، والمقر، وانظر شرح: ﴿وَبِئْسَ﴾ في الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿جَهَنَّمَ﴾: بدل، أو عطف بيان، أو تفسير لـ: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾، أو هو منصوب بفعل محذوف، التقدير: يصلون جهنم، فعلى الأول لا يجوز الوقف على ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾، وعلى الثاني يجوز الوقف، بل ويحسن. هذا؛ ولو رفع ﴿جَهَنَّمَ﴾ رافع بإضمار على معنى: هي جهنم، أو باعتباره مبتدأ، والجملة بعده خبره لجاز، ولكني لم أجد مَنْ قرأ به.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿جَهَنَّمَ﴾، أو من ﴿قَوْمَهُمْ﴾

وهي مفسرة لا محل لها على اعتبار جهنم منصوباً بفعل محذوف. (بئس): ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿ٱلْقَرَارُ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: المذمومة هي، وجملة: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: حالية، ولا وجه له ألبتة؛ لأنها إنشائية.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: اخترع، وابتدع الكفار، والمشركون أمثالاً، وأشباهاً من الحجارة ونحوها يعبدونها من دون الله، وليس لله ندٌّ، ولا شبيه، ولا مثيل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! وأنداد جمع: ند، وهو المقاوم، والمضاهي، سواء أكان مثلاً، أو ضداً، أو خلافاً. وقيل: هو الضد. وقيل: هو الكفء، والمثل. ﴿لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق، وسبيل الله: هو دينه، وشرعه الذي أوحاه إلى محمد ﷺ، وانظر شرح: ﴿سَبِيلِى﴾ في الآية رقم [١٠٨] من سورة (يوسف) عليه السلام. هذا؛ وقرئ الفعل بفتح الياء، فيكون المعنى ليضلوا هم، فتكون اللام لام العاقبة؛ أي: لتكون عاقبتهم إلى الضلال.

﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ، ويعم كل عاقل من شأنه أن يخاطب الكفار، والمجرمين بما يلي: ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ أي: بدنياكم قليلاً، أو بعبادتكم الأوثان، أو اتباع الأهواء، فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع فيها، وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدد به. ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: مردكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا فالنار: أصلها النَّوَر، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنث المجازي، وقد تذكر، وتصغيرها: نُوَيْرَة، والجمع أنوُر، ونِيران، ونِيرة، ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين والفاسقين من أبناء المسلمين، والفعل نَار يَنُور، يستعمل لازماً، ومتعدياً إذا بدئ بهمزة التعدية، كما في قولك: أنارت الشمس الكون. هذا وانظر دركات النار في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿وَجَعَلُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (جعلوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَندَادًا﴾. ﴿أَندَادًا﴾: مفعول به. ﴿لِّيُضِلُّوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، أو العاقبة وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة وجملة: (جعلوا...) إلخ معطوفة على جملة: (أحلوا...) إلخ، أو هي مستأنفة،

لا محل لها على الاعتبارين. ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره «أنت». ﴿تَمَتَّعُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة. الفاء: حرف تعليل. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿مَصِيرَكُمْ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى النَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١)﴾

الشرح: ﴿قُل﴾: أمر موجه لسيد الأنام ﷺ، ويعم كل عاقل من شأنه أن يعظ وينصح الناس. ﴿لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: خصهم بالذكر، وشرفهم بالإضافة تنويهاً بشأنهم، وتنبيهاً على أنهم المقيمون لحقوق العبودية. ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٢٢] من سورة (الرعد). ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي: فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره، أو يفدي به نفسه. ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ أي: ولا خلة، وهي المودة والصداقة.

﴿لِّعِبَادِيَ﴾: يقرأ بفتح ياء المتكلم وسكونها، قراءتان سبعيتان، ويجريان في خمس مواضع من القرآن الكريم. هذا؛ وقوله تعالى في سورة (الأنبياء): ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ وقوله تعالى في سورة (العنكبوت): ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ وقوله تعالى في سورة (سبأ): ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ وقوله تعالى في سورة (الزمر): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ والمراد بـ: ﴿يَوْمٌ﴾ يوم القيامة.

هذا والخلال: المخالة والمصادقة، والخلة: الصداقة، وما ذكرته يعني: أن الخلال مفرد، وفي القرطبي: أنه جمع خلة مثل قلة وقلال، والخليل: الصديق الذي صفت مودته، فتجد من خلاله مثل ما يجد من خلالك، ويسعى لمصلحتك، كما يسعى لمصلحته، بل قد يؤثرك على نفسه، ويبذل روحه من أجلك، كما قال ربيعة بن مقروم الضبي: [الوافر]

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وتَرْجُو ... مودَّتَهُ، وَإِنْ دُعِيَ اسْتَجَابا
إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي ... وَزَادَ سِلَاحَهُ مِنْكَ اقْتِرَابَا

وهو معدوم في هذا الزمن الذي فسد أهله، وصاروا خَلّاً، ودوداً، كما قال القائل: [الوافر]

سَأَلْتُ النَّاسَ عن خِلٍّ وَدُودِ ... فَقَالُوا النَّاسُ من خَلٍّ وَدُودِ
فَقُلْتُ أَلَيْسَ فِيهِمْ ذو وَفَاءٍ؟ ... فَقَالُوا كانَ ذَلِكَ في الْجُدودِ

احفظ البيتين، ولا تنس: ما فيهما من الجناس التام، لذا فإنه لا وجود للصديق بالمعنى الحقيقي، بل صار وجوده مستحيلاً، كما قال القائل: [الكامل]

قَدْ قِيلَ: إنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلاثَةٌ الْغُولُ والعَنْقَاءُ والْخِلُّ الْوَفِي

وقال الآخر: [الوافر]

سَأَلْتُ النَّاسَ عن خلٍّ وَفِيٍّ فقالُوا: ما إلَى هَذَا سَبِيل
تَمَسَّكْ إنْ ظَفِرْتَ بذيْلِ حُرٍّ فإنَّ الْحُرَّ في الدُّنْيَا قَلِيل

ومما هو جدير بالذكر: أن كل صداقة لا تكون على أساسٍ من التقوى تنقلب عداوة في الدنيا والآخرة، خذ قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وانظر نتيجة صداقة إبليس في الآية رقم [٢٢] من هذه السورة وفي سورة (ق).

قال الخازن: فإن قلت: كيف نفى الخلة في هذه الآية، وفي الآية رقم [٢٥٤] من سورة (البقرة)، وأثبتها في الآية رقم [٦٧] من سورة (الزخرف)، وهي ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ...﴾ إلخ قلت: الآية الدالة على نفي الخلة (أي: نفي نفعها) محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس، والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها (أي: ثبوت نفعها) محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله، ألا تراه أثبتها للمتقين فقط، ونفاها عن غيرهم. وقيل: إن ليوم القيامة أحوالاً مختلفة، ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله، وفي بعضها يتعاطف الأخلاء، بعضهم على بعض إذا كانت المخالة لله وفي محبته. انتهى.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره «أنت». ﴿لِّعِبَادِيَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة عبادي، أو بدل منه، أو عطف بيان عليه، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿يُقِيمُواْ﴾: قال أبو البقاء: فيه ثلاثة، أوجه: أحدها: هو جواب قل، وتقدير الكلام: إن تقل لهم يقيموا، قاله الأخفش، ورده قوم، قالوا: لأن قول الرسول لهم، لا يوجب أن يقيموا، وهذا عندي لا يبطل قوله؛ لأنه لم يرد بالعباد الكفار، بل المؤمنين، وإذا قال الرسول لهم: أقيموا الصلاة أقاموها، ويدل على ذلك قوله: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والقول الثاني حكي عن المبرد، وهو أن التقدير: قل لهم: أقيموا يقيموا، فيقيموا المصرح به جواب أقيموا المحذوف، حكاه جماعة، ولم يتعرضوا لإفساده، وهو فاسد لوجهين:

أحدهما: أن جواب الشرط يخالف الشرط، إما في الفعل، أو في الفاعل، أو فيهما، فأما إذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطأ، كقولك: قم تقم، والتقدير على ما ذكر في هذا الوجه

إن يقيموا يقيموا، والوجه الثاني: أن الأمر المقدر للمواجهة، و﴿يُقِيمُوا۟﴾ على لفظ الغيبة، وهو خطأ إذا كان الفاعل واحداً، والقول الثالث: أنه مجزوم بلام محذوفة، تقديره: ليقيموا، فهو أمر مستأنف، وجاز حذف اللام لدلالة قل على الأمر، وهذه الأقوال الثلاثة ذكرها مكي باختصار، وذكرها ابن هشام في مغنيه بإطناب. انظر الشواهد من [٤٠٨] إلى [٤١٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». هذا ويشبه هذه الآية في تركيبها وإعرابها الآية رقم [٣٠] من سورة (النور)، والفعل ﴿يُقِيمُوا۟﴾ مجزوم على الوجوه المذكورة، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي في محل نصب مقول القول على حسب الوجوه المعتبرة فيها.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به. (ينفقوا): معطوف على ما قبله مجزوم مثله، وعلامة جزمهما حذف النون؛ لأنهما من الأفعال الخمسة، والواو فاعلهما، والألف للتفريق ﴿مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ انظر الإعراب مفصلاً في الآية رقم [٢٢] من سورة (الرعد). ﴿مِّن قَبْلِ﴾: متعلقان بالفعل ينفقوا، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه. ﴿لَّا﴾: نافية حجازية تعمل عمل ليس، أو هي مهملة لا عمل لها، وهو الأقوى؛ لأنها تكررت. ﴿بَيْعٌ﴾: اسم ﴿لَّا﴾، أو هو مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّا﴾، أو بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ﴿يَوْمٌ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿خِلَـٰلٌ﴾: معطوف على بيع. هذا؛ وقد قرئ في الآية رقم [٢٥٣] من سورة (البقرة) برفع ﴿بَيْعٌ﴾، وبنائه على الفتح، انظر الآية وأوجه الإعراب فيها، ولم أعثر هنا على قراءة بغير الرفع.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: أبدعهما واخترعهما على غير مثال سبق. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من السحاب، سمي السحاب سماء لارتفاعه، مشتق من السمو، وهو الارتفاع. وقيل: إن المطر ينزل من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض. ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ أي: بذلك الماء. ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: الثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجرة، وقد يقع على الزرع أيضاً بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: ذلك السفن الجارية في أعماق البحار لمنافع الناس، حيث تسير من بلد إلى آخر، فهي من تمام نعمة الله على عباده. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ أي: ذللها لكم لتنتفعوا منها في الشرب منها، وسقي الزروع، والثمرات، ولما

كان ماء البحر المالح لا ينتفع به في سقي الزروع والثمار ولا في الشراب؛ ذكر الله نعمته على عباده في تسخير الأنهار العذبة لأجل هذه الحاجة.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. (الأرض): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. (أنزل): ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: (أنزل...) إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿فَأَخْرَجَ...﴾ إلخ معطوفة عليها أيضاً. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل (أخرج)، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من ﴿رِزْقًا﴾، كما علق ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، والأول: أقوى. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول لأجله على اعتبار ﴿مِنَ﴾ للتبعيض وتعليقها بالفعل، ومفعول به على اعتبار ﴿مِنَ﴾ للبيان وتعليقها بمحذوف حال كما رأيت، وأجيز اعتبار ﴿رِزْقًا﴾ مفعولاً مطلقاً لأن (أخرج) بمعنى: رزق. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿رِزْقًا﴾، أو بمحذوف صفة له، واللام في الموضعين للملك، وجملة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿لِتَجْرِىَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (سخر). ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: متعلقان به أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾: يجريان في فلكهما؛ أي: محلهما ومقرهما، وهو السماء الرابعة للشمس، وسماء الدنيا للقمر. هذا؛ والدأب: العادة المستمرة على حالة واحدة، ودأب في السير: داوم عليه، والمعنى: أن الله تعالى سخر الشمس والقمر يجريان دائماً فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر. وقيل: يدأبان في سيرهما وتأثيرهما في إزاحة الظلمة، وإصلاح النبات والحيوان؛ لأن الشمس سلطان النهار، وبها تعرف فصول السنة، والقمر سلطان الليل، وبه يعرف انقضاء الشهور، وكل ذلك بتسخير الله عز وجل، وإنعامه على عباده. انتهى. خازن بتصرف. وانظر الآية رقم [٥] من سورة (يونس) عليه السلام.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾: لتسكنوا فيه، وتستريحوا من عناء النهار. ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: لتبتغوا فيه من فضله معاشكم بالسعي له، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾. هذا؛ وإن الليل والنهار يتعاقبان في الضياء والظلمة، والزيادة والنقصان، وذلك من إنعام الله على عباده، وفيه عبرة لأولي الألباب، كما قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ وانظر شرحهما في الآية رقم [٦٧] من سورة (يونس) عليه السلام، وانظر دأباً في الآية رقم [٤٧] من سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَسَخَّرَ﴾: الواو: حرف عطف. (سخر): ماض، والفاعل يعود إلى الموصول. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلشَّمْسَ﴾: مفعول به. (القمر): معطوف على ما قبله. ﴿دَآئِبَيْنِ﴾: حال من ﴿ٱلشَّمْسَ﴾ و﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وغلب القمر؛ لأنه مذكر، والجملة الفعلية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ﴾: معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، والجملة الثانية معطوفة عليها أيضاً.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: لما ذكر الله النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده، وسخرها لهم وذكر ذلك في الآيتين السابقتين، بيَّن في هذه: أنه سبحانه لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العد والحصر، و﴿مِّن﴾ الجارة معناها التبعيض، وأجيز في: ﴿مَا﴾ الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وأيضاً النفي، وعليه فالمعنى يكون: وآتاكم من كل ما سألتموه، ومن كل ما لم تسألوه، فحذف الثاني، فلم نسأله سبحانه شمساً ولا قمراً، ولا كثيراً من نعمه التي ابتدأنا بها. وقيل: ﴿مِّن﴾ زائدة؛ أي: أتاكم كل ما سألتموه. ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ أي: نعم الله لا تحصوها؛ ولا تطيقوا عدها لكثرتها، كالسمع، والبصر، وتقويم الصور، إلى غير ذلك من المال، والولد، والعافية، وأضر هذه النعم لوجود كل مخلوق وحياته الماء، والهواء، وهما أرخص كل الأشياء.

وأجل هذه النعم نعمة الإيمان لمن هداه الله، ووفقه له، وعمل بمقتضاه، وينبغي أن تعلم: أنَّ الإنسان مهما عمل من الصالحات، وعبد الله تعالى لا يوفي حق أصغر هذه النعم، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يُخْرَجُ لابْنِ آدَمَ يَوْمَ القيامةِ ثلاثةُ دواوِينَ: ديوانٌ فيه العملُ الصالحُ؛ وديوانٌ فيه ذنوبُهُ، وديوانٌ فيه النِّعَمُ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ، فيقولُ اللهُ عز وجل لأصغرِ نِعمةٍ، أَحْسِبُهُ قالَ: ـ في ديوان النِّعَم: خُذي ثَمَنَكِ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ فتستوعب عَمَلَهُ الصَالِحَ، ثمَّ تَنَحَّى، وتَقُولُ: وعزَّتِكَ ما اسْتَوْفَيْتُ! وتبقى الذنوبُ والنِّعَمُ، وقدْ ذَهَبَ العملُ الصَّالِحِ، فإذا أرادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَ عَبْداً، قَالَ: يا عَبْدِي قَدْ ضاعفت لَكَ حَسَنَاتِكَ، وتَجَاوَزْتُ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ـ أَحْسِبُهُ قالَ: ـ**

وَوَهَبْتُ لَكَ نِعَمِي». رواه البزار. هذا وحديث الذي عبد الله خمسمئة سنة برأس جبل، وقال الله له: «أدخل الجنة برحمتي، فقال: بل بعملي مشهور مسطور في كتاب الترغيب والترهيب.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: جنس الإنسان، وهو يفيد الاستغراق.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أراد أبا جهل، والتعميم أولى. ﴿لَظَلُومٌ﴾: شديد الظلم لغيره، بل ولنفسه حيث يعرضها لغضب الله وسخطه، والحرمان من رحمة الله وجوده وغفرانه. ﴿كَفَّارٌ﴾: شديد الكفران لنعم الله؛ أي: يجحدها، ولا يقوم بشكرها الواجب عليه. وقيل: ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع.

الإعراب: ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾: الواو: حرف عطف. (آتاكم): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الذي، والكاف مفعول به أول. ﴿مِّن كُلِّ﴾: متعلقان به على أنهما مفعوله الثاني، وقد رأيت: أن معنى ﴿مِّن﴾ التبعيض. وقيل: ﴿مِّن﴾ زائدة وعليه فـ﴿كُلِّ﴾ هي المفعول الثاني: مجرورة لفظاً منصوبة محلاً. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية ضعيفة معنى. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بإضافة ﴿كُلِّ﴾ إليها. ﴿سَأَلْتُمُوهُ﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ وتسهيله فتولدت واو الإشباع؛ التي هي حرف لا محل لها، والهاء مفعول به أول، والثاني: محذوف، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ نافية، تكون الجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿كُلِّ﴾ إليها، التقدير: وآتاكم من كل شيء غير سائليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، ولا تنس: أنه قد قرئ بتنوين ﴿كُلِّ﴾، فتكون ﴿مَا﴾ هي المفعول الثاني. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إنْ) حرف شرط جازم. ﴿تَعُدُّواْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون.. إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿نِعْمَتَ﴾؛ مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُحْصُوهَآ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم... إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ«إذا» الفجائية، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: اسمها. ﴿لَظَلُومٌ﴾ اللام: هي المزحلقة. (ظلوم): خبر أول. ﴿كَفَّارٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ أي: مكة المكرمة كما ستعرفه، وقد أجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه، فجعله حرماً آمناً، لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد،

ولا يصاد صيده، ولا يختلى خلاه، وجعل أهله في أمان، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾. ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ أي: أبعدني، وبنيَّ من عبادة الأصنام. هذا؛ وقرئ: (وأجنبني) بقطع الهمزة، والمعنى واحد، وهما على لغة نجد، وأما أهل الحجاز، فيقولون: جنبني شره. هذا؛ والأصنام: جمع صنم، وهو التمثال الذي يتخذ من خشب، أو حجارة، أو حديد، أو ذهب، أو فضة على صورة إنسان، أو غيره، وهو الوثن، وانظر النصب في الآية رقم [٤] من سورة (المائدة)، والأنصاب في الآية رقم [٩٣] منها أيضاً.

قال البيضاوي: وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم، وهو بظاهره لا يتناول أحفاده، وجميع ذريته، وهو الصحيح، كيف لا وقد عبد الكثير من ذريته الأصنام مثل قريش، وعبد اليهود العجل، وضلوا ضلالاً بعيداً. هذا؛ وقد قال القرطبي:

وأراد بقوله: ﴿وَبَنِيَّ﴾ بنيه من صلبه، وكانوا ثمانية، فما عبد أحد منهم صنماً، ولم يذكر أسماءهم هو، ولا غيره من المفسرين، ورأيت في قصص الأنبياء للنجار ما يلي:

عاد إبراهيم فأخذ زوجته اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق، وشوحا. انتهى. نقلاً من سفر التكوين. ولعلك تدرك معي: أن مديان هو مدين الذي يكثر ذكره في القرآن الكريم، وانظر الآية رقم [٧١] من سورة (هود) عليه السلام.

هذا وإبراهيم معناه في العبرانية: أب رحيم، وهو ابن تارح، أو تارخ، بن ناحور، بن سروج، بن رعو، بن فالج، بن عابر بن شالح، بن أرفكشاذ، بن سام، بن نوح عليه الصلاة والسلام، وانظر ما ذكرته في: ﴿ءَازَرَ﴾ في الآية رقم [٧٤] من سورة (الأنعام) تجد ما يسرك.

وقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام تتلخص في أنه كان فتى من أهل فدان آرام بالعراق، وكان قومه أهل، أوثان، وكان أبوه نجاراً، ينحت الأصنام، ويبيعها ممن يعبدها، وأن إبراهيم كان قد أنار الله بصيرته، وهداه إلى الرشد، فعلم أن الأصنام لا تسمع، ولا تبصر، ولا تسمع نداء، ولا تجيب دعاء، ولا تضر، ولا تنفع، ولذا عمد إلى تحطيمها في غيبة من يعبدها ليبين لهم عجزها، ولكنهم لم يرجعوا إلى رشدهم، بل أرادوا حرقه بالنار، فنجاه الله من كيدهم، وجعلهم الأخسرين، وكان الملك النمرود قد ادعى الألوهية، فحاجه إبراهيم عليه السلام وأفحمه، كما رأيت في الآية رقم [٢٥٧] من سورة (البقرة)، ولما أيس من إسلام أبيه وقومه تركهم، وذهب إلى أور الكلدانيين من أرض الجزيرة قرب نهر الفرات، ثم إلى حران، ثم رحل بعد ذلك إلى فلسطين، ومعه زوجه سارة، وابن أخيه لوط، ومع لوط زوجه، كما قال تعالى في سورة (العنكبوت): ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ثم رحل إلى مصر بسبب جدب وقع في فلسطين، ثم عاد إلى فلسطين، وكان ملك مصر قد أهدى إبراهيم أموالاً وماشية وجواري وعبيداً، منها هاجر التي تزوجها، وأنجبت منه إسماعيل،

على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام، وقد توفي في فلسطين، ودفن في بلدة الخليل، وقبره موجود فيها، وله مشهد عظيم.

تنبيه: حكى القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل عليه السلام في الآية رقم [١٢٦] من سورة (البقرة): أنه قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وحكى عنه قوله هنا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ والفرق بينهما أنه سأل في الأول: أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها، ولا يخافون، وسأل في الثاني: أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمناً. انتهى. خازن بتصرف.

هذا والرب يطلق، ويراد به السيد والمالك، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ...﴾ إلخ، وأيضاً قوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا...﴾ إلخ كما يقال: رَبُّ الدار، وربُّ الأسرة؛ أي: مالكها، ومتولي شؤونها، كما يراد به المربي والمصلح، يقال: رب فلان الضيعة يربها إذا أصلحها، والله سبحانه وتعالى مالك العالمين، ومربيهم، وموصلهم إلى كمالهم شيئاً فشيئاً، يجعل النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، ثم يجعل المضغة عظماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يصوره، ويجعل فيه الروح، ثم يخرجه خلقاً آخر، وهو ضعيف صغير، فلا يزال ينميه، وينشيه؛ حتى يجعله رجلاً، أو امرأة كاملين، ولا يطلق الرب على غير الله تعالى إلا مقيداً بالإضافة، مثل قولك: رب الدار، ورب الناقة، ونحو ذلك، والرب المعبود بحق، وهو المراد منه تعالى عند الإطلاق، ولا يجمع إذا كان بهذا المعنى، ويجمع إذا كان معبوداً بالباطل، قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ كما يجمع إذا كان بأحد المعاني السابقة، قال الشاعر: [الطويل]

هَنِيئاً لأرْبَابِ البُيُوتِ بُيوتُهُمْ ... ولِلآكِلِينَ التَّمْرَ مَخْمَسَ مَخْمَسَا

وهو اسم فاعل بجميع معانيه، أصله رابب، ثم خفف بحذف الألف، وإدغام أحد المثلين في الآخر.

تنبيه: قال مكي بن أبي طالب القيسي: ونداء الرب قد كثر حذف (يا) النداء منه في القرآن الكريم، وعلة ذلك: أن في حذفها من نداء الرب فيه معنى التعظيم له والتنزيه، وذلك أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيدُ فمعناه تعالَ يا زيدُ، أدعوكَ يا زَيْدُ، فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر، وينقص؛ لأن (يا) تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف (يا) التعظيم والإجلال والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن والكلام في نداء الرب لذلك المعنى.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف، فهو مبني على السكون في محل نصب، وهو الأقوى، وجملة: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه حرف النداء

منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة ضمير في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء الساكنة، فيقول: يا رَبِّي، ومنهم من يثبتها ويحركها بالفتحة، فيقول: يَا رَبِّيَ، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: يَا رَبَّا، ومنهم من يقول: يا ربُّ بضم الباء، ففيه خمس لغات، ويزاد سادسة، وهي حذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الباء دليلاً عليها، فيقول: يا رَبَّ.

﴿ٱجْعَلْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر فيه. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْبَلَدَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿ءَامِنًا﴾: مفعول به ثان، (اجنبني): فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. (بَنِيَّ): معطوف على ياء المتكلم، فهو منصوب أيضاً، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم المدغمة ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وأجيز اعتباره مفعولاً معه، وليس بشيء، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّعْبُدَ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: عن عبادة، أو هو منصوب بنزع الخافض، أو هو مفعول به ثان على التوسع. ﴿ٱلْأَصْنَامَ﴾: مفعول به، والجمل في الآية كلها في محل نصب مقول القول، والكلام مستأنف لا محل له.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: وهذا مجاز؛ لأن الأصنام جمادات، وحجارة، لا تعقل شيئاً حتى تضل من عبدها، إلا أنه لما حصل الإضلال بسبب عبادتها؛ أضيف إليها، كما تقول: فتنتهم الدنيا بزينتها، وغرتهم بزخرفها، وإنما فتنوا، واغتروا بسببها؛ لأن المضل والهادي في الحقيقة إنما هو الله تعالى، وينسب الإضلال للعبد كسباً، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٩] من سورة (الرعد).

﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ أي: فمن تبعني على ديني واعتقادي، فإنه من المتدينين بديني المتمسكين بحبلي، كما قال الشاعر: [الوافر]

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُوراً فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ، ولَسْتَ مِنِّي

﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قال السدي: ومن عصاني ثم تاب، فإنك غفور رحيم، وقال مقاتل: ومن عصاني فيما دون الشرك؛ فإنك غفور رحيم؛ إن شئت أن تغفر له؛ غفرت إذا

كان مسلماً، قال البيضاوي: وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك، إلا أن الوعد فرق بينه وبين غيره، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر ما قاله الرسول ﷺ في حق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في سورة (الأنفال) الآية [٦٧].

الإعراب: ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿إِنَّهُنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿أَضْلَلْنَ﴾: فعل وفاعل. ﴿كَثِيرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿أَضْلَلْنَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن). ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَبِعَنِي﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (مَنْ). ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿مِنِّي﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إن)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وما بعدها معطوف عليها، والإعراب ظاهر إن شاء الله تعالى، والآية بكاملها من مقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾

الشرح: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: بعض ذريتي، وهو إسماعيل عليه السلام. ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾: يعني وادي مكة؛ فإنها حجرية لا تنبت. ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾: الذي حرمت التعرض له بأذى، والتهاون بشأنه، أو لم يزل ممنعاً تهابه الجبابرة، أو منع منه الطوفان فلم يستو عليه، ولذلك سمي: عتيقاً. ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أسكنتهم بذلك الوادي ليعبدوك بإقامة الصلاة وغيرها من العبادة، وأفرد الصلاة بالذكر تنويهاً بشأنها، وتعظيماً لقدرها، ومكانتها، ولذا طلب من الله تعالى أن يوفقهم لإقامتها.

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: فاجعل أفئدة من أفئدة الناس، ولو قال: أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند، واليهود والنصارى، ولكن قال: من الناس، فهم المسلمون، قاله ابن عباس، ومجاهد. ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: تحن، وتشتاق إليهم، ولزيارة البيت، ففيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم الله حج البيت، ودعاء لسكان مكة من ذرية إبراهيم بأنهم

ينتفعون بمن يأتي إليهم من الناس لزيارة البيت، فقد جمع إبراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه، وعمَّت بركاته. ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: فاستجاب الله دعاءه وأنبت لهم بالطائف سائر الأشجار، وبما يجلب لهم من الأمصار، كما قال تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ حيث توجد فيه الفواكه الربيعية، والصيفية، والخريفية في يوم واحد، وهو مشاهد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ أي: لعلهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها عليهم. وقيل: معناه: لعلهم يوحدونك، ويعظمونك، وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هو ليستعان بها على أداء العبادات، وإقامة الطاعات. هذا؛ والفعل «شكر» يتعدى بنفسه وبحرف الجر تقول: شكرته، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له: وقد قرئ: (أَفْئِدَةً) و(آفِدَةً) و(أَفْئِيدةً).

بعد هذا جاء في البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: أول ما اتخذ النساء الْمِنْطَق من قِبَلِ أم إسماعيل، اتخذت مِنْطَقاً لِتُعَفِّيَ أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم، وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ؛ وسقاءً فيه ماءٌ، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب، وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس، ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: اللهُ أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ...﴾ إلخ حتى بلغ ﴿يَشْكُرُونَ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء؛ عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوَّى ـ أو قال: يَتَلَبَّط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الواديَ تنظر، هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سَعَتْ سَعْيَ الإنسان المجهود، حتى جاوزت الواديَ، ثم أتت المروة، فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً؟ ففعلت ذلك سبع مرات».

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«فلذلك سعى الناس بينهما»**. «فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالتْ: صَهٍ، تريد نفسها، ثم تَسمَّعَتْ، فسمعتْ أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غَوَاثٌ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال: بجناحه ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوِّضُهُ، وتقول بيدها: هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف».

قال النبي ﷺ: **«يرحَمُ اللهُ أُمَّ إسماعيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ ـ أو قال: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الماءِ ـ لَكَانَتْ زمزم عيناً مَعِيناً»**. قال: فشربت، وأرضعت ولدها، فقال لها الله: لا تخافوا الضيعة، فإن

هاهنا بيت الله ببنيه هذا الغلام، وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك؛ حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي، وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جَرِيًّا، أَوْجَرِيَّيْنِ، فإذا هم بالماء، فرجعوا، فأخبروهم بالماء، فأقبلوا. قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذِنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لاحق لكم في الماء. قالوا: نعم، قال النبي ﷺ، فألف ذلك أَمَّ إسماعيلَ، وهي تحب الأنس، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وَأَنْفَسَهُمْ، وَأَعْجَبَهُمْ حيث شب، فلما أدرك الحلم؛ زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل.

فجاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: يُغيِّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل عليه السلام كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك؛ فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل، أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غَيِّر عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك؛ إلحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته، فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم، والماء!.

قال النبي ﷺ: **«ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه»**. قال: فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغيرِ مَكَّةَ، إلا لم يوافقاهُ، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل عليه السلام، قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك، فأخبرته، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل عليه السلام يبري نبلاً له تحت دوحةٍ قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني، قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة

على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه، وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. انتهى. التجريد الصريح. موقوفاً في أوله، ومرفوعاً أربع مرات في وسطه وآخره، وقد رفعته في أوله أيضاً كما رفعه المرحوم عبد الوهاب النجار.

تنبيه: وإني أرجئ الكلام على إقدام إبراهيم على ذبح إسماعيل ـ على نبينا، وعليهما، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام ـ إلى سورة (الصافات) الآية رقم [١٠١] وما بعدها. هذا؛ وأضيف أن سبب إلقاء هاجر ورضيعها إسماعيل في مكة على نحو ما عرفت إنما هو غيرة سارة منها ومن ولدها؛ لأنها كانت جارية لها، فوهبتها لإبراهيم، فتزوجها، ولم يكن لسارة ولد قط، فأمر الله إبراهيم عليه السلام أن يأخذهما إلى ذلك المكان القفر وأن يتركهما، فركب البراق هو وهاجر والطفل، فجاء في يوم واحد من الشام إلى بطن مكة، وترك ابنه وأمه، وركب منصرفاً من يومه، فكان ذلك كله بوحي من الله تعالى، وكان مطيته البراق كلما أراد أن يزور إسماعيل عليهما السلام، وما تقدم يفيد: أن إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كان يحسن اللغة العربية ويجيدها، وإلا فكيف كان يمكن أن يتفاهم مع زَوْجَتَي ابنه، الأخرى تلو الأولى، ولم يكن بينهما ترجمان يترجم لهما ما يتفاهمان به. وأيضاً فكيف يمكن أن يتفاهم مع إسماعيل وأمه هاجر حينما ذهب إليهما، وقص رؤياه على إسماعيل، التي رأى أنه يذبحه، بل فكيف يمكن أن يتعاون مع إسماعيل، وإقامته عنده المدة الطويلة حينما بنيا الكعبة المعظمة، وهذا كله قد وقع، لا ريب فيه، ولا شك.

تنبيه: لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا في طرح ولده بأرض مضيعة اتكالاً على العزيز الرحيم، واقتداء بفعل الخليل إبراهيم، كما تقوله غلاة الصوفية في حقيقة التوكل، فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله، كما رأيت. هذا؛ وإن أحد الفسقة تزوج امرأة ثانية، وهجر الأولى مع أولادها في دار مستقلة، فلما نوقش في ذلك، قال: أنا أسكنها في دار مع أولادها، وأعطيتها أرضاً تعمل فيها، وتعيش منها، وإبراهيم الخليل ألقى هاجر، وابنه في أرض قاحلة، لا أنيس فيها، ولا ماء، ولا نبات، فهو يقول ذلك متفكهاً، ومضحكاً الناس، فويل لهم كيف يفترون على الله الكذب؟! وويل لهم مما يصنعون؟!

الإعراب: ﴿رَّبَّنَآ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿أَسْكَنتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، وقد رأيت أن ﴿مِن﴾ للتبعيض، وبعضهم يعتبرها صلة ويخرج على قول الأخفش بزيادتها في

الإيجاب. وقيل: إن المفعول محذوف، التقدير: إني أسكنت ذرية من ذريتي، وضعفه ظاهر، فيكون ﴿ذُرِّيَّتِي﴾ مفعولاً به، مجروراً لفظاً منصوباً محلاً، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، ﴿بِوَادٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿غَيْرِ﴾: صفة (واد). وقيل: بدل منه، و﴿غَيْرِ﴾ مضاف، و﴿ذِي﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وجمعه: «أولي» من غير لفظه كما قد رأيت في الآية رقم [١٩] من سورة (الرعد)، و﴿ذِي﴾: مضاف، و﴿زَرْعٍ﴾: مضاف إليه، ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل السابق، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿بَيْتِكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿الْمُحَرَّمِ﴾: صفة له، وجملة: ﴿أَسْكَنتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ وقال أبو البقاء في ﴿عِندَ﴾ يجوز أن يكون صفة لـ: (واد)، وأن يكون بدلاً منه. ﴿رَبَّنَا﴾: توكيد لسابقه. ﴿لِيُقِيمُوا﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل. وقيل: اللام للأمر، فيكون مجزوماً، وعلامة النصب، أو الجزم حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى النصب تؤول «أن» المضمرة مع الفعل بمصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَسْكَنتُ﴾ وعلى الجزم تكون الجملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَاجْعَلْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اجعل): فعل دعاء، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿أَفْئِدَةً﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ النَّاسِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة، التقدير: أفئدة كائنة من أفئدة الناس، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. ﴿تَهْوِي﴾: يقرأ بفتح الواو، وكسرها، فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، أو على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿أَفْئِدَةً﴾ كما قرئ بالبناء للمجهول. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: (اجعل...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، بإيحائك وأمرك؛ فاجعل... إلخ، وجملة: (ارزقهم...) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ مفيدة للتعليل، وينبغي أن تدرك معي: أن الآية الكريمة بكاملها من مقول إبراهيم عليه السلام.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨)﴾

الشرح: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ أي: تعلم سرنا كما تعلم علننا؛ أي: جهرنا. والمعنى: إنك تعلم أحوالنا، وما يصلحنا، وما يفسدنا، وأنت أرحم بنا منا، فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب، إنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك، وتخشعاً لعظمتك، وتذللاً لعزتك، وافتقاراً إلى ما عندك. وقيل: معناه: تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه، حيث أسكنتهما بوادٍ

غير ذي زرع، وما نعلن من البكاء، وتكرير النداء للمبالغة في التضرع، والالتجاء إلى الله تعالى. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ...﴾ إلخ: قيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام. وقيل: إنما هو من قول الله تعالى لمَّا قال إبراهيم ما تقدم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ...﴾ إلخ وعليه الأكثرون، فهو تصديق لما قاله إبراهيم أولاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى انظر مثله في الآية السابقة، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿تَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره «أنت». ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تعلم الذي، أو شيئاً نخفيه في قلوبنا، وما نعلن: مثل ما قبله في الإعراب، وجملة: ﴿تَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال على اعتبار الكلام من مقول إبراهيم، وواو الاستئناف على اعتباره من مقول الله تعالى. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَخْفَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة، ﴿شَيْءٍ﴾: فاعل يخفى مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة شيء. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. والآية الكريمة بكاملها من مقول إبراهيم، على الاعتبار الأول: في الشرح، واعتبار الجملة (ما يخفى...) إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿نَعْلَمُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، وإعادة اللفظ الكريم، ففيه، وضع الظاهر موضع المضمر، وعلى الاعتبار الثاني: في الشرح تكون الجملة (ما يخفى...) إلخ مستأنفة. تأمل، وتدبر.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى...﴾ إلخ: هذا الكلام قاله إبراهيم في وقت آخر، لا عقيب ما تقدم من الدعاء؛ لأن الظاهر أنه عليه السلام دعا بذلك الدعاء المتقدم أول ما قدم بهاجر وابنها، وهي ترضعه، ووضعها عند البيت، وإسحاق لم يولد في ذلك الوقت، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ولد إسماعيل لإبراهيم، وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسحاق، وهو ابن مئة واثنتي عشرة سنة، وقد قيد الهبة بحال الكبر استعظاماً للنعمة، وإظهاراً لما فيها من المعجزة. ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: لمجيب الدعاء، من قولك: سمع الملك كلامي: إذا اعتدَّ به، و(سميع) من صيغ المبالغة. هذا؛ وولد لإسماعيل اثنا عشر ولداً، ولإسحاق اثنان.

هذا و(الحمد) في اللغة: الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم، سواء أكان في مقابلة نعمة أم لا، فالأول: كمن يحسن إليك، والثاني: كمن يجيد صلاته، وهو

في اصطلاح علماء التوحيد: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد، أو غيره، سواء أكان ذلك قولاً باللسان، أو اعتقاداً بالجنان، أو عملاً بالأركان، التي هي الأعضاء، كما قال القائل: [الطويل]

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي والضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

ومما هو جدير بالذكر: أن معنى الشكر في اللغة هو معنى الحمد في الاصطلاح، وأما معنى الشكر في الاصطلاح: فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه، فيما خلق لأجله، وانظر الآية رقم [٧] تجد ما يسرك.

هذا وقد حثنا الرسول ﷺ على حمد الله باللسان، ورغبنا فيه، وذكر لنا أحاديث ترغبنا فيه، وصيغاً مفضلة على غيرها لما فيها من المعاني القوية، وخذ نبذة من ذلك، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ حَدَّثَهُمْ: «**أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبادِ اللهِ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجهِكَ، وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إلى السَّماء، فَقَالَا: يَا رَبَّنَا، إنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً، لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا؟ قَالَ اللهُ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ ـ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قالَا: يَا رَبِّ إِنَّهُ قَدْ قَالَ: يا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَلِعَظِيم سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللهُ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي، فَأَجْزِيهِ بِهَا**». رواه أحمد وابن ماجه.

وعن أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رجل عند رسول الله ﷺ: الْحَمْدُ للهِ حَمْداً كثيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ. فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صاحِبُ الْكَلِمَةِ؟**». فسكتَ الرجُلُ، ورَأَى أَنَّهُ قَدْ هَجَمَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ على شَيءٍ يَكْرَهُهُ، فقالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ هُوَ؟ فإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا صَوَاباً**». فقالَ الرَّجُلُ: أَنَا قُلْتُهَا يا رسولَ اللهِ! أرجو بها الْخَيْرَ. فقال: «**والَّذي نفسي بيدِهِ! لَقَدْ رَأَيْتُ ثلاثَةَ عَشَرَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَ كَلِمَتَكَ، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا إلى اللهِ تعالى**». رواه الطبراني، والبيهقي.

الإعراب: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه، وجملة: ﴿وَهَبَ لِى﴾ صلة الموصول، والعائد رجوع الفاعل إليه. ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ياء المتكلم، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف حال مما بعدهما. ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾: مفعول به. و(إسحاق): معطوف عليه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّى﴾: اسم إن منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَسَمِيعُ﴾: خبر (إنَّ)، واللام هي المزحلقة، و(سميع): مضاف، و﴿ٱلدُّعَآءِ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. وقيل: من إضافته لفاعله على إسناد السماع إلى دعاء الله تعالى على المجاز. هذا؛ والآية الكريمة كلها من مقول إبراهيم عليه السلام.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: ممن يقيم الصلاة بأركانها، ويحافظ عليها في أوقاتها، وانظر الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة، وإنما أدخل لفظة (مِنْ) التي هي للتبعيض؛ لأنه عَلِم بإعلام الله له أنه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة، وهذا واقع وملموس ومشاهد، وانظر شرح (ذرية) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد). ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: وقد تقبل الله دعاء إبراهيم بفضله وكرمه. وقيل: المعنى: وتقبل عبادتي، وطاعتي. وتكرير النداء للمبالغة في التضرع، والالتجاء إلى الله تعالى. هذا؛ و﴿مُقِيمَ﴾ أصله: (مُؤَقْوِم) حذفت منه الهمزة على نحو ما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد)، فصار (مُقْوِم) ثم نقلت كسرة الواو إلى القاف قبلها بعد سلب سكونها، فصار (مُقِوْم) ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، فصار: «مقيم».

الإعراب: ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣٥] لشرحه وإعرابه، ﴿ٱجْعَلْنِي﴾: فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿مُقِيمَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: معطوفان على ياء المتكلم، وانظر الشرح، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿رَبَّنَا﴾: تقدم مثله. (تقبل دعاء): فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿دُعَآءِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وتقدم مثله في الآية رقم [٣٢] من سورة (الرعد)، والآية بكاملها من مقول إبراهيم على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾: قيل: استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوَّان لله، وهذا أفادته آية التوبة رقم [١١٥]. هذا وقال القشيري: ولا يبعد أن تكونَ أمه مسلمة؛ لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه، قال القرطبي: وعلى هذا قراءة سعيد بن جبير: (ربِّ اغفر لي ولوَالِديْ) يعني: أباه. وقيل: استغفر لهما طمعاً في إيمانهما. وقيل: استغفر لهما بشرط أن يسلمَا. وقيل: أرَادَ آدم وحواء، وقد روي: أن العبد إذا قال: اللهم اغفر لي ولوالدي، وكان أبواه قد ماتا كافرين انصرفت المغفرة إلى آدم، وحواء؛ لأنهما والدا الخلق أجمع. هذا؛ وقرئ: (ولأبَوَيَّ) وفي (والِديَّ وَأَبَويَّ) تغليب الأب على الأم، وفيه إشعار بتفضيل الذكر على الأنثى.

وقيل: أراد ولديه إسماعيل، وإسحاق، وقد قرئ (ولولدي) وهذه القراءة وقراءة الإفراد، وقراءة: (وُلْدِي) جمع ولد كلها قراءات شاذة. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: اغفر للمؤمنين كلهم، والله لا يرد دعاء خليله، ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي: يثبت، فهو مستعار من القيام على الرِّجل، كقولهم: قامت الحرب على ساقها. وقيل: المراد: يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب؛ لكونه مفهوماً للسامع.

تنبيه: قال الخازن: فإن قلت: طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة له. قلت: المقصود منه الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه، والاعتراف بالعبودية لله تعالى، والاتكال على رحمته. انتهى.

أقول: وفيه أمران آخران: أولهما: إظهار التذلل، والافتقار له تعالى، والتواضع، وثانيهما تعليم الناس وحثهم على طلب المغفرة من الله مهما بلغوا من الصلاح والتقوى، ولا تنس: أن نوحاً عليه السلام قد دعا بمثل هذا الدعاء، انظر الآية الأخيرة من السورة المسماة باسمه، وعلَّم ربنا حبيبه وصفيه محمداً ﷺ أن يدعوه بأدعية شبيهة لما دعا إبراهيم ونوح، عليهم جميعاً ألف تحية، وألف صلاة، انظر خواتيم سورة (البقرة)، والنصف الثاني: من سورة (الفاتحة)، وغير ذلك كثير، وقال ﷺ: «**توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب إليه في اليوم والليلة سبعين مرة**». ولعل الرسول ﷺ حينما كان يحض أصحابه على الاستغفار، ويخبرهم: أنه يستغفر في اليوم سبعين مرة، لم يقصد نفع نفسه، أو التخلص من ذنوب نسبت إليه، فهو المعصوم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، ولكنه قصد أن يعلم أتباعه كيف يفيئون بعد غفلة، ويستقيمون بعد زلة، ويرجعون بعد هفوة، ولا عجب فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

الإعراب: ﴿رَبَّنَا﴾: تقدم مثله. ﴿اغْفِرْ﴾: فعل دعاء، والفاعل: «أنت». ﴿لِي﴾: متعلقان بما قبلهما. (لوالدي): معطوفان على ما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. (للمؤمنين) معطوفان على ما قبلهما، وعلامة الجر... إلخ. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل السابق، أو هو متعلق بمحذوف حال التقدير: حال كون الغفران في ذلك اليوم العصيب، والأول: أقوى، وجملة: ﴿يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ في محل جر بإضافة يوم إليها، والآية الكريمة من مقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا...﴾ إلخ: هذا خطاب للرسول ﷺ، والمراد تثبيته على ما هو عليه، وأنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم، لا تخفى عليه خافية، وفيه وعيد لهم بأنه

معاقبهم على قليله، وكثيره لا محالة، أو لكل من توهم غفلته جهلاً بصفاته، واغتراراً بإمهاله. وقيل: إنه تسلية للمظلوم، وتهديد للظالم. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي: يؤخر عقاب الظالمين والانتقام منهم. ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: لا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم، قاله الفراء: يقال: شخص الرجل بصره، وشخص البصر نفسه؛ أي: سما، وطمح من هول ما يرى. قال ابن عباس: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة، فلا يَرْمَضُونَ.

قال الخازن: الغفلة معنىً يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور. وقيل: حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ، والتيقظ، وهذا في حق الله محال، فلا بد من تأويل الآية، فالمقصود منها: أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم، ففيه وعيد، وتهديد للظالم، وإعلام له بأنه لا يعامله معاملة الغافل عنه، بل ينتقم منه، ولا يتركه مُغْفَلاً. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَحْسَبَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بـ: (لا)، ونون التوكيد حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿غَٰفِلًا﴾: مفعول به ثان، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَمَّا﴾: متعلقان بـ: ﴿غَٰفِلًا﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو عن شيء يعمله الظالمون، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن)، التقدير: من عمل الظالمين. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله، وقرئ بالنون، فيكون الفاعل تقديره: «نحن» والهاء مفعول به. ﴿لِيَوْمٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في محل جر صفة يوم، والرابط: الضمير المجرور محلاً بفي، والجملتان (لا تحسبن...) و﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾... إلخ مستأنفتان لا محل لهما من الإعراب، وفي الثانية معنى التعليل للنهي.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين، ومنه قوله تعالى في سورة (القمر): ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ وقال الشاعر: [الوافر]

بِدِجْلَةَ دَارُهُمْ ولقد أُرَاهُمْ بدجلة مُهْطِعِينَ إلى السَّمَاعِ

فعلى هذا المعنى: أن الغالب من حال من بقي بصره شاخصاً من شدة الخوف أن يبقى واقفاً باهتاً، فبيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، وفي آية (القمر): أن أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة، فأخبر سبحانه وتعالى: أنهم مع شخوص الأبصار يكونون

مهطعين نحو الداعي. وقيل: المهطع: الخاضع الذليل الساكت. انتهى خازن. والمراد بـ: (الداعي) الذي ذكرته إسرافيل عليه السلام قال تعالى في سورة (قٓ): ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

وقال مجاهد، والضحاك: أي: مديمي النظر، قال أبو عبيد: وقد يكون الوجهان جميعاً، يعني: الإسراع مع إدامة النظر. ﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رافعي رؤوسهم ينظرون في ذلٍّ، وإقناع الرأس: رفعه، قاله ابن عباس، ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ وهذا بخلاف المعتاد لأن من يتوقع البلاء فإنه يطرق ببصره إلى الأرض.

وقال المهدوي: ويقال: أقنع: إذا رفع رأسه، وأقنع: إذا طأطأ رأسه ذلة وخضوعاً، والآية محتملة الوجهين. انتهى قرطبي. وعليه فهو من الأضداد.

قال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف، فهي شاخصة لا ترتد إليهم، قد شغلهم ما بهم. انتهى. خازن.

أقول: وهنا يجدر بالذكر قول الرسول ﷺ الذي رواه الشيخان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: **«يُحْشَرُ الناسُ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً»**. قالتْ عائشةُ: فقلْتُ: الرجال والنِّسَاءُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ؟ قالَ: **«الأمرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ ـ وفي رواية ـ: مِنْ أَنْ يَنظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»**. ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: قلوبهم خاوية خربة متخوفة ليس فيها خير، ولا عقل، ولا فهم لفرط الحيرة والدهشة، ومنه يقال للأحمق وللجبان: قلبه هواء؛ أي: لا رأي فيه، ولا قوة، ومنه قول حسان ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أي: من كل شيء إلا من همٍّ موسى، هذا، والهوى يقصر ويمد، والمراد بالأول: الحب، والعشق، والغرام، وهو أيضاً محبة الإنسان للشيء، وغلبته على قلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: نهاها عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله تعالى، ويراد بالممدود: ما بين السماء والأرض، وقد جاء الهواء بمعنى: العشق ممدوداً في الشعر، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وَهَانَ علَى أَسْمَاءَ أَنْ شَطَّتِ النَّوَى نَحِنُّ إِلَيْهَا وَالْهَوَاء يَتُوقُ

وإليك هذين البيتين، فإنهما من النكت الحسان: [الكامل]

جُمِعَ الْهَوَاءُ مَعَ الْهَوَى في مُهْجَتِي فَتَكَامَلَتْ فِي أَضْلُعِي نَارَانِ

فَقَصَرْتُ بِالْمَمْدُودِ عَنْ نَيْلِ الْمُنَى وَمَدَدْتُ بِالْمَقْصُورِ في أَكْفَانِي

وقال أبو عبيدة: لم نجد الهوى يوضع إلا موضع الشر؛ لأنه لا يقال: فلان يهوى الخير، بل يقال: فلان يحب الخير، وجمعه أهواء، وجمع الممدود: أهوية.

هذا وقد رأيت تفسير ﴿طَرْفُهُمْ﴾ بالأبصار؛ أي: العيون، وقد يراد بالطَّرْف الجفن خاصة، كما في قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

أَشَـارَتْ بِـطَـرْفِ الْـعَـيْـنِ خِـيـفَـةَ أَهْـلِـهـا ... إِشَــارَةَ مَــحْــزُونٍ وَلَــمْ تَــتَــكَــلَّــمِ

فَـأَيْـقَـنْـتُ أَنَّ الـطـرْفَ قَـدْ قَـالَ: مَـرْحَـبَـاً ... وَأَهْـلاً وسَـهْـلاً بـالـحَـبـيـبِ الـمُـتَـيَّـمِ

ويقال: ما طبق طرفه ـ أي: جفنه ـ على الآخر. هذا؛ والطَّرْف بالمعنى السابق لا يثنى، ولا يجمع، كما ستجده إن شاء الله في سورة (الصافات)، وص، والشورى، وسورة (الرحمن)، وهو هنا بفتح الطاء، وسكون الراء، وهو بفتحهما: حرف الشيء، ومنتهاه، وجمعه: أطراف، كما رأيت في الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) عليه السلام، وهو بكسر الطاء، وسكون الراء: الكريم من الخيل، وقد يراد به أيضاً: الكريم الطرفين؛ أي: الأب والأم، ويجمع على أطراف أيضاً. هذا؛ وانظر الآية رقم [٤٩] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: حال من المضاف إليه المحذوف؛ إذ التقدير: تشخص فيه أبصارهم. وقيل: التقدير: أصحاب الأبصار والأول: أولى. ﴿مُقْنِعِي﴾: حال ثانية منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وهو مضاف، و﴿رُءُوسِهِمْ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْتَدُّ﴾: مضارع. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿طَرْفُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿مُقْنِعِي﴾ فهي حال متداخلة، وجوز اعتبارها بدلاً منه، كما جوز اعتبارها مستأنفة، والجملة الاسمية: (أفئدتهم هواء) مستأنفة، وأجيز اعتبارها حالاً من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والعامل ﴿يَرْتَدُّ﴾ والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وأفرد هواء مع أنه خبر عن جمع؛ لأنه بمعنى: فارغة كما رأيت، فأفرد كما يجوز إفراد فارغة؛ لأن تاء التأنيث تدل على تأنيث الجمع الذي في أفئدتهم، ومثله؛ أحوال صعبة، وأحوال فاسدة، ونحو ذلك.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: خوف يا محمد أهل مكة يوم القيامة، وما فيه من أهوال وشدائد، ومتاعب ومصاعب، أو يوم الموت، فإنه أول أيام عذابهم، وأول منازل

الآخرة. ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: أنفسهم بالشرك، أو بالمعاصي والسيئات، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣] ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ أي: يقولون عند مشاهدة العذاب أخر عنا العذاب، وردنا إلى الدنيا، وأمهلنا إلى حدٍّ من الزمان قريب، أو أخر آجالنا إلى زمن قريب بمقدار ما نؤمن بك، ونجيب دعوتك، ونتبع رسلك، فهو كقوله تعالى في سورة (المنافقون): ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. وقوله تعالى في سورة (فاطر): ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٩] من سورة (المؤمنون)؛ لترى ما يسرك ويثلج صدرك.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم...﴾ إلخ: أي: حلفتم أنكم باقون مخلدون في الدنيا لا تخرجون منها بالموت. قال البيضاوي: ولعلهم أقسموا بطراً وغروراً، ودل عليه حالهم، حيث بنوا شديداً، وأملوا بعيداً. وقيل: أقسموا: أنهم لا ينتقلون إلى دار أخرى، وأنهم إذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة إلى حالة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ الآية [٣٨] من سورة (النحل)، انظر شرحها هناك.

الإعراب: ﴿وَأَنذِرِ﴾: الواو: حرف عطف. (أنذر): أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به أول. ﴿يَوْمَ﴾: مفعول به ثان. ﴿يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾: مضارع مرفوع، ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة يوم إليها، وجملة: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: (أنذر...) إلخ معطوفة على جملة: (لا تحسبنَّ...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا) في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَخِّرْنَآ﴾: فعل دعاء، والفاعل تقديره «أنت»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَرِيبٍ﴾: صفة أجل. ﴿نُّجِبْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، والفاعل مستتر تقديره «نحن»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها لم تقترن بالفاء، ﴿دَعْوَتَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: (نَتَّبِع الرُّسُل) معطوفة على ما قبلها. ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ. الواو: حرف عطف. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَكُونُوٓاْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق، ﴿أَقْسَمْتُم﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿تَكُونُوٓاْ﴾. ﴿مِّن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿زَوَالٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على

آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وأجيز اعتبار ﴿مَا﴾ حجازية، والجملة الاسمية جواب القسم لا محل لها، وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله: أقسمتم، ولو جاء بلفظ المقسمين، لقيل: ما لنا من زوال، والكلام كله ﴿أَوَلَمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف؛ أي: فيقال لهم من قبل الله، أو من قبل الملائكة، والقول ومقوله كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر والمعاصي كعاد، وثمود، فهلا اعتبرتهم فيما حل بهم من المقت والوبال. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ أي: وقد عرفتم، كيف كانت عقوبتهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر، واستحقاق العذاب، والأمثال التي ضربها الله في القرآن للناس ليتدبروها، ويعتبروا بها، فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الأمم الخالية، وعلم ما جرى لهم أن يعتبر بهم، ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك، فاعتبروا يا أولي الألباب، يا أولي الأبصار.

هذا و(سكن) فالأصل فيه أن يعدىٰ بـ: «في» كقرَّ، وغني، وأقام، وقد يستعمل بمعنى: التبوُّء، فيجري مجراه، كقولك: سكنت الدار، ومثله: دخل ونزل، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤] وانظر شرح: ﴿مَثَلًا﴾ في الآية رقم [٢٤] وانظر شرح: ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام، وتبيّن الشيء وبان وأبان، واستبان كله بمعنى: واحد، وهو لازم، وقد يستعمل بعضها متعدياً، كما في قولك: استبنت الأمر، وتبينته، وأبنته بمعنى: عرفت حقيقته. تأمل، وتدبر.

الإعراب: (سكنتم): فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَقْسَمْتُم...﴾ إلخ فهي في محل نصب مثلها. ﴿فِي مَسَٰكِنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مَسَٰكِنِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. (تبين): ماض، وفاعله محذوف، التقدير: تبين حالهم، وخبرهم، وهلاكهم. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم للفعل بعده. وقيل: في محل نصب مفعول مطلق عامله ما بعده. وقيل: في محل نصب حال، والأول: أقوى.

﴿فَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مفسرة للفاعل المحذوف. هذا؛ وأجاز بعض الكوفيين اعتبار الجملة الفعلية فاعلاً للفعل (تبيّن)، وانظر ما

ذكرته في الآية رقم [٣٥] من سورة (يوسف) عليه السلام، وجملة: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَقْسَمْتُم...﴾ إلخ، وأيضاً جملة: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ معطوفة عليها.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾: لقد اختلف في الضمير إلى مَنْ يعود، فقيل: يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم. وقيل: إن المراد بالضمير كفار قريش الذين مكروا برسول الله ﷺ في ليلة الهجرة. انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنفال). ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: إن مكرهم مسجل عند الله، ومعلوم لديه، فهو يجازيهم عليه يوم القيامة، بالإضافة لما جازاهم به في الدنيا. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ...﴾ إلخ: أي: ما كان مكرهم مكراً يكون له أثر وخطر عند الله تعالى، فالجبال مثل لأمر النبي ﷺ. وقيل: إن المعنى: وما كان مكرهم في تقديرهم لتزول منه الجبال عن أمكنتها، وتؤثر في إبطال الإسلام. وهذا على اعتبار (إن) نافية، واللام لام الجحود. وقرئ (لتزول منه الجبال) بفتح اللام الأولى، وضم الثانية؛ أي: على الإثبات، فيكون المعنى: كان مكرهم مكراً عظيماً تزول منه الجبال عن مكانها، ولكن الله حفظ محمداً ﷺ ودينه من مكرهم، والجبال لا تزول، ولكن العبارة عن تعظيم الشيء هكذا تكون، ولقد ذكر الخازن، والقرطبي قصة هي أقرب إلى الخيال من الحقيقة. هذا وقرئ: (وإن كاد مكرهم)، والمكر: تدبير الأمر في خفية، وهو أيضاً احتيال، وخداع.

هذا وفي الآية استعارة تمثيلية: فقد شبه الله مكرهم في شدته، وتفاقمه ـ لا سيما حينما انتهى أمرهم في ليلة الهجرة إلى المؤامرة الدنيئة المعروفة ـ بمحاولة إزالة الجبال من أماكنها، وشبه شريعته الغراء، وما أنزله على نبيه ﷺ من تعاليم سامية، وحجج بينة بالجبال في رسوخها، وتمكنها من نفوس المؤمنين بها المتعلقين بأهدابها، وهي من أرقى الاستعارات، وتزداد روعتها بأن صدور المكر المعد لإزالة الجبال صادر عن قوم لا حول لهم، ولا قوة، حيث شبه قلوبهم في خفتها، وعدم تعقلها بالهواء. هذا؛ وقد ذكر الثعلبي في قصص الأنبياء: أن الآية تقص علينا خبراً من أخبار النمرود وصَرْحه الذي بناه، وهو شيء تفرد به، ولم يذكره غيره.

الإعراب: ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال، أو حرف استئناف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَكَرُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَكْرَهُمْ﴾: مفعول مطلق، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة في: ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ والرابط: الواو، والضمير، أو هي في محل نصب حال من الساكنين، المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ...﴾

إلخ ويكون في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة، انظر الآية رقم [٤١] من سورة (الرعد). هذا؛ والجملة الفعلية مستأنفة على أن المراد بالضمير كفار قريش: ﴿وَعِندَ﴾: الواو: واو الحال. (عند): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(عند) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَكْرُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة على الاعتبار الأول: في الجملة الأولى، دون الاعتبار الثاني. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف: (إن): نافية بمعنى: «ما». ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿مَكْرُهُمْ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة... إلخ، والميم علامة جمع الذكور، ﴿لِتَزُولَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام الجحود. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْجِبَالُ﴾: فاعل، و«أن» المضمرة والفعل (تزول) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ التقدير: وإن كان مكرهم مسدداً لإزالة الجبال. هذا؛ وعلى القراءة الثانية فـ(إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة، واللام المفتوحة هي الفارقة بين النفي والإثبات، و(تزول) مرفوع، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَإِن كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ أي: فلا تظنن يا محمد: أنَّ الله مخلف ما وعد به رسله من النصر، وإعلاء الكلمة، وإظهار الدين، فإنه ناصر رسله، وأولياءه، ومهلك أعداءه، فهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا...﴾ إلخ وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ وأصله: «مخلف رسله، وعده» فقدم المفعول الثاني إيذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً. لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وإذا لم يخلف وعده أحداً، فكيف يخلف رسله؟! وإضافة: ﴿مُخْلِفَ﴾ إلى «الوعد» اتساع، وقد ساغ ذلك؛ لأن كل واحد منهما مفعول، وهو قريب من قولهم: يَا سَارقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ. والأصل: يا سَارِقَ أَهْلِ الدارِ اللَيْلَة.

﴿عَزِيزٌ﴾: قوي، لا يغلبه شيء، لا يماكر، قادر، لا يدافَع. ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: صاحب انتقام، والانتقام: المبالغة في العقوبة، والأخذ الشديد بالثأر.

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي عطف تفريعي على: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾. (لا): ناهية. ﴿تَحْسَبَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿مُخْلِفَ﴾: مفعول به ثان، وانظر الشرح، و﴿مُخْلِفَ﴾ مضاف، و﴿وَعْدِهِۦ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله الثاني: الذي قدم على الأول، وهو ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة

الفعلية: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر أول. ﴿ذُو﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾ مضاف، و﴿ٱنتِقَامٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل لها.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: اختلف في هذا التبديل على قولين: أحدهما: أنه تبدل صفة الأرض، والسماء، لا ذاتهما، فأما تبديل الأرض؛ فبتغيير صفتها، وهيئتها مع بقاء ذاتها، وهو أن تدكدك جبالها، وتسوى وهادها، وأوديتها، وتذهب أشجارها، وجميع ما عليها من عمارة وغيرها، لا يبقى على وجهها شيء إلا ذهب، وتمد مدَّ الأديم. وأما تبديل السماء؛ فهو أن تنتثر كواكبها، وتطمس شمسها وقمرها، وكونها تارة كالدهان، وتارة كالمهل. ويدل له ما روي عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْراء كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ بِهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ**». رواه الشيخان.

والقول الثاني: هو تبديل ذوات الأرض والسماء. ثم اختلف في هذا التبديل، فقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية، لم يسفك بها دم، ولم يعمل عليها خطيئة. وقال علي كرم الله وجهه: تبدل الأرض أرضاً من فضة، والسماء من ذهب. وقال أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: تصير الأرض نيراناً، والسماء جناناً. وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القرظي: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه. ويدل لهذا ما روي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خبزةً وَاحِدَةً، يتكفؤها الْجَبَّارُ بيدِهِ، كَمَا يتكفَّأُ أحدُكُم خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ، نُزُلاً لأَهْلِ الْجَنَةِ**». أخرجاه في الصحيحين. انتهى. خازن بتصرف كبير.

وخذ هذا الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذٍ؟ قال: «**على الصراط**». أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه.

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٢١] ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: انظر الآية رقم [١٦] من سورة (الرعد)، والمحال عليها في سورة (يوسف) عليه السلام، وانظر شرح السموات والأرض في الآية رقم [٣] من سورة (يونس) عليه السلام، وانظر شرح: ﴿غَيْرَ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد)، وانظر التعبير بالماضي في الآية [٢١].

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ﴾، أو هو متعلق بالمصدر انتقام، أو هو معمول لمقدر باذكر ﴿تُبَدَّلُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: نائب فاعل، وهو المفعول الأول.

﴿غَيْرَ﴾: مفعول به ثان، و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مضاف إليه. (السموات): معطوف على الأرض، وجملة: ﴿تُبَدَّلُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. (برزوا): ماض والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على سابقتها، فهي في محل جر مثلها وأجاز أبو البقاء الاستئناف، والحالية على تقدير «قد» قبلها، وكلاهما ضعيف. ﴿ٱلْوَٰحِدِ﴾: صفة لفظ الجلالة، ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾: صفة ثانية، أو هما بدلان من لفظ الجلالة على اعتبارهما من الأسماء الحسنى، وهو المعتمد. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَرَى﴾: انظر إعلال ﴿نَرَىٰ﴾ في الآية رقم [٢٧] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٦٦] من سورة (هود). ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والأعمال، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أو قرنوا مع الشياطين، لقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أي: قرناءهم من الشياطين، أو قرنوا مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة، والملكات الباطلة، لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ...﴾ إلخ، أو المعنى: قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال، ومعنى ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مشدودين في الأصفاد، وهي الأغلال والقيود، واحدها: صَفْد، وصَفَد، ويقال: صَفَدْتُهُ صَفْداً؛ أي: قيدته، والاسم الصَّفَد، فإذا أردت التكثير قلت: صفَّدْتُهُ تَصْفِيداً، وَأَصْفَدْتُهُ إصْفَاداً: أَعْطَيْتُهُ. وقيل: صَفَدْتُهُ، وأصفدْتُهُ جاريان في القيد والإعطاء جميعاً، فالصَّفَدُ: العطاءُ؛ لأنه يقيِّدُ ويُعْبِدُ، قال أبو الطيب: [الطويل]

وقَيَّدْتُ نَفْسي في ذُرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإحسانَ قَيْداً تَقَيَّدَا

الإعراب: ﴿وَتَرَى﴾: الواو: حرف عطف. (ترى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وإذ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، والتنوين عوض عن جملة محذوفة، تضاف إذْ إليها في الأصل، فإن الأصل يوم إذ ينزل بهم العذاب الأليم، والعقاب الشديد، فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت (إذٍ) لالتقاء الساكنين كما كسرت في (صَهٍ) و(مَهٍ) عند تنوينهما. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: حال من المجرمين منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾. وقيل: بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه. وقيل: بمحذوف صفة له، وكلاهما ضعيفان، وجملة: (ترى...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ...﴾ إلخ، فهي في محل جر مثلها.

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قمصانهم، جمع سربال، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ انظر الآية رقم [٨١] من سورة (النحل)، والفعل: تسربلت، وسربلت غيري، قال كعب بن زهير: [البسيط]

شُمُّ الْعَرَانِينِ أبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ دَاودَ في الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: هو سائل دهني يتخذ من بعض الأشجار كالصنوبر والأرز، فيطبخ، وتدهن به الإبل الجربى، فيحرق الجرب لشدته وحدته، وهو أسود منتن، تشتعل النار فيه بسرعة، يطلى به جلود أهل النار، حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص؛ ليجتمع عليهم لذع القطران، ووحشة لونه، ونتن ريحه، مع إسراع النار في جلودهم، على أن التفاوت بين قطران الدنيا، وقطران الآخرة كالتفاوت بين ناريهما.

فعن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقَامُ يومَ الْقِيامةِ، وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرانٍ، ودِرْعٍ مِنْ جَرَبٍ»**. رواه مسلم وغيره. هذا؛ وفي ﴿قَطِرَانٍ﴾ قراءات: فتح القاف، وكسر الطاء، وهذه القراءة سبعية، وثانية: بفتح القاف، وسكون الطاء، وثالثة: بكسر القاف، وسكون الطاء، ورابعة: (قِطْرٍ آنٍ) على كلمتين منونتين، فالقطر: النحاس المذاب، ومنه قوله تعالى حكايةً عن قول الاسكندر: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ و«آن»: شديد الحرارة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تعلوها وتجللها وتغطيها، وخصت الوجوه بالذكر مع أن النار تحيط بهم من جميع الجهات؛ لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق، ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله، كما تطلع النار على أفئدتهم؛ لأنها فارغة من المعرفة، مملوءة بالجهالات، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾، أو من المجرمين، وجوز استئنافها. (تغشى): مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿وُجُوهَهُمُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنَّارُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها.

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ أي: يفعل الله بالمجرمين ذلك العذاب المذكور ليجزي كل

نفس مجرمة الذي كسبته في دنياها، أو كل نفس من مجرمة، أو مطيعة؛ لأنه إذا بيَّن أن المجرمين يعاقبون لإجرامهم، علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: انظر الآية رقم [٤١] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿لِيَجْزِيَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، و«أن» المضمرة والفعل في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف على الاعتبار الأول: في التفسير، أو متعلقان بالفعل (برزوا) على الاعتبار الثاني: في التفسير ويكون ما بينهما اعتراضاً. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به أول، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً كسبته. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به ثان، التقدير: كسبها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَرِيعُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ الأصل: سريع حسابه. والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي تعليل لما قبلها، ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: هذا القرآن فيه تبليغ للناس وموعظة. وقد ذكر سبحانه لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب: أولها: الإنذار؛ أي: التخويف بالقرآن، ومواعظه، وزواجره، وثانيها: الاستدلال بآيات القرآن على وحدانية الله تعالى، وثالثها: الاتعاظ بما في هذا القرآن من المواعظ، والنصائح، وما يتعظ إلا أصحاب العقول السليمة، والأفهام الصحيحة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. بعد هذا فـ: ﴿بَلَٰغٌ﴾ اسم مصدر، لا مصدر، انظر (سلام) و«عذاب» في الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَلَٰغٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَلَٰغٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلِيُنذَرُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (لينذروا): مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، وقرئ بالبناء للمعلوم، فتكون الواو فاعله، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على

محذوف، التقدير: لينصحوا، والجار والمجرور الحاصلان من هذا متعلقان بمحذوف، التقدير: أنزل هذا القرآن للنصح والإنذار وللاستدلال... إلخ. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (ليعلموا): إعرابه مثل إعراب سابقه، وبعد التأويل والعطف، انظره آنفاً.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره. ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في تأويل مصدر سدت مسد مفعول (يعلموا). ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾: مثل سابقه تأويلاً وعطفاً. ﴿أُوْلُواْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و﴿أُوْلُواْ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: مضاف إليه. تأمل، وتدبر. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (إبراهيم) ـ عليه الصلاة والسلام ـ تفسيراً، وإعراباً.

بعون الله وتوفيقه.

سورة الحجر

وهي مكية بالإجماع، وآياتها تسع وتسعون، وكلماتها ستمئة وأربع وخمسون، وحروفها ألفان وسبعمئة وستون. انتهى. خازن.

تنبيه: انظر شرح الاستعاذة والبسملة وإعرابهما في أول سورة (يوسف) على نبينا، وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ألف صلاة، وأزكى سلام، وانظر شرح: ﴿الٓرۚ﴾ وإعرابها في أول سورة (يونس) عليه السلام.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ①﴾ الجزء ١٤

الشرح: ﴿تِلۡكَ﴾: إشارة إلى ما تضمنته السورة الكريمة من الآيات، والمراد بالكتاب والقرآن المبين: الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وتنكير القرآن للتفخيم، والتعظيم؛ أي: الجامع للكمال، والغرابة في البيان، وإنما ذكر القرآن بوصفين، وإن كان الموصوف واحداً لما فيه من زيادة التفخيم والتعظيم، و﴿مُّبِينٖ﴾: مبين للحلال والحرام، والنافع والضار... إلخ. هذا؛ وإنما أدخل اللام على اسم الإشارة، وهي للبعد، والسورة الكريمة، بل القرآن الكريم كله في متناول اليد، وذلك للإيذان بعلو شأنه، وكونه في الغاية القصوى من الفضل والشرف، وعلو المكانة، فكأنه بسبب ذلك بعيد كل البعد، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] من سورة (النمل) ففيها فضل بيان.

هذا و«كتاب» في اللغة الضم والجمع، وسميت الجماعة من الجيش كتيبة لاجتماعهم، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه ويرتبه، وفي الاصطلاح: اسم لجملة مختصة من العلم، مشتملة على أبواب وفصول ومسائل غالباً، و﴿ءَايَٰتُ﴾ جمع آية، وهي تطلق على معان كثيرة الدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وتطلق على المعجزة، مثل انشقاق القمر ونحوه، وتطلق على الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ كما تطلق على جملتين، أو أكثر من كلام الله تعالى، وانظر شرح «القرآن» في الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) عليه السلام.

و﴿مُّبِينٍ﴾: اسم فاعل من «أبان» الرباعي، أصله: مُبْيِن، بسكون الباء وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ولا تنس: أن اسم الفاعل من بان الثلاثي بائن، أصله باين، وإعلاله مثل إعلال (قائم) في الآية رقم [١٢] من سورة (يونس) عليه السلام.

الإعراب: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَقُرْءَانٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿تِلْكَ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها، أو هي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اقرأ، أو اتل، ونحو ذلك.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾

الشرح: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾: قرئ بتشديد الدال وتخفيفها، و(ربَّ) للتقليل، ورجح ابن هشام أنها هنا للتكثير؛ لأن الآية مسوقة للتخويف، وقد زيدت (ما) معها لتهيئها للدخول على الجملة الفعلية، ويغلب أن يكون الفعل بعدها ماضياً لفظاً ومعنىً، لكن لما كان المرتقب في إخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجري مجراه في هذه الآية.

وقال ابن هشام في مغنيه: وفي «رب» ست عشرة لغة، ضم الراء وفتحها، وكلاهما مع التشديد والتخفيف، والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة، أو محركة، ومع التجرد منها، فهذه اثنتا عشرة، والضم والفتح مع إسكان الباء، وضم الحرفين مع التشديد، ومع التخفيف. انتهى.

أقول: لم تذكر «رب» في غير هذه الآية من القرآن الكريم، ويكثر ذكرها في الشعر العربي، والكلام العربي، وهي حرف جر شبيه بالزائد لا يتعلق بشيء، فمحل مجرورها في نحو «رُبَّ رجلٍ صالحٍ عندي» رفع على الابتدائية، وفي نحو «رب رجلٍ صالحٍ لقيتُ» على المفعولية، وفي نحو «رُبَّ رجلٍ صالحٍ لقيتُهُ» رفع، أو نصب، كما في قولك: «هذا لقيتهُ» وكثيراً ما تحذف في الشعر، وتحل الواو محلها، وتسمى حينئذ واو رب، ولا يجمع بينها وبين الواو، ويجب تصديرها في أول الكلام، وتنكير مجرورها، ونعته إن كان ظاهراً، وإفراده، وتذكيره، وتمييزه بما يطابق المعنى؛ إن كان ضميراً، وانظر بحثها وشواهدها في كتابنا: «فتح القريب المجيب» إعراب شواهد مغني اللبيب.

﴿يَوَدُّ﴾: يتمنى، ويحب، والماضي: ود، والود: الحب، وهو بتثليث الواو، والودود: الكثير الحب. ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾: لقد اختلف في تمني إسلامهم متى يكون، فقيل: حين معاينة نصر المسلمين عليهم. وقيل: عند نزول الموت بهم. وقيل: عند القيامة. وقيل: عند إخراج المسلمين المجرمين من نار الجحيم، وهو المشهور، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ

عن النبي ﷺ قال: «**إذَا اجتمعَ أهلُ النارِ في النارِ، ومعهمْ مَنْ شاء اللهُ مِنْ أهل الْقبلةِ، قال الكفارُ لمَنْ في النارِ من أهل القبلة: أَلَسْتُمْ مسلمين؟ قالوا: فَمَا أغنَى عنكُمْ إسلامُكُمْ وأَنتم معنا في النارِ؟ قالوا: كانتْ لنا ذنوبٌ فأُخِذْنَا بها، فيغفرها الله لهم بفضل رحمته، فيأمُرُ الله بكلِّ مَنْ كانَ من أهلِ القبلةِ في النارِ، فيُخْرَجُونَ مِنْهَا، فحينئذٍ يَوَدُّ الذين كفرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ**». ذكره البغوي بغير سند. انتهى. خازن. وفي القرطبي قريب من معناه، وهو من رواية جابر بن عبد الله، ـ رضي الله عنهما ـ.

الإعراب: ﴿رُّبَمَا﴾: كافة ومكفوفة، وقال الأخفش: (رب) حرف جر شبيه بالزائد لا يتعلق بشيء، و(ما): نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر لفظاً بـ: (رُب)، وهي في محل رفع مبتدأ. ﴿يَوَدُّ﴾: مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والجملة مستأنفة على اعتبار (رب) مكفوفة، وفي محل جرٍّ صفة (ما)، على اعتبارها موصوفة، والرابط محذوف، التقدير: يوده الذين كفروا، وعليه فخبر المبتدأ (ما) محذوف تقديره موجود، وعليه فالجملة اسمية، وهي مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَوْ﴾: حرف مصدري. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، و﴿لَوْ﴾ المصدرية وما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به؛ أي: يود الذين كفروا كونهم مسلمين على اعتبار (ما) كافة لرب، وعلى اعتبارها نكرة موصوفة فالمصدر المؤول بدل منها. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿لَوْ﴾ امتناعية، فيكون جوابها محذوفاً، تقديره: لسروا بذلك، أو تخلصوا مما هم فيه، ومفعول يود محذوف على هذا التقدير؛ أي: ربما يود الذين كفروا النجاة، وعليه فـ: ﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، والأول: أقوى بلا ريب.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③﴾

الشرح: ﴿ذَرْهُمْ﴾: اتركهم. ﴿يَأْكُلُواْ﴾ أي: كما تأكل الأنعام. ﴿وَيَتَمَتَّعُواْ﴾: بدنياهم، وما فيها من نعيم، ولذات، وشهوات. ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾: يشغلهم عن الإيمان بالله، وعن طاعته وعبادته الأمل في هذه الدنيا. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا وردوا القيامة، وذاقوا، وبال ما صنعوا، ففيه تهديد، ووعيد لمن أخذ حظه من الدنيا ولذاتها، ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل، قال بعض أهل العلم: ﴿ذَرْهُمْ﴾ تهديد، و﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد فكيف يهنأ العيش بين تهديدين، وهذه الآية منسوخة بآية القتال، فإن المخاطب بذلك النبي ﷺ والمعنيُّ بالتهديدين كفار قريش.

﴿ذَرْهُمْ﴾: اتركهم، والمستعمل من هذه المادة المضارع والأمر بكثرة في القرآن الكريم، وفي الكلام العربي، ومثله: «دع» ومضارعه: يدع، فكلا المادتين ناقص التصرف، وهما بمعنى:

الترك، وقد سمع الماضي منهما سماعاً نادراً فقالوا: وَذَرَ، وودَعَ بوزن وَضَعَ، إلا أن ذلك شاذ في الاستعمال؛ لأن العرب كلهم إلا قليلاً منهم أميت هذا الماضي من لغاتهم، وليس المعنى: أنهم لم يتكلموا به البتة، بل تكلموا به دهراً طويلاً، ثم أماتوه بإهمالهم استعماله، فلما جمع العلماء ما وصل إليهم من لغات العرب؛ وجدوه مماتاً إلا ما سمع منه سماعاً نادراً.

قال قطة العدوي: قال بعض المتقدمين: زعم النحاة: أن العرب أماتت ماضي «ودَعَ» ومصدره، واسم مفعوله، واسم فاعله، مع أنه قد قرأ عروة بن الزبير، وابنه هشام قوله تعالى: ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بتخفيف الدال، بمعنى: ما تركك، وكذا قرأ مقاتل، وابن أبي عبلة، وقال الرسول ﷺ: **«شَرُّ الناسِ مَنْ وَدَعَهُ الناسُ اتقاءَ شَرِّهِ»**. وقال عليه الصلاة والسلام: **«دَعُوا الْحَبَشَةَ ما وَدَعُوكُمْ»**. ورواه الجمل: **«ذَرُوا الحَبَشَةَ مَا وَذَرْتُكُمْ»**. وقال أبو العتاهية الصوفي: [المنسرح]

أَثْرَوْا فَلَمْ يُدْخِلُوا قُبُورَهُمُ شَيئاً مِنَ الثَرْوَةِ الَّتي جَمَعُوا
وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ نَفْعاً مِنَ الَّذِي وَدَعُوا

وقال آخر: [الطويل]

وثَمَّ وَدَعْنَا آلَ عَمْروٍ وَعَامِرٍ فَرَائِسَ أطرَاءِ الْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ

وقال أنس بن رُؤَيْم: [الرمل]

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خليلي مَا الَّذِي غَالَهُ في الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهْ

فها هو الماضي قد ورد عن أفصح العرب قراءةً وحديثاً، وكذا في شعر العرب، وورد المصدر أيضاً في قول النبي ﷺ: **«لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، وفي رواية: (الْجَمَاعاتِ) أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ»**. أخرجه مسلم وغيره، وورد اسم المفعول، واسم الفاعل من «ودع» في قول خفاف بن ندبة: [الطويل]

إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمائِهِ جَرَى، وَهْوَ مَوْدُوعٌ وواعِدُ مَصْدِقِ

فكيف يقال: إن العرب أماتته؟! فالصواب القول بقلة الاستعمال، لا بالإماتة. انتهى. بتصرف كبير. هذا؛ وما قيل في «وَدَعَ» ومضارع «يَدَعُ»، وأَمْرُهُ «دَعْ» يقال في: وَذَرَ، ومضارعه: «يَذَر»، وَأَمْرُهُ: «ذَرْ»، كما يقال في «وَعَمَ» ومضارعه «يَعِمُ»، وأمره «عِمْ»، وانظر الشاهد رقم [٣٠٨] من كتابنا فتح القريب تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿الْأَمَلُ﴾: مِنْ أَمَّل يؤمِّل، تأميلاً: إذا رجى الأمر، وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله بخلاف الطمع، فإنه لا يكون إلا فيما يرجى حصوله، وقد يكون «الأمل» بمعنى: الطمع، وأما الرجاء؛ فهو بين الأمل والطمع، والآمال في الدنيا رحمة من الله تعالى، حتى عمر بها الدنيا،

وتم صلاحها، قال النبي ﷺ: **«الأَمَلُ رَحْمةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لأُمَّتِي، ولَوْلَا ذَلِكَ ما غرسَ غارسٌ شَجَرةً، ولَا أَرْضَعتْ أمٌّ وَلَداً» قال الشاعر:** [البسيط]

وَلِلنُّفُوس، وَإِنْ كَانَتْ على وَجَلٍ ... مِنَ المَنِيَّةِ آمَالٌ تُقَوِّيهَا
فَالْمَرْءُ يَبْسطُها والدهرُ يقبضها ... والنفسُ تَنْشُرُهَا والموتُ يَطْوِيهَا

وقال القرطبي: وطول الأمل داء عضال ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، واشتد علاجه، ولم يفارقه داء، ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء، ويئس من برئه الحكماء والعلماء، وحقيقة الأمل الحرص على الدنيا، والانكباب عليها، والحب لها، والإعراض عن الآخرة، وقال الحسن: ما أطال عبد الأمل، إلا أساء العمل، وصدق ـ رضي الله عنه ـ، فالأمل يكسل عن العمل، ويورث التراخي، والتواني، ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض، ويميل إلى الهوى، وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان، ولا يطلب صاحبه برهان. انتهى.

الإعراب: ﴿ذَرْهُمْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿يَأْكُلُوا﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿وَيَتَمَتَّعُوا﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه. ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾: معطوف على ما قبله مجزوم أيضاً، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الياء، والهاء مفعول به. ﴿الْأَمَلُ﴾: فاعله، والجمل كلها لا محل لها، فالأولى، مستأنفة، والثانية لوقوعها جواباً للطلب، وما بعدها بسبب العطف عليها. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقيل: الفاء الفصيحة، وعليه فالجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً منهم فسوف يعلمون، وفيه ركاكة لا تخفى، لذا فالمعتمد ما ذكرته أولاً في الفاء. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: من أهل قرية، والمراد: هلاك الاستئصال، كما فعل الله بقرى قوم لوط ونحوها. ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: أجل مضروب، ووقت معين، لا يتقدم العذاب، ولا يتأخر عنه. هذا؛ والقرية في الأصل: اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على المدينة الكبيرة وغيرها، كيف لا؟ وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى، وكثيراً ما أطلق عليها اسم القرية، كما تطلق على الضيعة الصغيرة، وهي مأخوذة من: قريت الماء في المكان: جمعته، وفي القاموس المحيط: القرية بكسر القاف وفتحها، والنسبة إليها: قروي وقريي.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرۡيَةٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وَلَهَا﴾: الواو: واو الحال. (لها): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿كِتَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مَّعۡلُومٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾ في محل نصب حال من ﴿قَرۡيَةٍ﴾، وهي نكرة، وكان الواجب أن تكون صفة لها، على القاعدة: «الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال». والمعارض في ذلك الواو، فإنها لا تعترض بين الصفة والموصوف، خلافاً للزمخشري، وأبي البقاء، وإنما توسطت الواو في رأي: الزمخشري؛ لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والذي أجازه الزمخشري هنا، وأجازه أبو البقاء في آية البقرة رقم [٢١٤] هو رأي: ابن خيران، وسائر النحويين يخالفونه، وانظر (الشعراء) الآية رقم [٢٠٨].

أقول: والشاهد على هذه المسألة في «مغني اللبيب» قول قيس بن ذريح، وهو الشاهد رقم [٧٨٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» إعراب شواهد «مغني اللبيب» انظره وما بعده تجد ما يسرك ويثلج صدرك. [الطويل]

مَضَى زَمَنٌ والنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْغَدَاةَ شَفِيعُ

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥﴾

الشرح: المعنى: إن الأجل المضروب لهم، وهو وقت الموت، أو نزول العذاب لا يتقدم، ولا يتأخر، ونظير هذه الآية في الأعراف رقم [٣٤] مع الفارق بينهما دخول الهاء في ﴿أَجَلَهَا﴾ هنا لإرادة الأمة، والواو في ﴿يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ لإرادة الرجال، وانظر أمة في الآية رقم [٨] من سورة (هود) عليه السلام. هذا؛ وقد روعي لفظ أمة بقوله: ﴿أَجَلَهَا﴾ فأفرد، وأنث، وروعي معناها بقوله: ﴿يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ فجمع وذكر.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿تَسۡبِقُ﴾: مضارع. ﴿مِنۡ﴾: حرف جر صلة. ﴿أُمَّةٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿أَجَلَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿مَّا تَسۡبِقُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾: مضارع مرفوع. . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ٦﴾

الشرح أي: قال كفار قريش للرسول ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ أي: القرآن، وذلك على سبيل التهكم، والاستهزاء بدليل قولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾ ونظيره قول فرعون: ﴿إِنَّ

رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ﴾. وإنما نسبوه إلى الجنون؛ لأنه ﷺ كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي، فظنوا أن ذلك جنون. وقيل: إن الرجل إذا سمع كلاماً مستغرباً من غيره، فربما نسبه إلى الجنون الذي هو زوال العقل، أو فساده. هذا؛ وقرئ (نُزِّل) بالبناء للمجهول مع التشديد، وبالمعلوم مع التخفيف.

الإعراب: ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدل من لفظ (أيها) وانظر إعراب ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ في الآية رقم [٨٨] من سورة (يوسف) عليه السلام؛ إن أردت الزيادة. ﴿نُزِّلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلذِّكۡرُ﴾: نائب فاعل ﴿نُزِّلَ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد الضمير المجرور بـ: (على) ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَمَجۡنُونٌ﴾: خبر (إن)، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ أي: هلا تنزل علينا الملائكة ليصدقوك فيما تقول، ويعضدوك في دعوتك، فهو كقولهم في سورة (الفرقان) رقم [٧]: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾، أو تنزل علينا الملائكة للانتقام، والعقاب على تكذيبنا لك، كما أنزلت على الأمم الذين كذبوا رسلهم. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: في قولك: إنك نبي مرسل، وإن هذا القرآن من عند الله تعالى فائتنا بالملائكة، وانظر شرح (الملائكة) في الآية رقم [٢٥] من سورة (الرعد).

تنبيه: ﴿لَّوۡ مَا﴾: هنا حرف تحضيض، لا يليها إلا الفعل ظاهراً، أو مضمراً، والامتناعية لا يليها إلا الأسماء لفظاً، أو تقديراً عند البصريين، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

لـولَا ولـوْ مَـا يَـلْـزَمَـانِ الابْـتِـدَا إذَا امـتِـنَـاعـاً بِـوجُـودٍ عَـقَـدَا

واختلف في: ﴿لَّوۡ مَا﴾ هل هي بسيطة أم مركبة، فقال الزمخشري: «لو» ركبت مع «لا» تارةً، وتارةً مع «ما» لمعنيين، وزعم المالقي: أن «لوما» لا تأتي إلا للتحضيض، ويرده قول الشاعر: [الكامل]

لَـوْ مَـا الإِصَـاخَـةُ لِـلْـوُشَـاةِ لَـكَـانَ لِـي مِـنْ بَـعْـدِ سُـخْـطِـكَ فـي رِضَـاكَ رَجَـاءُ

وقال ابن مقبل: [البسيط]

لَوْمَا الْحَيَاء وَلَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ببعضِ ما فِيكُمَا إذْ عِبْتُمَا عَوَرِي

الإعراب: ﴿لَّوْ مَا﴾: حرف تحضيض. ﴿تَأْتِينَا﴾: مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت» و(نا): مفعول به. ﴿بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب «لوما» محذوف لدلالة ما قبله عليه، انظر تقديره في الشرح، والكلام في الآية كله من مقول الكافرين.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ما ننزل الملائكة إلا بالحكمة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونها، وتشهد لكم بصدق النبي ﷺ؛ لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار، ولا حكمة أيضاً في معاجلتكم بالعقوبة، فإن منكم، ومن ذراريكم مَنْ سبقت له كلمتنا بالإيمان. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ أي: لو أنزلت عليهم الملائكة بالعذاب؛ لم يمهلوا، ولم يؤخروا ساعة. هذا؛ وقرئ الفعل: (نُنَزِّلُ) بنون المضارعة الدالة على العظمة ونصب الملائكة، وقرئ: (تُنَزَّلُ) بضم التاء، وفتح النون والزاي المشددة مبنياً للمفعول، ورفع (الملائكةُ)، وقرئ: (ما تَنَزَّلُ) بفتح التاء والنون والزاي المشددة، ورفع الملائكة، كما قرئ: (تَنْزِلُ) بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاي، ورفع (الملائكةُ)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾: انظر اختلاف القراءات في الشرح. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق. وهو قول الزمخشري، وأجاز السمين تعليقهما بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال من الفاعل، أو المفعول؛ أي: ملتبسين بالحق. (ما): نافية: كانوا ماض ناقص مبني على الضم والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء لا عمل له، ومعناه: حينئذ. أفاده القرطبي، وهو يفيد: أنه ظرف زمان متعلق بما بعده، والتنوين نائب عن الجملة التي تضاف «إذْ» إليها، وعليه فتقدير الكلام كما يلي: وما كانوا منظرين حين تنزل الملائكة بعذابهم، وهو جيد المعنى. افهم هذا، واحفظه فإنه جيد. ﴿مُّنظَرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟...﴾ إلخ جواب لشرط مقدر بلو، انظر الشرح، ولو المقدرة ومدخولها كلام معطوف على الجملة الفعلية قبله لا محل له مثلها؛ لأنها مستأنفة.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: القرآن أنزلناه عليك يا محمد، وهو جواب لقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ فأخبر الله: أنه هو الذي أنزله على قلب محمد ﷺ. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: حافظون للذكر من الزيادة فيه، والنقص منه، والتغيير، والتبديل، والتحريف، فالقرآن العظيم محفوظ بحمد الله تعالى من هذه الأشياء كلها، لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه، أو ينقص منه حرفاً واحداً، وهذا مختص بالقرآن العظيم، بخلاف سائر الكتب المنزلة، فإنه قد دخل على بعضها التحريف، والتزييف، والزيادة والنقصان، ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً إلى الأبد، محروساً من الزيادة والنقصان. انتهى خازن. وإنما سماه الله ذكراً؛ لأن فيه مواعظ، وتنبيهاً للغافلين.

أقول: دخل سائر الكتب المنزلة التغيير، والتبديل، والتحريف بسبب إسناد حفظها للأحبار، والرهبان، كما قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (المائدة) ولو وكل الله تعالى حفظ هذا الكتاب لعلماء المسلمين، لغيروا فيه، وبدلوا، فقد وجد ويوجد في كل عصر، ومكان علماء فاسقون، ضالون يزيفون الحقائق، ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا، ولا يستبعد منهم أن يدعموا ضلالهم بآيات من القرآن الكريم كذباً، وزوراً، وبهتاناً، وفجوراً، ولكن احتجاجهم ببعض الآيات باطل، لا يخفى على من عنده معرفة ببعض أحكام هذا الدين، وفهم لكتاب الله العزيز. هذا؛ وقد قيل: إن الضمير في: ﴿لَهُۥ﴾ يعود إلى النبي ﷺ؛ أي: وإنا لِمُحَمَّدٍ لحافظون مِمَّن أراده بسوء، فهو كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ والقول الأول: أصح وأشهر، وهو قول الأكثرين؛ لأنه أشبه بظاهر التنزيل وردُّ الكناية إلى أقرب مذكور أولى، وهو الذكر.

تنبيه: روى القرطبي في تفسيره ما يلي: قال يحيى بن أكثم: كان للمأمون مجلس نظر (أي: مناظرة ومناقشة في جميع فنون العلم)، فدخل في جملة الناس رجل يهودي، حسن الثوب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال: فتكلم، فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلما تقوض المجلس، دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم، قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع (أي: من الإكرام) ووعده، فقال: ديني ودين آبائي، وانصرف، قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، قال: فتكلم على الفقه، فأحسن الكلام، فلما تَقَوَّض المجلسُ دعاه المأمون، وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى! قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها، ونقصت، وأدخلتها «الكنيسة»، فاشْتُرِيَتْ مني، وعمدت إلى الإنجيل، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت

فيها ونقصت، وأدخلتها «البِيْعَة» فاشْتُرِيتْ مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها دار الورَّاقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان، رموا بها، فلم يشتروها، فعلمت: أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي! قال يحيى بن أكثم: فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل. قال: قلت: في أي موضع؟ قال في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فحفظه الله عز وجل علينا، فلم يضع. انتهى. بحروفه. هذا والبيعة لليهود، والكنيسة للنصارى، فلك الحمد يا رب العالمين على حفظك كتابنا!

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، وقد حذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ، أو هو تأكيد لاسم (إنَّ) على المحل، ولا يجوز أن يكون فصلاً؛ لأن ما بعدها ليس معرفة، ولا ما قاربها، بل هو مما يقوم مقام النكرة: إذ هو جملة، والجمل تكون نعتاً للنكرات، فحكمها حكم النكرات وجوز الجرجاني اعتباره فصلاً. ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، أو الجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) على الاعتبارين الأخيرين في الضمير، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا نَحْنُ...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية لا محل لها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع... إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، واعتبارها حالاً من: (نا) الفاعل، أو من المفعول: ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ جيدٌ، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ قال الخازن: لما تجرأ كفار مكة على رسول الله ﷺ، وخاطبوه بالسفاهة، وهو قولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أخبره الله عز وجل: أن عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك؛ أي: فلك يا محمد أسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الأنبياء، ففيه تسلية للنبي ﷺ. هذا؛ و﴿شِيَعِ﴾ جمع: شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأشياع، وأصله من التشيع، ومعنى الشيعة: الجماعة الذين يتبع بعضهم بعضاً. وقيل: الشيعة هم الذين يتقوى بهم الإنسان، وفي «القاموس المحيط»: وشيعة الرجل بالكسر: أتباعه وأنصاره، والفرقة على حدة، وتقع على الواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل مَنْ يتولى علياً بن أبي طالب، وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصة،

والجمع أشياع، وشِيع كعِنب. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جمع: أول، انظر شرحه في الآية رقم [٢٤] من سورة (النحل)؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبر الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف، ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم... إلخ، أو: وأقسم والله، اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: موطئة، والموطئة معناها المؤْذِنة، وهذه اللام إنما تدخل على «إن» الشرطية لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر). افهم هذا واحفظه فإنه جيد. فإن قيل: ما ذكرته من إعراب ـ يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم. فالجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ...﴾ إلخ فإن التقدير: ورب الضحى، ورب السماء.. إلخ. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِى شِيَعِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة للمفعول المحذوف، التقدير: ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً كائنين مِنْ شيع، و﴿شِيَعِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والإضافة من إضافة الموصوف إلى صفته، وجملة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ جواب القسم الذي رأيت تقديره لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: في هذه الآية تسلية للنبي ﷺ، والمعنى: كما فعل بك كفار قريش من الاستهزاء، والوصف بالجنون، وغير ذلك فعل كفار الأمم السابقة برسلهم، وانظر شرح الرسول في الآية رقم [٣٨] من سورة (الرعد). ﴿يَأْتِيهِم﴾: ماضيه أتى، وهو يستعمل لازماً، إن كان بمعنى: حضر، وأقبل: ومتعدياً. إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، فمن الأول: قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ومن الثاني: الآية الكريمة، ومثلها كثير.

هذا و«الاستهزاء بالشيء»: السخرية منه، والاستخفاف به، وهو مذموم، وصاحبه مطرود من رحمة الله تعالى، وانظر ما تفيده سورة (الحجرات)، إن كنت من أهل القرآن، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي تشدِّد النكير على المستهزئين بالناس.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَأْتِيهِم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والهاء مفعول به. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿رَّسُولٍ﴾: فاعل

مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾، وهذه الجملة في محل نصب حال من الضمير المنصوب والرابط: الضمير فقط، أو هي في محل جر صفة ﴿رَّسُولٍ﴾ على اللفظ، أو على المحل، وجملة: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وأجيز اعتبارها حالاً من ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ...﴾ إلخ: السَّلك إدخال الشيء في الشيء كالخَيْط في الْمِخْيَط، والرمح في المطعون. هذا؛ وسلك، وأسلك بمعنى واحد، ومعنى الآية: كما أدخلنا الكفر والتكذيب، والاستهزاء في قلوب شيع الأولين، كذلك نسلكه، وندخله في قلوب المجرمين من أهل مكة، وفيه ردٌّ على القدرية والمعتزلة، وهي أبين آية في ثبوت القدر لِمَنْ أذعن للحق، ولم يعاند، وانظر الآية رقم [١٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام للتعبير عن الكافرين بالمجرمين ونحوه، وانظر المضل، والهادي في الآية رقم [٣٤] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: نسلكه في قلوب المجرمين سلكاً كائناً مثل سلكه في قلوب الأمم السابقة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والهاء مفعول به. ﴿فِى قُلُوبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿قُلُوبِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بمحمد ﷺ. وقيل: بالقرآن. ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: فيه وعيد، وتهديد لكفار مكة، يخوفهم الله أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية المكذبة للرسل من العقاب، والهلاك.

هذا؛ وقد قيل: إن الضمير في ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ وفي هذه الآية يعودان إلى ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ وهو شيء واحد، والمعنى: مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مُكَذَّباً غيْرَ مُؤْمَنٍ به. وهذا الاحتجاج ضعيف؛ إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه، ولا يتعين أن تكون

الجملة حالاً من الضمير؛ لجواز أن تكون حالاً من المجرمين، ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول، بل يقويه. انتهى بيضاوي.

هذا؛ والسنة: هي الطريقة، والشريعة، وهي تكون حسنة إن كانت في الخير، وتكون سيئة إن كانت في الشر، قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ خيراً فاسْتُنَّ بِهِ كانَ لهُ أجْرُهُ، ومِثْلُ أجورِ مَنْ تبعَهُ غَيْرَ منتَقصٍ مِنْ أجورِهِمْ شيئاً، ومَنْ سَنَّ شَرّاً فاسْتُنَّ بِهِ، كانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ، ومثلُ أوْزارِ مَنْ تبعهُ غير منتقصٍ مِنْ أوزارهم شيئاً**». وانظر الآية رقم [٢٥] من سورة (النَّحل). وجمع سنة: سُنَن، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ...﴾ إلخ أي: وقائع سنها الله في الأمم التي كذبت رسلها.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. وقيل: حال من الضمير المنصوب، انظر الشرح، والرابط على الاعتبارين: الضمير فقط. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: حرف استئناف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة، التي هي حرف لا محل له. ﴿سُنَّةُ﴾: فاعله، و﴿سُنَّةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، وجملة: ﴿وَقَدْ خَلَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها حالاً ضعيف.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: معنى الآية: لو فتحنا على هؤلاء المكذبين؛ الذين طلبوا نزول الملائكة عليهم باباً من السماء، فظلوا يصعدون إليها، ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون في ملكوت السموات، وما فيها؛ لما آمنوا لعنادهم، وكفرهم، ولقالوا: إنا سُحِرْنا. وقيل: المراد عروج الملائكة، فيكون المعنى: لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار، فرأوا باباً من السماء مفتوحاً، والملائكة تصعد فيه؛ لما آمنوا. هذا؛ و(ظلوا) أصله: ظللوا، فأسكنت اللام الأولى بعد إسقاط حركتها، وأدغمت في الثانية، وذلك كراهة أن يجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد في كلمة واحدة، وهذا يطرد في كل مُضعَّف، فإذا اتصل بضمير متحرك؛ وجب الفك، مثل قولك: ظللت، وظللنا.. إلخ، وتقول: ظَلِلْتُ أفعل ذلك وظَلَلْتُ أفعله، وظَلْتُ أفعله، وظِلْتُ أفعله: إذا كنت تفعله نهاراً، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ بقراءات ثلاث، وقد يراد به عدم التوقيت في النهار، ويستفاد منه الاستمرار كما في قوله تعالى: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف، (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿فَتَحْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان به. ﴿بَابًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَابًا﴾، وجملة: ﴿فَتَحْنَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها

جملة شرط غير ظرفي. (ظلوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَعْرُجُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (ظلوا) وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾

الشرح: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سدَّت أبصارنا مأخوذ من: سكر النهر إذا حبس، ومنع من الجري. وقيل: هو من: سكر الشراب، والمعنى: إن أبصارهم حارت، ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للسكران من تغيير العقل، وفساد النظر. وقيل: سكرت: غشيت، وسكنت عن النظر، وأصله من السكور، يقال: سكرت عينه: إذا تحيرت، وسكنت عن النظر. ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ أي: سحرنا محمد، وعمل فينا سحره. وقرئ: (سكرت) بالتخفيف، والتشديد، وقرئ: (سَكِرَتْ).

وحاصل معنى الآية: أن الكفار لما طلبوا من رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم الملائكة، فيروهم عياناً، ويشهدوا بصدقه؛ أخبر الله سبحانه وتعالى: أنه لو حصل لهم هذا، وشاهدوه عياناً؛ لما آمنوا، وقالوا: سحرنا لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿لَقَالُوٓاْ﴾ اللام: واقعة في جواب (لو). (قالوا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿سُكِّرَتۡ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿أَبۡصَٰرُنَا﴾: نائب فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة، ﴿بَلۡ﴾: حرف انتقال. ﴿نَحۡنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿قَوۡمٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مَّسۡحُورُونَ﴾: صفة قوم مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والكلام: ﴿إِنَّمَا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾: اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد، والتجربة مع بساطة السماء، وأسماؤها: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، والعرب تعُدُّ المعرفة لمواقع النجوم، وأبوابها من أجَلِّ العلوم، ويستدلون بها على الطرقات، والأوقات، والخصب والجدب، وقالوا: الفلك اثنا عشر برجاً، كل برج ميلان ونصف، وأصل البروج: الظهور، ومنه: تبرج المرأة بإظهار زينتها، وهذه البروج تنزلها الشمس في مسيرها، وهذه البروج

مقسومة على ثمانية وعشرين منزلاً، لكل برج منزلان وثلث منزل، وقد تقدم في الآية رقم [٥] من سورة (يونس) عليه السلام ذكر منازل القمر، وهذه البروج مقسومة على ثلاثمئة وستين درجة، لكل برج منها ثلاثون درجة، تقطعها الشمس في كل سنة مرة، وبها تتم دورة الفلك، ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوماً وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (الفرقان). ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ أي: المعتبرين المستدلين بها على قدرة خالقها وصانعها، وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقه وصوره، كما قال تعالى في سورة (المُلك): ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ...﴾ إلخ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: انظر إعراب مثل هذا في الآية رقم [١٠] ففيه الكفاية. ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾: فعل ماض وفاعله ومفعوله، والجملة معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. و﴿جَعَلْنَا﴾ إذا كان بمعنى: خلقنا فالجار والمجرور ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلقان به، وإذا كان بمعنى: صيرنا؛ فيكون ﴿بُرُوجًا﴾ مفعوله الأول، والجار والمجرور في محل نصب مفعوله الثاني.

﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾ أي: السماء. ﴿شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: انظر شرح الاستعاذة في أول سورة (يوسف) عليه السلام، ففيها الكفاية. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات، وكانوا يدخلونها، ويأتون بأخبارها إلى الكهنة، فيلقونها إليهم، فلما ولد عيسى عليه السلام؛ مُنِعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ مُنِعوا مِن السموات أجمع، فما منهم مِنْ أحد يريد أن يسترق السَّمع، إلا رُمِيَ بشهاب، فلما منعوا من تلك المقاعد؛ ذكروا ذلك لإبليس، فقال: لقد حدث في الأرض حدث، فبعثهم ينظرون، فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن، فقالوا: هذا والله حدث. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾: الواو: حرف عطف. (حفظناها): ماض مبني على السكون لاتصاله بـ:(نا)، التي هي ضمير متصل في محل رفع فاعل، و(ها): مفعول به، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذا، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض، كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، وقل مثله في إعراب كل ماض، اتصل به ضمير رفع متحرك، مثل: حَفِظْتُ، وَحَفِظْنَ. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بما قبلهما. و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْطَـٰنٍ﴾ مضاف إليه. ﴿رَّجِيمٍ﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ۝١٨﴾

الشرح: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾ أي: من الشياطين، واستراق السمع: اختلاسه سراً، شبه به خطفتهم اليسيرة من قُطّان السموات فيما بينهم من المناسبة في الجواهر، أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب، وحركاتها. انتهى بيضاوي. ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ﴾: فتبعه، ولحقه. ﴿شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾: ظاهر للمبصرين، والشهاب: شعلة نار ساطعة، سمي الكوكب شهاباً لأجل ما فيه من البريق.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾ يريد الخطفة اليسيرة، وذلك: أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء يسترقون السمع من الملائكة، فيرمون بالكواكب، فلا تخطئ أبداً، فمنهم مَنْ تقتله، ومنهم مَنْ تحرق وجهه، أو جنبه، أو يده، أو حيث يشاء الله، ومنهم مَنْ تخبله، فيصير غولاً، يضل الناس في البوادي.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إذا قضَى اللهُ الأمْرَ في السماءِ؛ ضَرَبَت الملائكةُ بأجنحتها خُضْعاناً لقوله، كأَنَّهُ سِلْسلةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عَنْ قلوبِهِمْ؛ قالوا: مَاذَا قالَ ربُّكُمْ؟ قَالُوا: لَلَّذِي قال الحقُّ، وهو العليُّ الكبيرُ، فيسمعها مُسْترق السمع، ومسْتَرق السمع هَكذَا بعضُهُ فوقَ بعْضٍ** ـ ووصف سفيان بكَفِّهِ، فحرَفَهَا، وبدَّدَ بيْنَ أصَابِعِهِ ـ **فيَسْمَعُ الكلمةَ، فيلقيها إلى مَنْ تحتَهُ، ثُمَّ يلقيها الآخرُ إلى مَنْ تحتَهُ؛ حَتَّى يلْقِيهَا على لسانِ السَّاحرِ، أو الكاهنِ، فربَّمَا أدرك الشهابُ قبل أَنْ يُلْقِيهَا، وربَّمَا ألقَاهَا قبْل أَنْ يدرِكَهُ، فيكذبُ معها مئةَ كِذْبةٍ، فيقالُ لهُ: أليْسَ قدْ قَالَ لنا يَوْمَ كذا، وكذا؟ فَيُصَدَّقُ بتلكَ الكلمةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ**». أخرجه البخاري.

تنبيه: لقد اختلف هل كانت الشياطين ترمى بالشهب قبل مبعث رسول الله ﷺ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن ذلك موجوداً قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام، والثاني: أنه كان موجوداً، ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم، وزيد في حفظ السماء وحراستها، صوناً لأخبار الغيوب. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء من ﴿كُلِّ شَيۡطَٰنٖ﴾، فهو منقطع. وقيل: متصل، وأجاز أبو البقاء اعتبار ﴿مَنِ﴾: في محل جر بدل من ﴿كُلِّ﴾، وبه قال البيضاوي، كما أجاز أبو البقاء وجهاً ثالثاً، وهو اعتباره مبتدأ، والمعتمد الأول: من الثلاثة. ﴿ٱسۡتَرَقَ﴾: ماض وفاعله يعود إلى (مَنْ) ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (أتبعه): ماض، والهاء مفعول به. ﴿شِهَابٞ﴾: فاعله. ﴿مُّبِينٞ﴾: صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: انظر الآية رقم [٣] من سورة (الرعد) ففيها الكفاية. ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض، أو في الجبال. ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي: ما يوزن من الذهب، والفضة، والنحاس، والرصاص، والقزدير؛ حتى الزرنيخ والكحل، فيكون (أنبتنا) بمعنى: خلقنا. وقيل: أنبتنا في الأرض الثمار مما يكال ويوزن. وقيل: معنى موزون متناسب في الحسن، والهيئة، والشكل، تقول العرب: فلان موزون الحركات: إذا كانت حركاته متناسبة حسنة، وكلام موزون: إذا كان متناسباً حسناً بعيداً من الخطأ والسخفِ أوله وزن في أبواب النعمة والمنفعة، ومعنى: (ألقينا) جعلنا، ووضعنا، وانظر شرح: ﴿شَىْءٍ﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وهو أحسن من الرفع؛ لأنه معطوف على ﴿بُرُوجًا﴾، وقد عمل فيه الفعل قبله، فيكون العطف عطف جملة فعلية على ما قبلها. ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مفسرة للجملة المحذوفة، لا محل لها، وقال الشلوبين بحسب ما تفسره، وما بعدها معطوف عليها. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مِن﴾ تبعيضية، ويجوز على مذهب الأخفش اعتبار ﴿مِن﴾ زائدة، فيكون ﴿كُلِّ﴾ مفعولاً به مجروراً لفظاً منصوباً محلاً. وقيل: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول محذوف التقدير: نباتاً من كل شيء، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مَّوْزُونٍ﴾ صفة شيء. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: تعيشون بها من المطاعم والملابس، وقرئ شاذاً: (معائش) بالهمز كصحائف، وهو ليس مثله؛ لأن المد في صحيفة زائد، وفي معيشة أصلي؛ لأن أصلها مَعْيُشَة كمكرمة، أو مَعْيِشَة كمنزلة، أو مَعْيَشَة كمتربة، فالياء أصلية على كل حال. هذا؛ والمعيش والمعيشة: مكسب الإنسان الذي يعيش به، وفي القاموس: العيش: الحياة، والعيش: الطعام، وما يعاش به. ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ أي: من العيال، والخدم، والحيوانات، وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظناً كاذباً، فإن الله يرزق الجميع، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٦] من سورة (هود) عليه السلام، والمعنى: أنتم تنتفعون بهذه الأشياء، وخلقت لمنافعكم، ولستم برازقين لها، وإنما الرازق للجميع هو الله، وهذا في غاية الامتنان.

الإعراب: (جعلنا): فعل وفاعل. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿مَعَٰيِشَ﴾ بعدهما، أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» وهذا أولى من التعليق بالفعل. ﴿مَعَٰيِشَ﴾: مفعول به ثان، والمفعول الأول: ﴿لَكُمْ﴾، أو هو على العكس، والجملة الفعلية: (جعلنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون وفيه خمسة، أوجه: أحدها، وهو قول الزجاج: أنه منصوب بفعل مقدر، تقديره: وأغنينا من لستم له برازقين كالعبيد، والدواب، والوحوش.

الثاني: أنه منصوب عطفاً على ﴿مَعَٰيِشَ﴾؛ أي: وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين من الدواب المنتفع بها. الثالث: أنه منصوب عطفاً على محل ﴿لَكُمْ﴾. الرابع: أنه مجرور عطفاً على الكاف المجرورة باللام، وجاز ذلك من غير إعادة الجار على رأي: الكوفيين وبعض البصريين. الخامس: أنه مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف؛ أي: ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش. انتهى. جمل نقلاً من السمين. ﴿لَّسْتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، والميم علامة جميع الذكور. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِرَٰزِقِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (رازقين): خبر (ليس) مجرور لفظاً منصوب محلاً، وجملة: ﴿لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، وفاعل (رازقين) مستتر فيه.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ أي: وإن من شيء من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا عندنا خزائنه؛ يعني: المطر المنزل من السماء؛ لأن به نبات كل شيء، ومعنى: ﴿عِندَنَا﴾ أنه في حكمه جلت قدرته، وتصرفه، وأمره، وتدبيره. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: بقدر الكفاية. وقيل: إن لكل أرض حداً، ومقداراً من المطر، يقال: لا تنزل قطرة مطر من السماء، إلا ومعها ملك يسوقها إلى حيث شاء الله تعالى. وقيل: إن المطر ينزل من السماء كل عام بمقدار واحد، لا يزيد، ولا ينقص، ولكن الله تعالى يمطر أقواماً، ويحرم آخرين. هذا؛ والخزائن جمع خزانة، وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ، يقال: خزن الشيء إذا أحرزه، ووضعه في مكان أمين. هذا؛ والإنزال بمعنى: الإنشاء والإيجاد، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن) حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عِندَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر

المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿خَزَآئِنُهُۥ﴾: فاعل بالظرف لاعتماده على النفي، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويجوز اعتبار الظرف متعلقاً بمحذوف خبر مقدم و﴿خَزَآئِنُهُۥ﴾ مبتدأ مؤخر، وتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِن مِّن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. وقيل: عاطفة، والأول: أقوى لتخالف الجملتين بالاسمية والفعلية. (ما): نافية. ﴿نُنَزِّلُهُۥٓ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به؛ ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِقَدَرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب. ﴿مَّعْلُومٍ﴾: صفة (قدر)، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، وساغ مجيء الحال من المضاف إليه؛ لأنه كجزئه لملابسته له، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

ولَا تُـجِـزْ حـالاً مِـنَ الـمـضـافِ لَـهْ إِلَّا إذا اقْـتَـضَـى الـمـضـافُ عَـمَـلَـهْ
أَوْ كـانَ جـزءَ مـا لـهُ أُضِـيـفَـا أَوْ مِـثْـلَ جـزئِـهِ فـلَا تَـحِـيـفَـا

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ أي: حوامل؛ لأنها تحمل الماء، والتراب، والسحاب، والخير، والنفع، وهي جمع: لاقح، وقال الأزهري: وجعل الريح لاقحاً؛ لأنها تحمل السحاب؛ أي: تنقله، وتصرفه، ثم تمريه، فتستدره؛ أي: تنزله، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ الآية رقم [٥٦] من سورة (الأعراف)، فقد شبه سبحانه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل، كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم، أو الرياح ملقحات للسحاب والشجر والنبات وعليه فهي جمع ملقح؛ لأنه من ألقح يلقح، فهو ملقح، فجمعه ملاقح، فحذفت الميم تخفيفاً لظهور المعنى، ومثله الطوائح، والأصل المطاوح، وقال الفراء: اللواقح جمع: لاقح على النسب كلابن وتامر؛ أي: ذات لقاح، وفي الكلام استعارة لا تخفى. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ أي: جعلنا الماء النازل من السحاب لسقياكم، ولسقي مواشيكم وأرضكم. ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أي: لستم بخازنين للمطر، وإنما هو مخزون عند الله، فهو الذي ينزله إذا شاء، ويمسكه إذا شاء، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ الآية [١٨] من سورة (المؤمنون). هذا و«السماء» يذكر، ويؤنث، و«السماء» كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، و«السماء» المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء؛ حتى أتيناكم، قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إذا نَـزَلَ الـسَّـمَـاءُ بـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَـيْـنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَـابـا

أراد بالسماء المطر، ثم أعاد الضمير عليه في: «رعيناه» بمعنى: النبات، وهذا يسمى في فن البديع بالاستخدام، وأصل سماء سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة.

الإعراب: (أرسلنا): فعل وفاعل. ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: مفعول به. ﴿لَوَٰقِحَ﴾: مفعول به ثان. وقيل: هو حال مقدرة من ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، وجملة: ﴿وَأَرْسَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من (مَاءً)، كان صفة له... إلخ. ﴿مَآءً﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿فَأَنزَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعولاه، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم تحسيناً للفظ، فتولدت واو الإشباع، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسمها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِخَٰزِنِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (خازنين): خبر (ما)، مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنتُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾: ما نريد إحياءه بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها. ﴿وَنُمِيتُ﴾: بإزالة الحياة من تلك الأجسام، وهو يعم الحيوان، والنبات. ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أي: الأرض ومن عليها، ولا يبقى شيء سوانا، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فملك كل شيء لله تعالى، ولكن ملك عباده وكالة، فإذا ماتوا؛ عاد الملك لمالكه الحقيقي، وتكرير الضمير للدلالة على الحصر.

هذا وقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح): وقوله تعالى: ﴿أَخْرَنَا﴾، ﴿جَعَلْنَا﴾، ﴿إِنَّا﴾، ﴿نَحْنُ﴾... إلخ لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم، الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا شركاء، ولا نظراء، والله خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة، وسائر العالمين جنوده، فإذا كان الواحد من الملوك يقول: فعلنا، وإنا، ونحن... إلخ، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء، ومليكه هو أحق أن يقول: فعلنا، وإنا، ونحن... إلخ مع أنه ليس له شريك، ولا مثل، بل له جنود السموات والأرض. انتهى.

أقول: و(نا): هذه تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، كما يزعم الكافرون، والملحدون فالله تعالى لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم به العبد، فيقول: أخذنا وأعطينا.. إلخ، وليس معه أحد، والغاية من هذا الكلام الرد على النصارى الذين يدخلون الشبهة على السذج من المسلمين بأن الإله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس، ويدعمون شبهتهم هذه بالألفاظ الموجودة في القرآن، والتي ظاهرها يفيد الجمع.

الإعراب: ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: حرف استئناف، (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَنَحْنُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (نحن): مبتدأ. ﴿نُحْيِۦ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ وأجيز في الضمير المنفصل أن يكون تأكيداً لاسم (إنَّ) على المحل، ولا يجوز أن يكون فصلاً؛ لأنه لم يقع بين اسمين، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَنُمِيتُ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ في محل نصب حال من فاعل (نميت) المستتر، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: معنى الآية الكريمة: علمنا من استقدم، ولادةً وموتاً، ومن استأخر، أو من خرج من أصلاب الرجال، ومَنْ لم يخرج بعد، أو من تقدم إلى الجهاد والإسلام، والطاعة، ومن تأخر. والمراد: لا يخفى علينا شيء من أحوالكم، وهو بيان على كمال علمه، بعد الاحتجاج على كمال قدرته، فإن ما يدل على قدرته دليل على علمه. وقيل: رغَّب رسول الله ﷺ في الصف الأول: في الصلاة، فازدحموا عليه، فنزلت. وقيل: المستقدمين في صفوف الصلاة، والمستأخرين فيها بسبب النساء، وكل هذا معلوم لله تعالى، فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق، وما هو خالقه إلى يوم القيامة، ورجح القرطبي السبب الأخير؛ لما رواه النسائي، والترمذي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كانت امرأةٌ تُصلِّي خَلْفَ رسول الله ﷺ حسناءَ مِنْ أحسن الناسِ، فكانَ بَعْضُ القومِ يَتقدَّمُ حتى يكونَ في الصَّفِّ الأولِ لئلا يراها، ويتأخرُ بعضُهُمْ حتى يكونَ في الصَّف المؤخر، فإذا ركَع نظرَ مِنْ تَحْتِ إبْطِهِ، فنزلت الآية الكريمة». هذا والفعل ﴿عَلِمْنَا﴾ في الجملتين من المعرفة، لا العلم، انظر شرح ذلك في الآية [٤٤] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا...﴾ إلخ: انظر مثل هذا في الآية رقم [١٠] جملاً وإفراداً. ﴿الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له، وحذف مثلهما من ﴿الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾: يخرجهم من قبورهم، ويجمعهم للحساب لا محالة، وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر المتولي لحشرهم لا غيْرُ، وتصدير الجملة بـ: (إنَّ) لتحقيق الوعد، والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته، وعلمه بتفاصيل الأشياء، يدل على صحة الحكم، كما صرح به بقوله: ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ أي: باهر الحكمة متقن في أعماله، لا يفعل إلا ما فيه حكمة، أو على وفقها. ﴿عَلِيمٌ﴾ قد وسع علمه كل شيء، ويعلم ما كان وما سيكون، ويعلم من سبقت له العناية الأزلية بالسعادة الأبدية، فيوفقه لعملها.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف، (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مؤكد لاسم (إنّ) على المحل. ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكَ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ؛ فتكون الجملة الفعلية خبره، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ خبران لـ: (إنّ)، والجملة الاسمية مؤكدة لسابقتها لا محل لها مثلها.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين، سمي إنساناً؛ لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان؛ لأنه عهد إليه فنسي. ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: يعني من الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، يعني صوتاً وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، وقد ضعِّفت فيه الصاد واللام، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هو الطين الحر الطيب، الذي إذا نضب عنه الماء تشقق، فإذا حُرِّكَ تقعقع. وقال مجاهد: هو الطين المنتن، واختاره الكسائي. ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: يعني من طين أسود. ﴿مَّسْنُونٍ﴾: متغير، وقال أبو عبيدة: هو المصبوب. قال ابن عباس: هو التراب المبتل المنتن، جعل صلصالاً كالفخار.

والجمع بين هذه الأقاويل على ما ذكره بعضهم: أن الله سبحانه وتعالى، لما أراد خلق آدم عليه السلام؛ قبض قبضة من تراب الأرض، فبلها بالماء حتى اسودت، وأنتن ريحها، وتغيرت،

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ ثم إن ذلك التراب بله بالماء وخمره حتى اسود وأنتن ريحه، وتغير، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ثم ذلك الطين الأسود المتغير صوره صورة إنسان أجوف، فلما جفَّ ويبس كانت تدخل فيه الريح، فتسمع له صلصلة، يعني: صوتاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾.

تنبيه: وأما صفة خلق آدم عليه السلام، فإني أنقلها لك من الخازن بحروفه، وذلك من سورة (البقرة)، فقال وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ: لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم؛ أوحى إلى الأرض أني خالق منك خليفة، منهم من يطيعني، ومنهم من يعصيني، فبكت الأرض، فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة، فبعث الله إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة منها، من أحمرها، وأسودها، وطيبها، وخبيثها، فلما أتاها ليقبض منها، قالت: أعوذ بعزة الله الذي أرسلك إليَّ أن لا تأخذ مني شيئاً يكون للنار فيه نصيب، فرجع جبريل إلى مكانه، وقال: يا رب استعاذت بك مني، فكرهت أن أقدم عليها، فقال الله لميكائيل ـ عليه السلام ـ انطلق فائتني بقبضة منها، فلما أتاها ليقبض منها، قالت له: مثل ما قالت لجبريل، فرجع إلى ربه، فقال ما قالت له، فقال لعزرائيل عليه السلام: انطلق فائتني بقبضة من الأرض، فلما أتاها ليقبض منها، قالت له مثل ما قالت لجبريل ولميكائيل، فقال: وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمراً، فقبض منها قبضة من جميع بقاعها، من عذبها، ومالحها، وحلوها، ومرها، وطيبها، وخبثها، وصعد بها إلى السماء.

فسأله ربه عز وجل ـ وهو أعلم بما صنع ـ فأخبره بما قالت الأرض، وبما رد عليها، فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأخلقن مما جئت به خلقاً، ولأسلطنك على قبض أرواحهم، لقلة رحمتك، ثم جعل الله تلك القبضة، نصفها في الجنة، ونصفها في النار، ثم تركها ما شاء الله، ثم أخرجها، فعجنها طيناً لازباً مدةً، ثم حمأً مسنوناً مدةً، ثم صلصالاً، ثم جعلها جسداً، وألقاه على باب الجنة، فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته؛ لأنهم لم يكونوا رأوا مثله، وكان إبليس يمر عليه، ويقول لأمرٍ مَّا خُلِقَ هذا، ونظر إليه، فإذا هو أجوف، فقل: هذا خلقٌ لا يتمالك، وقال يوماً للملائكة: إن فُضِّل هذا عليكم ما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربنا، ولا نعصيه.

فقال إبليس في نفسه: لئن فُضِّل علي لأعصينه، ولئن فُضِّلتُ عليه لأهلكنَّه، فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم، فنظرت، فرأت مدخلاً ضيقاً، فقالت: يا رب كيف أدخل هذا الجسد؟ قال الله عز وجل: ادخليه كرهاً، وستخرجين منه كرهاً، فدخلت في يافوخه، فوصلت إلى عينيه، فجعل ينظر إلى سائر جسده طيناً، فسارت إلى أن وصلت منخريه، فعطس، فلما بلغت لسانه، قال: الحمد لله رب العالمين، وهي أول كلمة قالها،

فناداه الله تعالى: رحمك ربك يا أبا محمد، ولهذا خلقتك! ولما بلغت الروح الركبتين، همَّ ليقوم، فلما يقدر، قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

فلما بلغت إلى الساقين والقدمين، استوى قائماً بشراً سويَّاً، لحماً، ودماً، وعظاماً، وعروقاً، وعصباً، وأحشاءً، وكسي لباساً مِنْ ظفر، يزداد جسده جمالاً، وحسْناً كل يوم، وجعل في جسده تسعة أبواب، سبعة في رأسه، وهي الأذنان يسمع بهما، والعينان يبصر بهما، والمنخران يشم بهما، والفم فيه اللسان يتكلم به، والأسنان يطحن بهما ما يأكله، ويجد لذة المطعومات بها، وبابين في أسفل جسده، وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه، وشرابه، وجعل عقله في دماغه، وفكره، وصرامته في قلبه، وشرهه في كليته، وغضبه في كبده، ورغبته في رئته، وضحكه في طحاله، وفرحه، وحزنه في وجهه، فسبحان من جعله يسمع بعظم، ويبصر بشحم، وينطق بلحم، ويعرف بدم، وركب فيه الشهوة، وحجزه بالحياء!

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ عليه السلام، وطولُهُ ستونَ ذِراعاً، ثُمَّ قال: اذهبْ فسَلِّمْ على أولئِكَ ـ نَفَرٍ مِنَ الملائِكة ـ فاسْتَمعْ ما يُحَيُّونكَ به، فإنها تحيَّتُكُ، وتحيةُ ذرِّيتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ، فزادوه رحمةُ اللهِ، فكلُّ مَنْ يدخلُ الجنةَ على صُورةِ آدمَ، فَلَمْ يَزَل الخلقُ ينقص حتَّى الآنَ**». متفق عليه.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدمَ، تَرَكَهُ ما شاءَ اللهُ أَنْ يتركَهُ، فجعلَ إبليسُ يطوفُ بِهِ ينظرُ مَا هُوَ؟ فلمَّا رآهُ أجْوَفَ؛ عرف: أنه لا يَتَمالَكُ**». رواه مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتعالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قبضَةٍ قَبَضَهَا مِنَ الأَرْضِ، فجَاء بنو آدَمَ على قَدَرِ الأَرْضِ، مِنْهُم الأحمرُ، والأَبْيَضُ، والأَسْوَدُ، وبينَ ذَلِكَ، والسَّهلُ، والحزْنُ، والخبيثُ، والطيِّبُ**». أخرجه الترمذي، وأبو داود. انتهى. خازن.

هذا وقد قال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى في كتابه: (قصص الأنبياء): هل آدم هذا هو أول البشر، ولم يكن أحد قبله من جنسه؟

والجواب: أن العقل لا يجعل من المحال أن يكون الله خلق آدم غير آدم هذا، ولكن الله تعالى لم يذكر سوى آدم الذي نعرفه أبا البشر، فالقول بوجود غيره مجازفة بلا برهان، وقد وجد من البشر في الأزمان الغابرة والحاضرة من يدَّعون: أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كأهل الهند، وقد كانوا في الزمان السابق يدَّعون: أن آدم كان عبداً من عبيدهم هرب إلى الغرب، وجاء بأولاده، وإلى هذا يشير المعري بقوله: [الوافر]

تَـقُـولُ الْـهِـنْـدُ آدَمُ كـانَ قِـنًّـاً لَـنَـا فـسـعَـى إِلَـيْـهِ مُـخَـبِّـبُـوهُ

وإلى القول بوجود أوآدم سوى آدم يشير بقوله: [الخفيف]

جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آدمَ هذَا قَبْلَهُ آدَمٌ عَلَى إِثْرِ آدمْ

وقوله: [الطويل]

وما آدمٌ في مَذْهَبِ الْعَقْلِ واحِد وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ أَوَادِمُ

وهناك فريق من الناس يرجِّح: أنه ليس أول نوعه، ويستأنسون لذلك بقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية رقم [٣٠] من سورة (البقرة)، ويقول: إن الملائكة لم يقولوا: ذلك إلا لرؤيتهم مَنْ تقدموا قبل آدم من الخلق الذين على صورته قد فعلوا ذلك، وأن آدم عليه السلام، إنما كان خليفة عن بشر كانوا من جنسه، وبادوا، وكل هذه الأقوال لا تستند إلى نصٍّ قطعي الثبوت والدَّلالة. انتهى بحروفه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: انظر إعراب مثله في ا لآية رقم [١٠] ففيها الكفاية. ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿صَلْصَٰلٍ﴾، أو بدل منه بإعادة الجار، قاله أبو البقاء. ﴿مَّسْنُونٍ﴾: صفة ﴿حَمَإٍ﴾، والكلام مستأنف كله لا محل له من الإعراب.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل خلق آدم، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الجان أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر، وقال قتادة: هو إبلس. وقيل: الجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، وفي الجن مسلمون، وكافرون، يأكلون، ويشربون، ويَحْيَوْن، ويموتون، ويتوالدون كبني آدم، وأما الشياطين؛ فليس فيهم مسلمون، ولا يموتون إلا إذا مات إبليس أبوهم. والأصح أن الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار، سموا جناً لتواريهم، واستتارهم عن الأعين، من قولهم: جن الليل: إذا ستر بظلمته كل شيء، والشيطان: هو العاتي المتمرد الكافر، والجن منهم المؤمن، ومنهم الكافر وانظر الآية رقم [٣١] ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: من نار الحرِّ الشديد النافذ في المسامِّ.

الإعراب: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (الجان): مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده. ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، واعتبار ﴿مِن نَّارِ﴾ متعلقين بمحذوف حال من الضمير المنصوب أولى، والمعنى عليه أقوى. وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، ﴿مِن نَّارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، و﴿نَّارِ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمُومِ﴾: مضاف إليه، والجملة المفسِّرة والمفسَّرة معطوفتان على الجملة الواقعة جواباً للقسم، لا محل لهما مثلها.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلْصَٰلٖ مِّنْ حَمَإٖ مَّسْنُونٖ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي...﴾ إلخ: فما أحراك أن تنظر ذلك مفصلاً في الآية رقم [٣٠] وما بعدها من سورة (البقرة)، وانظر الباقي في الآية رقم [٢٦]، وانظر شرح الملائكة في الآية رقم [٢٥] من سورة (الرعد)، وشرح: ﴿رَبُّكَ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (هود) عليه السلام، وشرح: ﴿بَشَرٗا﴾ في الآية رقم [٢٧] منها.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المقدر، وهو الأقوى، وجملة: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿خَٰلِقُۢ﴾: خبرها، وفاعله مستتر فيه. ﴿بَشَرٗا﴾: مفعول به لـ: ﴿خَٰلِقُۢ﴾، ﴿مِّن صَلْصَٰلٖ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَشَرٗا﴾. ﴿مِّنْ حَمَإٖ مَّسْنُونٖ﴾: انظر مثله في الآية رقم [٢٦] والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أي: سويت خلقه، وصورته. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: النفخ عبارة عن إجراء الريح في تجاويف جسم آخر، ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى، وأضاف سبحانه روح آدم إلى نفسه على سبيل التشريف، والتكريم لها، كقوله: أرضي، وسمائي، وناقة الله، وشهر الله، وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أي: خروا، واسقطوا على الأرض ساجدين لآدم، وهو سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة، وانظر المزيد من ذلك في آية (البقرة) رقم [٣٤] والآية رقم [١١] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: ماض وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح، وجملة: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها. ﴿مِن رُّوحِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: ﴿مِن﴾ زائدة، و﴿رُّوحِي﴾ مفعول به وتعليق الجار والمجرور بمحذوف صفة لمفعول محذوف أولى، التقدير: نفخت فيه روحاً من روحي، والجر الحقيقي، أو اللفظي مقدر على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. ﴿فَقَعُواْ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (قعوا): أمر مبني على حذف النون،

والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بما بعدهما. ﴿سَٰجِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، وهو من مقول الله تعالى.

تنبيه: هذه الآية دليل قاطع على تعليق. (إذا) بفعل شرطها، ولا يجوز تعليقها بجوابها، لاقترانه بالفاء؛ لأنه لا يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها، وهذا ما اعتمده ابن هشام في «المغني»، ومن أدلته الشعرية قول عبد قيس بن خفاف البرجمي: [الكامل]

اِسْتَغْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى ... وَإِذَا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

وعلى هذا لا يجوز اعتبارها مضافة للجملة بعدها، ولعلك تدرك بعد هذا قولي: «على المشهور المرجوح».

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ﴾ أي: الذين أمروا بالسجود، لآدم عليه السلام. ﴿أَجْمَعُونَ﴾: قال سيبويه: هذا توكيد بعد توكيد، وسئل المبرد عن هذه الآية فقال: لو قال سجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم، فلما قال: كلهم لزم إزالة ذلك الاحتمال، فظهر بهذا أنهم سجدوا بأسرهم، ثم عند هذا بقي احتمال آخر، وهو أنهم سجدوا في أوقات متفرقة، أو في دفعة واحدة، فلما قال: أجمعون ظهر: أن الكل سجدوا دفعة واحدة. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿فَسَجَدَ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف، التقدير: فخلقه وسواه، ونفخ فيه من روحه، وقال للملائكة: اسجدوا له، فسجد... إلخ.

والكلام كله مستأنف لا محل له. (سجد): ماض. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعل. ﴿كُلُّهُمْ﴾: توكيد، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿أَجْمَعُونَ﴾: توكيد ثان للملائكة مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، والجملة الفعلية: (سجد...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿إِبْلِيسَ﴾: اسم مأخوذ من: أبلس، يبلس، إبلاساً، بمعنى: سكت غمّاً، وأيس من رحمة الله تعالى، وخاب، وخسر، وهو من الملائكة، كذا قال علي، وابن عباس، وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ ولأن الأصل في الاستثناء أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ولهذا قال تعالى له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ وقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ معناه: صار من الجن،

كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾. وقيل: بل الاستثناء منقطع؛ لأنه لم يكن من الملائكة، بل كان من الجن بالنص، وهو قول الحسن، وقتادة، ولأنه خلق من نار، والملائكة خلقوا من النور، ولأنه أبى، وعصى، واستكبر، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ولا يستكبرون عن عبادته، ولأنه قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾، ولا نسل للملائكة، وعن الجاحظ: إنَّ الجن والملائكة جنس واحد، فمن طهر منهم فهو ملك، ومن خبث منهم فهو شيطان، ومن كان بين بين فهو جن، وانظر الآية رقم [٢٧]. هذا؛ والجن أجسام نارية لطيفة قادرة على التشكل في الغالب بأشكال مخيفة قبيحة من حية، ونحوها. ﴿أَبَىٰٓ﴾: ماض من الإباء، وهو الامتناع، أو أشده، وإباء الله قضاؤه أن لا يكون الأمر، أو عدم قضائه أن يكون، قال تعالى في صيغة المضارع: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. هذا؛ ويكون متعدياً إذا كان بمعنى: كره، ولازماً إذا كان بمعنى: امتنع، وهذا الفعل يتضمن النفي والإيجاب؛ لأنه بمعنى: لا يقبل إلا . . . إلخ.

هذا والسجود في الأصل: تذلل مع تطامن، وفي الشرع: وضع الجبهة على قصد العبادة، والمأمور به إما المعنى الشرعي، فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى، وجعل آدم قبلة سجودهم تعظيماً لشأنه، أو سبباً لوجوبه، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة، والصلاة لله، فمعنى اسجدوا له، اسجدوا إليه، وإما المعنى اللغوي، وهو التواضع لآدم، تحيةً وتعظيماً له، كسجود إخوة يوسف له في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ فلم يكن فيه وضع الجبهة بالأرض، إنما كان بالانحناء، فلما جاء الإسلام؛ أبطل ذلك بالسلام، انظر الآية رقم [١٠٠] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿إِبْلِيسَ﴾: مستثنى من الملائكة، وانظر الشرح. ﴿أَبَىٰٓ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿أَن﴾ حرف مصدري ونصب. ﴿يَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بأن، واسمه يعود إلى إبليس. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر يكون، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: مضاف إليه مجرور. . . إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و﴿أَن يَكُونَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، أو هو منصوب بنزع الخافض، وجملة: ﴿أَبَىٰٓ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿إِبْلِيسَ﴾ على اعتبار الاستثناء متصلاً، وتكون «قد» مقدرة قبل الجملة، والرابط: الضمير فقط، ومستأنفة إن كان الاستثناء منقطعاً لا محل لها.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: قال الله تعالى: يا إبليس ما المانع لك في أن تكون مع الساجدين من الملائكة.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى «الله». (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (إبليس): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. (أن) حرف مصدري ونصب واستقبال. (لا): نافية. ﴿تَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: (أن)، واسمه تقديره: «أنت». ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿تَكُونَ﴾، و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، و﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بما تضمنه الاستفهام من معنى الفعل، أو هما متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من كاف الخطاب، التقدير: مالك غير كائن مع الساجدين، والعامل في الحال الاستفهام، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: أراد إبليس ـ أخزاه الله ـ أنه أفضل من آدم عليه السلام؛ لأن آدم طيني الأصل، وأنه ناري الأصل، والنار أفضل من الطين؛ لأن النار جسم شفاف، والطين جسم كثيف، فيكون إبليس في قياسه أفضل من آدم، ولم يدر الخبيث: أن الفاضل مَنْ فضَّله الله، وانظر سورة (الأعراف) الآية رقم [١٢] ففيها فضل بيان، وانظر شرح بقية الآية في الآية رقم [٢٦] وقد عبر بشار بن برد الأعمى عن هذه الأفضلية حيث قال: [الكامل]

إبليسُ أَفضلُ مِنْ أَبيكُمْ آدمٍ ... فَتَبَيَّنُوا يا معشرَ الأَشْرارِ

النَّارُ عنْصُرُهُ وَآدمُ طينةٌ ... والطينُ لا يسْمُو سُمُوَّ النارِ

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (إبليس). ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿أَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، واسمه مستتر فيه، تقديره: «أنا». ﴿لِّأَسْجُدَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «أنا»، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَكُن﴾، التقدير: لم أكن مريداً للسجود. ﴿لِبَشَرٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿خَلَقْتَهُۥ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة (بشر). ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿صَلْصَٰلٍ﴾، أو بدل منه بإعادة الجار، قاله أبو البقاء. ﴿مَّسْنُونٍ﴾: صفة: ﴿حَمَإٍ﴾، وجملة: ﴿لَمْ أَكُن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾

الشرح: قال الله لإبليس: اخرج من الجنة، أو من السموات، أو من زمر الملائكة. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾: مطرود من رحمتي، ومرجوم باللعن، والطرد عن الخير، وهذا على أنه بمعنى: مفعول. وقيل: هو فعيل بمعنى: فاعل؛ أي: يرجم غيره بالوسوسة والإغواء، وما أجدرك أن تنظر القول في الآية رقم [١٨] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى «الله». ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ، أو هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وحيثما حصل منك العصيان، والتكبر؛ فاخرج، وهذا أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنۡهَا﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها بمفردها، إن كانت جواباً للشرط، ثمَّ الشرط المقدر، ومدخوله في محل نصب مقول القول. وأيضاً الجملة بمفردها في محل نصب مقول القول على اعتبار الفاء زائدة. ﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنك): حرف مشبه بالفعل، ﴿رَجِيمٞ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾. قيل: إن أهل السموات يلعنون إبليس، كما يلعنه أهل الأرض، فهو ملعون في السموات والأرض. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (ص): ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾. ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء، وانظر الآية رقم [٤٠] من سورة (يوسف) عليه السلام. وإنما حدَّ سبحانه لعن إبليس إلى يوم الدين؛ لأنه أبعد غاية يضربها للناس؛ ثم لا ينتهي لعنه له، بل يزاد فوق اللعن العذاب الشديد الدائم الذي لا انقطاع له، فيصير اللعن لا قيمة له، وكأنه زائل بجانب ذلك، وانظر اللعن في الآية رقم [٢٥] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿عَلَيۡكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) مقدم، والتقديم يفيد الحصر، والاختصاص. ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾: اسمها مؤخر. ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾؛ لأنها مصدر، و﴿يَوۡمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلدِّينِ﴾: مضاف إليه... إلخ. هذا؛ وأجيز تعلق الجار والمجرور بمحذوف حال من ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ...﴾ إلخ: أي: قال إبليس ـ أخزاه الله ـ: رب أمهلني فلا تمتني. ﴿إِلَىٰ

﴿يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: المراد به: يوم القيامة، وهو اليوم الذي يخرج فيه الناس من قبورهم للحساب، والجزاء بعد النفخة الثانية، فقال الله لإبليس لما سأل الإمهال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾؛ أي: الممهلين المؤخرين، وقد قيد الله هذا الإمهال هنا بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ وهو النفخة الأولى التي يموت بسببها كلُّ مَنْ في السموات والأرض إلا من شاء الله، ولم يقيده بسورة (الأعراف) للتفنن، فقد كره اللعين أن يذوق مرارة الموت، وطلب البقاء والخلود إلى النفخة الثانية، وحينئذ لا موت؛ لأن الموت يتم عند النفخة الأولى، فلم يعط سؤاله، وإنما أجيب طلبه، وهو الإمهال، مع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال العباد، لما في ذلك مِن ابتلاء العباد، ولما في مخالفته مِنْ عظيم الثواب.

أقول: وإنما أمهله ربه ليكون سبباً في وفاء وعده تعالى لجهنم: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾؛ إذ لولاه لكان الناس جميعاً مهتدين. هذا؛ وقد ذكر الله في سورة (الكهف) أن له ذرية، وذلك ليكون لكل إنسان من بني آدم قرين، وشيطان، وإنما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم؛ لأن ذلك اليوم لا يعلمه أحد إلا الله تعالى، فهو معلوم عنده. وقيل: لأن جميع الخلائق يموتون فيه، فهو معلوم بهذا الاعتبار.

هذا؛ وقد قال البيضاوي: ويجوز أن يراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة، واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات، فعبر عنه أولاً بيوم الجزاء؛ لما عرفت، وثانياً بيوم البعث؛ إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف، واليأس عن التضليل، وثالثاً بالمعلوم؛ لوقوعه في الكلامين، ولا يلزم من ذلك أن لا يموت، فلعله يموت، أول اليوم، ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه، وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب إبليس؛ لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال. انتهى.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى إبليس. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، وانظر الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾ الفاء: انظر مثلها في الآية رقم [٢٤] وتقدير الكلام على اعتبارها الفصيحة: إن قضيت علي بهذا الجزاء فأنظرني. (انظرني): فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية يقال فيها ما قلته بجملة: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾. ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يُبۡعَثُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع الخ. . والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوۡمِ﴾ إليها، والكلام ﴿رَبِّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى «الله». ﴿فَإِنَّكَ﴾ الفاء: انظر مثلها فيما سبق. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إن)، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ٱلۡمُنظَرِينَ﴾، و﴿يَوۡمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡوَقۡتِ﴾

مضاف إليه. ﴿ٱلۡمَعۡلُومِ﴾: صفة الوقت، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي: فبأي: شيء أضللتني. وقيل: المعنى فبسبب إغوائك إياي لأزينن... إلخ. وقيل: المعنى فبسبب وقوعي في الغي؛ لأجتهدن في غوايتهم حتى يفسدوا بسببي، كما فسدت بسببهم، وقال سليمان الجمل في سورة (الأعراف): غرضه بهذا أخذ ثأره منهم؛ لأنه لما طرد، ومقت بسببهم على ما تقدَّم؛ أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر. هذا؛ وضمير الجمع لذرية آدم، وإن لم يجر لهم ذكر، للعلم به.

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: مراده: تزيين المعاصي، والشهوات، وحب الدنيا، والانهماك في العمل لها. ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: لأضلنهم بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وذلك: أن إبليس لما علم بأنه سيموت على الكفر غير مغفور له؛ حرص على إضلال الخلق بالكفر، وإغوائهم. ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة، وهذا على قراءة كسر اللام، وعلى القراءة بفتح اللام يكون المعنى إلا من أخلصته، واصطفيته لتوحيدك، وعبادتك، وإنما استثنى إبليس المخلصين؛ لأنه علم أن وسوسته وكيده، لا يعملان فيهم، ولا يقبلان منه.

وحقيقة الإخلاص: فعل الشيء خالصاً لله عن شائبة الغير، فكل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو إما أن يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط، أو غير وجه الله، أو مجموع الأمرين، أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول، وأما ما كان لغير الله، فهو الباطل المردود، وأما مَنْ كان مراده مجموع الأمرين، فإن ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين، وإن ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين؛ لأن المثل يقابله المثل، فيبقى القدر الزائد، وإلى أي الجانبين رجح؛ أخذ به. انتهى خازن.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (إبليس). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. ﴿بِمَآ﴾ الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿أَغۡوَيۡتَنِي﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والنون للوقاية، وانظر إعراب: (حفظنا) في الآية رقم [١٧] و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، أو أحلف؛ لأن الباء دالة على قسم

مقدر، ومتعلقة بفعله المقدر. انتهى. جمل. وقال البيضاوي، والنسفي: والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف، تقديره: فبسبب إغوائك أقسم، أو تكون للقسم؛ أي: فأقسم بإغوائك. وقال أبو البقاء: الباء تتعلق بالفعل: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾، ولا وجه له؛ لأن اللام تمنعه. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) استفهامية مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ والوقف يكون عليه، وما بعده كلام مستأنف، وعليه فالجملة فعلية، وهي في محل نصب مقول القول. انتهى. منقولاً من إعراب الآية رقم [١٦] من سورة (الأعراف).

وأضيف هنا: أنَّ الجمل قال: والفقهاء قالوا: الإقسام بصفات الذات صحيح، واختلفوا في القسم بصفات الأفعال، ومنهم مَنْ فرق بينهما، ولأن جعل الإغواء مقسماً به غير متعارف. انتهى. نقلاً عن كرخي. هذا؛ والمراد بصفات الذات مثل حلف إبليس في سورة (ص): ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، والمراد بصفات الأفعال حلفه هنا وفي سورة (الأعراف)، وهو ما رأيته. ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم، (أزينن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: أنا، والنون حرف لا محل له، والمفعول محذوف، انظر الشرح. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ جواب القسم المحذوف المدلول عليه بالباء، وهي جواب قسم محذوف على اعتبار (ما) استفهامية، وعلى الاعتبارين فالكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً باللام. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾: إعرابه مثل إعراب سابقه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المنصوب، فهو منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عِبَادَكَ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾ من الضمير المنصوب المؤكد بما رأيت، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنْهُمُ﴾: متعلقان بما بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿عِبَادَكَ﴾. ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: صفة ﴿عِبَادَكَ﴾، أو بدل منه منصوب... إلخ.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: معناه: هذا صراط مستقيم يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة. وقال مجاهد والكسائي: هذا على الوعيد والتهديد، كقولك لمن تهدده: طريقك عليَّ، ومصيرك إليَّ. وقيل: معناه حق عليَّ أن أراعيه. هذا؛ ويقرأ: (عَلِيٌّ) بتنوينه، ومعناه: رفيع مستقيم.

﴿إِنَّ عِبَادِى...﴾ إلخ: أي: إن عبادي المؤمنين المخلصين لا تسلط لك عليهم إلا بالوسوسة، من غير أن تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي، وهؤلاء خاصة الله الذين هداهم واجتباهم من عباده. ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ أي: من اتبع إبليس من الضالين فإن له عليهم تسلطاً بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به. هذا؛ وصراط هو في الأصل: الطريق، والمراد به هنا: السنّة التي أجراها الله في عباده. ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، وانظر إعلال ﴿مُقِيمَ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (إبراهيم) عليه السلام فهو مثله، وانظر مثل ﴿عِبَادِى﴾ في الآية رقم [٣١] منها، وانظر شرح: ﴿سُلْطَٰنٌ﴾ في الآية رقم [٩٦] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه، لا محل له. ﴿صِرَٰطٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿عَلَىَّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة؛ أي: حق علي. ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: صفة ثانية. هذا وعلى القراءة الثانية فـ: (عليٌّ مستقيمٌ) صفتان لصراط، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عِبَادِى﴾: اسم إن منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدم. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿سُلْطَٰنٌ﴾، ﴿سُلْطَٰنٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ عِبَادِى...﴾ إلخ مفسرة لقوله تعالى: ﴿صِرَٰطٌ...﴾ إلخ ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء مِنْ ﴿عِبَادِى﴾، وهل هو متصل، أو منقطع خلاف. ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى من، والكاف مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. هذا؛ ويجوز تعليق: ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في: ﴿مَنِ﴾ وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لموعد الغاوين المتبعين إبليس. ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾: لجهنم سبع طبقات، بعضهم فوق بعض ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة، قال ابن جريج: النار سبع دركات، وهي منازل أهلها، والجنة درجات، فالدرك ما كان إلى أسفل، والدرج ما كان إلى أعلى، فالعليا من طبقات النار لعصاة المسلمين، وهي جهنم، تكون بعد خروجهم منها خراباً، لا نار فيها. والثانية: لظى للنصارى. والثالثة: الحطمة لليهود. والرابعة: السعير للصابئين. والخامسة: سقر للمجوس. والسادسة: الجحيم لأهل الشرك. والسابعة:

الهاوية، وهي الدرك الأسفل للمنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وإنما كان عقابهم كذلك؛ لأنهم أخبث الكفرة؛ لأنهم ضموا إلى الكفر استهزاءً بالإسلام، وخداعاً للمؤمنين، وبالمقابل انظر الجنان في الآية رقم [٢٦] من سورة (يونس) عليه السلام، والآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد). ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ أي: من أبواب جهنم. ﴿مِّنْهُمْ جُزْءٌ﴾: حظ ونصيب من الغاوين وأتباع الشيطان معلوم.

تنبيه: روي: أن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ لما سمع هذه الآية فَرَّ ثلاثة أيام من الخوف لا يعقل، فجيء به إلى رسول الله ﷺ، فسأله، فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية، فو الذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله تعالى الآية التالية. وقال بلال ـ رضي الله عنه ـ كان رسول الله ﷺ يصلي في مسجد المدينة وحده، فمرت به امرأة أعرابية، فصلت خلفه، ولم يعلم بها، فقرأ ﷺ هذه الآية، فخرت الأعرابية مغشياً عليها، وسمع النبي عليه الصلاة والسلام وجبتها، فانصرف، ودعا بماء فصب على وجهها حتى أفاقت وجلست، فقال: «**يا هذه مالك؟**» فقالت: أهذا شيء من كتاب الله المنزل، أو تقوله من تلقاء نفسك؟ فقال: «**يا أعرابية! بل هو من كتاب الله تعالى المنزل**»، فقالت: كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منها، قال: «**يا أعرابية، بل لكل باب منهم جزء مقسوم، يعذب أهل كل منها على قدر أعمالهم**». فقالت: والله إني امرأة مسكينة، مالي مال، ومالي إلا سبعة أعبد، أشهدك يا رسول الله! أنَّ كل عبد منهم عن كل باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى. فأتاه جبريل، فقال: يا رسول الله! بشر الأعرابية: أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم كلها، وفتح لها أبواب الجنة كلها. انتهى. قرطبي بتصرف.

تنبيه: لقد ذكرت قصة آدم عليه السلام في سورة (البقرة)، وفي سورة (الأعراف)، و(الإسراء) و(الكهف) وسورة (طه) باسمه وصفته، وذكرت في سورة (الحجر)، وسورة (ص) بصفته فقط، وكلها بمعنى: واحد، ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط، وذلك مما يدل على إعجاز القرآن، فإن أكتب الكتاب، وأبلغ البلغاء إذا كتب قصة مرة، يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى، مع المحافظة على المتانة في الأسلوب، والبلاغة في التعبير كما في القرآن الكريم.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿جَهَنَّمَ﴾: اسم (إنَّ). ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (موعدهم): خبر (إنَّ)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المجرور محلاً بالإضافة مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ. وقيل: هو حال من الضمير المذكور، والأول: أولى، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿سَبْعَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿سَبْعَةُ﴾: مضاف، و﴿أَبْوَٰبٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿لَهَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿جَهَنَّمَ﴾، والرابط: الضمير فقط والعامل (إنَّ) لما فيها من معنى التأكيد،

أو هي في محل رفع خبر ثان لـ: (إنَّ)، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وضعف أبو البقاء الأول، ولا وجه له. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(كل) مضاف، و﴿بَابٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من جزء، كان صفة له، فلما قدم عليه، صار حالاً، وهذا لا يجيزه سيبويه، أعني به مجيء الحال من المبتدأ، فالأولى اعتباره حالاً من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، أعني: الخبر المحذوف. ﴿جُزْءٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مَّقْسُومٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿لِكُلِّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين اتقوا الشرك، والمعاصي، والسيئات. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: هي الحدائق، والبساتين. وانظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد). ﴿وَعُيُونٍ﴾: هي الأنهار الجارية في الجنات. وقيل: يحتمل أن تكون هذه العيون، غير الأنهار الكبار التي في الجنة، وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون، أو تجري هذه العيون من بعضها إلى بعض، وكلا الأمرين محتمل. انتهى. خازن. ﴿ٱدْخُلُوهَا...﴾ إلخ: أي: يقال لهم: ادخلوا الجنات بسلامة من كل داء، وبسلامة من الهموم، والأحزان، والأكدار، وآمنين من كل الآفات التي تعتري ابن آدم في دار الدنيا. هذا؛ وانظر شرح (التقوى) في الآية رقم [١٠٩] من سورة (يوسف) عليه السلام، وانظر شرح «العين» و«العيون» في الآية رقم [٣١] من سورة (هود) عليه السلام، ولا تنس: ما في الآيات من المقابلة، كما رأيت في الآية رقم [٢٣] من سورة (إبراهيم) من مقابلة الإيمان بالكفر.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَعُيُونٍ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة؛ أي: سالمين. ﴿ءَامِنِينَ﴾: حال ثانية. وقيل: بدل من الأولى؛ لأن الأمن، والسلامة بمعنى: واحد، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف؛ أي: يقال لهم: ادخلوها، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ ويقرأ الفعل بالماضي المبني للمجهول، فيكون من الرباعي، والواو نائب فاعله، و(ها): مفعول به ثان، وتبقى الجملة فعلية وهي في محل رفع خبر ثان. تأمل، وتدبر.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَزَعْنَا...﴾ إلخ: أي: وأخرجنا ما في صدور المتقين الموحدين من حسد، وحقد، وعداوة كانت بينهم في الدنيا، فجعلناهم ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: لا يحسد بعضهم

بعضاً على شيء خص الله به بعضهم دون بعض، ولا يحقد بعضهم على بعض، ومعنى نزع الغل: تصفية الطباع، وإسقاط الوساوس، ودفعها على أن ترد على القلب، حتى يكون القلب خالياً من كل غش.

روي عن عليٍّ كرم الله وجهه: أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا...﴾ إلخ. وروي عنه أيضاً أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير منهم. وانظر ما ذكرته في آية (الأعراف) رقم [٤٣] وآية (الأنبياء) رقم [١٠١] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ و(الغل) بالمعنى المذكور بكسر الغين، وهو بضمها: القيد من الحديد، وحرارة العطش أيضاً. هذا؛ والغلول من المغنم خاصة، وهو أخذ الشيء خفية، وهو ما ذكر في الآية رقم [١٦١] من سورة (آل عمران): هذا و﴿إِخْوَانًا﴾ في المحبة والمودة والمخالطة، وليس المراد أخوة النسب، و(السرر) جمع: سرير، مثل: جديد، وجُدُد.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد، والدرِّ، والياقوت، و﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: يقابل بعضهم بعضاً، لا ينظر بعضهم في قفا بعض، وفي بعض الأخبار: أن المؤمن في الجنة إذا أراد أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه، فيلتقيان، ويتحدثان. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَنَزَعْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (نزعنا): فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِي صُدُورِهِم﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، و﴿مِّنْ﴾ بيان لما أبهم في: ﴿مَا﴾ وجملة: (نزعنا...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِخْوَانًا﴾: حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، فهي حال متداخلة، وجاز؛ لأن المضاف جزؤه، وانظر الآية رقم [٢١] وقيل: حال من واو الجماعة، أو من الضمير المستتر في آمنين. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: متعلقان بما بعدهما، فيكون ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: صفة لـ: ﴿إِخْوَانًا﴾، وأجيز تعليق الجار والمجرور بمحذوف صفة إخواناً فيكون متقابلين حالاً من الضمير المستقر في الجار والمجرور، كما أجيز تعليقهما بنفس ﴿إِخْوَانًا﴾؛ لأنه بمعنى: متصافين، فيكون ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ حالاً من الضمير في ﴿إِخْوَانًا﴾. انتهى. عكبري بتصرف.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: ولا يصيبهم في الجنة تعب، وإعياء، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا...﴾ إلخ: أي: ليس المتقون مخرجين من الجنة، وهذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة، والمراد منه خلود بلا زوال، وبقاء بلا فناء، وكمال بلا نقصان، وفوز بلا حرمان.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمَسُّهُمْ﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نَصَبٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ فهي حال متداخلة، أو هي حال متكررة، كما أجيز اعتبارها مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿مِّنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مخرجين): خبر (ما)، مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) تميمية؛ فالمعنى لا يتغير، والإعراب يبقى بحاله على أنَّ الضمير مبتدأ، وزيدت الباء في الخبر.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: قال القرطبي: هذه الآية وزان قوله عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ يعلمُ المؤمِنُ ما عندَ اللهِ مِنَ العُقُوبة ما طَمِعَ بجنَّتِهِ أحدٌ، وَلَوْ يَعلَمُ الكافِرُ ما عِندَ اللهِ مِنَ الرحمةِ، ما قَنَطَ من رحمته أحدٌ**». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وروي أن النبي ﷺ خرج على أصحابه، وهم يضحكون، فقَالَ: «**أَتَضْحَكونَ؛ وبَيْنَ أَيْدِيكُم النارُ؟**». فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية، وَقَالَ: يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: يا محمدُ! مِمَّ تُقَنِّطُ عِبَادي؟ ذكره البغوي بغير سند. انتهى. خازن.

و﴿عِبَادِيٓ﴾: جمع عبد، وهو الإنسان من بني آدم حراً كان، أو رقيقاً، ويقال للمملوك، عبد قن، وله جموع كثيرة، وأشهرها عبيد، وعباد، والإضافة في الآية ونحوها إضافة تشريف، وتكريم.

الإعراب: ﴿نَبِّئْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿عِبَادِيٓ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. ﴿أَنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل لا محل له، أو هو تأكيد لاسم (إنَّ) على المحل، وعليهما فـ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ خبران لـ: (أنَّ). هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ و﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ خبران له، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعوليْ ﴿نَبِّئْ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. . والمصدر المؤول من: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي...﴾ إلخ معطوف على المصدر المؤول السابق، والإعراب واضح لا خفاء فيه، أما الضمير ﴿هُوَ﴾ فيجوز اعتباره فصلاً، ومبتدأ، ولا يجوز اعتباره تأكيداً؛ لأن الظاهر لا يؤكد بالضمير. و﴿ٱلْأَلِيمُ﴾ صفة ﴿ٱلْعَذَابُ﴾.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢﴾

الشرح: ﴿وَنَبِّئْهُمْ...﴾ إلخ: أي: أخبر عبادي وحدثهم عن ضيف إبراهيم عليه السلام. والمراد بضيف إبراهيم: الملائكة الذين بشروه بإسحاق عليه السلام، وبهلاك قوم لوط. انظر شرح ذلك مفصلاً في سورة (هود) الآية رقم [٦٩] وما بعدها، وانظر عمر إبراهيم، عليه السلام، وعمر أولاده، وأحفاده في الآية رقم [٧١] منها أيضاً.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم، ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: نسلم سلاماً، ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: فزعون خائفون، وإنما خاف منهم بعد أن قرب إليهم العجل المشوي، ورآهم لا يأكلون، وقد رأيته مفصلاً في سورة (هود).

تنبيه: قال الجمل نقلاً عن الخطيب، ولما بالغ تعالى في تقرير النبوة، ثم أردفه بذكر دلائل التوحيد، ثم ذكر تعالى عقبه أحوال القيامة، ووصف الأشقياء، والسعداء؛ أتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم السلام؛ ليكون سماعها مرغباً في العبادة، الموجبة للفوز بدرجات الأولياء، ومحذراً عن المعصية الموجبة لاستحقاق دركات الأشقياء، وافتتح من ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام. انتهى.

الإعراب: (نبئهم): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول، ﴿عَن ضَيْفِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و﴿ضَيْفِ﴾ مضاف، و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، والجملة الفعلية: ﴿وَنَبِّئْهُمْ...﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل (نبئهم).

هذا وقد قال الجمل نقلاً عن كرخي: ﴿إِذْ﴾ إما معمول لفعل مقدر؛ أي: اذكر، وإما ظرف على بابه، والعامل فيه محذوف، تقديره: خبر ضيف، أو نفس ضيف، وتوجيه ذلك: أنه لما كان في الأصل مصدراً؛ اعتبر ذلك فيه، ويدل على اعتبار مصدريته بعد الوصف به عدم مطابقته لما قبله، تثنية، وجمعاً، وتأنيثاً في الأغلب، ولأنه قائم مقام وصف، والوصف يعمل، أو أنه على حذف مضاف؛ أي: أصحاب ضيف إبراهيم؛ أي: ضيافته، فالمصدر باق على حاله، فلذلك عمل. انتهى. وأبو البقاء قال بمعنى: هذا الكلام.

﴿دَخَلُوا۟﴾: ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة واو الجماعة، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿سَلَٰمًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. هذا وجوز اعتبار ﴿سَلَٰمًا﴾ مفعولاً به لـ: (قالوا)؛ لأنه يتضمن كلاماً كثيراً، أو على معنى: (ذكروا سلاماً) ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، ونا: اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿وَجِلُونَ﴾: خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الملائكة. ﴿لَا تَوْجَلْ﴾: لا تخف، والوجل الخوف، وقرىء: (لا تُوجَلْ) بالبناء للمجهول، وقرىء: (لا تَاجَلْ)، و: (لا تُواجَل). ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾: هنا البشارة لإبراهيم. وفي (هود) كانت لـ: «سارة»، انظر الآية رقم [٧١] منها. ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: هو إسحاق كما صرح بذلك في سورة (هود)، وعليم بالأحكام والشرائع، وينبغي أن تعلم: أن الله قال في بشارته بإسماعيل عليه السلام ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ الصافات الآية رقم [١٠١] منها ممَّا يدل على أن الذبيح هو إسماعيل، وليس إسحاق كما يدعيه اليهود والنصارى. ﴿قَالَ﴾ أي: إبراهيم. ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾: استفهام تعجب من أن يولد له ولد مع مسه الكبر ومس امرأته وقد ذكر في سورة (هود) ذلك مفصلاً. ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: فبأي: شيء تبشروني، فإن البشارة تكون عادة ممَّا يتوقَّع حصوله، ويرجى الوصول إليه. هذا؛ وقد قرئ الفعل: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون، وبكسرها مع التشديد أيضاً والتخفيف، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا و«غلام» يطلق على الصبي دون البلوغ، وجمعه: غلمان، وغلمة، وأغلمة، كما يطلق على العبد، والأجير اسم الغلام؛ وإن كانا كبيرين. هذا؛ وقد يقال للأنثى: غلامة، خذ قول الشاعر: [الطويل]

فَلَمْ أَرَ عَاماً عَوْضُ أَكْثَرَ هَالِكاً ... وَوَجْهَ غُلامٍ يُشْتَرَى وَغُلَامَهْ

(بم): كلمة مؤلفة من حرف واسم، فالحرف الباء الجارة، والاسم «ما» الاستفهامية، وقد حذفت ألفها كما تحذف مع كل جار، نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ للفرق بين الموصولة والاستفهامية، ويقال: للفرق بين الخبر، والاستخبار.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَوْجَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّا﴾: انظر مثلها في الآية السابقة. ﴿نُبَشِّرُكَ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للنهي لا محل لها، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِغُلَٰمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة غلام. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتعجب. (بشرتموني): ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿مَّسَّنِيَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿ٱلْكِبَرُ﴾: فاعله، و﴿أَن﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَبِمَ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (بم): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، وانظر الشرح. ﴿تُبَشِّرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وهذا على القراءة بفتح النون، وأما على كسرها، فتكون نون الرفع قد حذفت مع التخفيف، وأدغمت مع نون الوقاية مع التشديد، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط جازم مقدر بـ: «إذا» إذ التقدير: وإذا كان الأمر كما ذكرت فبم... إلخ، والكلام في محل نصب مقول القول.

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصدق الذي قضاه الله تعالى بأن يخرج منك ولداً ذكراً، تكثر ذريته، وهو «إسحاق» عليه الصلاة، والسلام. ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ أي: الآيسين من ذلك، فإنه تعالى قادر على كل شيء، فكيف يعجز عن إيجاد ولد مِنْ أبوين شيخين، وكان استعجاب إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه باعتبار العادة دون القدرة؛ ولذلك قال ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾، وانظر شرح (الحق) في الآية [١٢٠] من سورة (هود).

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بَشَّرْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَلَا﴾ الفاء: هي الفصيحة، وهي حرف عطف على قول مَنْ يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا)،

واسمه مستتر تقديره: أنت. ﴿مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُن﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك صحيحاً وواقعاً فلا تكن... إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: المعنى لا يقنط من رحمة الله تعالى إلا المكذبون الذاهبون عن طريق الحق والصواب، فلا يعرفون سعة رحمة الله، وكمال علمه، وقدرته، كما قال تعالى: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هذا ويقرأ ﴿يَقْنِطُ﴾ بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان، وفي المختار: القنوط اليأس، وبابه جلس ودخل وطرب وسلم، فهو قَنِط، وقَنوط، وقانِط، وقرئ شاذًّا بضم النون.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿وَمَن﴾: الواو: زائدة. (مَنْ): اسم استفهام معناه النفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَقْنَطُ﴾: مضارع، ﴿مِن رَّحْمَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿رَّحْمَةِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِۦٓ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: فاعل ﴿يَقْنَطُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة... إلخ، هذا هو الظاهر، وعند التأمل يتبين لك أن فاعل ﴿يَقْنَطُ﴾ يعود إلى (مَنْ) الاستفهامية، والضالون بدل من الفاعل المستتر بدل بعض مِنْ كل، على حد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآية رقم [١٣٥] من سورة (آل عمران).

وجملة: ﴿يَقْنَطُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يَقْنَطُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما أمركم وشأنكم، وما الذي جئتم به؟ والخطب الأمر الخطير، قال البيضاوي: ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة؛ لأنهم كانوا عدداً، والبشارة لا تحتاج إلى العدد؛ ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا، ومريم عليهما السلام، أو؛ لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجل، ولو كانت البشارة تمام المقصود لابتدؤوه بها. انتهى. ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: أيها الملائكة المرسلون إليَّ.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). ﴿فَمَا﴾ الفاء: حرف صلة، وانظر مثلها في الآية رقم [٣٤]. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.

﴿خَطْبُكُمْ﴾: خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، ﴿أَيُّهَا﴾: منادى نكرة مقصودة حذف منه أداة النداء مبني على الضم في محل نصب بـ: «يا» المحذوفة، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: بدل من (أيُّ)، أو عطف بيان عليه، أو صفة، فهو مرفوع تبعاً للفظه، وعلامة رفعه الواو. . . إلخ، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٨] من سورة (يوسف) عليه السلام، إن أردت الزيادة، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ: مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكة. ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كافرين لإهلاكهم. ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: هم من الناجين بدليل ما بعده. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين مع الكفرة لتهلك معهم، والتذكير لتغليب الذكور. هذا؛ وفي المختار: غبر الشيء: بقي، وغبر أيضاً: مضى، فهو من الأضداد، وبابه: دخل. انتهى. والغابر: اسم الفاعل منه يحتمل: الماضي والباقي أيضاً، ولهذا يمكن أن يقال: في غابر الأزمان وحاضرها، كما يقال: في غابر الأزمان وماضيها، قال أبو ذؤيب الهذلي من قصيدة يرثي بها أولاده: [الكامل]

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالُ أَنِّي لَاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ

قال الخازن: وإنما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم، وإن كان ذلك لله عز وجل، لاختصاصهم بالله، وقربهم منه، كما تقول خاصة الملك: نحن أمرنا، ونحن فعلنا، وإن كان قد فعلوه بأمر الملك، ثم قال: والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي، فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين. انتهى. وهذا ملخص ما ذكره القرطبي، والزمخشري، وأبو البقاء، وغيرهم.

فائدة: حكي: أن الكسائي سأل أبا يوسف يوماً، فقال له: ما تقول في رجل قال: له عليَّ مئةُ درهم إلا عشرةً إلا اثْنَيْنِ؟. فقال: يلزمه ثمانٌ وثمانون، فقال له الكسائي: يلزمه اثنان وتسعون. واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾، فحجَّه بذلك ـ رضي الله عنهم، وأرضاهم أجمعين ـ.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿أُرْسِلْنَآ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، و(نا): نائب فاعله. ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: صفة قوم مجرور. . إلخ، وجملة: ﴿أُرْسِلْنَآ...﴾ إلخ في محل

رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿ءَالَ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّآ﴾ فإن كان من القوم، فهو استثناء منقطع، وإن كان من الضمير المستتر في ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ فهو متصل، و﴿ءَالَ﴾: مضاف، و﴿لُوطٍ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّا﴾: مثل سابقتها. ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (منجوهم): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد للضمير فهو مجرور تبعاً للفظه... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة إذا اتصل الاستثناء، ومتصلة بـ: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ جارية مجرى خبر «لكنَّ» إذا انقطع. انتهى. بيضاوي، وجمل. ولا مفهوم له، ويبقى محل الجملة مجهولاً، وأرى أنها في محل نصب حال من آل لوط، والرابط: الضمير فقط. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: مستثنى بإلا من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، أو من الضمير بقوله: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَدَّرْنَآ﴾: فعل، وفاعل، ويقرأ بتشديد الدال وتخفيفها، والفعل معلق عن العمل باللام بعده؛ لأنه بمعنى: العلم؛ ولذا كسرت همزة (إنَّ). ﴿إِنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من الغابرين): متعلقان بمحذوف خبر (إن...) إلخ في محل نصب حال من امرأته، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير قد قبلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: المعنى الإجمالي لهذه الآيات: لما بشر الملائكة إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالولد، وأخبروه بما هم عازمون عليه من إهلاك قوم لوط المجرمين؛ تركوه، وذهبوا إلى لوط، عليه السلام، فلما دخلوا عليه؛ قال لهم: إني لا أعرفكم؛ لأنهم دخلوا عليه في زي شبان مرد حسان الوجوه، فخاف عليهم من قومه المجرمين الذين كانوا يفعلون الفواحش، فقالوا له: أتيناك بما يشك فيه قومك من العذاب المهين الذي لا شك واقع فيهم، وإنا لصادقون فيما نخبرك به من إهلاكهم، ووقوع العذاب بهم، وتفصيل ذلك تجده في سورة (الأعراف)، وسورة (هود) وسورة (الشعراء) و(النمل).

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿جَآءَ﴾: ماض، وهو متعدٍّ هنا، وقد يأتي لازماً. ﴿ءَالَ﴾:

مفعول به، وهو مضاف، و﴿لُوطٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: فاعل ﴿جَآءَ﴾ مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على اعتبار (لما) حرفاً، وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿لُوطٍ﴾. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿قَوْمٌ﴾: خبرها. ﴿مُّنكَرُونَ﴾: صفة ﴿قَوْمٌ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿جِئْنَٰكَ﴾: ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالباء. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: (يمترون فيه) في محل نصب خبر: ﴿كَانُواْ﴾، وهذه الجملة صلة الموصول، لا محل لها، وإن اعتبرت (ما) موصوفة فالجملة صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (في)، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (أتيناك): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (نا) الفاعل. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، ﴿لَصَٰدِقُونَ﴾: خبر (إنّ) مرفوع... إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من (نا) والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: مِنْ قوله: ﴿فَأَسْرِ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَدٌ﴾: أرجو أن تنظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٨١] من سورة (هود) عليه السلام مع ملاحظة زيادة الجملة: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ هنا، ومعناها: اتبع آثار أهلك، وسر خلفهم، وامنعهم من الالتفات إلى الوراء. ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي: إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه. وهو الشام، أو مصر. وقيل: إلى حيث يأمركم جبريل، وذلك: أن جبريل عليه السلام أمرهم أن يسيروا إلى قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط، وانظر شرح: ﴿حَيْثُ﴾ في الآية رقم [٥٦] من سورة (يوسف).

الإعراب: من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَدٌ﴾: انظر إعراب الآية رقم [٨١] من سورة (هود) عليه السلام ففيها الكفاية. (امضوا): أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة،

والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على السكون المقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو، ويقال: منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرك بالضم لمناسبة واو الجماعة، وقل مثله في قولك: «ادخلا» والمانع من ظهور السكون الفتح الذي جيء به لمناسبة ألف الاثنين، وأيضاً قولك: «ادخلي» والمانع من ظهور السكون الفتح الذي جيء به لمناسبة ياء المؤنثة المخاطبة التي هي فاعله. ﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. وقيل: مفعول به، ولا وجه له؛ لأن «مضى» لازم، مبني على الضم في محل نصب. ﴿تُؤْمَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، وجملة: ﴿وَٱمْضُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَأَسْرِ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء، والكلام كله في محل نصب مقول القول؛ لأنه من مقول الملائكة.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ...﴾ إلخ: أي: وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي حكمنا به على قومه، وأبرمناه فلا رجوع عنه، وهذا الأمر أنَّ هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم وقت الصبح، وإنما أبهم الأمر الذي قضاه عليهم أولاً، وفسره ثانياً تفخيماً له، وتعظيماً لشأنه. هذا؛ وقد ذكرت لك في سورة (هود) عليه السلام في الآية رقم [٨١] أنَّ الملائكة لمَّا وعدوا لوطاً بإهلاك قومه في الصباح قال: أريد أسرع من ذلك، فقالوا له: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾. هذا؛ و«الدابر»: آخر كل شيء. وأخيراً انظر: (قضى) في الآية رقم [٤٤] من سورة (الأنفال)، أو في سورة (الإسراء) رقم [٤].

الإعراب: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (قضينا): فعل، وفاعل، وانظر إعراب (حفظنا) في الآية رقم [١٧]. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به؛ لأن الفعل بمعنى: «أوحينا»، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلْأَمْرَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿دَابِرَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿مَقْطُوعٌ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: حال من الضمير المستتر في ﴿مَقْطُوعٌ﴾، وجمعه للحمل على المعنى، فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء، أو هو حال من اسم الإشارة، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب بدل من الأمر، أو عطف بيان عليه، وقد فسر الأمر كما ترى. وقيل: في محل

رفع خبر لمبتدأ محذوف، والأول: أقوى معنى، وجملة: ﴿وَقَضَيْنَآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها على اعتبارها من مقول الله تعالى، وهو الراجح.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: لما علم قوم لوط بوجود الرسل عنده؛ أقبلوا؛ وهم فرحون طمعاً منهم في ركوب الفاحشة التي اعتادوها، وامرأة لوط هي التي أخبرت القوم بالرسل، فقال لوط ـ عليه السلام ـ: إن هؤلاء حلّوا ضيوفاً عندي، وواجب علي أن أكرمهم، وأن أدافع عنهم ما استطعت، وَمَنْ أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه، وخذلان الضيف فضيحة يفشو أمرها بين الناس، ثم قال لهم: اتقوا الله، وخافوه، ولا تخزوني بالإساءة إلى أضيافي! وما أجدرك أن تنظر المزيد من ذلك في الآية رقم [٧٨] من سورة (هود) عليه السلام، وينبغي أن تعلم: أنَّ الفعل: «جاء» يكون لازماً، إن كان بمعنى: حضر وأقبل، ويكون متعدياً إن كان بمعنى: وصل وبلغ، ومثله: «أتى» والآيات التي بين يديك توضح ذلك، وربك أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَجَآءَ﴾: الواو: حرف عطف. (جاء): ماض. ﴿أَهْلُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾، وجملة: ﴿وَجَآءَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (قضينا...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (لوط). ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ضَيْفِى﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع.. إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَفْضَحُونِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وحذفت ياء المتكلم للتخفيف، وكسرة النون دليل عليها، والجملة: ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك هو الواقع فلا تفضحون بانتهاك حرمة ضيفي، والشرط المقدر ومدخوله في محل نصب مقول القول. ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون... إلخ والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول، وإعراب ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ مثل إعراب ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بلا فارق، وهي معطوفة على ما قبلها. تأمل، وتدبر.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٠ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾

الشرح: قال قوم لوط له: أو لم ننهك أن تضيف أحداً من الناس. أو المعنى: ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا في أحد من العالمين إذا قصدناه بالفاحشة. وكان لوط عليه السلام يعظهم، ويمنعهم من ذلك بقدر وسعه، بل ويبذل جهده في ذلك، ولمَّا أصروا على ما يريدون؛ قال لهم لوط: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ...﴾ إلخ: وما أجدرك أن تنظر ذلك في سورة (هود) عليه السلام الآية رقم [٧٨] ففيها الدواء الشافي، والغذاء الكافي لمن كان له قلب، أو ألقى السمع؛ وهو شهيد.

﴿لَعَمۡرُكَ﴾: هذا قسم بحياة المخاطب، والمخاطب بذلك النبي ﷺ. وقيل: بل المخاطب لوط عليه السلام، قالت له الملائكة ذلك.

هذا؛ وقال الجمل: وفي الكرخي، وفي «الدر المنثور» للشيخ المصنف: أخرج ابن مَرْدَوَيْهِ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله، قال: (مَا حَلَفَ اللهُ بحياةِ أحَدٍ إلَّا بحياةِ محمدٍ، قال: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾ أي: ضلالهم وغوايتهم، وقيل: في غفلتهم. ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: يتحيرون ويترددون، فكيف يسمعون نصحك، ويقبلون موعظتك؟! والضمير يعود إلى قريش، أو إلى قوم لوط حسب ما رأيت من خلاف في المخاطب. هذا؛ و«العمه»: التحير والتردد، وهو قريب من العمى، لكن العمى يطلق على ذهاب نور العين، وعلى الخطأ في الرأي، والعمه لا يطلق إلا على الثاني.

وفي المصباح «عَمِهَ، عمهاً» من باب: «تعب»: إذا تردد متحيراً، و«تعَامَهَ» مأخوذ من قولهم: أرض عَمْهَاءُ إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة، فهو عَمِهٌ، وأعمهٌ، وهذا الفعل لم أر له ماضياً، ولا أمراً، فيظهر: أنه فعل جامد، لا يأتي منه غير المضارع، وإن ذكر له في كتب اللغة ماض؛ لكنه لم يستعمل، ولم يتداول.

تنبيه: «لَعَمركَ»: كلمة تستعمل في القسم من: عَمِر الرجلُ بكسر الميم يعمر عَمراً بفتح العين، وضمها؛ إذا عاش زمناً طويلاً، ومعناه: أحلف بحياتك، فمفتوح العين إذا دخلت عليه اللام، رفع على الابتداء، والخبر محذوف وجوباً، وإن لم تدخل عليه اللام نصب نصب المصادر، والرفع قليل، فيقال: عَمْرَ اللهِ ما فعلت كذا، وعَمْرَكَ اللهُ ما فعلت كذا، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الخفيف]

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟

وقد يقرن به حرف القسم، كما في قول عمر أيضاً: [الوافر]

بِـعَـمْـرِكَ هَـلْ رأيـتَ لَـهَـا سَـمِـيًّـاً فَـشَـاقَـكَ أَمْ لَـقَـيْـتَ لَـهَـا خَـدِيـنَـا؟

ومعنى: «لعمرُ الله وعَمْرَ اللهِ»: أحلف ببقاء اللهِ ودوامِهِ، ومعنى: «عَمْرَكَ اللهُ»: أحلِفُ بتعميرِكَ اللهَ؛ أي: بإقرارك له بالبقاء، ويأتي بمعنى: سألت اللهَ أن يطيل عمرك، من غير إرادة القسم، وكلمة «عَمْر» في غير رواية الرفع منصوبة، كما ترى، أو مجرورة بحرف القسم، والاسم الكريم بعدها يجوز أن تقرأه بالرفع، والنصب، فأما نصب «عَمْرَ» فذهب الأخفشُ، والمبردُ، وأبو سعيدٍ السيرافي إلى أنه منصوب على حذف حرف القسم، وأصل الكلام: بعمرِكَ اللهَ، وأصله الأصيل: بتعْميرِكَ اللهَ؛ أي: بإقرارك له بالبقاء، والدوام، فتكون الكاف في موضع رفع على أنها فاعل بالمصدر، والاسم الكريم منصوب على التعظيم.

وذهب أبو علي الفارسي إلى انتصاب «عمرك» على أنه مفعول مطلق، وأصل الكلام عمرك الله تعميراً، فأضيف المصدر إلى المفعول، وارتفع الاسم الكريم بعده على أنه فاعل، والظاهر من كلام سيبويه على ما قاله أبو حيان انتصاب: «عمر» على أنه مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: أسأل تعميرك الله، وعليه يكون تعمير مفعولاً به، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله، ولفظ الجلالة منصوب بـ: «أسأل» أيضاً، كأنه قال: أسأل الله أن يطيل عمرك. انتهى. بعد هذا ينبغي أن تعلم أن القسم بـ: «لعمرك، ولعمري، ولعمر الله» يستعمل في أشعار العرب، وفصيح كلامها بكثرة، فمن المخاطب قول طرفة بن العبد: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ إن الْـمَـوْتَ مَـا أَخْـطَـأَ الـفـتَـى لَـكَـالـطِّـوَلِ الْـمُـرْخَـى وَثِـنْـيَـاه بِـالْـيَـدِ

ومن استعماله في المتكلم قول النابغة الذبياني: [الطويل]

لَـعَـمْـرِي ومَـا عَـمْـرِي عَـلَـيَّ بِـهَـيِّـنٍ لَـقَـدْ نَـطَـقَـتْ بُـطْـلاً عَـلَـيَّ الأقَـارِعُ

ومن استعماله للغائب قول القحيف بن سليم العقيلي: [الوافر]

إذا رَضِـيَـتْ عَـلَـيَّ بَـنُـو قُـشَـيْـرٍ لَـعَـمْـرُ اللهِ أَعْـجَـبَـنِـي رِضَـاهَـا

وختاماً ينبغي أن تعلم: أن هذا اللفظ، وهذا الاستعمال لم يرد في غير هذه السورة من سور القرآن الكريم.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار. الواو: حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿نَنْهَكَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» والكاف مفعول به. ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿لُوطٍ﴾. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع

مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَنَاتِيٓ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

وقال الجمل نقلاً عن السمين: يجوز فيه، أوجه؛ أحدها: أن يكون هؤلاء مفعولاً بفعل مقدر؛ أي: تزوجوا هؤلاء، و﴿بَنَاتِيٓ﴾ بيان، أو بدل، الثاني: أن يكون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ مبتدأً، وخبراً، ولا بدَّ من شيء محذوف تتم به الفائدة؛ أي: فتزوجوهن، الثالث: أن يكون هؤلاء مبتدأ، وبناتي بدل، أو بيان، والخبر محذوف؛ أي: هنَّ أطهر لكم كما جاء في نظيرها. انتهى. ويعني: في الآية رقم [٧٨] من سورة (هود) عليه السلام، وقريب منه قول أبي البقاء.

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم، ﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿فَٰعِلِينَ﴾: خبر كان منصوب... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: إن كنتم فاعلين فانكحوهن. والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿لَعَمۡرُكَ﴾: اللام: لام الابتداء. (عمرك): مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، أو من إضافة المصدر لفاعله حسب ما رأيت في الشرح، وخبر المبتدأ محذوف وجوباً تقديره: قسمي. ﴿إِنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَفِي﴾: اللام: هي المزحلقة، (في سكرتهم): متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن). هذا؛ واعتبر أبو البقاء الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر (إن)، وجملة: ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ حالاً من الضمير المستقر في الجار والمجرور، أو من الضمير المجرور بالإضافة. تأمل.

والجملة الاسمية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول قول محذوف، والقائل الملائكة، أو مِنْ مقول الله تعالى حسب ما رأيت في الشرح.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: يعني صيحة هائلة مهلكة. وقيل: هي صيحة جبريل عليه السلام، ولكن الهلاك لم يكن بها، وإنما هي للدهشة، وإيقاع الرعب في قلوبهم، والهلاك بالصيحة كان في قوم هود، وصالح عليهما السلام، وهلاك قوم لوط كان بما أفادته الآية التالية، وانظر ما ذكرته عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الآية رقم [٩٤] من سورة (هود) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿مُشْرِقِينَ﴾: وقت شروق الشمس؛ أي: طلوعها. وقيل: وقت شروق الفجر، فيكون أول العذاب عند الصبح، وامتد إلى شروق الشمس، فكان تمام الهلاك عند ذلك، و«أشرقت» الشمس و«شرقت» مثل: أضاءت، وضاءت، فهما لغتان بمعنى واحد، وانظر شرح الآية التالية بكاملها في الآية رقم [٨٢] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: فيما وقع لقوم لوط من العذاب علامات، أو عبر، وعظات. ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفكرين المتفرسين. وقيل: للناظرين. قال طريف بن تميم العنبري: [الكامل]

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ ... بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

وقال قتادة: للمعتبرين. وقال أبو عبيدة: للمتبصرين، كقول زهير: [الطويل]

وَفِيهِنَّ مَلْهىً لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرٌ ... أَنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ الْمُتَوَسِّمِ

ويعضد القول الأول: ما روي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا فِراسةَ المُؤْمِنِ فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهِ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، أخرجه الترمذي. وقال: حديث غريب. وهذا؛ وقد ذكر القرطبي من فراسة بعض الصحابة، والتابعين الشيء الكثير. ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: وإن قرىٰ قوم لوط على طريق قومك يا محمد في ذهابهم إلى الشام، وإيابهم منها، فهم يشاهدون ذلك، ويرون أثر العقاب الذي نزل بها، وانظر شرح (سبيل) في الآية رقم [١٠٨] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أخذتهم): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿الصَّيْحَةُ﴾: فاعل. ﴿مُشْرِقِينَ﴾: حال من الضمير المنصوب، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. (جعلنا): فعل، وفاعل وهو بمعنى: صيرنا. ﴿عَالِيَهَا﴾: مفعول به أول. ﴿سَافِلَهَا﴾: مفعول به ثان، و(ها): في محل جر بالإضافة، وهي عائدة على القرى، ولم يتقدم لها ذكر، ولكنها مفهومة من المقام، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٢] من سورة (هود) عليه السلام، وجملة: ﴿فَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿حِجَارَةً﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم إن مؤخر منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آيات)، أو هما متعلقان بها؛ لأنها بمعنى: علامات، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي...﴾ إلخ مستأنفة، أو مبتدأة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَإِنَّهَا﴾: الواو: واو الحال.

(إنها): حرف مشبه بالفعل. و(ها): اسمها. ﴿لِبِسَبِيلٍ﴾: اللام: هي المزحلقة. (بسبيل): متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّقِيمٍ﴾: صفة (سبيل). والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وعليه فالجملة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ معترضة بين الحال وصاحبها، وهذا أقوى من عطف الجملة الاسمية على الجملة المستأنفة قبلها. تأمل، وتدبر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي ذكر من عذاب قوم لوط. ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لعبرة ودلالة للمصدقين المقرِّين بما أنزل على محمد ﷺ. وصدقوا جميع الأنبياء والرسل، وعرفوا: أن ذلك إنما كان لانتقام الله من الجهال لأجل مخالفتهم أوامر الله تعالى، وأما الذين لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم، وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية، وجمع «الآيات» أولاً، باعتبار تعدد ما قصَّ الله من حديث لوط، وضيف إبراهيم، وتعرض قوم لوط لهم، وما كان من هلاكهم، وقلب المدائن على من فيها، وإمطار الحجارة على من غاب عنها، ووحدها ثانياً باعتبار وحدة قرية قوم لوط المشار إليها بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ فلا يرد كيف جمع «الآية» أولاً، ووحدها ثانياً، والقصَّة واحدة. انتهى. جمل، نقلاً عن كرخي.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾: انظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٣] وما بعدها من سورة (هود) عليه السلام، ففيه الغذاء الكافي، والدواء الشافي، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع، وهو شهيد. ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: أهلكناهم انتقاماً منهم لسوء أعمالهم، والانتقام: المبالغة في العقوبة، والأخذ الشديد بالثأر. ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إن مدينة قوم لوط، ومدينة أصحاب الأيكة بطريق واضح مستبين لمن مرَّ بهما. وقيل: إن الضمير يعود إلى مدين والأيكة اللتين أرسل إليهما شعيب عليه السلام؛ لأنه بعث إليهما كما رأيت في الآيات المشار إليها من سورة (هود). هذا؛ وسمي الطريق إماماً؛ لأنه يؤتم ويتبع، والمسافر يأتم به حتى يصل إلى مقصده، ففي ذلك استعارة تصريحية؛ لأن الطريق سبيل الوصول والمسافر فيه يتبعه حتى النهاية فاستعمل المشبه به بدلاً من المشبه، وانظر قصة أصحاب الأيكة مفصلة في سورة (الشعراء)، فإنك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ إعراب هذه الآية مثل إعراب الآية رقم [٧٥] والجملة الاسمية فيها معنى التأكيد لتلك الجملة. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف، أو هي حرف عطف لعطف قصة على قصة. (إن): حرف مشبه بالفعل، مخفف من الثقيلة، مهمل لا عمل له. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾: مضاف إليه.

﴿لَظَالِمِينَ﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات. (ظالمين): خبر كان منصوب... إلخ، وجملة: ﴿وَإِن كَانَ...﴾ إلخ معطوفة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (انتقمنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجمع الضمير باعتبار الأفراد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على محذوف، التقدير: أي: أمعنوا في الضلال، والفساد، فانتقمنا... إلخ. ﴿وَإِنَّهُمَا﴾: الواو: واو الحال. (إنهما): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿لَبِإِمَامٍ﴾: اللام: هي المزحلقة. (بإمام): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور بـ: (مِنْ)، والرابط: الواو، والضمير، وقد ثني الضمير باعتبار القومين، أو البلدتين، والآية مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: المراد بأصحاب الحجر: قبيلة ثمود الذين كذبوا نبيهم صالحاً عليه السلام، وإنما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم، أو لأن مَنْ كذب واحداً من الرسل؛ فكأنما كذب الجميع، و﴿ٱلْحِجْرِ﴾ اسم واد كانت تسكنه قبيلة ثمود، وهو معروف بين المدينة والشام، عند وادي القرى، وآثاره موجودة باقية، يمر عليها ركب الشام إلى الحجاز، وركب الحجاز إلى الشام. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: أريناهم المعجزات الباهرة، وهي الناقة وولدها، وخروجها من الصخرة، وعظم جثتها، وقرب ولادها، وغزارة لبنها. ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا﴾: عن الآيات المذكورة. ﴿مُعْرِضِينَ﴾: تاركين لها غير مكترثين فيها. ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ...﴾ إلخ: أي: يحفرون بيوتهم في سفوح الجبال، خوفاً من الأعداء، أو من الخراب، أو خوفاً من العذاب، وذلك لشدة جهلهم وغفلتهم: أن الجبال تحميهم منه، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل التي فيها العذاب، والهلاك وقت الصبح، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٤] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: فما نفعهم، ولا دفع عنهم العذاب ما كانوا يبنون من البيوت الوثيقة، وما كانوا يجمعون من الأموال، وما يستكثرون من العدد، والعدد.

هذا؛ وإن قصة صالح ـ عليه السلام ـ مع قومه قد مرت معنا في سورة (الأعراف)، وسورة (هود) عليه السلام بأوسع منها في هذه السورة، وانظر شرح (آيات) في الآية رقم [١]. هذا؛ والحجر يطلق على أشياء كثيرة: «حجر الإنسان» بفتح الحاء وكسرها، وهو ما بين يديه من ثوبه،

ويقال: نشأ فلان في حجر فلان؛ أي: تحت رعايته وحفظه، وهو بفتح الحاء: المنع من التصرفات المالية لصغر، أو سفه، أو فلس، وغير ذلك، و«الحجر» بكسر الحاء يطلق على الفرس الأنثى، وعلى العقل، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ ويطلق على حجر إسماعيل، وعلى حجر ثمود، وعلى الكذب، وعلى الحرام، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وقد نظمها بعضهم بقوله: [البسيط]

رَكِبْتُ حِجراً، وَطُفْتُ البيتَ خلْفَ الحجر وَحُزتُ حِجْراً عظيماً في دُخُولِ الْحِجْر
للهِ حَجْرٌ مَنعَني مِنْ دُخولِ الحِجر مَا قُلْتُ حِجراً، وَلَوْ أُعْطِيتُ مِلْءَ الْحِجر

تنبيه: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لمَّا مرَّ رسول الله ﷺ بالحِجْر، قال: **«لا تَدْخُلُوا مساكِنَ الذين ظَلمُوا أنفسَهُمْ أَنْ يُصِيبكُمْ ما أصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تكونوا باكينَ، ثُمَّ قَنَّعَ رأسَهُ، وأسرعَ السَّيْر حَتَّى جاوَزَ الوادِيَ»**. متفق عليه، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ، لما نَزَلَ بالحِجْرِ في غزوةِ تبُوك، أمَرهُمْ أَلَّا يَشْربوا من بئْرِهَا، ولا يَسْتَقُوا منها، فقَالُوا: عَجَنَّا، واسْتَقيْنَا، فَأَمرهُمْ أن يُهْرِيقوا الماءَ، وأن يطرحوا ذلكَ العجينَ» رواه البخاري.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (قد): حرف تحقيق بقرب الماضي من الحال. ﴿كَذَّبَ﴾: ماض. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْحِجْرِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب.. إلخ، وجملة: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ...﴾ إلخ جواب القسم الذي رأيت تقديره لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. (آتيناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و(نا): في محل جر بالإضافة. (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُعْرِضِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، وجملة: (كانوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿يَنْحِتُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿بُيُوتًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة المشهورة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿بُيُوتًا﴾: مفعول به. ﴿ءَامِنِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب وعلامة نصبه الياء.. إلخ، وجملة: ﴿يَنْحِتُونَ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿وَكَانُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب الآية رقم [٧٣] بلا فارق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية وجوز اعتبارها استفهامية، وليس بشيء يعتد به. ﴿أَغْنَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿عَنْهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فما أغنى عنهم الذي، أو شيء كانوا يكسبونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: فما أغنى عنهم كسبهم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: من أفلاك، وكواكب، وما على الأرض من دواب، وجبال، وأنهار، وغير ذلك. ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لإظهار الحق، والمجازاة، وهو أن يثاب المؤمن المصدق، ويعاقب الجاحد الكافر المكذب. ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي: القيامة لا بد واقعة ليجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ أي: أعرض عنهم يا محمد، واعف عنهم عفواً حسناً، واحتمل ما تلقى من أذى قومك. وهذا الصفح، والإعراض منسوخ بآية القتال. وقيل: فيه بعد؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يظهر الخلق الحسن، وأن يعاملهم بالعفو، والصفح الخالي من الجزع، والخوف. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾: الذي خلقك، وخلقهم، وبيده أمرك، وأمرهم، و﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾ صيغة مبالغة للتكثير، وقرئ: (الخالق). ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالك، وحالهم، فكل إليه أمرك، وأمرهم؛ ليحكم بينكم يوم القيامة.

هذا وقد أعاد الضمير إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مثنًّى، والمرجوع إليه مجموع السموات والأرض، وتثنية الجمع جائزة على تأويل الجماعتين، ومنه قول الشاعر يذم عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً، فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَداً ... فكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ؟

لأصبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً، وَلَمْ يَجِدُوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ في الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

فقد ثنى جمالاً، الذي هو جمع: جمل، والعقال: صدقة عام، والسبد: المال القليل، واللبد المال الكثير، وأوباداً هلكى جمع وبْد، فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الزكوات في سنة واحدة، فظلم، وأخذ أموالنا بغير حق؛ حتى لم يبق لنا شيء قليل من المال، فكيف يكون حالنا، أو كيف يبقى لأحد مال لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟! ثم أقسم، فقال: والله لو صار عمرو عاملاً سنتين لصارت القبيلة هلكى، فلا يكون لهم عند التفرق في الحرب جمالان؛ أي: قطيعان من الجمال فيختل أمر الغزوات.

هذا والساعة: القيامة سميت بذلك؛ لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى. وقيل: سميت ساعة؛ لسرعة الحساب فيها؛ لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة، أو أقل من ذلك، وانظر علامات الساعة في الآية رقم [١٨٧] من سورة (الأعراف)، ولا تنس: أن ساعة كل إنسان وقيامته وقت مقدِّمات الموت، وما فيه من أهوال، ولذا قال النبي ﷺ «**مَنْ مَاتَ؛ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ**».

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف، (ما): نافية. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم و الألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ أي: إلا ملتبساً بالحق والحكمة، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا خَلَقْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

(إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: اسمها. ﴿لَءَاتِيَةٌ﴾: خبر (إنَّ). ﴿لَءَاتِيَةٌ﴾: اللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَٱصْفَحِ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٦٨]. (اصفح): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلصَّفْحَ﴾: مفعول مطلق. ﴿ٱلْجَمِيلَ﴾: صفته، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً؛ فاصفح... إلخ، والكلام لا محل له، سواء عطفته، أو استأنفته. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾، ويجوز اعتبار ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ خبران له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. هذا؛، ولا يجوز اعتبار الضمير تأكيداً؛ لأن الاسم الظاهر لا يؤكد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: لقد اختلف في السبع المثاني على أقوال كثيرة:

أحدها: أنها هي الفاتحة، قاله عمر، وعلي، وأبو هريرة، والرَّبيع بن أنس، وأبو العالية والحسن، وغيرهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. وحجَّتهم ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله أُمُّ القرآنِ، وأُمُّ الكِتابِ، والسَّبْعُ الْمَثاني**». أخرجه أبو داود، والترمذي. وسميت الفاتحة سبعاً؛ لأنها سبع آيات بإجماع أهل العلم، وسميت بالمثاني؛ لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين، فنصفها

الأول: ثناء على الله، ونصفها الثاني: دعاء. ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال، يقول الله تبارك وتعالى: «قسمت الصلاة بيني، وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل» وقيل: غير ذلك.

القول الثاني: أنها السبع الطوال؛ أي: السور من البقرة.... إلى التوبة، وهذا قول ابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله سبحانهُ وتعالَى أعْطَانِي السَّبْعَ الطوالَ مكانَ التَّورَاةِ، وأعْطاني الْمِئِينَ مكانَ الإنجيلِ، وأعطاني مكانَ الزَّبُورِ المثانِي، وَفَضَّلني رَبِّي بِالمفصَّلِ**». أخرجه البغوي بإسناد الثعلبي. وقال ابن عباس: سميت السبع الطوال مثاني؛ لأن العبر، والأحكام، والحدود، والأمثال تثبت فيها. ورد هذا القول بأنَّ السور الطوال كلها مدنية، وسورة (الحِجْر) مكية.

القول الثالث: أن السبع المثاني هي القرآن كله. قاله طاوس والضحاك، ورواية عن ابن عباس، وحجة هذا القول قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ وسمي القرآنُ كله مثاني؛ لأن الأخبار، والقصص، والأمثال ثنيت فيه.

القول الرابع: أن المراد بالسبع المثاني أقسام القرآن من الأمر، والنهي، والتبشير، والإنذار، وضرب الأمثال، وتعديد النعم، وأنباء الأمم الماضية، قاله زياد بن أبي مريم، والصحيح الأول: من هذه الأقوال، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وإنما سمي القرآن: عظيماً؛ لأنه كلام الله، ووحيه، أنزله على خير خلقه محمد ﷺ، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٠]. ﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿سَبْعًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿سَبْعًا﴾. ﴿وَٱلْقُرْءَانَ﴾: معطوف على ما قبله من عطف الكل على البعض، أو هو من عطف المرادف. وقيل: الواو صلة، و(القرآن) بدل من ﴿سَبْعًا﴾، انظر الشرح والتفسير. ﴿ٱلْعَظِيمَ﴾: صفة القرآن، والجملة الفعلية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ...﴾ إلخ جواب القسم المقدَّر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: المعنى: يا محمد! لا تنظر إلى ما أعطيناه الكفار من متع الحياة الدنيا، ولذائذها، وشهواتها، فإن ذلك لا بقاء له، ولا دوام.

هذا؛ وأضاف سبحانه إلى ما ذكر في الآية رقم [١٣١] من سورة (طه) قوله: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾. والمعنى: أن الذي يعطاه أصناف الكفار من حطام الدنيا، إنما هو كالزهرة تتفتح في أول النهار، ثم تذبل في آخره، فقد نُهِيَ النبي ﷺ عن الرَّغبة في الدنيا، ومزاحمة أهلها عليها؛ ولذا كان لا ينظر إلى شيء مِنْ متعها، ولا يلتفت إليه، ولا يستحسنه.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا. وقيل: المعنى: لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا، فلك في الآخرة أفضل منه. ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ألن جانبك لمن آمن بك، وتواضع لهم. وفي هذه الجملة استعارة مكنية، وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، فقد استعير الطائر للذل، ثم حذفه، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل يسمونه: استعارة تخييلية، وانظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا، وقد قال ابن الجوزي: سبب نزول هذه الآية وسابقتها أنَّ سبع قوافل وافت من بصرى، وأذرعات ليهود قريظة، والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البزِّ، والطيب، والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوَّينا بها، وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله الآيتين الكريمتين، فيكون الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: أمته، وضُعِّفَ هذا القولُ؛ لأن السورة مكية بكاملها، وروي عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: من أوتي القرآن، فرأى: أن أحداً، أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي؛ فقد صغَّرَ عظيماً، وعظَّم صغيراً.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**انْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَل مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فهُوُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمةَ الله عَلَيْكُمْ**». رواه مسلم. قال عوف بن عبد الله بن عتبة: كنتُ أصحبُ الأغنياءَ، فمَا كَانَ أَحَدٌ أَكْثَرَ هَمّاً مني، كنتُ أَرَى دابةً خيراً من دابتي، وثوباً خيراً مِنْ ثوبي، فلمَّا سمعتُ هَذَا الحديث، صحِبْتُ الفقراءَ، فاسْتَرَحْتُ. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَمُدَّنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون حرف لا محل له. ﴿عَيْنَيْكَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿إِلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَتَّعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء، ﴿أَزْوَٰجًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ هذا وهناك وجه ثان، وهو اعتبار ﴿أَزْوَٰجًا﴾ حالاً من الضمير

في: ﴿بِهِۦ﴾ فيكون فيه مراعاة لفظ ﴿مَا﴾ مرة، ومعناها أخرى، فلذلك جمع، وعليه فـ: ﴿مِّنْهُمْ﴾ متعلقان بمحذوف مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَا تَمُدَّنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَحْزَنْ﴾: مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وما بعدها معطوفة عليها أيضاً.

﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح أي: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة المجرمين: إني نذير لكم من عذاب شديد، يقع بكم عاجلاً، أو آجلاً، كما أنزله الله بالمقتسمين الذين اختلفوا في شأن القرآن الكريم. وقالوا ما قالوا فيه من افتراءات، وأكاذيب، ولقد اختلف في ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ على أقوال سبعة:

الأول: قال مقاتل، والفراء: هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقتسموا طرق مكة، ومداخلها، يقولون لمن أراد الدخول فيها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا: ساحر، وربما قالوا: شاعر، وربما قالوا: كاهن، وسموا بالمقتسمين؛ لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم الله شرَّ مِيتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي ﷺ، قال: صدق أولئك.

الثاني: قال قتادة: هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله، فجعلوا بعضه شعراً، وبعضه سحراً، وبعضه كهانةً، وبعضه أساطيرَ.

الثالث: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. وكذلك قال عكرمة: هم أهل الكتاب، وسموا بالمقتسمين؛ لأنهم كانوا مستهزئين، فيقول بعضهم: هذه السورة لي، وهذه السورة لك، وهو القول الرابع.

الخامس: قال قتادة: قسموا كتابهم، ففرقوه وبددوه وحرفوه.

السادس: قال زيد بن أسلم: المراد: قوم صالح، تقاسموا على قتله؛ أي: تحالفوا، فسموا مقتسمين كما قال تعالى: ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾.

السابع: قال الأخفش: هم قوم اقتسموا أيمانهم، وتحالفوا عليها. وقيل: إنهم العاص بن وائل، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، ومنبه بن الحجاج. ذكره الماوردي. انتهى. قرطبي بتصرف.

هذا ومعنى ﴿عِضِينَ﴾ أجزاء مفرقة، وتفسيره ما رأيته في القول الثاني، وما بعده، ومثله في المعنى: ﴿عِزِينَ﴾ أي: فرقاً شتَّى، وهو جمع: عضة، من قولهم: عضيت الشيء: إذا فرقته،

وجعلته أجزاء، وعزين: جمع عزة، أصلهما: عِضْوَة، وعِزْوَة، فحذفت الواو منهما. وقيل: أصل «عضة»: عضهة، فنقصت الهاء منه لأن العِضَه والعضين في لغة قريش: السِّحر، وهم يقولون للساحر: عاضِهْ، وللساحرة، عاضِهَة، وفي الحديث: لعن رسول الله ﷺ العاضِهَة، والْمُسَتعْضِهَة، وفسر بالسَّاحرة، والمستسحرة. وقيل: أصل «عضة»: عضو، من قولهم: عضيته تعضيةً: إذا فرقته، قال رؤبة: وَلَيْسَ دِينُ الله بِالْمُعَضَّى. يعني: بالمفرق، وعلى ما تقدم حذفت الواو، وعوض منها الهاء، فقيل: عضه، ونظير عضة في النقصان شفة، والأصل شفهة، كما قالوا: سنة، والأصل سنهة، فنقصوا الهاء الأصلية، وأثبتوا هاء العلامة، وهي للتأنيث كما قيل: أصل: سنة وشفة سَنَوٌ وشَفَوٌ، فالتاء عوض عن واو محذوفة. هذا؛ والْعَضَهُ: الكذب، والبهتان، وكان الفراء يذهب إلى أنه مأخوذ من العضاه، وهي شجر الوادي، ويخرج كالشوك. قلت: قال الشاعر: [الطويل]

إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ سَرَقَ ابْنُهُ ... ومِنْ عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

وهذا هو الشاهد رقم [٦٤١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

الإعراب: ﴿وَقُلْ﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل لا محل له، أو هو تأكيد لاسم (إنَّ) على المحل؛ لأن محله في الأصل مبتدأ، وعليهما فـ: ﴿النَّذِيرُ﴾ خبر (إنَّ)، و﴿الْمُبِينُ﴾: صفته. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ، و﴿النَّذِيرُ﴾ خبره، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُلْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب (حفظنا) في الآية رقم [١٧] ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر... إلخ. هذا؛ و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، التقدير: آتيناك سبعاً من المثاني، إيتاء كائناً مثل إنزالنا على المقتسمين؛ لأن ﴿ءَاتَيْنَاكَ﴾ بمعنى: أنزلنا عليك. وقيل: التقدير: متعناهم تمتيعاً كما... إلخ، والمعنى: نعمنا بعضهم كما عذبنا بعضهم. وقيل: التقدير: إنذاراً مثل ما أنزلنا، فيكون وصفاً لمصدر. وقيل: هو وصف لمفعول، التقدير: أنذرك عذاباً مثل العذاب المنزل على المقتسمين. انتهى. أبو البقاء بتصرف. ﴿الَّذِينَ﴾: فيه وجوه: الأول: الإتباع لما قبله على البدلية، أو على النعت. الثاني: منصوب على الذم بفعل محذوف. الثالث: هو مرفوع على اعتباره مبتدأ خبره محذوف، التقدير: معذبون، أو يعذبون، ونحو ذلك، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين... إلخ، وهو مبني على الفتح في محل جر على الأول، أو في محل نصب على الثاني، أو في محل رفع على الثالث. ﴿جَعَلُوا﴾: ماض وفاعله وهو بمعنى: صيروا فلذا نصب مفعولين، والألف للتفريق. ﴿الْقُرْءَانَ﴾: مفعول به أول. ﴿عِضِينَ﴾:

مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿جَعَلُوا...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أقسم الله بنفسه: أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين مرَّ ذكرهم. ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من الكفر، والمعاصي، والمنكرات. هذا؛ وقيل: يسألون عن قول لا إله إلا الله، دليله ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ...﴾ إلخ قال: عن قول: لا إله إلا الله. قال أبو عبد الله: معناه: عندنا: عن صدق لا إله إلا الله، ووفائها، والتصديق بها، والعمل بمقتضاها، كما قال الحسن البصري ـ رحمة الله تعالى ـ: ليس الإيمانُ بِالتَّحلِّي، وَلَا الدِّينُ بالتمنِّي، وَلَكِنْ ما وَقَرَ في الْقُلُوبِ وصدَّقَتْهُ الأعمالُ، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصاً دَخَلَ الْجَنَّةَ**». قيل: يا رسول الله! وما إخلاصُها؟ قَالَ: «**أَنْ تحْجُزَهُ عَنْ محارمِ اللهِ**». رواه زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ. وانظر ما ذكرته من الاحتراس في الآية رقم [٣١] من سورة (الرعد).

قال القرطبي: والآية بعمومها تدل على سؤال الجميع، ومحاسبتهم، كافرهم، ومؤمنهم. وفي سؤال الكافر ومحاسبته خلاف بين العلماء، والذي يظهر سؤاله؛ لقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؟. قلنا: القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فيه. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لا يسألهم سؤال استخبار، واستعلام، ولكن يسألهم سؤال تقريع، وتوبيخ، فيقول لهم: لم عصيتم القرآن؟ وما حجتكم فيه؟. انتهى. بتصرف كبير. قال ابن عادل: وأليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ...﴾ إلخ: أي: اجهر بالدعوة إلى الله، وإلى عبادته، وكان النبي ﷺ يدعو إلى الله مستخفياً في دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ حتى نزلت الآية الكريمة، فصعد على الصفا، ونادى: يا معشر قريش! فهرعوا إليه، فقال لهم: «**لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ؟**». قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً، فقال لهم: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: اكفف عنهم، ولا تلتفت إلى لومهم على إظهار

دينك، وتبليغ رسالتك، ولا تكترث باستهزائهم، ولا تَخَفْ أحداً غيري، فإني أنا كافيك، وحافظك ممَّن عاداك، وهو ما تفيده الآية التالية.

ويروى: أن النبي ﷺ قال لهم حين اجتمعوا إليه: «**إنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَإِنِّي لَوْ كَذَبْتُ الناسَ جميعاً؛ ما كذبْتُكُمْ، ولو غَرَرْتُ الناسَ جَمِيعاً؛ ما غررْتُكُمْ، واللهِ الَّذي لا إلهَ إلَّا هُوَ إنِّي لَرَسولُ اللهِ، إلَيْكُمْ خَاصَّةً، وإلى الناس كَافَّةً! واللهِ لَتموتُنَّ كَمَا تنامون ولَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقظونَ، وَلَتحاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، ولَتُجْزَوُنَّ بالإِحْسَانِ إحساناً، وبالسُّوءِ سوءاً! وإنها لَجَنَّةٌ أَبداً أَوْ لَنَارٌ أَبَداً**». والرائد: هو الذي يرسله أهله ليبحث لهم عن مرعىً، وماءٍ لمواشيهم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١٤] من سورة (الشعراء) إن أردت الزيادة.

هذا وفي قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ استعارة مكنية، فالمستعار منه: الزجاجة، والمستعار: الصدع، وهو الشق، والمستعار له هو إرشاد المكلفين من بني آدم، وهو من استعارة المحسوس للمعقول، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبض، والانبساط، ويلوح عليها من علامات الإنكار، والاستبشار كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدوعة.

ويروى: أن بعض الأعراب لما سمع هذه الآية؛ سجد، فقيل له: لم سجدت؟ فقال: سجدت لبلاغة هذا الكلام.

الإعراب: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾: الفاء حرف استئناف. الواو: حرف قسم وجر. (ربك): مقسم به مجرور، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (نسألنهم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿أَجۡمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المنصوب منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو عن شيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبار (ما): مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ:(عن)، التقدير: عن عملهم. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان). ﴿فَٱصۡدَعۡ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٦٨] (اصدع): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقل فيهما ما قلته في: ﴿عَمَّا﴾. ﴿تُؤۡمَرُ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل

مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء تؤمر به، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فاصدع بالأمر، وهذه الجملة لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿وَأَعْرِضْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾: بقمعهم، وإهلاكهم. قيل: كانوا خمسة من أشراف قريش: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، فقد كانوا يبالغون في إيذاء النبي ﷺ، والاستهزاء به، فقال جبريل ـ عليه السلام ـ لرسول الله ﷺ: أمرت أن أكفيكهم، فأومأ إلى ساق الوليد، فمرَّ بنبال، فتعلق بثوبه سهم، فلم ينعطف تعظماً لأخذه، فأصاب عرقاً في عقبه، فقطعه، فمات، وأومأ إلى أخمص العاص، فدخلت فيه شوكة، فانتفخت رجله، حتى صارت كالرَّحىٰ، ومات، وأشار إلى أنف عدي بن قيس، فامتخط قيحاً، فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث، وهو قاعد في أصل شجرة، فجعل ينطح برأسه الشجرة، ويضرب وجهه بالشَّوك حتى مات، وإلى عيني الأسود بن المطلب، فعمي. انتهى بيضاوي بتصرف، وانظر (نا) في الآية رقم [٢٣] وانظر (كفى) في الآية رقم [٤٣] من سورة (الرعد). ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: وهو ما اخترعوه، وابتدعوه من حجر وخشب وغيرهما. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا نزل بهم العذاب، ففيه وعيد وتهديد. هذا؛ والاستهزاء حرامٌ قطعاً كما بينته مراراً.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كَفَيْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، والكاف مفعوله الأول، ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾: مفعوله الثاني: منصوب، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: انظر مثله في الآية رقم [٩١] ﴿يَجْعَلُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف خبر ثان، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة، وجملة: ﴿يَجْعَلُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والمفعول محذوف للاختصار، أو للتعميم، وجملة: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل رفع

خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على أحد الوجوه المعتبرة فيه، واقترنت الجملة بالفاء؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: المعنى: نعلم: أنك يحصل لك ضيق في صدرك بسبب ما يقولون من تكذيبٍ، واستهزاءٍ، وقولٍ فاحش، والطبيعة البشرية تأبى ذلك، فيحصل عند سماع ذلك ضيق، فعند ذلك أمره بالتسبيح، والعبادة فيما يلي.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٠] ﴿نَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿يَضِيقُ﴾: مضارع. ﴿صَدْرُكَ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وانظر: ﴿عَمَّا﴾ في الآية رقم [٩٣] فهما مثلهما، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء يقولونه، وعلى اعتبار (ما): مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بقولهم، وجملة: ﴿يَضِيقُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل ﴿نَعْلَمُ﴾ وجملة: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فصل بأمر ربك. وقال البيضاوي: فافزع إلى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح، والتحميد؛ يكفك، ويكشف الغمَّ عنك. انتهى. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: من المصلين، ولا خفاء: أن غاية القرب في الصلاة حال السجود، كما قال النبي ﷺ: «**أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ من ربِّهِ، وهو ساجدٌ، فأَخلِصُوا الدُّعاء**». وكان عليه ألف صلاة، وأزكى سلام إذا حزبه أمر؛ فزع إلى الصلاة. وقال بعض العلماء: إذا نزل بالعبد مكروه، ففزع إلى الصلاة، فكأنه يقول: يا رب إنما يجب عليَّ عبادتك، سواء أعطيتني ما أحب، أو كفيتني ما أكره، فأنا عبدك، وبين يديك، فافعل بي ما تشاء! هذا؛ ويظن بعض الناس: أن هنا آية سجدة، يسن السجود عند تلاوتها، وليس كذلك.

الإعراب: ﴿فَسَبِّحْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٦٨] (سبح): أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿بِحَمْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر؛ أي: ملتبساً بحمد، و(حمد): مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿فَسَبِّحْ...﴾ إلخ لا محل

لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. (كن): فعل أمر ناقص، واسمه مستتر فيه تقديره: «أنت»، ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (كن)، وجملة: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها.

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ﴾: دم على عبادته في جميع الأوقات، وجميع الأحوال، وانظر شرح «العبادة» في الآية رقم [٦٢] من سورة (هود) عليه السلام، وشرح: ﴿رَبَّكُمْ﴾ في الآية رقم [٣] منها. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي: الموت، فإنه متيقن لحاقه كلَّ حيٍّ مخلوق، وكان عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ يقولُ: ما رَأَيْتُ يقيناً أَشْبَهَ بالشَّكِّ من يقينِ النَّاسِ بالْموتِ: ثُمَّ لا يَسْتَعِدُّونَ لَهُ. هذا وروى البغوي بسنده عن جبير بن نفير عن أبي مسلم الخولاني: أنه سمعه يقول: إن النبي ﷺ قال: «**مَا أَوْحَى اللهُ إِليَّ أَنْ أَجْمَعَ المالَ، وَأَكُونَ مِنَ التَّاجِرِينَ، وَلَكِنْ، أَوْحَى إِليَّ أَنْ سَبِّح بحمدِ رَبِّكَ، وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليقينُ**». والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (اعبد): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَبَّكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، وجر. ﴿يَأْتِيَكَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْيَقِينُ﴾: فاعله: و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على الهادي، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (الحجر) بعونه تعالى تفسيراً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ النَّحْلِ

وتسمى سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده، وهي مكية غير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ...﴾ إلخ؛ فإنها نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بالحمزة، وقتلى أحد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وغير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟...﴾ إلخ الآية رقم [١١٠]، وغير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟...﴾ إلخ. وقيل: هذه مكية نزلت بشأن هجرة الحبشة. وقيل: غير ذلك، وآياتها مئة وثمان وعشرون، وكلماتها ألفان وثمانمئة وأربعون، وحروفها سبعة آلاف وسبعمئة وسبعة أحرف.

تنبيه: انظر شرح الاستعاذة والبسملة وإعرابهما في أول سورة (يوسف) على نبينا، وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ألف صلاة، وأزكى سلام. روي عن إبراهيم بن حيان أنه حينما احتضر قيل له: ، أوص، فقال: إنما الوصية من المال، ولا مال لي، ولكني، أوصيكم بخواتم سورة (النحل).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾

الشرح: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: عقابه لمن أقام على الشك، وتكذيب رسوله ﷺ. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أي: فلا تستعجلوا عقابه، وكان الكفار يستعجلون العقاب استهزاء وسخرية، حتى قال النضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٢] من سورة (الأنفال). وقيل المراد بأمر الله: يوم القيامة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قال الكفار: إن الرجل يزعم: أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون، فأمسكوا، وانتظروا، فلم يروا شيئاً، فقالوا: ما نرى شيئاً، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ فأشفقوا، وانتظروا قرب الساعة، فلم يروا شيئاً، فقالوا: ما نرى شيئاً، فنزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثب رسول الله ﷺ، والمسلمون، وخافوا، فنزل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا، فقال النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**». وأشار بأصبعيه: السبابة والتي تليها. أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد. ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه الله تعالى، وتعاظم بالأوصاف الحميدة،

والأفعال المجيدة عما يصفه المشركون به، أو تنزه، وتبرأ من أن يكون له شريك، فيدفع ما أراد بالمشركين من عذاب، وعقاب. هذا؛ و(تعالى) يأتي منه مضارع، ولا يأتي منه أمر، فهو ناقص التصرف.

بعد هذا فـ: «أتى» يستعمل لازماً؛ إذا كان بمعنى: حضر، وأقبل، وقرب، كما في هذه الآية، ويستعمل متعدياً إذا كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ وعبر سبحانه بالماضي عن المستقبل لتحقّق وقوعه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام، وفي الآية الكريمة التفات من الخطاب إلى الغيبة، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢] ويقرأ: ﴿تُشْرِكُونَ﴾ بالتاء، فلا يكون في الآية التفات.

تنبيه: لقد نهى الله النبي ﷺ وأصحابه عن استعجال الشيء قبل أوانه، أو هو نهي للكفار، عن استعجال طلب العقاب، والعذاب، بينما حث الله تعالى على المسارعة إلى فعل الطاعات، فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٣٣] من سورة (آل عمران) وقال ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ، الآية رقم [٢١] من سورة (الحديد) كما وصف أنبياءه بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات، وهذا لا يناقض ما روي: «**العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمن**»؛ لأن المسارعة إلى الطاعات مستثناة منه، كما أن هناك أموراً تسن المبادرة إلى فعلها، كأداة الصلاة المكتوبة إذا دخل وقتها، وقضاء الدين بحق الموسر، وتزويج البكر البالغ؛ إذا أتى الكفؤ لها، ودفن الميت، وإكرام الضيف؛ إذا نزل. وخذ ما يلي: فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ له: «**يَا عَلِيُّ ثلاثٌ لا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلَاةُ إِذَا أَتَتْ، والجنازَةُ إِذَا حَضَرتْ، والأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤاً**». أخرجه الترمذي. وجاء في الشعر العربي الحث على العجلة، قال بشار بن برد الأعمى: [البسيط]

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ... وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهِجُ

واختصره سلم الخاسر، فقال: [مخلع البسيط]

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمّاً ... وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

ونسب للأعشى، ولغيره ما يلي: [البسيط]

وَرُبَّمَا فَاتَ قَوماً جُلُّ أَمْرِهِمُ ... مِنَ التَّأَنِّي، وَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجِلُوا

وقال آخر: [البسيط]

وَرُبَّمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ بُطْؤُهُمُ ... وَكَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَجِلُوا

هذا و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ اسم مصدر. وقيل: مصدر مثل «غفران»، وليس بشيء؛ لأن الفعل «سبح» بتشديد الباء، والمصدر: تسبيح، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله،

مثل: معاذ الله، وقد أجري علماً على التسبيح، بمعنى: التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَـدْ قُـلْـتُ لَـمَّـا جَـاءَنِـي فَـخْـرُهُ سُـبْـحَـانَ مَـنْ عَـلْـقَـمَـةُ الْـفَـاخِـرُ

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهل بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة، فقال موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ذو النون عليه السلام: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقد نزه الله ذاته في كثير من الآيات بنفسه تنزيهاً لائقاً به، وجملة القول فيه: اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب من رفع، وجر، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين: الألف، والنون. ومعناه: التنزيه والبراءة لله عز وجل من كل نقص، فهو ذكر عظيم لله تعالى، ولا يصلح لغيره، وقد روى طلحة الخير بن عبيد الله أحد العشرة ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال: «**تَنْزِيهُ اللهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ**». والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه، لا من لفظه؛ إذ لم يجر من لفظه فعل، وذلك مثل: قعد القرفصاء، فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيهاً، فوقع سبحان الله مكان قولك: تنزيهاً لله.

الإعراب: ﴿أَتَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أَمْرُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها. ﴿فَلَا﴾ الفاء: حرف عطف على قول من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، قال ابن هشام: هي للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، أو هي جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك لا بد واقعاً؛ فلا تستعجلوه. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافة المصدر لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو بـ: «سبحان»، أو بفعله المحذوف على التنازع، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: «عن»، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط، محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو عن شيء يشركونه مع الله، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ:«عن»، التقدير: تعالى الله عن شركهم. تأمل، وتدبر.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿يُنَزِّلُ﴾: بضم الياء وتشديد الزاي، وقرئ بتخفيفها، وقرئ بتاء المضارعة مفتوحة، وتخفيف الزاي ورفع الملائكة، وقرئ (تنزل) والأصل تتنزل، فحذفت إحدى التاءين، وقرئ (تُنَزَّلُ) بالبناء للمجهول، وقرئ (نُنْزِلُ) ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ أي: بالوحي والنبوة، أو بالقرآن، فإنه يحيي القلوب الميتة بالجهل، أو إنه يقوم في الدين مقام الروح في الجسد، ونظير الأول: قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: الوحي، والنبوة؛ أي: يخص من يشاء بالنبوة، وعلى الاعتبارين في الكلام استعارة تصريحية بجامع: أنَّ الروح بها إحياء البدن، والوحي والنبوة والقرآن به إحياء القلوب من الجهالات. وقيل: أي بالرحمة. وقال أبو عبيدة: الروح هنا: جبريل عليه السلام، والباء بمعنى: «مع»؛ أي: مع الروح. ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: بأمره، فـ: ﴿مِنْ﴾ بمعنى: الباء، وهو كثير في كتاب الله تعالى، كما تأتي الباء بمعنى: «من»، ويسمى مثل هذا بـ: «التقارض»، والتعاوض. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ أي: على من يختاره الله للنبوة والرسالة. ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ أي: أعلموا من: نذرته بكذا إذا أعلمته. ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ أي: فخافون، وفي الآية التفات ظاهر واضح، وانظر الآية رقم [٤٣] من سورة (الرعد).

بعد هذا انظر شرح: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد). و﴿يَشَآءُ﴾ ماضيه شاء، فلم يرد له أمر، ولا لـ: «أراد» فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وأصل «شاء» شيء على فَعِلَ بكسر العين، بدليل شئت شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، وحذف مفعول «أراد» حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخريمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دماً لَبَكَيْتُهُ ... عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد «لو»، وليس كذلك. (اتقون): أمر من التقوى، وهي حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال، أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ والتحرز من المهالك في الدنيا والآخرة، وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة).

الإعراب: ﴿يُنَزِّلُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: مفعول به، وانظر، أوجه القراءات في الشرح. ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من الملائكة. ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (الروح)، والهاء

في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَىٰ مَن﴾: متعلقان بالفعل ﴿يُنَزِّلُ﴾، و﴿مَن﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، وجملة: ﴿يَشَآءُ﴾ صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: على الذي، أو على شخص يشاؤه. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿أَنْ﴾: مفسرة، وأجيز اعتبارها مصدرية، كما أجيز اعتبارها مخففة من الثقيلة. ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿إِلَـٰهَ﴾: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر، لا محل له. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: كونه بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء، وثانيها: كونه بدلاً من ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها مع ما بعدها في محل رفع بالابتداء، وثالثها: كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأقوى، والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ في محل رفع خبر أن، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أَنذِرُوٓاْ...﴾ إلخ مفسرة لـ: (الروح) على اعتبار ﴿أَنْ﴾ مفسرة، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول ما بعدها بمصدر في محل جر بدلاً من (الروح)، أو في محل نصب بنزع الخافض، وعلى اعتبارها مخففة من الثقيلة، فاسمها ضمير الشأن محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبرها، وتؤول مع اسمها وخبرها بمصدر محله مثل التقدير الأول. ﴿فَٱتَّقُونِ﴾: الفاء: الفصيحة. (اتقون): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. والنون للوقاية. وياء المتكلم المحذوفة مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً فاتقون، وانظر الآية السابقة، وجملة: ﴿يُنَزِّلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها على جميع أوجه القراءات، ما عدا القراءة (يُنْزِل) فإنه يجوز اعتبارها حالاً أيضاً من لفظ الجلالة، والرابط: رجوع الفاعل إليها كما رأيت. تأمل، وتدبر.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿خَلَقَ﴾: أنشأ وأوجد، والفرق بين خلق، وجعل الذي له مفعول واحد: أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين؛ ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إحداث النور، والظلمات بالجعل، فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾ تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت المجوس، بخلاف الخلق؛ لأن فيه معنى الإيجاد، والإنشاء، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إيجاد السموات والأرض بالخلق، وخصهما جلت قدرته بالذكر هنا، وفي كثير من الآيات؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع السموات دون

الأرض، وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار والحركات، وقدمها لشرفها وعلو مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض. وأيضاً؛ لأنها بمنزلة الذَّكر، فنزول المطر من السماء على الأرض كنزول المني من الذكر في المرأة؛ لأن الأرض تنبت، وتخضر بالمطر. ﴿تَعَـٰلَىٰ﴾: تنزه، وتعاظم، ومضارعه: يتعالى، وليس له أمر، فهو ناقص التصرف، وأما «تعالوا» فهو بمعنى: أقبلوا.

الإعراب: ﴿خَلَقَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: انظر الآية رقم [١] ففيها الكفاية.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: أوجده، وأنشأه. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: هي ماء الرجل، والمرأة الحاصل منهما عند الجماع، وجمعها: نطف، ونطاف، مثل: برمة، وبرم وبرام، والنطفة: أيضاً الماء الصافي، قل، أو كثر. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: مخاصم بالباطل، ومجادل بالزور، والبهتان. ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: بين الخصومة، حيث ينكر البعث، والحساب، والجزاء يوم القيامة. هذا؛ وقد قيل: إن الآية نزلت في أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ، وكان ينكر البعث، فجاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم، فقال له: تزعم أن الله يحيي هذا العظم بعدما رمَّ؟! فنزلت فيه هذه الآية، ونزل فيه أيضاً الآية رقم [٧٧] و [٧٨] من سورة (يس)، والصحيح أن الآية هنا عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا، ويوم القيامة، وآيتي (يس) هي الخاصة بذلك الكافر المعاند. هذا؛ وانظر شرح: ﴿مُّبِينٌ﴾ وإعلاله في الآية رقم [١] من سورة (الحجر).

أما ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ فإنه يطلق على الذكر، والأنثى من بني آدم، ومثله كلمة: «شخص» قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ومعلوم أن الله تعالى لم يقصد الذكور خاصة، والقرينة الآيات الكثيرة، الدالة على أن المراد: الذكر، والأنثى، واللام في ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ إنما هي لام الجنس التي تفيد الاستغراق، ولذا صح الاستثناء من الإنسان في سورة العصر. هذا؛ وإنسان العين: هو المثال الذي يرى فيها، وهو النقطة السوداء التي تبدو لامعة وسط السواد.

الإعراب: ﴿خَلَقَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله. ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: مفعول به. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وتعليقهما بمحذوف حال من ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ غير مستبعد، وجملة: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: اختلف في هذه الفاء، فقال المازني، والفارسي، وجماعة: هي زائدة للتأكيد؛ لأن إذا الفجائية فيها معنى الإتباع، ولذا وقعت

في جواب الشرط موقع الفاء، وهذا ما اختاره ابن جِنّي. وقال مَبْرُمَانُ، وابن جني: هي عاطفة لجملة: (إذا) ومدخولها على الجملة قبلها، واختاره الشلوبين الصغير، وأيده أبو حيان بوقوع ﴿ثُمَّ﴾ موقعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾. وقال الزجاج: دخلت على حد دخولها في جواب الشرط. انتهى. همع الهوامع؛ أي: فهي للسببية المحضة، وبه قال ابن هشام في المغني.

(إذا): كلمة دالة على المفاجأة، وهي تختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها: الحال، لا الاستقبال، نحو: «خَرَجْتُ فإِذَا الأسدُ بِالْبَابِ» وهي حرف عند الأخفش، وابن مالك، ويرجِّحه: «خَرَجْتُ فإِذَا إِنَّ زيداً بالْبابِ» لأن «إنَّ» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وظرف مكان عند المبرد وابن عصفور. وظرف زمان عند الزجاج والزمخشري، وزعم الأخير أنَّ عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة، ولا يعرف هذا لغير الزمخشري، وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو: «خَرَجْتُ؛ فَإِذَا زَيْدٌ جالسٌ»، أو المقدر في نحو: «فإِذَا الأَسَدُ» أي: حاضر، وإذا قدرت: أنها الخبر فعاملها: مستقر، أو استقر، ولم يقع الخبر معها في القرآن إلا مصرحاً به. انتهى مغني بتصرف. ﴿هُوَ خَصِيمٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿خَصِيمٌ﴾، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على اعتبارها ظرفاً، وابتدائية لا محل لها، وهي معطوفة على ما قبلها، على اعتبار (إذا) حرفاً، وانظر آية (الأعراف) رقم [١٠٧].

تنبيه: قال أبو البقاء: إن قيل: الفاء تدل على التعقيب، وكونه خصيماً؛ لا يكون عقيب خلقه من نطفة. فجوابه من وجهين: أحدهما: أنه أشار إلى ما يؤول حاله إليه، فأجري المنتظر مجرى الواقع، وهو من باب التعبير بآخر الأمر عن أوله، كقوله تعالى حكاية عن قول الساقي: ﴿أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ الآية رقم [٣٦] من سورة (يوسف) عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ أي: سبب الرزق، وهو المطر، والثاني: إنه إشارة إلى سرعة نسيانهم مبدأ خلقهم. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: لما ذكر الله سبحانه وتعالى: أنه خلق السموات والأرض، ثم أتبعه بخلق الإنسان: ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته، ولمَّا كان أعظم ضرورات الإنسان إلى الأكل، واللباس؛ اللذين يقوم بهما بدن الإنسان؛ بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك، وهو الأنعام، فقال: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ﴾ وهي الإبل، والبقر، والغنم. انتهى. ثم قال: ولمَّا كانت منافع هذه الأنعام منها ضرورية، ومنها غير ضرورية، بدأ الله بذكر المنافع الضرورية، فقال تعالى: ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ وهو ما يستدفأ به من اللباس، والأكسية، ونحوها المتخذة من الأصواف، والأوبار، والأشعار الحاصلة من النَّعم. وفي المختار: الدفء: نتاج

الإبل، وألبانها، وما ينتفع به منها، قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ وفي الحديث «**لنا مِنْ دِفْئِهِمْ ما سَلَّمُوا بالميثاقِ**». وهو أيضاً: السخونة، اسم من دفئ الرجل من باب سلم، وطرب، وهو أيضاً ما يُدْفِئُ، ورجل دفئ (بالقصر) ودفئان (بالمد) وامرأة دفأى ويوم دفيء بالمد، وبابه ظَرُف، وليلة دفيئة أيضاً، وكذا الثوب والبيت، فظهر: أنَّ للدفء ثلاثة معان ١ـ ما يتحصل من الإبل من نتاج، ولبن، ومنافع ٢ـ السخونة، وهي ضد البرودة ٣ـ ما يتدفأ به من الثياب. ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ أي: ما ينتفع به من نسلها، ودرها، وركوبها، والحمل عليها. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: من لحومها، وشحومها، وألبانها.

تنبيه: واحد (الأنعام): نعم، وهو يطلق على الإبل خاصة، فيكون الجمع من باب تغليب الإبل على البقر، والغنم. والأنعام تؤنث كما في هذه الآية، والتي بعدها، وتذكر كما في الآية رقم [٦٦] الآتية، انظر شرحها هناك.

الإعراب: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: معطوف على ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، أو هو منصوب على الاشتغال بفعل محذوف، يفسره ما بعده. ﴿خَلَقَهَا﴾: ماض: والفاعل يعود إلى (الله). و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (الأنعام) على الوجه الأول فيها، ولا محل لها؛ لأنها مفسرة على الوجه الثاني: في (الأنعام) وتكون الجملة المقدرة معطوفة على جملة: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، فتكون الجملة الاسمية: ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ وأجيز تعليق ﴿لَكُمْ﴾ بمحذوف خبر مقدم، و﴿دِفْءٌ﴾ مبتدأ مؤخر، فيكون ﴿فِيهَا﴾ متعلقين بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف المقدر، وتعليقهما بمحذوف حال من ﴿دِفْءٌ﴾ غير مسلَّم عند مَنْ لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ. (منافع): معطوف على ما قبله. ﴿وَمِنْهَا﴾: الواو: حرف عطف. (منها): متعلقان بما بعدهما. ﴿تَأْكُلُونَ﴾: مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَكُمْ﴾: الخطاب للعرب خاصة، وإن كان يشمل جميع بني آدم؛ لأن العرب، ولا سيما في الجاهلية كانوا يعتمدون في معاشهم على الحيوانات، ولذا كانوا ينتجعون فيها مساقط الغيث، ويجوبون فيها الصحارى؛ طلباً للماء، والمرعى. ﴿فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة. ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ أي: تردونها مِنْ مراعيها إلى مراحها في العشي. ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها في الصباح، إلى المراعي، فإن أفنية البيوت تتزين بها في الوقتين، ويجل أهلها في أعين الناظرين إليها، وتقديم الإراحة؛ لأن الجمال فيها أظهر؛ لأنها تقبل ملأى البطون، حافلة الضروع، ثم

تأوي إلى الحظائر، فيزداد فرح أهلها بها، بخلاف تسريحها إلى المرعى، فإنها تخرج جائعة البطون، ضامرة الضروع، ثم تأخذ في التفرق، والانتشار إلى الرعي في البرية، فيظهر من هذا: أن الجمال في الإراحة أكثر منه في التسريح، فاستحقت التقديم. هذا؛ وقرئ: (حيناً) بالتنوين، وانظر شرح «الحين» في الآية رقم [٢٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

تنبيه: الجمال يكون في الصورة، وتركيب الخِلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال، فأما جمال الخِلقة، فهو أمر يدركه البصر، ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك، ولا نسبته لأحد من البشر، وأما جمال الأخلاق، فكونها على الصفات المحمودة من العلم، والحكمة، والعدل، والعفة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل أحد، وأما جمال الأفعال؛ فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق، وقاضية لجلب المنافع فيهم، وصرف الشر عنهم، وجمال الأنعام، والدواب من جمال الخِلقة، وهو مرئي بالأبصار، موافق للبصائر، ومن جمالها: كثرتها، وقول الناس إذا رأوها: هذه نعم فلان. انتهى. قرطبي. نقلاً عن السدي.

الإعراب: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: إعراب هذه الكلمات مثل إعراب: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ والجملة الاسمية الحاصلة معطوفة على هذه أيضاً. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف صفة ﴿جَمَالٌ﴾. ﴿تُرِيحُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حِينَ﴾ إليها، وعلى قراءة ﴿حِينَ﴾ بالتنوين فالجملة الفعلية صفة له، وما بعدها معطوف عليها، وإعرابه واضح، لا خفاء فيه، ومفعول الفعلين محذوف للاختصار.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: (الأثقال) جمع: ثقل، وهو متاع المسافر، وما يحتاج إليه من آلات السفر. والأثقال: الأوزار، والسيئات؛ لأنها تثقل الإنسان، وتورث له المشقة، والعذاب الأليم في نار الجحيم، قال تعالى في حق الكافرين الداعين المؤمنين إلى الكفر: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾. ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أي: غير بلدكم، وحمله على العموم أولى؛ وإن قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد من مكة إلى اليمن، وإلى الشام.

﴿لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾: واصلين إلى ذلك البلد الذي تقصدونه. ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ أي: بالمشقة، والجهد، والعناء، والتعب. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ﴾ أي: بكم؛ حيث فتح لكم باب التوبة، والاعتذار، وكلفكم بالعبادات، والجهاد، فعرضكم لثواب الغزاة، والشهداء، وسخَّر لكم الحيوانات؛ لتستعملوها في قضاء حوائجكم، ونقل أثقالكم من بلد إلى بلد. هذا؛ والرأفة:

أشد الرَّحمة، و(رؤوف) صيغة مبالغة، فالله أرأف بعباده من الوالدة بولدها، ومن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع، ومن رأفته: أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، ومن رأفته أشياء كثيرة يعسر حصرها، وعدُّها، وهي معلومة عند ذوي الألباب. ﴿رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة، وانظر شرح البسملة في أول سورة (يوسف) عليه السلام، وانظر شرح: ﴿ٱلْأَنفُسِ﴾ في الآية رقم [٥٣] منها أيضاً.

هذا ويقرأ ﴿بِشِقِّ﴾ بكسر الشين وفتحها، وهما لغتان، مثل رِق، ورَق، وجِص، وجَص، ورِطل ورَطل، وقد رأيت شرحه، ويأتي بمعنى: النصف، يقال: أخذت شق الشاة وشقة الشاة، والشق أيضاً: الناحية من الجبل، وهو أيضاً الأخ الشقيق، يقال: هو أخي، وشق نفسي، وشق: اسم كاهن من كهان العرب، والشق أيضاً: الجانب. هذا؛ وقال الليث: «البلد» كل موضع من الأرض، عامر، أو غير عامر، خال، أو مسكون، والطائفة منه: بلد، والجمع: بلاد، زاد غيره: والمفازة تسمى: بلدة؛ لكونها مسكن الوحش، والجن، قال الأعشى: [البسيط]

وبلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ ... لِلْجِنِّ بالليلِ في حَافاتِهَا زَجَلُ

وقال جران العود: [الرجز]

وبَلْدَةٍ ليْسَ بِها أَنِيسُ ... إلَّا اليَعَافِيرُ وإلَّا الْعِيسُ

تنبيه: لقد امتن الله على عباده بالأنعام عموماً، وخص الإبل هنا بالذكر في حمل الأثقال على سائر الأنعام، فإن الغنم للسرح، والذبح، والبقر للحرث، والإبل للحمل، ولا سيما في الصحارى، والقفار. هذا؛ وكان الجمل يسمى سفينة الصحراء، ولكن في هذه الأيام لم يبق للإبل وزن في حمل الأثقال، وإنما صار ذلك للحديد، والنار، وكذلك الحرث لم يعد من عمل البقر، فقد قام الحديد، والنار مقامه في ذلك أيضاً.

الإعراب: ﴿وَتَحْمِلُ﴾: الواو: حرف عطف. (تحمل): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى الإبل المفهومة من (الأنعام). ﴿أَثْقَالَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُونُوا۟﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بَٰلِغِيهِ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾ في محل جر صفة ﴿بَلَدٍ﴾، وجملة: ﴿وَتَحْمِلُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فهي في محل نصب حال مثلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِشِقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في بالغيه؛ أي: شاقاً على

الأنفس. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكُمۡ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَرَءُوفٞ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿رَّحِيمٞ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾

الشرح: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ﴾: اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويجمع على: خيول، والخيل مؤنثة؛ لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها؛ إذا كانت لغير الآدميين. مثل: خيل، وغنم، وإبل، فالتأنيث لها لازم، وإذا قالوا: خيلان، وغنمان، وإبلان، فإنما يريدون قطيعين من الخيل، والغنم، والإبل، وسميت الخيل خيلاً لاختيالها في مشيها؛ أي: فإنها تمشي مشية المختال؛ أي: المتكبر.

﴿وَٱلۡبِغَالَ﴾: جمع: بغل، ومؤنثه: بغلة، وهو حيوان معروف، مركب من الفرس والحمار، ولذلك كان له صلابة الحمار، وعظم الخيل، وهو لا نسل له، أبوه الحمار، وأمُّه الفرس، وإن كان بالعكس فهو «النَّغل» بالنون، وهو دون البغل في الجثة والعِظَم.

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عليِّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن البغال كانت تتناسل، فدعا عليها إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ لأنها كانت تسرع في نقل الحطب لنار المنجنيق، فقطع الله نسلها، والبغل شرس الطباع؛ لأنه وجد به الأعراق المتضادة، والأخلاق المتباينة، والعناصر المتباعدة، وكل عضو منه متوسط بين الفرس، والحمار. ﴿وَٱلۡحَمِيرَ﴾: جمع: حمار، وهو معروف، يكون وحشياً، ويكون أهلياً، وأنثاه أتان، ويقال: حمارة أيضاً، ويجمع على: حمير، وحُمر، وحمور، وحُمُرات، وكلُّها للكثرة، ويجمع جمع قلة على أَحْمِرة، قال الراعي النميري، أو القتَّال الكلابي: [البسيط]

هُنَّ الْحَرائِرُ لَا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ سُودُ الْمَحَاجِرِ، لَا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

وحمير ورد في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ و﴿حُمُرٞ﴾ ورد في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾ والحمار الأهلي يوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات التي مشى فيها، ولو مرَّة واحدة، وبحدة السمع، وللناس في مدحه وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض، وقد أطال الدميري الكلام فيه.

﴿لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ أي: خلق الخيل، والبغال، والحمير للركوب، والزينة مع المنافع الأخرى المستفادة منها، كحمل الأثقال، والتناسل. ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: ذكر المفسرون من ذلك أنواع الحشرات، والهوام الموجودة في أسافل الأرض، والبر، والبحر، ممَّا لم يره البشر،

ولم يسمعوا به. وقيل: ممَّا أعده الله في الجنة لأهلها، وفي النار لأهلها، ممَّا لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولا خطر على قلب بشر.

أقول: وخلق الله ممَّا كانوا لا يعلمون السيارات، والطائرات، وغير ذلك مما نراه في هذه الأيام، وهو معدٌّ للركوب، وللزينة، بل لقد قضى ذلك على الاستفادة من جميع تلك الحيوانات في الحرث، والحمل، والركوب، كما هو مشاهد لكل إنسان، وخلق الله ذلك بتعليمه الإنسان صنع السيارات... إلخ، والجمال، والزينة المستفادان من الحيوانات؛ وإن كانا من متع الدنيا؛ فقد أذن الله لعباده فيهما، فقد قال النبي ﷺ: «**الإبلُ عِزٌّ لأَهْلِها، والْغَنَمُ بركةٌ، والْخَيْلُ في نَواصِيها الْخَيْرُ**». خرجه البرقاني، وابن ماجه في السنن.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى: احتج بهذه الآية مَنْ يرى تحريم لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وتلا هذه الآية. وقال: هذه للركوب، وإليه ذهب الحكم، ومالك، وأبو حنيفة، رحمهم الله! واستدلوا أيضاً بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب، فلمَّا لم يذكره الله تعالى؛ علمنا تحريم أكله، فلو كان أكل لحوم الخيل جائزاً؛ لكان هذا المعنى أولى بالذكر؛ لأن الله سبحانه وتعالى خصَّ الأنعام بالأكل حيث قال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وخصَّ هذه بالركوب، فقال: ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ فعلمنا: أنها مخلوقة للركوب، لا للأكل.

وذهب جماعة من أهل العلم إلى إباحة أكل لحوم الخيل، وهو قول الحسن، وشريح، وعطاء، وسعيد بن جبير، وإليه ذهب الإمام الشافعي ـ وأحمد، وإسحاق ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ أنها قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً، فأكلناه. وفي رواية قالت: ذبحنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً، ونحن بالمدينة، فأكلناه. أخرجه البخاري، ومسلم.

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية، وأذِنَ في الخيل. متفق عليه، وفي رواية قال: أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل، وحمر الوحش، ونهى النبي ﷺ عن الحمار الأهلي. هذه رواية البخاري، ومسلم، وفي رواية أبي داود قال: (ذبحنا يوم خيبر الخيل، والبغال، والحمير، وكنا قد أصابتنا مخمصة، فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال، والحمير، ولم يَنْهَنا عَنِ الْخَيْلِ. وأجاب مَنْ أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة، لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك، وإنما خُصَّ هاتان المنفعتان بالذكر؛ لأنهما معظم المقصود. قالوا: ولهذا سكت عن حمل الأثقال على الخيل، مع قوله في (الأنعام): ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ ولم يلزم من هذا التحريم حملُ الأثقالِ على الخيلِ.

وقال البغوي: ليس المراد من الآية بيان التحليل، والتحريم، بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته، وحكمته، والدليل الصحيح المعتمد عليه في إباحة لحوم

الخيل أن السنة مبينة للكتاب، ولما كان نص الآية يقتضي: أن الخيل، والبغال، والحمير مخلوقة للركوب، والزينة، وكان الأكل مسكوتاً عنه؛ دار الأمر فيه على الإباحة، والتحريم، فوردت السنة بإباحة لحوم الخيل، وتحريم لحوم البغال، والحمير، فأخذنا بها جمعاً بين النَّصين. والله أعلم. انتهى بحروفه.

الإعراب: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾: هذه الأسماء معطوفة على (الأنعام) أي: وخلق الخيل... إلخ، ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (خلق) في الآية رقم [٥] وقيل: في موضع نصب مفعول لأجله، ولا وجه له؛ لأنه لم يسمع مثله. (زينة): مفعول به لفعل محذوف؛ أي: وجعلها زينة، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف؛ أي: ولتتزينوا بها زينة، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: للزينة، ويقرأ بغير واو، وفيه الوجوه المذكورة، وفيه، وجهان آخران: أحدهما: أن يكون مصدراً في موضع الحال من الضمير في (تركبوا)، والثاني: أن يكون حالاً من الهاء؛ أي: لتركبوها تزيناً بها. انتهى. عكبري بتصرف. (يخلق): مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ويخلق الذي، أو شيئاً لا تعلمونه، وجملة: ﴿وَيَخْلُقُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الوجهين.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد، وقاصد: إذا أدَّاك إلى مطلوبك، وفي الكلام حذف؛ إذ الأصل: وعلى الله بيان قصد السبيل، وهو بيان طريق الهدى من الضلالة؛ أي: بواسطة الرسل، والبراهين، وانظر شرح ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ في الآية رقم [١٠٨] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أي: ومن السبل سبيل معوج، وخارج عن الاستقامة، فالمستقيم من السبل هو دين الإسلام، والجائر منها دين اليهودية، والنصرانية، وسائر ملل الكفر، قال تعالى في الآية رقم [١٥٣] من سورة (الأنعام): ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ انظر شرحها هناك، وخذ قول امرئ القيس: [الكامل]

وَمِنَ الطَّرِيقَةِ جَائِرٌ وَهُدىً ... قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهُ ذُو دَخَلِ

هذا وقرئ: (ومنكم جائر) على الخطاب. ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ أي: هدايتكم إلى الطريق المستقيم. ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ولكنه لم يشأ هدايتكم، وانظر الآية رقم [٢٧] من سورة (الرعد)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَعَلَى﴾: الواو: حرف استئناف. (على الله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿قَصْدُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ ـ و﴿جَآئِرٌ﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: ومنها سبيل ـ جائر معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (هداكم): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والكاف مفعول به. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد للضمير المنصوب منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة: ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: الله هو الذي ينزل من السحاب، أو من جانب السماء ماء، وهو من أعظم النعم على العباد، وانظر إعلال ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ وشرحه في الآية رقم [٢٢] من سورة (الحجر). ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ أي: تشربونه، وهذا الماء لا يشرب منه مباشرة في الأكثر بل بعد تخزينه في الأرض، ثم يتفجر منه العيون والآبار، لقوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ أي: ينبت بسببه الشجر، والمراد به هنا الكلأ الذي ترعاه الماشية. وقيل: المراد به ما ترعاه الماشية من أوراق الشجر؛ لأن الإبل ترعى كل الشجر. وقيل: كل ما ينبت من الأرض يقال له: شجر، قال الشاعر: [الرجز]

نَعْلِفُها اللَّحْمَ إذَا عَزَّ الشَّجَرْ وَالخَيْلُ في إطعامِها اللَّحْمَ ضَرَرْ

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون مواشيكم، يقال: أسمت الماشية: إذا خليتها ترعى، وسامت؛ إذا رعت حيث شاءت، فالفعل ﴿تُسِيمُونَ﴾ من الرباعي، و«سائمة» اسم مفعول، قال السيوطي: لم يأت اسم المفعول من أفعل على فاعل، إلا في حرف واحد، وهو قول العرب: أسمت الماشية من المرعى، فهي سائمة، ولم يقولوا: مسامة.

هذا والسَّوْم الرِّعي بلا ثمن، وهو شرط لوجوب الزكاة في الإبل، والبقر، والغنم، كما هو معروف في الفقه الإسلامي.

بعد هذا، فأصل «ماء»: مَوَه بفتح الميم والواو، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصار: «ماه» فلما اجتمعت الألف والهاء، وكلاهما خفي؛ قلبت الهاء همزة، ودليل ذلك: أن جمع ماء: أمواه، ومياه، وتصغيره: مُوَيْه، وأصل ياء مياه واو، لكنها قلبت ياء لانكسار ما قبلها، في جمع أعلت في مفرده، كما قالوا: دار، وديار، وقيمة، وقيم، ومثله قولهم: سوط، وسياط، وحوض، وحياض، وثوب، وثياب، وثور وثيرة، ويقال في تعريف الماء: هو جسم رقيق مائع، به حياة كل نامٍ. وقيل في حده: جوهر سيَّال به قوام الأرواح. بعد هذا خذ قول أبي ذؤيب الهذلي: [الطويل]

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ، ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

فهو يصف السحاب على اعتقاد العرب في الجاهلية، ومثلهم العصريون في هذا الزمن، من أن السحاب؛ أي: الغيوم تدنو من البحر الملح في أماكن مخصوصة، فتمتد منها خراطيم كخراطيم الفيلة، فتشرب بها من مائه، فيسمع لها عند ذلك صوت مزعج، ثم تصعد إلى الجو، وترتفع، فيلطف ذلك الماء، ويعذب بإذن الله تعالى في زمن صعودها، ثم تمطره حيث شاء الله العلي القدير، وأما عند أهل السنّة، فيقولون: إن أصله من الجنَّة، يأتي به المولى المتعالي من السحاب من خروق فيها كخروق الغربال.

وأقول: إن ما ينزل من السماء من مطر، بعضه من ماء البحار المالحة الأرضية، وبعضه من خزائن القدرة، على أن الأول: لا ينبت، وإنما الإنبات والخصب في الثاني، وعلامة الأول: أنه ينزل غزيراً، كأنما ينصب من أفواه قربٍ، وأما ما يقوله الدَّهريون الملحدون: إن الطبيعة تمطر، فهو كفرٌ صراح؛ أي: خالص.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِيٓ﴾، وهو العائد، ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة؛ إذا تقدم عليها، صار حالاً» ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَّكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف صفة ﴿مَآءً﴾، وقول ثالث، متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف على اعتبار ﴿لَّكُم﴾ متعلقين به، وأجيز تعليقهما بـ: ﴿شَرَابٌ﴾ بعدهما، وقول ثالث: متعلقان بمحذوف خبر مقدم على الوجهين الأولين في: ﴿لَّكُم﴾. ﴿شَرَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها، وأما الجملة الاسمية: ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ فهي في محل نصب صفة ﴿مَآءً﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: معطوفة على ما قبلها على الوجهين

المعتبرين فيها. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿تُسِيمُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف؛ أي: أنعامكم، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿شَجَرٌ﴾.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: لمَّا ذكر الله في الآيات السابقة المنافع في الحيوان تفصيلاً، وإجمالاً؛ ذكر في هذه الآية المنافع في النباتات تفصيلاً، وإجمالاً، فبدأ بذكر الزرع، وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة، والشعير، وما أشبههما؛ لأن به قوام بدن الإنسان، وثنى بذكر الزيتون؛ لما فيه من الأدم، والدهن، والبركة، وثلَّث بذكر النخيل؛ لأن ثمرتها غذاء، وفاكهة، وختم بذكر الأعناب؛ لأنها شبه النخلة في المنفعة من التفكه، والتغذية، ثم ذكر سائر الثمار لينبه بذلك على عظيم قدرته، وجزيل نعمته على عباده. انتهى. خازن. وقد ذكر الله مثل ذلك في الآية رقم [١٤١] من سورة (الأنعام)، وبيَّن تفضيل بعضها على بعض في الأكل مع كونها تشرب بماء واحد في الآية رقم [٤] من سورة (الرعد)، وما أحراك أن تنظر ما ذكرته بشأن النخلة في الآية رقم [٢٤ ـ ٢٥] من سورة (إبراهيم) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: ختم الله هذه الآية بالتفكر؛ لأن النظر في ذلك، يعني: إنبات النبات بالماء يحتاج إلى مزيد تأمل، واستعمال فكر، ألا ترى: أنَّ الحبة الواحدة إذا وضعت في الأرض، ومرَّ عليها مقدار من الزمن مع رطوبة الأرض، فإنها تنتفخ، وينشق أعلاها، فيصعد منها شجرة إلى الهواء، وأسفلها تغوص منه عروق في الأرض، ثم ينمو الأعلى ويقوى، وتخرج منه الأوراق، والأزهار، والأكمام، والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطباع والطعوم والألوان والروائح، والأشكال والمنافع، ومن تفكر في ذلك؛ علم: أن مَنْ هذه أفعاله، وآثاره، لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال، فضلاً عن أن يشاركه أخس الأشياء في أخص صفاته التي هي الألوهية، واستحقاق العبادة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وختم الآية الثانية بالعقل؛ لأن العلويات أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة. وختم الثالثة بالتذكر؛ ليرى الناس: أن اختلاف المخلوقات في الطبائع، والهيئات، والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم. انتهى. جمل من هنا وهناك. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾، وآية (البقرة) رقم [١٦٤] فيها لفت النظر إلى جميع ما صنع الله في الأرض، والسماء، وانظر شرح التفكر في الآية رقم [٣] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿يُنۢبِتُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى﴿ٱللَّهِ﴾، وقرئ (نُنبِتُ) فيكون الفاعل مستتراً تقديره: «نحن»، ويكون في الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم، انظر الآية رقم [٤٢] من سورة (الرعد). ﴿لَكُم بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلزَّرْعَ﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه.

﴿وَمِن كُلِّ﴾: معطوفان على محل ﴿الزَّرْعَ﴾، و(مِنْ) للتبعيض؛ أي: وبعض الثمرات؛ لأن كلها لا تكون إلا في الجنة، وجملة: ﴿يُنۢبِتُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى﴾: حرف جر، ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ:«في»، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَأَيَةً﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، واللام لام الابتداء. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آية). ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر صفة قوم، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: انظر الآية رقم [٣٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، ﴿مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: مذللات لمصالح العباد ومنافعهم بأمر الله وقضائه وحكمته الأبدية. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ: انظر ما ذكرته في الآية السابقة، وانظر: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَسَخَّرَ﴾: الواو: حرف عطف. (سخر): ماض وفاعله يعود إلى (الله). ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه حيث قرئ بنصب كل الأسماء، و﴿مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾: حال مؤكدة منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. هذا؛ ويقرأ برفع (الشمس) وما بعده على الابتداء و﴿مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾: خبر عن الثلاثة، كما قرئ بنصب (الشمس والقمر) بعطفهما على ما قبلهما، ورفع ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ على المبتدأ والخبر، وعلى قراءة الرفع فالجملة الاسمية بنوعيها في محل نصب حال من فاعل: (سخر) المستتر، والرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة. هذا؛ وقرئ برفع ﴿مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ وحده على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي مسخرات، وجملة: ﴿وَسَخَّرَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يُنۢبِتُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ انظر الآية السابقة، ففيها الكفاية.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: وسخر لكم ما خلق الله في الأرض من دواب، وأشجار، وأنهار، وبحار، وجبال... إلخ، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أي: في الخلقة، والهيئة،

والكيفية، واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها؛ حتى لا يشبه بعضها بعضاً من كل الوجوه. فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله، ولذلك ختم الله الآية بطلب التذكر، والاعتبار، لعلهم يعتبرون.

بعد هذا انظر شرح: ﴿لَآيَةً﴾ في سورة (الحجر) رقم [١] أما (قوم) فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر، وهو يطلق على الرجال دون النساء، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَا أَدْرِي ـ وسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ـ أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ، أَمْ نِسَاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إنَّ كل لفظ (قوم) في القرآن الكريم، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون معطوفة على الليل... إلخ، فهي في محل نصب أيضاً. ﴿ذَرَأَ﴾ ماض، وفاعله يعود إلى (الله). وقال أبو البقاء: (ما) منصوبة بفعل محذوف، تقديره: وخلق، أو وأنبت. ﴿لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُخۡتَلِفًا﴾: حال من (ما). ﴿أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾: فاعل فيه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ذَرَأَ...﴾ إلخ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: وخلق الذي، أو شيئاً ذرأه.. إلخ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٗ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [١١] ففيها الإعراب واضح، إن شاء الله تعالى.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾

الشرح: لمَّا ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل، الدالة على قدرته، ووحدانيته من خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان من نطفة، وخلق سائر الحيوان، والنبات، وتسخير الشمس، والقمر، والنجوم، وغير ذلك، وذكر إنعامه في ذلك على عباده؛ ذكر بعد ذلك إنعامه على عباده بتسخير البحر لهم، ومعنى تسخيره لهم: تذليله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به، إما بالركوب على ظهره، أو بالغوص فيه، أو الصيد منه، وبدأ بذكر الأكل؛ لأنه أعظم المقصود؛ لأن به قوام البدن، وفي ذكر الطَّري مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى، وذلك أن السمك لو كان كله مالحاً لما كان فيه فائدة للإنسان، ووصفه بالطري؛ لأنه أرطب اللحوم، فيسرع إليه الفساد، فيسارع مَنْ يصيده إلى أكله.

وثنى بالصيد من البحر، وإخراج الحلية منه، كاللؤلؤ، والمرجان، ونحوهما، وأسند لبس الحلية للرجال، وهي من زينة النساء؛ لأنهن من جملة الرجال، ولأنهن يتزين بها من أجلهم، وثلث بنعمة جريان السفن في البحار لما في ذلك من الفوائد العظيمة، والأرباح الجسيمة التي يجنيها ابن آدم من ذلك، وبيَّن ذلك بقوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ أي: تطلبوا الأرباح بالتجارة، ثم عقب ذلك بطلب الشكر على إسداء هذه النعم لبني آدم.

هذا و(الحلية) بكسر الحاء، والجمع «حلى» بالقصر، وتضم الحاء وتكسر، وحلية السيف: زينته، قال ابن فارس: ولا تجمع، وتحلت المرأة لبست الحلي، أو اتخذته، وحليتها بالتشديد ألبستها الحلي، أو اتخذته لها لتلبسه.

بعد هذا انظر إعلال ﴿نَرَىٰ﴾ في الآية رقم [٢٧] من سورة (هود) عليه السلام، وشرح: ﴿الْفُلْكَ﴾ في الآية رقم [٣٧] منها، ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواري في البحر، تشقه بحيزومها، من: المخر، وهو شق الماء، يقال: مخرت السفينة، تمخَر، وتمخُر مَخْراً، ومُخُوراً: إذا جرت تشق الماء مع صوتٍ، ومخر الأرض: شقها للزراعة، ومخرها بالماء: إذا حبس الماء فيها حتى تصير أريضة؛ أي: خليقة بجودة نبات الزرع. انتهى. قرطبي. وانظر «الشكر» في الآية رقم [٧] و [٣٧] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف، (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿سَخَّرَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الذي، وهو العائد، ومتعلقه محذوف، تقديره: لكم. ﴿الْبَحْرَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿سَخَّرَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية رقم [١٠] لا محل لها مثلها. ﴿لِتَأْكُلُوا﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿سَخَّرَ﴾. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَحْمًا﴾: مفعول به. ﴿طَرِيًّا﴾: صفته. ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا﴾: معطوف على (تأكلوا) منصوب مثله. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿حِلْيَةً﴾: مفعول به. ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿حِلْيَةً﴾. ﴿وَتَرَى﴾: الواو: واو الاعتراض، (ترى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿الْفُلْكَ﴾: مفعول به. ﴿مَوَاخِرَ﴾: حال من ﴿الْفُلْكَ﴾؛ لأن الفعل بصري. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمواخر، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه. ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾: معطوف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾، وإعرابه مثله، وعليه جملة: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ...﴾ إلخ معترضة لا محل لها. ﴿مِن فَضْلِهِ﴾:

متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. (لعلكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف في محل نصب اسمها. ﴿تَشْكُرُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: (تأكلوا، وتستخرجوا) فهي من جملة التعليل. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَلْقَىٰ﴾: وخلق، وجعل. ﴿رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثابتة. ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك، وتضطرب، والمَيَدان: الاضطراب يميناً وشمالاً، ومادت الأغصان: تمايلت، وماد الرجل: تبختر، وانظر الآية رقم [٣] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿وَسُبُلًا﴾: طرقاً، وانظر الآية رقم [١٠٨] من سورة (يوسف) عليه السلام، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى حيث تقصدون، فلا تضلون، ولا تتحيرون، أو لعلكم تهتدون إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فتعرفون: أنه القادر المقتدر، والمنعم المتفضل. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير ﴿رَوَاسِيَ﴾: هي الجبال الشامخات من أوتاد الأرض، وهي سبعة عشر جبلاً، منها: قاف، وأبو قبيس، والجودي، ولبنان، وطور سينين، وطور سينا. أخرجه ابن جرير، كما في «المبهمات» للسيوطي. انتهى. جمل من سورة (لقمان).

الإعراب: ﴿وَأَلْقَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (ألقى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وفاعله يعود إلى ﴿الَّذِي﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿سَخَّرَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَوَاسِيَ﴾: مفعول به، وهو صفة لموصوف محذوف؛ أي: جبالاً رواسي، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ في محل جر بإضافته لمصدر محذوف يقع مفعولاً لأجله، التقدير: كراهية ميدها بكم، وهذا عند البصريين، وهو عند الكوفيين، مجرور بحرف جر محذوف، التقدير: لئلا تميد بكم. ﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾ معطوفان على ﴿رَوَاسِيَ﴾، وإعراب: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في الآية السابقة، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل، لا محلَّ لها.

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ أي: وجعل في الأرض علامات يهتدي بها المسافرون من جبلٍ، وسهل، وريح. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: يهتدون إلى مقاصدهم في الليل بالنجوم، والاهتداء بالنجوم في الليل يكون بالجدي، والفرقدين، وبنات نعش، والثريا، وسُهَيْل لكثير من الناس، وهناك نجوم لا يهتدي بها إلا مَنْ كان عندهم علم بمطالعها، ومسارها. قيل: المعني بذلك كفار

قريش، والخطاب في الآية السابقة لجميع المخاطبين من بني آدم، والانتقال من الخطاب إلى الغيبة يسمى التفاتاً، انظر الآية رقم [٤٣] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك. هذا؛ ويقرأ: (بالنُّجُم) بضم النون المشددة مع ضم الجيم وتسكينها للتخفيف، والله أعلم بمراده. وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖ﴾: معطوف على ﴿رَوَٰسِيَ﴾ وقال أبو البقاء: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: ووضع فيها علامات، منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، الواو: حرف استئناف. (بالنجم): متعلقان بالفعل بعدهما، والتقديم للقافية، لا للاختصاص. ﴿هُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾

الشرح: في هذا الاستفهام إنكار شديد بعد إقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته، وتناهي حكمته، والتفرد بخلق ما عدد مِنْ مبدعاته في الآيات السابقة؛ لأن يساويه، ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك، بل على إيجاد شيءٍ ما، وكان حق الكلام: «أفمن لا يخلق كمن يخلق» لكنه عكس التشبيه تنبيهاً على أنهم بالإشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً بها.

والمراد بـ: (من لا يَخْلُق): كلَّ ما عبد من دون الله تعالى، مغلباً فيه أولو العلم على غير العاقلين، أو المراد بذلك الأصنام، وإجراؤها مجرى العقلاء؛ لأنهم سموها آلهة، ومن حق الإله أن يعلم ويعقل، أو عومل معاملة العقلاء للمشاكلة بينها، وبين مَنْ يخلق، أو للمبالغة في الإنكار، فكأنه قيل: إن مَنْ يخلق ليس كمن لا يخلق من أهل العلم، فكيف بمن لا عنده علم البتة، ولا يعقل قطعاً. وانظر الآية رقم [٤٩] الآتية.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يعني: هذا القدر من الإنكار ظاهر غير خاف على أحد، فلا يحتاج فيه إلى دقيق الفكر، والنظر، بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن يعلم، ويعقل، ويعتبر، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ هذا وقد حذف من الفعل إحدى التاءين، فإنَّ الأصل: «تتذكرون» وهذا الحذف كثير ومستعمل في القرآن الكريم، والكلام العربي، ولا تنس: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهو عكس ما في الآية السابقة. تأمل.

بعد هذا فالهمزة في الكلمتين ﴿أَفَمَن﴾ ﴿أَفَلَا﴾ للإنكار، وهي في نية التأخير عن الفاء؛ لأنها حرف عطف، وكذا تقدم على الواو، وثم تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ وقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ إلخ وقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ...﴾ إلخ، وأخواتها تتأخر عن حروف العطف، كما هو قياس أجزاء

الجملة المعطوفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ هذا مذهب سيبويه والجمهور، وخالف جماعة، أولهم الزمخشري، فزعموا: أن الهمزة في الآيات المتقدمة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير في: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ...﴾ إلخ، ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ...﴾ إلخ: أمكثوا، فلم يسيروا في الأرض؟ أَنُهْمِلُكُمْ فَنَضْرِبُ عَنْكُم... إلخ؟ أتؤمنون في حياته، فإن مات، أو قتل... إلخ؟، ويضعفه ما فيه من التكلف، وأنه غير مطرد في جميع المواضع. انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾ الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الفاء: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَخْلُقُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ) والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية صلة (مَنْ)، لا محل لها. ﴿كَمَن﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَخْلُقُ﴾: مثل سابقه، والجملة صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية معطوفة على جملة محذوفة على قول الزمخشري، ومن قال بقوله، والجملة الفعلية مستأنفة مع الجملة المقدرة المعطوفة عليها، ومعطوفة على ما قبلها على قول سيبويه وموافقيه. ﴿أَفَلَا﴾ الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الفاء: مثل سابقتها. (لا): نافية. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، وقل في الجملة الفعلية مثل الجملة الاسمية، والكلام على الاعتبارين في الفاء مستأنف لا محل له.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ...﴾ إلخ: انظر شرح هذه النعم في الآية رقم [٣٤] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾: حيث يتجاوز عن تقصيركم في القيام بشكر هذه النعم، كما يجب عليكم، و(غفور) صيغة مبالغة. ﴿رَّحِيمٌ﴾ أي: بكم حيث منحكم هذه النعم، ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير في الطاعة، وبسبب اجتراحكم المعاصي، ولم يعاجلكم بالتوبة على جحودها، وكفرانها.

فائدة: «النِّعمةُ» بكسر النون: واحدة النِّعَم، و«النَّعمةُ» بفتح النون: التَّنَعُّمُ، والترفه، ولذا قيل: كم ذي نِعْمَةٍ لا نَعْمَةَ لَهُ؛ أي: كم ذي مال لا تنعم له.

الإعراب: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ...﴾ إلخ: انظر الإعراب وافياً كافياً في الآية رقم [٣٤] من سورة (إبراهيم) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَغَفُورٌ﴾: خبرها، واللام هي المزحلقة. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية مستأنفة أيضاً، لا محل لها.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩﴾

الشرح: ﴿تُسِرُّونَ﴾: تخفون. ﴿تُعْلِنُونَ﴾: تجهرون، والعلن، والإعلان، والعلانية: الجهر، انظر الآية رقم [٣١] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام، قال الشاعر: [البسيط]

لَا تَـظْـلِـمُـوا مِـسْـوَراً فـإِنَّـهُ لَـكُـمُـو ... مِـنَ الَّـذِيـنَ وَفَـوْا بـالـسِّـرِّ والْـعَـلَـنِ

والمعنى: إن الله عليم بجميع أعمال العباد؛ ما يعملونه في السر، والخفاء، وما يفعلونه في الجهر، والعلانية. ففيه وعيد، وتهديد، فقد وصف الله نفسه بالعلم، فهو جدير باستحقاق العبادة، والتضرع، واللجوء إليه، بخلاف المعبودات الباطلة من حجر، ونحوه، فإنها لا تعلم شيئاً، بل، ولا تبصر، ولا تعقل فكيف تستحق العبادة؟ هذا؛ والفعل يعلم من المعرفة لا من العلم اليقيني، انظر الآية رقم [٤٢] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يعلم الذي، أو شيئاً تسرونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم سركم. وإعراب: ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ لا يخفى عليك، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠﴾

الشرح: المعنى: إن الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى عاجزة لا تقدر أن تخلق شيئاً في هذا الكون صغيراً كان، أو كبيراً، عظيماً كان، أو حقيراً، بل إنها هي مخلوقة، وما كان بهذه المثابة، فكيف يكون إلهاً، وكيف يستحق العبادة. هذا؛ وعلى قراءة الأفعال بالياء يكون في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة، وعلى قراءة: (تدعون) فلا التفات، وإنما جمعت المعبودات الباطلة جمع مذكر سالماً مع أنها من الجمادات؛ لأن الكفار يعاملونها معاملة مَنْ يعقل مِنْ سؤالهم لها حوائجهم، وتذللهم لها، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع مَنْ يعقل؛ إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل، وهو كثير ومستعمل في القرآن الكريم، والكلام العربي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَدْعُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان

بمحذوف حال من الضمير المنصوب، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: والذين يدعونهم. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخۡلُقُونَ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿شَيۡـٔٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر مبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة. ﴿وَهُمۡ﴾الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُخۡلَقُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ﴾ أي: الأصنام، لا أرواح فيها، ولا تسمع، ولا تبصر؛ أي: هي جمادات، فكيف تعبدونها، وأنتم أفضل منها بالحياة. ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾: ولا يعلمون وقت بعثهم، والإله ينبغي أن يكون عالماً بالغيوب، مقدراً للثواب والعقاب، وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف، وانظر جمع ما لا يعقل في الآية السابقة، وقد قيل استدلالاً بهذه الآية: إن الله يبعث الأصنام يوم القيامة، ولها أرواح فتتبرأ من عبادتهم، وهي في الدنيا جماد، لا تعلم متى تبعث.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تبعث الأصنام، وتركب فيها الأرواح، ومعها شياطينها، فيتبرؤون من عبدتها، ثم يؤمر بالشياطين والمشركين إلى النار. وقيل: المعنى: ما يدري الكفار الذين عبدوا الأصنام متى يبعثون.

بعد هذا فـ: ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ جمع: ميت، وانظر الآية رقم [١٧] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، وانظر شرح: ﴿غَيۡرُ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد)، و﴿يَشۡعُرُونَ﴾ من الشعور، وهو إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته.

الإعراب: ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾: خبر ثان للمبتدأ على التفسير الأول، وخبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم أموات على التفسير الثاني. ﴿غَيۡرُ﴾: صفة ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾، و﴿غَيۡرُ﴾ مضاف، و﴿أَحۡيَآءٖۖ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَشۡعُرُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿أَيَّانَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل بعده، وهو معلق للفعل قبله عن العمل، والجملة الفعلية: ﴿أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾: في محل نصب مفعول به للفعل قبله، وجملة: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ على الوجهين المعتبرين فيه، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾، وهو الأقوى.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لما بيَّن الله استحالة الإشراك به سبحانه بيَّن أن الذي يستحق العبادة هو إله واحد، وهذه الأصنام متعددة، فكيف تستحق العبادة؟!.

﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ أي: لا تقبل الوعظ، ولا ينجع فيها النصح.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: متكبرون عن اتباع الحق؛ لأن الحق إذا تبين كان تركه تكبراً، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، كما في الآية رقم [١٧] وأعني بالغيبة في الآية السابقة، ثم في هذه الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة.

وللالتفات فوائد كثيرة: منها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر، والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه حث السامع، وبعثه على الاستماع؛ حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصصه بالمواجهة.

الإعراب: ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريع. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قُلُوبُهُم﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُّنكِرَةٌ﴾: خبره؛ والجملة الاسمية في محل رفع خبر (الذين)، والجملة الاسمية هذه مستأنفة ومفرعة عما قبلها لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: انظر الإعراب يتضح لك معناها. ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: انظر الآية رقم [١٩] ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ أي: يبغضهم، ويمقتهم، ويصرفهم عن التفكر في آياته، والتدبر في صنعه، كما ذكر الله ذلك في آية (الأعراف) رقم [١٤٦] وهو صفة تستوجب الذم، وتستلزم اللوم، وتسلب الفضائل، وتكسب الرذائل، وحسب المتكبر مَنْ هذه صفاته البغض والمقت عند الله، وعند الناس.

فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنهم ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ الْمتكبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كلِّ مكانٍ، يُساقونَ إلى سجنٍ**

في جَهَنَّمَ، يُقالُ لهُ: بُوْلَسُ، تعلوهُم نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أهلِ النارِ، طينةِ الْخَبَالِ». أخرجه النسائي، والترمذي. وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ... إلخ**». رواه مسلم، والترمذي بطوله.

وأفحش أنواع الكبر وأقبحها الكبر على الله، كتكبر فرعون، وادعائه الربوبية، واستنكافه أن يكون عبداً لله. ويليه في القبح، والشناعة التكبر على الرسل، وعدم الانقياد لهم، ومخالفة ما جاؤوا به كبراً وعناداً، وجهلاً، كالذي حصل من كفار قريش مع رسول الله ﷺ. ويلي هذين النوعين في السوء والمقت التكبر على عباد الله، وازدراؤهم، والترفع عليهم، والأنفة من مساواتهم.

الإعراب: ﴿لَا جَرَمَ﴾ في إعراب هذا اللفظ أربعة أقوال:

أحدها: وهو مذهب سيبويه والخليل: أنها مركبة من (لا) النافية، و(جرم) وبُنِيَتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر، وصار معناهما معنى فعل، وهو (حَقَّ) فعلى هذا فالمصدر المؤول من ﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في محل رفع فاعل، فقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أي: حَقَّ وثَبتَ كونُ النارِ لهم، أو استقرارها لهم. هذا ما نقله السمين عن سيبويه، والخليل، ونقل مكي عنهما: أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمعنى: «حقٌّ» في موضع رفع بالابتداء، والمصدر المؤول من ﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في محل رفع خبر، فاختلف النقل عن سيبويه والخليل، رحم الله الجميع برحمته الواسعة، ورحمنا معهم.

الثاني: أنَّ ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمنزلة «لا رجل» في كون ﴿لَا﴾ نافية للجنس، و﴿جَرَمَ﴾ اسمها مبني معها على الفتح، وهي واسمها في محل رفع بالابتداء، وما بعدهما خبر ﴿لَا﴾ النافية، وصار معناها: لا محالة في أنهم في علم الله سرهم وعلانيتهم، وهذا الوجه عزاه مكي إلى الخليل أيضاً، ونقله ابن هشام في المغني عن الفراء أيضاً.

الوجه الثالث: أن ﴿لَا﴾ نافية لكلام متقدم، رد الله به استكبارهم، بمعنى: لا ينفعهم استكبارهم، ثم أتى بعدها بجملة فعلية، وهي ﴿جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ...﴾ إلخ، و﴿جَرَمَ﴾ على هذا فعل ماض معناه: حقَّ، وثَبَتَ، وفاعله مستتر، يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام، و﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها في موضع المفعول به؛ لأن جرم يتعدى إذا أُوِّل بكسب كما قيل، وهو لازم إذا كان بمعنى: حق، وثَبت و﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها في موضع الفاعل، والمعنى عليه أقوى، وعلى هذا الوجه فالوقف على ﴿لَا﴾ ثم يبتدأ بـ: ﴿جَرَمَ﴾ بخلاف ما تقدم. انتهى. جمل، وهذا القول عزاه مكي للزجاج، ونقله ابن هشام في المغني عن قطرب.

الوجه الرابع: أن معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا حَدَّ، ولا منعَ، ولا صدَّ، ويكون ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: القطع، تقول: جرمت كذا؛ أي: قطعته، فيكون ﴿جَرَمَ﴾ اسم ﴿لَا﴾ مبني معها على الفتح، كما

تقدم، وخبرها ﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها على حذف حرف الجر؛ أي: لا منع من علم الله، فيعود فيه الخلاف المشهور. انتهى. جمل. وهذا القول عزاه مكي للكسائي. وقال ابن هشام في المغني: وقال قوم: ﴿لَا﴾ زائدة، و﴿جَرَمَ﴾ وما بعدها فعل، وفاعل، كما قال قطرب، وردَّه الفراء بأن ﴿لَا﴾ لا تزاد في أول الكلام. انتهى.

﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ انظر الإعراب في الآية رقم [١٩] وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر. انظر الإعراب المتقدم لترى محل هذا المصدر. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وجملة: ﴿لَا يُحِبُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ أي: لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم كفار مكة؛ الذين اقتسموا طرق مكة، ومداخلها، كما رأيت في الآية رقم [٩٠] من سورة (الحجر)، أوهم المستهزئون، كما رأيت في الآية رقم [٩٥] من سورة (الحجر) أيضاً. ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أي: على محمد ﷺ. ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ...﴾ إلخ: أي: المنزل عليه أحاديث الأولين، وأخبارهم، وأكاذيبهم، وقصصهم، والأساطير: جمع أسطورة، وإسطارة بكسر الهمزة، فالأول: مثل أحدوثة، وأضحوكة وأعجوبة، وجمعها: أحاديث، وأضاحيك، وأعاجيب. وقيل: واحدها: سَطَر ـ بفتح الطاء ـ وأسطار: جمع، و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ جمع الجمع. هذا؛ وسطر الكتابة جمعه في القلة: أسطر، وفي الكثرة: سطور، مثل فَلْس، وَأَفْلُس، وَفُلُوس. هذا؛ وقد قيل في معنى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إنها الترهات، وهي عند العرب غامضة، ومسالك وعرة مشكلة، يقول قائلهم: أخذنا في الترهات، بمعنى: عدلنا عن الطريق الواضح، إلى الطريق المشكل، الذي لا يعرف، فجُعلت الترهات مثلاً لما لا يُعرف، ولا يتضح من الأمور المشكلة الغامضة، التي لا أصل لها. هذا وقد قيل: إن القائل: المنزل أساطير... إلخ. هو النضر بن الحارث من بني عبد الدار، انظر الآية رقم [٣١] من سورة (الأنفال) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وانظر الآية رقم [٣٠] الآتية، ففيها بحث، ومقارنة بين الجوابين.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جمع: أول، وفيه مسائل: **الأولى**: الصحيح أن أصله: «أوأل» بوزن أفعل، قلبت الهمزة الثانية واواً، ثم أدغمت في الأولى، بدليل قولهم في الجمع: أوائل. وقيل: أصله

«وَوَّل» بوزن فَوْعَل، قلبت الواو الأولى: همزة، وإنما لم يجمع على أَوَاوِل لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع.

الثانية: الصحيح: أن أول لا يستلزم ثانياً، وإنما معناه ابتداء الشيء ثم قد يكون له ثان، وقد لا يكون، تقول: هذا أول مال اكتسبته، وقد لا تكتسب بعده شيئاً، وقد تكتسب. وقيل: إنه يستلزم ثانياً، كما أن الآخر يقتضي أولاً، فلو قال: إن كان أول ولد تلدينه ذكراً فأنت طالق، فولدت ذكراً، ولم تلد غيره، وقع الطلاق على الأول: دون الثاني.

الثالثة: لأول استعمالان: أحدهما: أن يكون صفة؛ أي: أفعل تفضيل بمعنى: الأسبق، فيعطى هذا حكم أفعل التفضيل، من منع الصرف، وعدم تأنيثه بالتاء، ودخول مِنْ عليه، نحو هذا، أَوَّلُ من هذين، ولقيته عاماً أول. والثاني: أن يكون اسماً مصروفاً، نحو لقيته عاماً أَوَّلاً، ومنه قولهم: ما له أولٌ، ولا آخرٌ. قال أبو حيان: في محفوظي: أن هذا يؤنث بالتاء، ويصرف أيضاً، فيقال: أَوَّلَةٌ، واخِرَةٌ بالتنوين. انتهى. جمع الجوامع.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وإذا قيل قول. وقيل: الجار والمجرور ﴿لَهُم﴾: في محل رفع نائب فاعل. وقيل: جملة: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ...﴾ إلخ: في محل رفع نائب فاعل، وهذا على قول مَنْ يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه». وهذا لا غبار عليه، انظر الشاهد رقم [٧٩٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، والكلام عليه. ﴿مَّاذَآ﴾: فيه اعتبارات. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض. ﴿رَبُّكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي أنزله ربكم؟ هذا؛ ويجوز اعتبار (ماذا) اسم استفهام مركباً، وفي إعرابه وجهان: اعتباره مفعولاً مقدماً للفعل بعده، واعتباره مبتدأ، والجملة الفعلية خبره، والرابط محذوف وهو مفعول الفعل المحذوف، وسواء أكانت الجملة اسمية أم فعلية على حسب الاعتبارات التي رأيتها، فهي في محل نصب مقول القول على الوجهين الأولين المعتبرين في نائب الفاعل، وهي في محل رفع نائب فاعل قيل على الاعتبار الأخير فيه، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة إذا إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض وفاعله.

﴿أَسَٰطِيرُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: المنزل أساطير، وهذا على اعتبار ﴿مَّاذَآ﴾ مبتدأ بالإفراد، أو بالتركيب، وأما على اعتباره مفعولاً مقدماً، فيكون ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ مفعولاً به لفعل محذوف موافقة، بين السؤال والجواب، كما في آية أخرى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ أي: أنزل خيراً، وقد قال أبو البقاء: ويقرأ: (أساطيرَ) بالنصب، ولم أجده لغيره، وعلى الاعتبارين فالجملة في محل نصب مقول القول، و﴿أَسَٰطِيرُ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب إذا لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ...﴾ إلخ: أي: قالوا ما ذكر في الآية السابقة إضلالاً للناس فحملوا، أوزارهم، وذنوبهم كاملة، وإنما قال سبحانه ﴿كَامِلَةٗ﴾؛ لأن البلاء الذي أصابهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها، لا تكفر عنهم شيئاً من آثامهم وسيئاتهم بخلاف المؤمنين، فإن البلاء يطهرهم من الأوزار، والسيئات، وكذلك فعلهم الخير يمحوها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ وقال الرسول ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**». ﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ أي: ويحملون من ذنوب وسيئات الذين كانوا سَبباً في إضلالهم، وهو كقوله تعالى في سورة (العنكبوت): ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ رقم [١٣]. ﴿سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس ما يحملونه، ففيه تهديد، ووعيد.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إلى هُدىً، كان لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إلى ضَلالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِن الإِثْمِ مِثْلُ آثامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئاً**». أخرجه مسلم، انظر الآية رقم [١٣] من سورة (الحجر). ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بئس الوزر الذي يحملونه من دنياهم لآخرتهم. هذا؛ و: «يزر» ماضيه وزر، والمصدر وِزْر بكسر الواو، وفتحها، وهو بمعنى: الإثم، والجمع، أوزار. هذا؛ والوزر بفتح الواو، والزاي الملجأ والمستغاث، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾.

هذا ـ وقد قال تعالى في سورة (الأنعام): ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ الآية رقم [٣١] وحمل الذنوب بالمعنيين «الأوزار، والأثقال». قيل به: إن الكافر إذا خرج من قبره يوم القيامة يستقبله أقبح شيء صورةً، وأنتنه ريحاً، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا! فيقول: أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا، فأنا اليوم أركبك حتى أخزيك على رؤوس الخلائق! فيركبه،

ويَتَخَطَّى به الناس، حتى يقف بين يدي الله تعالى، وأقول: إن الفاسق، والفاجر المسلم ليس من ذلك ببعيد، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

و﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وكثر التعبير عنه بألفاظ كثيرة، مثل: القارعة، والحاقة، والطامة، والصاخة، ونحو ذلك، وأصل القيامة: القوامة؛ لأنها من قام يقوم، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة. هذا؛ وقوله سبحانه: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: على جهل منهم، وهذا يفيد: أن جهلهم لا يكون عذراً لهم، وهو يعني: أنه يجب على كل عاقل أن يبحث على الحقيقة؛ حتى يصل إليها؛ حتى لا يكون من الهالكين، وانظر شرح: ﴿بِغَيْرِ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل. وقيل: هي اللام العاقبة. وقيل: هي لام الأمر، والكلام للتهديد والوعيد، وعلامة النصب، أو الجزم حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى الجزم فالجملة مستأنفة، وعلى النصب فـ: «أن» المضمرة، والفعل في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَامِلَةً﴾: حال من: ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ مؤكدة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ﴾: معطوفان على محل ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾، و﴿وَمِنْ﴾ للتبعيض. وقيل: من زائدة، فيكون ﴿أَوْزَارِ﴾ مجروراً لفظاً، منصوباً محلاً، و﴿أَوْزَارِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿يُضِلُّونَهُم﴾: مضارع، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، و(غير) مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر فيه مفسر بما بعده. ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز، وجملة: ﴿يَزِرُونَ﴾: في محل نصب صفة ما، والتقدير: : «ساء» الشيء شيئاً مُزْرى، ورابط الصفة محذوف، التقدير: يزرونه، والمخصوص بالذم محذوف أيضاً، التقدير: هو حملهم. هذا؛ وأجاز أبو البقاء في غير هذا الموضع اعتبار الفعل (ساء) متصرفاً من الإساءة، وله مفعول محذوف، كما أجاز اعتبار ﴿مَا﴾ موصولة وموصوفة ومصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وتقدير الكلام: ألا سَاءَهُمُ الذي، أو شيء يزرونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم وِزْرُهُمْ، والجملة الفعلية: ﴿أَلَا سَآءَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل كفار قريش، والمراد: نمرود بن كنعان الجبار، وكان أكبر ملوك الأرض في زمن إبراهيم على نبيِّنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وكان من مكره: أنه بنى صرحاً عظيماً ببابل في العراق؛ ليصعد إلى السماء، ويقاتل أهلها في زعمه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع، فهبت ريح شديدة، فقصفته، وألقت رأسه في البحر، وخر عليهم الباقي، فأهلكهم، وهم تحته. ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي: أراد الله وقصد تخريب بنيانهم من قواعده، وأساسه. ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي: سقط عليهم السقف، فأهلكهم وأبادهم. ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: الهلاك. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يحتسبون، ولا يتوقعون، وذلك: أنهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته، كان ذلك البنيان سبب هلاكهم. هذا ويقرأ: ﴿ٱلسَّقْفُ﴾ بضم السين المشددة مع ضم القاف وسكونها للتخفيف.

هذا وقيل: ما في الآية الكريمة تمثيل لإفساد ما أبرمه الكفار من هدم بناء دين الله، حيث شبه حالهم بحال قوم بنوا بنياناً، ودعموه، فانهدم ذلك البناء، وسقط السقف عليهم، ونحوه: مَنْ حفر لأخيه جباً؛ وقع فيه منكباً. وهذا ما اختاره القاضي كالكشاف، فيكون عاماً في جميع المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر، والمكر بالمحقين. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. أقول: نص الآية يؤيد التفسير الأول، ويستعار للثاني استعارة على طريقة التشبيه، والتمثيل، والمشهور: أنَّ النمرود مات بسبب بعوضة دخلت في أنفه؛ حتى وصلت إلى دماغه.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَكَرَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: الذين كانوا، أو خلقوا من قبلهم، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَدْ مَكَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والحالية ضعيفة. ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾: ماض وفاعله. ﴿بُنْيَـٰنَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلسَّقْفُ﴾، وجملة: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿حَيْثُ﴾ مبني على الضم في محل جر، وجملة: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي: يذلهم، ويهينهم بالعذاب، والمراد بهم: الذين مكروا، وحل بهم ما رأيت من العذاب في الدنيا. وفيه إشعار بأن العذاب يحصل للمجرمين في الدنيا، والآخرة. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ أي: يقول الله يوم القيامة ـ على سبيل التقريع، والتأنيب ـ: أين شركائي في الألوهية على زعمكم؟! ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي: كنتم تعادون، وتخالفون المؤمنين، وتخاصمونهم في شأنهم، فأحضروهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب، والهوان. هذا؛ ويقرأ: (تشاقونِ) بكسر النون، فتكون للوقاية، وقد حذفت النون علامة الرفع وحذفت أيضاً ياء المتكلم، وقد دلت كسرة النون عليها، وانظر الآية رقم [٨٨] من سورة (هود) عليه السلام.

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أي: الملائكة. وقيل: الأنبياء. وقيل: المؤمنون الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان، وعبادة الله تعالى فيخالفونهم، ويتكبرون عليهم. ﴿إِنَّ الْخِزْيَ﴾ أي: الذل، والهوان. ﴿وَالسُّوءَ﴾ أي: العذاب. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين كفروا بالله وآياته، وإنما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لأن الكفار كانوا يستهزئون بهم في الدنيا، وينكرون عليهم أحوالهم، فإذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق، وأكرموا بأنواع الكرامات، وأهين أهل الباطل، وعذبوا بأنواع العذاب، فعند ذلك يقول المؤمنون هذا القول شماتة بالكافرين. والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿الْقِيَامَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿يُخْزِيهِمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿شُرَكَائِيَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة، أو بدل من ﴿شُرَكَائِيَ﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تُشَاقُّونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، وانظر الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). ﴿فِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿قَالَ

﴿ٱلَّذِينَ﴾: ماض، وفاعله. ﴿أُوتُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْخِزْىَ﴾: اسمها. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿ٱلْخِزْىَ﴾؛ لأنه مصدر. ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾: معطوف على ﴿ٱلْخِزْىَ﴾. ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي: تقبض الملائكة أرواحهم، وهو ملك الموت، وأعوانه. ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالكفر، والمعاصي، فعرَّضوها بذلك للعذاب الأبدي في جهنم. ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: إنهم استسلموا، وانقادوا لأمر الله الذي نزل بهم. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ أي: من كفر ومعصية. وهذا بحسب اعتقادهم، وزعمهم. ﴿بَلَىٰٓ﴾ أي: فتقول لهم الملائكة: بلى كنتم تعملون السوء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ﴾ بالذي كنتم تعملونه، ويفهم من هذه الآية: أنه لا يخرج من الدنيا كافر، ومنافق؛ حتى ينقاد، ويستسلم، ويخضع، ويذل، وحينئذٍ فلا تنفعهم توبة، ولا إيمان، كما قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ وانظر الآية [٨٧].

هذا ويقرأ الفعل: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء، والياء. انظر الآية رقم [٣٢] الآتية، وانظر شرح: ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ في الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد)، وشرح: ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام، والظلم في الآية رقم [٢٣] من سورة (يونس) عليه السلام. ﴿بَلَىٰٓ﴾: حرف جواب كـ: «نعم»، و«جير» و«أجل» و«إي» إلا أن بلى جواب لنفي متقدم؛ أي: إبطال، ونقض، وإبطال له، سواء دخله الاستفهام أم لا؟ فتكون إيجاباً له، نحو قول القائل: ما قام زيد؟، فتقول: بلى؛ أي: قد قام، وقوله: أليس زيد قائماً؟، فتقول: بلى أي: هو قائم، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لو قالوا: نعم؛ لكفروا.

تنبيه: قال الله تعالى في آيةٍ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وقال في آيةٍ أخرى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾. وقال هنا: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ والجمع بين هذه الآيات: أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى، فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه، ولملك الموت أعوان من الملائكة، فيأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده، فإذا وصلت إلى الحلقوم، تولى ملك الموت قبضها بنفسه. انتهى خازن في غير هذه الآية. ولنا كلام طويل في الآية رقم [١١] من سورة (السجدة) كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فيه وجوه: أحدها: الاتباع لما قبله على البدلية، أو على النعت، ثانيها: النصب على الذم بفعل محذوف، ثالثها: الرفع على الابتداء، والخبر محذوف، التقدير: يقولون: ما كنا... إلخ، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين... إلخ، وهو مبني على الفتح في محل جر على الأول، أو في محل نصب على الثاني، أو في محل رفع على الثالث. ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد الضمير المنصوب. ﴿ظَالِمِىٓ﴾: حال من الضمير المنصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وهو مضاف، و﴿أَنفُسِهِمْ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَأَلْقَوُا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (ألقوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلسَّلَمَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿نَعْمَلُ﴾: مضارع: وفاعله مستتر، تقديره: «نحن». ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُوٓءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقولون: ما كنا... إلخ، وهذه الجملة في محل رفع خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على اعتباره مبتدأ، وفي محل نصب حال من واو الجماعة على الاعتبارات الأخرى في الموصول. ﴿بَلَىٰٓ﴾: حرف جواب في محل نصب مقول قول محذوف؛ إذ هو من مقول الملائكة، أو من مقول الله عز وجل. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلِيمٌۢ﴾: خبرها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌۢ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين: مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عليم بالذي، أو بشيء كنتم تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤوّل مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: عليم بعملكم. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول للقول المحذوف.

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟...﴾ إلخ: أي: فيقال للكافرين المعاندين عند الموت: ادخلوا جهنم، كل صنف بابه المعد له. انظر الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر) تجد ما يسرك. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مقيمين لا تبرحون منها أبداً، وانظر شرح: (بئس) في الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد)، وانظر «الكبر» في الآية رقم [٢٣] والمراد: تكبروا عن الإيمان، وعن عبادة الله تعالى، وقد بيَّن الله ذلك

في سورة (الصافات) بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ هذا و«المثوى» في الأصل المنزل الذي تكون فيه الإقامة، والفرق بينه، وبين المأوى، فهو مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ولو موقتاً.

الإعراب: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ادخلوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (امضوا) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحجر). ﴿أَبْوَٰبَ﴾: مفعول به، وانظر الآية رقم [١٤] و[٢٣] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام، و﴿أَبْوَٰبَ﴾ مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وجملة: (ادخلوا...) إلخ في محل نصب مقول القول المحذوف. انظر الشرح، وجملة: (فيقال.. ادخلوا...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَبِئْسَ﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف. ﴿فَلَبِئْسَ﴾ (بئس): ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿مَثْوَى﴾: فاعل بئس، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور.. إلخ، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: هي جهنم، وجملة: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى...﴾ إلخ جواب قسم محذوف، التقدير: أقسم بالله لبئس.. إلخ، والقسم وجوابه كلام مفرَّع عمَّا قبله، ومستأنف لا محل له، وعلى اعتبارها ابتدائية لا محل لها أيضاً.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ...﴾ إلخ: وذلك: أنَّ أحياء العرب البعيدين عن مكة كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم مَنْ يأتيهم بخبر النبي ﷺ؛ فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرق مكة من الكفار، فيقولون: هو ساحر، كاهن، شاعر، مجنون، كذاب. وانظر الآية رقم [٢٤] وإذا لم تلقه خير لك، فيقول الوافد: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة، فألقاه، فيدخل مكة، فيرى أصحاب رسول الله ﷺ، فيسألهم عنه، فيخبرونه بصدقه، وأمانته، وأنه نبيٌّ مبعوث من الله عز وجل. ومعنى: ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾: ابتعدوا عن الشرك، والكذب، وقول الزور. وانظر إعلاله وشرحه في الآية رقم [١٠٩] من سورة (يوسف) عليه السلام.

هذا ورفع ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ في قول المشركين، ونصب ﴿خَيْرًا﴾ في قول المؤمنين، ليحصل الفرق بين الجوابين، وذلك: أنهم لما سألوا الكفار عن المُنزل على النبي ﷺ عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، وليس هو من الإنزال في شيءٍ؛ لأنهم لم يعتقدوا كونه

منزلاً، ولما سألوا المؤمنين عن المُنزل عليه ﷺ؛ لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيِّناً مكشوفاً، موافقاً للإنزال. انتهى. خازن بتصرف.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة، من الواحد إلى العشرة، إلى السبعمئة إلى أضعاف كثيرة، من رزق، وفتح، ونصر، وعزٍّ، وكرامة، وغير ذلك ممَّا أنعم الله به على عباده في الدنيا، وما أعدَّه الله لهم في الآخرة خيرٌ ممَّا يحصل لهم في الدنيا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾. ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: وهي الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، والخير العميم. بعد هذا انظر شرح: ﴿وَلَدَارُ﴾ في الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد)، وشرح: ﴿وَلَنِعْمَ﴾ فيها أيضاً، والمراد بالآخرة: الحياة الثانية التي تكون بعد الموت، ثم بعد الحساب، والجزاء، ودخول الجنة والخلود فيها، أو دخول النار والخلود فيها، وانظر شرح: ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٢٤] هذا وقد قرأ زيد بن علي برفع (خير) والكلام مستأنف، وعطفه على الآية المذكورة فالمعنى لا يأباه. تأمل. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَحْسَنُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى﴾: حرف جر. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بـ: ﴿فِى﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل لها، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من حسنة، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً.. إلخ. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿حَسَنَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها وأجيز اعتبارها بدلاً من ﴿خَيْرًا﴾، أو تفسيراً له، وذلك: أنَّ الخير هو الوحي الذي أنزل الله تعالى فيه: من أحسن في الدنيا بالطاعة؛ فله حسنة في الدنيا، وحسنة في الآخرة. ﴿وَلَدَارُ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (دار): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، ﴿وَلَنِعْمَ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور، متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. نعم: ماض جامد لإنشاء المدح. (دار): فاعل نعم، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مضاف إليه مجرور.. إلخ، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر، والكلام مثل سابقه، والمخصوص بالمدح محذوف، التقدير: هي الجنة. هذا وإن

اعتبرت اللام في الجملتين لام الابتداء؛ فالمعنى لا يأباه، وتكون الأولى مستأنفة، لا محل لها، والثانية معطوفة عليها.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١﴾

الشرح: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾: انظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد)، وشرح الأنهار في الآية رقم [٣] منها، وشرح: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾ في الآية رقم [٣٥] منها أيضاً. ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ أي: للمتقين في جنات عدن ما يشتهون من مستلذات، وهذا لا يكون إلا في الجنة؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ لا يفيد الحصر، وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا. ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: مثل هذا الجزاء العظيم يجزيه الله المتقين، الذين خافوا الله في الدنيا، ووقفوا عند حدوده.

بعد هذا: انظر شاء في الآية رقم [٢] هذا والجزاء، والمجازاة: المكافأة على عمل ما، تكون في الخير، وتكون في الشر، فمن الأول: قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ ومن الثاني: قوله تعالى لإبليس وأتباعه: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾ فقد أراد جزاء الشر، والجزاء من جنس العمل. هذا؛ والفعل «جزي يجزي» ينصب مفعولين. ﴿ٱللَّهُ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به، لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمُها الحلالُ.

الإعراب: ﴿جَنَّٰتُ﴾: فيه وجوه: الأول: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي جنات. الثاني: مبتدأ خبره الجملة بعده، أو الخبر محذوف، التقدير: لهم جنات. هذا؛ وأجيز اعتباره المخصوص بالمدح، فحينئذ تجري فيه الاعتبارات الثلاث من كونه مبتدأ خبره الجملة الفعلية المتقدمة، أو مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف. والثاني: أضعفها، والثالث: أقواها، ويكون الكلام متصلاً بما قبله، وعلى الاعتبارات: الأول: يكون الكلام مستأنفاً منقطعاً عما قبله، و﴿جَنَّٰتُ﴾ مضاف، و﴿عَدۡنٖ﴾ مضاف إليه. ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله و(ها): مفعوله على التوسع في الكلام بإجراء اللازم مجرى المتعدي، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ على جميع الوجوه المعتبرة فيها، ما عدا وجهاً واحداً تكون الجملة الفعلية خبرها، انظره فيما تقدم. هذا وقرئ في سورة (فاطر) رقم [٣٣] بنصب جنات على الاشتغال على إضمار فعل يفسره المذكور. ﴿تَجۡرِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر

بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية من ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أو في محل رفع خبر ثانٍ لها، أو في محل نصب حال من الضمير المنصوب، فتكون حالاً متداخلة في وجه، وغير متداخلة في وجه آخر. تأمل. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو شيء يشاؤونه فيها، والجملة الاسمية يجوز فيها ما جاز بسابقتها من اعتبارات. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: يجزي الله المتقين جزاءً مثل ذلك الجزاء، وأجيز تعليق الجار والمجرور بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر كذلك، كما قيل: الكاف في محل نصب على الحال من ضمير المصدر، وهذا يعني اعتبارها اسماً، والإعراب الأول: أعرف، وأشهر. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يَجْزِى﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مفعول به منصوب.. إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تقبض الملائكة أرواحهم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٨] تجد ما يسرك. هذا؛ ويقرأ الفعل هنا، وهناك بالتاء، والياء، واختار الثاني: أبو عبيد لما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: إن قريشاً زعموا: أن الملائكة إناث. فذكِّرُوهُم أنتم. ﴿طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر، والمعاصي؛ لأنه في مقابلة: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾. انتهى. كشاف. وقال الخازن: وقيل: إن قوله: ﴿طَيِّبِينَ﴾ كلمة جامعة لكل معنى حسن، فيدخل فيه: أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات، والطاعات، واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرَّمات، مع الأخلاق الحسنة، والخصال الحميدة، والمباعدة من الأخلاق المذمومة، والخصال المكروهة القبيحة. انتهى. والأول: أولى، وأجمع مع الاختصار. ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾: قيل: إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك، فقال: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، وبشَّره بالجنة، وانظر الآية رقم [٥٠ و٥١] من سورة (الأنفال)، وما فيها من الأهوال مع المحال عليها برقم [٩٣] من سورة (الأنعام). ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: تقول لهم هذا الملائكة الكرام، وهذا يحتمل أن يكون عند الموت، بشارة بالجنة، ويحتمل أن يكون ذلك في الآخرة بعد الحساب، والجزاء.

تنبيه: نصُّ الآية يفيد: أن دخول الجنة بسبب الأعمال الصالحة، والرسول ﷺ يقول: «**لَنْ يُدخل أحداً عملُهُ الجنةَ**». قالوا: ولا أنْتَ يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**ولا أَنا إلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَني الله بفضله، ورحمتِهِ، فسدِّدوا، وقارِبوا... إلخ**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وقد قال تعالى في سورة (الأعراف) الآية رقم [٤٣]: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، ومثلها في الزخرف رقم [٧٢].

والجمع بين هذه الآيات والحديث الشريف بأن محمل آية الأعراف وآية الزخرف على أن منازل الجنة إنما تنال بالأعمال؛ لأن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال، وأن محمل الحديث على أصل دخول الجنة، فإن قيل: آية النحل التي الكلام فيها صريحة في أن دخول الجنة؛ أيضاً بالأعمال، وأجيب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث الشريف، والتقدير: ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد أصل الدخول، أو المراد: ادخلوها، بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم، وتفضله عليكم؛ لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخولها حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله، لا إله إلا هو له الملك، وله الحمد. انتهى. حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة. وانظر ما ذكرته في آية الأعراف فإنه جيد أيضاً، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: انظر الآية رقم [٢٨] ففيها الكفاية؛ إذ الإعراب لا يتغير. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله. ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، وساغ ذلك؛ لأنه بمعنى: الدعاء. ﴿عَلَيۡكُمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام، بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب انتصاب المفعول به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: «دخلت المدينة، ونزلت البلد، وسكنت الشام». ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٢٨] فهو مثله بلا فارق، وجملة: ﴿ٱدۡخُلُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الملائكة، أو في محل رفع خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على اعتباره مبتدأ، ويكون الرابط محذوفاً، التقدير: يقولون لهم... إلخ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾

الشرح: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَبِّكَۚ﴾ أي: ما ينتظر أهل مكة إلا أن... إلخ، وهم ما كانوا منتظرين الملائكة التي تنزل لقبض أرواحهم، وما كانوا منتظرين العذاب والهلاك

الذي يأمر به الله تعالى، ولكن لما كان ذلك يلحقهم لحوق المنتظر؛ شُبهوا بالمنتظرين، وقرئ الفعل: ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء، وانظر ما ذكرته في الآية السابقة، ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: فعلت الأمم السابقة مثل فعل قريش: مِنْ كفر، ومعاندة للرسل، ومخالفة أوامر الواحد القهار، فأهلكهم الله. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: بالهلاك، والدمار. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: حيث ارتكبوا الجرائم التي سببت هلاكهم، ودمارهم.

الإعراب: ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿يَنظُرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَأۡتِيَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» والهاء مفعول به. ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعله، و«أن» المصدرية والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿يَأۡتِيَ﴾: مضارع معطوف على ما قبله منصوب مثله. ﴿أَمۡرُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَۚ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة بمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. هذا؛ وأجيز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: شأنهم كشأن الذين مِنْ قبلهم. والأول: أعرف، وأشهر. ﴿فَعَلَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، وتقدير الكلام: فعل الذين كانوا مِنْ قبلهم فعلاً مشابهاً فعل كفار قريش، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿ظَلَمَهُمُ﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الاسم الموصول، والرابط: الواو، والضمير. الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿كَانُوٓاْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾: مفعول به مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَظۡلِمُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومتعلقه ومتعلق سابقه محذوف، انظر الشرح، وجملة: «يظلمون أنفسهم» في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤﴾

الشرح: المعنى فأصاب الأمم السابقة عقاب ما فعلوا من كفر، ومعاص، ونزل بهم جزاء استهزائهم ما نزل من أنواع العقاب، والانتقام، والعذاب المهين ما قص الله في قرآنه. هذا؛

و(حاق) لا يستعمل إلا في الشر، فلا يقال: حاقت به النعمة، بل حاقت به النقمة. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، وفي هذه الآية تهديد، وتحذير للمشركين من أهل مكة أن يفعلوا بنبيهم كما فعل مَنْ كان من قبلهم بأنبيائهم، فينزل بهم مثل ما نزل بهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ الفاء: حرف عطف. (أصابهم): ماض، والهاء مفعول به. ﴿سَيِّئَاتُ﴾: فاعله، وسيئات مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: سيئات الذي، أو شيء عملوه. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية؛ تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: سيئات عملهم، والجملة: ﴿فَأَصَابَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. وقال الجمل نقلاً عن السمين: معطوفة على جملة: ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وما بينهما اعتراض. (حاق): ماض. ﴿بِهِم﴾: متعلقان بما قبلهما، والميم علامة جمع الذكور. ﴿مَّا﴾: موصولة، أو موصوفة، مبنية على السكون في محل رفع فاعل. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: «يستهزئون به» في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: حاق بهم استهزاؤهم، والجملة الفعلية على جميع الاعتبارات معطوفة على ما قبلها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: قال الزمخشري في كشافه في تفسير الآية: هذا مِنْ جملة ما عدَّد الله من أصناف كفرهم، وعنادهم من شركهم بالله، وإنكار وحدانيته، بعد قيام الحجج، وإنكار البعث، واستعجال العذاب استهزاء منهم به، وتكذيبهم الرسول، وشقاقهم، واستكبارهم عن قبول الحق، يعني: أنهم أشركوا بالله، وحرَّموا ما أحلَّ الله من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، وغير ذلك، ثم نسبوا فعلهم إلى الله. وقالوا: لو شاء الله؛ لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه. انتهى. بتصرف.

هذا وقول المشركين المذكور احتجاج بأن ما يفعلونه ليس باطلاً، ولا مستقبحاً، ولو كان كذلك؛ لما شاء الله صدوره عنهم، ولشاء خلافه ملجئاً إليه، لا اعتذار؛ لأنهم لم يعتقدوا قبح

أعمالهم، وقولهم المذكور إنكار للنبوة أيضاً، فمعناه: لو شاء الله منهم الإيمان؛ لحصل؛ جاءهم رسول، أم لم يجئ، ولو شاء منهم الكفر؛ لحصل جاءهم رسول، أم لم يجئ، وإذا كان كذلك؛ فالكل من الله، فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: فعلت الأمم السابقة مثل فعل قريش، من كفر، وإنكار للرسل، ومخالفة لأوامر الله الواحد القهار. ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ...﴾ إلخ أي: ما على الرسل إلا التبليغ، وليس إليهم هداية أحد، أو إضلاله، ولكن سنة الله في خلقه أن يبعث فيهم رسلاً، قطعاً للعذر، ومنعاً للاحتجاج. هذا؛ وينبغي أن تعلم: أن الله تعالى قال في سورة (الأنعام) الآية رقم [١٤٨] ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا...﴾ إلخ حيث أخبر عما يقولونه في المستقبل قبل وقوعه، انظر شرح الآية هناك؛ تجد ما يسرك.

هذا و﴿شَيۡءٍ﴾ في اللغة عبارة عن كل شيء موجود، إما حساً كالأجسام، وإما حكماً كالأقوال، نحو قلت: شيئاً، وجمع الشيء: أشياء غير منصرف، واختلف في علته اختلافاً كبيراً، والأقرب ما حكي عن الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ: إن وزنه: شيئاء، وزان: حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة، فبقيت لفعاء، كما قلبوا أدؤراً، فقالوا: آدر وشبهه، وجمع الأشياء: أشايا. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿لَوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وجملة: ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مع المفعول المحذوف لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿عَبَدۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من (نا). ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيۡءٍ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿مَا عَبَدۡنَا...﴾ إلخ جواب ﴿لَوۡ﴾، لا محل لها، و﴿لَوۡ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿نَّحۡنُ﴾: ضمير منفصل مؤكد لـ: (نا). ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿ءَابَآؤُنَا﴾: معطوف على (نا)، و(نا) في محل جر بالإضافة. الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿حَرَّمۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍۚ﴾ مثل ما قبلهما بلا فارق، وجملة: ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٣٣] ﴿فَهَلۡ﴾ الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام، معناه النفي. ﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلۡبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: صفته، والجملة الاسمية مستأنفة استئنافاً بيانياً لا محلَّ لها.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ أي: كما بعثنا فيكم محمداً ﷺ رسولاً. ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: تأمرهم الرسل بعبادة الله، واجتناب عبادة الأصنام، والأوثان. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾: وفقه للإيمان. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي: ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الأزل حتى مات على الكفر والضلال، وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى؛ لأنه المتصرف في عباده، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا اعتراض لأحد عليه بما حكم به في سابق علمه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك. ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: يا معشر قريش. ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين؛ لتعرفوا مآل من كذب الرسل، وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك، ولتعرفوا: أن الهلاك نازل بكم إن أصررتم على الكفر، والتكذيب كما نزل بهم.

بعد هذا فـ: «أمَّة» بمعنى: جماعة، تكون واحداً إذا كان يقتدى به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ وانظر الآية رقم [١٢٠] الآتية و«الأمة» الطريقة، والملة، والدين، كقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾، وكل جنس من الحيوان أمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ و«الأمة»: الحين، والوقت، كقوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد وقت وحين.

﴿اعْبُدُوا﴾: العبادة هي غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولذا يحرم السجود لغير الله تعالى. وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود. وعن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: **«أَنَا والإِنْسُ والجِنُّ في نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخلُقُ ويُعْبَدُ غَيْرِي، وأَرْزُقُ ويُشْكَرُ غَيْرِي»**.

﴿الطَّاغُوتَ﴾: هو الأصنام، أو الشيطان، أو الكاهن، أوكل من دعا إلى الضلال، وصدَّ عن عبادة الله تعالى، مثل: كعب بن الأشرف اليهودي المنوَّه به في الآية رقم [٦٠] من سورة (النساء) وهو يطلق على المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وقد يجمع على: طواغيت، واشتقاقه من: طغى، يطغى، أو من: طغا، يطغو، وقد طلب الله في غير ما آية الكفر بالطاغوت، وهو: عدم الرضا به.

بعد هذا فإني ألفت النظر إلى أنه تعالى قال هنا: ﴿فَانظُرُوا﴾ بعد الأمر بالسير في الأرض وقال سبحانه في الآية رقم [١١] من سورة (الأنعام): ﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾ والفرق بينهما: أن النظر هنا جعل مسبباً عن السير. فكأنه قيل: سيروا؛ لأجل النظر، ولا تسيروا سَيْرَ الغافلين. ومعنى السير هناك: إباحة السير في الأرض للتجارة، وغيرها، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بـ(ثم)، التي هي للتراخي لتباعد ما بين الواجب والمباح. انتهى. من النسفي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر. والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف. ويعتبر الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف، ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف: واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو وأقسم والله. اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف وبعضهم يقول: موطئة للقسم، والموطئة معناها المؤذنة، وهذه اللام إنما تدخل على «إن» الشرطية، لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر)، افهم هذا واحفظه فإنه جيد. فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم، فالجواب أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور مثل قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ...﴾ إلخ فإن التقدير: ورب الضحى ورب السماء... إلخ. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿بَعَثْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِي كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من رسولاً، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿بَعَثْنَا...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿أَنِ﴾: حرف تفسير. وقيل: مصدرية. ﴿اعْبُدُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (امضوا) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحجر). ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، وجملة: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ تفسيرية لا محل لها؛ لأن ﴿بَعَثْنَا﴾ فيه معنى القول دون حروفه، وعلى اعتبار ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤوَّل مع الفعل بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بعبادة الله، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿بَعَثْنَا﴾، وإعراب ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ واضح، والكلام على حذف مضاف؛ إذ التقدير: اجتنبوا عبادة الطاغوت. ﴿فَمِنْهُم﴾ الفاء: حرف استئناف. (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿مَّنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿هَدَى﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّنْ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: هداه الله، هذا الإعراب هو المتعارف عليه في مثل هذه

الجملة، وأرى أنَّ مضمون الجار والمجرور مبتدأ، و﴿مَّنْ﴾ هي الخبر لأنَّ ﴿مِنْ﴾ الجارة دالة على التبعيض؛ أي: فبعضهم الذي هداه الله، وجمع الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى في سورة (آل عمران): ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فعطف (أكثرهم) على ﴿مِّنْهُمُ﴾ ومقابلته به يؤيد أن معناه بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لا تُرَامُ، وبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمِشْتَ، وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظة: «منهم» بما هو مبتدأ، أعني لفظة: «بعضهم» وهذا ممَّا يدل على أنَّ مضمون «منهم» مبتدأ. هذا؛ و«ليوث» جمع: ليث، وهو الأسد. لا ترام: لا تقصد بسوء. قمشت: جمعت من هنا، وهناك، والمراد: رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء، ولا يخفى عليك إعراب ما بعدها.

﴿فَسِيرُواْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: إن أردتم الاهتداء، والاستدلال على الطريقة المثلى؛ فسيروا... إلخ. (سيروا): أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَٱنظُرُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (انظروا): أمر، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، تقدم عليها وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل قبله، والمعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وجملة: ﴿فَٱنظُرُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿كَانَ﴾ تامة، فاعلها ﴿عَٰقِبَةُ﴾، فتكون ﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال مِنْ ﴿عَٰقِبَةُ﴾، والعامل فيها ﴿كَانَ﴾، ولم تؤنث ﴿كَانَ﴾؛ لأن عاقبة مؤنث مجازي.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾: هذا خطاب للرسول ﷺ، والمعنى: إن تحرص يا محمد على هداية هؤلاء، وإيمانهم، فالهداية بيد الله لا بيدك، فإن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء إضلاله. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: مانعين يمنعونهم من العذاب. هذا؛ ويقرأ: ﴿لَا يَهْدِى﴾ بالبناء للفاعل، ومعناه واضح، ويقرأ بالبناء للمفعول على معنى: من أضله الله لم يهده هاد، على حدِّ قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾، وقرئ: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء من الرباعي،

وبفتحها من الثلاثي. هذا؛ والحرص مذموم إذا كان على الدنيا، فإنه بمعنى: الطمع الشديد والبخل الشديد، وأما الحرص على الإيمان، والطاعات؛ فهو مقام عظيم عند الله تعالى، والحرص: المحافظة الشديدة على الشيء، والخوف عليه أن يضيع، أو يتلف.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَحْرِصْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿تَحْرِصْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، تقديره: لا تقدر على ذلك، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَإِنَّ﴾ الفاء: حرف تعليل. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (إنَّ). ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُضِلُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يضله، وجملة: ﴿لَا يَهْدِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليلية لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿وَمَا﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّٰصِرِينَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه واو مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء التي جلبها حرف الجر الزائد، وإن اعتبرت (ما) حجازية فالإعراب لا خفاء فيه، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَهُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: حلفوا به، وسمي الحلف قسماً؛ لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق، ومكذب، وهو رباعي كما ترى، فهمزته تثبت في الماضي، والأمر، وتحذف في المضارع مع ضم حرف المضارعة، كما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد) وأما «قسم» الثلاثي، فإنه بمعنى: جزأ، وفرق، فمضارعه بفتح حرف المضارعة، وهمزته في الأمر وصل. ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: غاية اجتهادهم فيها، وذلك: أنهم كانوا يقسمون بآلهتهم، وآبائهم، فإذا كان الأمر عظيماً؛ أقسموا بالله، و(الجهد) بفتح الجيم المشقة، وبضمها الطاقة، وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾.

هذا و﴿أَيْمَٰنِهِمْ﴾ جمع يمين، والأصل فيه الحلف بالله، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته، وإن كان المشركون يحلفون بآلهتهم، والجاهلون من المسلمين يحلفون في هذه الأيام

بغير ذلك، واليمين أيضاً: اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على أيمان ـ بفتح الهمزة ـ كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، أما الإيمان ـ بكسر الهمزة ـ فهو: التصديق بالله، ورسله، وكتبه، وبوجود الملائكة، واليوم الآخر، وما فيه، والقضاء، والقدر خيره، وشره من الله تعالى. هذا؛ والإيمان الصحيح: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان، وانظر زيادة الإيمان ونقصه في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال).

﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾: وهذا الإنكار للبعث تكرر ذكره في القرآن عن المشركين. ﴿بَلَىٰ﴾: هذا ردٌّ على المشركين المنكرين للبعث، والحساب، والجزاء؛ أي: بلى ليبعثنهم، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ أي: وعد الله بالبعث وعداً صادقاً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٣] من سورة (الرعد). ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يبعثون إما لعدم علمهم بأنه من واجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها، وإما لقصر نظرهم على المألوف، فيتوهَّمون امتناعه.

تنبيه: ذكر في سبب نزول الآية: أن رجلاً من المسلمين، كان له على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان مما تكلم به المسلم: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: إنك لتزعم: أنك تبعث بعد الموت، وأقسم بالله: أنه لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية الكريمة، قاله أبو العالية.

الإعراب: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾: الواو: حرف عطف. (أقسموا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿جَهْدَ﴾: مفعول مطلق عامله (أقسموا)، وهو من معناه، وجوز اعتباره حالاً من واو الجماعة بمعنى: جاهدين، و﴿جَهْدَ﴾: مضاف، و﴿أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ...﴾ إلخ معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَبْعَثُ ٱللَّهُ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿يَمُوتُ﴾ صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿لَا يَبْعَثُ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب. ﴿وَعْدًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بـ﴿وَعْدًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿حَقًّا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف أيضاً، وهما مصدران مؤكدان للجملة المقدرة بعد ﴿بَلَىٰ﴾، كما رأيت في الشرح. هذا؛ وقرئ برفعهما على اعتبار (وعدٌ) خبراً لمبتدأ محذوف، و(حقٌّ) صفة له. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. وقيل: واو الحال، ولا وجه له. (لٰكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسم (لٰكنَّ)، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر (لٰكنَّ)، والكلام ﴿بَلَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول لقول محذوف؛ إذ التقدير: فقال الله تعالى: بلى... إلخ. تأمل، وتدبر.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿لِيُبَيِّنَ...﴾ إلخ: أي: يبعث الله الناس يوم القيامة؛ ليبين لهم الذي يختلفون فيه من أمر البعث، والحساب، والجزاء، ويظهر لهم الحق؛ الذي لا خلف فيه حينئذ. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: بالله ورسوله، وأقسموا أن لا بعث بعد الموت. ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾: فيما يدعونه، ويفترونه، وفيه إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث، المقضي له من حيث الحكمة، وهي التمييز بين الحق، والباطل، والمحق والمبطل بالثواب والعقاب. هذا؛ والفعل ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ من المعرفة، لا من العلم اليقيني، انظر الآية رقم [٤٢] من سورة (الرعد)، وانظر شرح الكفر في الآية رقم [٣٧] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر يعود إلى (الله)، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل المقدر بعد ﴿بَلَىٰ﴾. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ صلة الموصول، والعائد الضمير المجرور بـ: (في). (ليعلم): مثل ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ في إعرابه، وتقديره، وتأويله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوٓا۟﴾ صلة له. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه. والألف للتفريق. ﴿كَـٰذِبِينَ﴾: خبر كان منصوب... إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعول (يعلم)؛ لأنه مِنَ المعرفة، كما رأيت.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: أعلم الله في هذه الآية الخلق سهولة البعث عليه؛ إذ المعنى: إذا أردنا أن نبعث من يموت؛ فلا تعب علينا، ولا نصب في إحيائهم، وبعثهم، ولا في غير ذلك ممَّا نحدثه. وفي الآية دليل قاطع على أن الله تعالى مريد لجميع الحوادث، كلها: خيرها، وشرها، نفعها، وضرها، والدليل على ذلك: أن من يرى في سلطانه ما يكرهه، ولا يريده فلأحد شيئين: إما لكونه جاهلاً لا يدري، وإما لكونه مغلوباً لا يطيق، ولا يجوز ذلك في وصفه سبحانه، وقد قام الدليل على أنه سبحانه خالق لأفعال العباد، ويستحيل أن يكون فاعلاً لشيء؛ وهو غير مريد له؛ لأن أكثر أفعالنا يحصل على خلاف مقصودنا، وإرادتنا، فلو لم يكن الحق سبحانه مريداً لها لكانت تلك الأفعال تحصل من غير قصد، وهذا قول الطبيعيين، وقد أجمع الموحدون على خلافه، وفساده. انتهى. قرطبي بتصرف.

وفي الآية الكريمة تمثيل لسرعة الإيجاد عند تعلق الإرادة الإلهية، وليس هناك أمر حقيقة، ولا كاف، ولا نون، وإلا لو كان هناك أمر لاعترض بأن يقال: إن كان الخطاب للشيء حال عدمه، فلا يعقل؛ لأن خطاب المعدوم لا يعقل، وإن كان بعد وجوده ففيه تحصيل الحاصل، وإنما المراد من التمثيل تصوير سرعة الحدوث، والإيجاد بما لا يتجاوز أمده النطق بلفظه: «كن» وما أسهلها!.

بعد هذا خذ ما يلي، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: يَشْتِمُنِي ابنُ آدمَ، وما ينبغي لهُ أنْ يَشْتِمَنِي، ويُكَذِّبُني وما ينبغي له أن يُكذِّبَني، أما شَتْمُهُ إِيَّايَ، فيقولُ: إنَّ لي ولداً، وَأَمَّا تكْذِيبُهُ إيَّايَ، فقوله: ليس يعيدني كما بدأني**». وفي رواية: «**كذَّبَنِي ابْنُ آدمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذلِكَ، وشتمني ولم يكنْ لهُ ذلِكَ، أما تكذيبُهُ إيايَ، فقوله: لَنْ يُعيدَني كَمَا بَدَأَنِي، وليْسَ أولُ الخلقِ بأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وأمَّا شَتْمُهُ إيايَ، فقوله: اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً، وأنا الأحَدُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لهُ كُفواً أَحَدٌ**». رواه البخاري.

هذا والإرادة: نزوع النفس، وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع، والأول: مع الفعل، والثاني: قبله، وكلا المعنيين غير مُتَصَوَّر اتصاف الباري تعالى به؛ ولذا اختلف في معنى إرادته، فقيل: إرادته لأفعاله أنه غير ساهٍ، ولا مكرهٍ، ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته. وقيل: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل، والوجه الأصلح. وهذا الأخير هو المقبول؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿قَوْلُنَا﴾: مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿لِشَيْءٍ﴾: متعلقان بالقول. ﴿إِذَآ﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿قَوْلُنَا﴾ أيضاً. ﴿أَرَدْنَٰهُ﴾: فعل ماض، وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، وهو نفس المبتدأ، وساغ ذلك لاختلاف متعلقهما على حد قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وقال أبو النجم: [الرجز]

أَنَـا أَبُـو الـنَّـجْـمِ وَشِـعْـرِي شِـعْـرِي ... للهِ دَرِّي مَـا يَـجِـنُّ صَـدْرِي

﴿كُن﴾: أمر تام؛ لأنه بمعنى: احْدُثْ، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَيَكُونُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يكون): مضارع تام مرفوع، وفاعله يعود إلى شيء، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة تفصح عنه الفاء، وينسحب عليه الكلام؛ أي: فنقول ذلك، فيكون، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وإما جواب لشرط محذوف؛ أي: فإذا قلنا ذلك؛ فهو يكون. انتهى. جمل. وهذا يفيد: أن الفاء الفصيحة. وقال غيره: الجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو يكون،

والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ ويقرأ الفعل (يكون) بالنصب عطفاً على ﴿نَّقُولَ﴾، وليست الفاء للسببية؛ لأن لفظ ﴿كُن﴾ أمر، ومعناه الخبر عن قدرة الله تعالى؛ إذ ليس ثَمَّ مأمور بأن يفعل شيئاً. أفاده مكي بن أبي طالب القيسي.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾: هم رسول الله ﷺ، وأصحابه المهاجرون، ظلمهم كفار قريش، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وأكثرهم هاجر إلى المدينة هجرة واحدة. أو المراد: المستضعفون، المحبوسون، المعذبون في مكة بعد هجرة الرسول ﷺ، وهم: بلال، وعمار، وصهيب، وخباب، وعابس، وأبو جندل بن سهيل ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ومعنى ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ لله، ولوجهه ف: ﴿فِى﴾ بمعنى: اللام، وهو مستعمل لغة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: المراد بالحسنة: نزولهم المدينة، أو هي: العزة، والكرامة، والنصر على الأعداء، أو هي: ما أغدقه الله عليهم من خيرات الدنيا. روي: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاءً، يقول له: (خُذْ هَذَا بَارَكَ اللهُ لك فيهِ، هذَا مَا وَعدَكَ اللهُ تعالى في الدنيا، وما ادَّخَرَ لكَ في الآخرةِ أَفْضَلُ). ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم، وأفضل، وأشرف مما أعطاهم في الدنيا. ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا؛ لرغبوا فيه، وآمنوا بالله ورسوله. وقيل: الضمير راجع إلى المهاجرين، ويكون المعنى: لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة؛ لزادوا في الجد، والاجتهاد، والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين.

بعد هذا؛ فالهجرة: ترك الأوطان، والأهل، والقرابة في الله، كما حصل للمسلمين الأولين، كما رأيت. هذا؛ وقد أطلق الله اسم الهجرة على الجهاد في سبيل الله تعالى في الآية رقم [٨٩] من سورة (النساء)، وهناك هجرة أخرى، وهي «هجرة» جميع المعاصي والابتعاد عنها، قال الرسول ﷺ: «**والمهاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**». هذا و«المبَوَّأ» المنزلُ الملزومُ، ومنه بوَّأه الله منزلاً؛ أي: ألزمه إياه، وأسكنه فيه، وانظر الآية رقم [٨٧] من سورة (يونس) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وأجاز أبو البقاء أن يكون في موضع نصب بفعل محذوف يفسره المذكور، وهو ضعيف؛ لأن الاشتغال لا وجه له هنا، وجملة: ﴿هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً: وتعليقهما بمحذوف حال من واو الجماعة لا بأس

به. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿ظُلِمُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، وما والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليه، التقدير: من بعد ظلمهم. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نبوئنهم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من حسنة، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً» ﴿حَسَنَةً﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ ووقوع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ قاله ابن مالك، ومنعه ثعلب، ومثل الآية الكريمة الآية رقم [٧] من سورة (العنكبوت)، ومثل ذلك قول الشاعر، وهو الشاهد [٧٦٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

جَشَأَتْ فَقُلْتُ اللَّذْ خَشِيتِ لَيَأْتِيَنْ وَإِذا أَتَاكِ فَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ

انظر هذا الشاهد وما ذكرته تبعاً له، وما نقلته عن ابن هشام أيضاً. ﴿وَلَأَجْرُ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: لام الابتداء: وقيل: الواو، واو الحال. (أجر): مبتدأ: وهو مضاف، و(الآخرة) مضاف إليه. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وعلى اعتبار الواو، واو الحال فهي في محل نصب حال من الضمير المنصوب، وهذا لا يصح إلا إذا كانت واو الجماعة عائدة عليه. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف. انظر الاعتبارين في الشرح، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها تذييل للكلام السابق، فهو كلام مستأنف لا محل له.

﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على الشدائد كأذى الكفرة، ومفارقة الأهل، والوطن، وعلى الجهاد، وبذل الأنفس، والأموال في سبيل الله، وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الرعد). ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: يفوضون أمورهم إليه وحده.

قال بعضهم: ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية، وهما مبدأ السلوك إلى الله تعالى ومنتهاه، أما الصبر، فهو: قهر النفس، وحبسها على أعمال البر، وسائر الطاعات، واحتمال الأذى من الخلق، والصبر عن الشهوات المباحات، والمحرَّمات، والصبر على المصائب، وأما

التوكل؛ فهو: الانقطاع عن الخلق بالكلية، والتوجه إلى الحق تعالى بالكلية. فالأول: مبدأ السلوك إلى الله تعالى، والثاني: هو آخر الطريق، ومنتهاه، والتوكل: تفويض الرجل الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه وضره. وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر، لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله، فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه منها، لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله، وإنما هو مِنْ تعاطي الأسباب في دفع المحنة.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من سابقه. وقيل: هو بدل من الضمير المنصوب. وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف. وقيل: منصوب بفعل محذوف، وجملة: ﴿صَبَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية: «يتوكلون على ربهم» معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، والظاهر والله أعلم: أن المعنى على المضي، والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة توكلهم البديعة؛ حتى كأن السامع يشاهدها.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾: إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِمۡۚ﴾: هذا رد لقول قريش حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ. وقالوا: الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث ملكاً إلينا، وانظر الآية رقم [١٠٩] من سورة (يوسف) عليه السلام، ففيها كبير فائدة، والمعنى هنا، وهناك أن سنة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث إلا رسولاً من البشر، فهذه عادة مستمرة، وسنة جارية قديمة. ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ أي: أهل الكتاب، وهم علماء اليهود، والنصارى، وإنما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب؛ لأن كفار مكة كانوا أميين، ويعتقدون: أنَّ أهل الكتاب أهل علم، وقد أرسل الله إليهم رسلاً منهم، مثل: موسى، وعيسى، وغيرهما من الرسل، وكانوا بشراً مثلهم. ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

وفي الآية الكريمة دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة، ولا ملكاً، ولا جِنّيّاً للدعوة العامة، وفي آية (يوسف) زيادة ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وينبغي أن تعلم: أن الآية الكريمة إنما أمرت كفار قريش الأميين أن يسألوا أهل العلم من اليهود، والنصارى عما هم جاهلون به، فالأحرى بالجاهلين من المسلمين أن يسألوا علماء المسلمين عن أمور دينهم، وعمَّا هم جاهلون به من أمر الدنيا والآخرة، فخصوص السبب لا يمنع التعميم في كل زمان ومكان، ولولا ذلك لما كنا مكلفين بالجهاد وغير ذلك مما هو من واجبات الدين.

بعد هذا فالفعل: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ بمعنى: لا تعرفون، انظر الآية رقم [٤٢] من سورة (الرعد). هذا؛ وأصل ﴿كُنتُمْ﴾: «كَوَنْتُمْ»، فقل في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف وسكون النون فحذفت الألف، فصار: «كَنْتُمْ» بفتح الكاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار ﴿كُنتُمْ﴾، وهناك إعلال آخر، وهو أن تقول: أصل الفعل: كَوُنَ، فلما اتصل بضمير رفع متحرك نقل إلى باب فَعُلْ، فصار: (كَوُنْتُ) ثم نقلت حركة الواو إلى الكاف قبلها، فصار (كُونْتُ) فالتقى ساكنان: العين المعتلة، ولام الفعل، فحذفت العين، وهي الواو لالتقائهما، فصار «كُنْتُ» وهكذا قل في إعلال كل أجوف واوي مسند إلى ضمير رفع متحرك، مثل قال، وقام، ونحوها، وانظر (نا) في الآية [٢٣] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب (حفظنا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر). ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: بمحذوف حال، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رِجَالًا﴾: مفعول به. ﴿نُّوحِيٓ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». هذا؛ ويقرأ: (يُوحى) فهو مبني للمجهول مرفوع أيضاً، وعلامة الرفع في الأول: مقدرة على الياء، وفي الثاني: مقدرة على الألف. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل ﴿نُّوحِيٓ﴾، ومتعلقان بنائب فاعل على قراءة (يُوحى) والجملة الفعلية على الاعتبارين صفة رجالاً، وجملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، والأول: أقوى. ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [١] (اسألوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَهْلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، والذكر مضاف إليه، وجملة: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: (وإذا كنتم جاهلين فاسألوا . . .) إلخ وهذا الكلام مستأنف، أو معطوف على ما قبله لا محل له على الاعتبارين. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، والجملة الشرطية تذييل للكلام السابق، ومؤكدة له لا محل لها.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة، والمراد بها: المعجزات التي أيد الله بها رسله، و(الزبر): الكتب، جمع: زبور، وهو الكتاب المقصور على

الحكم، والمواعظ، من: زبرت الشيء: إذا حبسته. وقيل: (الزبور): المواعظ، والزواجر، من: وعظته إذا زجرته، وانظر أوجه الإعراب يتضح لك المعنى. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد بـ: ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن، وإنما سماه الله ذكراً؛ لأن فيه مواعظ، وتنبيهاً للغافلين، وانظر الآية رقم [٩] من سورة (الحجر) ففيها ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: ما أُجمِل إليك من أحكام القرآن، وبيان الكتاب يُطْلَبُ من السنة، والمُبَيِّن لذلك المُجمل هو الرسول ﷺ؛ أي: ما فيه من الأحكام، والوعد بقوله، وفعله. وكذلك مبين لما أجمله الله في كتابه من أحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وخاب الذين يقولون: لا نأخذ إلا بما في القرآن، وكيف يفهمون القرآن، ويعملون بتعاليمه، ويقومون بالتكاليف الإلهية إذا لم يأخذوا بالأحاديث النبوية، وخاب الذين يأخذون برواية بعض الصحابة، ويرفضون رواية الكثيرين منهم، فمثلهم كمثل مَنْ يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعضه. وانظر: ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ في الآية رقم [٤٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، وانظر الآية [٨٩] الآتية. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: فيما أنزل إليهم فيعملون به، وانظر مثل هذا الترجي في الآية [٢] من سورة (الرعد) وانظر «التفكر» في الآية رقم [٣] منها أيضاً، وانظر شرح: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الآية رقم [٣٨] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أو بمحذوف صفة ﴿رِجَالًا﴾ أي: رجالاً ملتبسين بالبينات، أو بالفعل ﴿نُّوحِىٓ﴾، أو بـ: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام، كقولك: إن كنت عملت لك فأعطني حقي، أو بفعل محذوف يقع جواباً لسؤال مقدر، كأنه قيل: بم أرسلوا؟ قيل: أرسلوا بالبينات. انتهى. جمل بتصرف كبير. وعلى الاعتبارات الثلاثة الأول: فالجملة: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ...﴾ إلخ معترضة لا محل لها والتعليق بفعل محذوف هو قول ابن هشام في المغني، وأضيف: أنه أجيز أيضاً تعليقهما بمحذوف حال من الضمير في: ﴿إِلَيْهِمْ﴾. ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: معطوف على ما قبله. (أنزلنا): فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلذِّكْرَ﴾: مفعول به. ﴿لِتُبَيِّنَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت» و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: أنزلنا. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع نائب الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَأَنزَلْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لعلهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، وجملة: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ في محل رفع خبر لعل، والجملة الاسمية معطوفة على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾، فهي مفيدة للتعليل أيضاً.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: المكرات السيئات، وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء، أو الذين مكروا برسول الله ﷺ، وراموا صدَّ أصحابه عن الإيمان بالإضافة لما فعلوا بهم من إيذاء، وسخرية. هذا؛ والمكر: تدبير الأمر في خفية، وهو أيضاً: احتيال، وخداع. ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾: كما خسف بقارون. وخسف المكان: ذهب في الأرض، وبابه: جلس، وخسف الله به الأرض من باب: ضرب؛ أي: غاب فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ وخسوف القمر: ذهاب ضوئه. هذا؛ والخسف: النقصان، والخسف: الذلة، والمهانة، والحقارة، قال الشاعر: [البسيط]

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلَّا الأَذَلَّانِ: عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتَدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا تخطر ببالهم، ولم يحتسبوها، كما فعل الله بقوم لوط وغيرهم، وقد أُهْلِكَ القرشيون في غزوة بدر، ولم تكن في حسابهم، وانظر: ﴿يَشْعُرُونَ﴾ في الآية رقم [٢١]، ولا تنس: أن الكلام في: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ مثله في: ﴿أَفَمَن﴾، ﴿أَفَلَا﴾ في الآية [١٧].

الإعراب: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أمن): ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿مَكَرُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: صفة لمفعول مطلق؛ أي: مكروا المكَرَات السيئات، أو هو مفعول به على تضمين مكروا عملوا، أو فعلوا، وعلى هذين الوجهين، فالمصدر المؤول مِنْ: ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ﴾ في محل نصب مفعول بـ: (أمن)، أو هو منصوب بـ: (أمِنَ)؛ أي: أمنوا العقوبات السيئات، وعلى الأول: فالمصدر المؤول مِنْ: ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ﴾ بدل من السيئات. ﴿بِهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾: معطوف على ﴿يَخْسِفَ﴾ منصوب مثله، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: فاعل. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، و﴿حَيْثُ﴾ مبني على الضم في محل جر. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، وجملة: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، وجملة: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي: يهلكهم في أسفارهم، أو في ليلهم، أو نهارهم، وفي جميع أحوالهم. ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: الله، ولا يفوتونه، ولا يهربون مِنْ عقابه وانتقامه.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَأْخُذَهُمْ﴾: معطوف على ﴿يَخْسِفَ﴾ منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾، والهاء مفعول به. ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الباء: حرف جر صلة. (معجزين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وإن اعتبرت (ما) مهملة؛ فيكون ﴿هُم﴾ مبتدأ، والباء زائدة في خبره، والجملة الاسمية مفرَّعة عما قبلها، واعتبار الفاء فصيحة، والجملة الاسمية جواباً لشرط مقدر جيد لا بأس به، ويكون التقدير: وإذا كان ذلك ممكناً، وليس متعذراً فما هم بمعجزين الله. تأمل، وتدبر.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أي: على مخافة بأن يهلك قوماً غيرهم، فيتخوفوا، فيأتيهم العذاب، وهم متخوفون. وقال الضحاك: المعنى: يأخذ طائفة، ويدع طائفة، فتخاف الباقية أن ينزل بها ما نزل بصاحبتها. وقال ابن عباس، ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: أي: على تنقص من أموالهم، ومواشيهم، وزروعهم، بل: وأنفسهم؛ حتى أهلكهم كلهم، هذا؛ وَتَخَوَّنه الدَّهر، وتخوَّفه بالفاء والنون بمعنى، يقال: تخوَّنني فلان حقي إذا تنقصه، قال لبيد: [الوافر]

عُذَافِرةٌ تُقَمِّصُ بالرُّدَافى ... تَخَوَّنَهَا نُزولي وارْتِحالي

أي: تنقص لحمها، وشحمها كثرة الأسفار، وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣] من سورة (الرعد). وقال الليث بن سعد: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: على عجل. وقيل غير ذلك. ﴿لَرَءُوفٌ﴾: انظر الآية رقم [٧]، ولا تنس: أن في الكلام التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب. انظر الآية رقم [٢٢] ومعنى رأفته سبحانه وتعالى هنا: عدم المعاجلة بالعقاب، بل يمهل، ولكنه لا يهمل.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَأْخُذَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾، والهاء مفعول به. ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، أو من الفاعل المستتر. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكُمْ﴾: اسم (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَرَءُوفٌ﴾: خبر

(إنَّ)، واللام هي المزحلقة. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: المراد: أهل مكة، ويقرأ الفعل بالتاء على الخطاب لجميع الناس، والفعل بصري، والمعنى: أو لم ينظروا بعين البصيرة إلى صنع الله، فيعتبروا، وتظهر لهم قدرة الله، فيخافوا منه، ويعبدوه، والمراد بـ: ﴿شَيْءٍ﴾: ماله جسم قائم، له ظل، مِنْ شجرة، أو جبل، ونحو ذلك. ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ أي: يميل من جانب إلى جانب، ويكون أول النهار على حال، فيتقلص، ثم يعود في آخر النهار إلى حالة أخرى، فدورانه وميلانه من موضع إلى موضع سجوده، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء؛ لأنه يفيء من المغرب إلى المشرق؛ أي: يرجع، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ واختلف في الفيء، فقيل: هو مطلق الظل، سواء أكان قبل الزوال، أو بعده، وهو ما توحيه الآية. وقيل: ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط، وما كان بعده فهو ظل وفيء. وقيل: بل يختصُّ الظلُّ بما قبل الزوال، والفيء بعده، فالفيء لا يكون إلا في العشي، وهو ما انصرفت عنه الشمس، والظل ما يكون في الغداة، وهو ما لم تنله الشمس، وفي «القاموس»: الظل: الفيء، والجمع: ظلال، وأظلال، وظلول، وظلُّ الليلِ: سواده. ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: خاضعون، صاغرون؛ إذ الدخور: الصغار، والذل. وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (الرعد) هذا وقد قرئ: (تتفيأ) بالتاء، و(الشمائل) جمع: شِمال على غير قياس؛ إذ القياس: أَشْمُل، كذراع، وأذرع.

تنبيه: في إفراد ﴿الْيَمِينِ﴾ وجمع الشمال أجوبة: أحدها أن الابتداء يقع من اليمين، وهو شيء واحد، فلذلك وحد اليمين، ثم ينتقص شيئاً فشيئاً، وحالاً بعد حال، فهو بمعنى: الجمع، فصدق على كل حال لفظة «الشمال» فتعدد بعدد الحالات. الثاني: قال الزمخشري: واليمين بمعنى: الأيمان، يعني: أنه مفرد قائم مقام الجمع، وحينئذ فهما في المعنى جمعان، كقوله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار. الثالث: قال الفراء: كأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من ذوات الظلال، وإذا جمع ذهب إلى كلها؛ لأن قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ لفظه واحد، ومعناه الجمع، فعبر عن أحدهما بلفظ الواحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

تنبيه: والجمع في قوله: ﴿دَاخِرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنَّ من جملة ما خلق الله فيه من يعقل، فيكون في الكلام تغليب؛ أي: تغليب العقلاء على غيرهم، وهذا على اعتبار ﴿دَاخِرُونَ﴾

عائداً إلى ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾. والثاني: لما وصف الله الظلال بالطاعة، والانقياد لأمره، وذلك صفة مَنْ يعقل؛ عبَّر عنها بلفظ من يعقل، وجاز جمعها بالواو، والنون، وهو جمع العقلاء، وهذا على اعتباره عائداً إلى ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ تأمل.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف حسب ما رأيت في الآية رقم [١٧] (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْاْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَىٰ مَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، و﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿إِلَىٰ﴾ والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إلى الذي، أو شيء خلقه الله. ﴿مِن شَيْءٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾. ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾: مضارع. ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿شَيْءٍ﴾. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿عَنِ﴾ اسماً بمعنى: جانب، فيكون ظرف مكان متعلقاً بالفعل قبله، ويكون مضافاً و﴿ٱلْيَمِينِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْيَمِينِ﴾. ﴿سُجَّدًا﴾: حال مِنْ ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بسجداً، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿سُجَّدًا﴾، فهي حال متداخلة، أو هي معطوفة على ﴿سُجَّدًا﴾، فتكون حالاً ثانية.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... مِن دَآبَّةٍ﴾: قال العلماء: السجود على نوعين: سجود طاعة، وعبادة، كسجود المسلم لله عز وجل. وسجود انقياد، وخضوع، كسجود الظلال، والجمادات، وسائر الحيوانات، ولفظ «الدابة» اسم لكل حيوان يدب على وجه الأرض، من إنسان، وحيوان، ووحش، وهوام، وغير ذلك؛ فلذا يطلق لفظ دابة على الذكر، والأنثى ممَّا ذكر. وفي العرف يطلق لفظ الدابة على ذوات الأربع من الحيوان. وانظر الآية رقم [٥٦] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: خصوا بالذكر كما خص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة للتشريف، والتعظيم. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادة ربهم، وهذا ردٌّ على كفار قريش حيث زعموا: أن الملائكة بنات الله. وانظر شرح الملائكة في الآية رقم [٢٥] من سورة (الرعد). وانظر «الكبر» في الآية رقم [٢٣] وانظر شرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ في الآية رقم [٣].

تنبيه: الأصل أن تكون «من» للعاقل، و«ما» لغير العاقل، وقد يعكس هذا فتستعمل «من» لغير العاقل كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ...﴾ إلخ الآية رقم [٤٥] من سورة (النور)، وتستعمل «ما» للعاقل كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية رقم [٣] من سورة (النساء) وهذا من باب التقارض، وذلك قليل، وأكثر ما تكون (ما) للعاقل إذا اقترن العاقل بغير العاقل كما في الآية الكريمة في حكم واحد، وقوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإن كل ما في السموات والأرض ممن يعقل، وما لا يعقل قد اقترنا في حكم واحد، وهو: السجود والتسبيح، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ويكون في الكلام تغليب، كما تستعمل في المبهم أمره كقولك، وقد رأيت سبحاً من بعد: (انظر إلى ما أرى) و «من» و«ما» تكونان بلفظ واحد للمفرد، والمثنى والجمع، والمذكر، والمؤنث، وانظر الآية [٦٧] من سورة (الإسراء).

تنبيه: ملخص ما تقدم: أنَّ «من» تستعمل لغير العاقل في ثلاث مسائل:

١ ـ أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فدعاء الأصنام؛ التي لا تستجيب الدعاء نزلها منزلة العاقل؛ إذ لا ينادى إلا العقلاء.

٢ ـ أن يندمج غير العاقل مع العاقل في حكم واحد كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ الآية رقم [١٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ الآية رقم [١٨] من سورة (الحج).

٣ ـ أن يقترن غير العاقل بالعاقل في عموم مفصل، كما في آية النور المذكورة آنفاً؛ إذ الدابة تعم أصناف مَنْ يدب على وجه الأرض، وقد فصلها على ثلاثة أنواع.

وتستعمل «ما» للعاقل في ثلاث مسائل أيضاً:

١ ـ إذا اقترن العاقل بغير العاقل في حكم واحد، وهو كثير كالآية التي نحن بصدد شرحها، وقوله تعالى في سورة (طه): ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

٢ ـ إذا نزل العاقل منزلة غير العاقل، كقوله تعالى في سورة (النساء): ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وهو كثير.

٣ ـ تستعمل «ما» في المبهم أمره كقولك، وقد رأيت شبحاً من بعيد «انظر إلى ما أَرَى».

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بالفعل بعدهما، والتقديم يفيد الاختصاص. ﴿يَسْجُدُ﴾: مضارع. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مثل ما قبله. ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾:

متعلقان بمحذوف حال من (ما) و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في: (ما). ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: معطوف على ما، عطف خاص على عام. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (الملائكة)، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ أي: الملائكة يخافون الله تعالى. ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أي: يخافون أن ينزل عليه عذاباً من فوقهم، أو يخافونه، وهو فوقهم بالقهر، والاستعلاء، فهم تحت التسخير، والتذليل بما علاهم من الاقتدار، والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه، ولا ينفك عنه، وهذا يعني أن لا فوقية معلومة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: وفي سورة (التحريم): ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فهم مطبوعون على الطاعة، والامتثال لأوامر الله تعالى، ولا عصيان أبداً، وفي الآية الكريمة دليل على أن الملائكة مكلفون، مدارون بين الخوف، والرجاء.

عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي أَرَى مَالَا ترَوْنَ، وأَسْمَعُ مَا لَا تسمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا موْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للهِ... إلخ**». أخرجه الترمذي، وقال: عن أبي ذر موقوفاً. وفي القاموس: أَطَّ الرَّحل، ونحوه، يَئِطُّ أَطِيطاً: صَوَّتَ، والإبل أَنَّتْ تعباً، أو حنيناً، والأَطَّاط: الصَّيَّاحُ.

تنبيه: يسن السجود عند تلاوة الآيات الثلاث من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ للقارئ، والمستمع، فهي من الآيات الأربع عشرة التي يسن السجود لتلاوتها، واستماعها، في الصلاة، وخارجها، والدليل على ذلك سجود النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ «**أن النبي ﷺ كان يقْرَأُ القرآنَ، فيقْرأُ سُورةً فيها سجدةٌ، فَيَسْجُدُ، ونسْجُدُ مَعَهُ حتَّى مَا يَجِدَ بعضُنا مَوضِعاً لمكانِ جبْهَتِهِ في غيرِ وقتِ صلاة**». متفق عليه، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السجدةَ، فسجَدَ اعتزلَ الشيطانُ يَبْكي، ويقُولُ: يا وَيْلَتَا أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بالسجودِ، فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بالسجودِ، فأَبَيْتُ، فَلِي النَّارُ**». رواه مسلم. والله أعلم، وأجل، وأكرم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٨] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿يَخَافُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿رَبَّهُم﴾: مفعول به. ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿رَبَّهُم﴾، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء فيهما في

محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَخَافُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال ثانية من (الملائكة) والرابط: الضمير فقط، أو هي حال من واو الجماعة، فتكون حالاً متداخلة، أو هي بدل من جملة: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لأن من خاف الله لا يستكبر عن عبادته. (يفعلون): فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُؤْمَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً يؤمرون به، وجملة: ﴿وَيَفْعَلُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، على جميع الاعتبارات فيها.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾: قال الخازن رحمه الله تعالى: لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة: أن كل ما في السموات والأرض خاضعون له، منقادون لأمره، عابدون له، وأنهم في ملكه، وتحت قدرته، وقبضته؛ نهى في هذه الآية عن الشرك، وعن اتخاذ إلهين اثنين. ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أي: لأن الإلهين لا يكونان إلا متساويين في الوجود، والقدم، وصفات الكمال، والقدرة، والإرادة، فصارت الاثنية منافية للإلهية، وقد تقرر هذا في غير ما آية، قال تعالى في سورة (البقرة): ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ وانظر شرح: ﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) عليه السلام.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي: فخافوني، والرَّهب: خوف من حزن، واضطراب، وإنما نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور، وهو من طريق الالتفات؛ لأنه أبلغ في الترهيب من قوله: فإياه فارهبوا، فهو من بديع الكلام، وبليغه. وفي تقديم الضمير حصر، فالمعنى: لا يرهب الخلق إلا منه، ولا يرجون إلا كرمه، وفضله، وإحسانه. ولا تنس: أن في الآية التالية التفاتاً آخر إلى الغيبة. وانظر الالتفات في الآية رقم [٢٢].

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾: مفعول به. ﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾: توكيد لما قبله. وقيل: هو صفة لما قبله. منصوب مثله، وعلامة النصب الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنهما مثنى، والنون بدل من التنوين في الاسم المفرد، وعلى هذا فالفعل متعدٍّ لواحد فقط، ويكون بمعنى: لا تعبدوا... إلخ، ويجوز أن يكون متعدياً لاثنين كأصله، والثاني: محذوفاً؛ أي: لا تتخذوا إلهين اثنين معبوداً. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾: مفعولاً أولاً، و﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ هو المفعول الثاني، والجمهور على التوكيد. تأمل.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره. ﴿وَاحِدٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محل لها. ﴿فَإِيَّايَ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [١] (إياي): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم لفعل محذوف، التقدير: فإياي ارهبوا، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك هو الواقع والصحيح فإياي ارهبوا. ﴿فَارْهَبُونِ﴾: الفاء: حرف عطف. (ارهبون): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على المقدرة قبلها، لا محل لها مثلها. وقيل: مفسرة لها، وليس بشيء؛ لأن الفاء تمنع التفسير. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير (إياي) مفعولاً مقدماً للفعل المذكور بعده، واعتبرت الفاء زائدة، فهو وجه صحيح لا غبار عليه، ولا حذف، ولا تقدير، والله أعلم، وإليه المرجع والمصير.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)﴾

الشرح: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ولله ملك السموات والأرض وما فيهما خلقاً وعبيداً وملكاً. ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي: له العبادة، والطاعة، وإخلاص العمل دائماً ثابتاً، والواصب الدائم، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ قال ابن قتيبة: ليس من أحد يدان، ويطاع إلا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة، أو بالموت إلا الحق سبحانه وتعالى، فإن طاعته واجبة أبداً؛ لأنه المنعم على عباده المالك لهم، فكانت طاعته واجبة ثابتة أبداً. هذا؛ وقيل: الوصب: التعب، والإعياء؛ أي: تجب طاعة الله؛ وإن تعب فيها العبد. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾: هذا الاستفهام بمعنى: التعجب والإنكار؛ إذ المعنى كيف تتقون غيره، وتخافون سواه، وهو المالك لما ذكر، والمتصرف فيه؟! وانظر شرح ﴿الدِّينُ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (يوسف) عليه السلام، وشرح (غير) في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد).

الإعراب: (له): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُ مَا فِي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَاصِبًا﴾: حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، أعني: الخبر المحذوف. وقيل: حال من المبتدأ، وهو ﴿الدِّينُ﴾ وهذا لا يسوغ إلى على اعتباره فاعلاً بالظرف على مذهب الأخفش، ومن يوافقه على عدم اشتراط الاعتماد على النفي، أو شبهه لعمله، وأما اعتباره مبتدأ؛ فلا يصح مجيء الحال منه؛ لأن الحال تبين هيئة فاعل، أو مفعول. وانظر الشاهد [١٣٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، إعراب شواهد مغني اللبيب. ﴿أَفَغَيْرَ﴾: الهمزة: حر ف استفهام إنكاري. الفاء: حرف عطف

على محذوف، التقدير: أبعد ما تقرر من توحيد الله، وبعدما عرفتم: أن كل ما سواه محتاج إليه؛ فتتقون غيره. (غير): مفعول به مقدم، وغير مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿تَتَّقُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو معطوفة على جملة محذوفة حسب ما رأيت في الآية رقم [١٧].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أيُّ شيء وصل إليكم من نعم: صحة جسم، وسعة رزق، وولد، وإيمان، وراحة بال؛ فهو من الله وحده، فيجب عليكم أن تشكروه على هذه النعم. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: الفقر، أو المرض، أو البلاء بأنواعه. ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: تتضرعون، وتضجون بالدعاء. و«الجؤار»: رفع الصوت بالدعاء، والاستغاثة، و«الجؤار» صوت البقر، مثل الخوار، قال الأعشى يصف بقرة وحشية: [الطويل]

فَطَافَتْ ثَلاثاً بَيْنَ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وَكَانَ النَّكِيرُ أَنْ تُطِيفَ وتَجْأَرا

هذا؛ و﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كل منها خلاف مذكور في مغني اللبيب، وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق «رُبَّ» و«لَا» العاملة عمل «ليس» فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح. هذا؛ و«ثُمَّ» هذه غير «ثَمَّ» بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد تتصل به التاء المربوطة، فيقال: ثَمَّةَ.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِكُم﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (ما). ﴿فَمِنَ﴾: الفاء: حرف صلة لتحسين اللفظ، ودخلت الفاء في خبر المبتدأ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. (مِنَ اللهِ): متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) شرطية مبتدأ، وفعل شرطها محذوف، التقدير: وأيُّ: شيء بكم، أو اتصل بكم، والجار والمجرور بكم متعلقان بالفعل المقدر. وقال ابن هشام في «مغني اللبيب»: التقدير: وما يكن بكم من نعمة؛ فمن الله، وهذا يعني: أن الفعل «يكن» تاماً بمعنى: وما يوجد بكم. ﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل الفعل المقدر والمستتر، والفاء: واقعة في جواب الشرط، وعليه فالجار والمجرور: (مِن الله) متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو من الله، أو فهي من الله، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (ما) مختلف فيه: هل هو جملة

الشرط، أو جملة الجواب، أو هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: ماض، ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة إذا إليها على المشهور المرجوح. الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. إليه: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَجْـَٔرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية جواب إذا لا محل لها، وإذا ومدخولها كلام معطوف على الجملة الاسمية لا محل له مثلها.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾ أي: ما تقدَّم من المرض، ونحوه. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: طائفة منكم يضيفون كشف الضر إلى العوائد، والأسباب، ولا يضيفونه إلى الله تعالى، فهذا من جملة شركهم، وجحودهم فضلَ الله عليهم، وهذا بعد دعائهم، وتضرعهم إلى الله، عز وجل. وهذا المعنى مكرر في القرآن، وقد تقدم في (الأنعام) الآية رقم [٦٣] وفي سورة (يونس) الآية رقم [١٢] وغير ذلك كثير. هذا؛ و(الفريق) الطائفة من الناس، و(الفريق): أكثر من الفرقة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، كـ: «رهط ومعشر»... إلخ.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية السابقة. (كشف): ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلضُّرَّ﴾: مفعول به. ﴿عَنكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿إِذَا﴾: فجائية. وانظر الآية رقم [٤]. ﴿فَرِيقٌ﴾: مبتدأ. ﴿مِّنكُم﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿فَرِيقٌ﴾. ﴿بِرَبِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يُشْرِكُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَرِيقٌ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وهذا على اعتبار (إذا) الفجائية ظرفاً، والجملة الاسمية جواب إذا الشرطية وإذا الفجائية واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾ الشرطية كما إذا وقعت الفاء في جوابها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها معطوف على مثله في الآية السابقة لا محل له مثله، وفي الآية دليل على أن «إذا» الشرطية لا تكون معمولة لجوابها؛ لأن ما بعد «إذا» الفجائية لا يعمل فيما قبلها. هذا؛ واعتبر أبو البقاء؛ ﴿إِذَا﴾ الثانية شرطية، وهو سهوٌ منه. تأمل.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي: أشركوا بالله؛ ليجحدوا نعمة الله التي أنعم بها عليهم من كشف الضر، والبلاء. ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾: لفظه أمر، ومعناه: التهديد، والوعيد، والمعنى:

فاسرحوا في هذه الدنيا، وامرحوا إلى انتهاء آجالكم. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تهديد بعد تهديد، والمراد تغليظ الوعيد، وقرئ الفعل بالياء. هذا؛ وانظر الكفر في الآية رقم [٣٧] من سورة (يوسف) عليه السلام. وانظر «التمتع» في الآية رقم [٣٠] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، ولا تنس: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

الإعراب: ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل. وقيل: لام العاقبة، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُشْرِكُونَ﴾ على اعتبار اللام للتعليل، ومتعلقان بفعل محذوف على اعتبار اللام للعاقبة، التقدير: آل أمرهم للكفر. وقيل: اللام لام الأمر، فالفعل مجزوم، لا منصوب، فتكون الجملة مستأنفة، لا محل لها، ﴿بِمَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء آتيناهموه. ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (تمتعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: فقل لهم يا محمد: تمتعوا. وهذه الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير، وإذا كان هذا حالهم، وعملهم؛ فقل لهم: تمتعوا. هذا؛ ويقرأ الفعل (فتمتَّعوا) بالبناء للمجهول والماضي، عطفاً على ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ وهذا على اعتبار اللام للأمر. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله والمفعول محذوف، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

تنبيه: هذه الآية متفقة في المعنى والإعراب بل وبالحروف أيضاً مع الآية رقم [٦٦] من سورة (العنكبوت) ومع الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم)، وقد أطلت الكلام على الآيتين المذكورتين، كما ستعرفه إن شاء الله تعالى.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: هذا نوع آخر من جهالة كفار قريش، ومَنْ على شاكلتهم من العرب، وهو أنهم كانوا يجعلون للأصنام التي لا تضر، ولا تنفع قسماً كبيراً من زروعهم، وثمارهم، ومواشيهم يتقربون به إليها، والواو في: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ عائدة على المشركين. وقيل: عائدة للأوثان، وجمع بواو الجماعة، إجراء له مجرى مَنْ يعقل. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٠] وانظر الإعراب يتضح لك المعنى، وهذا الجعل للأصنام بيَّنه ربنا أحسن بيان في سورة (الأنعام) الآية رقم [١٣٦] وما بعدها.

﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: أقسم الله بنفسه على نفسه: أنه يسألهم يوم القيامة عما كانوا يكذبون في الدنيا من قولهم: إن هذه الحجارة آلهة، وإن لها نصيباً من أموالهم، وفي الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب، انظر الآية رقم [٢٢]، وانظر سؤال الكافرين في الآية رقم [٩٢ و٩٣] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يجعلون): مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿لِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة والمصدرية. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) والعائد واو الجماعة، التقدير: ويجعلون لآلهتهم التي لا علم لها؛ لأنها جماد، أو التقدير: التي لا يعلمونها، فيعتقدون فيها جهالات مثل أنها تنفعهم، وتشفع لهم، فيكون العائد محذوفاً، وتكون الواو عائدة على المشركين، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر باللام، ويكون التقدير: يجعلون لعدم علمهم. ﴿نَصِيبًا﴾: مفعول (يجعلون). ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿نَصِيبًا﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: مِنَ الذي، أو مِنْ شيء رزقناهم إياه، ويجوز اعتبار (ما) مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ)، التقدير: نصيباً كائناً مِنْ رزقنا لهم، وجملة: ﴿وَيَجْعَلُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، قال الجمل: لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى؛ أي: يفعلون ما يفعلون من الجؤار إلى الله تعالى عند مسِّ الضرِّ، ومن الإشراك به عند كشفه، ويجعلون. . . إلخ. ﴿تَاللَّهِ﴾: متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم. ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (تسألن): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون للتوكيد حرف لا محل له، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. هذا؛ وإعراب: ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الآية رقم [٢٨] بلا فارق.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾: المراد: قبيلة خزاعة وكنانة، فإنَّهم قالوا: الملائكة بنات الله، وإنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء التي تحتجب عن أعين الناظرين، أو لدخول التاء المربوطة التي هي علامة التأنيث على لفظ الملائكة. ﴿سُبْحَانَهُ﴾: نزه الله نفسه عن الولد، والبنات. وانظر الآية رقم [١] فالبحث فيها جيد. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذكور ويأنفون من البنات، فيخصون أنفسهم بالأفضل، قال

تعالى في سورة (الصافات) موبخاً، ومؤنباً لهم: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ...﴾ إلخ الآية رقم [١٤٩] وما بعدها. وانظر الإسراء رقم [٤٠].

الإعراب: (يجعلون): مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وعليه فالجملة القسمية معترضة بين الجملتين المتعاطفتين. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف معترضة لا محل لها. ﴿وَلَهُم﴾: الواو: حرف استئناف. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ولهم الذي، أو شيء يشتهونه، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، وعليهما فالجملة التنزيهية معترضة لا محل لها.

هذا ويجوز اعتبار ﴿مَّا﴾ معطوفة على ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾، فيكون الجار والمجرور (لهم) متعلقين بالفعل بعدهما، وهما في محل نصب مفعول به على أن (يجعلون) بمعنى: يختارون، وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد، لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف، مع أنه مقرر في القواعد النحوية: أن اتحاد الفاعل والمفعول لا يجوز في غير باب «ظنَّ» وأخواتها، وما ألحق بها مِنْ فَقَدَ، وَعَدِمَ، سواء تعدَّى الفعل إلى ضميره بنفسه، أو بحرف الجر، فلا يجوز: أن زيدٌ ضربه؛ أي: ضرب نفسه، ولا زيدٌ مرَّ به؛ أي: مرَّ بنفسه، ويجوز زيد ظنه قائماً، وزيد فَقَدَهُ، وعدِمَهُ؛ أي: ظن نفسه قائماً، وفقد نفسه، وعدمها. انتهى. جمل وبيضاوي بتصرف كبير مني، وأجاز ابن هشام في المغني عطف (لهم) على ﴿لِلَّهِ﴾، وقدَّر الكلام: ولأنفسهم ما يشتهون.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾: البشارة: عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به، ولمَّا كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه؛ كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه، وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الغم والحزن، فثبت بهذا: أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار، والخبر المحزن، فصح قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

بُشِّرَ...﴾ إلخ ولكن قد تستعمل البشارة بالشر وبما يسوء على سبيل التهكم، والاستهزاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ أي: صار وجهه، ودام النهار كله مسوداً من الكآبة، والحياء من الناس، والمقت الذي حصل له من تلك البشارة. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء غيظاً، وحزناً. وانظر زيادة على ذلك في الآية رقم [٨٤] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه أعظم صلاة، وأزكى سلام. وانظر شرح: ﴿أَحَدُهُم﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (هود) عليه السلام. وانظر شرح (ظلوا) في الآية رقم [١٤] من سورة (الحجر).

الإعراب: (إذا): انظر الآية رقم [٥٣] ﴿بُشِّرَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿أَحَدُهُم﴾: نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْأُنثَىٰ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿ظَلَّ﴾: ماض ناقص. ﴿وَجْهُهُۥ﴾: اسم ﴿ظَلَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُسْوَدًّا﴾: خبر ظل، وجملة: ﴿ظَلَّ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. وقال الجمل: الجملة حال من الواو في يجعلون، وينقصه أن إذا للاستقبال، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم، وذلك: أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قربت ولادة زوجة أحدهم؛ توارى من القوم إلى أن يعلم ما ولد له، فإن كان ولداً؛ ابتهج، وسرَّ بذلك، وظهر، وإن كانت أنثى؛ حزن، ولم يظهر أياماً؛ حتَّى يفكر ما يصنع بها.

﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: يختفي من قبح الذي بشر به، وهو ولادة الأنثى. ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾: على هوانٍ وذلةٍ، وذكَّر الضمير؛ لأنه عائد إلى ما بشر به في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ ومعنى إمساكه: إبقاؤه حياً. ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: يخفي الذي بشر به في التراب، والدَّسُّ: إخفاء الشيء في الشيء. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بئس ما يصنعون ويقضون حيث جعلوا لله ما يكرهون، ويجعلون لأنفسهم ما يحبون، قال تعالى في سورة (النجم) موبخاً لهم: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة، وكاذبة.

تنبيه: قال أهل التفسير: إنَّ مضر، وخزاعة، وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياءً، والسبب في ذلك: إما خوف الفقر، وكثرة العيال، ولزوم النفقة، أو الحَمِيَّة. فيخافون عليهن من الأسر، ونحوه، أو طمع غير الأكفاء فيهنَّ حتى نتج عن ذلك نقص في الإناث في بعض القبائل. ولذا

اضطر الواحد منهم إلى الزواج من قبيلة أخرى بمهر كبير جداً؛ فكان الرجل منهم في الجاهلية؛ إذا ولدت له بنت، وأراد أن يستحييها؛ تركها حتى إذا كبرت ألبسها جبَّةً من صوف، أو شعر، وجعلها ترعى الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها؛ تركها حتى إذا صارت سُدَاسِيَّةً، قال لأمِّها زيِّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء، فإذا بلغ بها تلك الحفرة، قال لها: انظري إلى هذه البئر، فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في تلك البئر، ثم يهيل عليها التراب، وكان صعصعة بن ناجية عم الفرزدق الشاعر؛ إذا أحس بشيءٍ من ذلك؛ وجه إلى والد البنت إبلاً يستحييها بذلك، فقال الفرزدق يفتخر بذلك: [المتقارب]

وَعَمِّي الَّذِي مَنع الْوَائِدات وَأَحْيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ يُوأَدِ

وجملة القول: أن العرب جميعاً كانوا في الجاهلية يكرهون البنات، ويتبرمون من الأخوات، ويحزنون عند ولادة الأنثى، ويعاملونها معاملة لا ترضي المولى، وخُطِبَ إلى عقيل بن عُلّفة ابنته الجرباء، فقال: [الرجز]

إنِّي وإنْ سِيقَ إِلَيَّ المَهرُ
أَلْفٌ وعُبْدانٌ وخُورٌ عَشْرُ
أَحَبُّ أصهاري إِلَيَّ الْقَبْرُ

الخور: جمع: خوارة، وهي الناقة الغزيرة اللَّبن. وقال عبد الله بن طاهر: [الطويل]

لِكلِّ أبي بِنْتٍ يُراعي شُؤونَها ثَلاثَةُ أَصْهَارٍ إذا حُمِدَ الصِّهْرُ
فَبَعْلٌ يُدَارِيها، وَخِدْرٌ يكنُّهَا وقبرٌ يُواريها وخيرهمُ القبْرُ

فلما جاء الإسلام؛ دفع عن البنت هذا الاستهتار، وحماها من الاضطهاد، ورفع لها الشأن، والعماد، ومنحها من الحقوق والواجبات ما لم تحلم به أنثى في ديانة من الديانات، فحرَّم وأدها، وملكها ميراثها، وأعطاها حق الإعراب عن رأيها، وجعلها مسؤولة أمام الله عن عملها، تثاب على عمل الخير، وتعاقب على عمل الشر، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الآية رقم [٩٧] الآتية.

بل ذهب الإسلام في رعاية البنت مذهباً فريداً، وسلك في كفالة الأخت مسلكاً عظيماً؛ حيث جعل لمن أنفق عليهنَّ، وقام بتربيتهن، وصبر على رعايتهن حتى يمتن، أو يتزوجن ثواب المجاهدين الصادقين وأجر الصائمين القائمين، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثلاثُ بناتٍ، أو ثلاثُ أَخَوَاتٍ، أَو بنتانِ، أو أُخْتَانِ، فأحسنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَى اللهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الجنةُ**». رواه الترمذي. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنثى، فلمْ يَئِدْهَا، ولَم يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وُلْدَهُ الذكورَ عَلَيْهَا أدخلهُ اللهُ الْجَنَّةَ»**. رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ على لأوَائِهِنَّ، وَضَرَّائِهِنَّ، وَسَرَّائِهِنَّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الجنةَ برحمتِهِ إيَّاهُنَّ»**. فقالَ رَجُلٌ: واثْنَتَانِ يا رسولَ اللهِ؟! قالَ: **«وَاثْنَتَانِ»**. قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! وَوَاحِدَةٌ؟ قال: **«وَوَاحِدَةٌ»**. رواه الحاكم، وهذا قليل من كثير، أوصى به النبي الكريم عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

خاتمة: لا تزال آثار الجاهلية فاشية في كثير من بيوت المسلمين، فهناك رجال مسلمون يكرهون ذرية البنات، هؤلاء الذين يكرهون ولادة البنت، كما غفلوا كل الغفلة عن الرضا بقضاء الله وقدره، وعن الحكمة الإلهية التي تتجلى في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ بلغ بأعداء الأنثى ولو كانت من بناتهم أنهم يؤثرون أخاها بما يملكون، ويحرمونها ممَّا يتركون عن طريق تسجيل أملاكهم إلى الذكور خاصة.

ما أتعسه، وما أشد عذابه! كيف لم يجد من الأعمال التي يختم بها حياته إلا أن يظلم ابنته؟! وما ذنبها في أنها خلقت أنثى؟ وما أحقها برحمته وعطفه إن كان مِمَّن لهم ضمير يؤنب، أو دين يرشد! وما هي إلا خطوة واحدة إلى الدار الآخرة حتى يرى سوء ما عمل من هذا التفريق بين الأولاد، وحتى يرى من صنوف البلاء، وحتى يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾. وخذ ما يلي إن كنت ممَّن يعقلون.

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ: أن أمه عمرة بنت رواحة سألت زوجها بعض الموهبة من ماله لابنها النعمان، فلما أجابها قالت: لا أرضى حتى تُشْهِد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابني، فأتى رسول الله، وقال: يا رسول الله! إن ابنة رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها. فقال رسول الله ﷺ: **«أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: إذاً لا أَشْهَدُ على جَوْرٍ! اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»**.

فلم يكن بشير، ولا زوجته يتوقعان: أن الرسول سينكر عملهما، وظنَّ بشير: أنه مالك يتصرف في ماله كيف شاء، ولكن النبي ﷺ بيَّن: أنه لا يجوز له أن يحابي بعض ولده بشيء من ماله؛ لأن ذلك يزرع الضغينة في قلوبهم، ويورث العداوة في أعقابهم. وقد شاهدنا ذلك في واقعنا، وحاضرنا نحن معشر المسلمين.

الإعراب: ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدُهُم﴾ والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿كَظِيمٌ﴾، والرابط: الضمير فقط. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما، وساغ ذلك لاختلاف معنى الحرفين، فإن الأول: للابتداء، والثاني: للعلة. و﴿سُوٓءِ﴾ مضاف، و﴿مَا﴾: اسم

موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿بُشِّرَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿أَحَدُهُم﴾ أيضاً. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل بشر، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، لا محل لها. ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (يمسكه): مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدُهُم﴾، والهاء مفعول به. ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من الضمير، ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف. ﴿يَدُسُّهُۥ﴾: مضارع، وفاعله مستتر فيه، والهاء مفعول به. ﴿فِي ٱلتُّرَابِۗ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملتان ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به لمحذوف واقع حالاً من فاعل يتوارى، وتقدير الكلام: يتوارى ناظراً، أو متفكراً: أيمسكه على هون.. إلخ. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. هذا؛ وإعراب ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ في الآية رقم [٢٥] بلا فارق بينهما، والجملة مستأنفة، لا محل لها.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠﴾

الشرح: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾: صفة السوء، وهي الحاجة إلى الولد الذكر، وكراهتهم الإناث، ووأدهن؛ خشية الفقر والجوع. ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ أي: الصفة العليا المقدسة، وهي الوجوب الذاتي، والغنى المطلق، والجود الفائق، والنزاهة عن صفات المخلوقين، وأنَّ له جميع صفات الجلال، والكمال من العلم، والقدرة، والبقاء السرمدي، وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: القوي الغالب، الممتنع في كبريائه، وجلاله، وعظمته. ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: في جميع أفعاله، وتصرفاته.

هذا والسوء بضم السين بمعنى: المكروه والشر والبلاء والضرر، وهي بفتح السين بمعنى: الفساد والرداءة. وانظر الآية رقم [٦] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

تنبيه: لقد أضاف الله عز وجل المثل هنا إلى نفسه، وقد قال في الآية رقم [٧٤] الآتية: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ...﴾ إلخ والجواب: أن المنهي عنه ضرب الأمثال التي توجب الأشباه، والنقائص، والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له، ولا نظير، جلَّ، وتعالى عمَّا يقول الظالمون، والجاحدون علواً كبيراً. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجملة: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مَثَلُ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّوۡءِۖ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلۡمَثَلُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾: صفة المثل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: خبران للمبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ أي: بكفرهم، ومعاصيهم، وافترائهم عليه المفتريات، فيعاجلهم بالعقوبة، والهلاك. ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: على الأرض، فالضمير يعود إلى غير مذكور، لكن دل عليه لفظ «الدابة» فإن «الدابة» لا تدب إلا على الأرض، والمعنى المراد من ﴿دَآبَّةٍ﴾ كافرة. وقيل: المعنى: أنه لو أهلك الآباء بكفرهم؛ لانقطع النسل، ولم توجد الأبناء، فلم يبق على وجه الأرض أحد. هذا؛ وقد قال الله في آخر سورة (فاطر): ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾، وانظر الآية رقم [٥٨] من سورة (الكهف). ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي: يمهلهم كرماً، وفضلاً، وحلماً. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو وقت انتهاء آجالهم، وانقضاء أعمارهم.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾: يعني: إذا حل وقت عذابهم، وهلاكهم. ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: يعني: فلا يمهلون، ولا يؤخَّرون قدر ساعة، ولا أقل من ساعة، فالسين زائدة بالفعلين كما هو واضح، وإنما ذكرت الساعة؛ لأنها أقل أسماء الأوقات في العرف، وهذا يرد عليهم حين سألوا نزول العذاب، فأخبرهم الله تعالى: أن لهم وقتاً، فإذا جاء ذلك الوقت، وهو وقت إهلاكهم؛ فلا يؤخرون عنه، ولا يقدمون. هذا؛ ويمكن أن يراد به أجل الموت لكل إنسان. هذا؛ وكثيراً ما يطلق اسم الساعة على القيامة، وإطلاقها على القيامة؛ لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة، لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى. وقيل: سميت القيامة ساعة لسرعة الحساب فيها؛ لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة، أو أقل من ذلك. ولا تنس: أن ساعة كل إنسان، وقيامته، وقت مقدِّمات الموت، وما فيه من أهوال؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ؛ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ**». وينبغي أن تعلم أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ...﴾ إلخ قد ذكر بحروفه في الأعراف رقم [٣٤]، وذكر بحروفه في سورة (يونس) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام برقم [٤٩]، ولم يقترن جواب (إذا) بالفاء في الأعراف وفي هذه السورة؛ لتقدم الفاء عليها، واقترن جوابها بالفاء في سورة (يونس) لعدم تقدم الفاء عليها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: في الآية الكريمة بيان: أن الله لو عاجل المذنبين بالعقاب؛ لأهلكهم، وأهلك الناس جميعاً معهم، قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقرأ هذه الآية: لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين؛ لأصاب العذاب جميع الخلائق حتى الجِعلَانَ في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء، والنبات من الأرض، فمات الدواب، ولكن الله يأخذ بالعفو، والفضل، كما قال: ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ الآية رقم [٣٠] من سورة (الشورى)، فإن قيل: كيف يعم بالهلاك مع

أن فيهم مؤمناً ليس بظالم؟! قيل: يجعل هلاكَ الظالِمِ انتقاماً، وجزاءً، وهلاكَ المؤمنِ مُعَوَّضاً بثواب الآخرة. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا أَرَادَ الله بقوم عذاباً؛ أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا على نِيَّاتِهِمْ**». انتهى. قرطبي. ولا تنس: ما قالت زينب ـ رضي الله عنها ـ يا رسول الله! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالحون؟ قَالَ: «**نَعَمْ إذا كثُرَ الْخَبَثُ**». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦] من سورة (الرعد)، والآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف، (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يُؤَاخِذُ﴾: مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعوله. ﴿بِظُلْمِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿يُؤَاخِذُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿تَرَكَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الله، ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿دَآبَّةٍ﴾... إلخ. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿دَآبَّةٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿مَّا تَرَكَ...﴾ إلخ جواب لو، لا محل لها، ولو ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، وإعلاله مثل إعلال (هُدىً) في الآية رقم [١١١] من سورة (يوسف) عليه السلام، وجملة: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جواب لو، لا محل لها مثله. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٥٣]. ﴿جَآءَ﴾: ماض. ﴿أَجَلُهُمْ﴾: فاعل والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿سَاعَةً﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: إعرابه مثل إعراب سابقه، ومتعلقه محذوف لدلالة الأول عليه، والجملة الفعلية معطوفة على سابقتها لا محل لها مثلها، و(إذا) ومدخولها كلام مفرع عمَّا قبله لا محل له؛ لأنه مستأنف.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ أي: يجعل مشركو العرب لله ما يكرهون لأنفسهم من البنات، وأراذل الأموال، ويجعلون لأنفسهم ما يحبون من البنين، وكرائم الأموال. ﴿وَتَصِفُ

﴿أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ أي: ويدعون كذباً، وافتراءً: أن لهم الجزاء الحسن، والعاقبة المحمودة عند الله تعالى، كقول بعضهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ وهذا على فرض وجود البعث في زعمه. هذا؛ وقرئ (الكذب) بضم الكاف والذال والباء جمع: كذوب، مثل: رسول ورُسُل، وصبور وصُبُر، وشكور وشُكُر، وانظر رقم [١١٦] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: رد لما يدعونه، وإثبات لضده، وعكسه. ﴿وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾: مقدَّمون إلى النار، والفارط: هو الذي يتقدم إلى الماء، ومنه قول النبي ﷺ: «**وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**». وقال القطامي: [البسيط]

فَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنَا كَمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ

والفُرَّاط: المتقدمون في طلب الماء، والوُرَّاد المتأخرون. هذا؛ ويقرأ: (مُفْرِطون) بكسر الراء وتخفيفها، ومعناه مسرفون في الذنوب والمعاصي، كما قرئ بتشديد الراء مفتوحة من فرطته في طلب الماء، وبتشديدها مكسورة؛ أي: مضيعون أمر الله، فيكون للمبالغة، وانظر الآية رقم [٤٥] من سورة (طه) ففيها مزيد فائدة. وانظر شرح «اللسان» في الآية رقم [٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَيَجۡعَلُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يجعلون): مضارع مرفوع. . إلخ، والواو فاعله. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً يكرهونه، والجملة الفعلية: ﴿وَيَجۡعَلُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وعطفها على ما قبلها غير مستبعد. (تصف): مضارع. ﴿أَلۡسِنَتُهُمُ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾: مفعول به، والمصدر المؤول مِنْ (أنَّ) واسمها وخبرها في محل نصب بدل من ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ بدل كل من كل، أو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن. . . إلخ والمعتمد الأول. هذا؛ وعلى القراءة الثانية فـ: ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ صفة لما قبله، ويكون المصدر المؤول في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿وَتَصِفُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ انظر الآية رقم [٢٣] ففيها الكفاية. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾: خبر (أنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر معطوف على المصدر المؤول قبله على جميع الاعتبارات فيه.

﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾

الشرح: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ...﴾ إلخ: المعنى: كما أرسلناك إلى هذه الأمة؛ لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك، فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب. ففيه تعزية، وتسلية للنبي ﷺ. ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ

ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: الخبيثة من الكفر والتكذيب، وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله. والمزين في الحقيقة هو الله تعالى، هذا مذهب أهل السنّة، وإنما جعل الشيطان آلة بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وليس له قدرة أن يضل، أو يهدي أحداً، وإنما له الوسوسة فقط، فمن أراد الله شقاوته؛ سلطه عليه حتى يقبل وسوسته. ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾: ناصرهم في الدنيا، وعبر باليوم عن زمانها، أو فهو وليهم حين كان يزين لهم، أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية، أو آتية. هذا؛ والولي: القرين، والصاحب، وهو أيضاً الذي يتولى شؤون غيره. والنصير المعين، والمساعد، والفرق بينهما أن الولي قد يضعف عن النصرة والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور، فبينهما عموم، وخصوص من وجه. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: في الآخرة.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ الآية رقم [٤] من سورة (النمل): فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته، وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله عز وجل مجاز، وله طريقان في علم البيان: أحدهما أنه من المجاز الذي يسمى استعارة. والثاني: أن يكون من المجاز الحكمي، فالطريق الأول: أنه لما متعهم بطول العمر، وسعة الرزق، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم، وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم، وبطرهم، وإيثارهم الراحة والترفُّه، ونفارهم عمَّا يلزمهم فيه من التكاليف الصعبة، والمشاق المتعبة؛ فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم، وإليه أشارت الملائكة ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في قولهم: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾.

والطريق الثاني: أن إمهاله الشيطان، وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين، فأسند إليه؛ لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات. وقيل: هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها، زينها لهم فعمهوا عنها وضلُّوا. ويعزى إلى الحسن. انتهى. كشاف. وهذا مبني على مذهبه في الاعتزال، وأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية.

الإعراب: ﴿تَٱللَّهِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. ﴿لَقَدۡ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرۡسَلۡنَآ﴾: ماض، وفاعله، ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن قَبۡلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة أمم، والكاف في محل جر بالإضافة، والمفعول محذوف، تقديره: رسلاً، والجملة: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ...﴾ إلخ جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَزَيَّنَ﴾: الفاء: حرف عطف. (زين): ماض. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فاعله. ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَزَيَّنَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب القسم لا محل لها مثلها. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.

﴿وَلِيُّهُمُ﴾: خبره، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: (ولي)، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، لا محل لها مثلها. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة عذاب، والجملة الاسمية معطوفة أيضاً، لا محل لها.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في أمر الدين، والأحكام، فتبين الهدى من الضلال، والحق من الباطل، والحلال من الحرام، وأحوال المعاد، وأحكام الأفعال. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: رشد وبيان، وهداية من الضلالة، ونعمة شاملة لمن قرأ القرآن، وانتفع به. وانظر إعلال: (هدىً) في الآية رقم [١١١] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: خصهم بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بالقرآن، والعاملون بتعاليمه، والمهتدون بهديه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٤]، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَنزَلْنَا﴾: ماض، و(نا) فاعله، ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِتُبَيِّنَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ويقال: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال؛ أي: ما أنزلنا عليك الكتاب في حال من الأحوال إلا في حال التبيين. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: مفعولان لأجله، وهما في المعنى معطوفان على محل ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ أي: للتبيين، وللهدى، وللرحمة. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بما قبلهما على التنازع، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر صفة (قوم).

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: انظر الآية رقم [١٠] ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: بالنبات والزروع بسبب هطول المطر عليها. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: بعد يبسها وجدبها. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: دلالة واضحة على قدرة الله، ودلالة أيضاً على بعث الناس من قبورهم بعد فنائهم. ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

أي: سماع إنصاف، وتدبر، وتفكر؛ لأن سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان، فمن سمع آيات القرآن بقلبه، وتدبرها، وتفكر فيها؛ انتفع، ومن لم يسمع بقلبه؛ لم ينتفع بالآيات ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

هذا و«يسمعون» من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات، تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات تعدى إلى اثنين، والثاني منهما: جملة فعلية، مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا، وهذا اختيار الفارسي، واختار ابن مالك، ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال؛ إن كان المتقدم معرفة، وصفة؛ إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول كذا. وانظر شرح: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ في الآية رقم [٣١].

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله)، وهو العائد. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً. ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (أحيا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو بمحذوف حال من ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿مَوْتِهَآ﴾: مضاف إليه، و(ها) في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَأَحْيَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَأٓيَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (آية): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آية)، وجملة: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ أي: في خلق الأنعام، والتفكر فيها لدلالة على قدرة الله تعالى. وانظر شرح ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾: الضمير يعود إلى (الأنعام) وإنما ذكَّره، ووحَّده هنا مراعاة للفظه، وأنثه في الآية رقم [٥] وفي سورة (المؤمنون) الآية رقم [٢١] للمعنى، فإن الأنعام اسم جمع؛ ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على «أفعال» كأخلاق، وكقولهم: ثوب أكياش. ومن قال: إنه جمع «نعم» جعل الضمير للبعض، فإن اللبن لبعضها، دون جميعها، أو لواحده، أو له على المعنى، فإن المراد به الجنس. هذا؛ ويقرأ

الفعل بضم النون وفتحها، فالأول: من الرباعي، والثاني: من الثلاثي، وقرئ شاذّاً بالتاء، والياء. وانظر شرح: (يسقي) في الآية رقم [٤١] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام. وانظر شرح دم في الآية رقم [١٨] منها.

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا﴾: فإنه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهي الأشياء المأكولة، المنهضمة بعض الانهضام في الكرش، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن البهيمة إذا اعتلفت، وانطبخ العلف في كرشها؛ كان أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً، وأعلاه دماً، والكبد مسلط على هذه الأصناف، فتقسم الدم، وتميزه، وتجريه في العروق، وتجري اللبن في الضرع، ويبقى الفرث كما هو في الكرش: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾. ولعله إن صح؛ فالمراد: أن أوسطه يكوِّن مادة اللبن، وأعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن؛ لأنهما لا يتكونان في الكرش، بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش، ويبقى ثفله، وهو الفرث، ثم يمسكها ريثما يهضمها هضماً ثانياً، فيحدث أخلاط أربعة: معها مائية، فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين، وتدفعها إلى الكلية، والمرارة، والطحال، ثم يوزع الباقي على الأعضاء بحسبها، فيجري إلى كلٍّ حقَّه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم، ثم إن كان الحيوان أنثى؛ زاد أخلاطها على قدر غذائها، لاستيلاء البرودة، والرطوبة على مزاجها، فيندفع الزائد أولاً إلى الرحم لأجل الجنين، فإذا انفصل؛ انصب ذلك الزائد، أو بعضه إلى الضروع، فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض، فيصير لبناً. ومن تدبَّر صنع الله تعالى، في إحداث الأخلاط، والألبان، وإعداد مقارِّها ومجاريها، والأسباب المولدة لها، والقوى المتصرفة فيها كلَّ وقت على ما يليق به؛ اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته، وتناهي رحمته. انتهى. بيضاوي.

﴿خَالِصٗا﴾ أي: من حمرة الدم، وقذارة الفرث، وقد جمعهما وعاء واحد، أو هو مصفى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه. وقيل: معناه خالصاً بياضه. ﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: سهل المرور في حلوق شاربيه، ولذيذاً هيناً، لا يغص به من شربه. وقيل: إنه لم يشرق أحد باللبن.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بالخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه. ﴿لَعِبۡرَةٗۖ﴾: اللام: لام الابتداء. (عبرة): اسم (إنَّ) مؤخر، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿نُّسۡقِيكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِي بُطُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنۢ بَيۡنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من

﴿لَبَنًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» و﴿بَيْنِ﴾: مضاف، و﴿فَرْثٍ﴾: مضاف إليه. (دم): معطوف على ما قبله. ﴿لَبَنًا﴾: مفعول به ثان. ﴿خَالِصًا﴾: صفة له. ﴿سَآئِغًا﴾: صفة ثانية. ﴿لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَآئِغًا﴾ مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿نُّسْقِيكُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب المجرورة محلاً باللام، أو من ﴿ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ والرابط: الضمير فقط على الاعتبارين، أو هي مستأنفة، لا محل لها. وقيل: مفسرة لـ: (عبرةٍ).

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ﴾ أي: ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل، والأعناب. ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: تتخذون من ثمرات النخيل والأعناب خمراً يسكر، ورزقاً حسناً: أي: كالتمر، والزبيب، والخل، والدبس. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: يستعملون عقولهم، ويتأملون فيما خلق الله في هذا الكون الفسيح الأرجاء. وانظر شرح: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ في الآية رقم [١٣].

تنبيه: لقد كثر الكلام في هذه الآية، واضطربت كلمة العلماء فيها اضطراباً كثيراً، وأرجح أنَّ الآية نزلت في معرض الامتنان، وهي منسوخة بما نزل بعدها من آيات بشأن الخمر، والسبب في ذلك أنها مكية بلا خلاف، وما نزل بعدها بشأن الخمر كله مدني، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١٩] من سورة (البقرة)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ﴾: في تعليق الجار والمجرور أربعة أوجه: أحدها: أنهما متعلقان بمحذوف، تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل، والأعناب؛ أي: من عصيرها، وحذف لدلالة ما قبله عليه، الثاني: كونهما متعلقين بالفعل بعدهما، ومنه تكرير للظرف، وتوكيد له، وقد اختلف في مرجع الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على أقوال كثيرة. الثالث: أنهما معطوفان على قوله: ﴿فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ الرابع: أنهما متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ومن ثمرات النخيل، والأعناب ثمر. انتهى. جمل باختصار كبير. هذا؛ وعلقهما أبو البقاء بفعل محذوف، تقديره: وخلق لكم، أو وجعل، و﴿ثَمَرَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّخِيلِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَعْنَـٰبِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿سَكَرًا﴾ بعدهما؛ لأنه مصدر. ﴿سَكَرًا﴾: مفعول به. ﴿وَرِزْقًا﴾: معطوف على سكراً. ﴿حَسَنًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿تَتَّخِذُونَ...﴾ إلخ مستأنفة على

اعتبار الجار والمجرور متعلقين بفعل محذوف، أو على تعليقهما بالفعل نفسه، وصفة للمبتدأ المقدر على وجه رأيته، وصفة لمفعول محذوف على قول أبي البقاء. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٦٥].

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: لمَّا ذكر الله جلت قدرته عجائب صنعته الدالة على وحدانيته، من: إخراجه اللبن، من بين فرث ودم، وإخراج السكر، والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب؛ ذكر في هذه الآية، ولاحقتها إخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة، هي النحلة. والخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ، وهو يعم كل فرد من الناس، ممن له عقل يستدل به على كمال قدرة الله، ووحدانيته. وأصل الوحي: الإشارة السريعة، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه مثل: موسى، وعيسى، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين، والوحي أيضاً: الكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وتسخير الطير لما خلق له إلهام، والوحي إلى النحل، وتسخيرها لما خلقها الله له إلهام أيضاً؛ حيث تبني بيوتها على شكل هندسيٍّ يعجز عنه العقل البشري، ولها تنظيم في حياتها يدهش الألباب، ومن اقتنى النحل، ولاحظ تصرفاته؛ أدرك: أن ذلك من تدبير العليم الحكيم، وَلِمَا امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة، الدالة على مزيد الذكاء والفطنة، دلَّ ذلك على الإلهام الإلهي، فكان ذلك شبيهاً بالوحي، فلذا قال جل ذكره: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾ إلخ. انتهى. خازن بتصرف كبير.

قال الزجاج: يجوز أن يقال: سمي هذا الحيوان نحلاً؛ لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها، بمعنى: أعطاهم إياه. وقال غيره: النحل يذكر، ويؤنث، وهي مؤنثة في لغة أهل الحجاز، وكذا أنثها الله تعالى، وكذا يؤنث كل جمع جنس ليس بينه وبين واحده إلا الهاء، مثل تمر وتمرة، ونعم ونعمة ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ...﴾ إلخ: وذلك أن النحل منه وحشي، وهو الذي يسكن الجبال والشجر، ويأوي إلى الكهوف، ومنه أهلي، وهو الذي يأوي إلى البيوت، ويربيه الناس عندهم، وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الأماكن التي تأوي إليها، ولا سيما في هذا العصر حيث يربى النحل تربية فنية، وذلك للمنافع التي تستفاد منه، بعد هذا يقرأ ﴿النَّحْلِ﴾ بسكون الحاء، وفتحها، ويقرأ ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها.

ولا تنس: أنه قد ورد النهي عن قتل النحل، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربعٍ من الدواب: «**الهدهد، والصُّرَد، والنَّملة، والنَّحلة**». أخرجه أبو داود، وهذا إذا لم يكن واحد منهن مؤذياً، وإلا فقتل المؤذي حلال، كما سأذكره في سورة (النَّمل) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَأَوْحَىٰ﴾: الواو: حرف استئناف، أو هي حرف عطف. (أوحى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنِ﴾: حرف تفسير. ﴿ٱتَّخِذِى﴾: أمر مبني على حذف النون، والياء فاعله. وانظر إعراب: (امضوا) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحجر). ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من بيوتاً كان صفة له... إلخ، انظر الآية رقم [٦٦] ﴿بُيُوتًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ٱتَّخِذِى...﴾ إلخ مفسرة لا محل لها. هذا؛ وبعضهم يعتبر ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن، والجار والمجرور متعلقان بالفعل، أوحى، وهذه الجملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وحذف مثل ﴿بُيُوتًا﴾، اكتفاء به. (مما): معطوفان أيضاً على ما قبلهما. و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو مِنْ شيء يعرشونه.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: من كل ثمرة تشتهيها، والمراد: زهور الأشجار على اختلاف أنواعها. ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: الطرق التي ألهمك الله أن تسلكيها، وتدخلي فيها لأجل طلب الأشجار والنباتات التي تأكلين منها. ﴿ذُلُلًا﴾: جمع ذلول، وهو المنقاد الخاضع لما يراد منه، والمراد: السبل، بمعنى: أنها مسهلة لك، لا يتوعر عليك مكان تسلكينه، أو المراد: هي مذللة؛ أي: مسخرة مطيعة لمن يملكها، لا تستعصي عليه.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: المراد به: العسل ما بين أبيض، وأحمر، وأصفر، وغير ذلك على حسب ما تأكل من النباتات، والأزهار، والورود وهو يختلف حسب فصول السنة. وقيل: يختلف باختلاف سنها، ثم يستحيل في بطونها عسلاً بقدرة الله تعالى، ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب. ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾: إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية، أو مع غيره كما في سائر الأمراض؛ إذ قلما يكون دواء معجون، إلا والعسل داخل فيه، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: العسلُ شفاءٌ مِنْ كُلِّ داءٍ، والقرآنُ شفاءٌ لما في الصدور. وفي رواية عنه: عليكم بالشفاءَيْن: القرآنِ، والعسلِ. وروى نافع أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، ما كانت تخرج به قرحة، ولا شيءٌ إلا لَطخ الموضع بالعسل، وَيقْرأُ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ: فقال: إنَّ أخي استطلقَ بطْنُهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اسْقِهِ عَسَلاً**». فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ، فقالَ: إني سَقَيْتُهُ عَسَلاً، فَلَمْ يزدْهُ إلَّا اسْتِطْلَاقاً، فقال لهُ ثلاثَ مراتٍ، ثُمَّ جاء الرابعة، فقال: «**اسْقِهِ عسلاً**». فقال: لَقَدْ سَقَيْتُهُ، فَلَمْ يزدْهُ إلَّا اسْتِطْلَاقاً! فقال عليه الصلاة والسلام: «**صَدَقَ اللهُ، وكذبَ بطْنُ أَخِيكَ**». فَسَقَاهُ فَبَرَأَ. متفق عليه.

هذا؛ وقال مجاهد: المراد: القرآن؛ لأنه شفاء من أمراض الشرك، والجهالة، والضلالة، وهو هدى للناس، ورحمة. والقول الأول أصح لأن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب مذكور، وهو ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾ هذا؛ ومن بدع الروافض أن المراد بالنحل عليٌّ وبنوه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وعن بعضهم أن رجلاً قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم، فقال بعض مَنْ حضر: جعل الله طعامك مما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي، وحُدِّث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم. انتهى. نسفي.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: فيعتبرون، فإنَّ مَنْ تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة، والأفعال العجيبة حق التدبر؛ علم قطعاً: أنه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك، ويحملها عليه، وهي تأكل الحامض، والمر، والحلو، والمالح، والحشائش الضارة، فيجعله الله عسلاً حلواً، وشفاءً، وفي هذا أكبر دليل على كمال قدرة الله تعالى. وأخيراً انظر ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿كُلِى﴾: أمر مبني على حذف النون، وياء المخاطبة فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به؛ لأن ﴿مِن﴾ للتبعيض، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَٱسْلُكِى﴾: الفاء: حرف عطف. (اسلكي): مثل سابقه في إعرابه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿سُبُلَ﴾: مفعول به، و﴿سُبُلَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكِ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذُلُلًا﴾: حال من ياء المخاطبة، أو من سبل، انظر الشرح. ﴿يَخْرُجُ﴾: مضارع. ﴿مِنۢ بُطُونِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة، ﴿شَرَابٌ﴾: فاعل ﴿يَخْرُجُ﴾. ﴿مُّخْتَلِفٌ﴾: صفة له. ﴿أَلْوَانُهُۥ﴾: فاعل بـ: ﴿مُّخْتَلِفٌ﴾ والهاء في محل جرٍّ بالإضافة. وجملة: ﴿يَخْرُجُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شِفَآءٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: ﴿شِفَآءٌ﴾؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿شَرَابٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. هذا؛ وإعراب: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ في الآية رقم [٦٥]. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ﴾ أي: أوجدكم من العدم، وأخرجكم إلى الوجود، ولم تكونوا شيئاً. ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾ أي: يميتكم بقبض أرواحكم بآجال مختلفة، صبياناً، أو شباناً، أو كهولاً، كما هو مشاهد لكل إنسان. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أي: أخسِّه، وأردئه، وهو سن الهرم، والشيخوخة الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل، وضعف الحواس. ﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔا﴾: فيصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان، وسوء الفهم، وضعف الحواس، والعجز.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالكسَلِ، والْجُبْنِ، وَالْهَرَم، والْبُخْلِ. وَأَعُوذُ بَكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا والْمَمَاتِ**». متفق عليه، وفي حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**وأعوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**». الحديث أخرجه البخاري.

هذا ـ وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ليس هذا في المسلمين؛ لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله، وعقلاً، ومعرفةً. وقال عكرمة ـ رضي الله عنه ـ: من قرأ القرآن؛ لم يردَّ إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يريد الكافر، ثم استثنى المؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ سورة (التين). هذا؛ وانظر نص الآية رقم [٥] من سورة (الحج).

أقول: فمن المشاهد أن هناك أناساً رُدُّوا إلى أرذل العمر، وقد حفظ الله عليهم عقولهم وقواهم وحواسهم وتصرفاتهم، وهم في الأغلب من أهل التقى والإيمان الذين حاسبوا أنفسهم على ما يعملون، وراقبوا ربهم في كل ما يصنعون، فلم تشغلهم الفانية عن الباقية، بل امتثلوا، أوامر الله في كل ما أمر، وفي كل ما زجر عنه، وتتبعوا خطوات الرسول ﷺ، فاهتدوا بهديه، وساروا على نهجه، واقتدوا بأعماله، وتخلقوا بأخلاقه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾.

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿خَلَقَكُمۡ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَمِنكُم مَّن﴾: انظر إعراب ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ في الآية رقم [٣٦] ففيه الكفاية لذوي الدراية. ﴿يُرَدُّ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود

إلى ﴿مَّن﴾. ﴿إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أَرۡذَلِ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡعُمُرِ﴾: مضاف إليه. ﴿لِكَيۡ لَا﴾: اللام: حرف تعليل وجر. (كي): حرف ناصب. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعۡلَمَ﴾: مضارع منصوب بـ: (كي)، والفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾. ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعۡدَ﴾: مضاف، و﴿عِلۡمٖ﴾: مضاف إليه. ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾: مفعول به، واكتفى ﴿يَعۡلَمَ﴾ بمفعول واحد؛ لأنه بمعنى: يعرف وقيل: تنازعه الفعل، والمصدر، ولا أرى له وجهاً قوياً، انظر الآية رقم [٤٢] من سورة (الرعد)، و(كي) والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُرَدُّ﴾، التقدير: يرد إلى أرذل العمر لعدم علمه بعد علم شيئاً، وجملة: ﴿يُرَدُّ...﴾ إلخ صلة ﴿مَّن﴾، أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنكُم...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها. وعند التأمل يظهر لك: أن العطف على جملة محذوفة، مفرعة عما قبلها؛ إذ التقدير: فمنكم من يبقى محتفظاً بقوة جسمه وعقله، ومنكم مَنْ... ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾: خبران لها. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ أي: جعل بعضكم أغنياء، وبعضكم فقراء، وهذا التفضيل ليس مقصوراً على المال والرزق، بل يكون أيضاً من الْخَلْق، والخُلُق، والعقل، والصحة، والسقم، والحسن، والقبح، والعلم، والجهل، وغير ذلك، فهم متفاوتون في ذلك كله، وهذا مما اقتضته الحكمة الإلهية، والقدرة، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قَسَمَ بَيْنَكُمْ أخلاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ... إلخ**» **الحديث**. ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ أي: من العبيد حتى يستووا فيه، هم وعبيدهم، والمعنى: هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سواء، وقد جعلوا مخلوقات الله من حجارة وأخشاب شركاء لله في ملكه وسلطانه، والمراد ما عبدوه من دون الله. ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾ أي: هم متساوون في أن الله يرزق الجميع من بحر كرمه وجوده وإحسانه، وأنَّ المالك لا يرزق المملوك، بل الرازق للمالك والمملوك هو الله تعالى.

﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ أي: ينكرون فضل الله وإحسانه، فيه إنكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره، أو هم يجحدون البراهين الساطعة، والحجج الدامغة بعدما أنعم الله عليهم ببيانها، وإيضاحها على يد رسول الله ﷺ.

الإعراب: (الله): مبتدأ. ﴿فَضَّلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿بَعۡضَكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل ﴿فَضَّلَ﴾ والجملة

الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على مثلها في الآية السابقة، لا محل لها مثلها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿فُضِّلُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، التقدير: على غيرهم، والجملة صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِرَآدِّي﴾: الباء: حرف جر صلة. (رَادِّي): خبر ما مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وعلامة الجر اللفظي، أو النصب المحلي الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بِرَآدِّي﴾: مضاف، و﴿رِزْقِهِمْ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، والهاء في محل جر بالإضافة وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَىٰ مَا﴾: متعلقان بـ: (رادِّي)، و﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر. ﴿مَلَكَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، ﴿أَيْمَٰنُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: ملكته أيمانهم، والجملة الاسمية: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مفرعة ومستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، وسبب. (هم): مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على المنفي؛ أي: لم يردوه عليهم رداً بحيث يشركونهم فيه. وقال أبو البقاء: الجملة من المبتدأ والخبر هنا واقعة موقع الفعل والفاعل، والتقدير: فما الذين فُضِّلوا برادِّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا فيه. وهذا الفعل منصوب على جواب النفي، ويجوز أن يكون مرفوعاً عطفاً على موضع ﴿بِرَآدِّي﴾؛ أي: فما الذين فضلوا يردون فما يستوون. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف؛ أي: أيشركون به، فيجحدون نعمته؟ (بنعمة): متعلقان بما بعدهما، وهذا لا يصح إلا على تضمين الفعل معنى يكفرون؛ لأن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ متعد بنفسه، و(نعمة): مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والجملة: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: خلق حواء من آدم. وقيل: المعنى: خلق لكم أزواجاً من جنسكم، ونوعكم، وعلى خلقتكم، وهو أولى؛ لأنه أعم، ومشاهد لكل إنسان، وتخصيصه بآدم، وحواء، ليس فيه دليل، وقد أحسن الجلال حيث قال: فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر النساء من نطف الرجال، والنساء. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ﴾: أولاداً ذكوراً، وإناثاً. ﴿وَحَفَدَةً﴾: جمع: حافد، وأما حفيد فجمعه: حفداء، وهم أولاد الأولاد.

وقيل: هم الأصهار. وقيل: هم الأعوان والأنصار. وقيل: هم الخدم، والحشم. وقيل: هم الربائب أولاد الزوجات، والمعتمد الأول، وهو ما قاله الأزهري، وهو مروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وهو ظاهر نصِّ القرآن الكريم، حيث جعل الحفدة، والبنين من النساء. وقال ابن العربي: الأظهر عندي في قوله تعالى: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أن البنين أولاد الرجل لصلبه، والحفدة أولاد ولده، وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا. هذا؛ والحافد: المسرع في الخدمة، المسارع إلى الطاعة ومنه قولك في الدُّعاء: «وإليكَ نسعى ونَحْفِد» أي: نسرع إلى طاعتك.

تنبيه: الحفدة الذين يكون الاعتزاز بهم هم أبناء الأبناء، بخلاف أبناء البنات؛ لأن أبناء الأبناء هم عصبة الجد، بخلاف أبناء البنات فإنَّهم أرحام، وينسب للفرزدق قوله: [الطويل]

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: النعم التي أنعم الله عليكم بها من أنواع الثمار، والحبوب، والأنعام، والأشربة المستطابةِ الحلالِ مِنْ ذلك كله. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بالأصنام يؤمِّلون أن تنفعهم، أو الباطل هو ما يحرمونه من الحلال، كالبحيرة، والسائبة ونحو ذلك، وما يحلونه من الحرام، وهو أكل الميتة، ونحو ذلك مما يزينه الشيطان لهم. ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون نعم الله عليهم، ويضيفونها إلى الأصنام؛ التي لا تضر، ولا تنفع.

هذا؛ و«باطل» بمعنى: فاسد، وهو ضد الحق، والبطلان عبارة عن عدم الشيء، إما بعدم ذاته، أو بعدم فائدته، ونفعه. هذا؛ وبطل من باب: دخل، والبَطَل ـ بفتحتين: الشجاع. والبُطْل ـ بضم فسكون ـ: الباطل والكذب، والبطالة التعطل والتفرغ عن العمل، ويجمع باطل على أباطيل شذوذاً، كما شذ: أحاديث، وأعاريض، وأفاظيع في جمع حديث، وعريض، وفظيع. هذا؛ وأزواج جمع: زوج، وهو يطلق على الذكر، والأنثى، والقرينة تبين الذكر من الأنثى، وقد يقال للمرأة زوجة، والكلام في: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ مثله في: ﴿أَفَمَن﴾ و﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [١٧]، ولا تنس: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. وانظر الآية رقم [٢٢].

الإعراب: (الله): مبتدأ. ﴿جَعَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿لَكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من أزواجاً على مثال ما رأيت في الآية رقم [٦٦] ﴿أَزْوَٰجًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وجملة: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها كإعرابها. ﴿وَحَفَدَةً﴾: معطوف على ما قبله. (رزقكم): ماض، والكاف مفعول به أول، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والمفعول الثاني: محذوف، التقدير: رزقكم من الطيبات ما تشتهون، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الهمزة:

حرف استفهام، وإنكار، وتوبيخ. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف، التقدير: أي: أيكفرون بالله الذي هذا شأنه، فيؤمنون. (بالباطل): متعلقان بما بعدهما، والكلام مستأنف على الاعتبارين. (بنعمة): متعلقان بما بعدهما، و(نعمة): مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ مع المتعلق في محل رفع خبره، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فلا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة، فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

تنبيه: ذكر سبحانه هنا ﴿هُمْ﴾ وفي سورة (العنكبوت) الآية رقم [٦٧] بدونها؛ لأن ما هنا اتصل بقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ وهو بالخطاب، ثم انتقل إلى الغيبة، فقال: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ فلو ترك ﴿هُمْ﴾ لالتبست الغيبة بالخطاب بأن تبدل الياء تاء. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

هذا، ولاحظ معي: أن الآيات الثلاث صُدِّرت بذكر لفظ الجلالة للتعظيم، والتشريف، وإن كان حق العربية أن تصدر الثانية والثالثة بالضمير «هو»، وفي ذلك وجه بلاغي يُدْرَك بأدنى تأمل، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: الكفار والمشركون يعبدون الأصنام وغيرها من الجمادات، وهي لا تقدر على إنزال المطر الذي في السموات خزائنه، ولا تقدر على إخراج النبات الذي في الأرض معدنه، لا قليلاً، ولا كثيراً، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ولا يقدرون على أي: شيء من نفع، أو ضر. وانظر جمع ما لا يعقل في الآية رقم [٢٠]، وشرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في الآية رقم [٣]، وشرح ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية رقم [٣٥]، وشرح «العبادة» في الآية رقم [٣٦]، وشرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣١].

الإعراب: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يعبدون): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، وهو العائد. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بـ: ﴿رِزْقًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به لـ: ﴿رِزْقًا﴾؛ لأنه اسم مصدر يعمل عمله، أو هو بدل منه، أو هو نائب مفعول مطلق، على

معنى: لا يملك لهم ملكاً؛ أي: شيئاً، والأول: هو قول الكوفيين، والثاني: هو قول البصريين، وقد وافق الكوفيين من البصريين أبو علي الفارسي، وجملة: ﴿لَا يَمْلِكُ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة عليها، وقد راعى في الجملة الأولى لفظ ﴿مَا﴾ فوحَّد الضمير، وراعى في الثانية معناها، وجوَّز رجوع الضمير إلى الكفار، وجملة: (يعبدون...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تشبهوا الله بخلقه، فإنه لا مثل له، ولا شبيه، ولا شريك له من خلقه؛ لأن الخلق كلهم عبيده، وفي ملكه، فكيف يشبَّه الخالق بالمخلوق، أو الرازق بالمرزوق، أو القادر بالعاجز. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٠] تجد ما يسرك. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ ما أنتم عليه من ضرب الأمثال له، ويعلم فساد ما تقولون عليه من الأقيسة. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: خطأ ما تضربون من الأمثال، ولو علمتموه؛ لما اجترأتم عليه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والفعل ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿تَعْلَمُونَ﴾ من المعرفة لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

لِعِلْمِ عِرْفَانٍ وَظَنٍّ تُهَمَهْ تَعْدِيَةٌ لِوَاحِدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ وخبر. وأيضاً فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأنَّ متعلقها الذوات دون النسب، بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني، والنسب، وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفت زيداً؛ فالمعنى: أنك عرفت ذاته، ولم ترد أنك عرفت وصفاً من أوصافه، فإذا أردت هذا المعنى؛ لم يتجاوز مفعولاً واحداً؛ لأن العلم، والمعرفة يتناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك، وإذا قلت: علمت زيداً قائماً؛ لم يكن المقصود: أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنَّما المعنى: أن العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة.

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لا): ناهية. ﴿تَضْرِبُوا﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الْأَمْثَالَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والمفعول محذوف كما رأيت، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. وقيل: في محل نصب حال.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال، لقلة علمهم؛ ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً، فقال تعالى: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان، كمثل مَنْ سوَّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حرٍّ كريم مالك قادر، قد رزقه الله مالاً، فهو يتصرف فيه، وينفق منه كيف يشاء، فصريح العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم، والإجلال، فلمَّا لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة، والصورة البشرية، فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والإفضال، وبين الأصنام؛ التي لا تملك، ولا تقدر على شيء ألبتة. انتهى.

وقال عطاء: العبد المملوك هو أبو جهل، ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، والمعتمد القول الأول، وهو الذي يقتضيه نص الآيات. هذا؛ ومعنى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: بيَّن شبهاً. وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾، ولم يقل: هل يستويان؛ لأن (مَنْ) اسم مبهم يصلح للواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث، ويكون المعنى هل يستوي الأحرار، والعبيد، وكذلك لا يستوي المطيعون، والعاصون.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: حمد الله نفسه؛ لأنه المستحق لجميع المحامد؛ لأنه المنعم المتفضل على عباده، دون ما يعبدون؛ إذ لا نعمة للأصنام عليهم، ولا معروف فتحمد عليه، وإنما الحمد الكامل لله. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: المشركون. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الحمد لله وحده. وقيل: أراد أكثر الناس لا يعلمون، وذلك: أن أكثرهم المشركون، وقد صرح سبحانه في غير ما آية: أن أكثر الناس لا يعلمون. وانظر الآية رقم [١٠١] الآتية.

الإعراب: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿مَثَلًا﴾: مفعول به. ﴿عَبْدًا﴾: بدل منه. ﴿مَّمْلُوكًا﴾: صفة ﴿عَبْدًا﴾. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَقْدِرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿عَبْدًا﴾. ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿عَبْدًا﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على ﴿عَبْدًا﴾. ﴿رَّزَقْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿مِنَّا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به ثان. ﴿حَسَنًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿رَّزَقْنَٰهُ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها، وجملة: ﴿ضَرَبَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف تفريع، وسبب. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُنفِقُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً.

﴿مِنۡهُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به؛ لأن (مِنْ) دالة على التبعيض. ﴿سِرّٗا﴾: مفعول مطلق؛ إذ التقدير: إنفاق سر، أو هو حال بمعنى: مسراً. ﴿وَجَهۡرًاۖ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يُنفِقُ مِنۡهُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَهُوَ يُنفِقُ...﴾ إلخ مستأنفة ومفرعة عما قبلها، لا محل لها. ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام معناه التوبيخ، والإنكار. ﴿يَسۡتَوُۥنَۚ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِۚ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة أيضاً. ﴿بَلۡ﴾: حرف عطف وإضراب. ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾

الشرح: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾: وهذا مثل آخر ضربه الله لنفسه ولما يعبدون من الأوثان. ﴿أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾: أخرس لا يفهم، ولا يفهم غيره. ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾: من الصنائع والتدابير لعجزه التام، ونقصانه الكامل. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: ثقيل على من يلي أمره، ويعوله. ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ أي: حيثما يرسله، ويصرفه في طلب حاجة، أو كفاية مهمٍّ. ﴿لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾ أي: لا يأت بنجح؛ لأنه أخرس عاجز، لا يحسن الكلام، ولا يفهم. ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾ أي: الموصوف بالصفات المذمومة، من البكم، وعدم القدرة، والضعف. ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي: مَنْ هو سليم الحواس، كريم الطباع، نفاع، ذو كفايات، ذو رشد، يأمر الناس بالعدل والخير. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: على سيرة صالحة، ودين قويم، فيجب أن يكون الآمر بالعدل عالماً قادراً، مستقيماً في نفسه؛ حتى يتمكن من الأمر بالعدل. والجواب: لا يستويان!.

وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه، ولما يفيض على عباده من إنعامه، ويشملهم به من آثار رحمته، وألطافه، وللأصنام التي هي أموات جمادات لا تضر، ولا تنفع، ولا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل، وهي كَلٌّ على عابديها؛ لأنها تحتاج إلى كلفة الحمل، والنقل، والخدمة. وقيل: كلا المثلين للمؤمن، والكافر. وقيل غير ذلك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وجمع أبكم: بُكْمٌ، مثل أعْمَى، وعُمْي، وأصم، وصُمٌّ، قال تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾. المولى: يطلق، ويراد به المعبود بحق، كما يطلق على السيد، والعبد،

والحليف، وابن العم، والنصير، والصاحب الصدوق. وانظر شرح: ﴿أَحَدُ﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (هود) عليه السلام. وانظر شرح: ﴿أَنَّ﴾ في الآية رقم [١] وشرح: ﴿شَيۡءٍ﴾ في الآية رقم [٣٥] وإعلال مستقيم مثل إعلال ﴿مُقِيمَ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام، والصراط هو الطريق الذي يسلكه الإنسان يكون مادياً، ويكون معنوياً. هذا؛ وحذف مقابل ﴿أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾ للدلالة عليه بقوله: ﴿وَمَن يَأۡمُرُ﴾ إذ التقدير: والآخر ناطق خفيف على مولاه، أينما يوجهه؛ يأت بخير.

الإعراب: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾: ماض، وفاعله، ومفعول به ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾: بدل من مثلاً، منصوب مثله وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَحَدُهُمَآ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿أَبۡكَمُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَقۡدِرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدُهُمَآ﴾. ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان وقيل: صفة ﴿أَبۡكَمُ﴾. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو كَلٌّ): مبتدأ، وخبر. ﴿عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾: متعلقان بـ ﴿كَلٌّ﴾، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية (هو...) إلخ معطوفة على الجملة الاسمية السابقة، فهي في محل رفع مثلها. وقيل: في محل نصب حال. ﴿أَيۡنَمَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية، متعلق بفعل شرطه. وقيل: متعلق بالجواب. ﴿يُوَجِّههُّ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى مولاه، والهاء مفعول به. هذا؛ ويقرأ: (يُوَجَّهْ) بالبناء للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿أَبۡكَمُ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية ابتدائية على تعليق الظرف به، وفي محل جر بإضافة ﴿أَيۡنَمَا﴾ إليها على اعتباره متعلقاً بالجواب. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَأۡتِ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ﴿أَبۡكَمُ﴾ أيضاً. ﴿بِخَيۡرٍ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، والجملة الشرطية: ﴿أَيۡنَمَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان للمبتدأ (هو). ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام. ﴿يَسۡتَوِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدُهُمَآ﴾. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستتر. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع معطوف على الضمير المستتر، وجملة: ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾: صلة (مَنْ) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾: صفة، وجملة: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ...﴾ إلخ في محل

نصب حال من فاعل ﴿يَأْمُرُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. وقيل: معطوف على جملة الصلة، والمعتمد الأول، وجملة: ﴿هَلْ يَسْتَوِي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم سبحانه ما غاب عن العباد فيهما. والمعنى: أن علمه سبحانه نافذ في جميع الأشياء. خفيِّها وجليِّها، حاضرها، ومعدومها، لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خزائنهما. وانظر الآية رقم [٣]. ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: وما أمر قيام القيامة في سرعته، وسهولته. ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ أي: كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها. ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أي: أسرع من لمح البصر؛ لأن لمح البصر يحتاج إلى زمان، وحركة، قال الزجاج: لم يرد أن القيامة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها؛ أي: يقول للشيء: كن فيكون. انتهى.

أقول: قول الزجاج هو الحق؛ لأن للساعة علامات صغرى، وقد ظهرت، وعلامات كبرى ستظهر متوالية، وقد ذكرت ذلك كله في الآية رقم [١٨٧] من سورة (الأعراف)، و(أو) ليست للشك هنا، وإنما هي للتمثيل بأيهما أراد الممثل، مثل قولك: جالس محمداً، أو محموداً؛ أي: فأنت مخير بذلك. وقيل: هي بمنزلة: «بل». وانظر شرح الساعة في الآية رقم [٨٥] من سورة (الحجر). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر مقتدر، فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة واحدة، كما قدر على إحيائهم متدرجاً، لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم.

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والتقديم يفيد الاختصاص. ﴿غَيْبُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية، ﴿أَمْرُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَلَمْحِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى: «مثل» فهي الخبر، وتكون مضاف و(لمح): مضاف إليه، و(لمح): مضاف، و﴿ٱلْبَصَرِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَمْرُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾: معطوفة أيضاً، والمفضل عليه محذوف، انظر الشرح. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا﴾ أي: جهالاً، لا تعرفون شيئاً من أمور دينكم، ودنياكم، وتدبير معايشكم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ أي: أعطاكم الله هذه الحواس لتستفيدوا بها، فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة، وهي الدلائل السمعية؛ لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم، وجعل لكم الأبصار؛ لتبصروا بها عجائب مصنوعاته، وغرائب مخلوقاته، فتستدلوا به على وحدانيته، وجعل لكم الأفئدة؛ لتعقلوا بها، وتفهموا معاني الأشياء، التي جعلها دلائل وحدانيته. انتهى. خازن.

تنبيه: وحَّد السمع دون القلوب، والأبصار؛ لأمن اللبس، ولأنه في الأصل مصدر، يقال: سمعت الشيء، سماعاً وسمعاً، والمصدر لا يجمع؛ لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير، فلا يحتاج فيه إلى تثنية، أو جمع. وقيل: وحَّد السمع؛ لأن مدركاته نوع واحد، وهو الصوت، ومدركات القلب والبصر مختلفة، والأفئدة جمع فؤاد، وهو القلب.

هذا؛ ونص الآية وظاهرها يدلُّ على أنَّ الحواس الثلاث خلقت بعد الإخراج من البطون، وقد قال العلماء الأفذاذ: إنَّ تقديم الإخراج، وتأخير ذكر الحواس لا يدلُّ على أنَّ خلقها كان بعد الإخراج؛ لأن الواو لمطلق الجمع، ولا توجب الترتيب؛ ولأن العرب تقدم، وتؤخر في كلامها، وخذ قول الأحوص: [الوافر]

أَلا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ ورحمةُ الله السَّلَامُ

فقد عطف المقدم على متبوعه، قال ابن هشام في مغنيه: وهو مما اختصت به الواو. وانظر الشاهد [٦٦٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: كي تعرفوا ما أنعم الله به عليكم طوراً بعد طور، فتشكروه على تلك النعم، انظر الشكر في الآية رقم [٧] و [٣٩] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة، والسلام.

هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لعباده. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!.

هذا؛ و﴿أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾: جمع أم، والقياس أن يكون جمعها: (أمات) قال الزمخشري:

والهاء مزيدة في: أمات، كما زيدت في أراق، فقيل: أهراق، وشذت زيادتها في الواحدة في قول قصي الجد الرابع للنبي ﷺ: [الرجز]

أُمَّهَتِي خِنْدَفُ وَالْيَاسُ أَبِي عِنْدَ تَنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبِ

وقال ابن عصفور في الممتع: أما أُمَّهة، فمنهم مَنْ يجعل الهاء زائدة فيه، ومنهم مَنْ يجعلها أصلية، فالذي يجعلها زائدة يستدل على ذلك بأنها في معنى الأم، وأورد بيت قُصي، إلا أن الفرق بين أُمَّهة وأم: أن أُمَّهة تقع في الغالب على مَنْ يعقل، وقد تستعمل فيما لا يعقل، وذلك قليل جداً، نحو قول السفاح بن بكير: [السريع]

قَوَّالُ معروفٍ وفَعَّالُهُ عَقَّارُ مَثْنَى أُمَّهَاتِ الرِّباعِ

وأم يقع في الغالب على ما لا يعقل، وقد يقع على العاقل، نحو قول جرير: [الوافر]

لَقَدْ وَلَدَ الأُخَيْطَلَ أُمُّ سُوءٍ عَلَى بَابِ اسْتِهَا صُلُبٌ وَشَامُ

ومما يدل أيضاً على زيادة الهاء في «أمهة» قولهم: أم بينة الأمومة ـ بغير هاء ـ ولو كانت أصلية لثبتت في المصدر، والذي يجعلها أصلية يستدلُّ على ذلك بما حكاه صاحب العين من قولهم: تأمَّهت أمًّا، فتأمَّهت: تفعَّلتُ بمنزلة: تنبهت مع أن زيادة الهاء قليلة جداً، فمهما أمكن جعلها أصلية، كان ذلك أولى فيها، والصحيح: أنها زائدة؛ لأن الأمومة حكاها أئمة اللغة، وأما تأمَّهت فانفرد بها صاحب العين، وكثيراً ما يأتي في كتاب العين ما لا ينبغي أن يؤخذ به، لكثرة اضطرابه، وخلله. انتهى. بعد هذا؛ والأم تعم مَنْ ولدتك، أو ولدت مَنْ ولدك، وإن علت: ويقرأ (أمها) بضم الهمزة وفتح الميم، وهي قراءة العامة، ويقرأ بكسر الهمزة وفتح الميم، وبكسرهما معاً.

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿أَخْرَجَكُم﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنۢ بُطُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بُطُونِ﴾: مضاف، و﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط. (جعل): ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: معطوفان على ﴿ٱلسَّمْعَ﴾، وجملة: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَخْرَجَكُم...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، وهذا على اعتبار الواو لا تقتضي ترتيباً. وقيل: الجملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿تَشْكُرُونَ﴾: في محل رفع خبر (لعلَّ). والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل لتلك النعم لا محل لها.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾: ألم ينظر الكفار ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾: نظر تبصر واعتبار. ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾:

مذللات لأمر الله تعالى. وقيل: مذللات لمنافعكم. ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾: الجو: الفضاء الواسع بين السماء والأرض. وهو الهواء، وأضافه إلى السماء لارتفاعه عن الأرض. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾: يعني: في حال قبض أجنحتها، وبسطها، واصطفافها في الهواء. وفي هذا حث على الاستدلال بها على أنَّ لها مسخراً سخَّرها، ومذلِّلاً ذلَّلها، وممسكاً أمسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ...﴾ إلخ: خص المؤمنين بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بالآيات دون غيرهم.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَى الطَّيْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾: حال من ﴿الطَّيْرِ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿فِي جَوِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾؛ لأنه اسم مفعول، و﴿جَوِّ﴾: مضاف، و﴿السَّمَاءِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُمْسِكُهُنَّ﴾: مضارع، والهاء في محل نصب مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل، وجملة: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ...﴾ إلخ: في محل نصب حال ثانية من الطير، أو من الضمير المستتر في مسخرات، فتكون حالاً متداخلة، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ: مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وإعراب: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: مثل إعراب: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ في الآية رقم [٦٥] تأمل، وتدبر.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ﴾: التي هي من الحجر، والمدر. ﴿سَكَنًا﴾: مسكناً تسكنونه، وتهدأ جوارحكم فيه من الحركة، وقد تتحرك فيه، وتسكن في غيره، وعدَّ سبحانه هذا في جملة النعم، فإنه لو شاء خلق العبد مضطرباً أبداً كالأفلاك؛ لكان ذلك كما خلق وأراد، ولو خلقه ساكناً كالأرض؛ لكان كما خلق، وأراد، والسكن: مصدر يوصف به الواحد والجمع.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾: يعني: الخيام، والقباب، والأخبية، والفساطيط، المتخذة من الأدم، والأنطاع. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: يخف عليكم حملها. ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ أي: في يوم سيركم، ورحيلكم في أسفاركم. ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: وتخف عليكم في إقامتكم، وحضركم. وقد بينت الآية الكريمة: أن المساكن على قسمين: أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر، وهي البيوت المتخذة من الحجارة، والخشب، ونحوهما، والقسم الثاني: ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر، وهي الخيام، والفساطيط المتَّخذة من جلود الأنعام.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ أي: الأنعام، فالصوف للغنم، والوبر للإبل، والشعر للماعز. ﴿أَثَٰثًا﴾ أي: تتخذون ممَّا ذكر أثاثاً، والأثاث متاع البيت الكبير، وأصله مِنْ: أثَّ إذا كثر، وتكاثف وقيل: الأثاث: ما يلبس، ويفترش في البيوت. وهو المعتمد، قال الشاعر: [الوافر]

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا بِذِي الزِّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ

﴿وَمَتَٰعًا﴾: انتفاعاً، وتلذذاً، وتمتع، واستمتع بكذا: انتفع به، والمتعة: الانتفاع، والتلذذ بالشيء. وأمتعه الله، ومتَّعه بكذا بمعنىً واحد، ومتاع الغرور: أي: ما يغرُّ، ويخدع، ولا يغرُّ إلا ضعفاء النفوس والإيمان. وخاب الفسقة الذين يقولون: إنَّ متاع الغرور هو ما تحمله المرأة في أيام حيضها مِنْ خِرَقٍ، فمن أين أتوا بهذا التفسير الذي لا يقرُّه ذوق فضلاً عن عدم وجوده في كتب اللُّغة. وقال الخليل: الأثاث، والمتاع واحد، وجمع بينهما لاختلاف اللفظ، فإن قلت: لا بد من فرق بينهما؛ حتى يصح العطف؛ لأنه يقتضي المغايرة، فالجواب: أن الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه، فيدخل فيه جميع أصناف المال، والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة، فظهر الفرق بين اللفظين.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حين يبلى ذلك الأثاث. وقيل: إلى حين الموت. وانظر شرح «الحين» في الآية رقم [٢٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. هذا؛ ويقرأ (ظَعْنِكُم) بسكون العين، وفتحها كالشَّعْر والشَّعَر. هذا؛ والظعينة: المرأة؛ لأن زوجها يظعن بها؛ أي: يرتحل، ويقال: الظعينة في الأصل: الهودج فيه امرأة، أم لا، ثم سميت به المرأة ما دامت فيه، ثم سميت به، وإن كانت في بيتها، والظعينة فعيلة بمعنى: مفعولة، وجمعها: ظُعْن ـ بضم فسكون ـ وظُعُن ـ بضمتين ـ وظعائن، وجمع الجمع: أظعان، وظُعُنات بضمتين، قال زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

تَبَصَّرْ خَلِيلِي، هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿جَعَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿لَكُم﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني: تقدَّم على الأول.

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿سَكَنًا﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿سَكَنًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وأحد الجارين مفعوله الثاني، والآخر حال كما في الجملة السابقة. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿بُيُوتًا﴾. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ظَعْنِكُمْ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر

بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾: معطوفان على ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾. ﴿وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾: معطوفان على ما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿أَثَٰثًا﴾: معطوف على ﴿بُيُوتًا﴾. (متاعاً): معطوف على ما قبله. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: متعلقان بـ: (متاعاً)، أو بمحذوف صفة له.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ أي: من الشجر، والجبال، والأبنية. ﴿ظِلَٰلًا﴾: تستظلون به من حر الشمس، ويقيكم البرد أيضاً. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: جمع كِن، وهو ما يستكن فيه الإنسان من شدة الحر والبرد، والمراد: ما يوجد في الجبال من الكهوف، والبيوت المنحوتة فيها، كالغيران، ونحوها انظر (أكنة) في الآية [٤٦] من سورة (الإسراء). ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي: ثياباً من الصوف، والكتان، والقطن، وغيرها تحفظكم من الحر؛ أي: والبرد، فاكتفى بذكر الحر عنه. ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: المراد: الدروع، وسائر ما يلبس للوقاية من ضربات السيوف والرماح، والبأس شدة الحرب هنا.

وقد استعاره لبيد ـ رضي الله عنه ـ للإسلام؛ الذي وفقه الله إليه بقوله: [البسيط]

اَلْحَمْدُ لله إذ لَمْ يأْتِني أَجَلِي حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإِسْلَامِ سِرْبَالا

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يتم نعمه عليكم كإتمام النعم الكثيرة التي تقدم ذكرها. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: تؤمنون، وتستسلمون، وتنقادون إلى معرفة الله، وعبادته، وطاعته شكراً على نعمه، وقرىء شاذاً بفتح التاء، ومعناه: تَسْلَمون من الجراح بلبس الدروع، أو تسلمون من العذاب. وقرىء: (تَتِمّ) ورفع: (نِعْمَتُه). وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٧٨]، وانظر: ﴿جَعَلَ﴾ و﴿خَلَقَ﴾ في الآية رقم [٣]، وانظر (سرابيل) في الآية رقم [٥٠] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم﴾: انظر الآية السابقة. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ظِلَٰلًا﴾، كان صفة له... إلخ، انظر الآية رقم [٦٦] و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، وجملة: ﴿خَلَقَ﴾: صلة (ما)، أو صفتها، والفاعل يعود إلى (الله)، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء خلقه. ﴿ظِلَٰلًا﴾: مفعول به، وإعراب: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾

مثلها بلا فارق. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف مفعول به ثان تقدم على المفعول الأول، وقل مثل ذلك في كل ما تقدم. ﴿سَرَابِيلَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿تَقِيكُمُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿سَرَابِيلَ﴾، والكاف مفعول به أول. ﴿الْحَرَّ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿سَرَابِيلَ﴾، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: لا خفاء في إعرابه، وهو معطوف على ما قبله. ﴿كَذَلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: يتم نعمته عليكم إتماماً كائناً مثل إتمام النعم المذكورة فيما تقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُتِمُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿نِعْمَتَهُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿تُسْلِمُونَ﴾: في محل رفع خبر (لَعَلَّ)، والجملة الاسمية تعليل لإتمام النعمة، والكلام ﴿كَذَلِكَ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: المعنى: فإن أعرضوا عن النظر في تلك النعم الكثيرة، ولم يستدلوا بها على قدرة الله تعالى، ولم يؤمنوا به سبحانه؛ فلا يهمك ذلك، وليس عليك إلا التبليغ، وأما الهداية فهي لله وحده. وانظر مثل ذلك في الآية رقم [٣٥]. هذا؛ والتولي، والإعراض، والإدبار عن الشيء، يكون بالجسم، ويستعمل في الإعراض عن الأمور والاعتقادات اتساعاً، ومجازاً. هذا؛ وتولى الشيء: باشره بنفسه، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ: [الطويل]

تَـوَلَّـى قِـتَـالَ الْـمَـارِقِـيـنَ بِـنَـفْـسِـهِ وَقَـدْ أَسْـلَـمَـاهُ مُـبْـعَـدٌ وَحَـمِـيـمُ

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّوْا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وعلى هذا في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة. وقيل: ﴿تَوَلَّوْا﴾: مضارع أصله: تتولوا فحذفت إحدى التاءين، وعليه فلا التفات في الكلام. تأمل. وعليه فعلامة الجزم حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة. والأول: أقوى معنىً، تأمل، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فلا لومك عليك، ونحوه، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان

بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: صفة البلاغ، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها تعليلية. تأمل.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: لقد اختلف في هذه النعمة، فقيل: هي محمد ﷺ وإنكار هذه النعمة عدم تصديقه والإيمان به. وقيل: هي ما عدَّد الله في هذه السورة من نعم، وإنكارها. قولهم: ورثناها عن آبائنا، أو قولهم: هي بشفاعة آلهتنا. وقيل: غير ذلك. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: الجاحدون نعم الله تعالى عناداً، وبطراً، وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو؛ لأنه يقام مقام الكل، كما في قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. هذا؛ وانظر: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ في الآية رقم [٣٧] من سورة (يوسف) عليه السلام. وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿يَعْرِفُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿نِعْمَتَ﴾: مفعول به، وهو مضاف. و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، وهذا على اعتبار ﴿تَوَلَّوْا﴾ ماضياً، والرابط: الضمير فقط، وهي مستأنفة على اعتباره مضارعاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُنكِرُونَهَا﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾: الواو: واو الحال. (أكثرهم): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: واذكر يوم نبعث من كل أمة شهيداً يشهد عليهم بالإيمان، أو بالكفر، فهو مثل قوله تعالى من سورة (النساء) رقم [٤١]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ انظرها هناك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والمراد: رسول كل أمة يشهد يوم القيامة على أمته بالإيمان، أو بالكفر، وهو أعدل شاهد عليها. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: في الاعتذار، والكلام كما في قوله تعالى في سورة (المرسلات). ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٢] من سورة (الحجر). وقيل: لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا ليتوبوا، ويؤمنوا. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يكلفون أن يرضوا ربهم؛ لأن

الآخرة ليست بدار تكليف، ولا يرجعون إلى الدنيا، فيتوبون. هذا؛ والاستعتاب طلب العتاب، والمعتبة هي الغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره، والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب، ويرجع إلى الرضا عنه، وإذا لم يطلب العتاب من خصمه دلَّ ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه، قال النابغة الذبياني: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُوماً، فَعَبْداً ظَلَمْتَهُ وَإِنْ كُنْتَ ذَا عُتْبى، فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٧] من سورة (الروم)، ففيها فضل بيان.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، التقدير: اذكر يوم، أو هو مفعول به، وهو الأقوى. ﴿نَبْعَثُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿شَهِيدًا﴾... إلخ، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿شَهِيدًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿نَبْعَثُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة يوم إليها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْذَنُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بنائب فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿لَا يُؤْذَنُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية مهملة. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع.. .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالكفر، والمعاصي. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ أي: عذاب النار. ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي: العذاب. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخرون، ولا يمهلون.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿رَءَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿ظَلَمُوا۟﴾: ماض، وفاعله والألف للتفريق. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ظَلَمُوا۟﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿رَءَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة إذا إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (لا): نافية. ﴿يُخَفَّفُ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى العذاب، ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ جواب (إذا) لا محل لها، ونقل الجمل عن السمين وجوب

تقدير مبتدأ محذوف؛ أي: فهو لا يخفف لأجل أن تكون الجملة اسمية، ويصح اقترانها بالفاء؛ لأن المضارعية لا يصح قرنها بها. انتهى. والسبب في ذلك؛ لأنها تصلح لأن تكون جواباً، وإذا كان الشرط جازماً، يظهر الجزم على آخر المضارع. تأمل. وجملة: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف، لا محل له. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ بلا فارق، والجملة الاسمية معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثله.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا رَءَا...﴾ إلخ: أي: إذا رأى الكافرون المشركون أصنامهم التي عبدوها في الدنيا من دون الله تعالى، وذلك أن الله يبعث تلك الأصنام والمعبودين، فيتبعهم المشركون حتى يوردوهم النار، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى يوم القيامة: «**مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعبدُ القَمرَ القمرَ، وَيتَّبِعُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ الطواغيتَ الطَّواغِيتَ**». خرجه مسلم. وفي رواية أخرى للترمذي من حديث الرسول ﷺ: «**فيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّليبِ صَلِيبُهُ، ولِصَاحبِ التَّصاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ، وَلِصَاحِبِ النارِ نارُهُ، فيتَّبِعون مَا كَانُوا يَعْبُدون**». هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل، إنما هو لتحقق وقوعه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١] من سورة (إبراهيم) صلى الله على نبينا، وعليه وسلم. ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ: أي: يقول المشركون: هؤلاء آلهتنا الذين كنا نعبدهم ونقدسهم من دونك يا الله. ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ...﴾ إلخ أي: رد المعبودون على عابديهم، وأجابوهم بأنكم كاذبون في تسميتنا آلهة، وما دعوناكم إلى عبادتنا، وهو كقوله تعالى في سورة (مريم): ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ الآية رقم [٨٣]، وانظر رد الشيطان على أتباعه في الآية رقم [٢٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا وعليه ألف صلاة، وأزكى سلام.

تنبيه: الأصنام التي عبدوها جمادات لا تنطق، فلا يبعد أن يبعثها الله تعالى، ويعيدها في الآخرة، ويخلق فيها الحياة، والنطق، والعقل، ويراها الكفار الذين عبدوها. وهي في غاية الذلة، والمهانة، والحقارة. فيزدادون بذلك غماً، وحسرةً، وندامةً، والله على كل شيء قدير.

هذا؛ وأطلق الله على الأصنام اسم الشركاء لأمرين: أحدهما: أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس، وثانيهما: أنهم يشركونها معهم في الأموال، والأنعام، والزروع، انظر الآية رقم [١٣٨] من سورة (الأنعام) وما بعدها.

الإعراب: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾ انظر الآية السابقة. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة مِنْ

إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿شُرَكَآؤُنَا﴾: خبر المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة شركاؤنا. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون. و(نا): اسمه. ﴿نَدْعُوا۟﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» والجملة الفعلية في محل نصب خبر كنا، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذين كنا ندعوهم. ﴿مِن دُونِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَأَلْقَوْا۟﴾: الفاء: حرف استئناف. (ألقوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَيْهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. و﴿ٱلْقَوْلَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: خبر إن مرفوع... إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في محل نصب مقول القول للمصدر، وجملة: ﴿فَأَلْقَوْا۟...﴾ إلخ مستأنفة؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر، فكأنَّ سائلاً سأل: ما كان جواب الشركاء؟ قيل: ﴿فَأَلْقَوْا۟...﴾ إلخ.

﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استسلم المشركون لأمر الله، وانقادوا لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا. وقيل: استسلم العابد، والمعبود لحكم الله تعالى. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: غاب عنهم ما كانوا يفترون، ويكذبون من أن الأصنام تنصرهم، وتشفع لهم، وذلك بعد أن كذبوهم، وتبرؤوا منهم. وانظر استسلام الكافرين عند الموت في الآية رقم [٢٨] والتعبير بالماضي عن المستقبل هو كما في الآية السابقة.

هذا؛ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان، وتنوين (إذ) فيه عوض عن جملة محذوفة، تضاف (إذ) إليها في الأصل، فإن الأصل: «يوم إذ يرى المشركون شركاءهم، ويحصل ما بينهم من المخاطبة»، فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت (إذ) لالتقاء الساكنين، كما كسرت في: صَهٍ، ومَهٍ عند تنوينهما، ومثل ذلك قل في: حينئذ، وساعتئذ، ونحوهما، و(ضَلَّ) معناه هنا: غاب، كما رأيت، وأكثر استعماله في القرآن الكريم بمعنى: كفر وخرج عن جادة الحق والصواب، وهو ضد «اهتدى» و«استقام»، وضل الشيء: ضاع، وهلك، وضل: أخطأ، ولولا هذا المعنى لكفر أولاد يعقوب بقولهم لأبيهم: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ وقولهم

في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وضلَّ: تحيَّر، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

هذا؛ وأصل (ألقوا) قبل دخول واو الجماعة (أَلْقَيَ) فقل في إعلاله: تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فلما اتصلت به واو الجماعة صار (أَلْقَاوْا) فالتقى ساكنان: ألف العلة وواو الجماعة، وحرف العلة أولى بالحذف من الضمير، فحذف حرف العلة، وبقيت الفتحة على القاف دليلاً على الألف المحذوفة. ويقال في إعلاله أيضاً: رُدَّت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار: (أَلْقَيُوا) فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت ألفاً، فالتقى ساكنان: ألف العلة... إلخ، كما يقال أيضاً: رُدَّت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار (أَلْقَيُوا) فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان: ياء العلة، وواو الجماعة، فحذفت ياء العلة... إلخ، وما ذكرته يجري في إعلال كل فعل ناقص، اتصل به واو الجماعة، مثل نجا، ورمى، وسعى، ودعا، وغزا... إلخ، تنبه لذلك، واحفظه.

هذا؛ وإذا ولي الواو ساكن مثل ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، ونحوه تحرك الواو بالضمة، ولم تحرك بالكسرة لأن الكسرة لا تناسبها. وقيل: حركت بالضم دون غيره، ليفرق بين الواو الأصلية وبين واو الجماعة في نحو قولك: (لَوِ اجتهدتَ لَنجحْتَ) وقيل: ضمت؛ لأن الضمة هنا أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو. وقيل: حركت بحركة الياء المحذوفة. وقيل: غير ذلك.

الإعراب: ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾: الواو: حرف عطف. (ألقوا): انظر إعرابه في الآية السابقة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله أيضاً، وإذ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين. وانظر ما ذكرته في الشرح. ﴿ٱلسَّلَمَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَلْقَوْا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. (ضل): ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلقان به. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأول، والثاني: مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ضل عنهم الذي، أو شيء كانوا يفترونه، وعلى اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤوَّل مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ضلَّ عنهم افتراؤهم، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. هذا؛ و﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، وجملة: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ في محل نصب خبر كان.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أضافوا إلى كفرهم منعهم الناس عن الدخول في الإسلام، والإيمان بالله، ورسوله، انظر شرح (المقتسمين) في الآية رقم [٩٠] من

سورة (الحجر). ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ...﴾ إلخ: وهذه الزيادة بسبب صدهم الناس عن الإسلام بالإضافة لما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي، وقد اختلفوا في هذه الزيادة ما هي؟.

فقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال. وقال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ حيات كالبخت، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفاً. وقال ابن عباس، ومقاتل ـ رضي الله عنهما ـ: خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل، يعذبون فيها ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار. وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها. وقيل: يضاعف لهم العذاب، ضعفاً بسبب كفرهم، وضعفاً بسبب صدِّهم الناس عن سبيل الله. انتهى. خازن. وإفسادهم: هو صدُّهم النَّاس عن الإسلام.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿زِدْنَٰهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به ثان. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة ﴿عَذَابًا﴾، و﴿فَوْقَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿زِدْنَٰهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلاً من واو الجماعة، كما أجيز اعتباره منصوباً بفعل محذوف، التقدير: أذم. واعتباره خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً، التقدير: هم الذين. وعلى الوجوه الثلاثة فجملة: ﴿زِدْنَٰهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والوجه الأول: هو المعتمد، والواضح. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يُفْسِدُونَ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانُواْ﴾ و(ما) وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء. والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿زِدْنَٰهُمْ﴾، التقدير: زدناهم... بسبب إفسادهم. هذا؛ واعتبار (ما) موصولة، أو موصوفة ضعيف معنىً. تأمل، وتدبر.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ...﴾ إلخ انظر الآية رقم [٨٤] وفي هذا تكرير لزيادة التهديد، وشدة التحذير من ذلك اليوم على وجه، يزيد على ما أفهمته الآية السابقة، وهو أنَّ الشهادة تقع على الأمم لا لهم، وتكون بحضرتهم. ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: جئنا بك يا محمد شهيداً على قومك الذين كذبوك، وعادوك، وأخرجوك من بلدك مكة. والتعبير بالماضي عن المستقبل

لتحقق وقوعه، وقد ذكرته كثيراً. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ إلخ: أي: ونزلنا عليك القرآن مبيناً، وموضحاً لكل شيء تحتاجه من أمور الدين والدنيا، وهو مثل الآية رقم [١٢] من سورة (الإسراء). ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: رشداً وبياناً، وهدايةً من الضلالة، ونعمةً شاملة لمن قرأ القرآن، وانتفع به. وخص المسلمين بالذكر؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالقرآن وتعاليمه. وانظر الآية رقم [١١١] من سورة (يوسف) عليه السلام؛ تجد ما يسرك.

هذا؛ والتبيان مصدر، ولم يجئ من المصادر على هذه الزنة إلا لفظان: هذا؛ والتلقاء، وهو في الأسماء كثير، نحو التمثال، والتمساح.

هذا؛ وقد قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ وقال في كثير من الآيات: ﴿أَنزَلْنَآ﴾ وهو يفيد أن القرآن نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع، ومقتضيات الأحوال، على ما نرى عليه أهل الشعر، والخطابة، وهذا ممَّا يريبهم، كما حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ فبين سبحانه الحكمة من ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾.

تنبيه: اعتبار القرآن تبياناً لكل شيء، إما في نفسه كما هو مشاهد وموجود في كثير من الآيات، وإما بإحالته على السُّنَّة؛ أي: على الأحاديث الشريفة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٤] و[٦٤]، أو بإحالته على الإجماع، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ، أو على القياس، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ والاعتبار: النظر، والاستدلال، اللذان يحصل بهما القياس، فهذه أربعة طرق، لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، وكلها مذكورة في القرآن، فكان تبياناً لكل شيء، فاندفع ما قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ونحن نجد كثيراً من أحكام الشريعة لم يُعْلَم من القرآن نصّاً، كعدد ركعات الصلوات، ومدة المسح والحيض، ومقدار حد الشرب، ونصاب السرقة، وغير ذلك، ومن ثَمَّ اختلف الأئمة في كثير من الأحكام. انتهى. جمل نقلاً من كرخي، بتصرف كبير مني.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، التقدير: اذكر يوم، أو هو مفعول به. ﴿نَبْعَثُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿فِي كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿شَهِيدًا﴾: مفعول به. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهِيدًا﴾. ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿شَهِيدًا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَبْعَثُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (يوم) إليها. (جئنا): فعل، وفاعل. ﴿بِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿شَهِيدًا﴾: حال من الكاف. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بعلى، والهاء

حرف تنبيه لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿شَهِيدًا﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿وَجِئْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، والكلام: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ...﴾ إلخ كله مستأنف. ﴿وَنَزَّلْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (نزلنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: مفعول به. ﴿تِبْيَـٰنًا﴾: حال من الكتاب، أو هو مفعول لأجله، وهو أقوى. ﴿لِّكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿تِبْيَـٰنًا﴾؛ لأنه مصدر، و(كل): مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾: هذه الأسماء معطوفة على ﴿تِبْيَـٰنًا﴾، فهي مثله حالاً. ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: متعلقان بأحد الأسماء الثلاثة، أو بمحذوف صفة لواحد منها، وذلك على التنازع، وجملة: ﴿وَنَزَّلْنَا...﴾ إلخ: مستأنفة. واعتبارها معطوفة على ما قبلها يخل بالمعنى؛ لأن التنزيل حصل في الدنيا، وأما البعث وما بعده لا يحصلان إلا في الآخرة. تأمل، وتدبر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: بالتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم، وإيصال كل ذي حق إلى حقِّه. انتهى. نسفي. وهذا أحسن ما قيل في تفسيره من أقوال كثيرة. هذا؛ وفسره البيضاوي بالتوسط وبالاعتدال في الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك، والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر، والقدر، وعملاً كالتعبد بأداء العبادات الواجبات المتوسط بين البطالة، والترهب، وخُلقاً كالجود المتوسط بين البخل، والتبذير.

﴿وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ أي: إلى من أساء إليكم عملاً بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ وقيل في تفسير العدل والإحسان: فالأول: المفروض من العبادات، والثاني: المندوب منها؛ لأن الفرض لا بد أن يقع فيه نقص، أو تفريط، فيجبره الندب، ويعضده قول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ ما افْترضَ اللهُ على الناسِ من دِينِهِمُ الصلاةُ، وآخِر ما يبقى الصلاة، وأوَّلُ ما يحاسَبُ بِهِ الصَّلاَةُ، ويقولُ اللهُ: انْظُرُوا في صلاة عَبْدي، فإنْ كانَتْ تامَّةً؛ كُتِبَتْ تَامَّةً، وإِنْ كَانَتْ ناقصةً؛ يقُولُ: انْظُروا هَلْ لعبدي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فإنْ وُجِدَ لَهُ تطوُّعٌ؛ تمَّت الفرِيضةُ مِنَ التطوع، ثم قال: انظروا هلْ زكاتُهُ تامةٌ؟ فإن كانت تامةً؛ كُتِبَتْ تامةً، وَإِنْ كَانَتْ ناقِصَةً؛ قال: انظروا هَلْ لَهُ صدقةٌ؟ فإنْ كانتْ لهُ صدقةٌ؛ تمَّتْ له زكاتُهُ**». رواه أبو يعلى عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ وفسر الإحسان بالإخلاص، وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». والإحسان يفسر بحبِّ الخير للناس كما يحبُّه المرء لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه، فإن كان أحدهم مؤمناً؛ يحبُّ أن يزداد أخوه إيماناً، وطاعةً لربه، وإن كان أحدهم كافراً؛ يحبُّ أن يكون أخاه في الإسلام مؤمناً مثله.

﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: إعطاء ذوي القرابات شيئاً من المال، إن كان المرء في سعة، وهم محتاجون، فإن لم يكن أحدهما، أو كلاهما؛ فدعاء حسن، وتودد، وزيارة، ومثله قوله تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ الآية رقم [٢٦]، وينبغي أن تعلم أن ﴿ذِى﴾ بمعنى: صاحب، ويجمع جمع تكسير (ذَوِين وذَوُون) وتحذف نونهما للإضافة، ويجمع على غير لفظه (أُولُون وأُولين) وهو كثير مثل أولو الألباب، ونحوه.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: الزنى، ويدخل تحته ما قبح من الأقوال والأفعال، والأخلاق المذمومة جميعها، و﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: هو ما استقبحه الشرع والعقل، والفطرة السليمة، وهو يعم جميع الرذائل والمعاصي والدناءات على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها، وتباين درجاتها، والمعروف بعكسه، وقد شرحتهما في غير ما آية.

﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: هو الظلم والاعتداء على حق غيرك، وعواقبه ذميمة. ومآل الباغي وخيم، وعقباه أليمة، ولو أن له جنوداً بعدد الحصى والرمل والتراب، ورحم الله من يقول: [البسيط]

لا يأْمَنِ الدهرَ ذُو بَغْيٍ ولوْ مَلِكاً جنودُهُ ضاقَ عنها السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تَمْكُرْ، ولا تُعِنْ مَاكراً، ولا تَبْغِ، ولا تُعِنْ باغِياً، ولا تَنْكُثْ، ولا تُعِنْ نَاكِثاً**». وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: (ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ)، وتلا الآيات الثلاث. وعن النبي ﷺ أنه قال: «**أَسرَعُ الْخَيرِ صِلَةُ الرَّحِمِ، وأَعْجَلُ الشَّرّ الْبَغْيُ، واليمينُ الْفَاجِرَةُ**». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «لوْ بَغَى جبَلٌ على جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي» ورحم الله من يقول: [البسيط]

يا صاحِبَ الْبَغْيِ، إنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ فارْبِعْ فَخَيْرُ مقَالِ الْمَرْءِ أعدلُهُ
فَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يوماً على جَبَلٍ لانْدَكَّ مِنْهُ أعالِيهِ وأسفلُهُ

وكان المأمون العباسي يتمثل بهذين البيتين في أخيه الأمين حين ابتدأ بالبغي عليه، قال الشاعر الحكيم: [مجزوء الكامل]

والْبَغْيُ يَصْرَعُ أهْلَهُ وَالظُّلْمُ مرتعُهُ وَخِيمُ

هذا؛ وانظر أنواع الظلم في رسالة: (الحج والحجاج في هذا الزَّمن) وأقبح أنواع الظلم أن يظلم الإنسان نفسه بارتكاب المعاصي، والسيئات، فيسبب لها الخلود في جهنم.

﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: إنما أمركم بما أمركم به، ونهاكم عما نهاكم عنه في هذه الآية؛ لكي تتعظوا، وتتذكروا. فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إن أجمع آية في القرآن لخيرٍ وشرٍّ هذه الآية، وكانت هذه الآية سبباً لإسلام عثمان بن

مظعون ـ رضي الله عنه ـ، ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية؛ لصدق عليه أنه تبيان لكلِّ شيء، وهدىً ورحمةً للعالمين.

قال عكرمة: قرأ النبي ﷺ على الوليد بن المغيرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ...﴾ إلخ فقال: يا ابن أخي أعِدْ عليَّ، فأعادها عليه، فقال: والله إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وأعلاه لمورق ـ أو لمثمر ـ وما هو بقول بشر! وذكر الغزنوي أنَّ عثمان بن مظعون هو القارئ. انتهى. قرطبي. وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٧٨].

تنبيه: يروى: أن الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ قد أمر بتلاوة هذه الآية بدلاً من القذف الذي كان يعقب خطبة الجمعة بالإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وكرم الله وجهه. وفي الآية الكريمة من البلاغة ما فيها، مثل الإيجاز الموفي بالمعنى، والتقسيم، والطباق اللفظي، والمقابلة، وحسن النسق، وتآلف الألفاظ، والمعاني، والمساواة بينهما، وكل ذلك يظهر بأدنى تأمل، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَأْمُرُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ﴾: معطوفان على العدل، و(إيتاء) مضاف، و﴿ذِى﴾ مضاف إليه، مجرور وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وهذه الإضافة مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف و﴿ذِى﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَعِظُكُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ينهى المستتر، والرابط: الضمير، ويجوز اعتبار الجملة مستأنفة، لا محل لها. وانظر إعراب مثل ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ومحلها في الآية رقم [٨١].

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: قال القرطبي: لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان، ويلتزمه الإنسان من بيع، أو صلة، أو مواثقة في أمر موافق للديانة، وهذه الآية مضمون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ...﴾ إلخ؛ لأن المعنى فيها: افعلوا كذا واتركوا كذا، فعطف على ذلك التقدير. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢] من سورة (الرَّعد). تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾

أي: الله، أو الرسول ﷺ، أو أي مخلوق من الناس. فحذف المفعول للتعميم. ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ أي: العهود والمواثيق التي تعطونها الناس، وتقطعونها على أنفسكم. وقيل: المراد بالأيمان: جمع اليمين، وهو الحلف بالله والقسم به، وهو يشمل النذور التي ينذرها المسلم لله تعالى. ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: تشديدها، وتغليظها. هذا؛ ويقال: تأكيدها بإبدال الواو همزة، وهما لغتان في الاستعمال سواء مثل: «وَرَّخْتُ الكتاب، وأَرَّخْتُهُ».

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهداً. ويقال: حافظاً. ويقال: ضامناً. وفي الكلام استعارة، أو مجاز مرسل. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: من نقض العهد والوفاء به. هذا؛ وانظر شرح لفظ الجلالة في الآية رقم [٣١]، وشرح (الأيمان) في الآية رقم [٣٨]، والفعل: ﴿يَعْلَمُ﴾ من المعرفة، انظر الآية رقم [٧٤].

الإعراب: ﴿وَأَوْفُوا﴾: الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف. انظر الشرح. (أوفوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: (امضوا) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحجر). ﴿بِعَهْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، و(عهد): مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿عَاهَدْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب (حفظنا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر)، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾: إليها، وجملة: ﴿وَأَوْفُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على كلام مقدر انظر الشرح. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَنقُضُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ. والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿الْأَيْمَانَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿تَوْكِيدِهَا﴾: مضاف إليه، و(ها): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وجملة: ﴿وَلَا تَنقُضُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَعَلْتُمُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَفِيلًا﴾ بعدهما. ﴿كَفِيلًا﴾: مفعول به ثان، أو هو حال من لفظ الجلالة، وجملة: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو والضمير. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعلم الذي، أو شيئاً تفعلونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم فعلكم. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للنهي، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ أي: ناقضي العهد، أو في نقضه. ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أي: من بعد إبرامه، وإحكامه، قال الكلبي، ومقاتل ـ رحمهما الله تعالى ـ: هذه امرأة من قريش، يقال لها: رَيْطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم، وكانت خرقاء حمقاء، بها وسوسة، وكانت قد اتخذت مغزلاً قدر ذراع، وصنارة مثل الإصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف، أو الشعر، أو الوبر، وتأمر جواريها بالغزل، فكن يغزلْن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلْن، فكان هذا منْ دأبها. والمعنى: أن هذه المرأة لم تكف عن العمل، ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك مَنْ نقض العهد، لا تركه، ولا حين عاهد وفى به. انتهى. خازن.

﴿أَنكَـٰثًا﴾: جمع نكث، والنِّكث والنقض بمعنى، المفعول بكسر النون، والمصدر: النَّكث بفتح النون، ومعنى ﴿أَنكَـٰثًا﴾ جعل الغزل طاقات. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تتخذون العهود، والمواثيق التي تبرمونها مع غيركم خداعاً، وخيانةً، وغشّاً، ولفّاً، ودوراناً، ومكراً. هذا؛ والدخَل، والدَّخَن، والدَّغل بمعنى: واحد تقريباً.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾: والمعنى: لا تنقضوا ما أبرمتم من العهود، من أجل أن تكون قبيلة أقوى شكيمة من القبيلة التي عاهدتموها، قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: وذلك: أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر من ذلك، وأعز؛ نقضوا حلف هؤلاء، وحالفوا الأكثر. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي: يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد، وهو أعلم بكم.

وقيل: الخطاب للمسلمين، والمعنى: إنما يختبركم بكون قريش أقوى منكم لينظر أتتمسكون بما عاهدتم الله ورسوله، أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم، وتنفرون من قلة المؤمنين، وفقرهم. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ...﴾ إلخ: أي: في الدنيا من مصدِّقٍ بالبعث، والحساب، ومكذِّبٍ بذلك، فحينئذ يثبت المصدق الطائع، ويعاقب المكذب المسيء المخالف.

بعد هذا انظر شرح: ﴿أُمَّةٌ﴾ في الآية رقم [٣٦] وشرح (يبين) في الآية رقم [٤٤] وشرح ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في الآية رقم [٢٥] وإعلال كنتم في الآية [٤٣].

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونُوا۟﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف

للتفريق. ﴿كَالَّتِي﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونُواْ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى: مثل فهي الخبر، وتكون مضافة، و(التي) اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿نَقَضَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى (التي). ﴿غَزْلَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿غَزْلَهَا﴾، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿قُوَّةٍ﴾: مضاف إليه، ﴿أَنكَـٰثًا﴾: حال من ﴿غَزْلَهَا﴾، أو هو مفعول به ثان على تضمين ﴿نَقَضَتْ﴾ معنى: صيرت، وجوز الزجاج فيه وجهاً ثالثاً، وهو النصب على المصدرية؛ لأن معنى ﴿نَقَضَتْ﴾ نكثت، فهو مطابق لعامله في المعنى. وقيل: منصوب بفعل محذوف، التقدير: فجعلته أنكاثاً، وجملة: ﴿نَقَضَتْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا تَكُونُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (أوفوا...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿أَيْمَـٰنَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿دَخَلًا﴾: مفعول به ثان. وقال مكي: مفعول لأجله، وليس بالقوي. تأمل. ﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿دَخَلًا﴾، أو بمحذوف صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَتَّخِذُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من الضمير المستتر في متعلق ﴿كَالَّتِي﴾ واعتبارها خبراً ثانياً للفعل الناقص أجود. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَكُونَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿أُمَّةٌ﴾: فاعل ﴿تَكُونَ﴾ على تمامه، واسمه على نقصانه. ﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَرْبَىٰ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾: متعلقان بـ ﴿أَرْبَىٰ﴾؛ لأنه صيغة تفضيل. والجملة الاسمية: ﴿هِيَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ﴿أُمَّةٌ﴾، أو هي في محل نصب خبر تكون على نقصانه. هذا؛ والكوفيون يجوزون اعتبار ﴿هِيَ﴾ فصلاً، فيكون (أربى) صفة ﴿أُمَّةٌ﴾، أو خبر ﴿تَكُونَ﴾، والبصريون لا يجوزونه؛ لأن ما قبله نكرة، ولو كان معرفة؛ لجاز بالاتفاق، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَكُونَ...﴾ إلخ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لكون أمةٍ... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تَتَّخِذُونَ﴾. وهو عند البصريين على تقدير: مضاف، واقع مفعولاً لأجله، التقدير: مخافة أن تكون... إلخ، وعند الكوفيين، التقدير: لئلا تكون... إلخ. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَبْلُوكُمُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والكاف مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (يبينن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق به أيضاً، وأجيز تعليقه بمحذوف حال، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَا﴾: مفعول به، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، كما في الآية السابقة واللاحقة، وباقي

الإعراب واضح إن شاء الله تعالى، وقد مرَّ معنا كثير مثله، وجملة: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ...﴾ إلخ جواب قسم محذوف، والقسم المحذوف، وجوابه كلام معطوف على الجملة قبله، لا محل له مثلها.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على ملةٍ واحدةٍ، ودينٍ واحد، وهو الإسلام. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٨] من سورة (هود) عليه السلام، فإنه جيد جداً. ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إضلاله، وذلك بخذلانه إيَّاه عدلاً منه. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته بتوفيقه إياه فضلاً منه، وتكرماً. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٩] من سورة (الرَّعد)، ففيها القول الفصل. ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في الدنيا سؤال تبكيت، وتأنيب، ومجازاة. فيجازي المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته، أو يغفر له. وانظر سؤال الكافرين في الآية رقم [٩٢] من سورة (الحجر).

بعد هذا انظر شرح: ﴿شَآءَ﴾ في الآية رقم [٢] وأما (لَتُسْأَلُنَّ) فأصله: (تُسْأَلُونَ) فلمَّا اتصلت به نون التوكيد؛ صار (لَتُسْأَلُونَنَّ) فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فصار (لَتُسْأَلُونَّ) ثم حذفت واو الجماعة لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على اللام لتدل على الواو المحذوفة، فصار (لَتُسْأَلُنَّ).

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَجَعَلَكُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (جعلكم أمةً): ماض ومفعولاه، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة ﴿أُمَّةً﴾. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿يُضِلُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يضل الذي، أو شخصاً يشاء الله إضلاله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لو)، لا محل لها أيضاً، وجملة: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ معطوفة لا محل لها أيضاً. ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (تسألن): مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة المدلول عليها بالضمة نائب فاعله، والنون حرف لا محل له، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿عَمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل

الموصولة والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير عن الذي، أو عن شيء كنتم تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤوّل مع ما بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: عن عملكم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية السابقة، وهذا تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيداً، ومبالغة في قبح المنهي، قال المفسرون: وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، نهاهم عن نقض عهده؛ لأن الوعيد الذي بعده، وهو: قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ لا يليق بنقض عهد غيره.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: مثل يذكر لكل من وقع في بلاء، ومحنة بعد عافية، ونعمة، أو سقط في ورطة بعد سلامة. تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية: زلت قدمه. قال الشاعر: [الطويل]

سَيُمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إن كنتَ سابقاً ... وَتُقْتَلُ إنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمانِ

وقال زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

تداركتما عبساً وقد ثُلّ عرشُهَا ... وذُبيانَ قد زلَّتْ بأقدامِها النَّعْلُ

ولا ريب: أنه استعارة للمستقيم الحال يقع في شرٍّ عظيم، ويسقط فيه، والمراد: أقدام كثيرة، وإنما وحَّد ونكر للدلالة على: أنَّ زلل قدم واحدة عظيم، فكيف بأقدام كثيرة؟!

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تذوقوا العذاب في الدنيا بسبب كفركم، ومنعكم الناس من الدخول في دين الإسلام. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة. هذا؛ والذوق يكون محسوساً، ومعنى، وقد يوضع موضع الابتلاء، والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس فذقه؛ أي: اختبره. وانظر فلاناً، فذق ما عنده، قال الشماخ يصف فرساً: [الطويل]

فَذَاقَ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جَانِباً ... كَفَى وَلَهاً أَنْ يَغْرَقَ السَّهم حَاجِزُ

وقد يُعَبَّر بالذوق عمَّا يطرأ على النفس، وإن لم يكن مطعوماً؛ لإحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

فَذُقْ هَجْرَهَا إنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهَا ... فَسادٌ ألا يَا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

وتقول: ذقت ما عند فلان؛ أي: خبرته، وذقت القوس: إذا جذبت وترها لتنظر ما شدّتها؟ وأذاقه الله وبال أمره؛ أي: عقوبة كفره، ومعاصيه، قال طفيل بن سعد الغنوي: [الطويل]

فَذُوقوا كَمَا ذُقْنَا غَداةَ مُحَجَّرٍ مِنَ الْغَيْظِ فِي أكبادِنَا وَالتَّحَوُّبِ

وتذوقته: أي: ذقته شيئاً بعد شيء، وأمر مستذاق: أي: مجرب معلوم، قال الشاعر: [الوافر]

وعَهْدُ الغانياتِ كعَهْدِ قَيْنٍ وَنَتْ عندَ الْجَعَائِلِ مُسْتَذَاقِ

وأصله من: الذوق بالفم، و(ذوقوا) في كثير من الآيات أمر للإهانة، وفيه استعارة تبعية تخييلة وفي (العذاب) استعارة مكنية، حيث شبه العذاب بشيء يدرك بحاسة الأكل، وشبه الذوق بصورة ما يذاق، وأثبت للذوق تخييلاً.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية... إلخ والواو فاعله. ﴿أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾: مفعول به أول. ﴿دَخَلَۢا﴾: مفعول به ثان. ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿دَخَلَۢا﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، والتكرير للتوكيد. ﴿فَتَزِلَّ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية. ﴿قَدَمُۢ﴾: فاعل. ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعۡدَ﴾: مضاف، و﴿ثُبُوتِهَا﴾: مضاف إليه، و(ها): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم اتخاذ... فزلُّ قدم... إلخ. (تذوقوا): مضارع معطوف على (تزل) منصوب مثله، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله. ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: مفعول به. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿صَدَدتُّمۡ﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، و(ما) والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، التقدير: بصدكم الناس، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَلَكُمۡ﴾: الواو: واو الحال. (لكم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٞ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها مستأنفة فلا محل لها.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: ولا تنقضوا عهودكم، وتطلبوا بنقضها عوضاً من الدنيا قليلاً، ولكن، أوفوا بها. هذا؛ وإنما كان عرض الدنيا قليلاً؛ وإن كثر؛ لأنه ممَّا

يزول، فهو على التحقيق قليل: وقد فسرت ذلك الآية التالية؛ حيث بينت الفرق بين حال الدنيا، وحال الآخرة بأنَّ هذه تنفد، وتزول، وما عند الله من مواهب فضله، ونعيم جنته ثابتٌ لا يزول لمن وفى بالعهد، وثبت على العقد. ولقد أحسن مَنْ قال: [الكامل]

المالُ يَنْفَدُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ ... يَوْماً، وَتَبْقَى في غدٍ آثَامُهُ

لَيسَ التقِيُّ بِمُتَّقٍ لإلهِهِ ... حَتَّى يَطِيبَ شَرابُهُ وَطَعامُهُ

وقال آخر: [الوافر]

هَبِ الدنيا تُسَاقُ إلَيْكَ عَفْواً ... أَلَيْسَ مصيرُ ذَاكَ إلى انْتِقَالِ؟

وَمَا دُنْيَاكَ إلَّا مِثْلُ فيءٍ ... أَظَلَّكَ، ثمَّ آذنَ بالزَّوَالِ

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ...﴾ إلخ: أي: أنَّ الذي عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد خيرٌ وأفضل من حطام الدنيا العاجل. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: الفرق بين عَرَض الدنيا، وحطامها الزائل، وثواب الآخرة الباقي الدائم. هذا؛ وانظر (عهد الله) في الآية رقم [٢٠] من سورة (الرعد). وانظر شرح: ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام.

قيل: نزلت الآية وما بعدها في امرئ القيس بن عابس الكندي، وخصمه عبدان بن أسوع، اختصما في أرض، فأراد امرؤ القيس أن يحلف، فلما سمع هذه الآية؛ نكل، وأقرَّ له بحقه. وهذا يعني: أن الآيتين مدنيتان. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ أَحَبَّ دنياهُ أَضَرَّ بآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بدُنْيَاهُ، فَآثِروا ما يَبْقَى على ما يَفْنَى»**.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَشْتَرُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِعَهْدِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(عهد) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ثَمَنًا﴾: مفعول به. ﴿قَلِيلًا﴾: صفته، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّمَا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسمها. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (ما)، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾ والجملة الاسمية: ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، وجملة: ﴿إِنَّمَا...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٤٣] وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: إن كنتم تعلمون ذلك؛ فلا تشتروا.. إلخ، أو فلا تنقضوا.. إلخ.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي: من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ أي: من ثواب الآخرة، ونعيم الجنة. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ أي: على السرَّاء والضرَّاء، وعلى الوفاء بالعهد، وعلى الطاعات على اختلاف أنواعها، وعن المعاصي على تفاوت مراتبها ودرجاتها، وعلى أذى الكفار. وانظر «الصبر» في الآية رقم [١١٥] من سورة (هود) عليه السلام. وانظر (نا) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر)، ويقرأ الفعل بالياء. ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: من الطاعات، من واجباتٍ، ومندوبات. هذا؛ وقد قال الزمخشري: إنَّ كلَّ ما فاؤه نون، وعينه فاء يدل على معنى الخروج، والذهاب مثل: نفق، ونفخ، ونفذ، ونفد... إلخ. هذا؛ وإعلال ﴿بَاقٍ﴾ مثل إعلال ﴿نَاجٍ﴾ في الآية رقم [٤٢] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عِندَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿يَنفَدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليل للخبرية، والجملة الاسمية بعدها معطوفة عليها. ﴿بَاقٍ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نجزين): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، أو هو. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿صَبَرُوٓاْ﴾ صلة الموصول. ﴿أَجْرَهُم﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِأَحْسَنِ﴾: متعلقان بالفعل نجزين. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٩٣] ففيها الكفاية، وجملة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف، والقسم المحذوف وجوابه كلام مستأنف، لا محل له.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا...﴾ إلخ: يخبرنا الله جلت حكمته بهذه الآية: أنه يثيب العاملين أعمالاً صالحة بحياة طيبة في الدنيا، فإنه إن كان موسراً؛ فالأمر واضح، وإن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة، والرضا بالقسمة، وتوقع الأجر العظيم في الآخرة، بخلاف الكافر، والمنافق،

فإنه إن كان معسراً؛ فظاهر، وإن كان موسراً؛ لم يدعه الحرص، وخوف الفوات أن يهنأ بعيشه، فيعلم من هذا أنَّ عيش المؤمن في الدنيا، وإن كان فقيراً أطيب من عيش الكافر، وإن كان غنياً؛ لأن المؤمن لما علم: أنَّ رزقه من عند الله، وذلك بتقديره، وتدبيره، وعرف: أنَّ الله محسن كريم متفضل، لا يفعل إلا الصواب، فكان راضياً عن الله، راضياً بما قدَّره الله له، فاستراحت نفسه من الكدِّ والحرص، فطاب عيشه بذلك، وأما الكافر، أو الجاهل بهذه الأصول ـ وإن كان مسلماً ـ لحريص على طلب الرزق، فيكون أبداً في حزن، وتعب، وعناء، وحرص، وكد، ولا ينال من الرزق إلا ما قُدِّر له، فظهر بهذا: أن عيش المؤمن القنوع أطيب مِنْ عيش غيره.

هذا؛ وقال السدي: الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر؛ لأن المؤمن يستريح بالموت مِنْ نكد الدنيا، وتعبها. وقال قتادة، ومجاهد: المراد بالحياة الطيبة: الجنة. وروي عن الحسن: أنه قال: لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة؛ لأنها حياة بلا موت، وغنىً بلا فقر، وصحة بلا سقم، وملك بلا هلك، وسعادة بلا شقاوة، فثبت بهذا: أن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة، ولقوله في سياق الآية: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم...﴾ إلخ لأن ذلك الجزاء إنما يكون في الجنة. انتهى. خازن. وينبغي أن تعلم: أنه قد روعي لفظ (مَنْ) بإعادة الضمير مفرداً بقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ وروعي معناها بإعادة الضمير جمعاً بقولهم: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ...﴾ إلخ. وانظر رقم [٩٤] من سورة (الأنبياء).

تنبيه: ذكر الله في الآية الكريمة قبول الأعمال الصالحة من العاملين ذكوراً، وإناثاً، ووعدهم عليها الحياة الطيبة، والجزاء الحسن في الآخرة، وهو ممَّا يستدل به على أنَّ الذَّكر، والأنثى من بني آدم في المسؤولية، والتكليف سواء، وفي الإثابة، والعقاب على سواء أيضاً، كيف لا وقد قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٩٥]: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ ووصف النساء، والرجال بعشر صفات في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأحزاب). وأما ما نشاهده في كثير مِن الآيات من تخصيص الذُّكور بالذِّكر، مثل (المؤمنين) و(المتقين) و(الفاسقين) و(الظالمين)... إلخ؛ فإنما هو من باب التغليب، أو إنَّ الإناث ملحقة بالذكور إلحاقاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: لقد شرط الله الإيمان لقبول الأعمال الصالحة؛ لأن العمل الصالح بدون إيمان بالله وبمحمد ﷺ لا يغني فتيلاً، وذكرُ الإيمان مع العمل الصالح يسمَّى في علم البديع: احتراساً، فلولا شرط الإيمان؛ لفهم: أنَّ كل عمل صالح مقبول، وأنَّ كل عامل خيراً يدخل الجنة. وانظر أعمال الكافرين وجزاءهم في الآية رقم [١٥] من سورة (هود) عليه السلام. وانظر احتراساً آخر في الآية رقم [٢٩] من سورة (الرعد). وانظر الإيمان في الآية [٣٨].

الإعراب: ﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَمِلَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾، تقديره: «هو».

﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به. ﴿مِّن ذَكَرٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿عَمِلَ﴾ المستتر، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَنْ﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أُنثَىٰ﴾: معطوف على ﴿ذَكَرٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في محل نصب حال ثانية من فاعل ﴿عَمِلَ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نحيينه): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم المقدر، وجوابه في محل جزم جواب الشرط. ﴿حَيَوٰةً﴾: مفعول مطلق. ﴿طَيِّبَةً﴾: صفة، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَنْ﴾ مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَنْ﴾ موصولة؛ فجملة: ﴿عَمِلَ صَٰلِحًا...﴾ إلخ صلتها، وخبرها الجملة القسمية التي رأيت تقديرها، واقترنت الفاء بالخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وجملة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ويدخل فيه غيره من أمته؛ لأنه لمَّا كان غير محتاج إلى الاستعاذة، وقد أمر بها فغيره أولى بذلك، ولمَّا كان الشيطان ساعياً في إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم، وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك، لهذا السبب أمر الله رسوله ﷺ والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة؛ حتى تكون مصونة من وساوس الشيطان.

هذا؛ وظاهر اللفظ يدلُّ على أنَّ الاستعاذة بعد القراءة، وإليه ذهب جماعة من الصحابة، والتابعين. ومذهب الأكثرين من الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم من الأئمة، وفقهاء الأمصار: أنَّ الاستعاذة مقدمة على القراءة. قالوا: ومعنى الآية: إذا أردت أن تقرأ القرآن؛ فاستعذ بالله. مثله قوله جل وعز: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ...﴾ إلخ، ومثله من الكلام إذا أردت أن تأكل؛ فقل: بسم الله، وإذا أردت أن تسافر؛ فتأهب، والجمهور على أنَّ الأمر للاستحباب. وفيه دليل على أنَّ المصلي يستعيذ في كلِّ ركعة، ومذهب عطاء: أنه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن في الصَّلاة وغيرها.

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: قرأت على رسول الله ﷺ فَقُلْتُ: أَعُوذُ بالسَّمِيعِ العليم مِنَ الشَّيْطَانِ الرجيم؛ فقال: «**قُلْ أَعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم؛ هَكَذَا أَقْرَأَنِيهِ جِبْرِيلُ عَنِ الْقَلَمِ عَنِ اللَّوْحِ المحفوظ**».

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية [٨٥] ﴿قَرَأْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (استعذ): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: متعلقان به أيضاً. ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وجملة: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشيطان. ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾: تسلط وولاية. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: على أولياء الله تعالى المؤمنين به، والمتوكلين عليه، فإنهم لا يطيعون، أوامره، ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة، ولذلك أمروا بالاستعاذة، فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لا يوهم أن له قدرة وولاية على الذين آمنوا، ولذا قال سفيان: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، وبالجملة كما قال المحققون: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوّة على طاعة إلا بتوفيق الله تعالى.

بعد هذا انظر التوكل في الآية رقم [٤٢] وانظر ما قال إبليس اللعين، وما رد عليه رب العالمين في الآية [٣٩ ـ ٤٣] من سورة (الحجر). هذا؛ و﴿سُلْطَٰنٌ﴾ من معانيه: الحجة، والبرهان. قال بعض المفسرين المحققين: سميت الحجة سلطاناً؛ لأن صاحب الحجة يقهر مَنْ لا حجة معه، كالسلطان يقهر غيره. وقال الزجاج: السلطان هو الحجة، وسمي السلطان سلطاناً؛ لأنه حجة الله في أرضه. هذا؛ وجمعه بمعنى الحاكم والمالك: سلاطين، ولا يجمع إذا كان بمعنى: الحجة والبرهان.

الإعراب: ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ليس تقدم على اسمها. ﴿سُلْطَٰنٌ﴾: اسمها مؤخر. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿سُلْطَٰنٌ﴾، أو بمحذوف صلة له، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. وجملة: ﴿لَيْسَ لَهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها. ﴿وَعَلَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (على ربهم): متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ. والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾: تسلطه، وولايته. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: يحبونه، ويطيعون، أوامره. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ أي: بالله يشركون معه غيره في العبادة. وقيل: يعود الضمير

إلى الشيطان، والمعنى والذين هم بسبب الشيطان مشركون، وذلك بوسوسته، وإغوائه، وإضلاله، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿سُلْطَٰنُهُۥ﴾: مبتدأ. والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. (الذين): معطوف على سابقه، فهو مبني على الفتح في محل جر مثله. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُشْرِكُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ صلة الموصول، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: وهذا التبديل يكون بالنسخ حيث يجعل الله الآية الناسخة مكان الآية المنسوخة لفظاً، أو حكماً. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ أي: الله أعلم بما ينزل من الناسخ، وبما هو أصلح لخلقه، فلعل ما يكون مصلحة في وقت، يصير مفسدة في وقت بعده فينسخه، وما لا يكون فيه مصلحة حينئذ، يكون مصلحة الآن، فيثبته مكانه، وهذا نوع توبيخ، وتقريع للكفار على قولهم للنبي ﷺ، كما حكى الله عنه: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ أي: مختلق ومتقوِّل على الله. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: حكمة الله في أحكامه من ناسخ ومنسوخ، ولا يميزون الخطأ من الصواب. هذا؛ وذكر الأكثر: إما لأنَّ بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصير في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو؛ لأنه يقام مقام الكل.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة حين قال المشركون من أهل مكة: إن محمداً يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه، وإن أردت بيان النسخ وشرحه انظر الآية رقم [١٠٦] من سورة (البقرة). هذا؛ وانظر شرح: ﴿ءَايَةً﴾ في الآية رقم [١] من سورة (الحجر)، وإعلال ﴿مُفْتَرٍۭ﴾ مثل إعلال ﴿نَاجٍ﴾ في الآية رقم [٤٢] من سورة (يوسف) عليه السلام، ولا تنس: أنَّ ﴿أَعْلَمُ﴾ ليس على بابه، وإنما هو بمعنى: عالم؛ لأنه تعالى لا يشركه أحد في علمٍ، ولا في قدرة.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر مثلها في الآية رقم [٨٥]. ﴿بَدَّلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به أول. ﴿مَّكَانَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ءَايَةٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾ و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أعلم بالذي، أو بشيء ينزله. والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ...﴾ إلخ معترضة بين شرط (إذا) وجوابها، وأجيز اعتبارها في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو فقط، والأول: أقوى. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مُفْتَرٍ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿بَلْ﴾: حرف انتقال. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، وعطفها على ما قبلها يخل بالمعنى؛ لأنها ليست من مقول المشركين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين. ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ أي: القرآن ناسخه ومنسوخه. ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ أي: جبريل عليه الصلاة والسلام، والمعنى: الروح المقدسة، أضيف إلى القدس، وهو الطهر، كما يقال: حاتم الجود، وطلحة الخير. هذا؛ ويقرأ ﴿ٱلْقُدُسِ﴾ بضم الدال وسكونها. وانظر (الرسل) في الآية رقم [٣٨] من سورة (الرعد). ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين، فيزدادوا إيماناً، ويقيناً، واطمئناناً ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ انظر الآية رقم [٨٩] ففيها الكفاية. وانظر (نزلنا) في الآية [٨٩] أيضاً. وانظر شرح (الحق) في الآية رقم [١٢٠] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿نَزَّلَهُۥ﴾: ماض، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿رُوحُ﴾: فاعله. و﴿رُوحُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُدُسِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب؛ أي: ملتبساً بالحق، وجملة: ﴿نَزَّلَهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِيُثَبِّتَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى

﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾. (هدى): معطوف على محل: ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ أي: فهو مفعول لأجله منصوب، أو هو معطوف على لفظ المصدر المنسبك من «أن» والمضارع، فهو مجرور، وأجاز أبو البقاء اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف أي: وهو هدى، فهو مرفوع، وعليه: فالجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، والفتحة، أو الكسرة، أو الضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَبُشْرَىٰ﴾: معطوف على سابقه على جميع الاعتبارات فيه. ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: متعلقان بأحد الاسمين السابقين، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وذلك على التنازع. وانظر مثله في الآية رقم [٨٩].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: وذلك: أن كفار مكة قالوا: إنما يتعلم محمد هذه القصص، وهذه الأخبار من إنسان آخر، وهو آدمي مثله، وليس هو من عند الله، كما يزعم، فردَّ الله عليهم بهذه الآية، واختلفوا في ذلك البشر: مَنْ هو؟ فقيل: هو جبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي. وقيل: كان عبدان لعبيد الله بن مسلمة، يقال لأحدهما: يسار، ويقال للآخر: جبر، كانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة، والإنجيل، وكان رسول الله ﷺ يمر عليهما، ويسمع ما يقرأانه. وقيل: هو عائش كان مملوكاً لحويطب بن عبد العزى، كان نصرانياً، وقد أسلم، وحسن إسلامه. وقيل: هو عدَّاس غلام عتبة بن ربيعة.

والحاصل: أن المشركين اتهموا رسول الله ﷺ بأنه يتعلم ما يسمعهم إياه من غيره، ثم هو يضيفها لنفسه، ويزعم أنه وحي من الله عز وجل، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ أي: لغة الشخص الذي يميلون ويشيرون إليه أعجمية. هذا؛ والإلحاد: الميل، يقال: لحد، وألحد؛ أي: مال عن القصد، وقرئ: (يَلْحَدُون) بفتح الياء والحاء، والأعجمي: هو الذي لا يفصح في كلامه، والعرب تسمي كلَّ من لا يعرف لغتهم، ولا يتكلم بكلامهم أعجمياً. وقال الفراء: الأعجم الذي في لسانه عجمة، وإن كان عربياً. انتهى. ومنه سمي زياد الأعجم؛ لأنه كان في لسانه عجمة مع كونه من العرب، والأعجمي، والعجمي: الذي أصله من العجم، فهو منسوب إليهم. هذا؛ والأعرابي: هو الذي يسكن البادية، والعربي: هو الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب، وهو منسوب إلى العرب، وجمع الأول: الأعراب كما في الآية رقم [٩٠] من سورة (التوبة) وما بعدها، وجمع الثاني: العرب.

﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ. ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: بين الفصاحة، والبلاغة: فكيف يأتي به أعجمي لا يحسن العربية، ولا يتكلَّم بها، وأنتم يا معشر قريش، فرسان البلاغة والفصاحة، وقد عجزتم عن إتيان سورة من مثله مع كونه قد تحدَّاكم مراراً. ولا يعزب عن بالك أن الله جلَّت قدرته قد أطلق كلمة لسان على القرآن بكامله، كما أطلقه العرب على كلمة السوء، وعلى القصيدة من الشعر، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، ففيها فضل بيان. وانظر إعلال ﴿مُّبِينٌ﴾ ومعناه في الآية رقم [١] من سورة (الحجر).

هذا؛ و﴿بَشَرٌ﴾ يطلق على الإنسان ذكراً، أو أنثى، مفرداً، أو جمعاً، مثل كلمة: الفلك، تطلق على المفرد، والجمع، وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، وهي ظاهر الجلد، بخلاف أكثر المخلوقات، فإنَّها مكسوة بالشعر، أو بالصوف، أو بالريش. هذا؛ و(بشر) يطلق على المفرد كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآية رقم [١٦] من سورة (مريم)، ولذا ثني في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ الآية رقم [٤٨] من سورة (المؤمنون)، ويطلق على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا﴾ الآية رقم [٢٥] من سورة (مريم) أيضاً.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠] من سورة (الحجر) ففيها فضل بيان. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿نَعۡلَمُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُعَلِّمُهُۥ﴾: مضارع، والهاء مفعول به، ﴿بَشَرٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) اسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول ﴿نَعۡلَمُ﴾، وجملة: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿لِّسَانُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِي﴾اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿يُلۡحِدُونَ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَعۡجَمِيٌّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿لِّسَانُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهَٰذَا﴾: الواو: حرف عطف. (هذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و الهاء: حرف تنبيه لا محل له. ﴿لِسَانٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾: صفتان له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يصدقون بآيات القرآن المنزلة من عند الله على الرسول ﷺ. ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: لا يوفقهم للإيمان، أو لا يدلهم على طريق النجاة، والفلاح المؤدي إلى الجنة. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، هددهم على كفرهم بالقرآن، بعد ما أماط شبهتهم، وردَّ طعنهم فيه في الآية السابقة، ثم قلب الأمر عليهم بالآية اللاحقة.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِيهِمُ﴾: مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، و الهاء: مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية لا محل لها. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، واعتبارها حالاً من الضمير المنصوب غير مستبعد.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ أي: يختلق الكذب، ويصطنعه، بل ويمتهنه. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: هو مثل الآية السابقة. ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ أي: الكاذبون على الحقيقة، أو الكاملون في الكذب، المولعون به؛ لأن تكذيب آيات القرآن، والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب، أو هم الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه خلق، ولا دين، ولا مروءة، وقد أخبر الله تعالى عن حالهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ...﴾ إلخ ثم وصفهم بقوله: ﴿هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ ليدل على أنَّ الكذب نعت لازم لهم، كقول الرجل لغيره: كذبت، وأنت كاذب؛ أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ وفي الآية دليل على أنَّ الكذب من أفحش الذنوب الكبار؛ لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله. روى البغوي، بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد، قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! المؤمنُ يَزْنِي؟ قالَ: «**قدْ يكونُ ذَلِكَ**». قُلْتُ: المؤمنُ يَسْرِقُ؟ قالَ: «**قَدْ يكونُ ذَلِكَ**». قلتُ: المؤمنُ يكْذِبُ؟ قَالَ: «**لَا، قال الله تعالى**: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ...﴾ **إلخ**». انتهى.

أقول، وجاء في كتاب الترغيب، والترهيب ما يلي: عن صفوان بن سليم ـ رضي الله عنه ـ قال: قِيلَ: يا رسولَ اللهِ! أيكونُ المؤمنُ جَبَاناً؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ المُؤْمِنُ بَخِيلاً؟ قَالَ

«**نَعَمْ**». قِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ المؤمنُ كذَّاباً؟ قالَ: «**لَا**». رواه مالك هكذا مرسلاً. هذا؛ والأحاديث المُنَفِّرة من الكذب، والمرغبة في الصدق كثيرة مشهورة، أكتفي منها بما يلي: عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصدقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرجلُ يصْدُقُ، وَيَتَحرَّى الصِّدْقَ؛ حَتى يُكْتَبَ عند اللهِ صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ والكذبَ، فَإِنَّ الْكذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ، والفجورُ يَهْدِي إلى النارِ، وَمَا يَزَالُ العبدُ يكذِبُ وَيَتَحرَّى الكذِبَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عندَ اللهِ كذَّاباً**». رواه البخاري، ومسلم. كيف لا؟ والرسول ﷺ جعل الكذب صفة من صفات النفاق. هذا؛ وانظر الصدق، وماله في حديث كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الآية [١١٩] من سورة (التوبة)، ولا تنس: أنه قد ورد الترغيب في الصدق، والترهيب من الكذب في الشعر العربي أكتفي بقول الشاعر هنا: [البسيط]

لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ أَوْ فِعْلِهِ السُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الأدَبِ
لَبَعْضُ جِيفَةِ كَلْبٍ خيرُ رائِحَةً مِنْ كِذْبَةِ الْمَرءِ فِي جِدٍّ وفي لَعِبِ

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة، وهي مفيدة للحصر. ﴿يَفْتَرِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿الْكَذِبَ﴾: مفعول به. ﴿الَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. الواو: حرف عطف. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل لا محل له. ﴿الْكَاذِبُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿هُمُ﴾ مبتدأ ثانياً، و﴿الْكَاذِبُونَ﴾ خبره؛ فتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر (أولئك) والجملة الاسمية: ﴿وَأُولَئِكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. تأمل، وتدبر.

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ أي: من كفر من بعد إيمانه، ورجع عن الإسلام، فعليه غضب الله، قال الكلبي: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن خطل، وقيس بن الوليد بن المغيرة، كفروا بعد إيمانهم. انتهى. قرطبي. وهؤلاء هم الذين شرحت صدورهم بالكفر، فاستحقوا غضب الله في الدنيا، وفي الآخرة؛ حيث اعتقدوه، وطابت نفوسهم به.

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ أي: على الافتراء، أو كلمة الكفر. ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ أي: لم تتغير عقيدته، وقلبه ثابت على الإيمان، والمراد: به عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ فقد روي: أن قريشاً أكرهوا عماراً، وأبويه ياسراً، وسمية على الارتداد عن الإسلام، فربطوا سمية بين بعيرين، ثم جاء أبو جهل الخبيث، فجعل يسبها، ويرفث، ثم طعن فرجها بحربة خرجت من فمها، فقتلها ـ رضي الله عنها ـ، وأرضاها، وقتلوا ياسراً ـ رضي الله عنه ـ، وهما أول قتيلين شهيدين في الإسلام، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرهاً، فقيل: يا رسول الله! إن عماراً كفر، فقال: «**كلا، إن عماراً ملئ إيماناً من فَرَقِهِ، إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه**». وأتى عمار ـ رضي الله عنه ـ يبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه. وقال: «**مالك؟**». قال: يا رسول الله نلت منك، وقلت: كذا، وكذا! فقال: «**كيف وجدت قلبك**». قال: مطمئناً بالإيمان، قال: «**لا حرج عليك، وإن عادوا لك؛ فعد لهم بما قلت**».

وفيه دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه، وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين، كما فعله أبو عمار ـ رضي الله عنهم ـ. وقد روي: أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين مسلمين، فقال لأحدهما ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فماذا تقول فِيَّ؟ قال: أنت أيضاً، فخلاه. وقال للآخر، ما تقول: في محمد؟ قال رسول الله، قال: فما تقول فِيَّ؟ قال: أنا أصم، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: أما الأول؛ فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني؛ فقد صدع بالحق، فهنيئاً له. انتهى. بيضاوي بتصرف.

قال العلماء: أول من أظهر الإسلام مع رسول الله ﷺ سبعة: أبو بكر، وخباب، وصهيب، وبلال، وعمار، وأبوه ياسر، وأمه سمية ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ؛ فمنعه قومه، وعشيرته، وأخذ الآخرون، وألبسوا أدراع الحديد، وأجلسوا في حر الشمس بمكة، فأما بلال ـ رضي الله عنه ـ، فكانوا يعذبونه، وهو يقول: أَحَدٌ أَحَدٌ؛ حتى اشتراه أبو بكر، وأعتقه، وقتل ياسر، وسمية كما تقدم. وقال خباب: لقد، أوقدوا لي ناراً، ما أطفأها إلا ودك ظهري. وأجمعوا على أنَّ من أكره على الكفر، لا يجوز له أن يتلفظ بكلمته تصريحاً، بل يأتي بالمعاريض، وبما يوهم أنه كفر، فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الإيمان، غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر، ولو صبر؛ حتى قتل؛ كان أفضل؛ لأن ياسراً، وسمية قتِلا، ولم يتلفظا بكلمة الكفر، ولأن بلالاً صبر على العذاب، ولم يُلَمْ على ذلك.

قال العلماء: من الأفعال ما يتصور الإكراه عليها، كشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير والميتة، ونحوها، فمن أكره بالسيف، أو القتل على أن يشرب الخمر، أو يأكل الميتة، أو لحم الخنزير، أو نحوها؛ جاز ذلك له، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، وقد بيّن الله حكم الضرورة في الآية رقم [١٤٥] من سورة (الأنعام)، والآية رقم [٣] من سورة (المائدة)، والآية

رقم [١٧٣] من سورة (البقرة) أحسن بيان، ومن الأفعال، ما لا يتصور الإكراه عليه كالزنى؛ لأن الإكراه يوجب الخوف الشديد، وذلك يمنع انتشار الآلة، فلا يتصور الإكراه فيه.

واختلف العلماء في طلاق المكره، فقال الشافعي، وأكثر العلماء، لا يقع طلاق المكره. وقال أبو حنيفة، يقع. وهذا الاختلاف ناشئ من تأويل الحديث: «لا طَلاقَ في إغْلاقٍ» فالشافعي ومن معه فسروا الإغلاق بالإكراه، وأبو حنيفة فسره بالغضب الشديد الذي يغيب فيه وعي الرجل، وصوابه، وعقله رحم الله الجميع رحمة واسعة، ورحمنا معهم بفضله، وكرمه، ومنِّه.

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدلاً من: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وما بينهما اعتراض، أو مِنْ (أولئك) أو مِنَ الضمير المستتر في ﴿الْكَاذِبُونَ﴾، أو هو منصوب على الذم بفعل محذوف، أو هو مبتدأ، خبره محذوف، دل عليه قوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ وعليه يجوز اعتبار ﴿مَن﴾ موصولاً، وشرطاً، فعلى الثاني: تكون الفاء واقعة في جواب الشرط، وعلى الأول: تكون الفاء زائدة لتحسين اللفظ، وجاز ذلك؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿كَفَرَ﴾: ماض، وهو في محل جزم فعل الشرط على الاعتبار الثاني: في (من) والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿كَفَرَ﴾: المستتر و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿إِيمَانِهِ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية المحذوفة التي رأيتَ تقديرَها خبر ﴿مَن﴾، أو في محل جزم جوابها على الاعتبار الثاني فيها، وخبرها جملتا الشرط والجواب على ما هو الراجح عند المعاصرين، وعليه تكون الجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء المتصل على المعتمد. ﴿أُكْرِهَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، والجملة الفعلية صلتها لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ﴾ في محل نصب حال من نائب الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿بِالْإِيمَانِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُطْمَئِنٌّ﴾. ﴿وَلَكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿مَّن﴾: اسم موصول مبتدأ، وجملة: ﴿شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾: صلة الموصول، لا محل لها، والعائد رجوع الفاعل إليه. ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ.. إلخ. (عليهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿غَضَبٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة غضب، أو هما متعلقان به؛ لأنه مصدر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية بعدها معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَن﴾ شرطية، ولكن متى جعلت شرطية؛ فلا بد من إضمار مبتدأ قبلها؛ لأنه لا يليها الجمل الشرطية ولذا قيل: (لكن): مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. قاله الشيخ، وإنما لم تقع الشرطية بعد (لكن)؛ لأن الاستدراك لا يقع في الشروط، وكذا قيل: وهو ممنوع. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الاسمية

السابقة، وهو ممَّا يضعف البدلية في ﴿مَن﴾ ويرجح اعتبارها مبتدأ. ولا يعزب عن بالك: أنه قد روعي لفظ ﴿مَن﴾ في رجوع الفاعل إليها، وروعي معناها في: (عليهم) و(لهم) وهو الجمع. تأمَّل.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى غضب الله الذي استحقوه. وقيل الإشارة إلى الكفر بعد الإيمان. ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: اختاروا العاجلة الفانية على الآجلة الباقية وفضلوها عليها. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا يرشدهم إلى الإيمان، ولا يوفقهم للعمل به، وهذا يرجع إلى علمه الأزلي بأنهم لو تركوا، وشأنهم لما اختاروا غير الكفر. هذا؛ وقد وصف الله تعالى في هذه الآية وغيرها الحياة التي يحياها بنو آدم بالدنيا لدناءتها وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله من قال: [الكامل]

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَداً تَبّاً لَهَا مِنْ دَارِ

وانظر شرح الآخرة في الآية رقم [٣٠]، وشرح: ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ في الآية رقم [١٣]، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جمع: كافر، والكفر: ستر الحق بالجحود، والإنكار، وكفر فلان النعمة، يكفرها، كفراً، وكفوراً، وكفراناً: إذا جحدها، وسترها، وأخفاها، وكفر الشيء: غطاه، وستره، وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره، وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه ويستره بالتراب، قال تعالى في تشبيه حال الدنيا ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ وسمي الليل كافراً؛ لأنه يستر كل شيء بظلمته. قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في معلقته: [الكامل]

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمُ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والميم علامة جمع الذكور. ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟﴾: ماض، والواو فاعله والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ). ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ مفعول به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لها منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (أن): حرف مشبه بالفعل.

﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: صفة القوم منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿لَا يَهْدِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر معطوف على سابقه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى الذين اختاروا الفانية على الباقية. ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: فلا يفهمون المواعظ. ﴿وَسَمْعِهِمْ﴾: فلا يسمعون كلام الله سماع تعقل، وتدبر. ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾: فلا يبصرون آيات الله في السموات، وفي الأرض. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة عما يراد بهم؛ إذ أغفلتهم الدنيا عن تدبر العواقب. وانظر توحيد السمع وجمع غيره في الآية رقم [٧٨] هذا؛ ومعنى ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: ختم عليها؛ إذ الطبع في الأصل: الختم، وهو التأثير في الطين، ونحوه، فاستعير هنا لعدم فهم القلوب ما يلقى عليها، والطبع: السَّجِيَّة والخُلق الذي جبل عليه الإنسان، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبره، وجملة: ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وإعراب: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ في الآية رقم [١٠٥].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿لَا جَرَمَ...﴾ إلخ: ردٌّ لما يدعونه، وإثبات لعكسه، وضدِّه. ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: أن الإنسان إنما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة، فإذا دخل النار بان خسرانه، وظهر غبنه؛ لأنَّه ضيع رأس ماله، وهو الإيمان، ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر، وأيُّ خسران أعظم من خسارة الجنة، والحرمان من نعيمها، الذي لا ينقطع؟! هذا؛ وقد قيل في تفسير الخسران: إنه جعل لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة، جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة، وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار، فذلك هو الخسران المبين، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ لِكُلِّ إنْسانٍ مسْكَناً فِي الجَنَّةِ، ومَسْكَناً في النَّار، فَأَمَّا المؤمنونَ؛ فيأخُذُونَ منازِلَهُم، ويَرِثونَ منازِلَ**

الكُفَّارِ، ويَجْعَلُ الكفارَ في منازِلِهِمْ فِي النَّارِ». أخرجه ابن ماجه، وهذا تأويل قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

الإعراب: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٢٣] ففيها الكفاية. ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، والجملة الاسمية: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ...﴾ إلخ: قال القرطبي: هذا كلُّه في عمَّار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ. انتهى. والمراد: بالفتنة ما رأيته في الآية رقم [١٠٦] حيث عذبه المشركون؛ حتى نطق بكلمة الكفر. وقال قتادة: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين إلى المدينة بعد أن فتنهم المشركون، وقد تقدَّم ذكرهم في هذه السورة؛ أي: في الآية رقم [٤١]. وقال الخازن: نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة، وكان أخا أبي جهل من الرضاعة. وقيل: كان أخاه لأمِّه، وفي أبي جندل بن سهيل، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبد الله بن أسد الثقفي، فتنهم المشركون، وعذَّبوهم، فأعطوهم بعض ما أرادوا؛ ليسلموا من شرهم، ثم إنَّهم هاجروا بعد ذلك، وجاهدوا.

هذا؛ وقرأ ابن عامر: (فَتَنُوا) بالبناء للمعلوم، فيكون المعنى: مِنْ بعد ما عذبوا المؤمنين، كالحضرمي أكره مولاه جبراً حتى ارتدَّ عن الإسلام، ثمَّ أسلما، وهاجرا إلى المدينة. بعد هذا انظر الهجرة في الآية رقم [٤١].

وقال البيضاوي: و﴿ثُمَّ﴾ لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك؛ أي: حال المؤمنين المهاجرين، وحال المطبوع على قلوبهم، وسمعهم، وأبصارهم من الكافرين، والمجرمين، والفاسقين من المسلمين.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وخبر ﴿إِنَّ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قوله: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ و﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الثانية واسمها تأكيد للأولى، واسمها، فكأنه قيل: ثم إن ربك، إن ربك لغفور رحيم، وحينئذ يجوز في الجار والمجرور ﴿لِلَّذِينَ﴾ وجهان: أن يتعلقا بالخبرين على التنازع، أو بمحذوف على سبيل البيان، كأنه قيل: الغفران، والرحمة للذين هاجروا. الثاني: أنَّ الخبر هو نفس الجار بعدها، كما تقول: إن زيداً لك؛ أي: هو لك لا عليك، بمعنى: هو ناصرهم، لا خاذلهم. قال معناه

الزمخشري. والثاني: أنَّ خبر الأولى مستغنى عنه بخبر الثانية، يعني: أنه محذوف لفظاً لدلالة ما بعده عليه. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

أقول: وهذا يسمى: الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وإن اعتبرت: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى وما بينهما اعتراض، وحذف خبر الثانية لفظاً، فيكون من حذف الثاني لدلالة الأول عليه. تأمَّل. وانظر مبحث الحذف في كتابنا: «فتح القريب المجيب» الشاهد رقم [١٠٤٩] وما بعده. ﴿هَاجَرُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿دَخَلُواْ﴾ في الآية رقم [٥٢] من سورة (الحجر)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿فُتِنُواْ﴾: ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعله، وما والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعۡدِ﴾ إليه، التقدير: مِنْ بعد فتنتهم، وجملة: ﴿جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ﴾ معطوفتان على جملة الصلة لا محل لهما مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ...﴾ إلخ معطوفة على الكلام السابق، لا محل لها أيضاً، وجملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ الثانية مؤكدة للأولى. ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: متعلقان بما بعدهما على التنازع أيضاً، و(ها): في محل جر بالإضافة، وهي عائدة على: «الفتنة». وقيل: عائدة على الهجرة، والجهاد، والصبر. ﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (غفور): خبر (إنَّ) الأولى، أو الثانية حسب ما رأيت سابقاً. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان. هذا؛ ومثلها في جميع وجوه الإعراب الآية رقم [١١٩] الآتية.

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾

الشرح: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ أي: اذكر يوم تأتي كل نفس تخاصم وتحاج عن نفسها. أي: فهي تشتغل بالمجادلة، لا تتفرغ إلى غيرها، والمراد بالنفس الأولى: الروح، وبالثانية: الذات؛ أي: البدن، وبالثالثة: الروح، والبدن. وقيل: معنى هذه المجادلة: الاعتذار بما لا يقبل، كقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾، ونحو ذلك من الاعتذارات. ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ أي: جزاء ما عملت في الدنيا مِنْ خير، أو شر. ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً، بل يوفون ذلك كاملاً من غير زيادة، أو نقصان، وواو الجماعة عائدة على معنى النفس الثالثة؛ فلذا جمع مذكراً، وانظر شرح النفس في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام. وانظر شرح: ﴿أَتَىٰٓ﴾ في الآية رقم [١].

تنبيه: روي: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لكعب الأحبار: يا كعب! خوِّفنا هيِّجنا حدِّثنا نبِّهنا! فقال له كعب: يا أمير المؤمنين! والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل

عمل سبعين نبياً، لأتت عليك تارات لا يهمُّك إلا نفسك، وإنَّ لِجهنم زفرة، لا يبقى ملك مقرَّب، ولا نبيٌّ منتخب، إلا وقع جاثياً على ركبتيه؛ حتى إنَّ إبراهيم الخليل ليدلي بالخلة، فيقول: يا رب! أنا خليلك إبراهيم، لا أسألك اليوم إلا نفسي. قال: يا كعب! أين تجد ذلك في كتاب الله؟ قال: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ...﴾ إلخ.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في هذه الآية: ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح: رب لم تكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، ولا أذن أسمع بها، ولا عقل أعقل به، حتى جئت، فدخلت في هذا الجسد، فضعِّف عليه أنواع العذاب ونجِّني! فيقول الجسد: رب أنت خلقتني بيدك، فكنت كالخشبة، ليس لي يد أبطش بها، ولا قدم أسعى به، ولا بصر أبصر به، ولا سمع أسمع به، فجاء هذا كشعاع النور، فيه نطق لساني، وبه أبصرت عيني، وبه مشت رجلي، وبه سمعت أذني، فضعِّف عليه أنواع العذاب ونجِّني منه! قال: فيضرب الله لهما مثلاً أعمى، ومقعداً دخلا بستاناً فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمرة، والمقعد لا ينالها، فنادى المقعد الأعمى: إيتني فاحملني آكل وأطعمك. فدنا منه، فحمله، فأصابوا من الثمرة، فعلى من يكون العذاب؟ قال: عليكما جميعاً العذاب. ذكره الثعلبي. انتهى. قرطبي، وخازن. وفي النفس من هذه القصة شيء؛ لذا أقول: والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر. وقيل: مفعول به لهذا المحذوف. هذا؛ وقيل: متعلق بـ: ﴿رَّحِيمٌ﴾. ﴿تَأْتِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿كُلُّ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿تَأْتِي...﴾ إلخ: في محل جر بإضافة يوم إليها. ﴿تُجَٰدِلُ﴾: مضارع والفاعل يعود إلى ﴿نَفْسٍ﴾. ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من كل نفس، والرابط: الضمير فقط. (توفى): مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ. ﴿كُلُّ﴾: نائب فاعله وهو المفعول الأول، و﴿كُلُّ﴾: مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو شيئاً عملته، وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به ثان، التقدير: عملها، وجملة: ﴿وَتُوَفَّىٰ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿تُجَٰدِلُ...﴾ إلخ، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُظْلَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في محل نصب حال مِنْ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: جعل الله القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة، فكفروا، وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن يراد قرية مقدرة؛ أي: على سبيل الفرض والتقدير، هذه صفتها، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلاً لمكة، إنذاراً مِنْ مثل عاقبتها، وكان الرسول ﷺ قد دعا على مشركي مكة. وقال: «**اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَر، واجْعَلْهَا عليهِمْ سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ**». فابتلوا بالقحط؛ حتى أكلوا الجيف، والحشرات.

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ أي: ذات أمن، لا يخاف أهلها من مداهمة عدوٍّ عليهم. ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: قارة بأهلها لا ينتقلون عنها كما كان العرب ينتقلون من مكان إلى مكان طلباً للماء والكلأ. ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يحمل إليها الرزق من جميع النواحي، من البر والبحر، كقوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وذلك بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو قوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ﴿فَكَفَرَتْ﴾ أي: القرية، والمراد: أهلها جحدوا نعم الله عليهم. ﴿بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأَدْرُع، أو هو جمع نُعْم كبُؤْس، وأبْؤُس، والمراد: جميع النعم؛ التي أنعم الله بها على أهل مكة، وانظر الآية رقم [١٢١] الآتية لتعرف أنه جمع قلة. وقيل: هذا الكفران هو: تكذيب الرسول ﷺ.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: أذاق أهلها. ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾: فقد استعار الإذاقة لإدراك أثر الضرر، واللباس لما غشيهم، واشتمل عليهم من الجوع، والخوف، وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير: [الكامل]

غَمْرُ الرِّداءِ إذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً ... غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ المَالِ

فإنه استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء، لما يلقى عليه، وأضاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف، والنوال، لا وصف الرداء، نظراً إلى المستعار له، وقد ينظر إلى المستعار، كقول الشاعر: [الوافر]

يُنَازِعُني رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ

لِيَ الشَّطْرُ الذي مَلَكَتْ يَمِيني ... ودُونَكَ فاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ

استعار الرداء لسيفه، ثم قال: فاعتجر نظراً إلى المستعار. انتهى بيضاوي. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصۡنَعُونَ﴾: هو أبلغ مِنْ «يعملون» من حيث: إنَّ الصنع عمل الإنسان بعد تدرُّب فيه، وتروٍّ، وتحري إجادة، ولذلك ذم به خواص اليهود في الآية رقم [٦٣] من سورة (المائدة)، بينما ذم عوامهم بـ: (يعملون) في الآية السابقة لها.

تنبيه: قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ وأكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت بالمدينة، وهو صحيح؛ لأن الله تعالى وصف القرية بستِّ صفات كانت موجودة في أهل مكة، فضربها الله مثلاً لأهل المدينة، يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم من الجوع، والخوف، ويشهد لصحته أن الخوف المذكور في هذه الآية في قوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ كان من البعوث والسرايا، التي كانت للنبي ﷺ يبعثها في قول جميع المفسرين؛ لأنه عليه السلام لم يؤمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة،فكان يبعث البعوث، والسرايا إلى حول مكة، يخوفهم بذلك وهو بالمدينة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. انتهى.

الإعراب: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله. ﴿قَرۡيَةٗ﴾: بدل مِنْ ﴿مَثَلٗا﴾. ﴿كَانَتۡ﴾: ماض ناقص، واسمها يعود إلى القرية، ﴿ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾: خبران لـ: ﴿كَانَتۡ﴾، وجملة: ﴿كَانَتۡ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿قَرۡيَةٗ﴾. ﴿يَأۡتِيهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، و(ها): مفعول به. ﴿رِزۡقُهَا﴾: فاعل، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ثالث لـ: ﴿كَانَتۡ﴾، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ . ﴿رَغَدٗا﴾: حال من رزقها. ﴿مِّن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿مَكَانٖ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَضَرَبَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (كفرت): ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى قرية، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كَانَتۡ...﴾ إلخ فهي في محل نصب صفة مثلها. ﴿بِأَنۡعُمِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(أنعم): مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. (أذاقها): ماض، وها: مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لِبَاسَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلۡجُوعِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلۡخَوۡفِ﴾: معطوف على الجوع، ويقرأ بنصبه عطفاً على ﴿لِبَاسَ﴾، ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. وانظر تفصيل مثله في الآية رقم [٩٣ و ٨٧] وجملة: ﴿فَأَذَٰقَهَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب أيضاً.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ﴾ أي: أهل مكة. ﴿رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ﴾: هو محمد ﷺ، يعرفون نسبه، ويعرفونه قبل النبوة بالصدق، والأمانة، والشيم الكريمة، والخلال الحميدة. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: رفضوا دعوته. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي: الجوع، والخوف. وقيل: القتل يوم بدر. ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾

أنفسهم بالكفر الذي هو أعظم الذنوب. بعد هذا انظر شرح: ﴿رَسُولٌ﴾ في الآية رقم [٣٨] من سورة (الرعد)، وشرح العذاب في الآية رقم [٢٥] منها أيضاً.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣] ﴿جَآءَهُمْ﴾: ماض، ومفعوله. ﴿رَسُولٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَسُولٌ﴾ أو بمحذوف صفة له، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له، وجملة: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: معطوفة على جملة جواب القسم لا محل لها. وأيضاً جملة: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ معطوفة أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. تأمل.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قول جمهور المفسرين، والثاني: أنهم هم المشركون من أهل مكة، قال الكلبي: لما اشتد الجوع بأهل مكة؛ كلم رؤساؤهم رسول الله ﷺ، فقالوا: إنك إنما عاديت الرجال، فما بال النساء، والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس أن يحملوا الطعام إليهم، حكاه الواحدي وغيره. والقول الأول: هو الصحيح. انتهى. خازن. ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: من الغنائم وغيرها، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يا معشر المسلمين كلوا ممَّا رزقكم يريد الغنائم. ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: التي أنعم بها عليكم، انظر الآية رقم [٧] ورقم [٣٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. وانظر العبادة في الآية [٣٦].

الإعراب: ﴿فَكُلُواْ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: هي الفصيحة. (كلوا): أمر مبني على حذف النون، وهو للإباحة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وهما مفعوله، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية ضعيفة هنا، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء رزقكم الله إياه. ﴿حَلَٰلًا﴾: حال من المفعول الثاني: المقدر، وكلام الجمل يشعر باعتبار (ما) مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر و﴿حَلَٰلًا﴾: حال من ذلك المصدر؛ إذا قدر الكلام كما يلي: كلوا من رزق الله حال كونه حلالاً طيباً، وذروا ما تفترون من تحريم البحائر، ونحوها، ويكون قد أهمل المفعول الثاني لـ: (رزق)، فإنه ينصب مفعولين، وقد قررته كثيراً فيما مضى. ﴿طَيِّبًا﴾: حال ثانية على الاعتبارين، وجملة: ﴿فَكُلُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وقد حصل في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، انظره في الآية رقم [٢٢] (اشكروا): أمر، وهو للوجوب. ﴿نِعْمَتَ﴾:

مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ انظر إعراب: ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: في الآية رقم [٤٣] فهو مثله، ولا تنس: أنَّ ﴿إِيَّاهُ﴾ ضمير منفصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به مقدم للفعل بعده، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: إن كنتم إياه تعبدون؛ فاشكروا نعمته جلَّت قدرته، وتعالت حكمته.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

الشرح: هذه الآية مذكورة بحروفها كاملة في الآية رقم [١٧٣] من سورة (البقرة)، وهي هناك مشروحةٌ شرحاً وافياً، ومعربةٌ إعراباً كاملاً، انظرها، وقد حذوت حذو القرطبي، والخازن رحمهما الله تعالى، فإنهما لم يذكرا فيها شيئاً هنا، وأحالا على الآية المذكورة،كما: أنَّ آية الأنعام رقم [١٤٥] تضمنت أكثر أحكامها، انظرها أيضاً، والله ولي التوفيق.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾: هذا نهي للكفار الذين كانوا يحرمون، ويحلِّلون من غير استناد إلى كتاب، أو سنَّة؛ أي: لا تقولوا الكذب على الله تعالى لأجل كلام تنطق به ألسنتكم من غير دليل، ولا حجة تعتمدونها. ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ﴾: إشارة إلى ما كانوا يحلونه من ميتة بطون الأنعام. ﴿وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾: إشارة إلى ما كانوا يحرمونه من البحيرة، والسائبة، ونحو ذلك. ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: لا تقولوا: إن الله أمرنا بكذا، ونهانا عن كذا، فتكذبوا على الله، وتفتروا عليه. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا ينجون من العذاب. وقيل: لا يفوزون بخير لأن الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح. هذا؛ ويقرأ (الكَذِبَ) الأول: بضم الكاف، والذال، والباء، ويقرأ بفتح الكاف وكسر الذال مع فتح الباء وكسرها. وانظر الآية رقم [٦٢].

هذا؛ والحلال: ضد الحرام، وهو ما أبيح تناوله، وأكله إن كان يؤكل، ولم يضر بالبدن ضرراً بيناً، أما الحرام، والمحرم: فهو في الأصل كلُّ ممنوع، قال تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ فالحرمات كل ممنوع منك، ممَّا بينك وبين غيرك، قولهم: لفلان بِي حرمة؛ أي: أنا ممتنع من مكروهه، وحرمة الرجل محظورة به عن غيره، وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ فالمحروم هو: الممنوع من المال، والتلذذ به، والإحرام بالحج، والعمرة هو: المنع من أمور

معروفة في الفقه الإسلامي، والشهر الحرام، والمسجد الحرام المحرم فيهما أشياء معروفة، قد تكون مباحة في غيرهما.

تنبيه: إذا أردت أن تعرف ما كان الجاهليون يفعلونه من تحريم، وتحليل حسب ما تزينه لهم نفوسهم، وما كان يأمرهم به شياطينهم، فانظر سورة (الأنعام) الآية رقم [١٣٦] وما بعدها. وانظر الآية رقم [١٠٣] من سورة (المائدة)، والله يتولاني، وإياك بعنايته، ورعايته.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَقُولُواْ﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأول، والثاني: مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو لشيء تصفه ألسنتكم، وعليه فالكذب مفعول لـ: ﴿تَقُولُواْ﴾، وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر باللام، وعليه يكون ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ مفعولاً. لـ: ﴿تَصِفُ﴾، ويكون التقدير: ولا تقولوا: هذا حلال وهذا حرام لوصفكم الكذب. هذا؛ وعلى قراءته بضم الكاف، والذال، والباء فهو صفة: الألسنة، وعلى قراءته بالجر، فهو بدل مِنْ (ما) على جميع الاعتبارات فيها، وعلى قراءته بفتح الباء فيه وجهان: أحدهما: ما تقدم، والثاني: اعتباره منصوباً بفعل محذوف، تقديره: أعني. والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ﴾ في محل نصب مقول القول على اعتبار: ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ منصوباً بـ: ﴿تَصِفُ﴾ وعلى قراءته بالرفع والجر، هي بدل من الكذب على اعتباره منصوباً بـ: ﴿تَقُولُواْ﴾؛ لأن قولهم ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ نفس الكذب. ﴿لِّتَفْتَرُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون.. الخ، والواو فاعله، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور بدل من الجار والمجرور: ﴿لِمَا تَصِفُ...﴾ إلخ ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْكَذِبَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَا تَقُولُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (كلوا...) إلخ لا محل لها مثلها، فيكون ما بينهما كلاماً معترضاً لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: ما يفترون لأجله، أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع، وقد اعتبره الله قليلاً لقصر مدته، أو في جنب ما أعدَّ الله للمؤمنين، قال النبي ﷺ: «**مَا الدُّنيا في الآخِرَةِ إلا مِثْلُ**

ما يجعلُ أحدُكُم إصبعَهُ في اليَمِّ، فلينظُر بِمَ يَرجِعُ؟». وانظر: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في الآية رقم [٩٥] ﴿وَمَتَٰعًا﴾ في الآية رقم [٨٠]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة بسبب افترائهم على الله الكذب.

الإعراب: ﴿مَتَٰعٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، انظر الشرح، أو هو مبتدأ خبره محذوف التقدير: لهم متاع. ﴿قَلِيلٌ﴾: صفة ﴿مَتَٰعٌ﴾ والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: هم اليهود، سموا بذلك لمَّا تابوا من عبادة العجل، مِنْ هاد بمعنى: تاب، ورجع، ومنه قوله تعالى حكاية عن قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، أو سموا بذلك نسبة إلى يهودا بن يعقوب، وهو أكبر أولاده. ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ما ذكره الله في الآية رقم [١٤٦] مِنْ سورة (الأنعام). ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: بتحريم ما حرمنا عليهم. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: إنما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب كفرهم، وبغيهم، وظلمهم أنفسهم، كما بيَّن الله ذلك في الآية رقم [١٦٠] وما بعدها من سورة (النساء)، بعد هذا انظر (نا) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر). هذا؛ ومعنى ﴿قَصَصْنَا﴾: ذكرنا فيما مضى، وأخبرناك به، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾. والقصص: تتبع الأثر، يقال: خرج فلان يقصُّ أثر فلان؛ أي: يتبعه ليعرف أين ذهب؟ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره، والقصص: مصدر قولهم: قص فلان الحديث قصّاً، وقصصاً.

الإعراب: ﴿وَعَلَى﴾: الواو: حرف استئناف. (على الذين): متعلقان بالفعل ﴿حَرَّمْنَا﴾، وجملة: ﴿هَادُواْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿حَرَّمْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ اذ التقدير: الذي قصصناه. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بأحد الفعلين قبلهما، وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وانظر إعراب: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ...﴾ إلخ في الآية رقم [٣٣] والجملة الأولى في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الثانية: ﴿وَلَٰكِن...﴾ إلخ معطوفة عليها على الاعتبارين فيها.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

قال الخازن رحمه الله تعالى: المقصود من هذه الآية بيان فضل الله، وكرمه، وسعة مغفرته، ورحمته؛ لأن السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح، فيدخل تحته الكفر، وسائر المعاصي، وكل ما لا ينبغي، وكلُّ مَنْ عمل السوء إنما يفعله بجهالة؛ لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح، فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر، أو معصية، فإنما يصدر عنه بسبب جهله، إما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب، أو لجهله بقدر مَنْ يعصيه، فثبت بهذا: أن فعل السوء، إنما يفعل بجهالة، ثم إنَّ الله تعالى وعد مَنْ عمل سوءاً بجهالة ثم تاب، وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه، ويرحمه. انتهى بحروفه.

هذا؛ وللتوبة المقبولة شروط يجب توافرها، فإن كانت مِنْ حقِّ الله تعالى؛ فشروطها ثلاثة: الاستغفار باللسان، والندم بالجنان، و الإقلاع بالأركان، وإن كانت من حق العباد يجب رد الحقوق لأصحابها بحسب الإمكان، فإن لم يرد الحقوق لأصحابها لا تقبل توبته وإن تاب ألف توبة! وانظر الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) إن أردت الزيادة. ﴿وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ أي: العمل. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة النصوح؛ التي تتوافر فيها الشروط المذكورة. ﴿لَغَفُورٌ﴾ أي: يغفر عمل السوء لمن تاب، وأناب إليه. ﴿رَّحِيمٌ﴾: بعباده جميعاً، فهما صيغتا مبالغة.

بعد هذا؛ وعمل السوء هو الذي يسوء صاحبه، ويغمُّه عند مجازاته به في الدنيا، والآخرة. وانظر الآية رقم [٦] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف . ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، دل عليه خبر ﴿إِنَّ﴾ الآتي. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٠] فهذه مثلها في جميع وجوه الإعراب، وجملة: ﴿عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة؛ أي: عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله تعالى، وبعقابه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيكون ما بينهما اعتراضاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف ﴿تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ الجملتان معطوفتان على جملة الصلة لا محل لهما مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ الثانية مؤكدة للأولى. ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾: متعلقان بما بعدهما على التنازع أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ﴾: انظر شرح ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ونسبه... إلخ في الآية رقم [٣٥] من السورة المسماة باسمه. ﴿أُمَّةً﴾: انظر الآية رقم [٣٦] وإنما أطلق على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام لفظ ﴿أُمَّةً﴾؛ لأنه اجتمع فيه من صفات الكمال، وصفات الخير، والأخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة كاملة، ومنه قول أبي نواس: [السريع]

لَيسَ عَلَى اللهِ بِمُستَنكَرٍ أَن يَجمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

ثم للمفسرين في هذه اللفظة أقوال: أحدها: قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: الأمة: معلم الخير. الثاني: قال مجاهد: إنه كان مؤمناً وحده، والناس كلهم كفار، ومنه قول النبي ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل: «**يبعثه الله أمةً وحدَهُ**». وإنما قال فيه هذه المقالة؛ لأنه كان قد فارق الجاهلية، وما كانوا عليه من عبادة الأصنام. الثالث: قال قتادة: ليس من أهل دين، إلا وهم يتولونه، ويرضونه. وقيل غير ذلك. ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: مطيعاً خاضعاً لله، قائماً بأوامره، منتهياً عن نواهيه. ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلاً عن كل دين باطل إلى دين الحق، قال الشاعر: [الوافر]

ولكِنَّا خُلِقنَا إذ خُلِقنَا حَنِيفاً دِينُنَا عَن كُلِّ دِينِ

هذا؛ والحنف: الميل في القدمين. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض باليهود، والنصارى، ومشركي العرب، فإنهم ينتسبون إلى إبراهيم، ويدعون اتباعه، والاقتداء به، وهم مشركون. وهو سبب ربط الآية بما قبلها.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿أُمَّةً﴾: خبر كان. ﴿قَانِتًا﴾: خبر ثان. ﴿لِّلَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَانِتًا﴾ لأنه اسم فاعل، وفاعله مستتر فيه. ﴿حَنِيفًا﴾: خبر ثالث، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿يَكُ﴾ وجملة: ﴿وَلَمْ يَكُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من اسم كان المستتر، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معترضة كما ستقف عليه في الآية التالية.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾

الشرح: ﴿شَاكِرًا﴾: انظر شرح (الشكر) في الآية رقم [٧] و[٣٧] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. ﴿لِّأَنْعُمِهِ﴾: انظر الآية رقم [١١٢]. وقال البيضاوي: ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه

كان لا يخل بشكر النعم القليلة، فكيف بالكثيرة. ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾: اختاره لنبوته، واصطفاه لخلته. ﴿وَهَدَىٰهُ﴾: وفقه، وثبته، وسدَّد خطاه. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: هو دين التوحيد، دين الإسلام؛ لأنه لا اعوجاج فيه. وانظر إعلال: ﴿مُقِيمَ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، فإعلال ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ مثله.

الإعراب: ﴿شَاكِرًا﴾: خبر رابع لـ: ﴿كَانَ﴾، أو هو حال من اسم ﴿يَكُ﴾ المستتر، فتكون حالاً متداخلة، أو متعددة، وعلى اعتباره خبراً لـ: ﴿كَانَ﴾ فتكون جملة: ﴿وَلَمْ يَكُ...﴾ إلخ معترضة في وجه كما رأيت. ﴿لِّأَنْعُمِهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَاكِرًا﴾؛ لأنه اسم فاعل، وفاعله مستتر فيه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية أجاز فيها أبو البقاء اعتبارها حالاً؛ أي: من الضمير المجرور بالإضافة، وتكون: «قد» مقدرة قبلها، واعتبارها خبراً ثانياً لـ: ﴿إِنَّ﴾، واعتبارها مستأنفة. هذا؛ وأجيز اعتبارها خبراً خامساً لـ: ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿وَهَدَىٰهُ﴾: معطوفة عليها. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بالفعل (هداه)، وقول الجمل: يجوز تعلقه بأحد الفعلين على التنازع لا أراه قوياً.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: أعطيناه، ومنحناه. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: هي النبوة، والخلَّة. وقيل: هي لسان الصدق، والثناء عليه، وهو الذي طلبه في دعائه في الآية رقم [٨٤] من سورة (الشعراء) ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ وهو القبول العام عند جميع الأمم، فإن الله حببه إلى جميع خلقه، فكل أهل الأديان يتولونه: المسلمون، واليهود، والنصارى، ومشركو العرب، وغيرهم. وقيل: هو قول المصلي في التشهد: (**اللهم صَلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ على إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ... إلخ**). وقيل: إنه آتاه أولاداً أبراراً على الكِبَر. وانظر شرح ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ في الآية رقم [١٠٧].

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في أعلى مقامات الصالحين في الجنة. وقيل: معناه: وإنه في الآخرة لمع الصالحين يعني: الأنبياء في الجنة، فتكون: (مِنَ) بمعنى: مع. وانظر شرح ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الآية [٣٠] هذا؛ وفي الآية التفات من الغيبة في الآية السابقة إلى التكلم في هذه. انظر الالتفات في الآية رقم [٢٢] وانظر (نا) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠١] من سورة (يوسف) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام بشأن الصالحين.

الإعراب: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: الواو: حرف عطف. (آتيناه): ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿حَسَنَةً﴾، كان صفة له،

فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة التي رأيتها في الآية [٦٦] ﴿حَسَنَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وهو أولى بسبب الالتفات. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ بعدهما. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من الصالحين): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، و﴿ثُمَّ﴾ إما لتعظيمه، والتنبيه على أنَّ أجلَّ ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول ﷺ ملَّته، أو لتراخي أيامه. ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: في التوحيد، والدعوة إليه بالرفق، وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى، والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه. انتهى. بيضاوي. وقيل: أمر الله النبي عليه الصلاة والسلام باتباع إبراهيم عليه السلام في جميع ملته إلا ما أمر بتركه، والصحيح الاتباع في عقائد الشرع دون الفروع لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: بالله، بل كان من الموحدين المخلصين من صغره إلى كبره.

تنبيه: في هذه الآية دليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول، ولا نقص في حق الفاضل في ذلك؛ لأن النبي ﷺ، أفضل الأنبياء جميعاً عليهم السلام، وقد أمر بالاقتداء بهم، قال الله له: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، وقال هنا: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كيف لا؟ والرسول أفضل من جبريل بكثير، وهو بمنزلة المعلم له! ولا تنس: أخيراً: أن الله تعالى لمَّا وصف إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتلك الصفات العالية، والخصال المجيدة، والشيم الحميدة، أمر حبيبنا، وشفيعنا باتباعه، والاقتداء به، فيا نعم المقتدي، والمقتدى به! وانظر تعليم الخضر لموسى في الآية [٦٧] من سورة (الكهف) وما بعدها.

بعد هذا انظر شرح الوحي في الآية رقم [٦٨] و(الملة): الطريقة، والديانة، وهي بكسر الميم، وبفتح الميم: الرَّماد الحار. وانظر شرح الباقي في الآية رقم [١٢٠] وشرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٥٣] والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنِ﴾: حرف تفسير. ﴿ٱتَّبِعْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِلَّةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿حَنِيفًا﴾: حال من إبراهيم، وقال مكي: حال من فاعل اتبع

المستتر، ولا يحسن أن يكون حالاً من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ لأنه مضاف إليه، ولا وجه له؛ لأن شرط مجيء الحال من المضاف إليه أن يكون المضاف كالجزء من المضاف إليه من حيث صحة الاستغناء بالثاني عن الأول، وهذا الشرط متوفر؛ إذ يصح أن يقال: أن اتبع إبراهيم حنيفاً، وخذ قول ابن مالك رحمه تعالى في ألفيته: [الرجز]

وَلَا تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهْ إِلَّا إِذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهْ

أَوْ كَانَ جُزْءَ مَالَهُ أُضِيفَا أَوْ مِثْلَ جزئِهِ فَلَا تَحِيفَا

والجملة الفعلية مفسرة لا محل لها. هذا؛ وبعضهم يعتبر ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤوّل بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن... إلخ، والأول: أقوى وهو المعتمد، وجملة: ﴿أَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر كان، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من إبراهيم أيضاً، والرابط: الواو، ورجوع الضمير إليه. هذا؛ والاستئناف ممكن. تأمل.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: فرض تعظيم يوم السبت على الذين اختلفوا فيه، وهم اليهود، روى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس - رضي الله عنهماأجمعين - قال: قال أمرهم موسى عليه السلام بتعظيم يوم الجمعة، فقال: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه في يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه شيئاً من صنعتكم، وستة أيام لصنعتكم، فأبوا عليه. وقالوا: لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق، وهو يوم السبت، ففرض ذلك اليوم عليهم، وشدد عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضاً بيوم الجمعة، فقالت النصارى: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا، يعنون اليهود فاتخذوا الأحد، فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة، فقبلوها، فبورك لهم فيها. انتهى خازن.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «**نحنُ الآخِرُونَ السابقونَ يومَ القيامةِ؛ بَيْدَ أَنَّهُمْ أوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلِنَا، فاخْتَلَفُوا فِيهِ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الذي فُرِضَ عليهِمْ، فاخْتَلَفُوا فيه، فهدَانَا اللهُ لَهُ، فَهُمْ لنا فِيهِ تَبَعٌ، فَغداً لليهودِ، وَبَعْدَ غدٍ للنصارى**». متفق عليه.

هذا؛ وقال قتادة: الذي اختلف فيه اليهود، استحله بعضهم، وحرمه بعضهم، فعلى هذا القول يكون معنى قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ أي: وبال السبت، ولعنته على الذين اختلفوا

فيه، وهم اليهود، فأحلَّه بعضهم، فاصطادوا فيه، فلُعنوا، ومُسِخوا قردة، وخنازير في زمن داود عليه السلام، وقد تقدمت القصة في تفسير سورة (الأعراف) الآية رقم [١٦٣] وما بعدها، والقول الأول: أقرب إلى الصحة. انتهى. خازن. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ...﴾ إلخ: أي: الذين اختلفوا في أمر السبت، فيحكم الله بينهم يوم القيامة، فيجازي المحقين بالثواب، والمبطلين بالعقاب.

قال القرطبي: ووجه الاتصال بما قبله: أن النبي ﷺ أمر باتباع الحق، وحذَّر الله الأمة من الاختلاف، فيشدد عليهم، كما شدد على اليهود. انتهى. وقال البيضاوي: وذكرهم هاهنا لتهديد المشركين، كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله. انتهى.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿جُعِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلسَّبْتُ﴾: نائب فاعله. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، وجملة: ﴿ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَيَحْكُمُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (يحكم): مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكَ﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق به أيضاً، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿فِيمَا﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (في)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور بـ (في). ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وجملة: «يختلفون فيه» في محل نصب خبر (كان).

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱدْعُ﴾: هذا أمر للنبي ﷺ، وهو يشمل كلَّ داعٍ إلى خيرٍ، وطاعةٍ، وعبادةٍ لله، وكل ناهٍ عن منكر. ﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دينه الذي اصطفاه للناس جميعاً، وهو دين الإسلام الذي بعث فيه حبيبه، ونبيَّه عليه أفضل صلاة، وأتم تسليم. ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: وهي المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق، المزيل للشبهة. وقال أبو بكر بن دريد: الحكمة: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح. ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: هي الترغيب والترهيب بالخطابات المقنعة، والعبر النافعة. والأولى لدعوة خواصِّ الأمة، الطالبين للحقائق. والثانية لدعوة عوامِّهم. ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة

من الرفق، واللين، من غير فظاظة، ولا تعنيف، وإيثار ذلك على غيره، فإنه أنفع في تسكين حنق المعاندين، وتهدئة شغبهم، وضجيجهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم. ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: حاد عن الصراط المستقيم، وأعرض عن الدين القويم. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: الذين هدوا إلى الصراط المستقيم. ومحصَّله: أن عليك يا محمد البلاغ، ودعوة الناس إلى دين الله وتوحيده، وأما حصول الهداية، والضلال، والمجازاة عليهما؛ فليس ذلك إليك، بل الله أعلم بالفريقين، وهو المجازي للناس أجمعين.

قال القرطبي: هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله، وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة، وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة في حقِّ العصاة من الموحِّدين، ومنسوخة بالقتال في حقِّ الكافرين. انتهى.

الإعراب: ﴿ٱدْعُ﴾: أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت» والمفعول محذوف، التقدير: الناس... ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه... ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال من فاعل ﴿ٱدْعُ﴾ المستتر؛ أي: ملتبساً بها. ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾: صفة لها، والجملة الفعلية: ﴿ٱدْعُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بِٱلَّتِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ في محل رفع خبر إن. ﴿بِمَن﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، وجملة: ﴿ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ صلة من، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

الشرح: لقد ذكرت لك في مقدمة السورة: أن الآية وما بعدها إنما نزلت في المدينة بعد الهجرة، فقد روى الدَّارَقُطْنِيُّ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: لما انصرف المشركون عن قتلى أحد؛ انصرف رسول الله ﷺ، فرأى منظراً ساءه، رأى حمزة ـ رضي الله عنه ـ قد شُقَّ بطنه، واصطلم أنفه، وجدعت أذناه، فقال: «**لولا أن يحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته**

حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير! لأمثلن مكانه بسبعين رجلاً منهم». فأنزل الله الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**بل نصبر**». وأمسك عما أراد، وكفَّر عَنْ يمينه. انتهى. قرطبي بتصرف.

وأما معنى الآية وتفسيرها: فقد سمى الفعل الأول: ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ باسم الثاني للمشاكلة في الكلام. فهو عكس قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ حيث سمى الثاني، وهو بمعنى: جازاهم بلفظ الأول للمشاكلة، والمزاوجة في الكلام، والمعنى: إن فعل بكم أحد سوءاً مِنْ قتل، أو مثله، أو ظلم بأخذ مال، ونحوه وتمكنتم منه، فقابلوه بمثله، ولا تزيدوا عليه، فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ أمر الله برعاية العدل، والإنصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق، فإن استيفاء الزيادة ظلم، والظلم لا يجوز في عدل الله، وشرعه، ورحمته، وما يذكر إلا أولو الألباب.

الإعراب: ﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿عَاقَبْتُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والميم علامة الذكور، والمفعول محذوف، التقدير: عاقبتم المؤذي، أو المضر، ونحوه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَعَاقِبُوا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عاقبوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿بِمِثْلِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿عُوقِبْتُم﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿فَعَاقِبُوا...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف عطف. اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن صبرتم): مثل سابقه. ﴿لَهُوَ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف. (هو خير): مبتدأ، وخبر. ﴿لِّلصَّابِرِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَهُوَ خَيْرٌ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، وحذف جواب الشرط، لدلالة جواب القسم عليه، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

واحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَوابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

والكلام: ﴿وَلَئِن...﴾ إلخ معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: هذا أمر من الله لرسوله ﷺ، وإعلام له: أنَّ صبره لا يكون إلا بتوفيق الله ومعونته. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الكافرين؛ الذين ناصبوك العداء،

وفعلوا ما فعلوا بأصحابك في حرب أحد. وقيل: المعنى: لا تحزن على قتلى أحد، وما فُعِل بهم، فإنهم أفضوا إلى رحمة الله، ورضوانه. ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تَغْتَمَّ يا محمد، ولا يضيقنَّ صدرك بسبب مكرهم، فإن الله مذلهم، وخاذلهم، وناصرك عليهم.

هذا؛ وقرئ: (ضَيْقٍ) بفتح الضاد وكسرها، وهما لغتان كالقول والقيل، ويجوز أن يكون بالفتح مخففاً من المشدد، مثل تخفيف: هين، ولين، ونحوهما. وقال الفراء: الضَّيْق: ما ضاق عنه صدرك، والضِّيق: ما يكون في الذي يتسع، ويضيق، مثل الدار، والثوب. هذا؛ والمكر تدبير الأمر في الخفاء. وانظر شرح: ﴿تَكُ﴾ وإعلاله في الآية رقم [١٠٩] من سورة (هود) عليه السلام، وانظر الآية رقم [٧٠] من سورة (النَّمل) حيث تجد الآية بحروفها كاملة.

الإعراب: ﴿وَاصْبِرْ﴾: الواو: حرف عطف. (اصبر): أمر، وفاعله: أنت، ومتعلقه محذوف للتعميم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿صَبْرُكَ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَحْزَنْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا)، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِي ضَيْقٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُ﴾. ﴿مِّمَّا﴾: (مِنْ): حرف جر. (ما): مصدرية، تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ)، التقدير: من مكرهم، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿ضَيْقٍ﴾ أو بمحذوف صفة له. هذا؛ واعتبار (ما) موصولة، أو موصوفة فيه ضعف لا يخفى، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ﴾ أي: بالنصر والمعونة، والتأييد والتوفيق لصالح الأعمال، هذا؛ ومعيَّة الله على نوعين: عامة، وخاصة، فالأولى لكل الناس، وهي معية بالعلم، والقدرة، والثانية للمؤمنين المتقين، والمحسنين، وهو ما تقدم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. ﴿اتَّقَوْا﴾ أي: خافوا الله، فعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه. وانظر مثله في الآية رقم [١٠٩] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ أي: الذين أحسنوا العمل من صلاة،

وغيرها، وكذلك أحسنوا إلى غيرهم بالعفو عنهم، والتجاوز عن سيئاتهم، والنصح معهم في بيعهم، وشرائهم، وأخذهم، وعطائهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿ٱتَّقَواْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف انظر الشرح، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَّٱلَّذِينَ﴾: معطوف على سابقه. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّحۡسِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر والنهي في الآية السابقة. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

انتهت سورة (النحل) ـ بعونه تعالى ـ تفسيراً وإعراباً،

والله الموفق، والمعين، وبه نستعين.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الإسْرَاءِ

وهي مكية إلا ثلاث آيات، قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ . . . إلخ الآية رقم [٧٣] وما بعدها، وقوله عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ . . . إلخ الآية رقم [٨٠] وقال مقاتل: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ . . . إلخ الآية رقم [١٠٧] وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في (بني إسرائيل) و(الكهف) و(مريم): إنهن من العتاق الأُول، وهن مِنْ تلادي. يريد: من قديم كسبه. وهي مئة وعشر آيات. وقيل: وإحدى عشرة آية، وخمسمئة وثلاث وثلاثون كلمة، وثلاثة آلاف، وأربعمئة وستون حرفاً. انتهى. خازن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ١٥ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

الشرح: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ﴾ . . . إلخ: نزه الله نفسه عن كل النقائص، والمعايب التي يمكن أن يتصف بها بنو آدم، كما نزه نفسه عن العجز، والضعف، وغيرهما من الصفات التي يتصف بها الآدميون في كل وقت وحين. وانظر الآية رقم [١] من سورة (النحل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿أَسْرَىٰ﴾: فيه لغتان: سرى، وأسرى، وقرئ قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ بهمزة الوصل من الأول، وبقطعها من الثاني، وقد جمع حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بين اللغتين في بيت واحد: [الكامل]

حَيِّ النَّضِيرَةَ رَبَّةَ الخِدْرِ   أَسْرَتْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

و«سرى» و«أسرى» بمعنى واحد، وهو قول أبي عبيد، والثانية: لغة أهل الحجاز، وبها جاء القرآن الكريم هنا، وهما بمعنى: سار الليل عامته. وقيل: سرى لأول الليل، وأسرى لآخره، وهو قول الليث، وأما «سار» فهو مختص بالنهار، وليس مقلوباً مِنْ سرى، فهو بمعنى: مشى. هذا؛ والسرى، والإسراء: السير في الليل، يقال: سَرَى، يَسْرِي، سُرًى، ومَسْرًى، وسُريةً، وسِرَايَةً، وأسرَى إسْرَاءً. هذا؛ والسُّرى يذكر، ويؤنث، ولم يحك اللحياني فيه إلا التأنيث، كأنهم جعلوه جمع: سرية.

﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾: المراد به: سيد الخلق، وحبيب الحق محمد ﷺ بإجماع الأمة، والإضافة إضافة تشريف، وتعظيم، وتبجيل، وتفخيم وتكريم، وذكر العبودية مقام عظيم، ولو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه؛ لسماه به في تلك الحالة العلية، وفي معناه أنشدوا: [السريع]

يا قومُ قلبي عندَ زَهْراء يعرفُهُ السامِعُ والرَّائي

لا تَدْعُني إلَّا بيَا عَبْدَها فإنَّهُ أشْرفُ أَسْمائي

علماً بأنه ﷺ لم يذكر باسمه الصريح في القرآن إلا قليلاً، ذكر باسم محمد في سورة (آل عمران) وسورة (الأحزاب)، وسورة (محمد)، وسورة (الفتح) وذكر باسم أحمد في سورة (الصف)، وذكر باسم طه في سورة (طٰه)، وذكر باسم ياسين في سورة (يٰس). هذا؛ والعبد: الإنسان حراً كان، أو رقيقاً، ويجمع على: عبيد، وعباد، وأعبد، وعبدان، وعبدة، وغير ذلك؛ قال القشيري: لمّا رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية، وأرقاه فوق الكواكب العلوية؛ ألزمه اسم العبودية تواضعاً للأمة.

﴿لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: المسجد الذي حول الكعبة المشرفة، ومعنى الحرام: المحرم فيه اللغو، والرفث، والإيذاء، وكل فعل قبيح، وعمل فاحش، وإن كان في غيره حراماً، فهو أشد فيه حرمة، وكذلك محرم على الكفار، فلا يجوز أن يدخله كافر أبداً. وانظر الآية رقم [١٠٠] من سورة (المائدة) تجد ما يسرك. وانظر: ﴿ٱلۡحَرَامِ﴾ في الآية رقم [١١٦] من سورة (النحل). ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾: بيت المقدس في فلسطين، سمي «أقصى» لبعده عن المسجد الحرام، أو؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، وأول من بناه آدم عليه السلام، بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة، فهو أول مسجد بني في الأرض بعد الكعبة. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٦] من سورة (آل عمران)، ففيها كبير فائدة.

﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ أي: بكثرة الأنهار، والأشجار، والثمار، أو سماه مباركاً؛ لأنه مقرُّ الأنبياء، ومهبط الملائكة، والوحي، وقبلة الأنبياء قبل نبينا ﷺ، وفيه يكون الحشر يوم القيامة. هذا؛ و«حول» ظرف مكان لا يتصرف، فهو ملازم للظرفية أبداً، يقال: قعد حَوْلَه، وحَوالَهُ، وحَوَلَيْهِ، وحَوَالَيْه، ولا تقل: حَوَالِيهِ بكسر اللام، وقعد بِحيالِهِ، وحِيالَهُ؛ أي: بإزائه، وإزاءه.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ أي: من عجائب قدرتنا؛ أي: فقد رأى ﷺ في تلك الليلة الأنبياء، وصلى بهم، ووقف على مقاماتهم، وغير ذلك من المشاهدات. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أي: الله سميع لأقوال محمد ﷺ ودعائه. ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾: بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك. وقيل: المعنى: السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس، وما شاهده من العجائب. وقيل: إنه هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأعمالهم، فيجازي كل عامل بعمله، وحمله على العموم أولى. هذا؛ وقال أبو البقاء: وقيل: الضمير للنبي ﷺ؛ أي: إنه السميع لكلامنا، البصير لذاتنا. وهو قول انفرد به.

تنبيه: في الآية الكريمة التفات من الغيبة في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي...﴾ إلخ إلى التكلم في قوله: إلى ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...﴾ إلخ ثم التفات ثان إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ...﴾ إلخ. هذا؛ وقرئ: (لِيُرِيَهُ) بياء المضارعة، فيكون في الآية أربعة التفاتات، الأول: من الغيبة إلى التكلم. والثاني: من التكلم إلى الغيبة. والثالث: من الغيبة في «ليريه» إلى التكلم في: ﴿ءَايَٰتِنَآ﴾ والرابع: من التكلم إلى الغيبة في إعادة الضمير إلى الله تعالى، وهو الصحيح.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثلاثَةِ مساجِدَ: مَسْجدي هذا؛ والمسجِد الحرامِ، والمَسْجِدِ الأقْصَى**». رواه مالك في موطئه، وفيه ما يدل على فضل هذه المساجد الثلاثة على سائر المساجد. وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاةُ في المسجدِ الحرامِ بمِئةِ ألفِ صَلَاةٍ، والصلاةُ بمسجدي هذا بألفِ صلاةٍ، والصلاةُ في بيتِ المقدِسِ بخمسمئةِ صَلَاةٍ**». رواه الطبراني.

تنبيه: لقد أطال المفسرون الكلام في حديث الإسراء والمعراج، وها أنذا أقتصر على الحديث الذي رواه البخاري برقم [٣٢٠٧] عن مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ـ وذكر: يعني رجلاً بين الرجلين ـ فأوتيت بطست من ذهب، مُلِئَ حكمةً، وإيماناً، فشق من النحر إلى مراقِّ البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة، وإيماناً، وأوتيت بدابة أبيض دون البغل، وفوق الحمار (البراق) فانطلقت مع جبريل عليه السلام؛ حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم عليه السلام، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابن، ونبي. فأتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على يحيى، وعيسى، فسلمت عليهما، فقالا: مرحباً بك من أخ، ونبي.**

فأتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على يوسف، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ، ونبي. فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إدريس عليه السلام، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على هارون عليه السلام، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ، ونبي. فأتينا السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل:

مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على موسى، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ، ونبي.

فلما جاوزت؛ بكى، قيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث من بعدي، يدخل الجنة من أمته أفضل ما يدخل من أمتي. فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم عليه السلام، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابن، ونبي.

فرفع إليَّ البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك؛ إذا خرجوا؛ لم يعودوا آخر ما عليهم. ورفعت إليَّ سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هَجَر، وورقها كآذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان؛ ففي الجنَّة، وأما الظاهران فالفرات، والنيل.

ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فاسأله (التخفيف) فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله فجعلها ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشراً، فأتيت موسى، فقال: مثله فجعلها خمساً، فأتيت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمساً، فقال: مثله، قلت: سلمت، فنودي: إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشراً». انتهى. وفي رواية، قال الله تعالى: «**يا محمد! هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة**»؛ أي: في الأجر، والثواب.

هذا؛ ولم يذكر في هذه الرواية مجيئه إلى بيت المقدس، وفي رواية ثانية: فركبته ـ أي: البراق ـ حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، وصليت فيه ركعتين إماماً بالأنبياء، والملائكة، وأرواح المؤمنين.

وهنا يرد سؤال: كيف صلى النبي ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس؟ ثم وجدهم على مراتبهم في السموات، وسلموا عليه، ورحَّبوا به، وكيف تصح الصلاة من الأنبياء بعد الموت، وهم في الدار الآخرة.

والجواب: أما صلاته ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس؛ فيحتمل أن الله تعالى جمعهم له ليصلي بهم، وليعرفوا فضله، وتقدمه عليهم، ثم إن الله سبحانه وتعالى أراه إياهم في السموات على مراتبهم، ليعرف هو مراتبهم، وفضلهم. وأما صلاة الأنبياء، وهم في الدار الآخرة، فهم في حكم الشهداء، بل هم أفضل منهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ فالأنبياء أحياء بعد الموت. وأما حكم صلاتهم، فيحتمل: أنها الذكر والدعاء، وذلك من أعمال الآخرة فإن الله تعالى قال: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾. انتهى. خازن بتصرف كبير.

أقول: وكل ذلك بالأرواح لا بالأشباح، فإن أرواح الأنبياء غير أرواحنا، ولمكانة الرسول ﷺ عند ربه كشف عنه الحجب حتى التقت روحه الشريفة بأرواح الأنبياء عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام في الأرض، وفي السموات.

تنبيه: لقد قيل: إن إسراء الرسول ﷺ كان مناماً، وبالروح لا بالجسد، وهذا تردُّه النصوص الصحيحة الصريحة: أنه كان يقظة، وبالجسد، والروح معاً، ولو كان مناماً لما كانت فيه آية، ولا معجزة، ولما قالت له أم هانئ بنت عمه ـ رضي الله عنها ـ لا تحدث الناس، فيكذبوك، ولا فضل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بالتصديق، ولما أمكن قريشاً التشنيع، والتكذيب، وقد كذبوه فيما أخبر به حتى ارتد أقوام كانوا آمنوا، فلو كان بالرؤيا؛ لم يستنكر، وقد سأله بعض القرشيين عن أمور رآها في مسراه، فأخبرهم بها على وجهها الصحيح، وإذا كان هناك من يشك في قدرة الله تعالى بسبب ذهاب الرسول ﷺ إلى بيت المقدس، وعروجه إلى السماء، وعودته إلى بيته في ليلة واحدة، فلينظر إلى ما اخترع من طائرات نفاثة، وأقمار صناعية تجوب الفضاء ليلاً نهاراً، وتقطع المسافات البعيدة في مدَّة قصيرة من الزمن.

وجملة القول: إن الإسراء قد ثبت بهذه الآية الكريمة، فمن أنكره كان كافراً بالإجماع، وأما المعراج فقد ثبت بالأحاديث الصحيحة، وآيات النجم تشير إليه، فمن أنكره كان فاسقاً، بقي أن تعلم الوقت الذي حصلت فيه حادثة الإسراء، فالمعتمد: أنها حصلت قبل الهجرة بعام واحد، بعد وفاة خديجة ـ رضي الله عنها ـ التي كانت تواسيه بنفسها، وتنفس عنه كروبه، وهمومه.

الإعراب: ﴿سُبْحَانَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، كما رأيت في الشرح. وقال أبو عبيدة: انتصب على النداء، كأنه قال: يا سبحان الله، يا سبحان الذي. ولم يقله غيره.. وهو مضاف، و﴿الَّذِي﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو مِنْ إضافة اسم المصدر لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. ﴿أَسْرَىٰ﴾ ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى الذي، وهو العائد، والجملة صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِعَبْدِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَيْلًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر؛ أي: حال كونه مبتدئاً مسراه من المسجد. ﴿الْحَرَامِ﴾: صفة ﴿الْمَسْجِدِ﴾. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ﴾: متعلقان به، أو هما متعلقان بمحذوف حال أيضاً؛ أي: منتهياً إلى المسجد. ﴿الْأَقْصَا﴾: صفة ﴿الْمَسْجِدِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة ثانية. ﴿بَارَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿حَوْلَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لِنُرِيَهُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل

مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وذلك لنريه. ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل، والثاني: أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وعلى هذين الوجهين فالسميع خبر (إنَّ)، والثالث: أن يكون مبتدأ، و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: خبر ثان لـ: (إنَّ)، أو للمبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ...﴾ إلخ تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾

الشرح: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: أعطينا موسى التوراة. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى...﴾ إلخ: أي: جعلنا الكتاب. وقيل: جعلنا موسى هادياً لبني إسرائيل من الضلال. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ ويقرأ: (ألا يتخذوا). وانظر الإعراب يتضح لك المعنى. ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ أي: رباً غيري، تكلون إليه أموركم، والوكيل: من يوكل إليه الأمر، ويعتمد عليه في المهمات وانظر الآية [٥٤]. هذا؛ وقدَّر القرطبي الكلام كما يلي: كرمنا محمداً ﷺ بالإسراء، والمعراج، وأكرمنا موسى بالتوراة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ و«بني» أصله: بنين، حذفت النون للإضافة، وهو جمع ابن مأخوذ من البناء؛ لأن الابن مبنى أبيه، ولذلك ينسب المصنوع إلى الصانع، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو نبي الله يعقوب على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ومعناه بالعبريَّة صفوة الله، أو عبد الله، فـ: «إسرا» هو العبد، أو الصفوة، و«إيل» هو الله، ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقد ولد في حياة جده إبراهيم، وهو النافلة التي امتن الله بها على إبراهيم بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ ولقد وجدت في كثير من المراجع الموجودة عندي: أن يعقوب كان توأماً مع أخ له اسمه عيصو في بطن واحد، فعند خروجهما من بطن أمهما تزاحما، وأراد كل منهما أن يخرج قبل صاحبه، فقال عيصو ليعقوب: إن لم تدعني أخرج قبلك، وإلا خرجت من جنبها، فتأخر يعقوب شفقة منه على أمِّه؛ فلذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبَّارين، وسمي يعقوب لذلك، والله أعلم بحقيقة ذلك.

الإعراب: ﴿وَءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُوسَى﴾: مفعوله الأول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿سُبْحَٰنَ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾: ماض، وفاعله ومفعولاه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها،

وعلامة نصب ﴿هُدًى﴾ فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿لِّبَنِيٓ﴾: متعلقان بـ: ﴿هُدًى﴾، أو بمحذوف صفة له، وأجيز تعليقهما بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(بني): مضاف، و﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، أو للعلمية، والتركيب المزجي. ﴿أَلَّا﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: اعتبار (أن) بمعنى: «أي» مفسرة لما تضمنه الكتاب من الأمر والنهي. والثاني: اعتبار (لا) زائدة، والتقدير: مخافة أن تتخذوا. والثالث: اعتبار «أن» زائدة. وضعفه الجمل؛ لأن هذا ليس من مواضع زيادتها، وعلى هذا فالفعل ﴿تَتَّخِذُواْ﴾ مجزوم بلا الناهية على الوجه الأول والثالث، ومنصوب على الوجه الثاني، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية على الوجه الأول: مفسرة لا محل لها، وفي محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقلنا لهم: لا تتخذوا. هذا؛ وعلى وجه النصب، وهو الثاني: فتؤوَّل (أن) مع الفعل بمصدر في محل جر بالإضافة لمصدر محذوف يقع مفعولاً لأجله، التقدير: مخافة اتخاذكم. هذا؛ ويقرأ: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾ على (أن) ناصبة، و(لا): نافية، والفعل منصوب بـ: (أنْ)، و(أن) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف؛ إذ التقدير: لئلا يتخذوا، والجار والمجرور بعد السبك يتعلقان بالفعل (جعلنا). ﴿مِن دُونِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، ﴿وَكِيلٗا﴾: مفعول به ثان، فيكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف مفعول أول. هذا؛ وأجيز تعليقهما بـ: ﴿وَكِيلٗا﴾، أو بمحذوف حال منه.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾

الشرح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾: المعنى: يا ذرية من حملنا مع نوح كونوا كما كان نوح عليه السلام في العبودية، والانقياد، وفي كثرة الشكر لله تعالى، يفعل الطاعات، ويجتنب المعاصي والسيئات. هذا؛ ويقرأ ذرية بتثليث الذال، مع تشديد الراء والياء. وانظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد). ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ أي: إن نوحاً عليه السلام كان كثير الشكر لله. وقيل في شكره: إنه كان يسمي الله ويحمده في كل حالاته: من طعام، وشراب، ولباس، وكل حركاته، وسكناته. وانظر شرح (الشكر) في الآية رقم [٧ و٣٧] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. وانظر قصة نوح مع قومه في سورة (هود) عليه السلام وفي سورة (الأعراف). وفي الآية إيماء إلى أن جميع المخلوقات بعد نوح من ذرية الذين نجوا معه في السفينة، وهو ممَّا يؤيد: أن الطوفان عمَّ الأرض كلها.

الإعراب: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾: فيه أوجه: أحدها هو منادًى حذف منه أداة النداء؛ إذ الأصل: يا ذرية. والثاني: هو مفعول ثان للفعل ﴿تَتَّخِذُواْ﴾. وقيل: العكس أيضاً. والثالث: هو منصوب بفعل محذوف، تقديره: أعني، واعتبره الزمخشري منصوباً على الاختصاص، وليس هذا موضع الاختصاص، كما أجيز اعتباره بدلاً من ﴿وَكِيلًا﴾، فإعراب ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مرتبط بما قبله، ويختلف باختلاف القراءة في: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾. تأمل، وتدبر. هذا؛ وقرئ شاذاً برفعه على أنه بدل من واو الجماعة، أو خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز جره في العربية على البدل من (بني إسرائيل)، ولم يقرأ به أحد، و﴿ذُرِّيَّةَ﴾: مضاف، و﴿مَنْ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وهو يحتمل الإفراد والجمع، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي حملناه، أو الذين حملناهم، وهو أقوى. تأمل. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿نُوحٍ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّهُۥ﴾ حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَ﴾ ماض ناقص، واسمه يعود إلى نوح عليه السلام. ﴿عَبْدًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿شَكُورًا﴾ صفة عبداً، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر الذي رأيت تقديره في الشرح.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ...﴾ إلخ: أي: أعلمناهم، وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب: أنهم سيفسدون. انتهى. خازن. وقال البيضاوي: أوحينا إليهم وحياً مقضياً مبتوتاً. وقال قتادة: أي: حكمنا، فتكون ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: على، والمراد: بالكتاب: التوراة، وقرئ: (في الكتب) وعلى تفسير (قضينا) بحكمنا يكون المراد ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللوح المحفوظ. ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾: المراد في الأرض: أرض بيت المقدس، وما حوله، وإفسادهم في المرة الأولى هي مخالفة أحكام التوراة، وقتل زكريا عليه السلام، وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله. قيل: وقتل شعياء النبي. وإفسادهم في المرة الثانية: قتل يحيى بن زكريا، وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: أراد بالعلو: التكبر عن طاعة الله تعالى، والاعتداء على حرمات الناس، وحقوقهم، وما يتعلق به من بغي، وطغيان.

بعد هذا خذ شرح «قضى» بمعانيه المختلفة: قال الشيخ أبو منصور ـ رحمه الله تعالى ـ القضاء يحتمل الحكم؛ أي: ليحكم ما قد علم أنه يكون كائناً، أو ليُتم أمراً كان قد أراده، وما أراد كَوْنَه فهو مفعول لا محالة. انتهى. هذا؛ والمصدر: قضاء بالمد؛ لأن لام الفعل ياء؛ إذ أصل ماضيه «قضي» بفتح الياء، فقلبت ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها. ومصدره: «قضياً»

بالتحريك، كطَلَب طلباً، فتحركت الياء فيه أيضاً، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فاجتمع ألفان، فأبدلت الثانية همزة، فصار قضاءً ـ ممدوداً ـ.

وجمع القضاء أقضية كعطاء وأعطية، وهو في الأصل إحكام الشيء، وإمضاؤه، والفراغ منه، ويكون أيضاً بمعنى: الأمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ...﴾ إلخ وبمعنى: العلم، تقول: قضيت بكذا؛ أي: أعلمتك به، وبمعنى: الإتمام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وبمعنى: الفعل، قال تعالى حكاية عن قول السحرة لفرعون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ وبمعنى: الإرادة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وبمعنى: الموت، كقوله تعالى حكاية عن قول أهل النار: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ وبمعنى: الكتابة قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: مكتوباً في اللوح المحفوظ. وبمعنى: الفصل، قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وبمعنى: الخلق، قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ وبمعنى: بلوغ المراد، والأرب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ وبمعنى: وفيت الدين، كقولك: قضيْتُ ديني. انتهى. قسطلاني شرح البخاري بتصرف، وأضيف: أنه يكون بمعنى: أوصينا كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ الآية رقم [٦٦] من سورة (الحجر). وانظر ما ذكرته هناك في شرح (قَضَيْنَا). وقد أتى: قضى، وليقضوا بمعنى: ليزيلوا في الآية رقم [٢٩] من سورة (الحج).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ فإذا كان القضاء يحتمل هذه المعاني، فلا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي بقضاء الله؛ لأنه إن أريد به الأمر فلا خلاف أنه لا يجوز ذلك؛ لأن الله تعالى لم يأمر بها، فإنه لا يأمر بالفحشاء. وقال زكريا بن سلام: جاء رجل إلى الحسن، فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً، فقال: إنك قد عصيت ربك، وبانت منك، فقال الرجل: قضى الله ذلك عليَّ، فقال الحسن: وكان فصيحاً، ما قضى الله ذلك؛ أي: ما أمر الله به، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾: أصل الفعل: (تَعْلُو) معتل بالواو، فلما أُسند إلى واو الجماعة صار: (تَعْلُوُونَ) فاتصلت به نون التوكيد الثقيلة لوقوعه جواباً لقسم مقدر، فصار: (لَتَعْلُوُونَنَّ) فاستثقلت الضمة على الواو، فحذفت، فالتقى ساكنان، واو العلة، وواو الجماعة، فحذفت واو العلة، فصار (لَتَعْلُونَنَّ) فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال. فصار: (لَتَعْلُونَّ) فحذفت واو الجماعة لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على اللام لتدل عليها، فصار (لَتَعْلُنَّ) فأنت ترى أنه قد حذف منه حرفان: واو العلة، ونون الرفع، وضمير هو واو الجماعة، أما الفعل: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ فقد حذف منه حرف واحد، وهو نون الرفع، وواو الجماعة فقط؛ لأنَّه صحيح الآخر، وإذا أسند الفعل المعتل الآخر بالياء لواو الجماعة، يحذف منه أيضاً حرفان وضمير، أما إذا أسند الفعل المعتل

الآخر بالألف لواو الجماعة، فلا تحذف منه واو الجماعة، بل تبقى محركة بحركة مجانسة لها، مثل: «لَتَسْعَوُنَّ، وَلَتَخْشَوُنَّ»، ونحوهما.

الإعراب: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب (حَفِظْنَا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر). ﴿إِلَىٰ بَنِيٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه. وانظر الآية السابقة. ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بما قبلهما أيضاً وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من (نا)، وهو ضعيف، ولو قيل: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف؛ لكان أقوى وأولى، وجملة: ﴿وَقَضَيْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (آتينا...) إلخ لا محل لها مثلها. اللام: واقعة في جواب قسم مقدر، التقدير: والله، أو هي واقعة في جواب (قضينا)؛ لأنه ضمن معنى القسم، ومنه قولهم: قضى الله لأفعلن. ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون للتوكيد حرف لا محل له، والمفعول محذوف، التقدير: لتفسدن الأديان، ونحوها. هذا؛ ويقرأ بالبناء للمجهول، فتكون الواو نائب فاعله، وهي المفعول، ويقرأ بفتح التاء وضم السين، فيكون لازماً بمعنى: تفسد أموركم، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر، والقسم، وجوابه كلام في محل نصب مفعول به لـ (قضينا)، وإن كان جواباً لـ: (قضينا) فلا محل لها. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: نائب مفعول مطلق، وبعضهم يعتبره ظرفاً متعلقاً بالفعل قبله، فهو منصوب على الاعتبارين، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها. ﴿عُلُوًّا﴾: مفعول مطلق مبين لنوع الفعل. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: وقت أولى المرتين من فسادهم. ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: هم أهل بابل في العراق، وكان ملكهم بختنصر. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقال قتادة: أرسل الله عليهم جالوت فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد. وقيل: اسم الملك سَنْحَاريب من أهل نينوى. والمعتمد الأول. ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: طافوا بين الديار يطلبونهم، ويقتلونهم ذاهبين، وجائين. هذا؛ وقرئ: (فحاسوا) بالحاء المهملة، قال أبو زيد: الحوس، والجوس، والعوس، والهوس: الطواف بالليل. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: قضاء نافذاً لا خلف فيه، فقد قتلوا كبار بني إسرائيل، وسَبَوْا صغارهم، ونساءهم، وحرقوا التوراة، وخرَّبوا بيت المقدس، وكان عدد ما سَبَوْه سبعين ألفاً، ومئة ألف. انظر الآية رقم [١٤] من سورة (مريم) عليها السلام.

ومعنى ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحاب قوة وبطش شديد في الحرب. هذا؛ و﴿أُوْلِي﴾ بمعنى: أصحاب. وانظر الآية رقم [١٩] من سورة (الرعد) أيضاً، و«جاء» يكون لازماً؛ إذا كان بمعنى: حضر وأقبل كما في الآية الكريمة، ويكون متعدياً؛ إذا كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾.. إلخ.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءَ﴾: ماض. ﴿وَعْدُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿أُولَىٰهُمَا﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿بَعَثْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عِبَادًا﴾: مفعول به. ﴿لَّنَآ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿عِبَادًا﴾، والإضافة لله ليست للتشريف هنا، كما في الآية رقم [١] وإنما هي بمعنى: مقهورين، وتحت سيطرتنا. ﴿أُوْلِي﴾: صفة ثانية، أو هو حال من ﴿عِبَادًا﴾ بعد وصفه بما تقدم منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلِي﴾ مضاف، و﴿بَأْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة ﴿بَأْسٍ﴾، وجملة: ﴿بَعَثْنَا...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَجَاسُواْ﴾: ماض، والواو فاعله والألف للتفريق، ﴿خِلَٰلَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿خِلَٰلَ﴾: مضاف، و﴿ٱلدِّيَارِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿فَجَاسُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (إذا)، لا محل لها أيضاً. ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر يعود إلى مصدر الجوس، أو إلى ﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾. ﴿وَعْدًا﴾: خبر كان. ﴿مَّفْعُولًا﴾: صفة ﴿وَعْدًا﴾، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدولة والغلبة على من قتلكم، وسباكم، ونهب أموالكم، وذلك لمَّا تبتم إلى الله، وأطعتموه، وتم ذلك بقتل داود جالوت، أو بقتل غيره على الخلاف فيمن قتلهم. ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: قويناكم بالأموال، والأولاد؛ حتى عاد أمركم كما كان. ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أكثر عدداً، وأوفر جنداً.

هذا؛ و﴿ٱلْكَرَّةَ﴾: في الأصل مصدر، يقال: كر، يكر، كراً، وكرة. والكر، والكرة: الرجوع والرجعة. والمراد: به هنا: المرة من ذلك، والأموال: جمع: مال، قال ابن الأثير: المال في الأصل يطلق على ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى، ويملك

من الأعيان. وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها أكثر أموالهم. وقال الجوهري: ذكر بعضهم: أن المال يؤنث، وأنشد لحسَّان ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

الـمَـالُ تُـزْرِي بِـأَقْـوَامٍ ذوِي حَـسَـبٍ ... وَقَـدْ تُـسَـوِّدُ غَـيـرَ الـسَّـيِّـدِ الـمَـالُ

وعن الفضل الضبي: المال عند العرب الصامت والناطق، فالصامت: الذهب، والفضة، والجواهر. والناطق: هو البعير، والبقرة، والشاة، فإذا قلت عن حضري: كثر ماله؛ فهو الصامت، وإذا قلت عن بدوي: كثر ماله؛ فالمراد: الناطق. والنشب: المال الثابت، كالضياع، ونحوها، فلا يقال للمنقول من المال المذكور آنفاً، قال عمرو بن معديكرب الزبيدي ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

أمَـرْتُـكَ الـخَـيْـرَ فَـافْـعَـلْ مـا أُمِـرْتَ بـهِ ... فَـقَـدْ تَـرَكْـتُـكَ ذَا مَـال وذَا نَـشَـبِ

هذا؛ والنفير: فعيل بمعنى: فاعل مِنْ نفر، ينفر: إذا خرج مع قومه للحرب، ونحوه، وهم اسم جمع مثل: نفر، ورهط. وقيل: هو جمع: نفر مثل: عبد، وعبيد. هذا؛ والنفير أيضاً مصدر، يقال: نفرت الدابة، تنفر نفوراً، ونفاراً، ونفيراً مِنْ كذا، بمعنى: تباعدت. وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٥٣] من سورة (النحل). هذا؛ ، ولا تنس: أن الأفعال الثلاثة بمعنى: المضارع، وضعت موضع المستقبل لتحققه عبر عنها بالماضي، وهو مستعمل في القرآن الكريم بكثرة.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿رَدَدْنَا﴾: ماض، وفاعله. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿الْكَرَّةَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بالكرة، أو بمحذوف حال منها، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (إذا) وهو جملة: ﴿بَعَثْنَا...﴾ إلخ، والجملتان بعدها معطوفتان عليها، لا محل لهما مثلها. ﴿نَفِيرًا﴾: تمييز.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ أي: العمل، وعملتم بطاعة الله تعالى. ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: لها ثوابها، وجزاء إحسانها. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ أي: العمل، وعملتم بمعاصي الله تعالى. ﴿فَلَهَا﴾ أي: فعليها وبال إساءتها، فاللام الجارة بمعنى: «على» وهو مستعمل في الكلام العربي، نثره، وشعره، ثم هذا الكلام يحتمل أن يكون لبني إسرائيل في ذلك الوقت، ويكون على إرادة القول، ويحتمل أن يكون خطاباً لليهود في زمن النبي ﷺ، وأن يكون خطاباً لمشركي قريش. تأمل.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: وعد عقوبة المرة الثانية من إفسادهم. ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: بعثنا عليكم عدوًّا آخر، فيجعل وجوهكم حزينة، بادِياً عليها أثر المساءة، وقرئ: (ليسوء)،

فالفاعل يعود إلى العدو، أو لـ: (الله)، وقرئ: (لَيَسُوءَنَّ) باللام المفتوحة، ونون التوكيد مثقلة ومخففة. ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ أي: بيت المقدس. ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: في المرة الأولى. ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ أي: وليهلكوا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل إهلاكاً.

عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً، جسيم الخطر، عظيم القدر، فقال رسول الله ﷺ: «**هو من أجل البيوت، ابتناه الله لسليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ من ذهب، وفضة، ودرٍّ، وياقوت، وزمرد، وذلك أن سليمان بن داود لما بناه؛ سخر الله له الجن، فأتوه بالذهب، والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر، والياقوت والزمرُّد، وسخر الله له الجن، حتى بنوه مِنْ هذه الأصناف**».

قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ فقلت: يا رسول الله، وكيف أُخذت هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال: «**إن بني إسرائيل لمَّا عصوا الله، وقتلوا الأنبياء؛ سلط الله عليهم بختنصر، وهو من المجوس، وكان ملكه سبعمئة سنة، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا...﴾ إلخ، فدخلوا بيت المقدس، وقتلوا الرجال، وسبوا النساء، والأطفال، وأخذوا الأموال، وجميع ما كان في بيت المقدس، من هذه الأصناف، فاحتملوها على سبعين ألفاً، ومئة ألف عجلة حتى، أودعوها أرض بابل، فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل، ويستملكونهم بالخزي، والعقاب والنكال مئة عام.**

ثم إن الله عز وجل رحمهم، فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل، وأن يستنقذ مَنْ في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل، فاستنقذ مَنْ بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس، واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في بيت المقدس، وردَّه الله إليه، كما كان أول مرة. وقال لهم: يا بني إسرائيل! إن عدتم إلى المعاصي، عدنا عليكم بالسبي، والقتل، وهو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس، عادوا إلى المعاصي، فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر، وهو قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ...﴾ إلخ فغزاهم في البر، والبحر، فسباهم، وقتلهم، وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ جميع حلي بيت المقدس، واحتمله على سبعين ألفاً، ومئة ألف عجلة حتى، أودعه في كنيسة الذهب، فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي، فيرده إلى بيت المقدس، وهو ألف سفينة، وسبعمئة سفينة يرسى بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين». انتهى. قرطبي بحروفه. والله أعلم بالحقيقة.

الإعراب: ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَحْسَنتُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، والمفعول محذوف، انظر الشرح. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَحْسَنتُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم جواب الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل

لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿إِنْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، أو هو مستأنف، انظر الشرح. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾: مثل سابقه. الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لها): متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، التقدير: فلها إساءتها، والجملة الاسمية هذه في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٥] وجملة: ﴿جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ في محل جر بإضافة (إذا) إليها... إلخ. ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، وهو جواب (إذا)، انظر تقديره في الشرح، وجملة: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وُجُوهَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾ إعرابه مثل سابقه، ومعطوف عليه. الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿دَخَلُوهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله. ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و﴿أَوَّلَ﴾: مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾ مضاف إليه، و(ما) والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف يقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: ليدخلوا المسجد دخولاً كائناً مثل دخولهم أول مرة، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر، المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبوبه ـ رحمه الله تعالى ـ إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾: إعرابه مثل سابقه، ومعطوف عليه بعد التأويل. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: ليتبروا الذي علوه، وما كناية عن البلاد والعباد من بني إسرائيل، انظر الشرح وأجيز اعتبار (ما) مصدرية، ظرفية، تؤوَّل مع ما بعدها بمصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية، يتعلق بالفعل (يتبروا) ويكون مفعوله محذوفاً، وهو ضعيف. تأمل. ﴿تَتْبِيرًا﴾: مفعول مطلق. تأمل، وتدبر. وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: وهذا ممَّا أخبروا به في كتابهم، و﴿عَسَىٰ﴾ وعد من الله أن يكشف عنهم البلاء، وهي من الله واجبة. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: إلى الكفر، وارتكاب المعاصي. ﴿عُدْنَا﴾

أي: مرة ثالثة إلى عقوبتكم، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ، وقصد قتله، فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم، فقتل بني قريظة وأجلى بني النضير، وضرب الجزية على الباقين منهم، هذا لهم في الدنيا. ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبساً، لا يقدرون على الخروج منها، أبد الآبدين. وقيل: بساطاً كما يبسط الحصير في الأرض. وقيل: محبساً، وسجناً. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا؛ والمراد بـ: ﴿رَبُّكُمْ﴾ هنا: خالقكم، ورازقكم، ومحييكم، ومميتكم. هذا؛ والرب يطلق ويراد به: السيد، والمالك، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ...﴾ إلخ وقوله أيضاً: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا...﴾ إلخ. وقال الأعشى: [الكامل]

رَبِّـي كـريـمٌ لا يُـكَـدِّرُ نـعـمـةً وإذا تُـنُـوشِـدَ فـي الـمَـهَـارِقِ أَنْـشَـدَا

كما يقال: رب الدار، ورب الأسرة؛ أي: مالكها، ومتولي شؤونها. كما يراد به: المربي، والمصلح، يقال: ربَّ فلان الضيعة يربُّها: إذا أصلحها، والله سبحانه وتعالى مالك العالمين، ومربيهم، وموصلهم إلى كمالهم شيئاً فشيئاً، يجعل النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، ثم يجعل المضغة عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يصوره، ويجعل فيه الروح، ثم يخرجه خلقاً آخر، وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه وينشيه حتى يجعله رجلاً، أو امرأة كاملين. ولا يطلق الرب على غير الله تعالى إلا مقيداً بالإضافة، مثل قولك: رب الدار، ورب الناقة، ونحو ذلك. والرب: المعبود بحق، وهو المراد منه تعالى عند الإطلاق، ولا يجمع إذا كان بهذا المعنى، ويجمع إذا كان معبوداً بالباطل، قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام لصاحِبَي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ كما يجمع إذا كان بأحد المعاني السابقة، قال الشاعر: [الطويل]

هَـنِـيـئـاً لأَرْبَـابِ الـبُـيُـوتِ بـيـوتُـهُـمْ ولـلآكِـلـيـنَ الـتـمـرَ مَـخْـمَـسَ مَـخْـمَـسـا

وهو اسم فاعل بجميع معانيه، أصله: رابب، ثم خفف بحذف الألف، وإدغام أحد المثلين في الآخر. وانظر دركات النار في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر). هذا؛ و﴿حَصِيرًا﴾ إن كان اسم مكان؛ فهو جامد لا يلزم تذكيره، ولا تأنيثه، وإن كان بمعنى: حاصراً؛ أي: محيطاً بهم، وفعيل بمعنى: فاعل يلزم مطابقته، فكان يقال: حصيرة، ولم يؤنث. إما؛ لأنه على النسب كـ: «لابن» و«تامِر»، أو لحمله على فعيل بمعنى: مفعول، أو لأن تأنيث جهنم غير حقيقي، أو لتأويلها بمذكر كالسجن والحبس. انتهى. جمل. وينبغي أن تعلم أنه لم يرد لفظ ﴿حَصِيرًا﴾ في غير هذا الموضع من القرآن الكريم.

الإعراب: ﴿عَسَىٰ﴾: فعل ترج ناقص مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿رَبُّكُمْ﴾: اسم ﴿عَسَىٰ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ في محل نصب خبر ﴿عَسَىٰ﴾، وهو يصرف إلى اسم الفاعل أيضاً، فيكون التقدير: عسى ربكم راحماً لكم، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ هو مثل: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ﴾

و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿حَصِيرًا﴾ بعدهما، أو بمحذوف حال من حصيراً كان صفة له... إلخ، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿عُدْنَا﴾ لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾

الشرح: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: لما ذكر الله الإسراء؛ ذكر ما قضى في بني إسرائيل، وعليهم، وكان ذلك دلالة على نبوة محمد ﷺ، ثم بين: أن القرآن الذي أنزله عليه يهدي الناس إلى الطريقة التي هي أعدل الطرق وأصوبها، أو يهدي إلى الحال التي هي أقوم الحالات، وأحسنها. انتهى. بتصرف كبير. ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ: المراد بالأجر الكبير الجنة، وما فيها من نعيم لا ينفد وسعادة دائمة. هذا؛، ولا تنس: ما في الآية الكريمة من الاحتراس. انظره في الآية رقم [٩٧] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿يَهْدِى﴾: مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى القرآن، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿لِلَّتِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(التي): صفة لموصوف محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الاسمية: ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يَهْدِى...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة للمؤمنين، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، ولا تنس: أنَّ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ صفة لموصوف محذوف؛ إذ الأصل: الأعمال الصالحات، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجْرًا﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾ مؤخر. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة ﴿أَجْرًا﴾ و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن لهم.. إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو المصدر منصوب بنزع الخافض.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾

الشرح: المراد بهذه الآية: الكافرون الذين لا يعترفون بالحياة الآخرة بعد الموت، فهؤلاء لهم عذاب أليم في النار، والمراد: بـ: (الآخرة) الحياة الثانية التي تكون بعد الموت، ثم بعد الحساب،

والجزاء، ودخول الجنة والخلود فيها، أو دخول النار والخلود فيها، ومعنى ﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا لهم. هذا؛ و(عذاب) اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر: «تعذيب»؛ لأن الفعل عذَّب يعذِّب بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: سلام، وعطاء، ونبات لـ: «سَلَّم»، و«أعطى» و«أنبت»، و﴿أَلِيمًا﴾: بمعنى: مؤلِم، وموجِع. هذا؛ والتذكير في الآيتين لا يمنع دخول النساء في الوعد، والوعيد: فالكلام من باب التغليب، أو هنَّ ملحقات بالرجال في الجانبين.

الإعراب: ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف، (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم (أنَّ)، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَعْتَدْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به. ﴿أَلِيمًا﴾: صفته، وجملة: ﴿أَعْتَدْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على المصدر المؤول السابق. فيكون داخلاً في حيز البشارة، وفي ذلك تأويلان: أحدهما: أن المؤمنين بشروا ببشارتين: أجر كبير لهم على أعمالهم الصالحات، وتعذيب أعدائهم المكذبين باليوم الآخر، وما يتعلق به، والثاني: أن الكافرين بُشِّروا بعذاب أليم، وذلك على سبيل التهكم، والاستهزاء على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣] وعلى هذا فالعطف عطف مفرد على مفرد. هذا؛ وبعضهم يقدر فعلاً قبل المصدر؛ أي: ويخبر أن الذين لا يؤمنون... إلخ، وعليه فالعطف عطف جملة فعلية على مثلها.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ...﴾ إلخ: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له: اللهم أهلكه، ونحوه. ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أي: كدعائه ربه أن يهب له العافية من جميع أنواع البلاء، فلو استجاب الله له دعاءه على نفسه بالشر؛ لهلك، لكن بفضله لا يستجيب له في ذلك، وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [١١] من سورة (يونس) عليه السلام. وانظر الآية رقم [٧] من سورة (الرَّعد).

وقيل: نزلت الآية في النضر بن الحارث؛ الذي حدثتك عنه في الآية رقم [٣٢] من سورة (الأنفال). وقيل: دفع عليه الصلاة والسلام أسيراً إلى زوجه سودة لتحرسه، فبات يئنُّ، فرحمته لأنينه. فأرخت من كتافه، فلمَّا نامت هرب، فأخبرت النبي ﷺ فقال: «**قَطعَ اللهُ يَدَيْكِ**». ثم ندم، فقال ﷺ: «**إنِّي سَأَلْتُ الله تعالى أن يجعل دعائي على مَنْ لا يستحقُّ مِنْ أَهْلي رَحْمَةً؛ لأنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ، كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ**».

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ أي: طبعه العجلة، يسارع إلى كل ما يخطر بباله، لا ينظر إلى عاقبته. وقيل: أشار به إلى آدم عليه السلام حين نهض قبل أن تركَّب فيه الروح على الكمال، قال ابن

عباس - رضي الله عنهما -: لمَّا انتهت النفخة - أي: الروح - إلى سرته؛ نظر إلى جسده، فذهب لينهض، فلم يقدر. وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: لما دخلت الروح في عينيه؛ نظر إلى ثمار الجنة، فلمَّا دخلت جوفه؛ اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تدخل الروح رجليه عجلان، إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول الله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الآية رقم [٣٧] من سورة (الأنبياء). وقيل: المعنى: إنَّ الإنسان يؤثر العاجل؛ وإن قلَّ على الآجل وإن جلَّ. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١] من سورة (النحل) ففيها بحث جيد.

هذا؛ و«الإنسان» يطلق على الذكر، وعلى الأنثى من بني آدم، ومثلها كلمة: «شخص»: قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ومعلوم: أنَّ الله لم يقصد الذكور خاصة، والقرينة الآيات الكثيرة الدالة على أنَّ المراد الذكر، والأنثى، واللام في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إنَّما هي لام الجنس التي تفيد الاستغراق؛ ولذا صح الاستثناء من الإنسان في سورة العصر. هذا؛ وإنسان العين هو المثال الذي يرى فيها، وهو النقطة السوداء التي تبدو لامعة وسط السواد. وانظر جمع «الإنسان» في الآية [٦٠].

الإعراب: ﴿وَيَدْعُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يدعو): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل وهي محذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: فاعله. ﴿بِٱلشَّرِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من الإنسان. ﴿دُعَآءَهُۥ﴾: مفعول مطلق، وأصل الكلام: يدعو.. دعاءً مثل دعائه، فأقيم المضاف إليه مقام المضاف بعد حذفه، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾: متعلقان بالمصدر، والجملة الفعلية: ﴿وَيَدْعُ﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الإنسان الأول، والرابط: الواو، وإعادة صاحب الحال بلفظه، وهي على تقدير «قد» قبلها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ أي: علامتين على وحدانيتنا، ووجودنا، وكمال علمنا، وقدرتنا، والآية فيهما إقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم، وإدباره من حيث لا يعلم، ونقصان أحدهما بزيادة الآخر، وبالعكس أيضاً آية، وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل، قال تعالى في سورة (النور) الآية رقم [٤٤]: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: جعلنا الليل ممحو الضوء، مطموساً، مظلماً لا يستبان فيه شيء. هذا؛ والمحو: الإزالة ومنه الآية رقم [٣٩] من سورة (الرعد). ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: جعلنا شمسه مضيئة للأبصار فيكون المعنى: مُبْصَراً فيها بالضوء؛ لأن النهار لا يبصِرُ، بل يبصَرُ

فيه، فهو من إسناد الحدث إلى زمانه، فهو مجاز عقلي، مثل: ليله قائم، ونهاره صائم. وقيل: المراد بآية الليل وآية النهار: القمر، والشمس. وتقدير الكلام: جعلنا نيِّري الليل والنهار آيتين، أو جعلنا الليل والنهار ذَوَيْ آيتين. ﴿لِتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: لتتوصلوا بضوء النهار إلى استبانة أعمالكم، والتصرف في معايشكم. هذا؛ ولم يذكر السكون في الليل اكتفاء بما ذكر في النهار، وقد قال تعالى في الآية رقم [٦٧] من سورة (يونس) عليه السلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾. ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ أي: باختلاف الليل والنهار تعلمون ما تحتاجون إليه منه، ولولا ذلك؛ لما عرف أحد حساب الأوقات، ولتعطلت الأمور، ولو ترك الله الشمس، والقمر كما خلقهما؛ لم يعرف الليل من النهار، ولم يدر الصائم متى يفطر، ولم يعرف وقت الحج، ولا وقت الديون المؤجلة، وغير ذلك من المعاملات.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ أي: وكل شيء تفتقرون إليه من أمر دينكم، ودنياكم قد بيناه بياناً شافياً واضحاً غير ملتبس، وهو مثل الآية رقم [٨٩] من سورة (النحل). وانظر الآية [٤١] الآتية. وانظر الآية رقم [٥] من سورة (يونس) عليه السلام ففيها فضل زيادة. بعد هذا فالليل: واحد بمعنى: الجمع، واحدته: ليلة، مثل: تمر، وتمرة، وقد جمع على ليال، فزادوا فيه الياء على غير قياس، ونظيره: أهل، وأهال. والليل الشرعي: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، وهو أحد قولين في اللغة، والقول الآخر: من غروبها إلى طلوعها. هذا؛ والنهار: ضد الليل، وهو لا يجمع كما لا يجمع العذاب، والسراب، فإن جمعته قلت في الكثير: نُهُر بضمتين، كسحاب، وسُحُب. وأنشد ابن كيسان: [الرجز]

لولا الثريدانِ لَمُتْنَا بالضُّمُرْ ... ثريدُ ليلٍ وثريدٌ بالنُّهُرْ

وفي القليل: أنْهُر، والنهار: من طلوع الشمس، أو من طلوع الفجر ـ على ما تقدم في نهاية الليل ـ إلى غروب الشمس، وقد يطلق عليهما اسم اليوم، كما ستعرفه في الآية التالية. هذا؛ والليل يطلق على الحبارى، أو على فرخها، وفرخ الكروان، والنهار يطلق على فرخ القطا. انتهى. قاموس. وقد ألغز بعضهم بقوله: [الوافر]

إذَا شَهْرُ الصِّيامِ إِلَيْكَ وَافَى ... فَكُلْ ما شِئْتَ لَيلاً أَوْ نَهَارا

الإعراب: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به أول. ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف عليه. ﴿ءَايَتَيۡنِۖ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. وكذلك جملة: ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف

للتفريق. ﴿فَضْلًا﴾: مفعول به. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿فَضْلًا﴾ أو بمحذوف صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (جعلنا) الثاني. ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾: مثل سابقه في إعرابه وتأويله، والجار والمجرور معطوفان على ما قبلهما. وقال الجمل: متعلقان بكلا الفعلين؛ أي: لتعلموا بتعاقبهما، واختلافهما. ﴿عَدَدَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلسِّنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾: معطوف على ما قبله، واكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه من المعرفة، لا من العلم. ﴿وَكُلَّ﴾: منصوب على الاشتغال بفعل محذوف، يفسره المذكور بعده. وقيل: هو معطوف على (الحساب) وهو بعيد، و﴿وَكُلَّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه، ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مفسرة لا محل لها على الاعتبار الأول: في (كلِّ)، وفي محل نصب صفة له على الاعتبار الثاني: فيه. ﴿تَفْصِيلًا﴾: مفعول مطلق.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عمله، وما قدر عليه من خير، أو شر، وهو ملازمه أينما كان. وقال مجاهد: عمله، ورزقه، وما من مولود يولد إلا في عنقه ورقة فيها مكتوب شقي، أو سعيد. انتهى. وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء؛ لأنه موضع القلائد، والأطواق، والغل ممَّا يزين، أو يشين، وذكر الطائر لما هو سبب الخير، والشر من قدر الله وعمل العبد على طريق الاستعارة؛ لأنهم كانوا يتيمَّنون، ويتشاءمون بسنوح الطائر من جهة اليمين، أو من جهة الشمال على عادة الجاهلية.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾: هو كتاب طائره الذي كان في عنقه، وسجل فيه كل شيء عمله في الدنيا، من خير، أو شر. هذا؛ ويقرأ: (ويُخْرِجُ) و(يُخْرَجُ) و(يَخْرُجُ) والمعتمد قراءته بالنون لموافقته ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾. ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ أي: يجده مفتوحاً أمامه، ويكشف عنه الغطاء. هذا؛ ويقرأ بالبناء للمجهول، مع تخفيف القاف، وتشديدها، وهذا ﴿ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾. انظر الكهف رقم [٤٩].

قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: بُسِطت لك يا بن آدم صحيفة، ووكِّلَ بك ملكان، فهما عن يمينك، وشمالك، فأما الذي عن يمينك؛ فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك؛ فيحفظ عليك سيئاتك، حتى إذا مت؛ طويت عليك صحيفتك، وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة. انتهى جمل، كيف لا وربنا يقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؟!.

الإعـراب: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ هـو مـثـل: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال مِنْ ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾. ﴿وَنُخْرِجُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق به أيضاً، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿كِتَٰبًا﴾: مفعول به، وهو حال على بناء الفعل للمجهول، ورجوع نائب الفاعل إلى ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾. ﴿يَلْقَىٰهُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل يعود إلى (كُلِّ إنسانٍ)، والهاء مفعول به. ﴿مَنشُورًا﴾: حال من الضمير المنصوب، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿كِتَٰبًا﴾ ويحتمل أن يكون (منشوراً) صفة ثانية لكتاب، وجملة: ﴿وَنُخْرِجُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، وهي مستأنفة على بعض القراءات. تأمل.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ أي: يقال له ذلك، فيقرؤه كل واحد سواء أكان أمياً، أو غير أمي، عربياً كان أم أعجمياً، فيقرؤه بلسان فصيح، وعقل سليم. ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ...﴾ إلخ: أي: محاسباً. قال الحسن رحمه الله تعالى: عدل في حقك والله من جعلك حسيب نفسك. قيل: يقول العبد: إنك لست بظلام للعبيد. فاجعلني أحاسب نفسي. فيقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ...﴾ إلخ. وقال بعض الصلحاء: هذا كتابٌ، لسانك قلمه، وريقك مداده، وأعضاؤك قرطاسه، أنت كنت المملي على حفظتك، ما زيد فيه، ولا نقص منه، ومتى أنكرت منه شيئاً؛ يكون الشاهد منك عليك. هذا؛ ولم يؤنث ﴿حَسِيبًا﴾؛ لأنه بمنزلة الشاهد، والقاضي والأمين، وهذه الأمور يتولاها الرجال، فكأنه قيل: كفى بنفسك رجلاً حسيباً. ويجوز أن تؤوّل النفس بمعنى: الشخص، كما يقال: ثلاثة أنفس. وقيل: حسيب بمعنى: محاسب، كخليط، وجليس بمعنى: مخالط، ومجالس، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر الآية رقم [٤٩] من سورة (الكهف).

هذا؛ والمراد: بـ: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ في الآية يوم القيامة، وهو مقدار ألف سنة من أيام الدنيا، كما في الآية رقم [٤٧] من سورة (الحج)، وأما اليوم في الدنيا فهو: الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وهذا في العرف، وأما اليوم الشرعي، فهو من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس، كما يطلق اليوم على الليل، والنهار معاً، كما رأيت في الآية رقم [١٢] يراد به الوقت مطلقاً، تقول: ذخرتك لهذا اليوم؛ أي: لهذا الوقت، والجمع: أيام، وأصله: أيْوَام، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وجمع الجمع: أياويم، وأيام العرب: وقائعها، وحروبها، وأيام الله: نعمه، ونقمه، كما في الآية رقم [١٠٢] من سورة (يونس) عليه السلام والآية رقم [٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. ويقال: فلان ابن الأيام؛ أي: العارف بأحوالها، ويقال: أنا ابن اليوم؛ أي: أعتبر حالي فيما أنا فيه.

الإعراب: ﴿ٱقْرَأْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كِتَـٰبَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿كَفَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِنَفْسِكَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (نفسك): فاعل كفى مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. وقيل: متعلق بمحذوف حال. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿حَسِيبًا﴾: تمييز. وقيل: حال مِنْ (نفسك)، والأول: أعرف في مثل ذلك، وجملة: ﴿كَفَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِنْ فاعل ﴿ٱقْرَأْ﴾ المستتر؛ أي: اقرأ كتابك حال كونك مكتفياً بحساب نفسك. أو هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ .. عَلَيْهَا ۚ﴾ أي: إن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله، وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضاً، ولا يتعدى منه إلى غيره. انتهى. خازن، وملخصه: أن كل واحد إنما يحاسب عن نفسه لا عن غيره. وانظر الآية رقم [١٠٨] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وانظر شرح (ضل) في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل). ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾: يعني: لا تؤاخذ نفس بإثم أخرى، ولا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر، وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ بمعنى: لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الذنوب، والسيئات، وأما قوله تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [١٣]: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾ فهذا في حق الضالين المضلين، فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكل ذلك يُعَدُّ من أوزارهم، ليس فيها شيء من أوزار غيرهم، انظر تفسيرها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وأصل تزر: (تَوْزِر) لأن ماضيه: «وَزَرَ»، فحذفت الواو لوقوعها ساكنة بين عدوتيها، وهما: الياء والكسرة في مضارع الغائب (يَزِر) وتحذف من مضارع المتكلم، والمخاطب قياساً عليه، ولا أمر له فيما يظهر، ومصدره: وَزْر بفتح الواو، وكسرها، وهو بمعنى: الإثم، والثقل أيضاً. والوَزَر بفتح الواو، والزاي: الملجأ، والمستغاث. قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ومن المعنيين يؤخذ اسم وزير السلطان، فإنه يحمل ثقل دولته، ويلجأ إليه السلطان في المهمات، فيستشيره بذلك. ومعنى الآية: يتبرأ كل واحد من أوزار غيره، حتى إن الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة، فتقول: يا بني! ألم يكن حجري لك وطاء؟ ألم يكن ثديي لك سقاء؟ ألم يكن بطني لك

وعاء؟ فيقول: بلى يا أمه! فتقول: يا بني! إن ذنوبي أثقلتني فاحمل عني منها ذنباً واحداً، فيقول: إليك عني يا أُمَّهْ! فإني بذنبي عنك اليوم مشغول.

خذ قوله تعالى في سورة (المعارج): ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ وقوله جل ذكره في سورة (عبس): ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾.

تنبيه: عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**المَيِّتُ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بما نِيحَ عَلَيْهِ**». رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه، والنسائي إلا أنه قال «**بالنِّياحة عَلَيه**» فلا تعارض بين الآية والحديث، فإن الحديث محمول على ما إذا كان النوح من وصية الميت، وسنته، كما كانت الجاهلية تفعله، حتى قال طرفة بن العبد: [الطويل]

إذا مِـتُّ فـانْـعِـيـنـي بِـمَـا أَنَـا أَهْـلُـهُ وشـقِّـي عَـلَـيَّ الـجـيـبَ يـا ابـنـةَ مَـعْـبَـدِ

وذهب جماعة من أهل العلم ـ منهم داود الظاهري ـ إلى الأخذ بظاهر الحديث، وأنه إنما يعذب بنوح النساء؛ لأنه أهمل النهي عنه قبل موته، فيعذب بتفريطه بذلك.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ أي: لم نترك الخلق سدى، بل أرسلنا الرسل، وفي هذا دليل على أن الأحكام لا تثبت إلا بالشرع، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن العقل يقبح، ويحسن، ويبيح، ويحظر، ونص الآية يعطي احتمال عدم مؤاخذة الذين لم تصلهم رسالة، وهم أهل الفترات؛ الذين لم يرسل إليهم رسل، ومنهم مَنْ كانوا قبل النبي. ومجمل القول فيهم: أنهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من أدرك التوحيد، وعرف الله ببصيرته، فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله تعالى، ومنهم مَنْ لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم مَنْ دخل في شريعة حق قائمة الرسم كَتُبَّع، وورقة بن نوفل اللّذين تنصرا.

القسم الثاني: من غير، وبدل، وأشرك، ولم يوحد، وشرع لنفسه، وحلل، وحرم، وهم الأكثر من العرب، كعمرو بن لحي الخزاعي؛ الذي أدخل الأصنام إلى الكعبة، وأجبر الناس على عبادتها، وتقديسها.

القسم الثالث: وهم من لم يشرك، ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي، ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اخترع ديناً، بل بقي مدة عمره على حين غفلة، وهم أهل الفترة حقيقة، ومنهم عبد المطلب، ووالدا النبي ﷺ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٤] من سورة (طه).

الإعراب: ﴿مَّنِ﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود

إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَهْتَدِى﴾: مضارع مرفوع. . إلخ، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) موصولة، فالجملة بعدها صلتها، وهي مبتدأ، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى...﴾ إلخ خبرها، وزيدت الفاء في خبره لتحسين اللفظ، ولأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى الاعتبارين؛ فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. والجملة: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ مثلها في إعرابها، وهي معطوفة عليها، والجار والمجرور ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو ضعيف.

﴿وَلَا﴾: الواو: واو الحال. (لا): نافية. ﴿تَزِرُ﴾: مضارع. ﴿وَازِرَةٌ﴾: فاعله. ﴿وِزْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أُخْرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِنْ فاعل ﴿يَضِلُّ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط، وهي مؤكدة لمعنى ما قبلها، والاستئناف ممكن. تأمل. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كُنَّا﴾: ماض مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿مُعَذِّبِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف، تقديره: أحداً. . ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿نَبْعَثَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿مُعَذِّبِينَ﴾، وجملة: ﴿وَمَا كُنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

الشرح: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها: في معنى ﴿أَمَرْنَا﴾ قولان: فقال أكثر المفسرين: معناه: أمرهم بالطاعة، والأعمال الصالحة، وفعل الخير، فخالفوا ذلك الأمر، وفسقوا. والقول الثاني: أمرنا بمعنى: كثَّرنا فسّاقها، يقال: أَمِرَ القومُ إذا كثروا. وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: كنا نقول في الجاهلية للحيِّ إذا كثروا: أَمِرَ أَمْرُ بني فلان. قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [المنسرح]

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ ... قُلٌّ وإنْ أكْثَروا في العَدَدِ
إنْ يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا، وَإنْ أَمِرُوا ... يَوْماً يَصِيرُوا لِلْهُلْكِ والنَّكَدِ

وقرئ: (أَمَّرْنَا) بتشديد الميم؛ أي: سلطنا شرارها على ضعفائها، ففسقوا فيها وعصوا. وقال أبو عثمان النهدي: جعلناهم أمراء مسلطين. وقرئ: (أَمِرْنا) وهو يحتمل التكثير والتأمير، وفي حديث هرقل من قول أبي سفيان: «لقد أَمِر أمر ابن أبي كبشة»، وهو يحتمل العلو، والتأمير، ويحتمل الكثرة. هذا؛ والمترف: هو الذي أبطرته النعمة ورغد العيش. ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أي: خرجوا فيها عن طاعة الله إلى المعاصي، وتخصيص المترفين بالذكر؛ لأنهم أسرع إلى الحماقة، وأقدر على الفجور، ولأن غيرهم يتبعهم. انتهى. بيضاوي.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليها العقاب الموعود للفاسقين، والمجرمين. ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ أي: أهلكناها إهلاك استئصال بإهلاك أهلها، وتخريب ديارهم، وإن كان فيها بعض الصالحين، فإن العذاب يعمُّهم جميعاً. انظر الآية رقم [٦١] من سورة (النحل) ففيها بحث جيد، وعن أمِّ المؤمنين زينب بنت جحش: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً، يقول: «**لا إلَه إلَّا الله، ويْلٌ للعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قدِ اقتربَ! فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ، ومأجوجَ مِثْلُ هذهِ**». وحَلَّقَ بأُصْبَعَيْهِ الإبهامِ، والتي تَليها. قالَتْ زينبُ: قُلْتُ يا رسولَ الله! أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قالَ: «**نَعَمْ إذا كثُرَ الخَبَثُ**». متفق عليه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وأصل الفسق: الخروج عن القصد، والفاسق في الشرع: الخارج عن أوامر الله تعالى بارتكاب المعاصي، وله ثلاث درجات: الأولى: التغابي، وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إيَّاها، والثانية: الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها. والثالثة: الجحود، وهو أن يرتكبها مستصوباً إيَّاها؛ فإذا شارف هذا المقام، وتخطى خططه؛ خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر، وما دام في درجة التغابي، أو الانهماك، فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق؛ الذي هو مسمى الإيمان.

هذا؛ والقول يطلق على خمسة معان: أحدها: اللفظ الدال على معنى. الثاني: حديث النفس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾. الثالث: الحركة والإمالة، يقال: قالت النخلة؛ أي: مالت. الرابع: ما يشهد به الحال، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾. الخامس: الاعتقاد، كما تقول: هذا قول المعتزلة، وهذا قول الأشاعرة؛ أي: ما يعتقدونه. وانظر الكلام في الآية رقم [١٠٩] من سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿وَإِذَآ﴾: الواو: حرف استئناف (إذا أردنا): انظر الآية رقم [٥] والمصدر المؤول من: ﴿أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿أَمَرْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: (حفظنا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر). ﴿مُتْرَفِيهَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وها: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ جواب (إذا) لا محل لها. وقيل: الجملة صفة ﴿قَرْيَةً﴾، والجواب

محذوف، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، وجملة: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها أيضاً، وجملة: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ معطوفة أيضاً. وأيضاً جملة: ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾ معطوفة أيضاً. ﴿تَدْمِيرًا﴾: مفعول مطلق مؤكد للفعل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَمْ﴾: خبرية كناية عن عدد مبهم، وهي هنا بمعنى: كثير، والمعنى: أهلكنا كثيراً من القرون من بعد نوح، كعاد، وثمود، وغيرهم ممن لا يعلمه إلا الله تعالى، وإنما قال: ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ﴾؛ لأنه أول رسول كذبه قومه، ولذا لم يقل: من بعد آدم. وانظر ما جرى لنوح عليه السلام مع قومه مع سورة (الأعراف) وسورة (هود) عليه السلام. ﴿وَكَفَىٰ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٦٥] الآتية وقدم ﴿خَبِيرًۢا﴾ لتقدم متعلقه. وقال النسفي: خبيراً بذنوب عباده، وإن أخفوها في الصدور، بصيراً بها، وإن أرخوا عليها الستور. انتهى. وهما اسما مبالغة كما ترى. هذا؛ والآية فيها تهديد، وتخويف لكفار مكة.

هذا؛ و(ذُنوب) جمع: ذنب، وهو يطلق على مخالفة الله فيما أمر، أو فيما نهى عنه، وهو على درجات: منها الصغائر، ومنها الكبائر، وتفصيلها معروف في محالِّها. هذا؛ و(ذنوب) بضم الذال، وهو بفتحها بمعنى: النصيب. قال تعالى في سورة (الذاريات) رقم [٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ و«ذنوب» بفتحها الدلو العظيمة في الأصل. قال الراجز: [الرجز]

إنَّا إذَا شَارَبَنَا شَرِيبُ ... لَهُ ذَنُوبٌ ولنا ذَنُوبُ

فإنْ أبى كانَ لهُ القَلِيبُ

هذا؛ و﴿ٱلْقُرُونِ﴾ جمع: قرن بفتح القاف، وسكون الراء وهو مئة سنة على الصحيح. وقيل: ثمانون. وقيل: ثلاثون، ويقال: القرن في الناس أهل زمان واحد، وهو المراد في الآية الكريمة، ونحوها وقال الرسول ﷺ: «**خير القرون قرني...**» إلخ ومنه قول الشاعر: [الطويل]

إذا ذَهَبَ القَرْنُ الذي أَنْتَ فيهمُو ... وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ، فأنْتَ غَريبُ

وخذ قول لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ ينفعْكَ علمُكَ فانْتَسِبْ ... لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأوائِلُ

والقرن: بفتح القاف أيضاً: الزيادة العظيمة؛ التي تنبت في رؤوس بعض الحيوانات، ومنه: اسكندر ذو القرنين. والقرن: الجبل الصغير، وذؤابة المرأة من الشعر. والقرن: من القوم سيدهم، ومن السيف حده، ونصله. وجمعه في كل ما تقدم: قرون. هذا؛ وهو بكسر القاف، وسكون الراء: الكفؤ في الشجاعة، والعلم، ونحوهما، والجمع على هذا: أقران.

الإعراب: ﴿وَكَمۡ﴾: الواو: حرف استئناف. (كم): مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، وهي خبرية بمعنى: كثير. ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مِنۡ﴾ بيان لـ: (كم) وتمييز له، والتمييز في المعنى هو المجرور بـ: ﴿مِنۡ﴾، وبما أنه معرفة والتمييز لا يكون معرفة جر بالحرف. ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿ٱلۡقُرُونِ﴾، و﴿بَعۡدِ﴾: مضاف، و﴿نُوحٍۗ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ مثل: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ﴾ في الآية رقم [١٤] ﴿بِذُنُوبِ﴾: متعلقان بما بعدهما على التنازع، و(ذنوب) مضاف، و﴿عِبَادِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾: كلاهما تمييز لنسبة (كفى)، وجملة: ﴿وَكَفَىٰ﴾... إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾

الشرح: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ أي: الدار العاجلة، والمراد: بها: الدنيا. ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا﴾: أعطيناه طلبه وما يريده في هذه الدنيا من مال، وبنين، ومنصب، وجاه، ولكن هذا الإعطاء متوقف على مشيئتنا، وإرادتنا، فلا يجد كل متمن ما يتمناه، ولا كل واحد جميع ما يهواه. ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا﴾ أي: يحترق فيها. وفي المصباح: صَلِيَ بالنار، وصَلِيَها، صلياً من باب: تعب: وجد حرها، والصِّلاء وزان: كتاب: حر النار، وصليْتُ اللحم، أَصْليهِ من باب: رمى: إذا شويته. ﴿مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾: مطروداً من رحمة الله تعالى، وهذه صفة المنافقين الفاسقين، والمرائين المداحين، يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة، ولا يعطون في الدنيا إلا ما قسم لهم، وقد ذكرت لك في الآية رقم [١٥] من سورة (هود) عليه السلام: أن هذه الآية تقيد تلك الآيات المطلقة. وانظر شرح: «شاء، وأراد» في الآية رقم [٢] من سورة (النحل). وانظر دركات النار في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿مَّن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَّن﴾. ﴿يُرِيدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾. ﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿عَجَّلۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان فيه أيضاً. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً نشاؤه. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور بدل من ﴿لَهُۥ﴾ بدل بعض من كل، و(مَنْ) تحتمل الموصولة،

والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو لشخص نريده، وجملة: ﴿عَجَّلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا. بـ: «إذا» الفجائية، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَّن﴾ مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٥] ويجوز اعتبار ﴿مَّن﴾ موصولة كما في الآية المذكورة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿عَجَّلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿يَصْلَىٰهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾ أيضاً، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الضمير المجرور محلاً باللام، أو من ﴿جَهَنَّمَ﴾. ﴿مَذْمُومًا﴾: حال مِن الفاعل المستتر، فهي حال متداخلة. ﴿مَّدْحُورًا﴾: حال ثانية، والجملة الاسمية: ﴿مَّن كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: الدار الآخرة، وما فيها من النعيم المقيم. ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عمل لها عملها من الطاعات فيأتي بما أمر به، وينتهي عما نهي عنه. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: لأن الطاعات لا تقبل إلا من مؤمن، وهو احتراس، انظر الآية رقم [٩٧] من سورة (النحل). ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ أي: مقبولاً عند الله تعالى، وعن بعض السلف الصالح: من لم يكن معه ثلاث؛ لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب. وقيل: مشكوراً مضاعفاً؛ أي: تضاعف لهم الحسنات إلى عشر وإلى سبعين، وإلى سبعمئة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. هذا؛ وقد راعى لفظ (مَنْ) فيما تقدم، وراعى معناها في جمع اسم الإشارة.

الإعراب: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: انظر الآية السابقة، وجملة: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا﴾ معطوفة عليها. ﴿سَعْيَهَا﴾: مفعول مطلق. وقيل: مفعول به، وهو ضعيف، وها: في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في محل نصب حال مِنْ فاعل (سعى) المستتر، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معترضة لا محل لها، وهو أجود؛ لأن الغرض منها الاحتراس، كما رأيت في الشرح. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٥]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) موصولة فجملة:

﴿أَرَادَ...﴾ إلخ صلتها، والجملة الاسمية (أولئك..) إلخ في محل رفع خبرها، وزيدت الفاء في الخبر لتحسين اللفظ، ولأن الموصول يشبه الشرط في العموم.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿كُلًّا﴾ أي: كل واحد من الفريقين المذكورين. ﴿نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: من يريد العاجلة. ﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: من يريد الآخرة. ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ أي: نرزقهما جميعاً، ثم يختلف الحال بهما في المآل. ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي: ممنوعاً عن عباده. والمراد: بالعطاء: العطاء في الدنيا؛ إذ لا حظ للكافر في الآخرة، كما قال في الآية رقم [١٦] هود عليه السلام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ هذا؛ و﴿عَطَآءِ﴾ اسم مصدر، انظر الآية رقم [١٠].

الإعراب: ﴿كُلًّا﴾: مفعول به مقدم. ﴿نُّمِدُّ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب بدلاً من ﴿كُلًّا﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مِنْ عَطَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿عَطَآءِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَۚ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة اسم المصدر لفاعله، والكاف في محل جرٍّ بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَطَآءُ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه.. إلخ. ﴿مَحْظُورًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال مِنْ ﴿رَبِّكَ﴾، فلست مفنداً، والرابط: الواو، وإعادة لفظ ﴿رَبِّكَ﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿ٱنظُرْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل عاقل يتأتى منه النظر، والتبصر. ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾: بعض الناس، ﴿عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ أي: في المال، والولد، والصحة، والجاه، وغير ذلك من أمور الدنيا. ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: إن التفاضل، والتفاوت في الآخرة أعظم منه في الدنيا؛ لأن التفاوت فيها بالجنة، ودرجاتها، أو بالنار، ودركاتها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

روي: أن قوماً من أشراف قريش فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر - رضي الله عنه -، فخرج الإذن لبلال، وصهيب، ونحوهما، فشق على أبي سفيان، ذلك، فقال سهيل بن عمرو: إنما، أوتينا مِنْ قِبلنا، إنهم دعوا، ودعينا، يعني: إلى الإسلام، فأسرعوا، وأبطأنا، وهذا باب عمر، فكيف التفاوت في الآخرة؟ ولئن حسدتموهم على باب عمر؛ لَمَا أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر. انتهى. نسفي.

الإعراب: ﴿ٱنظُرْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال مِنْ (نا) تقدم على صاحبه وعامله، وهو معلق للفعل قبله عن العمل. ﴿فَضَّلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَعْضَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ٱنظُرْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: لام الابتداء. (الآخرة): مبتدأ. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿أَكْبَرُ﴾: مضاف، و﴿دَرَجَٰتٍ﴾: مضاف إليه. هذا؛ ويجوز اعتباره تمييزاً، ويؤيده نصب ما بعده، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿أَكْبَرُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿تَفْضِيلًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿وَلَلْآخِرَةُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وعطفها يخل بالمعنى. وقيل: هي في محل نصب حال.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ﴾.. إلخ: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: به أمته، أو كل أحد، وهو أولى. ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ أي: فتصير مذموماً من قبل الملائكة، والمؤمنين مخذولاً من الله تعالى، ومفهومه: أن المؤمن الموحد يكون ممدوحاً منصوراً. دليله قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ حيث ذكر الخذلان في مقابلة النصر.

قال الجمل: وحاصل ما ذكر في هذه الآيات من أنواع التكاليف خمسة وعشرون نوعاً، بعضها أصلي، وبعضها فرعي، وقد ابتدئت بالأصلي في قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ وختمت به أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٩]. انتهى نقلاً عن شيخه، ثم قال: وفي زاده: لما بين الله: أنَّ سعادة الآخرة منوطة بإرادتها، بأن يسعى سعيها، وبأن يكون مؤمناً؛ شرع في تفصيل هذه الأمور المجملة، فبدأ بشرح حقيقة الإيمان، وبيان ما هو العمدة فيه، وهو التوحيد، فقال: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، ثم ذكر عقبيه سائر الأعمال؛ التي يكون من عمل بها ساعياً في الآخرة. انتهى.

الإعراب: ﴿لَّا﴾: ناهية. ﴿تَجْعَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، ومع مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة له. الفاء: للسببية. (تقعد): مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: حالان من فاعل تقعد المستتر، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منك جعل مع الله إلهاً آخر فقعود... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿لَّا تَجْعَلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وعلى تفسير (تقعد) بـ: «تصير» يكون فعلاً ناقصاً يرفع، وينصب.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: أمر وألزم وأوجب. وانظر الآية رقم [٤] وقرئ: (وصَّى) و(أَوْصى أن لا تعبدوا إلا إياه). ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾: أمر الله سبحانه بعبادته، وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقروناً بذلك، كما قرن شكرهما بشكره، فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾: أو كلاهما: خص حالة الكبر؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف، والكبر، فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر ممَّا ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلّاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فذلك خصَّ هذه الحالة بالذكر.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، وعن أبي رجاء العَطَارِديِّ قال: الأفُّ: الكلام القَذَع الرديء الخفي. وقال مجاهد: معناه: إذا رأيت منهما في حال الشيخوخة الغائط والبول الذي رأياه منك في الصغر، فلا تقذرهما، وتقول: أف. وقال بعضهم: معنى: ﴿أُفٍّ﴾: الاحتقار، والاستقلال، أخذ من الأفف، وهو القليل، وروي من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ عَلِمَ اللهُ مِنَ العُقُوقِ شَيْئاً أَرْدَأَ مِنْ (أُفّ) لَذَكَرَهُ، فَلْيَعْمَل البَارُّ ما شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ؛ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، ولْيَعْمَل العَاقُّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ؛ فَلَنْ يَدْخلَ الجَنَّة**».

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: النهر: الزجر، والغلظة. ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليناً لطيفاً، مثل: يا أبتاه، ويا أماه من غير أن يسمِّيهما، ويكنيهما. هذا؛ والمراد: بالوالدين: الأب، والأم، ففيه تغليب الأب على الأم. وأيضاً في لفظ (الأبوين) تغليب، وفيه إشعار بتفضيل الأب على الأم، والذكر على الأنثى. هذا؛ ويقرأ: (يبلغانِّ) بتشديد النون المكسورة، وقرئ: (أف) بقراءات كثيرة.

قال أبو البقاء العكبري ـ رحمه الله تعالى ـ فمن كسر؛ بناه على الأصل، ومن فتح؛ طلب التخفيف، مثل: رب، ومن ضم؛ أتبع، ومن نون؛ أراد التنكير، ومن لم ينون؛ أراد التعريف، ومن خفف الفاء؛ حذف أحد المثلين. وانظر شرح (أحد) في الآية رقم [٣٢] من سورة (الكهف)، وشرح ﴿كِلْتَا﴾ في الآية التالية لها منها أيضاً، وكذا شرح كلا.

الإعراب: ﴿وَقَضَىٰ﴾: الواو: حرف استئناف. (قضى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة. مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَلَّا﴾: (أن) حرف تفسير. (لا): ناهية. ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾: مجزوم بـ: (لا) الناهية، هذا، أو هي حرف مصدري ونصب، و(لا) نافية والفعل منصوب بـ: (أن)،

وأجيز اعتبار (أن) مخففة من الثقيلة، والفعل مجزوم بـ: (لا)، وعلامة النصب، أو الجزم حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. فعلى اعتبار (أن) مفسرة فالجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها تفسير لـ: (قضىٰ)، وعلى اعتبارها مخففة فالجملة في محل رفع خبرها، واسمها ضمير الشأن محذوف، وتؤوَّل مع اسمها وخبرها بمصدر، كما تؤوَّل على اعتبارها حرفاً ناصباً بمصدر، والمصدر على التأويليين في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: قضى ربك بعدم عبادة غيره. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به. ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: متعلقان بفعل محذوف التقدير: وأن تحسنوا بالوالدين، وهما في محل مفعول به، وعلامة الجر بالياء؛ لأنه مثنى.. إلخ، ﴿إِحْسَٰنًا﴾: مفعول مطلق، والمصدر المؤول من «أن تحسنوا» معطوف على سابقه.

﴿إِمَّا﴾: أصلها: (إن ما) إن الشرطية مدغمة في (ما) الزائدة. ﴿يَبْلُغَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط، وعلى قراءة (يَبْلُغَانِّ) فهو مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والألف فاعله، والنون حرف لا محل له. ﴿عِندَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْكِبَرَ﴾: مفعول به. ﴿أَحَدُهُمَآ﴾: فاعل على القراءة الأولى، وبدل من ألف الاثنين على القراءة الثانية. وقيل: فاعل بفعل محذوف، وبعضهم يعتبر الألف حرفاً دالاً على التثنية، و﴿أَحَدُهُمَآ﴾ هو الفاعل، والمعتمد الأول: من الأوجه الثلاثة، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿كِلَاهُمَا﴾: معطوف على ما قبله مرفوع مثله، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بالمثنى، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وقل فيما يأتي مثل ذلك، وجملة: ﴿يَبْلُغَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي.

﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية. ﴿تَقُل﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّهُمَآ﴾: متعلقان به. ﴿أُفٍّ﴾: اسم فعل مضارع مبني على الكسر. وانظر، أوجه القراءات. وقيل: هو اسم بمعنى: تبًّا، أو قُبْحاً، والمعتمد الأول، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»؛ لأنه بمعنى: أتضجر، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَلَا تَقُل...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، وجملة: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ معطوفة على جواب الشرط، ﴿وَقُل﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّهُمَا﴾: متعلقان به. ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَرِيمًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿وَقُل...﴾ إلخ معطوفة على جواب الشرط أيضاً.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: تذلل للوالدين، وتواضع معهما تواضع الرعية للأمير، والعبيد للسادة. وضَرَب خَفْض الجناح، ونصبه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه للطيران، ففيه استعارة مكنية، فقد استعار الطائر للذل، ثم حذفه ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل يسمونه استعارة تخييلية، ومثله قول أبي ذؤيب الهذلي: [الكامل]

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظْفَارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

حيث أثبت الأظفار للمنية، وهي لا ترى، ولا تشاهد على طريقة الاستعارة التخييلية. وأيضاً قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

وغَداةَ رِيحٍ قدْ كَشَفْتَ وقُرَّةٍ ... إذْ أصْبَحَتْ بيدِ الشَّمَالِ زمامُها

فقد جعل للشمال يداً، وللقرة ـ أي: البرد ـ زماماً على مثال ما رأيت. هذا؛ ويقرأ الذل بضم الذال وكسرها. هذا؛ والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: المؤمنون من أمته؛ إذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت أبوان. هذا؛ ولم يذكر الذل في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذكره هنا بحسب عظم الحق وتأكيده، وتنزيهاً له ﷺ من الذل، انظر الآية [٨٨] من سورة (الحجر).

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك، وشدة شفقتك عليهما لافتقارهما إلى مَنْ كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، وهو الولد نفسه. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ أي: واسأل الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية، ولا تكتف برحمتك، وشفقتك الفانيتين. ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقاً لهما، وحناناً عليهما.

تنبيه: لقد بين الله في هاتين الآيتين مكانة الأبوين في الإسلام، وقد، أوصى ببرهما، ورحمتهما، والإشفاق عليهما، فنهى الولد عن أمرين، وأمره بثلاثة تجاه والديه، نهاه عن التضجر منهما، ونهرهما، وأمره بالتواضع لهما، والتذلل بين أيديهما، وأن يقول لهما قولاً ليناً لطيفاً، وأن يدعو لهما بالرحمة، والمغفرة لذنوبهما، وأن يعفو الله عنهما، ويدخلهما فسيح جنته، وقد وردت أحاديث شريفة تأمر ببرِّ الوالدين، ومثلها تنهى عن عقوقهما، أكتفي منها بما يلي:

عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَمْسَى، وَأَصْبَحَ مُرضِياً لِوَالِدَيهِ؛ أمْسَى، وأَصْبَحَ؛ ولَهُ بابانِ مَفْتُوحانِ إلى الجنة، وإن واحداً فواحداً، ومنْ أمسى وأصْبَحَ، مُسْخِطاً لِوَالِدَيهِ؛ أمْسَى وأَصْبَحَ، ولهُ بابانِ مفتوحانِ إلى النارِ، وإنْ واحداً فواحداً**». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! وإنْ ظلماهُ. قال: «**وإنْ ظَلَمَاهُ، وإنْ ظَلَماهُ، وإنْ ظلماهُ**».

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن أبي أخذ مالي. فقال: «**ائتني بأبيك**». فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فقال: إنَّ الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: إذا جاء الشيخ، فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه. فلما جاء فإذا هو شيخ يتوكأ على عصاه. قال له سيد الخلق وحبيب الحق: «**ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله؟**». فقال: يا رسول الله! إنه كان ضعيفاً؛ وأنا قوي، وكان فقيراً؛ وأنا غني، وكنت لا أمنعه شيئاً من مالي. واليوم أنا ضعيف، وهو قوي، وأنا فقير، وهو غني، ويبخل علي بماله، فقال رسول الله ﷺ: «**إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك؟**». فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي. قال: «**قل وأنا أسمع**». قال قلت: [الكامل]

غَذَوْتُك مولُوداً ومُنْتُك يافِعاً ... تُعَلُّ بما أجْني عليكَ وتَنْهَلُ
إذا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ ... لسُقْمِكَ إلَّا ساهِراً أتَمَلْمَلُ
كأنِّي أنا المطروقُ دُونك بالَّذي ... طُرِقْتَ به دُوني، وعيني تَهْمُلُ
تخافُ الرَّدَى نَفْسي عَلَيْكَ وإنَّها ... لَتَعْلَمُ أنَّ المَوْتَ وقتٌ مُؤَجَّلُ
فلما بلغتَ السنَّ والغايةَ التي ... إليها مَدَى ما كنتُ منك أومِّلُ
جَعَلْتَ جزائي غِلْظَةً وفَظاظَةً ... كأنك أنْتَ المنعمُ المتفضِّلُ
فليتَكَ إذ لمْ تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتي ... فَعَلْتَ كما الجار المجاورُ يَفْعَلُ
فأَوْلَيْتَنِي حقَّ الجِوارِ، ولَمْ تَكُنْ ... عليَّ بمالٍ دون مالك تَبْخَلُ
وسمَّيْتَني باسْمِ الْمُفَنَّدِ رأيُهُ ... وفي رأيكَ التفنيدُ لو كُنْتَ تَعْقِلُ

فبكى النبي ﷺ. وقال: «**ما مِنْ حجَرٍ، ولا مَدَرٍ يسمعُ بهذا إلا بَكى**». ثم أخذ بتلابيبِ الابن. وقال: «**أنت، ومالك لأبيك**».

بعد هذا أما الإحسان إلى الوالدين؛ فيعرفه كل واحد من الناس بفطرته، وهو أن يقوم المرء بخدمتهما، وأن لا يرفع صوته عليهما، وأن لا يغلظ في الكلام لهما، وأن يسعى في تحصيل مطالبهما، والإنفاق عليهما بقدر سعته. نعم إن البر بالوالدين أمر عظيم حث عليه الشرع الشريف واستحسنه الذوق، والطبع، ولكنهما كما تعلم ليسا في الدرجة سواء، فإن الأم قد كابدت في سبيلك، وتعبت أكثر من تعب الوالد وجهاده أضعافاً مضاعفة. لذا كانت جديرة ببر أعظم، وعطف أكبر، لذا جاء التنبيه عليها بقوله تعالى بعد أن أجمل الوصية بالوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ سورة (لقمان) رقم [١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ سورة (الأحقاف): رقم [١٥].

الإعراب: ﴿وَٱخْفِضْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَهُمَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿جَنَاحَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، والذل مضاف إليه. ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وأجيز تعليقهما بمحذوف حال مِنْ ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾، وجملة: ﴿وَٱخْفِضْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَلَا تَقُل...﴾ إلخ (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَّبِّ﴾: منادى. وانظر تفصيله في الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. ﴿ٱرْحَمْهُمَا﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُل...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿رَبَّيَانِي﴾: ماض، والألف فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿صَغِيرًا﴾: حال مِنْ ياء المتكلم، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: ارحمهما رحمة كائنة مثل تربيتهما لي في حال صغري، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال مِن المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة معينة، وهذا ليس منها. تأمل. هذا؛ وقيل: الكاف للتعليل، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ فيكون التقدير: ارحمهما لأجل تربيتهما لي.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ٢٥﴾

الشرح: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ﴾ أي: من بر الوالدين، واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما. ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ أي: أبراراً صادقين في برهما وطاعتهما. وقيل: قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير في حقهما، أو فرط منكم في حال الغضب، أو عند حرج الصدر، وما لا يخلو منه البشر ممَّا يؤدي إلى أذاهما، ثم أنبتم، واستغفرتم. ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ أي: للرجاعين، والتوابين. ﴿غَفُورًا﴾: يغفر لهم ما فرط منهم في حق أبويهم من تقصير، أو إيذاء، فقد وعد الله بالغفران بشرط الصلاح.

قال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ الأواب: هو العبد يتوب، ثم يذنب، ثم يتوب، ثم يذنب. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الأواب: هو الذي إذا ذكر خطاياه؛ استغفر منها. وقال عون العقيلي: الأوابون: هم الذين يصلون صلاة الضحى، يدل عليه ما روي عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء، وهم يصلون الضحى، فقال: «**صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال**». أخرجه مسلم. يريد: ارتفاع الشمس وقت الضحى. وقيل: الأواب: الذي يصلي بين المغرب، والعشاء. هذا؛ وقد ذكر الحافظ المنذري أحاديث كثيرة ترغب في الصلاة بين هذين الوقتين.

الإعراب: ﴿رَبُّكُمْ﴾ مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، وهو بمعنى: عالم، فاعله مستتر فيه. ﴿بِمَا﴾: متعلقان به، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿فِي نُفُوسِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَكُونُوا﴾: فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون. . . إلخ، وهو ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿صَٰلِحِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّهُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿رَبُّكُمْ﴾. ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿غَفُورًا﴾: خبر كان، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: بعد أن أمر الله تعالى ببر الوالدين أمر بإيتاء القرابات حقوقهم من صلة الرحم، والمودة، والزيارة، وحسن المعاشرة، والمعاونة في الضراء، والمؤالفة في السراء، والمعاضدة، ونحو ذلك. هذا؛ وأبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ يلزم الموسر نفقة أقاربه المعسرين؛ لأنه يورث ذوي الأرحام بعضهم بعضاً. وأما الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ فلا يلزم النفقة إلا إلى الفروع والأصول، ولا يرى توريث ذوي الأرحام. هذا؛ وقيل: إن الخطاب للنبي ﷺ أمره ربه أن يؤتي أقاربه حقوقهم من بيت المال، ويكون خطاباً للولاة، أو من قام مقامهم. وانظر الآية رقم [٩٠] من سورة (النحل). ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾: هو الذي لا يقوم دخله بكفايته، وهو أحسن حالاً من الفقير عند الشافعي، والعكس عند أبي حنيفة، وخذ تعريفه فيما يلي:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الذي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللقمتان، والتمرةُ والتَّمرَتَانِ، ولكن الْمِسْكِينُ الذي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنيه، ولا يُفْطَنُ له، فَيُتَصَدَّقَ عليهِ، ولا يقومُ فيَسْأَلُ النَّاسَ**». رواه البخاري ومسلم.

(ابن السبيل) أي: ابن الطريق المنقطع في سفره، ونفد ماله بأية طريقة كانت، فقد أمر الله الموسرين أن يعطوه ما يوصله بلده، ولو كان من أغنى الأغنياء في وطنه. ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ أي: لا تسرف في إنفاق المال بغير حق.

قال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ التبذير: إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير. وقيل: لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق؛ لم يكن مبذراً، ولو أنفق درهماً، أو مداً في باطل؛

كان مبذراً. والحق أن الآية رقم [٢٩] الآتية، والآية رقم [٦٧] من سورة (الفرقان) هما الدستور، والميزان للإنفاق.

هذا؛ وخص الله هذه الثلاثة بالذكر هنا من بين الأصناف الثمانية المذكورة في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة)؛ لأنه جلت قدرته أراد هاهنا بيان من يجب الإحسان إليه على كل مَنْ له مال، سواء أكان زكوياً، أو لم يكن؟ وسواء أكان قبل الحول أم لم يكن؟ لأن المقصود هنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم، وإن لم يكن للإنسان مال زائد، وإن لم يكن مالكاً للنصاب، والفقير داخل في المسكين؛ لأن من أوصى للمساكين بشيء يصرف إلى الفقراء أيضاً، وإذا نظرت إلى الباقين من الأصناف رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم. وقدم القريب؛ لأن دفع حاجته واجب، سواء أكان في مخمصة، أو لم يكن، فلذلك قدم على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة، وأما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع، فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع، وهو ابن السبيل. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي من سورة (الروم).

وينبغي أن تعلم أن ﴿ذَا﴾ بمعنى: صاحب، ويجمع جمع تكسير: (ذَوين، وذَوُونَ) وتحذف نونهما للإضافة، ويجمع على غير لفظه (أُولُون، وأُولِين) وهو كثير مثل: أولو الألباب.

الإعراب: ﴿وَءَاتِ﴾: الواو: حرف استئناف. (آت): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ذَا﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الألف؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذَا﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿حَقَّهُۥ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، أو فاعله. ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾: معطوف على المفعول الأول، و﴿وَٱبْنَ﴾: معطوف عليه أيضاً، و(ابن): مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: مضاف إليه وقد حذف المفعول الثاني: من كليهما، فإن التقدير: وآت المسكين حقه، وآت ابن السبيل حقه. وهذا مذكور في الآية رقم [٣٨] من سورة (الروم)، وجملة: ﴿وَءَاتِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وعطفها على جملة: ﴿فَلَا تَقُل...﴾ إلخ لا بأس به، فتكون الآية: ﴿رَّبُّكُمْ...﴾ إلخ كلاماً معترضاً بين المتعاطفين، وجملة: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿تَبْذِيرًا﴾ مفعول مطلق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: أمثالهم في الشر، والفساد؛ إذ التضييع، والإتلاف للأموال بغير حق شر، أو هم أصدقاء الشياطين، وأتباعهم؛ لأنهم يطيعونهم في

التبذير، والصرف في المعاصي، فقد كانوا ينحرون الإبل، ويقامرون بلحومها، ويبذلون أموالهم في حب السمعة، والشهرة، ويتباهون، ويتفاخرون في السخاء، والكرم، كما حصل لجد الفرزدق، ولمن باراه في ذلك. هذا؛ و(الإخوان) هنا جمع: أخ من غير النسب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ أي: جاحداً فضل الله تعالى، مبالغاً في الكفر، فلا ينبغي أن يطاع؛ لأنه يدعو إلى مثل عمله.

تنبيه: الإسراف، والتبذير يجريان في إنفاق المال في غير حق، وفي كل شيء خرج عن حد الطاعة، والقدرة، والحاجة من طعام، وشراب، ولباس وغير ذلك، فعن النبي ﷺ: أنه قال لسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وهو يتوضأ: ما هذا السرفُ؟ فقالَ: أَوَفِي الْوُضوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وإنْ كُنتَ على نَهْرٍ جَارٍ.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿كَانُوٓاْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿إِخْوَٰنَ﴾: خبر (كان) وهو مضاف، و﴿ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿كَانُوٓاْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف عطف. (كان): ماض ناقص. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: اسم (كان). ﴿لِرَبِّهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَفُورًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وهو الأقوى فيما يظهر. تأمل.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: في الآية الكريمة خطاب للنبي ﷺ، وفيها تأديب عجيب، وقول لطيف بديع؛ إذ المعنى: لا تعرض عن السائلين من ذوي القربى، والمساكين، وأبناء السبيل إعراض مستهين بهم عن ظهر الغنى، والقدرة، فتحرمهم، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض، وفقر يعوق، وأنت من ذلك ترجو من الله ـ سبحانه، وتعالى ـ فتح أبواب الخير؛ لتتوصل به إلى مواساتهم، وإعطائهم، فإن لم تجد فقل لهم قولاً ليناً جميلاً، وَعِدْهم وعداً تطيب به نفوسهم، وادع لهم دعاءً تنشرح به صدورهم، مثل: أغناكم الله ورزقنا الله وإياكم، وآية البقرة رقم [٢٦٣] فيها هذا الأدب، والقول اللطيف البديع إذا ألح السائل بالسؤال، وهي: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ ولقد أحسن من قال: [البسيط]

إلَّا يَكُنْ ورِقٌ يَوْماً أَجُودُ بِهَا ... لِلسَّائِلينَ فَإنِّي لَيِّنُ الْعُودِ

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيرَ مِنْ خُلُقي ... إمَّا نوالي وإمَّا حُسْنُ مَرْدُودِي

قال الخازن رحمه الله تعالى: نزلت في مهجع، وبلال، وصهيب، وسالم، وخباب، كانوا يسألون رسول الله ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه، ولا يجد، فيعرض عنهم حياء منهم، ويمسك عن القول، ومعنى: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: توقع مال، وانتظار رزق من الله يأتيك به. وانظر شرح «القول» في الآية [١٦].

الإعراب: ﴿وَإِمَّا﴾: هي (إن) الشرطية مدغمة في (لا) الزائدة. ﴿تُعْرِضَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط، والنون حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَنْهُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: مفعول لأجله، وهو مضاف، و﴿رَحْمَةٍ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، وأجيز تعليقهما بالفعل بعدهما، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿تَرْجُوهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، وها: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الفاعل المستتر، والرابط: الضمير فقط، وأجيز اعتبارها صفة لـ: ﴿رَحْمَةٍ﴾ والجملة الفعلية: ﴿تُعْرِضَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُل﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): أمر، وفاعله: أنت. ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان به. ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق. ﴿مَّيْسُورًا﴾: صفة، وجملة: ﴿فَقُل...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: في الآية الكريمة مجاز عبر به سبحانه عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه على إخراج شيء من ماله، فضرب له مثل الغل الذي يمنع مِنَ التصرف باليد، كما ضرب بسط اليد مثلاً لذهاب المال، فإن قبض اليد يحبس ما فيها، وبسطها يذهب ما فيها، وهذا خطاب للنبي ﷺ، وفيه تعليم لأمته إلى يوم القيامة.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: (أتى صبيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنَّ أمي تَسْتَكْسِيكَ دِرْعاً، ولم يكُنْ لهُ إلَّا قميصُهُ، فقال للصّبيِّ: «**من سَاعَةٍ إلى ساعَةٍ يظهرُ كذا، فعُد إلينا وقتاً آخرَ**». فعاد إلى أمِّهِ، فقالتْ له: قُلْ لهُ: إنَّ أمي تَسْتَكْسِيكَ الدِّرعَ الذي عَلَيْكَ، فدخل رسول الله ﷺ دارَهُ، ونزعَ قميصَهُ، وأعطاهُ، وقعدَ عُرياناً، فأذَّنَ بلالٌ بالصلاةِ، وانتظره، فلمْ يخرجْ، فشغَل قلوبَ أصحابِهِ، فدخل عليهِ بعضُهُم، فرآه عُرْياناً، فأنزل الله عز وجل هذه الآية). انتهى. خازن.

وفي صحيح البخاري، ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. قال: ضرَبَ رسولُ الله ﷺ مَثَلَ البخيل والمتصدق، كمثَلِ رجلَيْنِ عليهما جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قد اضطرتْ أيديَهُمَا إلى ثُدِيِّهِما

وتَراقيهما، فجعل المتصدقُ كلَّما تصدَّقَ بصدَقةٍ؛ انبسطتْ عنهُ حتى تَغْشَى أنامِلَهُ، وتعْفُو أثرهُ، وجعل البَخيلُ كلما هَمَّ بصدقةٍ قلصَتْ، وأخذتْ كلُّ حلْقةٍ بمكانِها. قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: فأنا رأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ بإِصْبَعَيهِ هكذا في جَيْبِه، فلَوْ رأيتَهُ يُوَسِّعُها، ولا تَتَوسَّعَ؛ أي: لعجبتَ. انتهى. قرطبي.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ أي: فتعطي كل ما عندك. ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ أي: فقيراً ملوماً عند الله وعند الناس بالإسراف، وسوء التدبير. ﴿مَّحْسُورًا﴾ أي: منقطعاً لا شيء عندك تنفقه. من: حسره السفر: إذا بلغ منه. وقيل: المعنى نادماً على ما فرط منك متحسراً.

قال القرطبي: وفيه بعدٌ؛ لأن اسم الفاعل من الحسرة: حَسِر، وحسران، ولا يقال: محسور. والله أعلم بمراده. هذا؛ وانظر الآية رقم [٦٧] من سورة (الفرقان) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَجْعَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَدَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿مَغْلُولَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَغْلُولَةً﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَقُل لَّهُمْ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَبْسُطْهَا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل: أنت، و(ها): مفعول به، ﴿كُلَّ﴾: نائب مفعول مطلق، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْبَسْطِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَتَقْعُدَ﴾: الفاء: الفاء السببية. (تقعد): مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَلُومًا﴾: حال من الفاعل المستتر، وإن اعتبرت الفعل ناقصاً بمعنى: تصير، فالمستتر اسمه و﴿مَلُومًا﴾ خبره. ﴿مَّحْسُورًا﴾: حال ثانية، أو خبر ثان، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منك بسط ليدك فقعودٌ ملوماً محسوراً. تأمل، وتدبر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾: يوسع الرزق لمن يشاء الله التوسيع عليه، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق الرزق، ويقلله على من يشاء من عباده. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ أي: ذو خبرة بعباده، ومن الذي يصلحه التوسيع في الرزق، ومن يفسده ذلك، ومن الذي يصلحه الضيق، والإقتار في الرزق، ومن الذي يهلكه ذلك. ﴿بَصِيرًا﴾: هو ذو بصر، ومعرفة بتدبير عباده، وسياستهم، فمن العباد من لا يصلح له إلا الغنى، ولو أفقره؛ لفسد، ومنهم مَنْ لا يصلح له إلا الفقر، ولو أغناه، لفسد.

هذا؛ وفي الآية الكريمة استعارة تمثيلية لمنع الشحيح وإعطاء المبذر، فقد شبه حال البخيل في امتناعه من الإنفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه، فهو لا يقدر على التصرف في شيء، وشبه

حال المبذر بحال من يبسط يده كل البسط، فلا يبقى على شيء في كفه، ولا يدخر شيئاً بنفعه في حال الحاجة، ليخلص إلى نتيجة مجدية، وهي: الاقتصاد في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، وقد طابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى؛ لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها، وغلها أبلغ في القبض، وخذ قول أبي تمام في مدح المعتصم العباسي: [الطويل]

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ

هذا؛ و﴿كَانَ﴾ في القرآن الكريم تأتي على أوجهٍ: بمعنى: الأزل، والأبد، وبمعنى: المضي المنقطع، وهو الأصل في معناها، وبمعنى: الحال، وبمعنى: الاستقبال، وبمعنى: «صار» وبمعنى: «ينبغي» وبمعنى: «حضر» أو «وجد» وترد للتأكيد، وهي الزائدة، وهي هنا بمعنى: الاستمرار، فليست على بابها من المضي، وإن المعنى: كان، ولم يزل كائناً إلى يوم القيامة. وإلى أبد الآبدين في الدنيا، والآخرة. هذا؛ وقد قال بعض المفسرين: في الآية تسلية للنبي ﷺ.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم إن، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَبْسُطُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكَ﴾. ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: مفعول به. ﴿لِمَن﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذا التقدير: للذي، أو لشخص يشاؤه، وجملة: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، والنهي السابقين، وجملة: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يَبْسُطُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. وانظر مثل إعراب: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ في الآية رقم [٣] والجار والمجرور: ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾ متعلقان بأحد الاسمين بعدهما على التنازع.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾: خوف الفقر، والفاقة، وأملق الرجل؛ أي: لم يبق له إلا الملقات، وهي الحجارة العظام الملس. ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾: هذا؛ وقال تعالى في سورة (الأنعام): ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ والفرق بينهما: أن ما هنا نهي للموسرين عن قتل الأولاد خشية وقوع الفقر بهم، وأن ما هناك نهي للمعسرين الفقراء عن قتل الأولاد من أجل فقر نازل بهم. ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: إثماً كبيراً يستوجب الخلود في جهنم. هذا؛ ويقرأ: ﴿خِطْـًٔا﴾ بقراءات كثيرة.

تنبيه: قتل الأولاد كان عملاً فاشياً عند العرب قبل الإسلام، ولكن يرد هنا سؤال، هل كان قتل الأولاد يقتصر على قتل البنات، أم يتعدى إلى الذكور؟ المشهور: أن عامتهم كانوا يكرهون

البنات. انظر ما ذكرته في الآيات الثلاث، رقم [٥٧] وما بعدها من سورة (النحل) تجد ما يسرك، وأما قتل الذكور، فكان قليلاً جداً، لا يقع إلا في حالات شدة المعيشة، والفقر المدقع؛ لأنهم كانوا يتكثَّرون بالذكور، ويعتزُّون بهم، كما هو معروف، ومشهور.

تنبيه: يكثر السؤال في هذه الأيام عن منع الحمل، بل وعن إسقاط الجنين باستعمال بعض العقاقير، والجواب يكون بعونه تعالى كما يلي: منع الحمل إذا كان على اتفاق بين الزوجين، ولسبب من الأسباب، كضعف الزوجة، وعجزها عن القيام بخدمة الأولاد، فهو من المباحات التي لا حرج فيها، وأما إذا كان هرباً من نفقات الأولاد، وتكاليف الحياة، فهو مكروه كراهة شديدة، وهو يدخل تحت قول الرسول ﷺ: «**الْعَزْلُ الوَأْدُ الخَفِيُّ**». وإسقاط الجنين بعد التخلق مكروه كراهة شديدة، ما لم يكن هناك خطر على الزوجة، كما يحدث في بعض الحالات، فهو من المباحات، وأما إسقاطه بعد نفخ الروح فيه، فهو قتل نفس، ويدخل تحت الوعيد الشديد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ الآية رقم [٩٣] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَقْتُلُوٓاْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَوْلَٰدَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿خَشْيَةَ﴾: مفعول لأجله، و﴿خَشْيَةَ﴾: مضاف، و﴿إِمْلَٰقٍ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: خشيتكم الإملاق. وجملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿نَّحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿نَرْزُقُهُمْ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن» والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب، وجملة: ﴿نَرْزُقُهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿نَّحْنُ...﴾ إلخ تعليل للنهي. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿قَتْلَهُمْ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: إن قتلكم إياهم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمها يعود إلى قتلهم. ﴿خِطْـًٔا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة ﴿خِطْـًٔا﴾ والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية تعليل آخر للنهي، وفيها معنى التأكيد لما قبلها.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾: نهي عن قربان جريمة الزنى، فضلاً عن اقترافها، والقاعدة: أن الأحكام إذا كانت نواهيَ، يقال فيها: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، كما في هذه الآية، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ وهكذا. وإن كانت، أوامر، يقال فيها: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ أي: لا تتجاوزوها بأن

لا تفعلوا، وما هنا من قبيل الأول، والآية الأخرى من قبيل الثاني، فكلٌّ جاء على ما يليق به وهو أبلغ من: لا تأتوه؛ لأنه يفيد النهي عن مقدمات الزنى، كاللمس، والقبلة، والنظرة، والغمزة بالمنطوق، وعن الزنى بمفهوم الأَوْلىٰ. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: فعلة قبيحة زائدة على حد القبح. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئس الطريق طريقة الزنى، وهو من الكبائر باتفاق جميع علماء المسلمين، لم تبحه شريعة من الشرائع، ولا ديانة من الديانات، وهو يشتمل على أنواع من المفاسد، منها: المعصية، وإيجاب الحد على نفسه، ومنها اختلاط الأنساب، فلا يعرف الرجل ولد من هو، وقد يلقى ولد الزنى في الطرقات، فلا يقوم أحد بتربيته، وذلك يوجب ضياع الأولاد، وانقطاع النسل، وهذا يسبب خراب العالم.

هذا؛ والزنى يكتب بالياء؛ لأنه مصدر زنى يزني، ويكتب بالألف على أنه اسم مقصور من الزناء بالمد، ويقول: هو زان بين الزنا، والزناء بالمد والقصر. قال الفرزدق: [الطويل]

أبا حاضر من يزن يعلم زناؤه ... ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

وقال الفراء: المقصور من زنى، والممدود من زانى، يقال: زاناها مزاناة، وزناء.

هذا؛ وقد وردت أحاديث كثيرة تشدد النكير على الزناة، والزواني، وتبشرهم بالعذاب الأليم والعقاب الشديد، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن... إلخ**». الحديث. رواه البخاري، ومسلم، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمانَ سِرْبَالٌ يُسْربلُهُ الله مَنْ يشاءُ؛ فإذا زنى العبدُ نَزَعَ منه سِرْبالَ الإيمانِ، فإنْ تابَ رُدَّ عليهِ**». رواه البيهقي وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قَعَدَ على فِراشِ مُغَيَّبَةٍ قَيَّضَ اللهُ لهُ ثعباناً يَوْمَ القِيامَةِ**». رواه الطبراني.

وعن المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزِّنى؟**». قالُوا: حرامٌ حرَّمَهُ اللهُ، ورسولُهُ، فهو حرامٌ إلى يوم القِيامَةِ، فقال: «**لأنْ يزنِيَ الرَّجُلَ بعشْرِ نِسْوةٍ أَيْسَرُ عليهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بامْرأةِ جارِهِ... إلخ**». الحديث رواه أحمد، والطبراني، وهذا النكير يشمل الذكر، والأنثى على السواء، كما أنَّ الترغيب في العفة والجزاء الحسن يشملهما، وخذ قول الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

عِفُّوا تَعِفَّ نساؤكم في المَحْرَمِ ... وتَجَنَّبُوا ما لا يَلِيقُ بِمُسْلِمِ
إنَّ الزِّنى دَيْنٌ فإنْ أَقرضْتَهُ ... كانَ الوفا مِنْ أهلِ بيتِكَ فاعْلَمِ
يا هاتكاً حُرَمَ الرجالِ وقَاطِعاً ... سُبُلَ المَوَدَّةِ عِشْتَ غيرَ مُكَرَّمِ
لو كُنْتَ حُرًّا من سُلالةِ طاهِرٍ ... ما كُنْتَ هَتَّاكاً لحرمةِ مُسلِمِ
مَنْ يَزْنِ يُزْنَ بهِ، ولَوْ بجدارِهِ ... إنْ كُنتَ يا هذا لَبِيباً فافْهَمِ

الإعراب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾: انظر: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾. ﴿الزِّنَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ تعليل للنهي، لا محل لها. ﴿وَسَآءَ﴾: الواو: حرف عطف. (ساء): فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر فسره التمييز، وهو ﴿سَبِيلًا﴾، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: ذلك الفعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: هي في محل نصب مقول القول لقول محذوف معطوف على خبر ﴿كَانَ﴾ التقدير: ومقولاً فيه: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: نهي عن قتل النفس بغير حق، وقتلها بحق يكون بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل شخص عمداً معصوم بالإيمان، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ إلَّا بإحْدى ثلاثٍ: الثَّيِّبُ الزاني، والنفسُ بالنفسِ، والتاركُ لدِينهِ، المُفارِقُ للجماعَةِ**». رواه الستة ما عدا ابن ماجه.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ أي: بغير سبب يوجب القتل. ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾: للذي يلي أمره بعد وفاته، وهو الوارث لماله، فهو يرث دمه أيضاً. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وقال جل ذكره: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيقتضي ذلك إثبات القَوَد لسائر الورثة. ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أي: تسليطاً، إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية. وانظر الآية رقم [٩٩] من سورة (النحل).

﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾: فيه ثلاثة أقوال: لا يقتل غير قاتله، لا يقتل بدل وليه اثنين، لا يمثل بالقاتل إذا تمكن الولي من قتله، وقد كان العرب في الجاهلية يفعلون الأمور الثلاثة، ولا تزال آثار الجاهلية فاشية في هذا الزمن، وعلى الأكثر عند أعراب البادية. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾: الضمير إما للمقتول، فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتل قاتله، وفي الآخرة بالثواب العظيم، وإما لوليه، فإن الله نصره حيث، أوجب القصاص له، وأمر الولاة بمعونته بالوصول إلى حقه.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قيل: وكم من ولي مخذول لا يصل إلى حقه، قلنا: المعونة تكون بظهور الحجة تارة، واستيفائها أخرى، وبمجموعهما ثالثة، فأيها كان؛ فهو نصر

من الله تعالى. انتهى. هذا؛ ويقرأ: (فلا تسرف) بالخطاب إلى الولي، وقرئ: (فلا تسرفوا) بالخطاب لأولياء المقتول، أو للحكام، وعلى هاتين القراءتين يكون في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، انظر الآية رقم [٢٢] من سورة (النحل).

هذا؛ وقد وردت أحاديث شريفة كثيرة تحذر من قتل النفس بغير حق، وتتوعد بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم من اقتراف جريمة القتل، وذلك إلى جانب الآيات القرآنية الكثيرة المعروفة، فعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قالَ: «**لَوْ أنَّ أهلَ السماءِ وأهلَ الأرْضِ اشتركوا في دَمِ مُؤْمِنٍ؛ لأكَبَّهُم الله في النارِ**». رواه الترمذي. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أعانَ على قَتْلِ مؤمنٍ بشَطْرِ كلمةٍ؛ لَقِيَ اللهَ مكتوباً بَيْنَ عَيْنَيهِ: آيس من رَحْمَةِ اللهِ**». رواه ابن ماجه، والأصبهاني. وعن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ من النارِ يتكلَّمُ، يقولُ: وُكِّلْتُ اليومَ بثلاثَةٍ: بكلِّ جبَّارٍ عنيدٍ، ومَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ، ومَنْ قَتَلَ نفساً بغيرِ حَقٍّ، فينطوِي عَلَيْهِمْ، فيقذِفُهُمْ في حَمْراءِ جَهَنَّمَ**». رواه أحمد.

ولم يبح الإسلام دماء غير المسلمين، بل حفظها، ونهى عن الاعتداء عليها بغير حق، بل وشدد النبي ﷺ النكير على من ينتهك حرمتها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قتَل معاهَداً لم يَرَحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ ريحَها يُوجَدُ مِن مَسِيرةِ أربعين عاماً**». رواه البخاري. وعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً في غَيْرِ كنْهِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجنةَ**». رواه أبو داود، والنسائي، ومعنى: في غير كنهه: في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له. وما ذكرته قليل من كثير.

الإعراب: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾: انظر الآية [٣١] ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ﴿ٱلنَّفْسَ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: التي حرمها الله. ﴿إِلَّا﴾ حرف حصر. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل (لا تقتلوا) أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ واو الجماعة، التقدير: إلا ملتبسين بالحق، وجملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَن﴾: الواو: واو الاعتراض. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قُتِلَ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، ونائب الفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿مَظْلُومًا﴾: حال مِنْ نائب الفاعل. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سُلْطَٰنًا﴾: مفعول به، وقيل: مفعول به أول، والثاني: قوله: ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ ولو قيل: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لكان أجود، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٥]. هذا؛ وإن

اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً فالجملة بعدها صلتها، وهي مبتدأ، والخبر جملة: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا...﴾ إلخ وزيدت الفاء في الخبر لتحسين اللفظ، ولأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (لا): ناهية. ﴿يُسْرِف﴾: مضارع مجزوم بها، والفاعل يعود إلى الولي. ﴿فِي الْقَتْلِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً للولي؛ فلا يسرف، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ لا محل لها؛ لأنها تعليل للنهي، والكلام ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا...﴾ إلخ معترض بين المتعاطفين.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ أي: فضلاً عن أن تتصرفوا فيه بالأكل والاستيلاء عليه. وانظر الآية [٣٢]. ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلا بالطريقة التي هي أحسن، وهي صلاحه وتثميره، وتحصيل الربح له، وهذا إذا كان القيم على مال اليتيم غنياً غير محتاج إليه، فلو كان الوصي، أو القيم فقيراً، فله أن يأكل بالمعروف. قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: فقد اختلف في الأشد على أقوال كثيرة، والمراد: بالأشد في هذه الآية وأمثالها هو ابتداء بلوغ الحلم مع إيناس الرشد، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ هذا؛ وتخصيص اليتيم بالذكر بالنهي عن أكل ماله، مع أن حال البالغ وماله كذلك؛ لأن طمع الطامعين فيه أكثر لضعفه، ولعظم إثمه، ولأن البالغ يستطيع الدفاع عن ماله ما أمكنه؛ لذا فقد عد الرسول ﷺ أكل مال اليتيم من السبع الموبقات. وخذ ما يلي: فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «اجْتَنبوا السبعَ الموبقاتِ. قالوا: يا رسولَ الله! وما هُنَّ؟ قالَ: «**الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وقتل النَّفْسِ التي حرَّمَ الله إلَّا بالحقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكْلُ مالِ اليَتِيم، والتَّولِّي يَوْمَ الزحْفِ، وقذْفُ المحْصَناتِ الغافِلاتِ المؤمناتِ**». رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي. وعن أبي برزة - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «**يُبْعَثُ يومَ القيامَةِ قَوْمٌ مِنْ قبورِهم تأَجَّجُ أفواهُهُمْ ناراً**». فقيل مَنْ هُمْ يا رسول الله؟! قالَ: «**ألم تَرَ أنَّ الله عَزَّ وجلَّ يقولُ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾». رواه أبو يعلى، وهذه الآية هي رقم [١٠] من سورة (النساء)، انظرها، ففيها بحث جيد يَسُرُّك.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ أي: بما عاهدكم الله به من تكاليفه، وأوامره، ونواهيه، أو ما عاهدتموه عليه، وقطعتموه على أنفسكم من نذر، ونحوه، أو عاهدتم أحداً من الناس. وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك. ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي: مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه، ويفي به، أو مسؤولاً عنه، يسأل الناقض للعهد، ويعاقب عليه، أو يسأل

العهد نفسه لم نُكِثْتَ؟ تقريعاً وتوبيخاً للناكث على حدِّ قوله تعالى في سورة (التكوير): ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ وذلك على طريق الاستعارة بالكناية بأن يشبه العهد بمن نكث عهده، ونسبة السؤال إليه تخييل. انتهى. جمل.

وأما ﴿ٱلْيَتِيمِ﴾ فهو من فقد أباه، أو أمه، أو فقدهما معاً، وقد يغلب أن يكون المراد: من فقد معيله من بني آدم، والأم من الحيوانات والطيور، وهناك يتيم العقل، والأدب، والتربية، والخلق، والدين. وهو أسوأ حالاً من الأول، وإن كان قد بلغ من العمر الخمسين، والستين، ويملك من الأموال الملايين، ورحم الله من قال: [البسيط]

لَيسَ اليَتِيمُ الذي قَدْ ماتَ والِدُه ... إنَّ اليَتِيمَ يَتيمُ العِلْمِ والأدبِ

وخذ قول الآخر: [الكامل]

لَيْسَ اليَتِيمُ من انْتَهى أبَواهُ مِنْ ... هَمِّ الحَياةِ وخَلَّفاهُ ذَليلا

إنَّ اليَتيمَ هُوَ الذي تَلْقَى لَهُ ... أمّاً تَخَلَّتْ، أو أباً مَشْغولا

هذا؛ وقد وردت أحاديث شريفة كثيرة توصي باليتيم، وتحث على الإحسان إليه، سأعرض لها في مناسبة أخرى تأتي بَعْدُ إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾: انظر: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟...﴾ إلخ في الآية [٣١] ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلَّتِى﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال؛ أي: لا تقربوه في حال مِن الأحوال، إلا بحال إصلاحه، وتثميره، ويجوز تعليقهما بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَبْلُغَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْيَتِيمِ﴾. ﴿أَشُدَّهُۥ﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَأَوْفُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون. . إلخ والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱلْعَهْدِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ تعليل للأمر، وإعرابها ظاهر إن شاء الله تعالى وقد تقدم مثلها، ومتعلق: ﴿مَسْـُٔولًا﴾ محذوف، التقدير: مسؤولاً عنه، وتقديره مقدماً أولى؛ ليجري فيه إعراب الآية الآتية برقم [٣٦].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥﴾

الشرح: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: إذا كلتم؛ أي: أتموا الكيل للناس إذا كلتم لهم، وأعطوهم حقوقهم كاملة. ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: بالميزان السوي صغيراً كان، أو كبيراً. قيل:

هو رومي. وقيل: سريانيٌّ عُرِّب، والأصح: أنه عربي مأخوذ من القسط، وهو العدل. قال تعالى في سورة (الأنعام): ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أجمل وأسلم عاقبة، ومآلاً، فهو من: آل، يؤول بمعنى: رجع، يرجع. وانظر شرح: ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) عليه السلام، وإعلال ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ مثل إعلال (مقيم) في الآية رقم [٤٠] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

تنبيه: اعلم: أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل، والميزان وقت الإعطاء، وزيادتهما وقت الأخذ شيء قليل، والوعيد المذكور في سورة (المطففين) وغيرها شديدٌ عظيم، فوجب الاحتراز عنه، وإنما عظم الوعيد فيه؛ لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات، والبيع، والشراء، فالشارع الحكيم بالغ في المنع في التطفيف، والنقصان سعياً وحرصاً على صحة المعاملات، ولا تنس: أن الله أهلك قوم شعيب بسبب هذه الجريمة مقرونة بالشرك، وعبادة غير الله تعالى. هذا؛ وأضيف: أن الله جلت قدرته قد قال في سورة (الأنعام) بعدَ الأمر بإيفاء الكيل والميزان: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وذلك لأن إيفاء الحق عسير، فكأنه تعالى يقول: عليكم بما في وسعكم، وطاقتكم، وما عداه غير مؤاخذين به، وخذ ما يلي:

قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: ذُكِر لنا: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَقْدِرُ رجلٌ على حرام، ثم يدَعُهُ، ليس لَدَيه إلَّا مخافةُ اللهِ تعالى؛ إلَّا أَبْدَلَهُ الله في عاجِلِ الدنيا قبلَ الآخِرَةِ ما هو خَيرٌ لهُ من ذلك**». انتهى. قرطبي.

فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والوزن: «**إنَّكُم قد وُلِّيتُم أَمراً، فيهِ هلكَتِ الأممُ السالفةُ قبْلَكُمْ**». رواه الترمذي، وفي حديث آخر مشهور: «**وَلَمْ يَنْقُصُوا المكيال، والميزانَ، إلَّا أُخِذُوا بالسِّنينَ، وشِدَّةِ المؤُونَةِ، وجَوْرِ السلطانِ عليهِمْ**».

الإعراب: ﴿وَأَوْفُوا﴾: أمر مبني على حذف النون.. إلخ. وانظر إعراب: (امضوا) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحجر)، والواو فاعله، والألف للتفريق.

﴿الْكَيْلَ﴾: مفعول به. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وهو أولى من اعتبارها شرطية محذوفة الجواب. ﴿كِلْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿وَأَوْفُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. وأيضاً جملة: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ معطوفة عليها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَأَحْسَنُ﴾: معطوف عليه. ﴿تَأْوِيلًا﴾: تمييز لأحدهما على التنازع، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ أي: لا تتبع ما لا تعلم، ولا يعنيك. قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: لا تقل: رأيت؛ وأنت لم تر، وسمعت؛ وأنت لم تسمع، وعلمت؛ وأنت لم تعلم. وأصل (القَفْو): البهت، والقذف بالباطل، ومنه قول النبي ﷺ: «**نحنُ بنُو النضرِ بنِ كِنَانَةَ، لا نقفُو أُمَّنَا، ولا نَنْتَفِي من أبِينَا**». أي: لا نَسُبُّ أمنا. وقال الكميت: [الوافر]

فَـلَا أَرْمِـي الْـبَـرِيءَ بِـغَـيْـرِ ذَنْـبٍ ... ولا أَقْـفُـو الـحَـواصِـنَ إنْ قُـفِـيـنَـا

وبالجملة فهذه الآية تنهى عن قول الزور، والقذف، وما أشبه ذلك من الأقوال الكاذبة، والرديئة.

فعن شَكَل بن حُمَيْدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت النبي ﷺ، فقلت: يا نبي الله علمني تعويذاً أتعوذ به. قال: فأخذ بيدي، ثم قال: قُلْ: «**أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ سَمْعِي، وشَرِّ بصري، وشَرِّ فؤادي، وشَرِّ لسانِي، وشَرِّ قلبي، وشَرِّ منِيِّي**». قال: فحفظتها. أخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي. وقال: حديث حسن غريب. ولا تنس: أن النهي موجه إلى النبي ﷺ، والمراد: به أمته بلا شك.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ أي: كل هذه الأعضاء تسأل يوم القيامة، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه، واعتقده، والسمع عما سمع، والبصر عما رأى. وقيل: يسأل الإنسان عما حواه سمعه، وبصره، وفؤاده، والأول: أبلغ في الحجة، وأشد في التقريع، والخزي، والذل. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. هذا؛ وقد جمع سبحانه وتعالى هذه الأعضاء بأولئك، وهو يغلب في العقلاء، فأجريت مجراهم؛ لأنها مسؤولة عن أحوالها، شاهدة على صاحبها، وحكى الزجاج: أن العرب تعبر عما يعقل، وعما لا يعقل بـ: «أولئك»، وأنشد هو والطبري قول جرير: [الكامل]

ذُمَّ الْـمَـنَـازِلَ بَـعْـدَ مَـنْـزِلَـةِ الـلِّـوى ... والْـعَـيْـشَ بَـعْـدَ أولـئِـكَ الأيَّـامِ

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَقْفُ﴾: مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ علم. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم ليس مؤخر، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة (ما)، أو

صفتها، والعائد، أو الرابط: هو الضمير المجرور محلاً بالباء، وجملة: ﴿وَلَا تَقْفُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: اسمها. ﴿وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾: معطوفان على السمع. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿أُولَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بالإضافة، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى كل واحد من البشر، أو إلى كل واحد من الجوارح المذكورة، أو إلى المكلف، انظر الشرح. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان بما بعدهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. وقيل: متعلقان بنائب فاعله، وهو مردود؛ لأن الفاعل، ونائبه لا يتقدمان، لذا فنائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ما عاد إليه المضمر في ﴿كَانَ﴾ وهو المفعول الأول، وهذا كله فحوى كلام ابن هشام في مغنيه. ﴿مَسْـُٔولًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿كُلُّ أُولَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والرابط: اسم الإشارة العائد إلى السمع، والبصر، والفؤاد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح، وهو الخيلاء، والكبر، والبطر، وقرئ ﴿مَرِحًا﴾: بفتح الراء وكسرها، والأول: أبلغ، فإن قولك: جاء زيد ركضاً، أبلغ من قولك: جاء زيد راكضاً. ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها. ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ أي: لا تقدر أن تطاول الجبال، وتساويها بكبرك.

والمعنى أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً، كمن يريد خرق الأرض، ومطاولة الجبال، لا يحصل على شيء. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: في الآية خطاب للنبي ﷺ، والمراد: به أمته على مثال ما تقدم، وفيها نهي عن الكبر، والتكبر، والخيلاء، وقد نهى الله عنه في كثير من الآيات القرآنية، وبين: أنه يكون سبباً في صرف العبد المتكبر عن قبول الحق، واتباع الهدى. قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. والرسول ﷺ شدد النكير على المتكبرين، وتوعدهم بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ تعظَّمَ في نفسِهِ، أو اختالَ في مِشْيَتِهِ لَقِيَ الله تباركَ وتعالى، وهو عليهِ غَضْبَانُ**». رواه الطبراني في الكبير. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ، تعجبُهُ نفسُهُ، مرَجِّلٌ رأسَهُ، يختالُ في مِشْيتِهِ؛ إذْ خَسَفَ الله بهِ، فهوَ يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ الْقِيامَةِ**». رواه الشيخان. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تواضعَ للهِ درجةً؛ يرفعُهُ الله دَرَجةً حتى يجعلَهُ في أعلى عِلِّيِّين، ومَن تكَبَّرَ على اللهِ درجةً؛ يضعُهُ الله درجةً حتى**

يجعلَهُ في أسفلِ سافلينَ، وَلَوْ أنَّ أحَدَكُمْ يعملُ في صخرةٍ صَمَّاءَ، ليس عليها بابٌ، ولا كوَّةٌ؛ لخرجَ ما غيَّبَهُ لِلنَّاسِ كائناً ما كَانَ». رواه ابن ماجه وابن حبان. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله جل وعلا: الكِبرياءُ رِدَائِي، والعظمةُ إزَاري، فَمَنْ نازَعني واحداً منهما ألقيْتُهُ في النارِ».** رواه ابن ماجه، وخذ قول الشاعر: [الطويل]

تـواضَـعْ تَـكُـنْ كـالـنجـمِ لاحَ لِـنَـاظِـرٍ ... عـلـى صَـفَـحـاتِ الـمـاءِ وَهْـوَ رَفِـيـعُ
ولا تـكُ كـالـدُّخَـانِ يـعـلـو بـنـفـسِـهِ ... إلـى طـبـقـاتِ الـجـوِّ، وهْـوَ وضـيـعُ

وخذ قول الآخر: [الطويل]

ولا تَـمْـشِ فـوقَ الأرضِ إلا تـواضـعـاً ... فَـكَـمْ تَـحْـتَـهـا قـوْمٌ هُـمُ مـنـكَ أَرْفَـعُ
وإن كـنـتَ فـي عِـزٍّ وحِـرْزٍ ومـنْـعَـةٍ ... فـكـمْ مـاتَ مِـنْ قَـوْمٍ هُـمُ مِـنـكَ أَمْـنَـعُ

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَمْشِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «أنت». ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَرَحًا﴾: نائب مفعول مطلق، أو هو حال مِن الفاعل المستتر على حذف المضاف، التقدير: ذا مرح. وقال أبو البقاء: مفعول لأجله، وليس بالقوي، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَن﴾: حرف ناصب. ﴿تَخْرِقَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة: ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿طُولًا﴾: تمييز محول عن الفاعل، التقدير: ولن يبلغ طولك الجبال، أو هو محول عن المفعول مثل: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ فيكون التقدير: ولن تبلغ طول الجبال، وهو أولى، وأجاز أبو البقاء اعتباره حالاً من الفاعل، أو المفعول، ومفعولاً مطلقاً من معنى ﴿تَبْلُغَ﴾ والأول: أولى. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة فيما تقدم، واسم الإشارة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يصلح للواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث. ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾: المراد منه: المنهي عنه فيما تقدم، وأما المأمور به، فلا يكون سيئاً. هذا؛ وقرئ (سيئة) والقراءتان سبعيتان. ﴿مَكْرُوهًا﴾: مبغوضاً محرماً معاقباً عليه، والمراد: به المنهيات، وعلى قراءة: (سيئة) يكون قد راعى فيه معنى ﴿كُلُّ﴾ وفي: ﴿مَكْرُوهًا﴾ يكون راعى لفظها. وهو التذكير.

الإعراب: ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ. وهو مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿سَيِّئُهُۥ﴾: اسم كان، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿مَكْرُوهًا﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَكْرُوهًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وعلى قراءة: (سيئةً) بالنصب فهو خبر كان، واسمها ضمير مستتر يعود إلى ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾، ويكون ﴿مَكْرُوهًا﴾ بدلاً من (سيئةً) أو صفة لها محمولة على المعنى، فإنها بمعنى: سيئاً؛ ويجوز أن ينتصب على الحال مِن اسم ﴿كَانَ﴾ المستتر، أو من الضمير المستتر في الظرف، على أنه متعلق بمحذوف صفة (سيئةً).

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ...﴾ إلخ: الإشارة إلى هذه الآداب، والقصص، والأحكام التي تضمنتها هذه الآيات المتقدمة؛ التي نزل بها جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ على قلب سيد المرسلين ﷺ، والأحكام المذكورة شرائع واجبة الرعاية في جميع الأديان، والملل، لا تقبل النسخ والإبطال، فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار، وكرر سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ...﴾ إلخ للتنبيه على أنَّ التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، فإنَّ مَنْ لا إيمان له بالله لا يقبل منه عمله، ومن قصد بفعله، أو تركه غير الله ضاع سعيه، وخاب أمله. و﴿مَلُومًا﴾: تلوم نفسك على اتخاذك إلهاً غير الله، وهذا في الآخرة. وانظر الآية رقم [٢٩]. ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطروداً، ومبعداً من رحمة الله. وانظر الآية رقم [١٨].

هذا؛ وقد قال الخازن: والفرق بين المذموم والملوم، أما كونه مذموماً: فمعناه: أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح، ومنكر، فهذا معنى كونه مذموماً، يقال له: لم فعلت هذا الفعل القبيح؟ وما الذي حملك عليه؟ وهذا هو اللوم. والفرق بين المخذول، والمدحور: أن المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له، والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير. انتهى.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مِمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(مِنْ) للتبعيض، فهي تفيد: أن الموحى إلى النبي ﷺ في هذه السورة قليل من كثير، وهو الواقع، والحق. ﴿أَوْحَىٰٓ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان به. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: من

الذي، أوحاه. . .إلخ، واعتبار (ما) موصوفة ضعيف هنا. ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المنصوب المحذوف، وأجيز اعتبارهما متعلقين بمحذوف خبر ثان للمبتدأ، ومتعلقين بالفعل، أوحى، وبدلاً من ﴿مِمَّآ﴾ والأول: هو الذي أعتمده، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معترضة بين المتعاطفات، وهو أولى. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَجْعَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) والفاعل تقديره: «أنت». ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و(مع) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة إلهاً. وقيل: ﴿مَعَ﴾ متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني: لـ: (تجعل) و﴿إِلَٰهًا﴾ هو المفعول الأول: وهو ضعيف. ﴿فَتُلْقَىٰ﴾: الفاء: للسببية في جواب النهي. (تلقى): مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ حالان من نائب الفاعل المستتر، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منك جعل الله شريكاً في العبادة فإلقاء لك في جهنم، وجملة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم...﴾ إلخ: توبيخ، وتقريع لمشركي العرب؛ إذ المعنى: أفخصكم الله بأفضل الأولاد، وهم البنون، فجعل لكم الصفوة، ولنفسه ما ليس بصفوة؟! لأنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، مع علمهم بأن الله منزه عن النقص، وموصوف بالكمال الذي لا نهاية له، وهو دليل واضح على شدة جهلهم؛ ولذا قال جل شأنه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ أي: تفترون على الله الكذب، وهو جرم كبير، وذنب عظيم. وانظر الآية رقم [٥٧] من سورة (النحل) وما بعدها؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أصفاكم): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿رَبُّكُم﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة محذوفة؛ إذ التقدير: أفضلكم، فأصفاكم. أو هي مستأنفة، انظر سورة (النحل) [١٧] ﴿وَٱتَّخَذَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبُّكُم﴾، وهو ينصب

مفعولين، الأول: ﴿إِنَٰثًا﴾، والثاني: محذوف، تقديره: أولاداً. ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿إِنَٰثًا﴾، كان صفة، فلما قدم عليه صار حالاً. وقال الجمل نقلاً عن السمين: هما المفعول الثاني: قدم على الأول، والأول: أقوى، وجملة: ﴿وَٱتَّخَذَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي في محل نصب حال مِنْ ﴿رَبُّكُم﴾، والرابط: الواو، والضمير. ويجب تقدير «قد» قبلها. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. اللام: هي المزحلقة. (تقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق. ﴿عَظِيمًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: كررنا، والمفعول محذوف؛ أي: كررنا أمثاله ومواعظه، وقصصه، وأخباره، وأوامره تارةً من جهة المقدمات العقلية، وتارةً من جهة الترغيب والترهيب، وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين. أو المعنى: بينا في هذا القرآن ما يحتاجه الناس في دنياهم من العقائد، والأحكام، والمواعظ، والحلال والحرام، والقصص، والوعد، والوعيد، والمحكم، والمتشابه، والحدود، والأمثال، وغير ذلك، كما قال بعضهم ذاكراً ما اشتمل عليه القرآن الكريم. [الطويل]

حَلالٌ حَرَامٌ مُحْكَمٌ مُتَشَابِهٌ بَشِيرٌ نَذِيرٌ قِصَّةٌ عِظَةٌ مَثَلْ

هذا؛ وفي (الأنعام) وغيرها ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾. ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: ليتعظوا، وقرئ بالتخفيف هنا وفي سورة (الفرقان) بمعنى: الذكر. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: التصريف، والتذكير. ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: إلا تباعداً عن الحق، وغفلةً عن النظر، والاعتبار، وذلك؛ لأنهم اعتقدوا في القرآن: أنه حيلة، أو سحر، أو كهانة، أو شعر.

هذا؛ وزاد، يزيد ضدُّ: نقص، ينقص، يكون لازماً، كقولك: زاد المال درهماً، ويكون متعدياً لمفعولين كما في الآية الكريمة، وقولك: زاد الله خالداً خيراً، بمعنى: جزاه الله خيراً، وأما قولك: زاد المال درهماً والبر مدّاً، فدرهماً، ومُدًّا: تمييز، ومثله قل في نقص، فمن المتعدي لمفعولين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم.

هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف. ويعتبران الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف، ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم، والمقسم به،

ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو وأقسم والله. اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: موطئة للقسم، والموطئة معناها: المؤذنة، وهذه اللام إنما تدخل على «إنْ» الشرطية لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر)، افهم هذا؛ واحفظه فإنه جيد.

فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم. فالجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ فإن التقدير: ورب الشمس، ورب السماء. الدليل على ذلك التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٣] من سورة (الذاريات) وحذف المقسم به ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية رقم [٧١] من سورة (مريم). وأظهر في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية رقم [٧٣] من سورة (المائدة)، فالواو في الآيتين حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب.

(قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿صَرَّفْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب (حفظنا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر)، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية: ﴿صَرَّفْنَا...﴾ إلخ جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فِى﴾: حرف جر. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿فِى﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، وبعضهم يعتبره صفة له. ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿يَزِيدُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى التصريف، أو إلى التذكير المفهومين من الفعلين السابقين، والهاء مفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نُفُورًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِنْ واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُل﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين. ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾: لو كان مع الله جلت قدرته آلهة كما تزعمون، وتفترون. ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟...﴾ إلخ: أي: لطلب الآلهة طريقاً يسلكونها إلى الله ليقهروه، ويزيلوا ملكه، كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، أو ليتقربوا، ويتوددوا إليه، أو ليتعرفوا عليه، والتعارف بين الملوك سنّة متبعة.

بعد هذا انظر شرح العرش في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد) و(ذي) بمعنى: صاحب، وجمعه من غير لفظه على الأكثر، وهو (أولو، وأولي) ويجمع على: (ذوين، وذوون) وهو قليل. هذا؛ وإنما جمعت المعبودات الباطلة بواو الجماعة التي لجماعة المذكرين العاقلين مع أنها جمادات؛ لأن الكفار يعاملونها معاملة مَنْ يعقل، من سؤالهم لها حوائجهم، وتذللهم لها، والعرب تجمع ما لا يعقل؛ جمع مَنْ يعقل؛ إذا نزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل، وهو كثير ومستعمل في القرآن الكريم، والكلام العربي.

أما (السبيل) فهو الطريق يذكر، ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ والجمع على التأنيث: سبول، وعلى التذكير: سبل بضمتين، وقد تسكن الباء، كما في رُسُل، وعُسُر، ويُسُر. قال: عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم مَنْ يثقله، وذلك مثلُ: رُحُم، وحُلُم، وأُسُد... إلخ هذا؛ وإعلال (ابتغوا) مثل إعلال (ألقوا) في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿آلِهَةٌ﴾: اسمها مؤخر. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة فالمعنى لا يأباه، ويكون الظرف متعلقاً بها، وآلهة فاعلها، والجملة الفعلية على الاعتبارين لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بما تعلق به الظرف. قاله الحوفي، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، التقدير: كوناً مشابهاً لما تقولون، وهذا ليس مذهب سيبويه... إلخ. وانظر الآية رقم [٢٤] ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء. ﴿لَّابْتَغَوْا﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (ابتغوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَىٰ ذِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال مِنْ سبيلاً، كان صفة له.. إلخ، وعلامة الجر الياء؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذي) مضاف، و﴿الْعَرْشِ﴾: مضاف إليه. ﴿سَبِيلًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا﴾ إلخ جواب ﴿لَّوْ﴾، لا محل لها، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: نزه الله نفسه في هذه الآية تنزيهاً يليق به، وقدس ذاته العلية، عما لا يليق به، ومجد عظمته تمجيداً يليق بكبريائه. وانظر شرح: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿سُبْحَانَهُ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَتَعَالَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿عَمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بـ: (سبحان) أو بفعله المحذوف على التنازع، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو عن شيء يقولونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن)، التقدير: تعالى الله عن قولهم. ﴿عُلُوًّا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَبِيرًا﴾: صفته. هذا؛ و﴿عُلُوًّا﴾ وضع موضع تعالياً؛ لأنه مصدر الفعل: (تعالى) ويجوز أن يقع مصدر موقع آخر من معناه.

تنبيه: يقرأ الفعل ﴿يَقُولُونَ﴾ في هذه الآية وسابقتها بالياء والتاء، وبالياء في الأولى، والتاء في الثانية فالقراءات ثلاث كلها سبعية، وعلى الأخيرة يكون في الكلام التفات، انظره في الآية [٢٢] من سورة (النحل).

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾: لله عز وجل. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: الملائكة، والإنس والجن. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: ما من شيء في الدنيا إلا يسبح الله ويقدسه، واختلف في هذا العموم، فقالت فرقة: المراد به تسبيح دلالة، وكل مُحْدثٍ يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر. وقالت فرقة أخرى: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر، ولا يفقهه، وهذا هو المعتمد، ويستدل به بقول الله تعالى في سورة (ص): ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ وقوله جل ذكره في سورة (البقرة) [٧٤]: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقوله تعالى شأنه في سورة (مريم): ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: ما من صباحٍ، ولا رَواحٍ إلا تُنادي بقاعُ الأرض بعضَها بعضاً: يا جارة هل مرَّ بك اليومَ عبدٌ فصلَّى للهِ، أو ذكر الله عليكَ؟ فمِنْ قائلةٍ: لا، ومِنْ قائلةٍ: نعم، فإذا قالت: نعم رأت لها بذلك فضلاً عليها. وقال رسول الله ﷺ: **«لا يسمعُ صوتَ الْمُؤَذِّنِ جنٌّ، ولا إنسٌ، ولا شَجَرٌ، ولا حَجَرٌ، ولا مَدَرٌ، ولا شيءٌ إلا شَهِدَ لهُ يومَ الْقِيامَةِ»**. رواه ابن ماجه، ومالك من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ. وخبر حنين الجذع أيضاً

مشهور في هذا الباب، خرجه البخاري في مواضع من كتابه، وإذا ثبت ذلك في جماد واحد؛ جازَ في جميع الجمادات، ولا استحالة في شيء من ذلك، فكل شيء يسبِّح للعموم، ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة حال كما يقول البعض، فأي: تخصيص لتسبيح الجبال مع داود عليه السلام؟ وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح كما تقدم. انتهى. قرطبي بتصرف كبير. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: لا تفهمون. والفقه: الفهم، والعلم بالشيء، والفقه: العلم بالأحكام الشرعية مستمد من أدلتها التفصيلية، وهو المراد بقول النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**». والفقه: الحذق، والفطنة، وفَقِهَ: يفقَهُ من باب: علم: كان فقيهاً، وفقُهُ، يفْقُه من باب: ظرف صار فقيهاً. هذا؛ وخص سبحانه ﴿تَفْقَهُونَ﴾ بالذكر دون «تعلمون» لما في الفقه من معنى الزيادة على العلم؛ لأنه التصرف في المعلوم بعد علمه، واستنباط الأحكام منه.

﴿حَلِيمًا﴾: حيث لم يعجِّل بعقاب العاصين، والمجرمين، والفاسدين المفسدين. و(الحليم) من أسماء الله الحسنى، ومعناه: هو الذي لا يستفزه عصيان العاصين، ولا يستثيره جحود الجاحدين. والحِلْم (بكسر الحاء، وسكون اللام) وهو: الأناة، والروية في الأمور، والتؤدة، والعقل. ومقابله: السفه، والطيش، والجهل الذي أحدثك عنه في الآية رقم [٦٣] من سورة (الأنبياء). والحلم من خير ما يتصف به مؤمن. قال الشاعر الحكيم: [الطويل]

فَيَارَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْماً فإنني أَرَى الحِلْمَ، لا يَنْدَم عَلَيْهِ حَلِيمُ

كيف لا وقد وصف الله به خليله إبراهيم وكثيراً من أنبيائه عليهم جميعاً ألف تحية، وسلام. ﴿غَفُورًا﴾ أي: يغفر ذنوب المذنبين، إن هم تابوا، وأنابوا إليه، وهو صيغة مبالغة.

هذا؛ وقد حثنا الرسول ﷺ على كثرة التسبيح لله تعالى، وذكر لنا أحاديث ترغبنا به، وصيغاً مفضلة على غيرها لما فيها من المعاني القوية الكثيرة، وخذ نبذة من ذلك: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في الْمِيزانِ، حَبِيبتانِ إلى الرَّحمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم**». رواه الستة ما عدا أبا داود. وعن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، والْحَمْدُ للهِ، ولا إِلهَ إلا الله، والله أَكْبَرُ، لا يَضُرُّكَ بأَيِّهِنَّ بَدَأْت**». رواه مسلم، وابن ماجه، والنسائي.

وعن جويرية أمِّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ خرجَ مِنْ عنْدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أضْحَى، وهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**ما زِلْتِ على الحالِ التي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟!**». قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوم لَوَزَنَتْهُنَّ:**

سُبْحانَ اللهِ وبحمدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، ورِضَاءَ نفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، ومِدادَ كلماته». رواه الستة ما عدا البخاري. وفي كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري الكثير، والكثير من ذلك.

الإعراب: ﴿تُسَبِّحُ﴾: مضارع. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: فاعل. ﴿ٱلسَّبْعُ﴾: صفة له. ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على ما قبله. ﴿فِيهِنَّ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والنون حرف دال على جماعة الإناث، وجملة: ﴿تُسَبِّحُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿يُسَبِّحُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى شيء، والجملة الفعلية في محل رفع خبره. ﴿بِحَمْدِهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر، التقدير: يسبح ملتبساً بحمده، والهاء في محل جر بالإضافة. والجملة الاسمية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير المجرور محلاً بالإضافة. هذا؛ وإن اعتبرتها مستأنفة فلست مفنداً. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. وقيل: واو الحال، ولا وجه له. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿تَفْقَهُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾... إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ .. حِجَابًا﴾: يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم. ﴿مَّسْتُورًا﴾: ذا ستر كقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ وقولهم: «سيل مُفْعَم»، أو مستوراً بحجاب آخر، لا يفهمون، ولا يفهمون: أنهم لا يفهمون، وهذا هو الجهل المركب المُطْبَق. هذا؛ وقيل: معناه مستوراً عن أعين الناس فلا يرونك؛ لما روي عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: لما نزلت سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها وَلْوَلة، وفي يدها فِهْرٌ، وهي تقول: [مجزوء الرجز]

مُذَمَّماً عَصَيْنا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا وَدِينَهُ قَلَيْنَا

والنبي ﷺ قاعد في المسجد، ومعه أبو بكر ـ رضي الله عنهما ـ فلما رآها أبو بكر. قال: يا رسول الله! لقد أقبلت، وأنا أخاف أن تسمعك ما يؤذيك، فإنها امرأة بذِيَّةٌ، فقال النبي ﷺ: «**إنها لَنْ تراني!**». وقرأ قرآناً فاعتصم به، فوقفت على أبي بكر، ولم تره، فقالت: يا أبا بكر! إن

صاحبك هجاني. فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك! ولا ينطق بالشعر، ولا يقوله. فقالت: إنك لمصدق، وولَّت، وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها، وقد جئت بهذا الحجر لأرضخ به رأسه، فقال الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! أما رأتك؟! قال: «**لا، ما زال ملك بيني وبينها، يسترني حتى ذهبت**».

هذا؛ واعتصامه ﷺ بالقرآن الكريم ثابت، ومشهور، ففي ليلة الهجرة أمر ابن عمه علياً ـ رضي الله عنه ـ أن ينام في فراشه، وخرج عليه الصلاة والسلام من بين صفوف المحاصرين بيته، وهو يقرأ الآيات من صدر سورة (يس)، فأعمى الله أبصارهم عنه، وأخذ حفنة من تراب في يده ونثرها على رؤوسهم، فلم يبق منهم رجل، إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، وتركهم في طغيانهم يعمهون.

أما (بين) فهو ظرف مكان بمعنى: وسْط بسكون السين، تقول: جلس بين القوم، كما تقول: جلس وسْط القوم. هذا؛ و(البين): الفراق والبعاد، وهو أيضاً: الوصل، فهو من الأضداد، كالْجَوْن يطلق على الأسود والأبيض، ومن استعماله بمعنى: الوصل ما قرئ به في سورة (الأنعام) الآية رقم [٩٤]: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ حيث قرئ برفعه، ومن استعماله بمعنى: الفراق والبعاد قول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ في قصيدة البردة في مدح النبي ﷺ: [البسيط]

وَمَا سُعَادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ... إلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٥]. ﴿قَرَأْتَ﴾ فعل، وفاعل. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة إذا إليها.. إلخ. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَيْنَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. وقيل: متعلق بمحذوف مفعول ثان، ولا وجه له، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿حِجَابًا﴾: مفعول به. ﴿مَّسْتُورًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿جَعَلْنَا...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية، جمع: كنان، وهو: الوعاء المحيط بالشيء، وهو غير «الكن» بكسر الكاف، فإنه يجمع على: أكنان، انظر الآية رقم [٨١] من سورة (النحل). وانظر الفقه ومعانيه في الآية رقم [٤٤]. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: الوقر: الصمم في الأذن، وهو بفتح

الواو. والوقر بكسر الواو: حمل البغل، والحمار. والوقار: الحلم، والرزانة، والتعقل، وهو أيضاً: العظمة، والهيبة، والمهابة. وفي هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى، والإيمان، فتقبله، ويجعل بعضها في أكنة، فلا تفقه كلاماً، ولا تؤمن به، ولا تقبله. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ أي: قلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن. ﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ أي: أعرضوا هرباً من استماع التوحيد، وهو مثل قولهم في سورة (صٓ): ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ هذا؛ و﴿نُفُورًا﴾ جمع: نافر، فهو مثل: شهود، وشاهد، وقعود، وقاعد. وانظر إعلال مثل: ﴿وَلَّوْاْ﴾ في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف مفعول ثان، ولا وجه له، ولو قيل: متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿أَكِنَّةً﴾ لسُلِّم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَكِنَّةً﴾: مفعول به، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، و«لا» مقدرة؛ إذ التقدير: لئلا يفقهوه، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (جعلنا) وهذا عند الكوفيين، وهو عند البصريين على حذف مضاف، التقدير: كراهية فهمهم، فالمحذوف مفعول لأجله. وانظر الشاهد [٤٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جواب (إذا) في الآية السابقة لا محل لها مثلها. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: معطوفان على: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. ﴿وَقْرًا﴾: معطوف على ﴿أَكِنَّةً﴾ وإن قدرت: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ قبلهما؛ وضح لك ذلك. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ انظر مثله في الآية السابقة. ﴿وَحْدَهُۥ﴾: حال مِنْ ﴿رَبَّكَ﴾، وإن كان معرفة لفظاً، فهو في قوة النكرة؛ لأنه بمعنى: منفرداً. ﴿وَلَّوْاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ واو الجماعة، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿نُفُورًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً عامله: ﴿وَلَّوْاْ﴾ لتقاربهما في المعنى، وجملة: ﴿وَلَّوْاْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على مثله في الآية السابقة، لا محل له مثله.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: بسببه، ولأجله. أو المعنى: نحن أعلم بالحال، أو الطريقة التي يستمعون القرآن بها، فهم يستمعون القرآن هازئين لا جادين، والواجب أن يستمعوه جادين لينتفعوا به، ويهتدوا بهديه. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ أي: نحن أعلم

بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك، وحين هم نجوى يتناجون؛ أي: يتحادثون سراً في شأنك، يقول بعضهم: هو مجنون. وبعضهم يقول: هو كاهن. وبعضهم يقول: هو ساحر. وبعضهم يقول: هو شاعر. وانظر الكلام على الآية رقم [٢٥] من سورة (الأنعام) تجد أنَّ المغزى واحد. وانظر شرح ﴿النَّجْوَىٰ﴾ في الآية رقم [٦٢] من سورة (طه).

﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾: أبو جهل والوليد بن المغيرة وأمثالهما، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي: مطبوباً قد خبله السحر، فاختلط عليه أمره. وقال مجاهد: معناه: مخدوعاً، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: من أين تُخدَعُون؟ وقال أبو عبيدة: معناه: أن له سَحراً؛ أي: رئة، فهو لا يستغني عن الطعام، والشراب. قال امرؤ القيس: [الوافر]

أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشرابِ

أي: نُغَذَّى، ونعلَّل، وموضِعين: مسرعين. وتقول العرب للجبان: قد انتفخ سَحْرُهُ. وفي الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها قالت: «مَن هذهِ التي تُساميني مِنْ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، وقد تُوفي رسول الله بين سَحْري ونَحري» تريد: أنه ﷺ توفي وهو مستند إلى صدرها، وما يحاذي سَحْرَها، وهو الرئة. وانظر (السِّحر) في الآية رقم [٥٧] من سورة (طه).

الإعراب: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله، والمفعول به محذوف، انظر الشرح. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ (ما)، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، وهو أقوى معنى، وجملة: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بأعلم، وجملة: ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿وَإِذْ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿نَجْوَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿إِذْ﴾: بدل من سابقه، أو هو متعلق باذكر محذوفاً، والجملة الفعلية: ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في محل جر بإضافة إذ إليها، والجملة الاسمية: ﴿نَّحْنُ...﴾ إلخ مستانفة لا محل لها. ﴿إِن﴾ حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿تَتَّبِعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَجُلًا﴾: مفعول به. ﴿مَّسْحُورًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: مثَّلوك تارة بالساحر وتارة بالشاعر، وتارة بالمجنون، وأخرى بالكاهن. ﴿فَضَلُّوا﴾ أي: في أمثلتهم، وحاروا. أو ضلوا عن طريق الحق. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

﴿سَبِيلًا﴾ أي: حيلة في صدِّ الناس عنك. أو لا يجدون طريقاً إلى الهدى، والرشاد. والخطاب في ذلك للنبي ﷺ وحده. هذا؛ وتعاد الآية بحروفها كاملة في الآية رقم [٩] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿انظُرْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» وهو معلق عن العمل بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال عامله ما بعده. ﴿ضَرَبُوا﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، ﴿الْأَمْثَالَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَيْفَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به لـ: ﴿انظُرْ﴾، المعلق عن العمل لفظاً، التقدير: انظر كيفية ضرب الأمثال لك، وجملة: ﴿انظُرْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿فَضَلُّوا...﴾ مع المعلق بها معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، وكذلك جملة: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب مثلها، والفاء في الجملتين حرف عطف، وسبب.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا...﴾ إلخ: أي: قالوا، وهم يتناجون لما سمعوا القرآن، وسمعوا ذكر البعث، والنشر، والحساب، والجزاء. والمراد: بالاستفهام: الجحود، والإنكار من أن يعادوا مرة ثانية بعد الموت. وقال ابن عباس: الرفات: الغبار. وقال مجاهد: هو التراب. والرفات: الأجزاء المتفتتة من كل شيء تكسر، كالفتات، والحطام، والرضاض، فلذا يقال فيه: هو اسم مفرد لأجزاء ذلك الشيء المفتت. هذا؛ ويقرأ ﴿أَإِذَا﴾ ﴿أَإِنَّا﴾ بقراءات كثيرة، فجملتها تسعة، وكلها سبعية. وقولهم هذا تعجب منهم، واستبعاد للبعث بعد الموت، وفناء الجسد، وشاعرهم هو الذي يقول: [الوافر]

أَلَا مَنْ بَلَّغَ الرحمنَ عَنِّي ... بِأَنِّي تَارِكٌ شَهْرَ الصِّيَامِ

أَيُوعِدُنَا ابنُ كَبْشَةَ أَنْ سَنَحْيَا ... وَكَيْفَ حَيَاةُ أصداءٍ وهامِ؟

أَتُتْرَكُ أنْ تَرُدَّ الموتَ عَنِّي ... وتُحيِيني إذا بَلِيَتْ عِظَامِي

فهو يقصد بابن كبشة النبي ﷺ، وأبو كبشة كنية زوج حليمة مرضعته ﷺ، فقد كانوا يطلقون عليه ذلك تحقيراً له ﷺ. ولكنهم لم يتأملوا: أنهم كانوا قبل ذلك تراباً، فخلقهم الله، وأظهرهم إلى الوجود، وهم ظنوا: أن البعث، والإعادة يكونان في الدنيا، وهم لم يروا أحداً رجع إلى الدنيا ممن تقدمهم.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق، ﴿أَإِذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري: (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه،

منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، وهذا عند سيبويه. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿عِظَامًا﴾: خبرها. ﴿وَرُفَاتًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة إذا إليها على القول المشهور المرجوح، وجواب (إذا) محذوف دل عليه الجملة الآتية، التقدير: (أئذا كنا... نبعث)، ولا يجوز أن يعمل فيها مبعوثون لأن ما بعد إنَّ لا يعمل فيما قبلها، وينبغي أن تعلم أن (إذا) هنا ظرف مجرد عن الشرطية، فإن تقدير الكلام: (أنبعث إذا... إلخ) وهذا قول غير سيبويه. والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إنَّا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مبعوثون): خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿خَلْقًا﴾: مفعول مطلق، عامله من لفظ (مبعوثون) وهو بمعنى: بعثاً، فيكون التقدير: نبعث بعثاً، أو هو حال على تقديره: مخلوقين. ﴿جَدِيدًا﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿أَءِنَّا﴾ إلخ مؤكدة لما قبلها، والاستفهام فيها مبالغة في الإنكار، وبدون الاستفهام فيها حصل الإنكار بالأولى، وهذه مرتبطة فيها، فالإنكار بالأولى إنكار فيها أيضاً، وجملة: ﴿وَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ضَرَبُواْ لَكَ...﴾ إلخ فهي مثلها في محل نصب، والاستئناف ممكن.

﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ أي: قل لهم يا محمد: كونوا على جهة التعجيز حجارة، أو حديداً في الشدة، والقوة. وقال علي بن عيسى: معناه: أنكم لو كنتم حجارة، أو حديداً؛ لم تفوتوا الله عز وجل إذا أرادكم، إلا أنه خرج مخرج الأمر؛ لأنه أبلغ في الإلزام. ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ﴾ أي: يعظم. ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾: قال مجاهد: يعني السموات والأرض والجبال؛ لأنها أعظم المخلوقات. وقيل: يعني به الموت؛ لأنه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت، ومعناه: لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم، ولأبعثنكم. ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ أي: من يبعثنا بعد الموت. ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾: خلقكم. ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فمن قدر على الإنشاء؛ قدر على الإعادة.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول، يقال: نَغَض رأسُه، يَنْغُضُ، وينغِضُ نغْضاً، ونغوضاً؛ أي: تحرك، وأنغضَ رَأسَهُ؛ أي: حركه كالمتعجب من الشيء.

هذا؛ ونقل الأزهري: أن ثلاثة أحرف جاءت بلغة قريش، وهي قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها. وقوله تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٥٧]: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: نكل بهم من وراءهم. وقوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٨٥]: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ أي: مقتدراً.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: البعث، والقيامة، والحساب، والجزاء... إلخ. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب؛ لأن «عسى» في حق الله تعالى واجبة التحقيق، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ وقوله جل ذكره: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، وكل ما هو آت قريب. وانظر القول في الآية رقم [١٦].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿كُونُوا۟﴾: أمر ناقص مبني على حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿حِجَارَةً﴾: خبره. ﴿حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا﴾: معطوفان على حجارة، والجملة الفعلية: ﴿كُونُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿خَلْقًا﴾. ﴿يَكْبُرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (ما)، وهو العائد. ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَكْبُرُ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء: حرف استئناف. السين: حرف استقبال. (يقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ﴿من﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُعِيدُنَا﴾: مضارع، و(نا): مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿من﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿من يُعِيدُنَا﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَسَيَقُولُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، وخبره محذوف، التقدير: الذي فطركم يعيدكم. الثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف، التقدير: معيدكم الذي فطركم. الثالث: أنه فاعل بفعل محذوف، التقدير: يعيدكم الذي فطركم. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿فَطَرَكُمْ﴾: ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿أَوَّلَ﴾: مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿فَطَرَكُمْ﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿ٱلَّذِى...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة في إعرابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: مثل: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رُءُوسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض وترج مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ في محل رفع فاعل عسى على تمامه، وفي محل نصب خبره على نقصانه، فيكون اسمه مستتراً تقديره: «هو»، والتمام أقوى، وأتمُّ معنى، وجملة: ﴿عَسَىٰٓ﴾.. إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَرِيبًا﴾: خبر ﴿يَكُونَ﴾. وقيل: هو ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر، واسمه يعود إلى البعث المفهوم ممَّا تقدم. تأمل، وتدبر. وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ أي: يوم يناديكم للخروج من القبور، ونحوها على لسان إسرافيل عليه السلام، فيقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قال تعالى في سورة (قٓ): ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾. ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: فتخرجون من القبور بأمره. وقيل: تخرجون مقرِّين بأنه خالقكم، وباعثكم، ويحمدونه، ولكن لا ينفعهم الحمد. وقيل: هذا الخطاب للمؤمنين فإنهم يبعثون حامدين ربهم، فيقولون: سبحانك اللهم وبحمدك. أو المعنى: منقادين لأمره انقياد الطائعين الحامدين على البعث. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: تظنون: أن إقامتكم في القبور ـ وقيل: في الدنيا ـ قليلةٌ جداً، وذلك لأن الإنسان لو مكث في الدنيا، أو في القبر ألوفاً من السنين عد ذلك قليلاً بالنسبة لمدة القيامة، والخلود في الآخرة. قال قتادة: المعنى: أن الدنيا تحاقرت في أعينهم، وقَلَّت حين رأوا القيامة، وما فيها. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو بدل من ﴿قَرِيبًا﴾ على اعتباره ظرفاً. ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها، والجملة الفعلية: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها. ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ واو الجماعة؛ أي: حال كونكم حامدين لله على كمال قدرته، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَتَظُنُّونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب النفي بعده. ﴿إِن﴾: نافية بمعنى: «ما». ﴿لَّبِثْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف؛ أي: إلا لبثاً قليلاً،

أو صفة ظرف محذوف؛ أي: إلا زماناً قليلاً، وجملة: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل (تظنون) المعلق عن العمل لفظاً، وجملة: ﴿وَتَظُنُّونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. هذا؛ وجوز أبو البقاء اعتبارها حالاً من واو الجماعة، وقدر الكلام: «وأنتم تظنون. . .» إلخ؛ لأن المضارع المثبت لا يقترن بالواو إذا وقع حالاً.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)﴾

الشرح: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: وذلك: أن المشركين كانوا يؤذون المسلمين، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، يأمر بها المسلمين أن يقولوا للكافرين التي هي أحسن؛ أي: لا يكافئوهم على سفههم، بل يقولون لهم: يهديكم الله، وكان هذا قبل الإذن بالقتال والجهاد. وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وذلك: أنه شتمه بعض الكفار، فأمره الله بالعفو. وقيل: أمر الله تعالى في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الأدب، وإلانة القول، وخفض الجناح، واطِّراح نزغات الشيطان. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بالفساد، وإلقاء العداوة، والإغواء. هذا؛ والنزغ، والنخس، والنسغ، والنفر، والهمز، والوسوسة ألفاظ مترادفة، وأصل النزغ: الفساد، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي: أفسد. فقد شبه سبحانه وتعالى وسوسة الشيطان، وإغواءه للناس بنخس السائق دابته بشيءٍ؛ لتسير. هذا؛ وانظر شرح ﴿الشَّيْطَانَ﴾ في الاستعاذة أول سورة (يوسف) عليه السلام، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي: عدواً ظاهر العداوة.

بعد هذا انظر شرح (عبده) في الآية رقم [١] و(القول) في الآية رقم [١٦] وشرح (الإنسان) في الآية رقم [١١] وانظر إعلال (مبين) ومعناه في الآية رقم [١] من سورة (الحجر). أما (عدو) فهو ضد الصديق؛ وهو على فعول بمعنى: فاعل، مثل: صبور، وشكور، وما كان على هذا الوزن يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، إلا لفظاً واحداً جاء نادراً. قالوا: هذه عدوةُ اللهِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ والجمع: أعداءٌ، وأعادٍ، وعُداتٌ، وعِدًى. وقيل: أعادٍ، جمع أعداء، فيكون جمع الجمع، وفي القاموس المحيط: والعدا بالضم والكسر اسم الجمع. وانظر شرح (بَيْن) في الآية [٤٥] هذا؛ وفي الآية الكريمة استعارة تبعية حيث شبه الإغراء على الفساد بالنزغ، واستعير النزغ للإغراء، ثم اشتق منه: ﴿يَنزَغُ﴾. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا﴾ إعراب هذا التركيب مثل إعراب: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا﴾ في الآية رقم [٣١] من سورة (إبراهيم) عليه السلام بلا فارق بينهما. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الشَّيْطَانَ﴾: اسمها. ﴿يَنزَغُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿الشَّيْطَانَ﴾، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، وجملة: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ...﴾ إلخ توكيد لسابقتها لا محل لها مثلها. وقال الجمل: علة لقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ والجار والمجرور ﴿لِلْإِنسَانِ﴾ متعلقان بـ: ﴿عَدُوًّا﴾ بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْه كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ما في الآية الكريمة خطاب للمشركين، والمعنى: إن يشأ يوفقكم للإسلام، فيرحمكم، أو يميتكم على الشرك؛ فيعذبكم. قاله ابن جريج. وقيل: الخطاب للمؤمنين، والمعنى: إن يشأ يرحمكم بأن يحفظكم من كفار مكة، أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم. قاله الكلبي. والأول: أقوى. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: ما وكلناك في منعهم من الكفر، ولا جعلنا إليك إيمانهم. وقيل: ما جعلناك كفيلاً لهم، تؤخذ بهم. وانظر الآية رقم [٢] وإنما أرسلناك مبشراً، ونذيراً، فدارهم، ومر أصحابك بالتحمُّل منهم.

هذا؛ وفي الآية الكريمة انتقال من خطاب الجماعة إلى خطاب المفرد، وهو النبي ﷺ ويسمى هذا التفاتاً.

الإعراب: ﴿رَّبُّكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره. وهو بمعنى: عالم، وليس على بابه من التفضيل، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَشَأْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿رَّبُّكُمْ﴾، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى ربكم، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، و﴿إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ معطوف عليه، وهو مثله في الإعراب. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول

به. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿وَكِيلًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾

الشرح: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: إن علمه سبحانه وتعالى غير مقصور عليكم، بل علمه يتعلق بجميع الموجودات، والمعدومات، ومتعلق بجميع ذات الأرضين والسموات، ويعلم حال كل أحد، ويعلم ما يليق به من المصالح، والمفاسد. وقيل: معناه: أنه عالم بأحوالهم، واختلاف صورهم، وأخلاقهم، ومللهم، وأديانهم. ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ أي: فقد اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، وقال لعيسى: كن فكان، وآتى سليمان ملكاً عظيماً، لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً، وقد ذكر الله هذا التفضيل في قوله: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾ الآية رقم [٢٥٣] من سورة (البقرة)، وتفضيل بعض الأنبياء على بعض يكون بتفاوت الفضائل النفسانية التي وهبها الله لكل واحد، ولهذا اشتهر منهم أولو العزم، الذين تحملوا المتاعب والمصاعب، فما وهنوا، وما استكانوا لما أصابهم في سبيل الله، وكان محمد ﷺ خاتمة الأنبياء الذين اتصفوا بكامل الصفات، وقد ذكرت لك ذلك مراراً.

هذا؛ و(الزبور) كتاب أنزله الله على داود عليه السلام، وهو مئة وخمسون سورة، ليس فيها حكم، ولا حلال، ولا حرام، ولا فرائض، ولا حدود، ولا أحكام، بل فيها تسبيح، وتقديس، وتحميد، وثناء على الله عز وجل، ومواعظ، وحكم. وتعريفه مرَّةً، وتنكيره أخرى، إما؛ لأنه في الأصل فعول بمعنى: المفعول كالحلوب، أو مصدر بمعناه كالقبول، وإما لأن المراد إيتاء داود زبوراً من الزبر، فيه ذكر النبي ﷺ.

بقي أن تعرف لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون غيره من الأنبياء؟ وذلك من وجوه: أحدها: أن الله تعالى ذكر: أنه فضل بعض النبيين على بعض، ثم قال: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ وذلك أن الله أعطى داود مع النبوة الملك، فلم يذكره بالملك، وذكر ما آتاه من الكتاب، تنبيهاً على أنَّ الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم، لا الملك والمال، «اللهم لك الحمد على ما أنعمت». والوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور: أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم؛ فلهذا خصه بالذكر. الثالث: زعمت اليهود أن لا نبي بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة، فكذبهم الله بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾. انتهى. خازن بتصرف.

هذا؛ وكان داود على نبينا، وعليه، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف تحية، وألف صلاة يخرج إلى البرية، فيقوم، ويقرأ الزبور، وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس

خلف العلماء، وتقوم الجن خلف الناس، والشياطين خلف الجن، وتجيء الدواب التي في الجبال، فيقمن بين يديه، وترفرف الطيور على رؤوس الناس، وهم يستمعون لقراءة داود، ويتعجبون منها لجمالها، فلما قارف الذنب؛ زال عنه ذلك. وقيل له: كان ذلك أنس الطاعة، وهذا ذل المعصية. انتهى. خازن في سورة (النساء). هذا؛ وأضيف: أن داود عليه السلام كان حسن الصوت، وفي الآخرة يقرأ القرآن في الجنة، يجتمع عليه أهل الجنة، فيستمعون لقراءته، فلا يكون شيء ألذ عندهم من الاستماع إليه. وانظر ما أذكره في سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿وَرَبُّكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ربك): مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِمَن﴾: متعلقان به. وقيل: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: يعلم. قاله الفارسي، ولا وجه له. ﴿فِي السَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَرَبُّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، وعطفها على ما قبلها، لا بأس به، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ﴾ انظر الإعراب في الآية رقم [٤١] تفصيلاً، وجملة، و﴿بَعْضَ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الياء. . إلخ ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل ﴿فَضَّلْنَا﴾، والجملة القسمية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ معطوفة على جواب القسم لا محل لها مثله.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾: وذلك لما ابتليت قريش بالقحط الشديد؛ حتى أكلوا الجيف، والحشرات، فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو الله لهم، فأنزل الله هذه الآية الكريمة، والمراد: من زعمتم أنهم آلهة من ملائكة، وعزير، وعيسى، وأصنام، وشمس، وقمر. . . إلخ. ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾: كالمرض، والجوع، والفقر، والقحط، ونحو ذلك؛ أي: لا يقدرون على دفع شيء من ذلك. ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يقدرون على تحويل شيء ممَّا نزل بكم إلى غيركم، ولا تحويل الحال مِن العسر إلى اليسر. . . إلخ.

«زعم»: قال الشيخ مصطفى الغلاييني ـ رحمه الله تعالى ـ: الغالب في: «زعم» أن تستعمل للظن الفاسد، وهو حكاية قول، يكون مظنة الكذب، فيقال فيما يشك فيه، أو فيما يعتقد كذبه، ولذلك يقولون: «زعموا» مطيةُ الكذب؛ أي: إن هذه الكلمة مَرْكَبٌ للكذب، ومن عادة العرب أن مَنْ قال كلاماً، وكان عندهم كاذباً. قالوا: زعم فلان؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم في كل موضع ذُمَّ القائلون به، وقد يراد الزعم بمعنى: القول مجرداً عن معنى الظن الراجح، أو الفاسد، أو المشكوك فيه، فإن كانت زعم بمعنى: تأمَّر، وترأس، أو بمعنى: كفل به تعدت إلى

واحد بحرف الجر، تقول: زعم على القوم فهو زعيم؛ أي: تأمر عليهم، وترأسهم، وزعم بفلان، وبالمال؛ أي: كفله، وضمنه، وتقول: زعم اللبن؛ أي: أخذ يطيب، فهو لازم. انتهى. وقال الأشموني: وإن كانت بمعنى: سمن، أو هزل؛ فهي لازمة.

بعد هذا أقول: إن زعم من الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ، وخبر إن كان من أفعال الرجحان، والأكثر أن يسد مسدهما: أنْ، واسمها، وخبرها مخففة من الثقيلة، أو غيرها، نحو قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾ إلخ، وانظر شواهد ذلك في كتابنا: «فتح رب البرية». والقليل أن تنصب مفعولين صريحين، وهو ناقص التصرف، يأتي منه ماض، ومضارع، ولا يأتي منه أمر.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والمخاطب بذلك النبي ﷺ. ﴿ٱدْعُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿زَعَمْتُم﴾: فعل، وفاعل، والمفعول مصدر سد مسد المفعولين محذوف مؤول من: «أنهم آلهة». ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: «آلهة» المقدر، وقول الجمل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: قل: ادعو الذين من دون الله زعمتم أنهم شركاء، لا أراه قويًّا، ومعناه غير واضح. تأمل. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له قطعاً، وجملة: ﴿زَعَمْتُم...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد الضمير في المقدر المحذوف، وجملة: ﴿ٱدْعُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (لا): نافية. ﴿يَمْلِكُونَ﴾: مضارع مرفوع. إلخ، والواو فاعله. ﴿كَشْفَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلضُّرِّ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿عَنكُمْ﴾: متعلقان بالمصدر، وهو أقوى من تعليقهما بالفعل. الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿تَحْوِيلًا﴾: معطوف على ﴿كَشْفَ﴾، ومفعوله محذوف؛ إذ التقدير: ولا تحويله عنكم، أو إلى غيركم، وجملة: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب لشرط مقدر؛ إذ التقدير: وإن تدعوهم؛ فلا يملكون... إلخ، والشرط المقدر ومدخوله في محل نصب مقول القول أيضاً. وقيل: جملة: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، ولا وجه له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الإشارة إلى الذين عبدوهم من دون الله، والمعنى: أولئك الذين يعبدونهم، ويتخذونهم آلهة من دون الله. ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي: يطلبون إلى الله القرب، والتقرب بالإيمان والعمل الصالح. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يتنافسون في القربة. أو المعنى:

ينظرون أيهم أقرب إلى الله، فيتوسلون به إليه. هذا؛ وأعطى الجلال هذا المعنى: أي: يبتغيها الذي هو أقرب إليه، فكيف بغيره؟ قال الجمل معلقاً: أي: أقرب إلى مناجاته، وهم الملائكة، وبغير الأقرب كعيسى، وعزير، ومريم.. إلخ. انتهى.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ أي: يؤملون، ويرغبون في رحمة الله، و﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ...﴾ إلخ. أي: مخوفاً لا أمان لأحد منه، فينبغي أن لا يأمنه أحد، لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدي الخوف من عذاب الله، وما يروى عن كرام الصحابة، أبي بكر، وعمر، وعلي، وغيرهم ـ رضوان الله عليهم ـ من أقوال وعبارات تدل على أنهم كانوا شديدي الحذر من عذاب الله. قال سهل بن عبد الله: الرجاء، والخوف زمانان على الإنسان، فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر، كيف لا، وعذاب الله يحذره الرسل، والملائكة، وكل أحد؟

كيف لا؛ وقد قال الله في حق الرسل، وذرياتهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ هذا؛ وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد بالمشار إليهم: عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم. وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: نزلت هذه الآية في نفر من العرب، كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم أولئك الجن، ولم يعلم الناس بذلك، فتمسكوا بعبادتهم، فعيرهم الله بهذه الآية. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف.

هذا؛ والمراد: بواو الجماعة في قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ العابدون، وفيما بعده: المعبودون، أما الضمير في قوله: ﴿رَبِّهِمُ﴾ فإنه يعود إلى العابدين، أو إلى المعبودين، أو إليهم جميعاً. بعد هذا انظر شرح: ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] وشرح: (عذاب) في الآية رقم [١٠]، وشرح (الخوف) في الآية رقم [١٣] من سورة (الرعد). هذا؛ و(يرجون): يطمعون، واصل الرجاء: الأمل في الشيء، والطماعية فيه، وقد يأتي بمعنى: الخوف. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة عسَّال؛ أي: الذي يقطف عسل النحل: [الطويل]

إذا لسعته الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها ... وخَالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَواسِلُ

وما في الآية الكريمة بمعنى: يطمعون كما قدمت، ومنه قول سَوَّار بن المضرّب السعدي. أحد بني سعد تميم، وكان قد هرب من الحجاج حين فرض البعث مع المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج: [الطويل]

أَيَرْجُو بنو مَرْوانَ سَمْعي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ، والفلاةُ وَرَائِيَا

وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى: الخوف إلا مع الجحد؛ أي: النفي، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ وقال بعضهم: بل يقع في كل موضع دل عليه المعنى، وهو المعتمد.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: يدعونهم. ﴿يَبۡتَغُونَ﴾: مضارع مرفوع. إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَبۡتَغُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وأجيز اعتبار الموصول خبراً للمبتدأ، فتكون الجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب المحذوف الذي رأيت تقديره، والرابط: الضمير فقط. ﴿أَيُّهُمۡ﴾: اسم موصول مبني على الضم في محل رفع بدل من واو الجماعة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَقۡرَبُ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو أقرب، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد الضمير المحذوف، وهذا الحذف مع إضافة (أي) للضمير هما اللذان، أوجبا بناء «أيُّ». قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

أَيٌّ كَمَا وَأُعْرِبَتْ مَا لَمْ تُضَفْ وَصَدرُ وَصْلِهَا ضَمِيرٌ انْحَذَفْ

هذا؛ وأجاز أبو البقاء اعتبار: ﴿أَيُّهُمۡ﴾ اسم استفهام مبتدأ و(أقرب) خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به لـ: ﴿يَدۡعُونَ﴾ والأول: أقوى معنًى وأتم سبكاً. وانظر ما أذكره في الآية رقم [٦٨] من سورة (مريم)، وعلى قول أبي البقاء فالجملة الاسمية في محل نصب لفعل محذوف معلق عن العمل بسبب الاستفهام، أو للفعل يدعون، وهو غير مسلم له على الاعتبارين.

وجملة: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يَبۡتَغُونَ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله. وأيضاً جملة: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ معطوفة عليها، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عَذَابَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿عَذَابَ رَبِّكَ﴾. ﴿مَحۡذُورٗا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل لخوف العذاب.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾

الشرح: ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا﴾: إما بالموت، أو بالاستئصال، والعذاب. قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: أما الصالحة فبالموت، وأما الطالحة فبالعذاب. وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إذا ظهر الزنى والربا في قرية؛ آذن الله في هلاكها. ﴿أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا

شَدِيدًا﴾: بالقتل، وأنواع العذاب. إذا كفروا، وعصوا، كالذي حصل لقوم ثمود، وعاد، وأمثالهم. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً مثبتاً، والمراد: بالكتاب: اللوح المحفوظ.

فعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ الله القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: ما أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ إلى الأبدِ**». أخرجه الترمذي.

هذا؛ ويوم القيامة هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب، والجزاء. وأصل القيامة: القوامة؛ لأنها من: قام، يقوم، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف نفي بمعنى: (ما). ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْيَةٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿مُهْلِكُوهَا﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وها: في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُهْلِكُوهَا﴾ و﴿قَبْلَ﴾: مضاف، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف إليه، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مُعَذِّبُوهَا﴾: معطوف على ﴿مُهْلِكُوهَا﴾ وهو مثله في إعرابه. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق عامله ما قبله. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له. ﴿كَانَ﴾ ماض ناقص. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مَسْطُورًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ...﴾ إلخ: أي: التي سألها كفار قريش، وطلبوها من الرسول ﷺ. ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: الأمم السابقة طلبوا المعجزات من أنبيائهم فأعطوها، فلم يؤمنوا بها، فأهلكهم الله، وكذلك كفار قريش لو أعطوا ما سألوا، وإذا لم يؤمنوا؛ أهلكهم الله، كما أهلك من كان قبلهم. ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ أي: معجزة واضحة، تدل على صدق نبي الله صالح، عليه السلام. أو المعنى: يبصرها كفار قريش، ويرونها؛ لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم، وهم يبصرونها في ذهابهم، وإيابهم إلى بلاد الشام للتجارة، وغيرها.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ أي: جحدوا: أنها من عند الله، أو ظلموا أنفسهم بتكذيبها، فعاجلهم الله بالعقوبة، وما أحراك أن تنظر قصة قوم ثمود في سورة (الأعراف)، وفي سورة (هود) عليه السلام. ﴿وَمَا نُرْسِلُ...﴾ إلخ: أي: ما نرسل بالآيات المقترحة إلا تخويفاً، وتهديداً من نزول العذاب، فإن لم يخافوا؛ وقع عليهم. وقيل: معناه: وما نرسل بالدلالات، والعبر إلا إنذاراً بنزول العذاب في الدنيا، أو بعذاب الآخرة، ولا تنس: أن الله لا يمنعه مانع ممَّا يريد، وإنما المعنى المبالغة في أنه لا يفعل، فكأنه قد منع منه. وانظر ما يلي:

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وفضةً، وأن ينحِّي عنهم الجبال؛ ليزرعوا، وأن يفجِّر لهم في أرضهم العيون، والأنهار... إلخ فأوحى الله إلى رسوله ﷺ: إن شئت أن أستأني بهم؛ فعلت، وإن شئت أن، أوتيهم ما سألوا؛ فعلت، فإن لم يؤمنوا؛ أهلكتهم، كما أهلكت من كان قبلهم. فقال النبي ﷺ: «**لا بل تستأني بهم**»، فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة. انتهى. خازن.

هذا؛ ولم يعطهم سبحانه وتعالى ما سألوا، ولم يستأصلهم كما استأصل الأمم السابقة؛ لعلمه الأزلي: أن فيهم من يؤمن، أو يخرج من أصلاب الكافرين منهم مَنْ يؤمن، وهو فحوى قول النبي ﷺ: «**إني أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله**» **ولعلمه الأزلي، وقضائه الأبدي: أن هذا الدين سينتشر في شرق الدنيا، وغربها، وأن حملة لوائه يكونون ممن يؤمن منهم، وقد تحقق هذا في أقل من ثلاثين سنة بعد وفاة الرسول ﷺ. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أرادَ اللهُ بأمَّةٍ شراً؛ أَهْلَكهَا قَبْلَ نَبِيِّهَا، وَإِذَا أراد بأمةٍ خَيْراً أهلكَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا»**. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مَنَعَنَآ﴾: ماض، و(نا): مفعول به، والمصدر المؤول من: ﴿أَن نُّرْسِلَ﴾ في محل نصب مفعول به ثان، أو في محل جر بحرف جر محذوف على الخلاف بين سيبويه، والخليل وقد تقدم معنا كثير من ذلك. ﴿بِٱلْأَيَٰتِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الآيات): مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وأجيز اعتبار الباء أصلية، على أنَّ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مِن المفعول المحذوف، التقدير: وما منعنا أن نرسل النبي حالة كونه مؤيداً بالآيات. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن كَذَّبَ﴾ في محل رفع فاعل للفعل: (منع) التقدير: وما منعنا من إرسال الرسول مؤيداً بالمعجزات إلا تكذيب الأولين بها. وانظر مثل ذلك في الآية رقم [٩٤] الآتية. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾: فاعل كذب مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَءَاتَيْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (آتينا): فعل، وفاعل. ﴿ثَمُودَ﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مُبْصِرَةً﴾: حال مِن الناقة، وجملة: ﴿وَءَاتَيْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما

قبلها، وإن اعتبرتها حالاً من (نا) فلست مفنداً، ويلزم تقدير «قد» قبلها، ويكون الرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ معطوفة عليها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ﴾ مثل سابقه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿تَخْوِيفًا﴾: مفعول لأجله، وأجيز اعتباره حالاً، إما من الفاعل؛ أي: مخوفين، أو من المفعول؛ أي: مخوفاً بها، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها حالاً من نا فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير، وتكون حالاً متداخلةً من وجه واحد، وهو اعتبار الأولى حالاً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ قلنا لك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ أي: قدرته محيطة بهم، فهم في قبضته، وقدرته، لا يقدرون على الخروج من مشيئته، وإذا كان الأمر كذلك، فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره، وهو حافظك، ومانعك منهم، فلا تهبهم، وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة، فهو ينصرك، ويقويك على ذلك. انتهى. خازن.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الناس هنا: أهل مكة، وإحاطته بهم: إهلاكه إياهم؛ أي: إن الله سيهلكهم. وذكره بلفظ الماضي لتحقق وقوعه، وعنى بهذا الإهلاك الموعود ما جرى يوم بدر، ويوم الفتح.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: قال الخازن: الأكثرون من المفسرين على أنَّ المراد منها ما رأى: النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هي رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة المعراج، وهي ليلة أسري به إلى بيت المقدس، وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي ﷺ: أنه أسري به، انظر ما ذكرته في أول السورة ففيه الكفاية، وعليه فالمراد بالرؤيا بالألف: الرؤية بالتاء، وهي البصرية، ولو كانت منامية لما ارتدَّ أحد؛ لأن أحداً لا يستنكر، بل، ولا يستغرب ما يذكر له من رؤيا المنام. هذا؛ وكتابة البصرية بالألف قليل، والكثير في كتابة الحلمية بالألف.

وقيل: المراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله ﷺ عام الحديبية: أنه دخل مكة هو، وأصحابه فعجل المسير إلى مكة قبل الأجل، فصدَّه المشركون، ورجع إلى المدينة، فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبر: أنه يدخلها فتنة لبعضهم، ثم دخل مكة في العام المقبل، وأنزل الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ...﴾ إلخ.

وقيل: إن النبي ﷺ رأى في منامه: أن ولد الحكم بن أميَّة يتداولون منبره، كما يتداول الصبيان الكرة، فساءه ذلك، وهذا ضعيف جداً.

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ يعني: شجرة الزقوم؛ التي وصفها الله تعالى في سورة (الصافات) من الآية رقم [٦٢] وما بعدها، والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون، والفتنة فيها: أن أبا جهل قال: ابن أبي كبشة ـ يعني: النبي ﷺ ـ توعدكم بنار تحرق الحجارة، ثم يزعم: أنه تنبت فيها شجرة، وتعلمون: أن النار تحرق الشجر، وما نعرف الزقوم إلا التمر، والزبد، ثم قال: يا جارية! تعالي فزقمينا. فأتت بتمر، وزبد، فقال: يا قوم! تزقموا، فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجر: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ...﴾ إلخ فقد استغربوا من ذلك، ونسبوا لله العجز عن خلق شجرة في النار، وهو قادر على أكثر منه. ويقويه: أن النعامة تبتلع الجمر، والحديد المحمَّى بالنار، ولا يحرقها، وإن طير السمندل يُتَّخذ من وبره مناديل، فإذا اتسخت؛ ألقيت في النار، فيزول وسخها، وتبقى بحالها. والمراد: بلعن الشجرة: لعن آكليها؛ لأنه لم يجر في القرآن لعن هذه الشجرة، ولكن الله لعن الكفار، وهم آكلوها.

﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ﴾ أي: بالزقوم وغيرها. ﴿فَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ أي: التخويف. ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾ أي: تمرداً، وعتوا عظيماً. هذا؛ والطغيان: مجاوزة الحد، يقال: طغا، يطغى، ويطغو طغياناً، وطغواناً جاوز الحد، وكل مجاوز حده في العصيان طاغ، وكل مسرف في الظلم، والمعاصي طاغ، وطغى البحر: هاجت أمواجه، وطغى السيل: جاء بماء كثير. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾.

هذا؛ و(الناس) اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: قوم، ورهط... إلخ، واحده: «إنسان» من غير لفظه، وهو يطلق على الإنس، والجن، ولكن غلب استعماله في الإنس. قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وأصله: الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف. قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾ الآية رقم [٧١] الآتية. وقيل: إن أصله النَّوس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها. وانظر شرح ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ في الآية رقم [١١] فإنه جيد.

الإعراب: ﴿وَإِذۡ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، وابن هشام في مغنيه يعتبره مفعولاً به للفعل المحذوف المقدر بما رأيت. ﴿قُلۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَكَ﴾: متعلقان به. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَحَاطَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبَّكَ﴾. ﴿بِٱلنَّاسِۚ﴾: متعلقان به، وهما في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب

مقول القول، وجملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها، وجملة: واذكر إذ... إلخ المقدرة مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلرُّءْيَا﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلَّتِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لـ: ﴿ٱلرُّءْيَا﴾. ﴿أَرَيْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: التي أريناكها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول به ثان لـ ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿فِتْنَةً﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، والعطف أقوى من الاستئناف. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾: معطوف على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾. ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾: صفة. ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هي». هذا؛ ويقرأ شاذاً برفع (الشجرة) على اعتبارها مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره: كذلك، وتكون الجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، ومتعلقه محذوف؛ إذ التقدير: نخوفهم بالشجرة وغيرها، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَزِيدُهُمْ﴾: مضارع، والهاء مفعول به أول، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى مصدر الفعل السابق؛ أي: التخويف. إلا: حرف حصر. ﴿طُغْيَٰنًا﴾: مفعول به ثان. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ما أحراك أن تنظر خلق آدم عليه السلام، وما جرى له مع إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ في سورة (الحجر) الآية رقم [٢٦] وما بعدها. هذا؛ وقد قال القرطبي: تقدَّم ذكر كون الشيطان عدو الإنسان، فانجرَّ الكلام إلى ذكر آدم، والمعنى: اذكر بتمادي هؤلاء المشركين، وعتوهم على ربهم قصة إبليس حين عصى ربه، وأبى السجود. وقال ما قال. انتهى. هذا؛ وآدم: اسم علم أعجمي مشتق من الأدمة بمعنى: الأسوة، أو من أديم الأرض؛ أي: من وجهها، وترابها، أو من الأدمة بمعنى: الألفة، وأصله أَأْدَم بهمزتين، قلبت الثانية مدًّا مجانساً لحركة الأولى، كما قلبت في إيمان، فإنَّ أصله إِئْمَان، وكما قلبت في أُومِنُ، فإن أصله: أُأَأْمِنُ بثلاث همزات، فاستثقلوا اجتماع ثلاث همزات، فحذفوا الثانية طلباً للتخفيف فبقي: أُأْمِنُ بهمزتين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، فقلبت الساكنة واواً لسكونها، وانضمام ما قبلها، فصار أُومِن، ومثل آدم في إعلاله: آمن، وما جرى مجراه.

الإعراب: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿اسْجُدُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والوار فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِآدَمَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة. ﴿فَسَجَدُوا﴾: الفاء: حرف عطف. (سجدوا): ماض، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿إِبْلِيسَ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾، ورأيت الخلاف فيه، هل هو متصل، أو منقطع؟ وجملة: ﴿فَسَجَدُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى إبليس. ﴿ءَأَسْجُدُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (أسجد): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». لمن: متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، وجملة: ﴿خَلَقْتَ﴾ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو لشخص خلقته. ﴿طِينًا﴾: منصوب بنزع الخافض؛ إذ التقدير: من طين. وقيل: هو حال مِنْ (مَنْ)، أو مِنَ العائد المحذوف، وجاز وقوعه حالاً وهو جامد؛ لدلالته على الأصالة، كأنه قال: متأصلاً مِنْ طين. وقال الزجاج وتبعه ابن عطية: منصوب على التمييز، ولا يظهر ذلك؛ إذ لم يتقدم إبهام ذات، ولا نسبة. وجملة: ﴿ءَأَسْجُدُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ أي: أخبرني. قال الجمل: استعمال «أرأيت» في الإخبار مجاز؛ أي: أخبرني عن هذه الحالة العجيبة. ووجه المجاز: أنه لما كان العلم بالشيء سبباً للإخبار عنه، والإبصار به طريقاً إلى الإحاطة به علماً، وإلى صحة الإخبار عنه؛ استعملت الصيغة التي لطلب العلم أو لطلب الإبصار في طلب الخبر، لاشتراكهما في الطلب. انتهى. بتصرف من سورة (الأنعام).

﴿هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: فضلته عليَّ بأمري بالسجود له. والتقدير: لم فضلته وقد خلقتني من نار، وخلقته من طين؟ ولم يجبه الله عن هذا السؤال إهمالاً له، وتحقيراً؛ حيث اعترض على مولاه بـ: (لِمَ)؟ انظر الإعراب. ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾ أي: أمهلتني، وهو جواب قسم محذوف، وفي سورة (الأعراف) و(الحجر) وسورة (صٓ) طلب الإنظار، والإمهال طلباً، فأعطي ما طلب فتنة، وابتلاء. ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: لأستولين عليهم، أو لأقودنهم حيث شئت. وقيل: معناه: لأستأصلنهم بالإغواء والإضلال. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، لا أقدر عليهم؛ لاعتصامهم بحبلك المتين، واتباعهم لسنن الأنبياء والمرسلين، وهم المذكورون في الآية [٦٥]

الآتية. وما أحراك أن تنظر الآية رقم [١١٨ - ١١٩] من سورة (النساء)، فإنك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ والفعل المضارع مأخوذ من: احْتَنَكَ الجراد الزرع: إذا أكله كله، أو من قولهم: حنكت الفرس، أَحْنِكه، وأَحْنُكه حَنْكاً: إذا جعلت في فيه الرسن. والأول: قريب من هذا لأن الجراد يأتي على الزرع بالحنك. وانظر شرح: (ذرية) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿إِبْلِيسَ﴾، تقديره: «هو». ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (رأيتك): ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول، والهاء حرف تنبيه لا محل له. الذي: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة اسم الإشارة، أو بدل منه، والجملة الفعلية بعده صلة له، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: كرمته علي، والمفعول الثاني: محذوف، التقدير: لِمَ كرمته علي؟ هذا؛ وقيل: الكاف هي المفعول الأول، واسم الإشارة مبتدأ، وقبله استفهام مقدر: «أي: أهذا. . .» إلخ؟ والموصول مع صلته خبره، والجملة الاسمية هي المفعول الثاني، والمعتمد الأول. والجملة الفعلية: ﴿أَرَءَيْتَكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَئِنْ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف، التقدير: وحقك، أو أقسم بك. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿أَخَّرْتَنِ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة، وقرئ بإثباتها مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾ متعلقان بما قبلهما، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف، و﴿الْقِيَامَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أحتنكن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل تقديره: «أنا»، والنون حرف دال على التوكيد لا محل له. ﴿ذُرِّيَّتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾، ومتعلقه محذوف، تقديره: منهم، وجملة: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المقدر، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه؛ على القاعدة: «إذا اجتمع شرط، وقسم؛ فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَاحْـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وَقَـسَـمْ جَـوَابَ مَـا أَخَّـرْتَ فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والكلام: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له، وهو من مقول إبليس. تأمل.

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: اذهب: هذا أمر إهانة؛ أي: امض لشأنك، فقد أمهلناك، وأنظرناك. ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ: أي: من أطاعك من ذرية آدم، فمآلك، ومآلهم جهنم

تحترقون بها جميعاً. فغلب المخاطبين على الغائب. أو الخطاب للتابعين، فيكون من باب الالتفات. ومعنى: ﴿مَّوۡفُورٗا﴾: وافراً كاملاً. هذا؛ وانظر دركات النار في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر). هذا؛ وقد أمر الله الشيطان في الآية وما بعدها بأوامر خمسة، القصد منها التهديد، والاستدراج؛ لا التكليف؛ لأنها كلها معاص، والله لا يأمر بها.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله). ﴿ٱذۡهَبۡ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف مفيد للتعليل، أو هي حرف استئناف، (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَبِعَكَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والكاف مفعول به. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (ما). ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿جَهَنَّمَ﴾: اسمها. ﴿جَزَآؤُكُمۡ﴾ خبر (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿جَزَآءٗ﴾: مفعول مطلق، عامله المصدر قبله. وقيل: عامله محذوف، تقديره: تجازون جزاء. وقيل: هو حال موطئة. وقيل: هو تمييز. ﴿مَّوۡفُورٗا﴾: صفة ﴿جَزَآءٗ﴾، وهو بمعنى: وافراً، كما رأيت، والجملة: ﴿فَإِنَّ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ وإن اعتبرت جواب الشرط محذوفاً، تقديره: فلا خير فيهم؛ فتكون الجملة الاسمية تعليلاً للنفي المقدر، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٥]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فالكلام على ذلك مستوفى في الآية المذكورة، والجملة الاسمية: ﴿فَمَن...﴾ إلخ تعليل للأمر، أو هي مستأنفة، وهي من مقول الله تعالى على الاعتبارين. تأمل.

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾

الشرح: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾: استزل، أو استخف، واستفزه الخوف؛ أي: استخفه، وهو كغيره أمر تعجيز. ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ﴾: أن تستفزه، وأن تضله. ﴿بِصَوۡتِكَ﴾: صوته كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: الغناء، والمزامير، واللهو صوته. ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: اجمع عليهم مكايدك، وحبائلك، واحثثهم على الإغواء. وقيل: معناه: استعن عليهم بركبان جندك، ومشاتهم. يقال: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس، فكل من قاتل، أو مشى في معصية الله فهو من جنود إبليس. هذا؛ والإجلاب: السوق بجلبة من السائق، والجلب، والجلبة: الأصوات. هذا؛ ويقرأ: (رجلك) بكسر الجيم وسكونها، فهو جمع: راجل، مثل صحب، وصاحب.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: بحملهم على كسب الأموال، وجمعها من الحرام، وإنفاقها في غير طاعة الله تعالى، وبالحث على التوصل إلى الولد بالسبب المحرم، أو الإشراك فيه بتسميته عبد العزى، ونحوه، أو بالتضليل عن طريق الهدى، أو إهمال الولد بدون تربية؛ حتى يتعود الأفعال القبيحة، والصفات الذميمة. هذا؛ ومشاركة الشيطان للإنسان في ماله، وولده تكون بترك التسمية عند الأكل، والشرب، واللباس، والجماع، وسائر التصرفات، وقد نبه النبي ﷺ على ذلك، وخذ ما يلي:

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذَا دَخلَ الرجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ الله تعالى عندَ دُخُولِهِ، وعند طَعَامِهِ قال الشَّيطانُ: لَا مَبيتَ لَكمْ، ولا عَشَاءَ. وإذا دخلَ، فلمْ يذكرِ الله عِنْدَ دُخولِهِ قال الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المبيتَ، وإذَا لَمْ يذكرِ الله عندَ طعامِهِ قال الشيطانُ: أدركْتُمُ المبيتَ، والعَشَاء**». رواه الخمسة إلا البخاري.

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَجدَ الشيطانُ عِندَهُ طَعَاماً، ولا مقِيلاً، ولا مبيتاً، فليُسَلِّمْ إذا دَخلَ بَيْتَهُ، وَلْيُسَمِّ عَلَى طَعامِهِ**». رواه الطبراني. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحدَكُمْ إذَا أَتى أَهْلَهُ قالَ: اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ، وَجنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي، فإنْ كَانَ بَيْنَهُما وَلَدٌ؛ لَمْ يَضُرَّهُ الشيطانُ، ولَم يُسَلَّطْ عليْهِ**». ويروى هذا الحديث بروايات مختلفة من طرق متعددة، والمرأة فيما ذكر كالرجل من أنها مطالبة بالتسمية في كل شيء. وقيل: إن الشيطان يعتمد على ذَكَرِ الرجل وقت الجماع، فإذا لم يقل: بسم الله أصاب معه امرأته، وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل، وهو معنى قول مجاهد: إن الذي يجامع، ولا يسمي يلتفُّ الشيطان على إحليله، فيجامع معه. وروي من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ. قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ فِيكُمْ مُغَرِّبينَ**». قلْتُ: يا رسولَ الله! وما المُغَرِّبون؟ قَالَ: «**الَّذِينَ شَارَكَ فِيهِمُ الجِنُّ**». انظر رقم [٥١] من سورة (الكهف)، وفي الخبر: أن إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ قال: يا رب بعثت أنبياء، وأنزلت كتباً، فما قراءتي؟ قال: الشعر. قال: فما كتابي؟ قال: الوشم. قال: ومن رسلي؟ قال: الكهنة. قال: أي: شيء مطعمي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي. قال: فما شرابي؟ قال: كل مسكر. قال: وأين مسكني؟ قال: الحمامات. قال: وأين مجلسي. قال: في الأسواق. قال: وما حبائلي؟ قال: النساء. قال: وما أذاني؟ قال: المزمار. وانظر الآية رقم [٩٧ ـ ٩٨] من سورة (المؤمنون) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَعِدْهُمْ﴾ أي: المواعيد الباطلة كشفاعة الأصنام، وقل لهم: لا جنة، ولا نار، ولا بعث بعد الموت، ولا حساب، ولا جزاء. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: الغرور تزيين الخطأ بما يوهم الصواب، وتزيين الباطل بما يظن أنه حق، ومثله الآية رقم [١٢٠] من سورة (النساء).

تنبيه: في الآية الكريمة ما يدل على تحريم المزامير، والغناء، واللهو. وما كان من صوت الشيطان، أو فعله، وما يستحسنه؛ فواجب التنزه عنه. وروى نافع: أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

سمع صوت زمارة، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته عن الطريق، وهو يقول: يا نافع! أتسمع؟ فأقول: نعم، فمضى؛ حتى قلت له: لا، فوضع يديه، وأعاد راحلته إلى الطريق. وقال: رأيت رسول الله ﷺ سمع صوت زمارة راع، فصنع مثل هذا. قال علماؤنا: إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال، فكيف بغناء أهل هذا الزمان وزمرهم!. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: أمر، وفاعله، مستتر، تقديره: «أنت». ﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ٱسْتَطَعْتَ﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد الضمير المتصل في المفعول المقدر. ﴿مِنْهُم﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير العائد على (مَنْ)، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ) هذا؛ وقال أبو البقاء: (مَنْ) استفهام في موضع نصب بـ: ﴿ٱسْتَطَعْتَ﴾، ولا يؤيده المعنى. تأمل. ﴿بِصَوْتِكَ﴾: متعلقان بالفعل (استفزز) وجملة: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ٱذْهَبْ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿وَأَجْلِبْ...﴾ إلخ معطوفة أيضاً، والجار والمجرور ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ﴾ متعلقان بما قبلهما. ﴿وَرَجِلِكَ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَشَارِكْهُمْ﴾ إلخ معطوفة أيضاً. ﴿وَعِدْهُمْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» والهاء مفعول به، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور، والجملة معطوفة أيضاً. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿يَعِدُهُمُ﴾: مضارع، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿غُرُورًا﴾: مفعول به ثان على التوسع، أو هو نعت مصدر محذوف، التقدير: إلا وعداً غروراً، أو هو مفعول لأجله؛ أي: ما يعدهم المواعيد الكاذبة إلا لأجل الغرور. وجملة: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ...﴾ إلخ معترضة لبيان مواعيده الباطلة بين الجمل التي خاطب الله بها الشيطان، أو هي في محل نصب حال، والأول: أقوى.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ عِبَادِى...﴾ إلخ: أي: إن عبادي المؤمنين المخلصين لا تسلط لك عليهم إلا بالوسوسة من غير أن تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي، وهؤلاء خاصة الله الذين هداهم، واجتباهم من عباده. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً لعباده المؤمنين من وساوس الشياطين، فهو سبحانه يحفظهم من كيدهم، ويعصمهم من إغوائهم، وإضلالهم. وفي الآية دليل على أنَّ المعصوم مَنْ عصمه الله، وأن الإنسان لا يمكنه أن يحترز بنفسه عن مواقع الضلال، ولهذا قال المحققون: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعته إلا بقوته.

فائدة: ذكر اليافعي عن الشاذلي: أن ممَّا يعين على دفع وسوسة الشيطان: أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب: وتقول: سبحان الملك

القدوس الخلاق الفعال سبع مرات، ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

بعد هذا فالإضافة في قوله: ﴿عِبَادِى﴾ إضافة تشريف، وتكريم، خصهم الله بالذكر، وشرفهم بالإضافة تنويهاً بشأنهم، وتنبيهاً على أنهم المقيمون لحقوق العبودية. وانظر شرح (عبده) في الآية رقم [١]، وانظر شرح ﴿سُلْطَٰنٌ﴾ في الآية رقم [٩٩] من سورة (النحل)، وشرح (ربك) في الآية رقم [٨] وشرح: ﴿وَكِيلًا﴾ في الآية رقم [٢]. هذا؛ ﴿وَكَفَىٰ﴾ فهو هنا بمعنى: اكتف، فالباء زائدة عند الجمهور في الفاعل، وهو لازم لا ينصب المفعول به، ومثله مضارعه، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾، وأما إذا كان بمعنى: جزى، وأغنى؛ فيكون متعدياً لمفعول واحد، وإذا كان بمعنى: وقى، فإنه يكون متعدياً لمفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عِبَادِى﴾: اسمها منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرةٌ على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدم. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، وبعضهم يعتبرهما متعلقين بمحذوف حال مِنْ ﴿سُلْطَٰنٌ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿سُلْطَٰنٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ عِبَادِى...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية. لا محل لها. ﴿وَكَفَىٰ﴾: الواو: حرف استئناف. (كفى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. الباء: حرف جر صلة. (ربك): فاعل كفى مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَكِيلًا﴾: تمييز. وقيل: حال مِنْ (ربك)، والأول: أعرف في مثل ذلك، وجملة: ﴿وَكَفَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وإن اعتبرتها في محل نصب حال مِنْ كاف الخطاب؛ فلست مفنداً.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي: يسوق، ويجري، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾، وقال رويشد بن كثير الطائي: [البسيط]

يا أيها الرَّاكِبُ الْمُزجي مَطيَّتَهُ سائِلْ بني أسَدٍ ما هذِهِ الصَّوْتُ؟

ومنه: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ أي: يزجيها كل واحد؛ بمعنى: يدفعها، لرداءتها.

وإزجاء الفلك: سوقها بالريح اللينة. وقد كان هذا في الزمن الغابر، أما اليوم فسوقها بالبخار والنار. هذا؛ والفلك بضم الفاء وسكون اللام يطلق على المفرد، والجمع، والمذكر، والمؤنث. قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فأفرد، وذكر. وقال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فأنث، ويحتمل الإفراد، والجمع. وقال جل شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فجمع، وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب، فتذكر، وإلى السفينة فتؤنث، وقد ألغز الشاعر فيها، فقال: [الطويل]

وفي بطنها حَمْلٌ على ظَهْرِها يَعْلُو ... مُكَسَّحَةٌ تجري ومكفوفةٌ تَرَى

وَإنْ شَرِبَتْ مَاتَتْ وفارَقَها الْحَمْلُ ... فَإِنْ عَطِشَتْ عَاشَتْ وعاشَ جَنِينُها

ولا تنس: أن أول من اخترع الفلك ـ وهي السفينة ـ نوح عليه الصلاة والسلام، ومن تصميمها وشكلها أخذت البشرية تصنع السفن، وتتطور جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في العصر الحاضر. هذا؛ والْفَلَك: بفتحتين مدار النجوم، ويجمع على: فُلْك بضم الفاء وسكون اللام وضمها أيضاً وعلى: أفلاك أيضاً، والفَلَك من كل شيء: مستداره ومعظمه، والفلكي منسوب إلى علم الفلك. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: تطلبوا الرزق، والأرباح بالتجارة التي تنقل من بلاد إلى بلاد بواسطة السفن التي تمخر عباب البحار. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه، وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه. وانظر شرح ﴿رَّحِيمٌ﴾ في البسملة أول سورة (يوسف) عليه السلام، وشرح ﴿كَانَ﴾ في الآية [٣٠].

الإعراب: ﴿رَّبُّكُمُ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. والميم علامة جمع الذكور. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿يُزْجِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الذي، وهو العائد، والجملة الفعلية صلته لا محل لها. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: مفعول به. ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يُزْجِى﴾ أيضاً. ﴿لِتَبْتَغُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُزْجِى﴾. ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. وقيل: ﴿مِن﴾ زائدة و﴿فَضْلِهِۦٓ﴾: مفعول به، والأول: أقوى. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: تقدم إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٣] وغيرها، والجملة الاسمية تعليل آخر لقوله: ﴿يُزْجِى﴾، والجملة الاسمية: ﴿رَّبُّكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ﴾: الضر في الأصل: كل ما ينوب الإنسان في هذه الدنيا من فقر، ومرض، وفقد نفس، وخوف. . . إلخ، والمراد: به هنا: خوف الغرق في البحر، والإمساك عن الجري، واضطراب البحر، وتموجه. ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾: ذهب عن بالكم، وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الأصنام وغيرها. ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: إلا الله وحده، فإنكم لا تذكرون سواه في الشدائد، والملمات؛ لأنه القادر على نجاتكم، وإعانتكم، وغيره لا يقدر.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ أي: أجاب دعاءكم، وأنقذكم من هول البحر، وشدته. ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: عن الإيمان، والإخلاص، والطاعة، وكفرتم النعمة. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾: المراد به هنا: الكافر. وقيل: المعنى: وطبع الإنسان جحوداً للنعم إلا مَنْ عصمه الله، ووفقه للشكر، فالمراد جنس الإنسان.

هذا؛ ولقد تكرر معنى الآية في كثير من السور، فينبغي التنبه له. وانظر شرح ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في الآية رقم [١١]، وانظر: ﴿ضَلَّ﴾ في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل)، وشرح ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآية رقم [١٠٧] منها. وانظر شرح (البحر) في الآية رقم [٧٠] الآتية، ولقد استعمل (مَنْ) وهي للعاقل لغير العاقل، وهي الأصنام؛ لأن الكفار يعاملونها معاملة العاقل: من سؤالهم لها حوائجهم، وتذللهم لها، وتقديسها، وتعظيمها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٩] من سورة (النحل) تجد ما يسرك ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَسَّكُمُ﴾: ماض، والكاف مفعول به. ﴿ٱلضُّرُّ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن الضر. وقيل من البحر. ﴿ضَلَّ﴾: ماض. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: ضل الذي تدعونه من دون الله، والجملة الفعلية: جواب (إذا) لا محل لها. إلا: أداة استثناء. ﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل نصب على الاستثناء المتصل، أو المنقطع، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف. (لمَّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: حين عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام

الأول. والمشهور الثاني. ﴿نَجَّاكُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقدر الجلال الكلام: «فلما نجاكم من الغرق، وأوصلكم إلى البر» وعليه فالجار والمجرور: ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ متعلقان بالفعل المحذوف، وهو ما صرح به الجمل، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها على القول بحرفية (لما)، وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على القول بظرفيتها. ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب لمَّا، لا محل لها، ولمَّا ومدخولها معطوف على (إذا) ومدخولها، أو هو كلام مستأنف، لا محل له على الوجهين، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: المعنى: لا تأمنوا عقاب الله، وانتقامه، فإن من يقدر على إهلاككم بالغرق يقدر أن يهلككم في البر بأحد أمرين: إما خسف ناحية من الأرض بكم، وإما إرسال ريح شديدة ترميكم بالحصباء، وهي صغار الحصى، أو إرسال حجارة من السماء عليكم، كما أرسلت على قوم لوط عليه السلام. هذا؛ والخسف: انهيار الأرض بالشيء. وخسف المكان: ذهب في الأرض، وبابه جلس، وخسف الله به الأرض من باب ضرب؛ أي: غاب به فيها، وخسوف القمر: ذهاب ضوئه. هذا؛ والخسف: النقصان، والخسف: الذلة، والمهانة والحقارة. قال الشاعر: [البسيط]

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الأَذَلَّان عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

وجانب البر: ناحية من الأرض. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً ونصيراً يمنعكم من عقاب الله وانتقامه.

الإعراب: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري تعجبي فيه معنى التهديد. الفاء: حرف عطف، أو استئناف. (أمنتم): فعل، وفاعل. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَخْسِفَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى (الله). بكم: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾، والتقدير: مصحوباً بكم، والأول: أقوى معنى. ﴿جَانِبَ﴾: مفعول به. وقيل: ظرف مكان، والأول: أقوى، و﴿جَانِبَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْبَرِّ﴾: مضاف إليه، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿يَخْسِفَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أَفَأَمِنتُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أنجوتم من الغرق، فأمنتم...

إلخ، والكلام كله مستأنف. ﴿يُرْسِلَ﴾: معطوف على يخسف منصوب مثله، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿حَاصِبًا﴾: مفعول به. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. لا: نافية. ﴿تَجِدُوا﴾: معطوف على ما قبله منصوب أيضاً، وعلامة نصبه حذف النون . . إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، انظر المعنى في الشرح. ﴿وَكِيلًا﴾: مفعول به.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: الخطاب للمشركين الذين يلجؤون إلى الله في الشدائد عند اضطراب البحر، وهيجانه، ثم يعرضون عنه تعالى إذا نجاهم منه، ومن كل شدة، وبلاء، والمعنى: هل أمنتم أن ترجعوا إلى البحر مرة ثانية بسبب ضرورة تلجئكم إليه؟ ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي: رياحاً شديدة تقصف؛ أي: تكسر كل شيء من شجر، وغيره. ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: فيهلككم في البحر بسبب كفركم، وجحودكم نعم الله تعالى. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ...﴾ إلخ: أي: إنا نفعل بكم ما نفعل من الهلاك، وغيره، ثم لا تجدون أحداً يطالبنا بما فعلنا بكم انتصاراً لكم، ولا يستطيع أحد أن ينكر علينا ما نفعله بكم.

هذا؛ والأفعال الخمسة: (يَخْسِفَ، يُرْسِلَ، يُعيدَ، فيرسِلَ، فَيُغْرِقَكُمْ) تقرأ بالياء كما رأيت، ولا التفات حينئذ، وتقرأ أيضاً بالنون، فيكون في الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم، والقراءتان سبعيتان، انظر الالتفات في الآية [٢٢] من سورة (النحل).

تنبيه: الريح في الأصل: الهواء المسخر بين السماء والأرض، وهو جسم متحرك لطيف. ممتنع بلطفه من القبض عليه، يظهر للمس بحركته، ويخفى عن البصر بلطفه، وأصله الرَّوْح، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: أرواح، ورياح، وأصل رياح: رِواح، فُعِل فيه كما فُعِل بأصل «ريح» والأكثر في الريح التأنيث، كما في قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقد تذكَّر على معنى الهواء.

والرياح الأصول أربع: إحداها الشَّمال، وتأتي من ناحية الشام، وهي شِمال من استقبل مطلع الشمس، وهذه الريح حارة في الصيف باردة في الشتاء، والثانية: الجنوب، وهي مقابلتها؛ أي: تأتي من جهة يمين من استقبل مطلع الشمس، وهي الريح اليمانية، والثالثة: الصبا بفتح الصاد، وتأتي من مطلع الشمس، وتسمى القبول أيضاً، والرابعة: الدبور، وتأتي من مغرب الشمس، وما أتى منها من بين تلك الجهات، يقال لها: النكباء، ثم إن خرجت من بين الجنوب والشرق. قيل لها: أَزْيَب، بفتح الهمزة وسكون الزاي، وفتح الياء. وإن خرجت من بين

الشمال، والغرب؛ قيل لها: جربياً، بكسر الجيم، وسكون الراء وكسر الباء، وإن خرجت من بين الشمال، والشرق؛ قيل لها: صابية. وإن خرجت من بين الجنوب والغرب. قيل لها: هَيْف، بفتح الهاء وسكون الياء، وقد جمع الثمانية النواجي بقوله: [الطويل]

صَبَا وَدَبورٌ والْجَنُوبُ وَشَمْأَلٌ ... بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ والتَّيَمُّن والضِّدِّ

ومِنْ بَيْنِها النكْبَاءُ أَزْيَبُ جِرْبِيَا ... وَصَابَيَةٌ، والْهَيْفُ خاتِمَةُ الْعَدِّ

هذا؛ وأضيف: أن ريح الصَّبا نصر الله بها نبيه محمداً ﷺ في غزوة الخندق، حيث فعلت بقريش العجائب، فارتدوا على أعقابهم خاسئين، كما ستقف عليه في سورة (الأحزاب) إن شاء الله تعالى، وأنَّ ريح الدبور أهلك بها قوم عاد. ونبيُّهم هود عليه السلام، كما رأيت في سورة (الأعراف)، وسورة (هود) عليه السلام. قال الرسول ﷺ: «**نُصِرْتُ بالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بالدَّبُورِ**».

هذا، ولا تنس: أن الريح تفسر بالدولة والقوة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: دولتكم، وقوتكم، شبهت في نفوذ أمرها، وتمشيه بالريح، وهبوبها، يقال: هبت رياح بني فلان: إذا دالت لهم الدولة، ونفذ أمرهم، وتقول: الريح لفلان: إذا كان غالباً في الأمر، قال الشاعر: [الوافر]

إذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغْتَنِمْهَا ... فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ

ولا تَغْفَلْ عَنِ الإِحْسَانِ فِيهَا ... فما تَدْرِي السكونَ مَتَى يكونُ؟

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تَعَالَى، تَأْتِي بالرَّحمةِ، وتأتي بالعذابِ، فإذا رَأَيْتموها؛ فلا تَسُبُّوها، واسألوا الله مِنْ خيرِها، واستعيذوا بالله مِنْ شَرِّهَا**». رواه الشافعي بطوله، وأخرجه أبو داود في المسند عنه. وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن الرياحَ ثمانٌ: أربعٌ منها عذابٌ، وهي القاصِفُ، والعاصِفُ، والصَرْصَرُ، والعقيمُ، وأربعٌ منها رحمةٌ، وهي الناشِراتُ، والمبشراتُ، والمرسَلاتُ، والذارياتُ».

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿أَمِنتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَن﴾: حرف ناصب. ﴿يُعِيدَكُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، و(أن) والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿تَارَةً﴾: نائب مفعول مطلق، وبعضهم يعتبره ظرفاً متعلقاً بالفعل قبله. ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة: ﴿تَارَةً﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فَيُرْسِلَ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَاصِفًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَاصِفًا﴾. ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾: مضارع معطوف على ما قبله منصوب أيضاً، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿كَفَرْتُمْ﴾: فعل،

وفاعل، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، واعتبار (ما) موصولة ضعيف معنى. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَجِدُواْ﴾: معطوف على ما قبله أيضاً منصوب، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الأول. ﴿عَلَيْنَا بِهِۦ﴾: كلاهما متعلق بـ ﴿تَبِيعًا﴾ بعدهما، وأجيز تعليق (به) بمحذوف حال مِنْ تبيعاً. ﴿تَبِيعًا﴾: مفعول به ثان.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو أنهم يأكلون بالأيدي، وغيرهم يأكل بفيه من الأرض. وقيل: بالعقل. وقيل: بالنطق، والتمييز، والخط، والفهم. وقيل: باعتدال القامة، وحسن الصورة. وقيل: بتسليطهم على جميع ما في الأرض، وتسخيره لهم. وقيل: غير ذلك. ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي: على الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، وهذا في الزمن الماضي، وأما في هذا الزمن فالحمل بواسطة الطائرات، والسيارات. ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: وحملناهم في البحر على السفن، وهذا من مؤكدات التكريم؛ لأن الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الأشياء؛ لينتفعوا بها، ويستعينوا بها على مصالحهم.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: لذيذ المطاعم، والمشارب، وجعل رزق غيرهم ممَّا لا يخفى. ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾: وينبغي أن تعلم: أن الله تعالى قال في أول الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ وقال في آخرها: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾، ولا بد من الفرق بين التكريم، والتفضيل، وإلا؛ لزم التكرار، والأقرب أن يقال: إن الله تعالى كرم الإنسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية، مثل: العقل، والنطق، والخط، وحسن الصورة، ثم إنه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، فالأول: هو التكريم، والثاني: هو التفضيل.

هذا؛ ويفيد قوله: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ...﴾ إلخ أن الله فضل بني آدم على كثير ممن خلق، لا على الكل، فقال قوم: فضلوا على جميع الخلق لا على الملائكة، وهذا مذهب المعتزلة. وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة، مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وأشباههم، والقول الفصل في هذه المسألة أن خواص البشر، وهم الرسل أفضل من خواص الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وبقية العشرة المقربين، وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر، وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة.

هذا؛ والبر بفتح الباء: الأرض اليابسة غير البحر، وهو بضم الباء: حب القمح وبكسرها: عمل الخير مطلقاً. و(البحر): الماء الكثير، أو الملح، والجمع: بحور، وبحار، وأبحر. هذا؛ وقد ثبت

جغرافياً أن مساحة البحر تعدل ثلاثة أضعاف مساحة البر، وروي: أن أنواع المخلوقات وأجناسها الموجودة في أعماق البحر أكثر ممَّا يوجد على سطح الأرض. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾: انظر إعراب مثله في الآية رقم [٤١]. ﴿بَنِيٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾: مضاف، و﴿ءَادَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب (حفظنا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر). ﴿فِي ٱلْبَرِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب. ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الفعلية الواقعة جواباً للقسم، وكذلك الجملتان: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ معطوفتان عليها، لا محل لهما مثلها. ﴿مِّمَّنْ﴾: متعلقان بكثير، أو بمحذوف صفة له، و(مَنْ): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بمن، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء خلقناه. ﴿تَفْضِيلًا﴾: مفعول مطلق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ﴾ أي: بنبيهم الذي اتبعوه في الدنيا، والإمام: من يؤتم به؛ أي: يقتدى به، فيقال: هاتوا متبعي إبراهيم، عليه السلام. هاتوا متبعي موسى، عليه السلام. هاتوا متبعي الشيطان. هاتوا متبعي الأصنام، فيقوم أهل الحق، فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ويقوم أهل الباطل، فيأخذون كتبهم بشمالهم. وقيل: يدعون بكتابهم الذي أنزل عليهم. وقيل: بكتاب أعمالهم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا، إما إلى هدى، وإما إلى ضلال. فيكون المراد بالإمام: من ائتمُّوا به في دنياهم، وفوضوا إليه أمورهم وأحكام معايشهم، وقلدوه في شؤون دنياهم، وآخرتهم.

وقال محمد بن كعب: ﴿بِإِمَٰمِهِمْۖ﴾ أي: بأمهاتهم، وإمام جمع آمٍّ، أو جمع أُم، كخف وخفاف. والحكمة في ذلك: إجلال عيسى، عليه السلام، وإظهار شرف الحسن، والحسين ـ رضي الله عنهما ـ وأن لا يفتضح أولاد الزنى، وهذا أضعف ما ذكرته من الأقوال؛ لما روي عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ، والآخِرين يومَ القيامةِ، يُرْفَعُ لكلِّ غادِرٍ لِوَاءٌ، فيقالُ: هذِهِ غدرةُ فُلَانٍ بن فُلَانٍ**». أخرجه البخاري، ومسلم، فقوله: «**هذِهِ غدْرَةُ فلانِ بنِ فُلَانٍ**». دليلٌ على أنَّ الناس يدعون في الآخرة بأسمائهم، وأسماء

آبائهم. انتهى. وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ؛ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ**». رواه أبو داود، وابن حبان.

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: قال القرطبي: هذا يقوي قول من قال: (بإمامهم): بكتابهم، ويقويه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ فأولئك: الإشارة إلى كل أناس. ﴿يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقصون من أجورهم أدنى شيء، وذكر أصحاب اليمين يدل على أنَّ من أوتي كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة، ولذا لم يذكرهم، مع أن الآية التالية تشعر بذلك، وتشير إليه. هذا؛ والفتيل: هو الخيط الذي في شق نوى التمرة، يضرب به المثل في الحقارة. وقيل: هو ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ، كما يضرب المثل بالقطمير، وهو القشرة التي تحيط بالنواة. والنقير: هو النقرة في ظهر النواة، تنبت منها النخلة، والثلاثة مذكورة في القرآن الكريم. هذا؛ وانظر شرح: ﴿يَوْمَ﴾ في الآية رقم [١٤] وشرح: ﴿أُنَاسٍ﴾ في الآية [٦٠] وشرح: (كتاب) في الآية رقم [١] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، تقديره اذكر، أو هو مفعول به لهذا المقدر، أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ وذكر أبو البقاء، أوجهاً أخر، فيها بُعْدٌ، وغرابة. ﴿نَدْعُوا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». كل: مفعول به. هذا؛ ويقرأ: (يدعى كل) بالبناء للمجهول ورفع (كلّ) على أنه نائب فاعله، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿أُنَاسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ: ﴿كُلَّ أُنَاسٍ﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَدْعُوا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة يوم إليها. ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف. من: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أُوتِيَ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (مَنْ)، وهو المفعول الأول. ﴿كِتَابَهُ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِيَمِينِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وقد راعى لفظ (مَنْ) هنا، وراعى معناها فيما يلي. ﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: ﴿يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت: (مَنْ) اسماً موصولاً، فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَأُولَئِكَ...﴾ إلخ خبرها، وزيدت الفاء في خبرها لتحسين اللفظ، ولأن الموصول

يشبه الشرط في العموم. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. لا: نافية. ﴿يُظۡلَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول به في الأصل. ﴿فَتِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: ظلماً فتيلاً، كما تقول: لا أظلم قليلاً، ولا كثيراً. وقيل: ضمن الفعل معنى لا يتعدى لاثنين، فانتصب ﴿فَتِيلًا﴾ على أنه مفعول ثان، التقدير: ولا ينقصون فتيلا، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٧٢﴾

الشرح: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾: المراد عمى القلب، والبصيرة، لا عمى البصر، والمعنى: من كان في هذه الدنيا أعمى عن هذه النعم التي قد عددها الله في هذه الآيات المتقدمة، ولا يتفكر فيها. ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ أي: لا يرى طريق النجاة، ولا يهتدي إليه، فهو كقوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ الآية [٩٧] الآتية. ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: أخطأ طريقاً عن الهدى، والنجاة، وهذا لا ينفي: أنه يقرأ كتاب أعماله الذي يعطاه، بل يقرؤه كما رأيت في الآية رقم [١٤] ولكن لا يقرؤه قراءة سرور، وإنما يقرؤه، ويغتمُّ بقراءته، ويقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ وانظر الآية رقم [٤٦] من سورة (الحج) ففيها كبير فائدة.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (مَنْ): اسم شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. في هذه: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء حرف تنبيه، لا محل له. ﴿أَعۡمَىٰ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. الفاء: واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية: (هو...) إلخ في محل جزم جواب الشرط. ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعۡمَىٰ﴾ بعدهما. وانظر بقية الإعراب في الآية السابقة، فهي مثلها في كل ما ذكر. هذا؛ والضمير الواقع في الجواب هو الرابط بالمبتدأ على اعتبار: (من) موصولة، أو شرطية. ﴿وَأَضَلُّ﴾: معطوف على ﴿أَعۡمَىٰ﴾ مرفوع مثله. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣﴾

الشرح: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ...﴾ إلخ: قيل في سبب نزولها: أن النبي ﷺ أراد أن يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندعك حتى تلم بآلهتنا، وتمسها، فحدث نفسه: ما عليَّ أن أفعل ذلك، والله يعلم: أني كاره بعد أن يَدَعوني أستلم الحجر. وقيل: طلبوا منه أن يذكر آلهتهم بخير، ويثني عليها حتى يسلموا، ويتبعوه، فحدث نفسه، فأنزل الله هذه الآية.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ، فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال. قال: «**وما هن؟**». قالوا: لا ننحني في الصلاة، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها، فقال النبي ﷺ: «**لا خير في دين لا ركوع فيه، ولا سجود، وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم، فذاك لكم، وأما الطاغية يعني: اللات، والعزى؛ فإني غير ممتعكم بها**». قالوا: يا رسول الله! إنا نحب أن تسمع العرب: أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا، فإن خشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا؛ فقل: الله أمرني بذلك، فسكت النبي ﷺ، فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله الآية. انتهى خازن.

أقول: وهذا يناقض ما ذكرته في مقدمة السورة: أن الآية وما بعدها ممَّا نزل في المدينة. ومعنى الآية: هموا، وأرادوا أن يصرفوك عن الذي أنزلناه إليك من القرآن، والهدى، والنور؛ لتفتري، وتختلق علينا ما لم نقله لك، ولو فعلت ما طلبوا منك؛ لاتخذوك صديقاً لهم، ووالوك، وصافوك.

بعد هذا؛ أما كاد يكاد فهو فعل يدل على مقاربة الفعل بعده؛ ولذا لم تدخل عليه «أن»؛ لأنه يخلص الفعل للاستقبال، وإذا دخل عليها حرف النفي؛ دل على: أنَّ الفعل بعدها وقع، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ وإذا لم يدخل عليها حرف النفي؛ لم يكن الفعل بعدها واقعاً، ولكنه قارب الوقوع. والفعل منهما واوي العين، فـ «كاد» أصله: كَوِدَ بكسر الواو كَخَوِف، فتحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، و«يكاد» وزنه يَكْوَدُ، كيعلم، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم يقال: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً فصار: يكادُ بوزن يخافُ، ومصدره الكَوْد، كالخوْف، وهذا في كاد الناقصة، وأما كاد التامة، فهي يائية العين المفتوحة في الماضي، كباع، ومصدره الكيْد كالبَيْع؛ ولذا جاء المضارع في القرآن مختلفاً، فمن الأول: قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ ومعنى الأول: المقاربة، ومعنى الثاني: المكر، والأول: ناقص التصرف، ويحتاج إلى مرفوع، ومنصوب، والثاني: تام التصرف، ويكتفي بالفاعل، وينصب المفعول به.

فائدة: قد تأتي «كاد» بمعنى: أراد. قاله محب الدين الخطيب، شارح شواهد «الكشاف»، وجعل منه قول الأفوه الأودي: [البسيط]

والبيتُ لا يُبْتَنَى إلَّا بأعْمِدَةٍ ... ولا عِمَادَ إذا لَمْ تُرْسَ أوْتَادُ

فإن تَجَمَّعَ أوتاد وأعمِدَةٌ ... وسَاكِنٌ بلغُوا الأَمْرَ الذي كادوا

أي: الذي أرادوا، ومنه قول الآخر: [الكامل]

كِدْنَا وَكِدْتِ، وتِلْكَ خيرُ إرَادَةٍ ... لَوْ عادَ مِنْ زَمَنِ الصَّبَابَةِ مَا مَضى

أي: أردنا، وأردْتِ، دليله: «تِلْكَ خَيْرُ إِرَادةٍ».

تنبيه: شاع على الألسن أن نفي (كاد) إثبات، وإثباتها نفي، ولذا ألغز المعري بقوله: [الطويل]

أَنَحْوِيَّ هَذَا الْعَصْرِ ما هي لفظةٌ جَرَتْ في لِسَانَيْ جُرْهُمٍ وثمودِ

إذا اسْتُعْمِلَتْ في صورةِ الجحدِ أثبَتَتْ وَإنْ أُثْبِتَتْ قامتْ مقامَ جُحودِ

فأجابه الشيخ جمال الدين بن مالك صاحب الألفية بقوله: [الطويل]

نعمْ هي كادَ المرءُ أن يردَ الْحِمَى فتأتي لإثباتٍ بِنَفْي وُرُودِ

وفي عكْسِها ما كَادَ أنْ يَرِدَ الْحِمَى فخُذْ نظمَهَا، فالعِلْمُ غيْرُ بعِيدِ

وقد اتفقت كلمة النحاة على أنَّ (كاد) كسائر الأفعال، وكلامهم متقارب المعنى في هذا الشأن ومتشابه، انظر الشاهد [١١٢٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» والأشموني، وغيرهما، وها أنذا أسوق لك ما ذكره السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: (همع الهوامع) لتكون على بصيرة من أمرك.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ والتحقيق أنها كسائر الأفعال نفيها نفي، وإثباتها إثبات إلا أنَّ معناها المقاربة، لا وقوع الفعل، فنفيها نفي لمقاربة الفعل، ويلزم منه نفي الفعل ضرورة أن من لم يقارب الفعل؛ لم يقع منه الفعل، وإثباتها إثبات لمقاربة الفعل، ولا يلزم من مقاربته وقوعه، فقولك: (كادَ زَيْدٌ يَقُومُ) معناه: قارب القيام، ولم يقم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ أي: يقارب الإضاءة إلا أنه لم يضئ، وقولك: (لَمْ يكدْ زيدٌ يقومُ) معناه لم يقارب القيام، فضلاً عن أن يصدر منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي: لم يقارب أن يراها، فضلاً عن أن يرى، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي: لا يقارب إساغته، فضلاً عن أن يسيغه. وعلى هذا الزجاجي، وغيره، وذهب قوم منهم ابن جنيٍّ إلى أن نفيها يدل على وقوع الفعل ببطء، لآية: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ فإنهم فعلوا بعد بطْءٍ، والجواب: أنها محمولة على وقتين؛ أي: فذبحوها بعد تكرار الأمر عليهم بذبحها، وما كادوا يذبحونها قبل ذلك، ولا قاربوا الذبح، بل أنكروا أشد الإنكار بدليل قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ﴾.

وقال ابن هشام في مغنيه: فالجواب: أنه إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنهم كانوا أولاً بعداء عن ذبحها بدليل ما يتلى علينا مِنْ تعنتهم، وتكرار سؤالهم. انتهى. وقوله مشابه لقول السيوطي المتقدم.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل، مخفف من الثقيلة، مهمل لا عمل له. ﴿كَادُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات. (يفتنونك): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله،

والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كاد)، وجملة: ﴿وَإِن كَادُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾: فعل، وفاعل والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أوحيناه. ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لِتَفۡتَرِيَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (يفتنونك). ﴿عَلَيۡنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿غَيۡرَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِذٗا﴾: الواو: حرف عطف. (إذاً): حرف جواب وجزاء. ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿خَلِيلٗا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَيَفۡتِنُونَكَ...﴾ إلخ، فهي في محل نصب مثلها. هذا؛ وقدر الجلال: لو فعلت ذلك لاتخذوك... إلخ. قال الجمل معلقاً: إذاً حرف جواب وجزاء يقدر بلو الشرطية كما فعل الشارح، وعبارة السمين: (إذاً) حرف جواب وجزاء، ولهذا تقع أداة الشرط موقعها، وقوله: ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ جواب قسم محذوف، تقديره: والله لاتخذوك.

هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه: والأكثر أن تكون جواباً لـ: «إنْ»، أوْ «لَوْ» مقدرتين، أو ظاهرتين، فالأول: كقول كثير عزة: [الطويل]

لَئِنْ عَادَ لي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وأمكَنَنِي مِنْهَا إذاً لا أُقِيلُهَا

هذا هو الشاهد رقم [١٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وقول قريط بن أنيف: [البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مازِنٍ لَمْ تستبِحْ إبِلي بنو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بنِ شَيْبانَا

إذاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا

هذا هو الشاهد رقم [٢٠] من الكتاب المذكور. هذا؛ وقال الفراء: حيث جاءت بعدها اللام، فقبلها لو مقدرة، إن لم تكن ظاهرة، وهذا هو القول الفصل. تأمل، وتدبر.

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾

الشرح: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ أي: ولولا تثبيتنا إياك على الحق بحفظنا، ورعايتنا لك. ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ...﴾ إلخ: أي: لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم، والمعنى: أنك كنت على صدد الركون إليهم لقوة خداعهم، وشدة احتيالهم، لكن أدركتك عنايتنا، فمنعت أن تقرب من الركون لما يريدون، فضلاً عن أن تركن إليهم، وهو صريح في أنه ﷺ ما همَّ بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، ودليل على أنَّ العصمة بتوفيق الله، وحفظه، وقد كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك: «**اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ**». وانظر مبحث (كاد) في الآية السابقة. هذا؛ وفي ركن، يركن ثلاث لغات: من باب تعب، ومن باب قعد، ومن باب فتح.

الإعراب: ﴿وَلَوْلَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿ثَبَّتْنَٰكَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله و﴿أَن﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف وجوباً، التقدير: ولولا تثبيتنا موجود، والجملة الاسمية ابتدائية، وحالة محل شرط (لولا)، لا محل لها. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كِدتَّ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ في محل نصب خبر (كاد)، والجملة الفعلية جواب (لولا)، لا محل لها. ﴿شَيْـًٔا﴾: نائب مفعول مطلق. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة له، و(لولا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: المعنى. لو ركنت إليهم؛ لأذقناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا، ومثلي عذاب الممات في الآخرة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما. وهذا في غاية الوعيد، وإنما ضوعف العذاب على فرض ميل الرسول ﷺ لما يريده المشركون؛ لأنه كلَّما كان مقام العبد أعلى؛ كان عذابه عند المخالفة أعظم، انظر الآية رقم [٣٧] من سورة (التوبة). ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: يدفع عنك العذاب.

بعد هذا انظر استعارة الذوق في الآية رقم [٩٤] من سورة (النَّحل)، وإعلال: ﴿تَجِدُ﴾ مثل إعلال ﴿تَزِرُ﴾ في الآية رقم [١٥] هذا؛ و«ضِعْف» بكسر الضاد، وسكون العين: مثل الشيء، وضعفاه: مثلاه، وأضعافه: أمثاله. هذا الأصل في «الضعف» ثم استعمل في المثل وما زاد، وليس للزيادة حد، فيقال: هذا ضعف هذا هو أي: مثله، أو مثلاه، أو ثلاثة أمثاله، وهكذا؛ لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ لم يرد به مثلاً، ولا مثلين، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله، كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فأقل الضعف محصور، وهو المثل، وأكثره غير محصور. هذا؛ ويقال: أضْعَفْتُ الشيء، وضعَّفْتُه، وضاعفته، فمعناه: ضممت إليه مثله فصاعداً. وقال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضعَّفْتُ، ولذا قرأ أكثرهم قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾.

الإعراب: ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل لا عمل له، وهو قائم مقام «لو». ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو) المقدرة. (أذقناك): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿ضِعْفَ﴾: مفعول به ثان، وهو على حذف المضاف، انظر الشرح، و﴿ضِعْفَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مضاف إليه، والجملة: ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ...﴾ إلخ جواب «لو»، انظر التقدير في الشرح. ﴿ضِعْفَ﴾: معطوف على ما قبله، و(ضعف): مضاف، و﴿ٱلْمَمَاتِ﴾: مضاف إليه. ﴿ثُمَّ﴾:

حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَجِدُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿لَكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الأول. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿نَصِيرًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿لَا تَجِدُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: قيل: إن هذه الآية مدنية حسبما رأيت في أول السورة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حسدت اليهود مقام النبي ﷺ في المدينة، فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام فإن كنت نبياً فالحق بها، فإن خرجت إليها؛ صدقناك، وآمنا بك، فوقع ذلك في قلبه؛ لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة فأنزل الله هذه الآية، فرجع. وقيل: إن الآية مكية. قال مجاهد، وقتادة: نزلت في همِّ أهل مكة بإخراجه، ولو أخرجوه لما أمهلوا، ولكن الله أمره بالهجرة، فخرج. وهذا أصح؛ لأن السورة مكية، ولأن ما قبلها خبر عن أهل مكة، ولم يجر لليهود ذكر. انتهى. قرطبي.

بعد هذا انظر شرح (كاد) في الآية رقم [٧٣] ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليخرجونك. وقيل: ليزعجونك بمعاداتهم. والاستفزاز: الاستخفاف، انظر الآية رقم [٦٤]. ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرض المدينة، أو أرض مكة. ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾: لا يقيمون. ﴿خِلَٰفَكَ﴾: بعدك، وقرئ: (خلفك) وهما بمعنى: واحد. قال الشاعر: [الكامل]

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا ... بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرا

يقال: شطبت المرأة الجريد إذا شقته؛ لتعمل منه الحصر، فهو يصف ديار الأحباب بعدهم غير مكنوسة كأنها بُسِط فيها سعفُ النخل. . . ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: فيه، وجهان: أحدهما: أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له من مكة إلى قتلهم يوم بدر قليلة، وهذا قول من ذكر: أنهم قريش. الثاني: أنها المدة ما بين ذلك وقتل بني قريظة، وجلاء بني النضير. وهذا قول من ذكر: أنهم اليهود. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، والمعنى: ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا قليلاً.

الإعراب: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ انظر الآية رقم [٧٣] ففيها الكفاية. ﴿لِيُخْرِجُوكَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَإِذًا﴾: الواو: حرف عطف. إذن: حرف جواب وجزاء، وهي مقدرة بـ «لو» كما رأيت في الآية رقم [٧٣] ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَلْبَثُونَ﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله. ﴿خِلَٰفَكَ﴾: ظرف مكان

متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة لمصدر محذوف، أو لزمان محذوف، التقدير: إلا لبثاً قليلاً، أو إلا زماناً قليلاً، والجملة الفعلية: ﴿لَّا يَلْبَثُونَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب لـ: «لو» المقدرة، و«لو» المقدرة، ومدخولها معطوف على جملة: ﴿كَادُوا...﴾ إلخ هذا؛ ويقرأ شاذاً بنصب: (لا يلبثوا) على اعتبار (إذاً) عاملة كما في آية النساء رقم [٥٣]. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم. وتبقى الجملة على اعتبار الفعل منصوباً معطوفة على جملة: ﴿كَادُوا...﴾ إلخ.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾

الشرح: ﴿سُنَّةَ مَن...﴾ إلخ: المعنى: أنَّ كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم، فسنة الله أن يهلكهم، وألا يعذبهم ما دام نبيهم بينهم، فالسنة لله، وإضافتها للرسل لأنها من أجلهم، ويدل عليه: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ أي: تغييراً، أو تبديلاً. وانظر شرح السنة في الآية رقم [١٣] من سورة (الحجر). وانظر شرح الرسل في الآية رقم [٣٨] من سورة (الرعد)، ومثل هذه الآية في معناها ومغزاها قوله تعالى في الآية رقم [٦٢] من سورة (الأحزاب)، وهاكها: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

الإعراب: ﴿سُنَّةَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف؛ أي: سن الله ذلك سنة. وقال الفراء: منصوب بنزع الخافض، وأصل الكلام: يعذبون كسنة من قد أرسلنا، فلما سقط الخافض عمل الفعل فيه. وقيل: هو مفعول به بفعل محذوف، تقديره: اتبع سنة، و﴿سُنَّةَ﴾: مضاف، و﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: سنة الذين قد أرسلناهم. ﴿قَبْلَكَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِن رُّسُلِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنَ الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾ و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. لا: نافية. ﴿تَجِدُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿لِسُنَّتِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿تَحْوِيلًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَا تَجِدُ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة المقدرة، واعتبارها حالاً من (نا)، أو من الكاف أقوى معنى، والرابط على الاعتبارين هو: الواو، والضمير.

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾

الشرح: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: لزوالها، ويدل عليه قول النبي ﷺ: **«أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت، فصلى بي الظهر»**. وقيل: لغروبها، وأصل التركيب

للانتقال، ومنه الدلك، فإن الدالك لا تستقر يده، وكذا كل ما تركب من الدال واللام: دلج، ودلف، ودلع، ودله. وقيل: الدلوك من الدلك؛ لأن الناظر إلى الشمس يدلك عينيه ليدفع شعاعها، واللام للتأقيت، مثلها: لثلاث خلون. انتهى. بيضاوي، وهذا يعني: أن اللام بمعنى: «عند» أو «بعد».

القائل: إن الدلوك هو الزوال ابن عباس، وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ والقائل: إنه الغروب ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، وهو قول النخعي، ومقاتل، والضحاك، والسدي. ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: ظهور ظلمته. وقال ابن عباس: بدو الليل، وهذا يتناول المغرب، والعشاء. ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ أي: صلاة الفجر سمى الله الصلاة قرآناً؛ لأنها لا تجوز إلا بقرآن، كما سميت: ركوعاً، وسجوداً؛ لأنها لا تصح بدونهما. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٠] الآتية.

﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ أي: يشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تفضُلُ صلاةُ الْجَمْعِ (الجماعة) صَلَاةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وعشرينَ جُزْءاً، وتجتمعُ ملائكةُ الليل، وملائكةُ النهارِ في صلاةِ الْفَجْرِ**». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ فيا خيبة المهملين لصلاة الفجر، والعشاء في الجماعة، كيف لا؟ وهما أثقل صلاة على المنافقين. وانظر الآية رقم [١٢] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك إن كنت من أهل الإيمان، وتجد ما يسوءك إن كنت من أهل النفاق. وانظر شرح: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) عليه السلام، وشرح القرآن في الآية رقم [١] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿أَقِمِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِدُلُوكِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(دلوك): مضاف، و﴿ٱلشَّمۡسِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَىٰ غَسَقِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَقِمِ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنَ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: ممتدة إلى غسق، وهو مضاف، و﴿ٱلَّيۡلِ﴾: مضاف إليه. ﴿قُرۡءَانَ﴾: فيه ثلاثة، أوجه: أحدها: عطفه على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والثاني: نصبه على الإغراء بفعل محذوف؛ أي: الزم قرآن، والثالث: نصبه بفعل محذوف؛ أي: أقم قرآن، وهو مضاف، و﴿ٱلۡفَجۡرِۖ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ تعليل للأمر، والإعراب واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾: الضمير يعود إلى (القرآن)، أو إلى ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ والتهجد: من الهجود، وهو من الأضداد، يقال: هجد: نام، وهجد: سهر على الضد. قال الشاعر: [الوافر]

أَلَا زَارَتْ وَأَهْلُ مِنًى هُجُودُ وَلَيْتَ خَيَالَهَا بِمِنًى يَعُودُ

أي: نيام، وهجد، وتهجد بمعنى: واحد، وهجدته: أي: أنمته، وهجدته: أي: أيقظته، والتهجد: التيقظ بعد رقدة، فصار اسماً للصلاة، لأنه ينتبه لها، فالتهجد: القيام إلى الصلاة من النوم. انتهى. قرطبي. وهو ما في كتب اللغة. ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: فريضة زائدة على الصلوات الخمس. وقيل: معناه: كرامة. وقيل: عطية لك. هذا؛ والنافلة: العطية بدون مقابل، كأنها مغنم، ومن هذا قوله سبحانه وتعالى ممتناً على إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ والنفل: الزيادة، ومنه: نفل الصلاة، والصوم، والحج، والصدقة: الذي يفعله المسلم زيادة على المكتوبات، وجمع النافلة: نافلات، ونوافل، والأنفال: الغنائم التي يكسبها المسلمون من أعدائهم بالحرب، كما في سورة (الأنفال).

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ...﴾ إلخ: اتفق المفسرون على أنَّ كلمة «عسى» من الله تدخل فيما هو قطعي الوقوع؛ لأن لفظ عسى يفيد الإطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء، ثم حرمه، كان عاراً عليه، والله أكرم من أن يطمع أحداً، ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه. هذا؛ وقد أجمع المفسرون على أنَّ المراد بالمقام المحمود الشفاعة، لأنه أطمعه فيه الأولون، والآخرون، لما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**هُوَ المقامُ الَّذِي أشْفَعُ فِيهِ لأُمَّتي**». رواه الترمذي. وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوةً مستجابةً، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتي شَفَاعَةً لأُمَّتِي، فَهِيَ نائلةٌ مِنْكمْ، إنْ شاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئاً**». متفق عليه. هذا؛ وحديث الشفاعة مشهور مسطور في أمهات كتب الحديث.

تنبيه: قد رأيت أن التهجد قد صار اسماً للصلاة بعد النوم، وأما الصلاة في الليل قبل النوم فلا تسمى تهجداً، وإنما تسمى: قيام الليل، وعليه فمن نام بعد المغرب؛ فصلاته كلها تسمى تهجداً سواء أكانت فرضاً، أو نفلاً. هذا؛ وقد كانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ، وعلى جميع الأمة في ابتداء الإسلام، ثم نسخ الوجوب على الأمة بالصلوات الخمس، وبقي على الاستحباب والتطوع، وبقي الوجوب ثابتاً في حقه ﷺ، لما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ. قال: «**ثَلاثٌ هُنَّ عَليَّ فرِيضَةٌ وَهِي سُنَّةٌ لكُمْ: الْوِتْرُ، والسِّوَاكُ، وقِيَامُ اللَّيْلِ**». وقيل: إن الوجوب صار منسوخاً في حقه؛ كما في حق الأمة، فصار قيام الليل نافلة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: نافلة لك، ولم يقل: عليك.

هذا؛ وقد ورد أحاديث كثيرة شهيرة ترغب في قيام الليل، أذكر منها ما يلي: عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِها، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطعامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى في اللَّيْلِ، والناسُ نِيَامٌ**». رواه ابن حبان.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْقِدُ الشيْطَانُ عَلَى قافِيَةِ رَأْسِ أحدِكُمْ إذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يضرِبُ على كُلِّ عُقْدَةٍ: عليْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فارْقُدْ، فَإنِ استيقظَ،**

فذكر الله؛ انحلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ توضَّأ؛ انحلَّتْ عقدةٌ، فإنْ صَلَّى؛ انحلتْ عقدةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطاً طيبَ النَّفسِ، وَإلَّا أصْبَحَ خبيثَ النفس كسْلَانَ». متفق عليه.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُبْغِضَ كلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ، صَخَّابٍ في الأَسْواقِ، جيفةٍ باللَّيْلِ، حِمارٍ بالنَّهارِ، عَالِمٍ بأمرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بأَمْرِ الآخِرةِ». رواه ابن حبان في صحيحه. هذا؛ والجعظَرِيُّ: الشديدُ الغَليظُ، والجوَّاظُ: الأكولُ، والصَّخَّابُ: الصَّيَّاح. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٤] من سورة (الفرقان) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والله الموفق، والمعين، وبه استعين.

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف عطف. (من الليل): متعلقان بالفعل بعدهما، أو هما متعلقان بفعل محذوف، تقديره: قم، فعلى الأول: الفاء زائدة، وعلى الثاني: عاطفة جملة: (تهجد) على المقدرة، والكلام معطوف على جملة: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ﴾ لا محل لها مثلها. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نَافِلَةً﴾: فيه أوجه: أحدها: هو مفعول به للفعل قبله وهذا على تضمين (تهجد) معنى فعل متعد. والثاني: هو مفعول مطلق، والمعنى: فتنفل نافلة، والنافلة مصدر كالعاقبة، والعافية، والثالث: هو حال، والمعنى: فصلِّ حال كون الصلاة نافلة. ﴿لَّكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿نَافِلَةً﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿عَسَىٰٓ﴾: البت في إعرابه يتوقف على إعراب: ﴿مَقَامًا﴾ فإن فيه أربعة أوجه: أحدها هو ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والثاني: هو مفعول مطلق، عامله ما قبله؛ لأنه في معنى يقيمك، فهو مثل: «قعد جلوساً». الثالث: هو حال؛ أي: يبعثك ذا مقام محمود. الرابع: هو مفعول مطلق مؤكد لعامله المحذوف؛ أي: فتقوم مقاماً؛ أي: هو مصدر ميمي، و﴿عَسَىٰٓ﴾ على الأوجه الثلاثة دون الرابع يتعين فيها أن تكون تامة، ويكون فاعلها المصدر المؤول من: ﴿أَن يَبْعَثَكَ﴾، ولا يجوز أن تكون ناقصة على أن يكون المصدر المؤول خبراً مقدماً، و﴿رَبُّكَ﴾ اسماً مؤخراً، للفصل بأجنبي بين صلة الموصول، ومعمولها، فإن ﴿مَقَامًا﴾ على الأوجه الثلاثة الأول: منصوب بـ: ﴿يَبْعَثَكَ﴾ وهو صلة لـ: ﴿أَن﴾، فإذا جعلت ﴿رَبُّكَ﴾ اسمها كان أجنبياً من الصلة، فلا يفصل به، وإذا جعلته فاعلاً لم يكن أجنبياً، فلا يبالى بالفصل به، وأما على الوجه الرابع، فيجوز أن تكون ﴿عَسَىٰٓ﴾ التامة، والناقصة بالتقديم والتأخير لعدم المحظور المذكور؛ لأن ﴿مَقَامًا﴾ معمول لغير الصلة، وهذا من محاسن صناعة النحو. انتهى. بتصرف من الجمل نقلاً عن السمين؛ علماً بأن ابن هشام لم يجوز إلا التمام. ﴿مَّحْمُودًا﴾: صفة مقاماً، وجملة: ﴿عَسَىٰٓ...﴾ إلخ تعليل لطلب التهجد.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: أدخلني مدخل صدق المدينة، وأخرجني مخرج صدق من مكة. نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بالهجرة،

ومن المعلوم: أن إدخاله المدينة بعد إخراجه من مكة، وإنما قدمه عليه اهتماماً بشأنه، ولأنه هو المقصود له. هذا؛ وقيل: المعنى: أدخلني في القبر مدخل صدق، وأخرجني منه يوم القيامة مخرج صدق، واستحسنه قائله ليتصل بالكلام السابق، كأنه لما وعده ذلك أمره أن يدعو لينجز له ما وعده. وقيل: معناه: أخرجني من مكة آمناً من المشركين، وأدخلني مكة ظاهراً عليها بالفتح المبين. وقيل: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا، ـ وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة ـ مخرج صدق. وقيل: معناه: ادخلني في طاعتك مدخل صدق، وأخرجني من المناهي مخرج صدق. وقيل: غير ذلك، والمعتمد الأول. هذا؛ و﴿مُدْخَلَ﴾ بضم الميم من الرباعي، وبفتحها من الثلاثي، فعلى الأول: هو مصدر على صورة اسم المفعول، وكثيراً ما يرد المصدر كذلك، نحو قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ويحتمل أن يكون اسم مكان، وعلى الثاني: هو اسم مكان، ويحتمل أن يكون مصدراً أيضاً.

﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ أي: حجة بينة. وقيل: ملكاً قوياً تنصرني به على من عاداني، أو عزًّا ظاهراً، أقيم به دينك، فوعده الله تعالى: لينزعن ملك فارس، والروم، وغيرهما، ويجعله له، وأجاب دعاءه. وقال له: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

بعد هذا انظر شرح (ربكم) في الآية رقم [٨] وشرح (سلطان) في الآية رقم [٩٩] من سورة (النحل)، أما (لدن) فهي بمعنى: عند، وفيها إحدى عشرة لغة، أفصحها: إثبات النون ساكنة، وهي لغة القرآن الكريم، وهي بجميع لغاتها، معناها: أول غاية زمان، أو مكان، وقلما تفارقها «مِنْ» الجارة لها، فإذا أضيفت إلى الجملة تمحضت للزمان؛ لأن ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلا «حيث» ويجوز تصدير الجملة بحرف مصدري لمَّا لم يتمحض «لدن» في الأصل للزمان، وإذا أضيفت للضمير وجب إثبات النون؛ لأنه لا يقال: لده، ولا لدك.

الإعراب: ﴿وَقُل﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَّبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء. وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، ﴿أَدْخِلْنِي﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، ويا المتكلم مفعول به. ﴿مُدْخَلَ﴾: هو مفعول مطلق، أو هو ظرف مكان متعلق بالفعل قبله انظر الشرح، وهو مضاف، و﴿صِدْقٍ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة الموصوف لصفته، وجملة: ﴿وَأَخْرِجْنِي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، وهي مثلها في إعرابها، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُل...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَٱجْعَل﴾: أمر، وفاعله: أنت. ﴿لِّي﴾: متعلقان به، وهما في محل نصب مفعول به ثان له. ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار

حالاً... إلخ، و(لدن) مبني على السكون في محل جر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿سُلْطَانًا﴾: مفعول به أول. ﴿نَصِيرًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿وَاجْعَل لِّي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُلْ﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ. ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي: الإسلام، والقرآن. ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾: ذهب، وهلك الباطل بجميع أنواعه وصنوفه، مِنْ: زهقت روحه: إذا خرجت بصعوبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ والفعل من باب: فتح، وقد يأتي من باب: فرح. ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ أي: مضمحلاً غير ثابت، وذلك: أن الباطل؛ وإن كان له دولة، وصولة في وقت من الأوقات؛ فهو سريع الذهاب والزوال.

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وكان حول البيت ثلاثمئة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ...﴾ إلخ، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾. متفق عليه، يقال: إنها كانت مثبتة بالرصاص، وأنه كلما طعن منها صنماً في وجهه خر لقفاه، أو في قفاه خر لوجهه، ويقرأ الآية، ثم أمر بها، فكسرت.

وكان قد بقي منها صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صفر، فقال النبي ﷺ لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: «**يا علي! ارم به**». فصعد، فرمى به، فكسره، وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده.

تنبيه: في الآية الكريمة فن من فنون البلاغة يسمى فن التذييل، وهو أن يذيل الناظم، والناثركلامه بعد تمامه، وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيداً وتجري منه مجرى المثل لزيادة التحقيق، فالجملة الأخيرة هي التذييل الذي خرج مخرج المثل السائر، ومن شواهده في النظم قول الحطيئة: [الطويل]

تَزُورُ امْرأً يُعْطي على الحمدِ مالَهُ ... ومَنْ يُعْطِ أثمانَ المحامِدِ يُحْمَدِ

فالشطر الثاني: من البيت مثل من الأمثال السائرة، وهذا التذييل نوع من أنواع الإطناب التي تذكر في مبحث المعاني، انظر كتاب القواعد بشرحنا وتحقيقنا، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

بعد هذا بالإضافة لما رأيت من تفسير الباطل انظر الآية رقم [٧٢] من سورة (النحل). وانظر القول في الآية رقم [١٦] وشرح ﴿جَاءَ﴾ في الآية رقم [٥] أما ﴿الْحَقُّ﴾ فهو ضد الباطل. قال الراغب: أصل «الحق» المطابقة، والموافقة كمطابقة رِجْل الباب في حُقِّه لدورانه على الاستقامة، و«الحق» يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى:

هو الحق، وللموجود بحسب مقتضى الحكمة؛ ولذلك يقال: فعل الله كله حق، نحو الموت والحساب... إلخ، وللاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، نحو اعتقاد زيد في الجنة حق، وللفعل، والقول الواقعين بحسب ما يجب، وقدِّر ما يجب في الوقت الذي يجب، نحو: قولك حق. ورأيك حق، ويقال: أحققت ذا؛ أي: أثبته حقاً، أو حكمت بكونه حقاً. انتهى. بغدادي. وانظر: ﴿كَانَ﴾ في الآية رقم [٣٠].

الإعراب: ﴿وَقُلْ﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر، وفاعله: أنت. وجملة: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ معطوفة عليها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ...﴾ إلخ تعليلية، وهي في محل نصب مقول القول، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى، وجملة: ﴿وَقُلْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ أي: بيان من الضلالة، والجهالة، يتبين به المختلف فيه، ويتضح المشكل، وهو شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها. وقيل: هو شفاء للأمراض الباطنة، والظاهرة، فالأولى: الاعتقادات الباطلة، والثانية: الأخلاق المذمومة، وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية، فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيراً من الأمراض، يدل عليه ما روي من قول النبي ﷺ لأبي سعيد الخدري في فاتحة الكتاب التي قرأها على اللديغ: «**وما يُدْريكَ أنَّها رُقْيَةٌ؟**». وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينفعُ بإذنِ اللهِ تعالى من البَرصِ، والجنونِ، والجُذَامِ، والبَطْنِ، والسِّلِ، والحُمَّى، والنَّفْسِ أَنْ تكتُبَ بزعفرانٍ، أو بمَشْقٍ (المغرة) أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّةِ، وأسمائِهِ كلِّهَا عامَّةٍ، مِنْ شَرِّ السَّامَّةِ والغامَّةِ، ومِنْ شرِّ العينِ اللَّامَّةِ، ومِنْ شَرِّ حاسدٍ إذا حسَدَ، ومِنْ أَبِي فَرْوَةَ وَمَا وَلَدَ**». وهي كنية إبليس.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: فيه بالإضافة لما ذكر: تفريج الكروب، وتطهير العيوب، وتكفير الذنوب مع ما تفضل الله به من الثواب في تلاوته، كما روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرفاً مِنْ كِتاب اللهِ، فَلَهُ به حَسَنَةٌ، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالها، لَا أَقُولُ: أَلَمْ حرْفٌ، بلْ أَلِفٌ حرْفٌ، وَلَامٌ حرْفٌ، ومِيمٌ حرْفٌ**».

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: لأن الظالم لا ينتفع به، فكان خسارة له، والمؤمن ينتفع به فكان رحمة له. قال قتادة -رحمه الله تعالى: لم يجالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة، أو نقصان، قضاه الله الذي قضى شفاءً ورحمةً للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ الآية رقم [٤٤] من سورة (فصلت).

الإعراب: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾: الواو: حرف استئناف. (ننزل): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: حال، ولا وجه له. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ شِفَآءٌ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوف على ﴿شِفَآءٌ﴾، وقرئ بالنصب عطفاً على الموصول. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بـ: (رحمة) أو بمحذوف صفة لها، أو هما متعلقان بـ: ﴿شِفَآءٌ﴾ على التنازع، وجملة: ﴿وَنُنَزِّلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَزِيدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿خَسَارًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَلَا يَزِيدُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، واعتبارها حالاً من القرآن ممكن، وعليه فالرابط: الواو، ورجوع الفاعل إليه.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ أي: بالصحة، والمال، والولد ونحو ذلك من منصب... إلخ. ﴿أَعْرَضَ﴾ أي: عن ذكرنا، ودعائنا، وطاعتنا. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: تباعد منا. وقيل: تكبر، وتعظم. وانظر الآية رقم [٩] من سورة (الحج).. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: المرض، والفقر، والضر، ونحو ذلك. ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ أي: قانطاً من رحمتنا، والمراد: بـ: ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر، والفاجر، والملحد الذي لا يزيده القرآن إلا خساراً.

الإعراب: ﴿وَإِذَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٦٧] وجملة: ﴿أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح، وجملة: ﴿أَعْرَضَ﴾ مع المتعلق المحذوف جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، وجملة: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثلها. ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها... إلخ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾. ﴿يَـُٔوسًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي: كل واحد من الناس. ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: على طريقته، ومذهبه الذي جبل عليه، أو هو يعمل على حسب جوهر نفسه، فإن كانت نفسه طيبة طاهرة؛

صدرت عنه أفعال جميلة، وأخلاق كريمة عالية، وإن كانت نفسه خبيثة؛ صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة. هذا؛ وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة، والعادة، والدين، وفسر الشكل بالمثل، والنظير، كقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ...﴾ إلخ: أي: أوضح طريقاً، وأحسن مذهباً، واتباعاً للحق. وانظر شرح (ربكم) في الآية رقم [٨] وشرح ﴿سَبِيلًا﴾ في الآية رقم [٤٢] و﴿أَعْلَمُ﴾ ليس على بابه، بل هو بمعنى: عالم.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ. ﴿يَعْمَلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى كل واحد. ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَرَبُّكُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (ربكم): مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره. ﴿بِمَنْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾ و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَهْدَىٰ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وفاعله، وفاعل ﴿أَعْلَمُ﴾ ضمير مستتر وجوباً تقديره: «هو». ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير، والجملة الاسمية: ﴿فَرَبُّكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. وإن اعتبرتها مستأنفة فلا محل لها.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: أرجئ الكلام على السائلين إلى الآية رقم [٢٣] من سورة (الكهف). ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾: لقد اختلف في الروح هنا، فقيل: المراد: جبريل عليه السلام. وقيل: ملك عظيم الخلْق، والشَّكل. وقيل: جند من جنود الله، والمعتمد: أن المراد: الروح التي يكون بها حياة الجسد، فقد سألوا النبي ﷺ عن كيفية الروح، ومسلكها في بدن الإنسان، وكيفية امتزاجها بالجسم، واتصال الحياة بها، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام عن الروح، والنفس، والعقل، ولا تنس: أن الروح يطلق على القرآن الكريم؛ لأن به حياة القلوب. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الآية [٥٢] من سورة (الشورى). وهذا يفيد أيضاً: أن الروح تذكر، وتؤنث.

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من علم ربي الذي استأثر به، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه؛ ليعرف الإنسان عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها في جسده. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا

قليلا﴾ أي: مهما تعلمتم؛ فعلمكم بجانب علم الله تعالى قليل، بل هو طفيف لا قيمة له، والمراد: بذلك العالم كله. روي: أن النبي ﷺ لما قال لليهود ذلك. قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب؟ فقال: «**بل نحن، وأنتم**». فقالوا: ما أعجب شأنك! ساعة تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الآية [٢٦٨] من سورة (البقرة) وساعة تقول: هذا فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ الآية رقم [٢٧] من سورة (لقمان). وما قالوه دليل على سوء فهمهم؛ لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم العبد من الخير، والحق ما تسعه الطاقة البشرية، بل ما ينتظم به معاشه، ومعاده، وهو بالإضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل، ينال به خير الدارين، وهو بالإضافة إليه كثير. انتهى. بيضاوي بتصرف. وأخيراً أقول: إن السؤال في هذه الآية سؤال تعنت، وامتحان، بخلافه في أول سورة (الأنفال)، فإنه سؤال استفهام، واستفتاء.

الإعراب: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: الواو: حرف عطف. (يسألونك): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعول به. ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني؛ لأن الفعل: «سأل» تارة يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول، فيتعدى للثاني بـ: «عن» كهذه الآية، وقد يكون لاقتضاء مال، ونحوه، فيتعدى لاثنين صريحين، نحو: سألت زيداً مالاً، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة؛ إذ التقدير: سألوك كثيراً، ويسألونك عن الروح، والكلام كله مستأنف، لا محل له. ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله: أنت. ﴿الرُّوحُ﴾: مبتدأ. ﴿مِنْ أَمْرِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿أَمْرِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّي﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿الرُّوحُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أُوتِيتُم﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿مِّنَ الْعِلْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. إلا: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، وقرئ (وما، أوتوا) فلا يكون التفات في الكلام. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: معنى الآية: إن شئنا ذهبنا بالقرآن الذي أوحيناه إليك، ومحوناه من الصدور والمصاحف، فلم نترك له أثراً، وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب، ثم لا تجد بعد ذهابنا به من يتوكل علينا باسترداده عليك مسطوراً محفوظاً.

الإعراب: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ﴾ في الآية رقم [٦٢] بلا فارق. ﴿لَنَذۡهَبَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (نذهبن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «نحن». ﴿بِٱلَّذِيٓ﴾ متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: بالذي أوحيناه إليك، وجملة: ﴿لَنَذۡهَبَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم. وانظر بقية الكلام في الآية رقم [٦٢]. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ...﴾ إلخ إعراب هذا الكلام مثل إعراب: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ...﴾ إلخ في الآية رقم [٦٩] بلا فارق بينهما، والجملة الفعلية هنا معطوفة على جواب القسم لا محل لها مثله، مع ملاحظة أن الفعل هنا مرفوع، وهناك منصوب.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾

الشرح: ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾: المعنى: إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك بعد أخذه منك. أو المعنى: لكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به. وهذا امتنان من الله ببقاء القرآن مسطوراً، أو محفوظاً في الصدور. ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا﴾: إذ جعلك سيد ولد آدم، وأعطاك المقام المحمود، وختم بك النبيين، وأنزل عليك يا محمد هذا الكتاب المبين.

تنبيه: المراد بذهاب القرآن: محو ما في المصاحف، وإذهاب ما في الصدور. قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة، وأن هذا القرآن كأنه قد نُزِع منكم، تصبحون وما معكم منه شيء. فقال رجل: كيف يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن، وقد ثبتناه في قلوبنا، وأثبتناه في مصاحفنا، نعلمه أبناءنا، ويعلمه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: يُسْرى به في ليلةٍ، فيُذْهَبُ بما في المصاحف، وما في القلوب، فتصبح الناس كالبهائم، ثم قرأ: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ...﴾ إلخ. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي كدويِّ النَّحل، فيقول الله: ما بالك؟ فيقول: يا رب منك خرجت، وإليك أعود، أُتْلَى، فلا يُعْمَل بي.

وقد جاء معنى ما تقدم مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو، وحذيفة ـ رضي الله عنهما ـ. قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «**يَدْرُسُ الإسلام كما يدرس وشْيُ الثوبِ حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدقةٌ، فيُسرى على كتابِ اللهِ تعالى في ليلةٍ، فلا يَبْقَى منهُ في الأرضِ آيةٌ، وتبقى طوائفُ من الناسِ، الشيخُ الكبيرُ، والعجوزُ، يقولون: أدْرَكْنَا آباءنا على هذه الكلمة: «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نسكٌ، ولا صدقةٌ**». قال له صلةُ بن زفر العبسي: ما تُغْني عنهم «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نسكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها ثلاثاً، كلُّ ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم

أقبل عليه، فقال: «**يا صلةُ تُنجيهم من النار ثلاثاً**». خرجه ابن ماجه في السنن. انتهى قرطبي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿رَحْمَةً﴾: مستثنى، وهل الاستثناء متصل، أو منقطع؟ انظر الشرح. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةً﴾ أو بمحذوف صفة لها، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه... ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فَضْلَهُۥ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه مستتر فيه. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿كَبِيرًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقد قال أبو البقاء: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ هو مفعول له، والتقدير: حفظناه عليك للرحمة. ويجوز أن يكون مصدراً، تقديره: لكن رحمناك رحمة. انتهى. والمعنى لا يأبى الاعتبارين. تأمل.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: نزلت الآية الكريمة حين قال المشركون ما ذكره الله عنهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ فكذبهم الله عز وجل، فالقرآن معجز في النظم، والتأليف، والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة، لا يشبه كلام الخلق؛ لأنه كلام الخالق، وهو غير مخلوق، ولو كان مخلوقاً لأتوْا بمثله. انتهى. خازن.

أقول: وفي الآية دليل قاطع على عجز الإنس، والجن عن الإتيان بمثل هذا القرآن، كيف لا؟ ولو قدروا لأتوا بمثله مع تطاول الأعوام، والسنين، وكيف يأتون بمثله، وقد تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، ولو بالاستعانة بأصنامهم، وآلهتهم التي يدعونها من دون الله، بعد هذا انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٨] من سورة (يونس) عليه السلام تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والله الموفق.

هذا؛ و﴿ٱلْإِنسُ﴾ البشر، الواحد: إنسي بكسر الهمزة فيهما، وجمع الإنسي: أناس كما في الآية رقم [٧١] وأناسيّ. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ الآية رقم [٤٩] من سورة (الفرقان) ويقال أيضاً: أناسية، مثل: صيارفة، وصياقلة. هذا؛ وسمي بنو آدم إنساً لظهورهم، وأنهم يؤنسون؛ أي: يبصرون، كما سمي الجن جناً؛ لاجتنانهم؛ أي: لاختفائهم عن أعين البشر، وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، كما رأيت في الآية رقم [١٠٣] من سورة (النحل). وانظر شرح (الإنسان) في الآية رقم [١١].

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّئِنِ﴾: اللام: موطئة للقسم، (إن): حرف شرط جازم. ﴿ٱجۡتَمَعَتِ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ٱلۡإِنسُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَٱلۡجِنُّ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَأۡتُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال مِنْ واو الجماعة؛ أي: متعاونين، متظاهرين، وهو ضعيف معنى. تأمل. ﴿بِمِثۡلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(مثل) مضاف، و﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة. والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَأۡتُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِمِثۡلِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَا يَأۡتُونَ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه انظر الآية رقم [٦٢] والكلام: ﴿لَّئِنِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَوۡ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿بَعۡضُهُمۡ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَعۡضٖ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿ظَهِيرٗا﴾: خبر كان، والجملة: ﴿وَلَوۡ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِنْ واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وإن اعتبرت (لو) شرطية امتناعية، فجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ شرطها، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله، التقدير: ولو كان... إلخ لا يأتون بمثله.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾: هو مثل الآية رقم [٤١] بلا فارق بينهما. ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾: إلا جحوداً ودفعاً للحق. قيل: المراد أهل مكة، والأولى أن يكون المراد كل من كفر بالقرآن. وانظر شرح «الناس» في الآية رقم [٦٠]، و(أبى) من الإباء، وهو الامتناع، أو أشده، وإباء الله قضاؤه ألا يكون الأمر، أو عدم قضائه أن يكون. قال تعالى: ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ هذا؛ ويكون الفعل متعدياً إذا كان بمعنى: كره، ولازماً إن كان بمعنى: امتنع، وهذا الفعل يتضمن النفي والإيجاب؛ لأنه بمعنى: لا يقبل إلا... إلخ.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ انظر الآية رقم [٤١] ففيها الكفاية. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمحذوف يقع مفعولاً به، التقدير: صرفنا... مثلاً من جنس كل مثل. هذا؛ وقيل: ﴿مِن﴾ زائدة و﴿كُلِّ﴾ مفعول به، وهو جائز على مذهب الكوفيين والأخفش؛ الذين

يجيزون زيادة «مِنْ» في الإثبات، والكلام: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له. ﴿فَأَبَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أَكْثَرُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كُفُورًا﴾: مفعول به، والجملة: ﴿فَأَبَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا...﴾ إلخ، لا محل لها مثلها.

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: لمَّا تبين إعجاز القرآن، فلم يقدر كفار قريش على معارضته بعد أن تحدَّاهم الله بأن يأتوا بمثله، بل بعشر سور، بل بسورة واحدة من مثله، وانضم إليه معجزات أخر، كانشقاق القمر، ونحوه، وغلبوا، وقهروا أخذوا يتغالون باقتراح الآيات، والمعجزات، فطلبوا من الرسول ﷺ ما ذكر الله في هذه الآيات ما تراه ظاهراً لا يحتاج إلى شرح وبيان، وذلك أنهم قالوا: يا محمد! إنك تعلم أنه ليس أحد أضيق بلاداً، ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك، فيسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها الأنهار والينابيع كما في بلاد الشام، والعراق، وغيرهما، وطلبهم هذا تعنت.

﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾: لن نقر، ونعترف بنبوتك، ورسالتك. وانظر الإيمان في الآية رقم [٣٨] من سورة (النحل). ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾: يقرأ الفعل بالتشديد، والتخفيف قراءتان سبعيتان. هذا؛ وفجر الماء: فتح له منفذاً، أو طريقاً، فجرى. ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: المراد: أرض مكة، وما جاورها. ﴿يَنبُوعًا﴾: عين لا ينضب ماؤها؛ أي: لا يغور، ولا يقل، والجمع: الينابيع. وانظر القول في الآية رقم [١٦].

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَن﴾: حرف ناصب. ﴿نُّؤْمِنَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿تَفْجُرَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿يَنبُوعًا﴾ بعدهما، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿يَنبُوعًا﴾: مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل ﴿تَفْجُرَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَن نُّؤْمِنَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾

الشرح: هذا الاقتراح الثاني الذي اقترحوه على النبي ﷺ، هو أن يكون له بستان فيه من أنواع الأشجار شجر النخيل، والعنب، وعيون الماء، والأنهار جارية وسط هذا البستان، وهي

غزيرة المياه. وانظر شرح النخل، والنخيل في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم)، وهما بمعنى: واحد. المفرد: نخلة، ونَخِيلة، وعنب: اسم جنس جمعي، مثل: تمر، ويفرق بينه وبين واحده بالتاء، وهي عنبة، وتمرة، وجمع عنب: أعناب، و﴿خِلَٰلَهَا﴾: وسطها. هذا؛ و(تُفَجِّرَ) هنا بالتشديد لا غير.

الإعراب: ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿تَكُونَ﴾: معطوف على (تفجر)، فهو منصوب مثله، وهو ناقص. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبره تقدم على اسمه. ﴿جَنَّةٌ﴾: اسمه مؤخر. ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿جَنَّةٌ﴾. ﴿وَعِنَبٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَتُفَجِّرَ﴾: مضارع معطوف على ما قبله بالفاء، فهو منصوب أيضاً، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾: مفعول به. ﴿خِلَٰلَهَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. وقيل: متعلق بمحذوف حال مِنْ ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾، وهو ضعيف معنىً. وها: في محل جر بالإضافة. ﴿تَفۡجِيرًا﴾: مفعول مطلق مؤكد للفعل قبله.

﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: في هذه الآية اقتراحان ممَّا افترحوه على النبي ﷺ، أولهما: إسقاط السماء عليهم قطعة قطعة، والثاني: إتيان الملائكة، ونزولهم يشهدون بأنَّ محمداً نبي، ورسول.

هذا؛ وانظر إعلال ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ في الآية رقم [٢٢] من سورة (الحجر)، وشرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (النّحل)، وشرح (زعم) في الآية رقم [٥٦] و﴿كِسَفًا﴾ يقرأ بفتح السين، وسكونها. قال الأخفش: من قرأ بالسكون جعله واحداً، ومن قرأه بالفتح جعله جمعاً. وقال المهدوي: ومن أسكن السين جاز أن يكون جمع: كِسْفة، وجاز أن يكون مصدراً، من: كسفت الشيء: إذا غطيته، فكأنهم قالوا: أسقطها طبقاً علينا. انتهى. قرطبي، وسترى مزيداً لهذا في الآية رقم [١٨٧] من سورة (الشعراء) إن شاء الله. وانظر شرح (الملائكة) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد). ﴿قَبِيلًا﴾: معاينةً، كفيلاً، شهيداً، أقوال. وقال مجاهد: هو جمع: قبيلة؛ أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة؛ أي: جماعة جماعة، و﴿كَمَا زَعَمۡتَ﴾ المراد به: ما هددهم به في الآية رقم [٩] من سورة (سبأ) ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿تُسۡقِطَ﴾: معطوف على ما قبله، فهو منصوب أيضاً، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿زَعَمۡتَ﴾: فعل، وفاعل، وهو متعد لمفعول واحد، وهو محذوف لفهمه من المقام. ﴿عَلَيۡنَا﴾: متعلقان بالفعل ﴿تُسۡقِطَ﴾. ﴿كِسَفًا﴾: حال مِن ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾، و(ما) والفعل

بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف يقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: تسقط السماء إسقاطاً كائناً مثل زعمك الذي تدعيه. وانظر مذهب سيبويه في ذلك في الآية رقم [٢٤] ﴿تَأْتِيَ﴾: معطوف أيضاً على ما قبله، منصوب أيضاً، والفاعل أنت. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿قَبِيلًا﴾: حال مِن (الله) على الأقوال الثلاثة فيه، وحال مِن الملائكة على قول مجاهد الأخير.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: في هذه الآية اقتراحان آخران ممَّا اقترحوه على النبي ﷺ. أولهما: أن يكون له بيت من ذهب، والثاني: عروجه، وصعوده في السماء. وازداد عتوهم، فطلبوا شيئاً آخر في ذلك الرقي، والصعود، وهو إنزال كتاب لكل واحد يقرؤه، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ وقد علم الله نبيه ﷺ أن يرد عليهم بما ذكر في قوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ...﴾ إلخ.

ومعناه إنما أنا بشر لا أقدر على شيء ممَّا سألتموني، وليس لي أن أتخيَّر على ربي، ولم تكن الرسل قبلي يأتون أممهم بكل ما يريدونه، ويبغونه، وسبيلي سبيلهم، وكانوا يقتصرون على ما آتاهم الله من آياته الدالة على صحة نبوتهم، فإذا أقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم أن يقترحوا غيرها، ولو وجب على الله أن يأتيهم بكل ما يقترحونه من الآيات لوجب عليه أن يأتيهم بما يختارونه من الرسل، ولوجب لكل إنسان أن يقول: لا أومن حتى أوتي بآية خلاف ما طلب غيري، وهذا يؤول إلى أن يكون التدبير إلى الناس، وإنما التدبير إلى الله تعالى. انتهى. قرطبي بحروفه.

بعد هذا فـ: ﴿زُخْرُفٍ﴾ هو الذهب، وهو أصل الزينة، والرقي: الصعود؛ وأصله: رُقُويٌ، فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء. وانظر شرح (كتاباً) في الآية رقم [١] من سورة (الحجر). وانظر شرح «سبحان» في الآية رقم [١] من سورة (النحل)، وشرح (بشراً) في الآية رقم [١٠٣] منها أيضاً. وشرح الرسول في الآية رقم [٣٨] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ انظر الآية رقم [٩١]، (أو): حرف عطف. ﴿تَرْقَىٰ﴾: معطوف على ما قبله منصوب أيضاً، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف استئناف. لن: حرف ناصب. ﴿نُّؤْمِنَ﴾: مضارع منصوب بـ: (لن)، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِرُقِيِّكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿تُنَزِّلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»

مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيۡنَا﴾ متعلقان بما قبلهما. ﴿كِتَٰبٗا﴾: مفعول به. ﴿نَّقۡرَؤُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿كِتَٰبٗا﴾، وأجيز اعتبارها حالاً مقدرة من (نا)، و«أن» المضمرة، والفعل ﴿تُنَزِّلَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿قُلۡ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿سُبۡحَانَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، و﴿سُبۡحَانَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّي﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام بمعنى: النفي. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرٗا﴾: خبر كان. ﴿رَّسُولٗا﴾: صفة له. ويجوز أن يكون ﴿رَّسُولٗا﴾ هو الخبر، وبشراً حال مقدمة عليه، والكلام: ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: المعنى: وما منع الكافرين من الإيمان بالله ورسوله وقت مجيء الهدى إليهم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم، وهي إنكارهم أن يرسل الله رسولاً من البشر، فكانوا يستغربون إرسال الرسل من البشر، ويطلبون ملائكة من السماء، وهو ما أفادته الآية التالية، والمراد: بالهدى: الإسلام، أو القرآن، أو محمد ﷺ.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مَنَعَ﴾: ماض. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُؤۡمِنُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، وأن والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثان، أو في محل جر بحرف جر محذوف على الخلاف بين سيبويه، والخليل. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿يُؤۡمِنُوٓاْ﴾، وعلقه الجمل بالفعل ﴿مَنَعَ﴾. ﴿جَآءَهُمُ﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلۡهُدَىٰٓ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض مبني على الضم في محل نصب بـ: «أن»، والواو فاعله، والألف للتفريق، وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لـ: ﴿مَنَعَ﴾ التقدير: وما منع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى لهم إلا قولهم... إلخ. وانظر مثل ذلك في الآية رقم [٥٩]. ﴿أَبَعَثَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. إنكاري. (بعث الله بشراً رسولا): ماض، وفاعله، ومفعوله. ﴿رَّسُولٗا﴾: هو مثل الآية السابقة،

وجملة: ﴿أَبَعَثَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة: ﴿وَمَا مَنَعَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: هي من مقول الرسول ﷺ.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: في هذه الآية رد لشبهة الكافرين الذين يستنكرون أن يكون الرسول بشراً، فأعلمهم الله تعالى: أن الملك إنما يرسل إلى الملائكة؛ إذ لو أرسل ملكاً إلى البشر؛ لما استطاعوا أن يروه على الهيئة التي خلق عليها، وإنما أقدر الأنبياء على ذلك، وخلق فيهم ما يقدرون به، ليكون ذلك آية لهم ومعجزة، وقد تقدم نظير ذلك في سورة (الأنعام) رقم [٨ و٩] وسيأتي مثله في سورة (الفرقان) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم. ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾: اسمها مؤخر. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿كَانَ﴾ تامة فيكون الملائكة فاعله، و﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقان بالفعل ﴿يَمْشُونَ﴾. ﴿يَمْشُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: حال مِنْ واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وجملة: ﴿يَمْشُونَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ملائكة، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَنَزَّلْنَا﴾: اللام واقعة في جواب ﴿لَّوْ﴾. (نزلنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿مَلَكًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مَلَكًا﴾: مفعول به. ﴿رَّسُولًا﴾: انظر الآيتين السابقتين فهو مثلهما، وجملة: ﴿لَنَزَّلْنَا...﴾ إلخ جواب (لو)، لا محل لها، ولو ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل لَّوْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: يروى: أن كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾: فمن يشهد لك أنك رسول الله، فنزلت هذه الآية. والمعنى: أكتفي بالله شهيداً بأني عبده، ورسوله؛ حيث أجرى المعجزة على وفق دعوايَ، وعلى أني بلغت ما أرسلت به إليكم، وأنكم عاندتم، وكذبتم، وأعتقد بأن الله عليم خبير بصير بأحوال عباده المنذِرين والمنذَرين، وأنَّه تعالى يجازيهم على أعمالهم. وفيه تسلية للنبي ﷺ، ووعيد للكفار.

بعد هذا انظر (القول) في الآية رقم [١٦] و(كفى) في الآية رقم [٦٥] و(بيْن) في الآية رقم [٤٥] و﴿كَانَ﴾ في الآية رقم [٣٠] وعباده في الآية رقم [١] وانظر: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ في الآية رقم [١٧].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كَفَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الله): فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿شَهِيدًۢا﴾: تمييز، ويقال: حال أيضاً. ﴿بَيْنِى﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿شَهِيدًۢا﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى (الله). ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما على التنازع. ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: خبران لـ: ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ تعليلية، وهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ .. مِن دُونِهِۦ﴾: فيه تسلية للنبي ﷺ، وهو: أنَّ الذين حكم الله لهم بالإيمان، والهداية؛ وجب أن يصيروا مؤمنين، ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال أن يرجعوا عن ذلك. وانظر الآية رقم [٢٧] من سورة (الرعد). ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾:

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: **«أَلَيْسَ الذي أَمْشَاهُ على الرِّجْلَيْنِ في الدنيا قادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ على وجهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. قال قتادة؟! حين بلغه: بلى وعزة ربنا. رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القيامةِ ثلاثَةَ أَصْنافٍ: صِنْفاً مُشَاةً، وصِنْفاً رُكباناً، وصِنفاً على وجوهِهِمْ. قيلَ: يا رَسولَ، وكَيْفَ يَمْشونَ على وُجُوهِهِمْ. قال: إنَّ الَّذِي أمشاهُمْ على أقدامِهِمْ قادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا وَإِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بوجوهِهِم كُلَّ حَدبٍ وَشَوْك»**. أخرجه الترمذي. وانظر الآية رقم [١٠٢] من سورة (طه).

﴿عُمْيًا﴾: لا يبصرون. ﴿وَبُكْمًا﴾: لا ينطقون. ﴿وَصُمًّا﴾: لا يسمعون، وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ...﴾ إلخ وقوله جل شأنه: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ وقوله تبارك اسمه: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ فقد قيل فيه أوجه: أحدها: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه ﴿عُمْيًا﴾: لا يبصرون ما يسرهم. ﴿وَبُكْمًا﴾: لا ينطقون بحجة. ﴿وَصُمًّا﴾: لا يسمعون ما يسرهم. الثاني: قيل: معناه: يحشرون على ما وصفهم الله تعالى، ثم تعاد إليهم هذه الأشياء. الوجه الثالث: قيل: هذا معناه حين يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فيصيرون عند ذلك ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾، لا يبصرون، ولا ينطقون، ولا يسمعون. ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مستقرهم، ومقامهم. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ أي: سكن لهيبها وهدأت من غير أن يوجد فيها نقصان في إيلام الكفار؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾. ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: ناراً تتلهب. وقيل: وقوداً لتحرقهم، وتبدل جلودهم، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا فـ: ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ يقرأ بحذف الياء وإثباتها. هذا؛ وقد راعى لفظ (مَنْ) في الجملة الأولى، فأفرد الضمير، وراعى معناها في الجملة الثانية في قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ فجمع الضمير. وانظر شرح (دون) في الآية رقم [١٥] من سورة (الكهف)، وشرح: ﴿وَلِيًّا﴾ في الآية رقم [١٧] منها، وإعلال ﴿تَجِدَ﴾ مثل إعلال ﴿تَزِرُ﴾ في الآية رقم [١٥] وانظر شرح ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في الآية رقم [٥٨] ﴿وَبُكْمًا﴾: جمع: أبكم، انظر الآية رقم [٧٦] من سورة (النحل). ﴿وَصُمًّا﴾: جمع أصم، وهو الذي لا يسمع. وانظر: «مأوى» و﴿مَثْوَى﴾ في الآية رقم [٢٩] من سورة (النحل). وانظر «زاد يزيد» في الآية رقم [٤١]. هذا؛ وأصل ﴿خَبَتْ﴾ «خبوت» بوزن: قعد؛ لأن الفعل واوي اللام، تقول: خبا يخبو، فتحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف وتاء التأنيث، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. هذا؛ وفي الآية التفات من الغيبة إلى التكلم، انظر الآية [٢٢] من سورة (النحل).

الإعراب: (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو هو مفعول به مقدم؛ لأن فعل الشرط متعد، ولم يستوف مفعوله. ﴿يَهْدِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، ومفعوله محذوف على اعتبار (مَنْ) مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. هو: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة، أو الثابتة حسبما رأيت، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها، لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ

الذي هو من مختلف فيه كما رأيت في الآية [١٥] والجملة الاسمية: (من...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول، أو هي مستأنفة، لا محل لها على اعتبارها من كلام الله تعالى، وعلى الأول: فهي من مقول الرسول ﷺ، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها فلا خفاء فيه. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾، أو بمحذوف صفة له، والمفعول الثاني: لـ: ﴿تَجِدَ﴾ محذوف، تقديره: يهدونه.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (نحشرهم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المنصوب، التقدير: ماشين على وجوههم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عُمْيًا﴾: حال أخرى، إما بدل من الأولى وإما حال مِن الضمير المستقر في الجار والمجرور قبله، وما بعده معطوف عليه. ﴿مَّأْوَىٰهُمْ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي حال مِن الضمير المنصوب، أو المجرور ﴿كُلَّمَا﴾ (كلَّ): ظرفية متعلقة بجوابها؛ إذ هي تحتاج إلى جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. (ما): مصدرية توقيتية. ﴿خَبَتْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة؛ والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿جَهَنَّمُ﴾ و(ما) والفعل ﴿خَبَتْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (كل) إليه، التقدير: كل وقت خبت جهنم. وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ (كل). وقيل: (ما) نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صفة لها، وهي بمعنى: وقت أيضاً. ﴿زِدْنَٰهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿سَعِيرًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ جواب ﴿كُلَّمَا﴾ لا محل لها، و﴿كُلَّمَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، أو هو في محل نصب حال مِن ﴿جَهَنَّمُ﴾، والعامل فيه المأوى.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: الإشارة في هذه الآية إلى ما ذكر من أنواع العذاب في الآية السابقة من كونهم يحشرون على وجوههم عمياً، وبكماً، وصماً، وكون النار كلما هدأت زيد في وقودها ليشتد تحريق جلودهم بحرِّها كل ذلك بسبب كفرهم، وتكذيبهم بآيات القرآن التي نزلت على محمد ﷺ، وإنكارهم الحشر، والنشر، والحساب بعد الموت. وانظر الآية رقم [٤٩] ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَزَآؤُهُم﴾: خبره، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة

المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالمصدر قبلهما. هذا وجه للإعراب، ويجوز اعتبار ﴿جَزَاؤُهُم﴾ مبتدأ ثانياً، والجار والمجرور خبره، والجملة الاسمية خبر المبتدأ: ﴿ذَلِكَ﴾. ويجوز اعتبار ﴿جَزَاؤُهُم﴾ بدلاً من اسم الإشارة؛، أو عطف بيان عليه، والجار والمجرور خبره ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ انظر الإعراب وافياً كافياً في الآية رقم [٤٩] وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿كَفَرُوا...﴾ إلخ، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿ذَلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أولم يعلموا. ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ إلخ: ففيه رد لاستبعادهم البعث، والحشر بعد الموت، والمعنى: أن الذي خلق السموات والأرض كيف يستبعد منه أن يقدر على إعادتهم بأعيانهم بعد الموت، وهو قادر على إهلاكهم، وخلق عبيد مطيعين له، يوحدونه، ويقرُّون بكمال حكمته، وعظيم قدرته، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ أي: وقتاً لإهلاكهم، لا يستقدمون عنه، ولا يستأخرون. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه، ولا ارتياب، بل هو محقق الوقوع. ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون. ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: إلا جحوداً، وإنكاراً للبعث، والحساب، والجزاء.

بعد هذا ﴿أَوَلَمْ﴾ مثل ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [١٧] من سورة (النحل). وانظر شرح ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [٣] منها. وانظر شرح (مثل) في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. وانظر التعبير عن الكافرين بـ: ﴿الظَّالِمِينَ﴾، ونحوه في الآية رقم [١٣] منها أيضاً. وانظر شرح «الكفر» في الآية رقم [١٠٧] من سورة (النحل)، وشرح: (أبى) في الآية رقم [٨٩]. هذا، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه، تقول: رابني هذا الأمر: أوقعني في ريبة؛ أي: في شك، وحقيقة الريبة: قلق النفس، واضطرابها. قال الرسول ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**». أخرجه الترمذي، والنسائي عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ سبط رسول الله ﷺ وريحانته.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف حسب ما رأيت في الآية رقم [١٧] من سورة (النحل). (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله،

والألف للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لفظ الجلالة. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ما قبله، وهو العائد. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿قَادِرٌ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾، وفاعله مستتر فيه، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿قَادِرٌ﴾.

﴿وَجَعَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (جعل): ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف مفعول به ثان، والأول: ما بعده. ﴿أَجَلًا﴾: مفعول به. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿رَيْبَ﴾: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿لَّا﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ في محل نصب صفة أجلاً، وجملة: ﴿وَجَعَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها، والكلام ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له. ﴿فَأَبَى﴾: الفاء: حرف استئناف. (أبى): ماض. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كُفُورًا﴾: مفعول به، وجملة: (أبى...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ...﴾ إلخ أي: لو ملكتم خزائن رزق الله، ونعمه؛ لبخلتم بالمال خشية إنفاقه؛ أي: نفاده، وذهابه. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ أي: بخيلاً؛ لأن بناء أمره على الحاجة، والبخل بما يحتاج إليه، وترقب العوض فيما يبذله، كالذكر الجميل، والثناء الحسن عليه، إن كان من أهل الدنيا، أو لطلب الثواب والأجر من الله تعالى؛ إن كان من أهل الإيمان، والطاعة.

ولقد اختلف في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المشركين خاصة. قاله الحسن، والثاني: أنها عامة، وهو قول الجمهور، وذكره الماوردي. انتهى. قرطبي. هذا؛ والإنفاق المراد به هنا: الفقر الناجم عن الإنفاق، فهو مثل قوله تعالى في غير ما آية: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ وانظر بعد ذلك شرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] وشرح ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في الآية رقم [١١] وانظر خشي في الآية رقم [٢١] من سورة (الرعد)، فإنه جيد.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنتُمۡ﴾: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، أو هو اسم لـ: «كان» محذوفة، وأصل الكلام: لو كنتم تملكون، وقد كثر حذف «كان» بعد «لو»، ورد هذا القول بأن المعهود بعد «لو» حذف «كان» ومرفوعها، فقيل: الأصل لو كنتم أنتم تملكون، فحذفا. وفيه نظر للجمع بين الحذف، والتوكيد. هذا؛ وقيل: إن ﴿أَنتُمۡ﴾ توكيد للفاعل المستتر في الفعل المحذوف، الذي يفسره ما بعده، وغلط من أعرب أنتم فاعلاً؛ لأن ضمير المخاطب، لا يجوز إظهاره. انتهى. والمغلط غالط، فكيف يفعل هذا المغلط، وما يقول في قول العباس بن مرداس السلمي الصحابي، وقل أن يخلو منه كتاب نحو؟ [البسيط]

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِن قَوْمِيَ لَمْ تَأكُلْهُمُ الضَّبُعُ

أليس الضمير المنفصل خبراً لكان محذوفة وعلى الاعتبارين كان الضمير متصلاً، فلما حذف الفعل انفصل الضمير، وبرز، وإنما وجب تقدير فعل؛ لأنَّ «لو» لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر كـ: «إنْ» و«إذا» الشرطيتين. ﴿تَمۡلِكُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مفسرة على الاعتبار الأول، وفي محل نصب خبر «كان» على الاعتبار الثاني، وعلى التقديرين فالجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿خَزَآئِنَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿رَحۡمَةِ﴾ مضاف إليه، و﴿رَحۡمَةِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّيٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِذٗا﴾: حرف جواب وجزاء. ﴿لَّأَمۡسَكۡتُمۡ﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَّوۡ﴾. (أمسكتم): فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، تقديره الأموال، والجملة الفعلية جواب ﴿لَّوۡ﴾، لا محل لها. ﴿خَشۡيَةَ﴾: مفعول لأجله. وقيل: حال، وهو مضاف، و﴿ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، و﴿لَّوۡ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ مستأنفة، لا محل لها. واعتبارها حالاً من ﴿ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ ضعيف معنى وهو يحتاج إلى تقدير «قد» قبلها، والرابط: الضمير فقط على اعتبار ﴿ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ صاحب الحال.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ﴾: لقد اختلف في هذه الآيات، فقيل: هي بمعنى: آيات الكتاب، كما روى الترمذي، والنسائي عن صفوان بن عسال المرادي: أن يهوديين

قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له: نبي، فإنه إن سمعك؛ صارت له أربعة أعين، فأتيا النبي ﷺ، فسألاه عن تلك الآيات، فقال ﷺ: «**لَا تُشْرِكُوا بالله شيئاً، وَلَاتَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالْحَقِّ، وَلَا تَسْرِقُوا، ولا تَسْحَرُوا، وَلَا تَمْشُوا ببريءٍ إلى سُلطانٍ فَيَقْتُلَهُ، وَلَا تأكلوا الرِّبَا، ولَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تَفِرُّوا من الزَّحْفِ، وعليْكمْ يَا مَعْشَرَ اليهودِ خَاصَّةً أَلَّا تَعْدُوا في السَّبْتِ» فَقَبَّلَا يديْهِ، ورجليْهِ. وقالا: نشهد أنك نبيٌّ. قال: فما يمنعكما أن تسلما؟ قالا: «إن داود دعا الله ألا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن أَسْلَمْنَا أَن تقتلَنَا الْيَهُودُ»**. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقيل: الآيات بمعنى: المعجزات، والدلالات، وأعتمد هذا، وخذ ما يلي:

قال ابن عباس، والضحاك ـ رضي الله عنهما ـ هي: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وانفجار الماء من الحجر، وانفلاق البحر، ونتق الطور على بني إسرائيل. وقيل: الطوفان، والسنون، ونقص من الثمرات مكان الثلاث الأخيرة، ولا تنس: الطمس على أموالهم، وقد تقدم شرح ذلك مفصلاً في سورة (البقرة) و(الأعراف)، و(يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾: هذا سؤال تبكيت، وتقريع لليهود؛ ليعرفوا صحة ما يقوله محمد ﷺ. وقيل: المعنى: فاسأل يا محمد المؤمنين من بني إسرائيل، وهم: عبد الله بن سلام، وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقيناً، وطمأنينة قلب؛ لأن الأدلة إذا تظاهرت؛ كان ذلك أقوى، وأثبت، كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. انتهى. كشاف.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ أي: ساحراً بغرائب أفعالك. قاله الفراء، وأبو عبيدة، فوضع المفعول موضع الفاعل: وقيل: مخدوعاً. وقيل: مغلوباً. قاله مقاتل. وقيل: غير هذا، بعد هذا انظر قصة موسى مع فرعون بالتفصيل في سورة (الأعراف) وسورة (طٰه)، وسورة (القصص)، و(الشعراء) وغيرها.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ انظر الآية رقم [٤١] ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿تِسْعَ﴾: مفعول به ثان، و﴿تِسْعَ﴾ مضاف، و﴿ءَايَٰتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: صفة ﴿ءَايَٰتٍ﴾ فهو مجرور، أو صفة ﴿تِسْعَ﴾ فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿فَسْئَلْ﴾: الفاء: حرف عطف على قول من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً؛ فاسأل. ﴿فَسْئَلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَنِيٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه

مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، والمفعول الثاني: محذوف، تقديره: عنه؛ أي: عن موسى. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿ءَاتَيْنَا﴾، وعليه فجملة: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معترضة بين الفعل ﴿ءَاتَيْنَا﴾ وما تعلق به. هذا؛ وقيل: إن التقدير: فقلنا له: اسأل... إلخ، وعليه فـ: ﴿إِذْ﴾ متعلق بالفعل المقدر، وجملة: ﴿فَسْـَٔلْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: «فقلنا...» إلخ المقدرة معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. هذا؛ وقد قرئ ﴿فَسَأَلَ﴾ بلفظ الماضي، فيكون الظرف متعلقاً به، والفاعل يعود إلى موسى عليه السلام، ويكون التقدير: فسأل موسى فرعون أن يخلي بني إسرائيل، ويطلق سبيلهم، ويرسلهم معه، وقيل غير ذلك، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (لقد...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال): ماض. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿لَأَظُنُّكَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (أظنك): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: يا: حرف نداء ينوب مناب: أدعو. (موسى): منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف للتعذر في محل نصب بـ: (يا)، والجملة الندائية معترضة بين مفعولي (أظن)، وجملة: ﴿لَأَظُنُّكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. وقال الجمل: معطوفة على مقدر؛ أي: إذ جاءهم فبلغهم الرسالة. فقال له فرعون. هذا؛ وجملة: ﴿جَآءَهُمْ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الآيات التسع، و﴿أَنزَلَ﴾ بمعنى: أوجد. ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ أي: دلالات يستدل بها على قدرة الله، ووحدانيته، وتدل على صدقي، ولكنك يا فرعون تعاند. هذا؛ و﴿بَصَآئِرَ﴾: عبر، وبينات، جمع: بصيرة. قال قس بن ساعدة الإيادي: [مجزوء الكامل]

فِـي الـذَّاهِـبِـيـنَ ٱلأَوَّلِـيـ ـنَ مِـنَ الـقُـرُونِ لَـنَـا بَـصَـائِـرْ

وله فراسة ذات بصيرة، وذات بصائر، وهي الصادقة، ورأيت عليك ذات البصائر. قال الكميت: [مجزوء الكامل]

وَرَأَوْا عَـلَـيْـكَ وَمِـنْـكَ فِـي الْـ ـمَـهْـدِ الـنُّـهـى ذَاتَ الْـبَـصَـائِـرْ

وقرأ الكسائي ﴿عَلِمْتَ﴾ بضم التاء، وهي قراءة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وروي: أنه قال: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هذا الذي علم، فبلغت ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فأيد الفتح، واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، ونسب فرعون إلى العناد.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: الظن هنا: بمعنى: اليقين بخلافه في الآية السابقة، فإنه بمعنى: الشك، بل بمعنى: الظن الخاطئ الكاذب الفاسد، والظن في الأصل: الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض. وقد نهى الله عنه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ونهى عنه النبي ﷺ بقوله: «**إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الْحَدِيث**». وهذا إذا كان ظن سوء، وأما الظن الحسن فلا بأس به، بل هو ممدوح، كما ستعرفه إن شاء الله تعالى في سورة (الحجرات).

والثبور: الهلاك والخسران. وقال البيضاوي: مصروفاً عن الخير، مطبوعاً على الشر. وقيل: ملعوناً. وقيل: ناقص العقل. والمعتمد الأول.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى موسى عليه السلام. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمْتَ﴾: فعل، وفاعل، وهو معلق عن العمل لفظاً. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به، والهاء: حرف تنبيه، لا محلَّ له ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَبُّ﴾: فاعل: ﴿أَنزَلَ﴾ و﴿رَبُّ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بَصَآئِرَ﴾: حال، وفي عاملها قولان: أحدهما أنه ﴿أَنزَلَ﴾ هذا الملفوظ به، وصاحب الحال ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وإليه ذهب الحوفي وابن عطية، وأبو البقاء، وهؤلاء يجيزون أن يعمل ما قبل «إلا» فيما بعدها، وإن لم يكن مستثنًى، ولا مستثنًى منه، ولا تابعاً له. والثاني: وهو مذهب الجمهور: أنَّ ما بعد «إلا» لا يكون معمولاً لما قبلها، فيقدر له عامل، تقديره: أنزلها بصائر، وقد تقدم نظيره في الآية رقم [٢٧] من سورة (هود) عليه السلام. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وجملة: ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعولي ﴿عَلِمْتَ﴾ المعلق عن العمل لفظاً بسبب النفي، وجملة: ﴿عَلِمْتَ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ في محل نصب حال مِن تاء الفاعل على القراءتين، والرابط: الواو، والضمير، وإعرابها مثل إعراب ما قبلها في الآية السابقة.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أراد فرعون أن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر، أو من الأرض مطلقاً بالقتل والاستئصال. وانظر الآية رقم [٧٦] والاستفزاز:

الاستخفاف. انظر الآية رقم [٦٤] ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ أي: عكسنا عليه مكره، فأخرجناه وجنوده من قصورهم، وديارهم، وأغرقناهم في البحر، ونجينا موسى، ومن معه. وانظر (نا) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿فَأَرَادَ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: عاطفة. (أراد): ماض، وفاعله يعود إلى (فرعون). ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى (فرعون) أيضاً. ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَأَرَادَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب وأجيز اعتباره مفعولاً معه. ﴿مَّعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال مِن الضمير المنصوب، وما عطف عليه، فهي حال معناها التوكيد.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد فرعون وإغراقه مع قومه. ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: الأرض التي أراد فرعون أن يخرجكم منها، والمراد: أرض الشام، ومصر؛ التي، أورثها الله بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وقومه. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: المراد به: يوم القيامة الذي لا خلف فيه، ولا شك فيه. وقيل: المراد به نزول عيسى، عليه السلام. ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: أحييناكم، وأخرجناكم من القبور، وجمعناكم في المحشر مختلطين إياكم، وإياهم، ثم نحكم بينكم، ونميز سعداءكم من أشقيائكم، واللفيف: الجماعات من قبائل شتى. يقال: جاء القوم بلفهم، ولفيفهم؛ أي: وأخلاطهم. قال الأصمعي: اللفيف: جمع، وليس له واحد، وهو مثل الجميع، والمعنى: أنهم يخرجون من القبور كالجراد المنتشر مختلطين لا يتعارفون، ثم يميز الله بين صالحهم، وطالحهم... إلخ، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقُلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿وَقُلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال مِن (بني إسرائيل) والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَنِىٓ﴾: متعلقان بما قبلهما أيضاً، وعلامة الجر الياء... إلخ، و(بني): مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه... إلخ. ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: منصوب على الظرفية المكانية عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو

منتصب انتصاب المفعول به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: «دخلت المدينة، ونزلت البلد، وسكنت البيت» وجملة: ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف. (إذا): انظر الآية رقم [٦٧]. ﴿جَآءَ﴾: ماض. ﴿وَعْدُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿جَآءَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿جِئْنَا﴾: ماض و(نا): فاعله. ﴿بِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَفِيفًا﴾: حال مِن الكاف، وجملة: ﴿جِئْنَا...﴾ إلخ جواب (إذا)، و(إذا) ومدخولها معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: ما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة، وما نزل إلا ملتبساً بالحق، والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كلِّ خير، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق، محفوظاً بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم مِنْ تخليط الشياطين. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: للمطيعين بالثواب. ﴿وَنَذِيرًا﴾: للعاصين من العقاب فلا عليك يا محمد إلا التبشير، والإنذار. وانظر شرح (الحق) في الآية رقم [٨١] وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قصر إضافي، وهو هنا قصر موصوف على صفة، وهو كثير في كتاب الله تعالى. قال الراوي: اشتكى محمد بن السمَّاك، فأخذنا ماءه، وذهبنا به إلى طبيب نصراني، فاستقبلنا رجل حسن الوجه، طيب الرائحة، نقي الثوب، فقال لنا: إلى أين؟ فقلنا له: إلى فلان الطبيب نريه ماء ابن السمَّاك، فقال: سبحان الله، تستعينون على ولي الله بعدوِّ الله؟! اضربوه على الأرض، وارجعوا إلى ابن السمَّاك، وقولوا له: ضع يدك على موضع الوجع، وقل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ ثم غاب عنا، فلم نره، فرجعنا إلى ابن السماك، فأخبرناه بذلك، فوضع يده على موضع الوجع، وقال ما قال الرجل، فعوفي في الوقت. وقال: كان ذلك الخضر عليه السلام. انتهى. نسفي.

الإعراب: ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾: الواو: حرف استئناف. (بالحق): متعلقان بمحذوف حال صاحبه الضمير المنصوب، وعامله ما بعده. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن فاعل ﴿نَزَلَ﴾ المستتر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مُبَشِّرًا﴾: مفعول به ثان. وقال الجمل: حال مِن الكاف. ﴿وَنَذِيرًا﴾: معطوف على ما قبله. هذا؛ وقد قال الجمل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ...﴾ إلخ متعلق في المعنى بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ...﴾ إلخ. وفي الخطيب: إنه معطوف على ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا...﴾ إلخ. انتهى. وأرجح الاستئناف، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ أي: بينا حلاله، وحرامه، أو فرقنا بين الحق والباطل، وهو بتخفيف الراء، وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجماعة بتشديد الراء، وفيه وجهان: أحدهما: أن التضعيف للتكثير؛ أي: فرقنا آياته بين أمر ونهي، وحكم، وأحكام، ومواعظ، وأمثال، وقصص، وأخبار ماضية، ومستقبلة، انظر الآية رقم [١١١] من سورة (يوسف) تجد ما يسرك و[٤١] من هذه السورة. والثاني: أنه دال على التفريق، والتنجيم، ومعلوم: أن القرآن نزل مفرقاً منجماً في ثلاث وعشرين سنة على حسب مقتضيات الأحوال. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨٤] من سورة (البقرة)، ويؤيد التفسير الثاني: قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على مهل، وتؤدة، فإنه أيسر للحفظ، وأعون في الفهم. وقيل: ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على ترسل في التلاوة. قاله مجاهد، وابن عباس، وابن جريج، فيعطي القارئ القراءة حقها من ترتيلها، وتحسينها، وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين، ولا تطريب مؤدٍ إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة، أو نقصان. هذا؛ والمكث في الأصل مصدر: مَكَثَ، يمكث، بمعنى: أقام يقيم. قال الكميت يذم ولاة السوء: [الطويل]

فَتِلْكَ وُلَاةُ السُّوْءِ قَدْ طَالَ مُكْثُهُمْ ... فَحَتَّامَ حَتَّامَ الْعَنَاءُ الْمُطَوَّلُ؟

و(المكث) بضم الميم، وتكسر. وهذا على: أنه اسم، وأما المصدر، فإن كان فعله من باب: نصر، فهو بضم الميم أيضاً، وإن كان من باب: كرم فهو بفتح الميم.

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ أي: نجماً بعد نجم، انظر الآية رقم [٨٩] من سورة (النحل) لترى الفرق بين نزلنا، وأنزلنا. وانظر (نا) في الآية رقم [٢١] من سورة (الحجر). وانظر شرح القرآن في الآية رقم [١] منها.

الإعراب: ﴿وَقُرْءَانًا﴾: الواو: حرف عطف. (قرآنا) مفعول به لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وآتيناك قرآناً. ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة مفسرة على الوجه الأول، لا محل لها، وفي محل نصب صفة (قرآناً) على الوجه الثاني فيه. ﴿لِتَقْرَأَهُۥ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر، وجملة: ﴿وَقُرْءَانًا...﴾ إلخ على الاعتبارين معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ﴾ معطوفة عليها. ﴿تَنزِيلًا﴾: مفعول مطلق.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾: هذا على وجه التهديد والوعيد، لا على وجه التخيير. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي: إن لم تؤمنوا بالقرآن، أو بمحمد ﷺ، فقد آمن به من هو خير منكم، وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة، وعرفوا حقيقة الوحي، وأمارات النبوة، وتمكنوا من التمييز بين المحق والمبطل، ورأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب. وقيل: هم قوم من ولد إسماعيل، تمسكوا بدينهم، إلى أن بعث الله تعالى محمداً ﷺ، منهم: زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل. ولا وجه له ألبتة. ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: القرآن. وقيل: كانوا إذا تلوا كتابهم، وما أنزل عليه من القرآن خشعوا، وسجدوا، وسبحوا. والأول: أولى بالاعتبار. ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله، وشكراً لإنجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد ﷺ على فترة من الرسل، وإنزاله القرآن عليه. هذا؛ والمراد: بـ: (الأذقان) الوجوه، وخصت بالذكر؛ لأن الذقن أول جزء من الوجه يقرب من الأرض عند السجود، والأذقان جمع: ذقن وهو مجتمع اللحيين.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾ أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ءَامِنُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: (امضوا) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحجر). ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تُؤْمِنُوٓا۟﴾: مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿أُوتُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْعِلْمَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أُوتُوا۟...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. إذا: انظر الآية رقم [٦٧] ﴿يُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب فاعله مستتر يعود إلى (القرآن). ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿يَخِرُّونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما. ﴿سُجَّدًا﴾: حال مِن واو الجماعة، وهو بمعنى: ساجدين، وجملة: ﴿يَخِرُّونَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها

في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ تعليل للأمر والنهي، وهي في محل نصب مقول القول. وقيل: هي تعليل لـ: ﴿قُلْ﴾ نفسه، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: الذين، أوتوا العلم. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾: تنزيهاً له تعالى عن خلف الوعد، أو تعظيماً لربنا لإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد ﷺ. ﴿إِن كَانَ وَعْدُ...﴾ إلخ: إن الحال والشأن وعد ربنا متحقق الوقوع، لا محالة. بعد هذا انظر ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية رقم [١٦] وشرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] وشرح: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (النحل)، وشرح (الوعد) في الآية رقم [٣٣] من سورة (الرعد). وانظر كان في الآية رقم [٣٠].

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق فعله محذوف، وهو مضاف، و﴿رَبِّنَآ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، و(نا): في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿وَعْدُ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿رَبِّنَا﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَمَفْعُولًا﴾: اللام: هي المزحلقة. (مفعولا): خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِن﴾، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يَخِرُّونَ...﴾ إلخ. هذا؛ والمعتمد: أنَّ (إنْ) مهملة، واللام هي الفارقة بين النفي، والإثبات.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾: انظر الآية [١٠٧] وكرره لاختلاف الحال، أو السبب، فإن الأول: للشكر عند إنجاز الوعد، والثاني: لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله. ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ أي: القرآن. ﴿خُشُوعًا﴾: خضوعاً لله، واستجابة لأمره ونهيه، والخشوع: سكون الجوارح، وخضوع القلب، واطمئنانه، وهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، وانظر الآية رقم [٢] من سورة (المؤمنون) لتنظر الخشوع في الصلاة. وانظر «زاد، يزيد» في الآية رقم [٤١].

هذا؛ وفي الآية دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى، أو على معصيته في دين الله، وأن ذلك لا يقطعها، ولا يضرها، ذكر ابن المبارك، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه. قال: «أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ البكاءِ». انتهى. قرطبي. هذا؛ والبكا بالقصر: إسالة الدمع من غير رفع صوت، وبالمد إسالة الدمع مع رفعه. قال الخليل رحمه الله تعالى: من قصر «البكا» ذهب به إلى معنى الحزن، ومن مدَّه ذهب به إلى معنى الصوت. قال كعب بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي، وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ، وَلَا الْعَوِيلُ

وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (يوسف) عليه السلام. هذا؛ ويسن السجود في آخر هذه الآية بعد تلاوتها وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٠] من سورة (النحل)، وفي الآية رقم [٥٧] من سورة (مريم).

الإعراب: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾: انظر الآية قبل السابقة، وهذه معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿يَبْكُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن واو الجماعة، وجاءت الحال هنا فعلاً لدلالته على التجدد، والحدوث، وجاءت في الآية قبل السابقة اسماً لدلالته على الاستمرار، والثبوت. الواو: حرف عطف. ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: مضارع، والهاء مفعوله الأول، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى القرآن، أو البكاء، أو السجود، أو المتلو لدلالة قوله تعالى: ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾. ﴿خُشُوعًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. تأمل.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠)﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة، فجعل يقول في سجوده: «يا الله يا رحمن». فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا، وهو يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية. انتهى. خازن. وأبو جهل يعني بالرحمن مسيلمة الكذاب الذي كان يسمى رحمان اليمامة، والمخاطب بهذا الأمر النبي ﷺ. هذا؛ و﴿ادْعُوا﴾ هنا يحتمل أن يكون من الدعاء، وهو النداء، فيتعدى لواحد، وأن يكون بمعنى: التسمية، وعليه الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، فيتعدى لاثنين، كما في قول الشاعر: [الطويل]

دَعَتْنِي أَخَاهَا أُمُّ عَمْرٍو، وَلَمْ أَكُنْ ... أَخَاهَا، وَلَمْ أَرْضَعْ لَهَا بِلِبَانِ

دَعَتْنِي أَخَاهَا بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الفِعْلِ مَا لَا يَفْعَلُ الأَخَوَانِ

وقد حذف المفعول الأول، لقوله: ﴿ادْعُوا﴾ ونصب الثاني: بعد حذف الجار؛ إذ التقدير: ﴿قُلِ﴾: ادعوا معبودكم بالله، أو ادعوه بالرحمن، بمعنى: سمُّوه. ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: فلله الأسماء الحسنى، وإذا حسنت أسماؤه كلها؛ فهذان الاسمان منها، ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مشتملة على معاني التقديس، والتعظيم، والتمجيد، وعلى صفات الجلال، والكمال، والحسنى مؤنث الأحسن الذي هو أفعل تفضيل، لا مؤنث أحسن المقابل لـ: امرأة حسناء. والحسنى بالضم ضد السوأى، وقد وصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة، كقوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ وهو فصيح، ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب «الحسن» على وزن الأخر، كقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ لأن جمع ما لا يعقل يخبر عنه، ويوصف بوصف المؤنثات وإن كان المفرد مذكراً. انتهى. جمل من هنا، وهناك.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت والرسول ﷺ مختف بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به. انتهى. متفق عليه. وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: نزلت في الدعاء، وهو قول النخعي، ومجاهد، ومكحول. وقال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون بالتشهد، فنزلت. وعنه أيضاً: أن أبا بكر كان يسر بقراءته في صلاة الليل، وكان عمر يجهر بها ـ رضي الله عنهما ـ وأرضاهما، فسألهما رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إنما أناجي ربي، وهو يعلم حاجتي إليه. وفي رواية عنه: لقد أسمعت من ناجيت. وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنا أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، فلما نزلت هذه الآية قال الرسول ﷺ لأبي بكر: ارفع قليلاً. وقال لعمر: اخفض قليلاً. ذكره الطبري، وغيره، وهذا يعني: أن الآية مدنية، والمعتمد أنها مكية، فيكون ما ذكر من أمر الرسول ﷺ لعمر بالتوسط بين الجهر والإسرار استدلالاً بهذه الآية لا سبباً لنزولها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. والجهر: رفع الصوت، والمخافتة: خفضه. ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: اطلب، أو اقصد طريقاً وسطاً بين الجهر، والإسرار. وانظر شرح (بين) في الآية رقم [٤٥] وشرح ﴿سَبِيلًا﴾ في الآية رقم [٤٢].

تنبيه: عبر سبحانه وتعالى بالصلاة هنا عن القراءة، كما عبر بالقراءة عن الصلاة في الآية رقم [٧٨] لأن كل واحد منهما مرتبط بالآخر؛ لأن الصلاة تشتمل على قراءة، وركوع، وسجود، فهي من جملة أجزائها، فعبر بالجزء عن الجملة، وبالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز، وهو كثير. انتهى. قرطبي.

أما بعد؛ فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، إنه وتر، يحب الوتر، من أحصاها دخل الجنة، وهي: هو الله الذي لا إله**

إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، الْمُقِيتُ، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الولي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور».

رواه الطبراني في جامعه.

وقول الرسول ﷺ: «**من أحصاها**». قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: معناه: من حفظها. هكذا فسره البخاري، والأكثرون، ويؤيده: أن في رواية الصحيح «مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجنَّة» وقيل: معناه: من عرف معانيها، وآمن بها. وقيل: معناه: من أحصاها بحسن الرعاية لها، والتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها. انتهى، نقلاً عن النووي. هذا؛ والمقيت: المقتدر، فيرجع لمعنى القادر قال تعالى في الآية رقم [٨٥] من سورة (النساء): ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾. وقيل: معناه: مَنْ شاهد النجوى، فأجاب، وعلم البلوى، فكشف، واستجاب. وقيل: هو المتكفل بأرزاق العباد. فيرجع إلى القدرة.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱدْعُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر الشرح لتقدير: مفعوله، أو مفعوليه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَيًّا﴾: اسم شرط جازم مفعول به مقدم، والتنوين عوض من المضاف إليه؛ إذ الأصل: أي: هذين الاسمين تدعوا. و﴿مَّا﴾: زائدة. وقيل: شرطية مؤكدة لـ: ﴿أَيًّا﴾. ﴿تَدْعُواْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فَلَهُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (له): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: صفة له مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. لا: ناهية. ﴿تَجْهَرْ﴾:

مضارع مجزوم بـ: (لا) والفاعل تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿بِصَلَاتِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَٱبْتَغِ﴾: أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من ﴿سَبِيلًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة التي ذكرتها مراراً. ﴿سَبِيلًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَٱبْتَغِ...﴾ إلخ معطوفة على الجمل السابقة لا محل لها أيضاً.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

الشرح: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه الآية رادة على اليهود، والنصارى، والعرب في قولهم أفذاذاً: عزير، وعيسى، والملائكة ذرية الله سبحانه. تعالى الله عن أقوالهم! ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ أي: لا شريك له في ملكه، ولا في عبادته. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: لم يذل، فيحتاج إلى ولي، ولا ناصر لعزته، وكبريائه. وقال مجاهد: المعنى: لم يحالف أحداً، ولا ابتغى نصر أحد. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي: عظمه تعظيماً كاملاً، وقدِّسه تقديساً تامّاً عن أن يكون له ولد، أو شريك، أو ولي، وإذا كان منزهاً عما ذكر، كان مستوجباً لجميع أنواع المحامد. انتهى.

روى الإمام أحمد في مسنده، عن معاذ الجهني ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «**آية العز: الحمد لله الذي...**». إلخ وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنهم ـ قال: كان النبي ﷺ إذا أفصح الغلامُ من بني عبد المطلب علمه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى...﴾ إلخ. وقال عبد الحميد بن واصل: سمعت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قرأ: وقل: الحمد لله.... إلخ كتب الله له من الأجر مثل الأرض والجبال؛ لأن الله تعالى يقول فيمن زعم أنَّ له ولداً**: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾» وجاء في الخبر: أن النبي ﷺ أمر رجلاً شكا إليه الدين بأن يقرأ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ...﴾ إلى آخر السورة، ثم يقول: توكلت على الحي الذي لا يموت ثلاث مرات. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَقُلِ﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، تقديره: ثابت لله، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُلِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لـ: ﴿لِلَّهِ﴾، أو بدل منه، أو عطف

بيان عليه. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَتَّخِذْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، والفاعل يعود إلى ﴿الَّذِي﴾ وهو العائد. ﴿وَلَدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم): حرف جازم. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص. ﴿لَّهُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شَرِيكٌ﴾: اسمه مؤخر. هذا؛ وإن اعتبرت الفعل تاماً فـ: ﴿شَرِيكٌ﴾ فاعله، وله متعلقان بـ ﴿شَرِيكٌ﴾، أو بمحذوف حال مِنه، كان صفة له... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فِي الْمُلْكِ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَرِيكٌ﴾ وجملة: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾: معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وإعرابها مثل إعراب ما قبلها بلا فارق. ﴿وَكَبِّرْهُ﴾: الواو: حرف عطف. (كبِّره): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء: مفعول به. ﴿تَكْبِيرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَقُلِ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر.

انتهت سورة (الإسراء) بعونه تعالى تفسيراً وإعراباً.

سورة الكهف

[سورة (الكهف)، وهي مكية بالإجماع، وقال الجلال: إلا ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ...﴾ إلخ الآية رقم ـ ٢٨ ـ وما بعدها. وآياتها مئة وإحدى عشرة آية، وكلماتها ألف وخمسمئة وسبع وسبعون كلمة، وحروفها ستة آلاف وثلاثمئة وستون حرفاً. انتهى. خازن].

وروي في فضلها من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: «**من قرأ بها أعطي نوراً بين السماء والأرض، ووقي بها فتنة القبر**» وقال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: إن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ على سورةٍ شيعها سبعونَ أَلْفَ مَلَكٍ، مَلأَ عِظَمُها ما بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ، لِتالِيها مِثْلُ ذَلِكَ**»، قَالُوا: بلى يا رسولَ اللهِ! قال: «**سُورَةُ أَصْحابِ الكهفِ، مَنْ قَرَأَهَا يَوْمَ الْجُمعةِ، غُفِرَ لَهُ، إلى الْجُمعةِ الأُخرى، وَزِيَادَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَأُعْطِيَ نُوراً يَبْلُغُ السماءَ، وَوُقِيَ فِتْنَةَ الدَّجالِ**». ذكره الثعلبي والمهدوي أيضاً بمعناه، وفي مسند الدَّارمي عن أبي سعيد الخدري قال: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ ليلةَ الْجُمعةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**». انتهى. قرطبي بحروفه. فأنت ترى بعض هذه الأحاديث موقوفة، وبعضها مرفوعة. هذا؛ وانظر شرح البسملة، والاستعاذة وإعرابهما في أول سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله ـ: أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بإنعامه على خلقه، وعلم عباده كيف يثنون عليه، ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم، وهي الإسلام، وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم، وفوزهم. وخص رسول الله ﷺ بالذكر؛ لأن إنزال القرآن، كان نعمة عليه على الخصوص، وعلى سائر الناس على العموم. انتهى. ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ أي: لم يجعل فيه شيئاً من العوج باختلاف في اللفظ، أو اختلال في المعنى، والعوج بكسر العين، وفتحها، وقد فرق العرب بينهما، فخصوا المكسور بالمعاني، والمفتوح بالأعيان، تقول: في دينه عِوَج بالكسر، وفي الجدار عَوَج بالفتح. وقيل: العوج في المعاني كالعوج في الأعيان. وانظر الآية رقم [١٠٧] من سورة (طه) تجد ما يسرك.

﴿لِلَّهِ﴾: (الله): علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال، ولم يسمَّ به أحد سواه. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: هل تعلم أحداً تسمى (الله) غير الله، وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمئة وستين موضعاً. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٥] من سورة (مريم) عليها السلام.

الإعراب: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، تقديره: ثابت لله، والجملة الاسمية ابتدائية، لا محل لها. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جرٍّ صفة لله، أو بدل منه. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، وهو العائد. ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَجْعَل﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾. ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عِوَجَا ۜ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ والرابط: الواو، والضمير، وأجيز عطفها على جملة الصلة. وقيل: هي معترضة بين الحال ﴿قَيِّمًا﴾، وصاحبها، وهو ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو ضعيف.

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَيِّمًا﴾: مستقيماً معتدلاً، لا إفراط فيه، ولا تفريط، أو قيماً بمصالح العباد، فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال، أو قيماً على الكتب السابقة يشهد بصحتها. انتهى. بيضاوي. وقرأه العامة بالتشديد، فأصله: قَيْوماً، فقلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياء في الياء، وقرأه أبان بن تغلب: (قِيَماً) بكسر القاف وفتح الياء مخففة، فأصله قِوَماً، فقلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦٢] من سورة (الأنعام)، والآية رقم [٥] من سورة (النساء)، والآية رقم [٩٧] من سورة (المائدة) وذكر الاستقامة بعد نفي العوج للتأكيد، وربَّ مشهود له بالاستقامة لا يخلو عن أدنى عوج عند السبر، والصفح. هذا؛ وفي «القاموس» وغيره: القيِّم على الأمر متوليه، كقيِّم الوقف، والقيِّم على اليتيم... إلخ، وقيِّم المرأة: زوجها، وأمر قيِّم مستقيم، والديانة القيِّمة المستقيمة. قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي: لينذر الذين كفروا عذاباً شديداً عاجلاً في الدنيا، وعذاباً أليماً في الآخرة. ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: من عند الله تعالى. وانظر شرح (لدن) في الآية رقم [٨٠] من سورة

(الإسراء). ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . . . ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ : هو الجنة وما فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿قَيِّمًا﴾ : حال مِن ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، أو من الضمير في ﴿لَّهُۥ﴾ ، أو هو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: جعله قيماً. وقدره ابن هشام بقوله: (أنزله قيما) على أنَّ ﴿قَيِّمًا﴾ حال مِن مفعول الفعل المحذوف، وعلى الأول: فهو من تعدد الحال مختلفاً بالأفراد، والجملة، أو من تداخلها. تأمل، وتدبر. وقال أبو حيان: ﴿قَيِّمًا﴾ بدل من جملة: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ ؛ لأنها في معنى المفرد؛ أي: جعله مستقيماً. ﴿لِّيُنذِرَ﴾ : مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، والمفعول الأول: محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿بَأْسًا﴾ : مفعول به ثان. ﴿شَدِيدًا﴾ : صفة له. ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ : متعلقان بمحذوف حال مِن فاعل (ينذر) المستتر؛ أي: صادراً من لدنه. وأجيز تعليقهما بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿بَأْسًا﴾ وتعليقهما بمحذوف حالٍ من الضمير في ﴿شَدِيدًا﴾ . و(لدن) مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِّن﴾ ، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل (ينذر) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَنزَلَ﴾ . ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ : معطوف على ينذر منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ . ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ : مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ : اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أو بدل منه. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ : مضارع مرفوع . . . إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ : مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَنَّ﴾ : حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُمْ﴾ : متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجْرًا﴾ : اسمها مؤخر. ﴿حَسَنًا﴾ : صفة له، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بكونهم مأجورين. . . إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (يبشر). تأمل، وتدبر.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ : مقيمين في ذلك الأجر، وهو دار الخلود لا يموتون، ولا يخرجون منها أبداً. هذا؛ وماكث اسم فاعل مِنْ مكث، يمكث بمعنى أقام يقيم، والمصدر: المكث. قال الكميت يذم ولاة السوء: [الطويل]

فَتِلْكَ وُلَاةُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُكْثُهُمْ ... فَحَتَّامَ حَتَّامَ الْعَنَاءُ الْمُطَوَّلُ؟

والمكث: بضم الميم، وتكسر، وهذا على أنَّه اسم، وأما المصدر، فإن كان فعله من باب: نصر؛ فهو بضم الميم أيضاً، وإن كان من باب كرم؛ فهو بفتح الميم.

﴿وَيُنذِرَ﴾: يخوف بالتهديد، والوعيد. ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: وهم اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا: عيسى ابن الله، ومشركو العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله. هذا؛ و(الأبد): الزمان الطويل الذي ليس له حد، فإذا قلت: لا أكلمك أبداً؛ فالأبد مِنْ وقت التكلم إلى آخر العمر. هذا؛ وقيد سبحانه المكث بالأبد حتى لا يفهم منه المكث الطويل الذي ينقطع، ولا يدوم.

الإعراب: ﴿مَّاكِثِينَ﴾: حال مِن الضمير في: ﴿لَهُمْ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء .. إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَّاكِثِينَ﴾. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق به أيضاً. ﴿وَيُنذِرَ﴾: معطوف على لينذر، منصوب مثله، والفاعل يعود إلى (الكتاب) أيضاً. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، والمفعول الثاني: محذوف، تقديره: عذاباً شديداً، بخلاف الأول، فإنه حذف منه المفعول الأول: كما رأيت، فقد حذف من كل منهما ما ذكر في الآخر، ومثل هذا يسمى في الكلام احتباكاً. ﴿قَالُوا﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وجملة: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾

الشرح: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس للكافرين الذين يزعمون أن الله اتخذ ولداً، ليس لهم علم بالولد، أو باتخاذه، أو بالقول الذي يفترونه، والمعنى: أنهم يقولونه عن جهل مفرط، وتوهم كاذب، أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به. أو المعنى: لا يعرفون الله حق المعرفة، ولو عرفوه لما جوزوا نسبة اتخاذ الولد إليه. ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ﴾ أي: وليس لآبائهم علم بما تقوَّلوه، وافتروه من قبلهم.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾ أي: عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه، والتشريك، وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه، ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ والضلال. هذا؛ وجمع ﴿أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾ على الأصل؛ لأن الأصل في: فم: فَوْه مثل: حوض، وأحواض. ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ أي: قولهم: اتخذ الله ولداً كذب صراح؛ لكونه في غاية الفساد، والبطلان، فكان يجري على لسانهم على سبيل التوهم، والتقليد بدون تعقل، وتفكر، وتدبر. هذا؛ والمراد: بـ: ﴿كَلِمَةً﴾ الكلام الكثير. وانظر الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. وانظر شرح (الكذب) في الآية رقم [١٠٥] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال مِن الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وأجيز تعليقهما بـ: ﴿عِلۡمٍ﴾. ﴿مِنۡ﴾: حرف جر صلة. ﴿عِلۡمٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها: اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾: معطوفان على ﴿لَهُم﴾. ﴿كَبُرَتۡ﴾: ماض محول إلى باب: فعُل لإنشاء الذم، والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ انظر الشرح. ﴿كَلِمَةٗ﴾: تمييز، ويقرأ بالرفع على أنها فاعل. ﴿تَخۡرُجُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿كَلِمَةٗ﴾. ﴿مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَخۡرُجُ...﴾ إلخ صفة كلمة على القراءتين فيها، وجملة: ﴿كَبُرَتۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَذِبٗا﴾: مفعول به، وجاز ذلك؛ لأنه بمعنى: كلام كثير، أو هو صفة مصدر محذوف؛ أي: قولاً كذباً، وجملة: ﴿إِن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾

الشرح: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾: يا محمد. ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾: مهلك نفسك، وقاتلها. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾: من بعدهم، شبهه وإياهم حيث تولوا عنه، وأعرضوا عن دعوته، ولم يؤمنوا بالقرآن الذي جاء به، وما تداخله من الحزن الشديد على توليهم برجل فارقه أحبته، فهو يتساقط حسرات عليهم، ويهلك نفسه وجداً عليهم، وتلهفاً على فراقهم. ففي الكلام استعارة تمثيلية، والمراد: بـ: ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن، كما هو في كثير من الآيات، و(الأسف) المبالغة في الحزن، ولقد أسف يعقوب على فراق ولديه، كما رأيت في الآية رقم [٨٤] من سورة (يوسف) على حبيبنا، وشفيعنا وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. وانظر شرح نفسك في الآية [٥٣] منها أيضاً. وانظر شرح الإيمان في الآية رقم [٣٨] من سورة (النحل)، وبخع نفسه: قتلها غماً. وقال ذو الرُّمة: [الطويل]

أَلَا أَيُّهَذَا البَاخِعُ الوجد نَفْسَهُ ... بِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

الإعراب: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لعلك): حرف مشبه بالفعل، والترجي هنا ليس على بابه، بل المقصود من هذا الترجي النهي؛ أي: لا تبخع نفسك؛ أي: لا تهلكها غماً على عدم إيمانهم. وقيل: هو للإشفاق على بابها. هذا؛ والفرق بين الترجي، والإشفاق: أن الأول: في المحبوب، والثاني: في المكروه، وما في الآية من هذا القبيل. وقيل: لعل هنا للاستفهام، وهو رأي: الكوفيين، ومثل الآية الآية رقم [٣] من سورة (الشعراء). والكاف

اسمها. ﴿بَٰخِعٌ﴾: خبر (لعلَّ)، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿نَّفۡسَكَ﴾: مفعول به لـ: ﴿بَٰخِعٌ﴾ والكاف في محل جر بالإضافة، ولا يعمل اسم الفاعل إلا إذا كان حكاية حال ماضية، كما في الآية رقم [١٨] الآتية، أو كان بمعنى: الحال، أو الاستقبال، ولا يعمل إذا كان بمعنى: الماضي المحض. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَٰخِعٌ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿لَّمۡ﴾: حرف جازم. ﴿يُؤۡمِنُواْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿بِهَٰذَا﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء حرف تنبيه، لا محل له مقحم بين اسم الإشارة والجار. ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، ويقال: صفة له. ﴿أَسَفًا﴾: مفعول لأجله، أو هو مصدر في موضع الحال مِن الضمير في ﴿بَٰخِعٌ﴾، والعامل فيه على الاعتبارين باخع مع تباعد ما بينهما، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ إذ التقدير: إن لم يؤمنوا..... فلا تبخع نفسك عليهم. هذا؛ وقرئ بفتح همزة (أَنْ) على اعتبارها مصدرية، تؤوَّل مع ما بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لعدم إيمانهم، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿بَٰخِعٌ﴾ أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ٧﴾

الشرح: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا﴾ أي: ممَّا يصلح أن يكون زينة لها، ولأهلها من زخارف الدنيا، وما يستحسن منها، فالمراد: النبات، والأشجار، والأنهار، وفي هذه الأيام: البناء، وما يتعلق به من تقدم الحضارة، من: كهرباء، وتقدم المواصلات في الأرض، والهواء... إلخ. وقيل: أراد به الرجال خاصة، فهم زينة الأرض. وقيل: أراد به العلماء والصلحاء. وقيل: المراد: جميع ما في الأرض. وهو المعتمد، فإن قيل: أية زينة في الحيات، والعقارب، وجميع الهوام المؤذية، والشياطين من الإنس والجن، فالجواب زينتها تدل على وحدانية الله، وكمال قدرته. انتهى. خازن بتصرف.

﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ أي: لنعاملهم معاملة المختبر لأحوالهم كيف يعملون، فإن ما خلقه الله في الأرض زينة لها، ولهم، وأسباب، ومواد لوجود بني آدم ومعاشهم، وما تحتاج إليه أعمالهم، ودلائل، وأمارات يستدلون بها، ويستنبطون منها معرفة الواحد الأحد، فيبعثهم ذلك على الإيمان به، وإخلاص العبادة له. فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ تلا: ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۗ﴾ من سورة (هود)، ثم قال: «**أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله**». هذا؛ والابتلاء الاختبار يكون في الخير، والشر. قال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ رقم [١٦٧] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت النون، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿زِينَةً﴾: أجيز اعتباره مفعولاً لأجله، وحالاً على اعتبار ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: خلقنا، ومفعولاً ثانياً إن كان بمعنى: صيرنا. ﴿لَّهَا﴾: متعلقان بزينة، أو بمحذوف صفة لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ مستأنفة. وقيل: تعليل للنهي المقصود من الترجي، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿أَيُّهُمْ﴾: اسم استفهام مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَحْسَنُ﴾: خبره. ﴿عَمَلًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: (أيهم أحسن عملاً) في محل نصب مفعول به ثان، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿جَعَلْنَا﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿أَيُّهُمْ﴾ اسماً موصولاً بمعنى: (الذي) و﴿أَحْسَنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة الاسمية هذه صلة له، ويكون هذا الموصول في محل نصب بدلاً من مفعول ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾، تقديره: لنبلو الذي هو أحسن، وعليه فالضمة للبناء، والمعتمد الأول، ويؤيده الآية رقم [٧] من سورة (هود) عليه السلام.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

الشرح: (الصعيد): التراب، والصعيد: وجه الأرض مطلقاً، وبالأول: فسر الشافعي رحمه تعالى قوله جل ذكره: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ وبالثاني: فسره أبو حنيفة رحمه الله تعالى. وجمعه: صعد. والصعيد: الطريق، وقد جاء في الحديث: «**إياكم والقعود على الصُّعُدات**». وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. قال: «**لَوْ تعلمونَ ما أعْلَمُ؛ لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، ولَضحكتمْ قليلاً، ولَخرجتمْ إلى الصُّعُدات تجأرونَ إلى اللهِ، لا تدرونَ تنجونَ، أوْ لَا تَنْجُونَ؟!**». رواه الحاكم وانظر الآية رقم [٤٠] . هذا؛ و(الجرز) الأرض التي لا تنبت شيئاً، وجمعها: أجراز، ويقال: سنة جرز، وسنون أجراز؛ أي: لا مطر فيها، وتكون فيها جدوبة، ويبس، وشدة. قال ذو الرمة يصف إبلاً: [الطويل]

طَوَى النَّحْزُ والأَجْرازُ ما في بُطونِها ... فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ

والجروز المرأة الأكول. قال الراجز: [الرجز]

إِنَّ الْعَجُوزَ خَبَّةً جَرُوزاً ... تَأْكُلُ كُلَّ لَيْلَةٍ قَفِيزا

هذا؛ ويستشهد بهذا البيت على نصب «إنَّ» لاسمها، وخبرها. ورجل جروز: إذا كان لا يبقي شيئاً إلا أكله. قال الراجز: [الرجز]

خَبٌّ جَروزٌ وإذَا جَاعَ بَكَى ... وَيَأْكُلُ التَّمْرَ ولَا يُلْقِي النَّوى

هذا؛ والْجَرْز، والْجَرَز بمعنى: واحد. هذا؛ والجرز هنا فسرناه بما رأيت، والجرز أيضاً الأرض التي جُرِزَ نباتها؛ أي: قطع وأزيل، ودليله قوله تعالى في الآية رقم [٢٧] من سورة (السجدة): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ بدليل قوله تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ وبالجملة فإن معنى الجرز: هي التي لا تنبت، أو التي أكل نباتها، وهو ما في القاموس المحيط. ومعنى الآية الكريمة: إنا لنعيد ما على الأرض من الزينة تراباً مستوياً من الأرض، ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه. وجرزه الزمان: اجتاحه. قال تبع: [الكامل]

لَا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إنْ لَمْ أَلْقَهَا ... جُرُزاً كَأَنَّ أَشَاءَهَا مَجْرُوزُ

الإعراب: ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: حرف عطف. إنا: حرف مشبه بالفعل. وانظر الآية السابقة. ﴿لَجَاعِلُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (جاعلون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، وفاعله مستتر فيه تقديره: «نحن». ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول لـ: ﴿لَجَاعِلُونَ﴾؛ لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿صَعِيدًا﴾: مفعول به ثان. ﴿جُرُزًا﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: بل أحسبت؛ أي: أظننت يا محمد أنَّ قصة أصحاب الكهف والرقيم، وهذه الهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري مع ملاحظة معنى النهي؛ أي: لا تظن أنها عجب مستغرب دون غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى كخلق السموات، والأرض، أو لا تظن: أنَّها أعجب الآيات، بل من الآيات ما هو أعجب، وأعظم منها كخلق السموات والأرض. انتهى. جمل.

هذا؛ و(حسب) من باب: تعب في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس، وقد قرئ المضارع بفتح السين، وكسرها. والمصدر: الحسبان بكسر الحاء، وحسبت المال حسباً ـ من باب: قتل ـ بمعنى: أحصيته عدداً. وانظر شرح: (صاحب) أو (أصحاب) في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) عليه السلام، وشرح آيات في الآية رقم [١] من سورة (الحجر).

و﴿الْكَهْفِ﴾ الغار الواسع في الجبل، فإن لم يتسع؛ فهو غار، والجمع: كهوف، ومن المجاز قولهم: فلان كهف قومه؛ أي: ملجؤهم، وملاذهم، و(الرقيم) هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف، وقصتهم، ثم وضع على باب الكهف، وكان اللوح من رصاص. وقيل: من حجارة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنَّ الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف.

وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف. وقيل: اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف. وقيل: هو كلبهم. قال أمية بن أبي الصلت: [الطويل]

وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ مُجَاوِراً وَصِيْدَهُمُ، وَالقَوْمُ فِي الكَهْفِ هُمَّدُ

هذا؛ وانفرد البيضاوي بقوله: وقيل: هم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهليهم، وذكر حديث الثلاثة الذين، آواهم المبيت إلى غار، وقد ذكره الحافظ المنذري رحمه الله تعالى في كتاب الترغيب، والترهيب في باب الإخلاص، وفي باب بر الوالدين، وغيرهما.

أما (العجب) بفتح العين، والجيم، فهو انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه، أو استطرافه، أو إنكاره ما يرد عليه. وقال الراغب: العجب حالة تعرض للإنسان بسبب الشيء، وليس هو شيئاً له في ذاته حالة حقيقية، بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب، ومن لا يعرفه، وحقيقة: «أعجبني كذا»: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه. هذا؛ والعجب بضم العين وسكون الجيم رؤية النفس، وحقيقته: أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره علماً، أو ورعاً، أو أدباً، أو غير ذلك، ويعتقد: أن له منزلة لا يدانيه فيها سواه، وهذا هو الكِبْر الذي يُدخل صاحبه جهنم وبئس المصير، وهذا لا يكون إلا من ضعيف الإيمان، وناقص العقل، وميت الضمير، والوجدان الإنساني، ورحم الله من يقول: [البسيط]

مَلأَى السَنَابِلِ تَنْحَنِي بِتَوَاضُعٍ وَالفَارِغَاتُ رؤوسُهُنَّ شَوَامِخُ

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿حَسِبْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَصْحَٰبَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْكَهْفِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بـ: ﴿عَجَبًا﴾ بعدهما؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» وجوز تعليقهما بمحذوف خبر (كان) و﴿عَجَبًا﴾ خبر ثان، أو حال مِن الضمير المستتر في الجار والمجرور، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسدَّ مفعولي (حسب)، وجملة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: نزلوه، وسكنوه، والتجؤوا إليه. يقال: أوى إلى منزله من باب: ضرب إذا نزله بنفسه، وسكنه، و﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾: الشباب، وكانوا سبعة. وانظر الآية

رقم [٦٢] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾: أعطنا من عندك. ﴿رَحْمَةً﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك، وجلائل فضلك، وإحسانك، وهب لنا الهداية والنصر على الأعداء. ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أصلح لنا، وأصل التهيئة: إحداث هيئة الشيء. وانظر: ﴿لَّدُنكَ﴾: في الآية رقم [٨٠] من سورة (الإسراء).

تنبيه: ملخص قصة أصحاب الكهف: أنهم كانوا شباناً من أشراف الروم مرداً، وكانوا سبعة على المعتمد، أرادهم الملك دقيانوس على الشرك، وعبادة الأوثان، كما أجبر أهل المدينة على ذلك، ومن لم يستجب له قتله، فخرج هؤلاء الفتية من مدينتهم خائفين على إيمانهم، واسم مدينتهم: أفسوس عند أهل الروم، واسمها عند العرب: طرسوس، وثبت: أنها في بلاد تركيا اليوم، فلما أمرهم الملك بالشرك ذهب كل واحد منهم إلى بيت أبيه، فأخذ منه زاداً، ونفقةً، وخرجوا فارين هاربين، حتى أوَوْا إلى كهف في جبل قريب من المدينة، فاختفوا فيه، وصاروا يعبدون الله تعالى، ويأكلون، ويشربون، ويبعثون واحداً منهم خفية ليشتري لهم الطعام من المدينة كلما نفذ زادهم، وهم خائفون من اطلاع أهل المدينة عليهم، فيقتلهم دقيانوس لعدم دخولهم في دينه الفاسد، فجلسوا يوماً بعد الغروب يتحدثون، فألقى الله عليهم النوم. وحادثة أصحاب الكهف كانت بعد أن مرج أمر أهل الإنجيل من النصارى، وكثرت فيهم الذنوب والمعاصي، وطغت الملوك؛ حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وبقيت فيهم بقية على دين المسيح الصحيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده، ومن أشدهم تمسكاً بعبادة الله هؤلاء الفتية. وفي الآيات التالية تقف على تفصيل هذه الحادثة وشرحها إن شاء الله تعالى. وانظر ما أذكره تبعاً للآية رقم [٢١] الآتية.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر وقت أوى... إلخ، وابن هشام يعتبره مفعولاً به للفعل المقدر، وأجاز أبو البقاء تعليقه بـ: ﴿عَجَبًا﴾، ولا أجيزه، ﴿أَوَى﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾: فاعله. ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن: ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾. التقدير: ملتجئين إلى الكهف، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿فَقَالُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (قالوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذف منه حرف النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. وانظر إعراب (رب) في الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام. ﴿ءَاتِنَا﴾: فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به أول. ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةً﴾ بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن

﴿رَحۡمَةً﴾ كان صفة له. . . إلخ على مثال ما رأيت في الآية السابقة. ﴿رَحۡمَةً﴾: مفعول به ثان، والكلام: ﴿رَبَّنَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَوَى...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿وَهَيِّئۡ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنۡ أَمۡرِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما على مثال ما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿رَشَدٗا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَهَيِّئۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾

الشرح: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ أي: ضربنا عليها حجاباً يمنع السماع، بمعنى: أنمناهم إنامة، لا تنبههم فيها الأصوات، فحذف المفعول الذي هو: الحجاب. ﴿سِنِينَ عَدَدٗا﴾ أي: أنمناهم سنين كثيرة. قال الزجاج: أي: تعد عدداً لكثرتها؛ لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد، فإذا كثر عد، فأما قولك: دراهم معدودة فهي على القلة؛ لأنهم كانوا يعدون القليل، ويزنون الكثير، وسيأتي بيان هذه السنين في الآية رقم [٢٥]. هذا؛ وفي قوله: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ استعارة تبعية، حيث شبهت الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان، ثم ذكر المشبه به، وأريد المشبه، ثم اشتق منه الفعل: (ضربنا).

الإعراب: ﴿فَضَرَبۡنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب «حفظنا» في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر)، والمفعول محذوف كما رأيت في الشرح. ﴿عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿فِي ٱلۡكَهۡفِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال؛ أي: حالة كونهم في الكهف. ﴿سِنِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: (ضربنا) أيضاً منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿عَدَدٗا﴾: صفة ﴿سِنِينَ﴾ وهي بمعنى: معدودة، أو ذوات عدد، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف؛ أي: تعد عدداً، وتعود الجملة صفة لـ: ﴿سِنِينَ﴾، وجملة: ﴿فَضَرَبۡنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَوَى...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم. ﴿لِنَعۡلَمَ﴾ أي: علم مشاهدة، وذلك أن الله عز وجل لم يزل عالماً، وإنما أراد ما تعلق به العلم، من ظهور الأمر لهم؛ ليزدادوا إيماناً واعتباراً. انتهى. خازن، وهذا ليس مراداً، بل المراد ليعلم الناس ما ذكر بالمشاهدة. ﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ أي: المختلفين في شأن أصحاب الكهف. واختلف فيهما أيضاً، فقيل: المراد

بالحزبين: نفس أصحاب الكهف؛ لأنهم لما استيقظوا اختلفوا في مدة لبثهم، كما ستعرفه في الآية رقم [١٩]. وهذا قاله مجاهد. وقال الفراء: إن طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم. وقال عطاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد بالحزبين: الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك، وأصحاب الكهف. وعبارة الخازن: وذلك: أن أهل المدينة اختلفوا في مدة لبثهم في الكهف.

﴿أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ أي: أضبط، وأحفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً، واختلف في ﴿أَحۡصَىٰ﴾ فاعتبره الزجاج والتبريزي أفعل تفضيل، واعتبره الزمخشري، وابن عطية فعلاً ماضياً. قال الزمخشري: فإن قلت: فما تقول فيمن جعله أفعل تفضيل؟ قلت: ليس بالوجه السديد، وذلك: أن بناءه من غير الثلاثي ليس بقياسي. وقال أبو البقاء: وجاء ﴿أَحۡصَىٰ﴾ على حذف الزيادة، كما جاء: (هو أعطى للمال) و(أولى بالخير). وقال البيضاوي مثله. وقال ابن هشام في المغني: ومن الوهم قول بعضهم في: ﴿أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾: إنه أفعل تفضيل، فإن الأمد ليس محصياً، بل محصًى، وشرط التمييز المنصوب بعد أفعل كونه فاعلاً في المعنى، كزيد أكثر مالاً، بخلاف مال زيد أكثر مال. هذا؛ و(الأمد) الغاية ومنتهى الشيء، وجمعه: آماد، يقال: طال عليهم الأمد؛ أي: الأجل.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿لِنَعۡلَمَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل. وقيل: العاقبة، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَيُّ﴾: اسم استفهام مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿أَحۡصَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، أو هو ماض كما رأيت، فيكون فاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾، وعلى اعتباره أفعل التفضيل فاعله أيضاً مستتر فيه. ﴿لِمَا﴾: اللام: حرف جر. (ما): مصدرية، تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور، متعلقان بـ ﴿أَحۡصَىٰ﴾، وجملة: ﴿أَحۡصَىٰ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿أَمَدٗا﴾، كان صفة له على نحو ما رأيت في الآية رقم [٩] هذا؛ وقيل: اللام زائدة، و(ما) موصولة في محل نصب مفعول به لأحصى على اعتباره ماضياً، ومفعول به لفعل محذوف على اعتباره أفعل تفضيل، وهو المعتمد، وجملة: ﴿لَبِثُوٓاْ﴾: صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: أحصى الذي لبثوه، وهو ضعيف معنى كما ترى. ﴿أَمَدٗا﴾: مفعول لـ: ﴿أَحۡصَىٰ﴾ على اعتبار اللام أصلية، وتمييز على اعتبار اللام

زائدة، والجملة الاسمية: ﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ . . . في محل نصب مفعول به لـ: (نعلم) المعلق عن العمل لفظاً، وقد سدت مسد المفعولين، إن كان «علم» من أفعال القلوب.

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾

الشرح: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: نقرأ عليك يا محمد خبر أصحاب الكهف بالصدق. ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ﴾ أي: شبان. ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ أي: الذي خلقهم وأنعم عليهم بنعم كثيرة. ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾: إيماناً، وبصيرة ويقيناً. وقال السدي: زادهم هدى بكلب الراعي حين طردوه، ورجموه مخافة أن ينبح عليهم، وينبه بهم، فرفع الكلب يديه إلى السماء كالداعي، فأنطقه الله، فقال: لم تطردونني؟ لم ترجمونني؟ لم تضربونني؟ فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة، فزادهم الله بذلك هدى. انتهى. قرطبي. والله أعلم بحقيقة ذلك. واختلف في لونه، وفي اسمه اختلافاً كبيراً، فذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن اسمه: قطمير. انتهى.

بعد هذا ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ نخبرك لتخبر قومك، واليهود الذين سألوك عن خبر أصحاب الكهف لعلهم يعتبرون، فيهتدون للإيمان. هذا؛ والقصص: تتبع الأثر، يقال: قص فلان أثر فلان؛ أي: تتبعه؛ ليعرف أين ذهب، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول أم موسى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ أي: اتبعي أثره، وإنما سميت الحكاية: قصة؛ لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً.

والنبأ: الخبر وزناً ومعنى، ويقال: النبأ أخص من الخبر؛ لأن النبأ لا يطلق إلا على كل ما له شأن، وخطر من الأخبار. وقال الراغب: النبأ: خبر ذو فائدة يحصل به علم، أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق: أنْ يتعرى عن الكذب، كالمتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ. هذا؛ وفعله يتعدى في الأصل لثلاثة مفاعيل، وقد يجيء الفعل من (نبأ) غير مضمن معنى أعلم، فلذلك يعدى لواحد بنفسه، وللآخر بحرف الجر، وهو كثير في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

هذا؛ و﴿هُدٗى﴾ أصله: «هُدَياً» بضم الهاء وفتح الدال، وتحريك الياء منونة فقلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الألف، والتنوين؛ الذي يرسم ألفاً في حالة النصب بحسب الأصل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار: (هُدًى) وإنما أتوا بياء أخرى لتدل على الياء المحذوفة الأصلية، بخلاف ما إذا لم يأتوا بها. وقالوا: «هُداً» فلا يوجد ما يدل عليها.

بعد هذا انظر «نا» في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر)، وشرح ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (الإسراء)، وشرح ﴿رَبُّكُمۡ﴾ في الآية رقم [٨] منها، وشرح «زاد، يزيد» في الآية [٤١] منها أيضاً. هذا؛ وفي الآية التفات من التكلم إلى الغيبة كما ترى، انظر الآية [٢٢] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿نَّحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿نَقُصُّ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿نَبَأَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن فاعل ﴿نَقُصُّ﴾ أو من مفعوله، وجملة: ﴿نَقُصُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه، والهاء اسمها. ﴿فِتْيَةٌ﴾: خبر (إنَّ)، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ في محل رفع صفة فتية، وجملة: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل رفع صفة مثلها. ﴿هُدًى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها وقيل: تمييز، ولا وجه له ألبتة. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهي بمنزلة جواب لسؤال مقدر، اقتضاه ما قبلها، فكأنه قيل: ما نبؤهم؟. تأمل.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: وقويناها بالصبر على هجر الوطن، والأهل، والمال، والجراءة على إظهار الحق، والرد على دقيانوس الكافر الجبار؛ حيث مثلوا بين يديه، وتوعدهم بالقتل، إن لم يعبدوا الأصنام؛ التي اخترعها وابتدعها. وفيه استعارة تصريحية تبعية؛ لأن الربط هو الشَّدُّ بالحبل.

وقال ابن عطية: تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال القرطبي: قلت: وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروه لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم، خائفين من قومهم، وهذه سنة الله في الرسل، والأنبياء، والفضلاء، والأولياء، أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام، والرقص بالأكمام، وخاصة في هذا الزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد، والنسوان؟! هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء! وقال الإمام أبو بكر الطَّرَسُوسِيُّ، وسئل عن مذهب الصوفية، فقال: وأما الرقص، والتواجد، فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوله، ويتواجدون، فهو دين الكفار، وعباد العجل. انتهى. قرطبي. وهذا تحامل على الصوفية كبير.

فقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ: فيه إخلاص العبادة لله تعالى، وتبرؤ من عبادة الأصنام التي دعا إليها دقيانوس. هذا؛ والشطط: الجور، أو الكذب، أو البعد عن جادة الحق. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة: [البسيط]

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يذهبُ فيهِ الزيتُ والْفُتُلُ

هذا؛ ودونه: من الدنو، وهو القرب، ومنه: تدوين الكتب؛ لأنه إدناء؛ أي: تقريب البعض من البعض، ثم استعير للرتب، فقال: زيد دون عمرو؛ أي: في الشرف، والسيادة، ثم اتسع فيه، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد. هذا؛ ويأتي «دون» بمعنى: قدام. قال الشاعر: [الطويل]

تُرِيكَ الْقَذى مِنْ دُونِهَا وَهْيَ دُونَه إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

هذا؛ ومثله: أدنى، وألفه منقلبة عن واو؛ لأنه من: دنا، يدنو: إذا قرب، وله معنيان: أحدهما أن يكون المعنى: ما تقرب قيمته بخساسته، ويسهل تحصيله. والثاني: أن يكون بمعنى: القريب منكم لكونه في الدنيا، والذي هو خير ما كان من امتثال أمر الله تعالى؛ لأن نفعه متأخر إلى الآخرة، خذ قوله تعالى لليهود اللؤماء حكاية عن قول موسى ـ عليه السلام ـ لهم: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ وقيل: الألف مبدلة من همزة؛ لأنه مأخوذ من دنؤ، يدنؤ، فهو دنيء، والمصدر: الدناءة، وهو من الشيء الخسيس، فأبدلت الهمزة ألفاً. وقيل: أصله: أدون من الشيء الدون، فأخرت الواو، فانقلبت ألفاً، فوزنه الآن: أفلع. انتهى. عكبري.

الإعراب: ﴿وَرَبَطْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (ربطنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿قَامُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿فَقَالُوا۟﴾: ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والألف للتفريق. وانظر إعراب ﴿دَخَلُوا۟﴾ في الآية رقم [٥٢] من سورة (الحجر)، والجملة الفعلية مع مقولها معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، وجملة: ﴿وَرَبَطْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿رَبُّنَا﴾: مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿رَبُّ﴾: خبر المبتدأ، و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه مثل سابقه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿رَبُّنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿لَن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿نَّدْعُوَا۟﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، ومفعوله الأول: محذوف، إن كان بمعنى: نسمي، ولا حذف إن كان بمعنى: نعبد. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن إلهاً كان صفة له... على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩]. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَن نَّدْعُوَا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿لَّقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿قُلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل لا عمل... إلخ. ﴿شَطَطًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: قلنا قولاً شططاً. وقال سيبويه: نصبه على الحال مِن ضمير مصدر ﴿قُلْنَآ﴾. وقيل: إنه مفعول بـ: ﴿قُلْنَآ﴾، لتضمنه معنى الجملة. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وجملة: ﴿لَّقَدْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف، وهناك شرط

محذوف، قدره الجلال ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: «لقد قلنا إذاً شططاً إن دعونا إلهاً غير الله فرضاً» والكلام كله في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

الشرح: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾: هذا الكلام قالوه بحضرة دقيانوس أشاروا إلى أهل مدينتهم، والمقصود هو بالذات؛ لأنه هو الذي أجبر الناس على عبادة الأصنام، ففيه تعريض له. ﴿لَّوۡلَا﴾: هلا. ﴿يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم﴾: على الأصنام، والمراد: على عبادتها، وجمعت الأصنام جمع المذكر العاقل على مثال ما رأيت في الآية رقم [٤٢] من سورة (الإسراء). ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾: بحجة قوية ظاهرة على دعواهم. ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم، وأكفر، وأشقى. ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ أي: من الذي يختلق الكذب على الله، وذلك بعبادة غيره، ونسبة الشريك إليه.

الإعراب: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿قَوۡمُنَا﴾: مبتدأ ثان، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُواْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الثاني، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿قَوۡمُنَا﴾ خبراً مفرداً عن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُواْ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن ﴿قَوۡمُنَا﴾، والعامل اسم الإشارة، وهي على تقدير قد قبلها، كما يجوز اعتبار قومنا بدلاً من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أو عطف بيان عليه، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُواْ...﴾ إلخ هي خبر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، أوجه كلها قوية، وقد مر معنا كثير من ذلك. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بمحذوف مفعول به ثان قدم على الأول، إن اعتبرت الفعل متعدياً لاثنين، وهو بمعنى: صيروا، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن: ﴿ءَالِهَةٗۖ﴾ كان صفة له... إلخ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩]. ﴿ءَالِهَةٗۖ﴾: مفعول به، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿لَّوۡلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿يَأۡتُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿عَلَيۡهِم﴾: متعلقان بما قبلهما وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو غير ظاهر. ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَيِّنٖۖ﴾: صفة (سلطان) والجملة: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً كالجملة الاسمية قبلها. ﴿فَمَنۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (من): اسم استفهام معناه النفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظۡلَمُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِمَّنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَظۡلَمُ﴾، و(مَنْ) اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (مَنْ)، أو صفتها. ﴿عَلَى

﴿ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿كَذِبًا﴾، كان صفة له على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩]. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ...﴾ إلخ: فالمعنى: وقال بعضهم لبعض: اذكروا حين اعتزلتم هؤلاء الكافرين واعتزلتم عبادتهم إلا عبادة الله، فأنتم متمسكون بها. والمراد: بالاعتزال: اعتزال العقيدة، أو اعتزال الأجسام، وكلاهما قد وقع فعلاً. ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: التجئوا إلى الكهف، واختبئوا فيه. ﴿يَنشُرْ لَكُمْ...﴾ إلخ: يبسط لكم ربكم رحمة من خزائن رحمته في الدنيا، والآخرة. وقال البيضاوي: يبسط الرزق لكم، ويوسع عليكم،. انتهى وليس هذا مراداً هنا فيما أرى. ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾: يسهل لكم أموركم، وما تحتاجون إليه من أمر الدنيا، والآخرة، و(المرفق) ما يرتفق؛ أي: ما ينتفع به، وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله، وقوة في رجائهم، لتوكلهم عليه، وصحة يقينهم، وسلامة عقيدتهم. هذا؛ وقرئ: ﴿مَرْفِقًا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس، فقيل: هما بمعنى: واحد، وهو ما يرتفق به، وليس بمصدر. وقيل: بكسر الميم لليد الجارحة، وبفتحها للأمر، وهو معنوي، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، حكاه الأزهري عن ثعلب. وقال بعضهم: هما لغتان فيما يرتفق به، فأما الجارحة فبكسر الميم فقط. انتهى. جمل. وهو في اليد الموصل بين الساعد والعضد، وجمعه مرافق. قال تعالى: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾.

الإعراب: ﴿وَإِذِ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكروا، وقت... إلخ، وهذه الجملة في محل نصب مقول القول. انظر الشرح لتقدير هذا القول. ﴿ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾: ماض مبني على السكون. والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. هذا؛ واعتبر ابن هشام (إذ) في شذور الذهب حرف تعليل، وقدر الكلام كما يلي: ولأجل اعتزالكم إياهم. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): أجيز فيها اعتبارها موصولة، ونكرة موصوفة، ومصدرية، ونافية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على الضمير المنصوب، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: والذي، أو: وشيئاً يعبدونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب معطوف على

الضمير المنصوب، ويكون التقدير: وإذ اعتزلتموهم، وعبادتهم. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على الاستثناء، وهو على حذف مضاف؛ إذ التقدير: إلا عبادة الله، وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة، ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان، وعلى اعتبار (ما) نافية فإنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد، وتكون الجملة معترضة بين إذ وجوابها. ﴿فَأْوُۥٓا﴾: الفاء: قال الفراء: واقعة في جواب (إذ)، كما تقول: إذ فعلت فافعل كذا. وقيل: دليل على جوابه، التقدير: إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف. انتهى. وهذا يفيد أن (إذ) شرطية، مع أنها بدون (ما) لا تقع شرطية، بل تكون ظرفية، أو تعليلية، وقد نقل السيوطي في «همع الهوامع» أنه قول ضعيف لبعض النحاة، أو يقال: هو تسمُّح؛ لأنه بمعناه. انتهى. جمل.

﴿فَأْوُۥٓا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا فعلتم ما فعلتم من الاعتزال فأووا، وبعضهم يعتبرها حرف عطف، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، (أؤوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها حسب ما رأيت الكلام في الفاء المقترنة بها. ﴿يَنشُرْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط مقدر. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان به. ﴿رَبُّكُم﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يَنشُرْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها لم تقترن بالفاء. ﴿وَيُهَيِّئْ﴾: معطوف على ﴿يَنشُرْ﴾ مجزوم، والفاعل يعود إلى ربكم. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنْ أَمْرِكُم﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مِّرْفَقًا﴾، كان صفة له... إلخ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩] ﴿مِّرْفَقًا﴾: مفعول به.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ...﴾ إلخ: قيل هنا ثلاث جمل محذوفة، تقديرها فأَوَوْا إلى الكهف، وناموا، وأجاب الله دعاءهم حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا...﴾ إلخ. والخطاب للنبي ﷺ، أو لكل أحد، وليس المراد: أن من خوطب بهذا يرى هذا المعنى، ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو، ومعناه أنك لو رأيتهم لرأيت الشمس. انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب. ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾: تتنحى وتميل، وقرئ: (تزوَرُّ)، و(تَزَّاوَرُ)، و(تَزْوَارُّ) وكلها بمعنى: الميل، والإعراب لا يتغير. ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: جهة اليمين. ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تتركهم، وتدعهم.

والمعنى: أنهم كانوا لا تصيبهم الشمس البتة كرامة لهم، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يعني: أن الشمس إذا طلعت؛ مالت عن كهفهم ذات اليمين؛ أي: يمين الكهف وإذا غربت؛ تمر بهم جهة الشمال؛ أي: شمال الكهف، فلا تصيبهم في ابتداء النهار، ولا في آخره، وكان كهفهم مستقبل بنات نعش في أرض الروم، فكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية، لا تبلغهم لتؤذيهم بحرها، وتغير ألوانهم، وتُبلي ثيابهم، وذهب الزجاج إلى أن فعل الشمس كان آية من آيات الله دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك. انتهى قرطبي بتصرف.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُۚ﴾: وهم في متسع من الكهف؛ أي: في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء، ولا يؤذيهم كرب الغار، ولا حر الشمس، فيقع شعاعها على جانبيه، فيحلل عفونته، ويعدل هواءه.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: ما فعل الله بأصحاب الكهف كل ذلك من عجائب قدرته، ودلائل عظمته. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ﴾ أي: من هداه الله للإيمان، فهو الذي أصاب الفلاح والنجاح، والمراد: به إما الثناء على أصحاب أهل الكهف، أو التنبيه على أنَّ أمثال هذه الآيات كثيرة، ولكن المنتفع بها مَنْ وفقه الله تعالى للتأمل فيها، والاستبصار بها. وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (الإسراء). ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ أي: ومن سبق له في حكم الله الأزلي، وتقديره الأبدي بالضلال، والجهل، فلا يوجد له نصير، أو حبيب يرشده إلى الإيمان، ولا يجدي معه وعظ، ولا نصح، ولا إرشاد مهما قدمت له من البراهين، ومهما ضربت له من الأمثلة والحجج. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] من سورة (الرعد).

تنبيه: ذكر الخازن: أن الملك الظالم الذي فروا منه بنى على باب الكهف سداً. وقال: لكي يموتوا جوعاً وعطشاً، وأن هذا السد استمر عليهم مدة لبثهم نياماً، وأن الملك الصالح اجتمع بهم حين تيقظوا، وبنى على باب الغار مسجداً بعد موتهم، وصريح هاتين الآيتين يرد هذا؛ ويبطله؛ إذ لو كان باب الغار قد سد، كما ذكر لم يستقم قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ...﴾ إلخ فليتأمل ويحرر. انتهى. جمل. هذا؛ و﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أصله: تتزاور، فحذفت إحدى التاءين، وهو كثير ومستعمل في الآيات القرآنية.

بعد هذا انظر شرح: ﴿ٱلشَّمْسَ﴾ في الآية رقم [٣٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، أما ﴿ذَاتَ﴾ فقد أتت في هذه الآية والتي بعدها بمعنى: الجهة. وانظر معناها بغير ذلك في الآية رقم [١] من سورة (الأنفال)، أو الآية رقم [٢] من سورة (الحج) إن شاء الله تعالى. وانظر شرح (الله) في الآية رقم [١] وإعلال (تجد) مثل إعلال (تزر) في الآية رقم [١٥] من سورة (الإسراء). وانظر شرح «وليا» في الآية رقم [٦٣] من سورة (النحل).

أمَّا (ترى) فماضيه: رَأى، والقياس تَرْأَيُ، وقد تركت العرب الهمز في مضارعه لكثرته في كلامهم، وربما احتاجت إلى همزه، فهمزته كما في قول سراقة بن مرداس البارقي: [الوافر]

أُرِي عَيْنَيَّ مَا لَا تَرْأَيَاهُ كِلَانَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ

وربما جاء ماضيه بغير همز، وبه قرأ نافع في ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ و﴿أَرَءَيْتَ﴾ إلخ (أرايْتَكُمْ) و(أرايْتَ) بدون همز. وقال الشاعر:

صَاحِ هَلْ رَيْتَ، أو سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرَى في الْحِلَابِ؟

وإذا أمرت منه على الأصل قلت: ارْءَ، وعلى الحذف: رَهْ بهاء السكت، وقل في إعلال ترى: أصله تَرْأَيُ قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وحذفت الهمزة بعد إلقاء حركتها على الراء للتخفيف.

الإعراب: ﴿وَتَرَى﴾: الواو: حرف استئناف. (ترى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿ٱلشَّمْسَ﴾: مفعول به. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، أو بالفعل بعده. ﴿طَلَعَت﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى الشمس، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿تَّزَٰوَرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الشمس، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الشمس. هذا؛ وقيل: إذا شرطية وعليه ف: ﴿طَلَعَت﴾ شرطها، و(تزاور) جوابها، و(إذا) ومدخولها في محل نصب حال مِن الشمس، وهو ضعيف جداً؛ لأن ﴿إِذَا﴾ للمستقبل. تأمل. ﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ذَاتَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿ذَاتَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْيَمِينِ﴾: مضاف إليه ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق.

﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى فَجْوَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿فَجْوَةٍ﴾ والجملة الاسمية في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مِنْ ءَايَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك، و﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حالاً، والأول: أقوى، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ...﴾ إلخ انظر الآية رقم [٩٧] من سورة (الإسراء) ففيها الكفاية؛ لأنها مثلها شرحاً، وقراءة وإعراباً، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل واحد. وانظر (حسب) في الآية رقم [٩]. ﴿أَيْقَاظًا﴾: جمع: يقظ، ويقظان؛ أي: منتبهين؛ لأن عيونهم مفتحة. ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيام

جمع: راقد، مثل: راكع، وركوع، وساجد، وسجود، وقاعد، وقعود، وفي هذه الجملة طباق، ومقابلة بين أيقاظ و﴿رُقُودٌ﴾، وتشبيه مأخوذ من معنى (تحسب) فقد شبه الله أهل الكهف في حال نومهم بالأيقاظ، فقد جاءت أداة التشبيه هنا فعلاً من أفعال الشك على حد قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ الآية رقم [١٩] من سورة (الإنسان). وقوله تعالى: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ الآية رقم [٤٤] من سورة (النمل). ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ...﴾ إلخ: أي: على جنوبهم؛ لئلا تأكل الأرض ما يليها من أجسامهم، وإن الله قادر على حفظهم من غير تقليب، ولكن جعل لكل شيء سبباً في أغلب الأحوال. وقيل: إنهم كانوا يقلبون في كل سنة مرة. وقيل: يقلبون مرَّتين في العام. وقيل: غير ذلك، وظاهر كلام المفسرين: أن التقليب من فعل الله، ويجوز أن يكون من فعل مَلَكٍ بأمر الله، وكلُّه من فعل الله، أو أمره.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ أي: نائم، وماد ذراعيه بفناء الكهف، أو ببابه، أو بعتبته قال أمية بن أبي الصلت: [الطويل]

وَلَـيْـسَ بِـهَـا إِلَّا الـرَّقِـيـمُ مُـجَـاوِراً وَصِـيـدَهُـمُ، وَالْـقَـوْمُ فِـي الْـكَـهْـفِ هُـمَّـدُ

وكانوا إذا انقلبوا انقلب معهم، وهو مثلهم في صفة النوم، فلما ناموا نام معهم، ولما استيقظوا استيقظ معهم، ولما ماتوا مات معهم، وهو من الحيوانات التي تدخل الجنة، مثل كبش إسماعيل، وناقة صالح ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، وكذا كبش هابيل، وحمار عزير ـ عليهما السلام ـ. هذا؛ وقالت فرقة: لم يكن كلباً حقيقة، وإنما كان أحدهم، وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم، كما سمي النجم التابع للجوزاء كلباً؛ لأنه منها كالكلب من الإنسان ويقال له: كلب الجبار. وهو ضعيف، ولا يعتدُّ به.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ أي: لو نظرت إليهم؛ لهربت منهم. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي: خوفاً يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة، أو لوحشة مكانهم، وكان الله آواهم إلى هذا المكان الموحش في الظاهر؛ لينفر الناس منهم. وقيل: الفرار، والرعب لطول شعورهم، وأظفارهم، وهذا بعيد؛ لأنهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض: (لبثنا يوماً، أو بعض يوم) وهذا يدل على أنَّ أشعارهم كانت بحالها إلا أن يقال: إنما قالوا ذلك قبل أن ينظروا إلى أظفارهم وشعورهم. قال ابن عطية: والصحيح من أمرهم: أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها؛ لتكون لهم، ولغيرهم فيهم آية، فلم يبل لهم ثوب، ولم تغير لهم صفة، ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم. هذا؛ وقرئ (لملئت) بتخفيف اللام مع ضم العين وسكونها في (رعباً) وتشديد اللام مع تسكين العين فقط، فالقراءات ثلاث سبعية.

تنبيه: روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ. قال: غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء

نظرنا إليهم. فقال ابن عباس: قد منع الله من هو خير منك، وأراد سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ، فقال له: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ فلم يسمع، وبعث ناساً، فلما دخلوا بعث الله عليهم ريحاً، فأخرجتهم، وفي رواية فأحرقتهم، فظن معاوية أن هذا المعنى، وهو امتناع الاطلاع عليهم مختص بذلك الزمان الذي قبل بعثهم، وأما ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فعلم: أن ذلك عام في جميع الأوقات. انتهى جمل.

تنبيه: قال ابن عطية: وحدثني أبي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر، يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمئة: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم، كلب أحب أهل فضل، وصحبهم، فذكره الله في محكم تنزيله.

قلت: إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته، ومخالطته الصلحاء والأولياء، حتى أخبر الله بذلك في كتابه جل وعلا، فما ظنك بالمؤمنين الموحِّدين، المخالطين، المحبين للأولياء والصالحين، بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال، والمحبين للنبي ﷺ، وآله خير آل.

روي في الصحيح عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجان من المسجد، فلقينا رجل عند سدة باب المسجد، فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: «**ما أعددت لها؟**». قال: فكأن الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله! ما أعددت لها كثير صلاة، ولا صيام، ولا صدقة، ولكني أحب الله، ورسوله. قال: «**فأَنْتَ معَ مَنْ أحبَبْتَ**». قال أنس ـ رضي الله عنه ـ، فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: «**فأنت مع من أحببت**». ثم قال: أنا أحب الله، ورسوله، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم؛ وإن لم أعمل بأعمالهم.

قلت: وهذا الذي قاله أنس، وتمسك به يشمل من المسلمين كل ذي نفس، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك، وإن كنا مقصرين، ورجونا رحمة الرحمن، وإن كنا غير مستأهلين، كلب أحب قوماً، فذكره الله معهم، فكيف بنا، وعندنا عقد الإيمان، وكلمة الإسلام، وحب النبي ﷺ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ...﴾ إلخ الآية. انتهى. قرطبي بحروفه. أقول: وخذ قول الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ مخاطباً الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... لَعَلِّي أَنْ أَنالَ بِهِمْ شَفَاعَهْ

وأكرهُ مَنْ بضاعَتُه الْمَعَاصِي ... وإنْ كُنَّا سَوَاءً في البِضَاعَهْ

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اتَّخذَ كَلْباً إلَّا كَلْبَ ماشيةٍ، أو صيدٍ، أَوْ زرعٍ، انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يوم قِيراطٌ**». رواه البخاري، فدل هذا على جواز اقتناء الكلب لما ذكر، من غير أن ينقص من أجر من اقتناه لذلك شيء، أما النقص في أجر من يقتنيه لغير منفعة،

إما لترويع الكلب المسلمين، أو تشويشه عليهم بنباحه، أو لمنع دخول الملائكة البيت، أو لنجاسته العينية، وذكرت في الآية رقم [٥] من سورة (المائدة) شروط اقتناء كلب الصيد، وحل صيده. هذا؛ ومن خاف الكلب فليقرأ: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ فإنه يأمن شره.

الإعراب: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (تحسبهم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿أَيْقَاظًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ...﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾: مضارع والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿ذَاتَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿ذَاتَ﴾: مضاف، و﴿الْيَمِينِ﴾ مضاف إليه، ﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ونحن نقلبهم، والجملة الاسمية هذه معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب حال مثلها. هذا؛ ويقرأ: (وَتَقَلُّبَهُمْ) بضم اللام وفتح الباء على أنه مصدر مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وترى تقلبهم، وعليه فالجملة فعلية وهي معطوفة على سابقتها لا محل لها مثلها. ﴿وَكَلْبُهُم﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَاسِطٌ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذِرَاعَيْهِ﴾: مفعول به لباسط منصوب وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى. . . إلخ وحذفت النون للإضافة والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِالْوَصِيدِ﴾: متعلقان بباسط، أو بمحذوف حال مِن ذراعيه؛ أي: ممدودة بالوصيد، وعمل باسط مع كونه للماضي؛ لأنه حال محكية كما في الآية رقم [٦] فهو بمعنى: يبسط ذراعيه بدليل: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ ولم يقل: قلبناهم، وبهذا يندفع قول الكسائي، وابن هشام: إن اسم الفاعل الذي بمعنى: الماضي يعمل، ومعنى الحكاية: أنه يقدر الهيئة الواقعة في الزمن الماضي واقعة في حال التكلم، والجملة الاسمية في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

لو: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿اطَّلَعْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَوَلَّيْتَ﴾: اللام واقعة في جواب (لو). (وليت): فعل، وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فِرَارًا﴾: نائب مفعول مطلق؛ لأن «ولى» بمعنى: «فر». وقيل: هو مصدر في موضع الحال، وأجيز اعتباره مفعولاً لأجله، وهو ضعيف، وأضعف منه اعتباره تمييزاً، و﴿لَوِ﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. (ملئت): ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رُعْبًا﴾: تمييز. وقيل: مفعول به ثان، والأول: أقوى.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم الطويل، والمعنى: كما أنمناهم في الكهف، وحفظنا أجسامهم، بل وثيابهم من البلى على طول الزمان؛ بعثناهم من النومة التي تشبه الموت على ما كانوا عليه من هيئتهم في ثيابهم وأحوالهم. ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾: ليسأل بعضهم بعضاً، فاللام للصيرورة والعاقبة، وليست للتعليل، فبعثهم لم يكن لأجل تساؤلهم. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو رئيسهم وكبيرهم: مكسلمينا. ﴿كَمْ لَبِثْتُمْۖ﴾ أي: كم كان نومكم، وذلك: أنهم شعروا بطول نومهم.

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ﴾: وذلك؛ لأنهم دخلوا الكهف أول النهار، وأيقظهم الله في آخره. ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: قيل: إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم في مدة اللبث هو الذي قال: ربكم أعلم... إلخ. ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾: يعني: تمليخاً، وهو الذي كان يأتيهم بالطعام كلما نفد زادهم قبل نومهم. ﴿بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: الوَرِق: الفضة مضروبة كانت، أو غير مضروبة، واسم المدينة: طرسوس كما تقدم. هذا؛ وقال أحد الكتاب المفلسين من المال يخاطب الله تعالى: [البسيط]

أعطيتني ورَقاً لمْ تُعْطني ورِقاً ... قلْ لي بلا وَرِقٍ ما تَنْفَعُ الْحِكَمُ؟
فخذْ مِنَ العلمِ شَطْراً واعطِني وَرِقاً ... ولا تَكِلْني إلى مَنْ جُودُهُ عَدَمُ

فأجيب هذا القائل من هاتف يهتف به، ويقول: [البسيط]

لوْ كُنْتَ ذا حِكَمٍ لمْ تعترضْ حَكَماً ... عدلاً خبيراً لهُ في خَلْقِهِ قِسَمُ
هلَّا نظرْتَ بعينِ الفكرِ معتبراً ... في مُعْدمٍ ما له مالٌ، ولا حِكَمُ

وأنا من جانبي أتمثل بقول القائل: [الوافر]

رضِينَا قِسْمَةَ الجبَّارِ فينا ... لَنَا عِلْمٌ ولِلْجُهَّالِ مَالُ

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أحل طعاماً. وقيل: أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن، ولا تكون ذبيحة من يذبح لغير الله، وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقيل: أطيب طعاماً، وأجوده. وقيل: أكثر طعاماً، وأرخصه. ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي: قوت، وطعام تأكلونه. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾:

وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة؛ حتى لا يغبن، أو في أمر التخفي؛ حتى لا يعرف. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: ولا يخبرن، ولا يعلمن بكم أحداً.

تنبيه: قال النسفي وغيره: وفي حملهم الوَرِق عند فرارهم دليل على أنَّ حمل النفقة، وما يصلح للسفر هو رأي: المتوكلين على الله، دون المتكلين على الاتفاقات، وعلى ما في أوعية القوم من النفقات. وعن بعض العلماء: أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله، ويقول: ما لهذا السفر إلا شيئان: شدُّ الهِمْيان، والتوكل على الرحمن. انتهى. والهِمْيان: كيس تجعل فيه الدراهم، ويشد على الوسط، وجمعه: همايين، وهو أعجمي معرب.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف (كذلك) الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: بعثناهم بعثاً كائناً مثل هدايتنا لهم، وإيوائهم إلى الكهف، وإنامتهم فيه تلك المدة المتطاولة. ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. والكلام مستأنف كله. ﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام الصيرورة، أو العاقبة، وبعضهم يعتبرها لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلى اعتبار اللام للتعليل يكون المعنى: بعثناهم ليسأل بعضهم بعضاً، فيتعرفوا حالهم، وما صنع الله بهم، فيزدادوا يقيناً على كمال قدرة الله تعالى، ويستبصروا أمر البعث، ويشكروا ما أنعم به عليهم. انتهى بيضاوي. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله وقيل: متعلق بمحذوف حال، ولا وجه له.

﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿قَائِلٌ﴾: فاعله، وفيه ضمير مستتر هو فاعله. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بقائل، أو بمحذوف صفة له. ﴿كَمْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بما بعده، والمميز محذوف لدلالة الجواب عليه، التقدير: كم يوماً. ﴿لَبِثْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالُوا﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَبِثْنَا﴾: ماض، وفاعله. ﴿يَوْمًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿بَعْضَ﴾: ظرف زمان معطوف على ما قبله، و﴿بَعْضَ﴾: مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿لَبِثْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالُوا﴾: ماض، وفاعله... إلخ. ﴿رَبُّكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر وجوباً تقديره: «هو». وهو على غير بابه.

﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية، تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما، التقدير: ربكم أعلم بلبثكم. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، واعتبار (ما) موصولة ضعيف، لا يؤيده المعنى، إلا على تقدير: ربكم أعلم بالزمن الذي لبثتموه، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَابْعَثُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (ابعثوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب «امضوا» في الآية رقم [٦٥] من سورة (الحجر). ﴿أَحَدَكُم﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿أَحَدَكُم﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر صفة (ورقكم)، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: متعلقان بالفعل (ابعثوا)، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا لم تعلموا كم كان لبثكم؛ فابعثوا... إلخ. هذا؛ وإن اعتبرت الجملة معطوفة على جملة محذوفة مقرونة بالفاء الفصيحة؛ فالتقدير كما يلي: وإذا كان الحال كما ذكرنا. فدعوا التساؤل، وخذوا فيما هو أهم، وأجدى لنا في موقفنا، وابعثوا. فهو معنى جيد، وهذا الكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلْيَنظُرْ﴾: الفاء: حرف عطف. (لينظر): مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدَكُم﴾، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿أَيُّهَا﴾: اسم استفهام مبتدأ، و(ها): في محل جر بالإضافة، وأصل الكلام: أي: أهلها، فحذف كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾. ﴿أَزْكَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وفاعله مستتر فيه. ﴿طَعَامًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿أَيُّهَا...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل قبله المعلق عن العمل فهو طالب لهذه الجملة من حيث المعنى على معنى الحرف؛ لأن نظر يتعدى بواسطة حرف الجر، تقول: نظرت فيه، ونظرت إليه. هذا؛ وأجيز في: ﴿أَيُّهَا﴾ أن تكون موصوله بمعنى: الذي، و﴿أَزْكَىٰ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الذي هو أزكى، وهذه الجملة صلة الموصول، وعليه فالضمة للبناء، والمعتمد الأول. وانظر مثله في الآية رقم [٧] وجملة: ﴿فَلْيَنظُرْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَابْعَثُوا...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿فَلْيَأْتِكُم﴾: مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدَكُم﴾ والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿بِرِزْقٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بمحذوف صفة رزق، وجملة: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ معطوفة أيضاً على ما قبلها. (لا): ناهية. ﴿يُشْعِرَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد التي هي حرف لا محل له، والفاعل، مستتر تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿بِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿أَحَدًا﴾، كان صفة له، على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩]. ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل المدينة الكفار. ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلعوا عليكم، أو يظفروا بكم. ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: بالحجارة. وقيل: يسبوكم، ويشتموكم، والأول: أقوى؛ لأن من عادتهم القتل بالحجارة لمن فارق ديانتهم، ومعبوداتهم الباطلة. ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي: يردوكم إلى عبادتهم كرهاً، وقسراً. ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾: إن دخلتم في ملتهم الفاسدة، وعبادتهم الباطلة. وانظر شرح ﴿أَبَدًا﴾ في الآية رقم [٣]. هذا؛ وإعلال: ﴿يُعِيدُوكُمْ﴾ و﴿تُفْلِحُوا﴾ مثل إعلال: ﴿تُوقِنُونَ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد) بلا فارق بينهما. هذا؛ و﴿مِلَّتِهِمْ﴾ بكسر الميم: طريقتهم، وديانتهم، وهي بفتح الميم: الرماد الحار.

الإعراب: ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَظْهَرُوا﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم مثل سابقه، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل رفع خبر (إنَّ).

﴿يُعِيدُوكُمْ﴾: معطوف على جواب الشرط، وهو مثله في إعرابه. ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف عطف. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تُفْلِحُوا﴾: مضارع منصوب بلن، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله.. إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على جملة جواب الشرط. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل لا عمل له. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنمناهم المدة الطويلة، وأيقظناهم؛ أطلعنا عليهم. هذا؛ و(أعثر) تعدية: «عثر»، وأصل العثار في القدم، وأعثره: أطلعه على السر وغيره.

وانظر الآية رقم [١٠٧] من سورة (المائدة). ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ أي: الناس الذين بُعِثَ أصحاب الكهف على عهدهم. ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: بالبعث، والحساب، والجزاء، والمجازاة على العمل خيراً كان، أو شراً. ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾: لا شك، ولا ارتياب في وقوعها وحصولها. ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أي: يتخاصمون، ويتجادلون في أمر دينهم، ويختلفون في حقيقة البعث، والحشر، والنشور، فقد أنكره بعضهم، وبعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح، فقد أطلعهم الله على أصحاب الكهف؛ ليرتفع الخلاف، وليتبين: أنَّ الأجساد، تبعث حية حساسة فيها أرواحها، كما كانت قبل الموت، وليوقن الناس: أن مَنْ توفى نفوس أهل الكهف، وأمسكها تلك المدة المتطاولة، حافظاً على أبدانها عن التحلل، والتفتت، ثم أرسلها قادر على أنَّ يتوفى نفوس جميع الناس ممسكاً إياها إلى أن يحشر أبدانها، فيردها عليها.

هذا؛ وقيل: إن المتنازعين هم أصحاب الكهف أنفسهم؛ أي: اختلفوا في مدة لبثهم. وليس بشيء. ﴿فَقَالُواْ﴾ أي: المتنازعون في شأنهم حين توفاهم الله، وقبض أرواحهم، والمراد: بهم: الملك الصالح، والمسلمون معه. ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ أي: على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس تكريماً لهم، ومحافظةً على تربتهم، كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة. ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: هذه الجملة من كلام المتنازعين بشأنهم في زمانهم، أو المتنازعين فيهم على عهد الرسول ﷺ، كأنهم تذاكروا أمرهم، وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك. قالوا: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾، أو هو من كلام الله عز وجل ردًّا لقول الخائضين في حديثهم. و﴿أَعْلَمُ﴾: بمعنى: عالم، وليس على بابه من التفضيل؛ لأن الله تعالى لا يشاركه في علمه أحد.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: من المسلمين، وملكهم، وكانوا أولى بهم، وبالبناء عليهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ أي: على باب الكهف، يصلي فيه المسلمون، ويتبركون بمكانهم، ويعتبرون بهم. بينما قالت الطائفة الكافرة: تبني بيعة، أو مضيفاً يأوي إليه الناس الغرباء. وقد غلب المسلمون، وبنوا ما أرادوا. وروي: أن الملك الصالح أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب، فأتاه آت منهم في المنام، فقال: أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب، فلا تفعل، فإنا قد خلقنا من التراب، وإليه نعود، فدعنا. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. ولا تنس: أنَّ في قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ استعارة مكنية.

تنبيه: بعد أن، أوى الفتية إلى الكهف، وناموا نومتهم المتطاولة مات دقيانوس الكافر الذي ذكرت لك شأنه في الآية رقم [١٠] ومضت قرون على موته، وملك تلك المدينة رجل صالح، اسمه: بَيْدَروس، فاختلف الناس في عهده في أمر الحشر، وبعث الأجساد من القبور، فشك في

ذلك بعض الناس، واستبعدوه. وقالوا: إنما تحشر الأرواح، والجسد تأكله الأرض. وقال بعضهم: تبعث الروح، والجسد جميعاً. بينما يوجد في تلك البلدة من لا يؤمن ببعث، ولا بحساب، ولا بجنة، ولا بنار، فكبر ذلك على بَيْدَرُوس، وبقي حيران لا يدري كيف يتبين أمره لهم، حتى لبس المسوح، وقعد على الرماد، وتضرع إلى الله تعالى في حجة، وبيان، فأيقظ الله أهل الكهف، كما رأيت، وبعثوا تمليخاً ليشتري لهم طعاماً، وزاداً بورقهم التي كانت معهم، وهي من ضرب دقيانوس الجبار، وقد استنكر الناس شخصه، ودراهمه لبعد العهد، فحمل إلى الملك الصالح بيدروس، وبعد نقاش طويل، وأخذٍ وردٍّ عرف شأنه، وعرفه الناس أيضاً، فقال الملك: فقد كنت أدعو الله تعالى أن يُرِيَنِيْهم، وسأل الفتى، فأخبره، فَسُرَّ الملك بذلك. وقال لقومه: لعل الله قد بعث لكم آية، فَلْنَسِرْ إلى الكهف معه، فركب مع أهل المدينة إليهم، فلما قربوا من الكهف قال تمليخا: أنا أدخل عليهم لئلا يُرْعَبُوا، فدخل عليهم، وأعلمهم بالأمر، وأن الأمة أمة مسلمة، فروي: أنهم سروا بذلك، وخرجوا إلى الملك، وعظموه، وعظمهم، ثم رجعوا إلى كهفهم. وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدثهم تمليخا ميتة الحق، ورجع من كان شك في بعث الأجساد إلى اليقين. انتهى. قرطبي بتصرف.

بعد هذا انظر شرح (الوعد) في الآية رقم [٣١] من سورة (الرعد)، وشرح ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في الآية رقم [٨٥] من سورة (الحجر)، وشرح ﴿لَا رَيْبَ﴾ في الآية رقم [٩٩] من سورة (الإسراء)، وشرح ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في الآية رقم [٨١] منها. هذا؛ ومسجد اسم مكان، وهو بكسر الجيم، والقياس فتحها لأن اسم المكان والزمان يكونان على وزن مفعل بفتح العين إن كانا مأخوذين من ماض ثلاثي يجيء مضارعه بفتح العين، أو ضمها، كمذهب، ومنظر، وبكسرها إن كانت عين المضارع مكسورة كمجلس ومنزل ومثلهما المصدر الميمي، وقد جاءت التلاوة بكسر العين كما ترى هنا وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وكما خرج «مسجد» عن القياس خرج كثير مثل: المشرِق، والمغرِب، والمنبِت، والمقسِط، والمرفِق، والمنخِر، والمجزِر، والمظِنة مع أن مضارعها مضموم العين. والتحقيق: أنها أسماء نوعية، غير جارية على فعلها، وإلا فلا مانع من الفتح.

الإعراب: (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: أعثرنا الناس عليهم عثراً، أو عثاراً كائناً مثل إنامتهم تلك المدة، وإيقاظهم منها. وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [١٩] ومفعول ﴿أَعْثَرْنَا﴾ محذوف كما رأيت. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكلام معطوف على ما قبله لا محل له. ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

مِنْ إضافة المصدر لفاعله، ومفعولاه محذوفان. ﴿حَقٌّ﴾: خبرها، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل قبله. ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٩٩] من سورة (الإسراء)، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، والمصدر المؤول معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مثله.

﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿أَعْثَرْنَا﴾ وهو بمعنى: حين، أو وقت. ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. ﴿أَمْرَهُمْ﴾: مفعول به، أو هو منصوب على نزع الخافض؛ أي: في أمرهم، والناصب له عند البصريين الفعل، وعند الكوفيين النزع. والهاء فيهما في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿ٱبْنُوا﴾: أمر مبني على حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان به. ﴿بُنْيَٰنًا﴾: مفعول به؛ وقيل: مفعول مطلق، والأول: أقوى؛ لأنه بمعنى: عمارة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿رَّبُّهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، إن كانت من قول المتنازعين، ومعترضة إن كانت من مقول الله تعالى.

﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نتخذن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿مَّسْجِدًا﴾ على مثال ما رأيت فيما مضى. ﴿مَّسْجِدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم المحذوف وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: المراد بواو الجماعة: أهل الكتاب، والمسلمون، وذلك: أنهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص. وقيل:

المراد به: النصارى، فإن جماعة من أهل نجران حضروا عند النبي ﷺ، فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقالت اليعقوبية: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم. ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: رمياً بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه. ففيه استعارة، أو ظناً بالغيب، والرجم: القول بالظن، يقال لكل ما يخرص ويخمن: رجم فيه، ومرجوم، ومرجم. قال زهير بن أبي سلمى المزني: [الطويل]

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عنها بالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ

ومثله قوله تعالى في سورة (سبأ) رقم [٥٣]: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾: أمر الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يرد علم عدتهم إليه عز وجل، ثم أخبر: أن عالم ذلك من البشر قليل، فقال: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنا من ذلك القليل، كانوا سبعة، وثامنهم كلبهم، ثم ذكر السبعة بأسمائهم، وهم: مكسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وبينونس، وسارينونس، وذو نوانس، وكشفيططنونس، وهو الراعي، واسم كلبهم قطمير. وقيل في تسميتهم غير ذلك.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي: لا تجادل في أصحاب الكهف إلا بظاهر ما قصصنا عليك، فقف عنده، ولا تزد عليه. وقيل: معنى المراء الظاهر أن تقول: ليس كما تقولون، ونحو هذا. وفي هذا دليل على أن الله تعالى لم يبين عددهم لأحد. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن قصة أهل الكهف، ولا عن عدتهم. وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم. انتهى خازن، وقرطبي بتصرف.

هذا؛ وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ والواو في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ طريق النحويين: أنها واو العطف دخلت في آخر إخبار عن عددهم لتفصل أمرهم، وتدل على أنَّ هذا غاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام. وقالت فرقة منهم ابن خَالَوَيْه: هي واو الثمانية. وحكى الثعلبي عن أبي بكر بن عياش: أن قريشاً كانت تقول في عددها: ستة، سبعة، وثمانية، فتدخل الواو في الثمانية. وحكى نحوه القفال، فقال: إن قوماً قالوا: العدد ينتهي عند العرب إلى سبعة، فإذا احتيج إلى الزيادة عليها، استأنف خبر آخر بإدخال الواو، كقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾... ثم قال: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ الآية رقم [١١٢] من سورة (التوبة). وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٠] من سورة (التوبة) أيضاً.

وقال القرطبي: يدل عليه أنه تعالى لما ذكر أبواب جهنم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الآية رقم [٧١] من سورة (الزمر) بلا واو، ولما ذكر الجنة. قال: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بالواو، الآية رقم [٧٣] من سورة (الزمر). وقال: ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾... ثم قال: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ الآية رقم [٥]

من سورة (التحريم)، فالسبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الآن عندنا، انظر الآية رقم [٨٠] من سورة (التوبة).

قال القشيري أبو نصر: ومثل هذا الكلام تحكم، ومن أين السبعة نهاية عندهم؟! ثم هو منقوض بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ ولم يذكر الاسم الثامن بالواو. وقال قوم ممن صار إلى أن عددهم سبعة: إنما ذكر الواو في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ لينبه على أنَّ هذا العدد هو الحق، وأنه مباين للأعداد الأخر؛ التي قال فيها أهل الكتاب، ولهذا قال في الجملتين المتقدمتين: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ ولم يذكره في الجملة الثالثة، ولم يقدح فيها بشيء، فكأنه قال لنبيه ﷺ: هم سبعة، وثامنهم كلبهم. انتهى قرطبي.

هذا؛ وقد قال ابن هشام في مغنيه: واو الثمانية ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خَالَوَيْهِ، ومن المفسرين كالثعلبي، وزعموا: أن العرب إذا عدوا. قالوا: ستة، سبعة، وثمانية إيذاناً بأن السبعة عدد تام، وأن ما بعدها عدد مستأنف، واستدلوا على ذلك بآيات، وذكر ما ذكرته لك سابقاً، وفنَّد قولهم. وقال: لا يرضاه نحويٌّ؛ لأنه لا يتعلق به حكم إعرابيٌّ، ولا سرٌّ معنوي، وعاب على أبي البقاء على إمامته في النحو القول في آية التوبة بقول الضعفاء. انتهى.

الإعراب: ﴿سَيَقُولُونَ﴾: السين: حرف استقبال، وهو مفيد تقوية الكلام، وتحقيقة. (يقولون): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم ثلاثة. ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: مبتدأ، وخبر، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم في الجميع حرف دال على جماعة الذكور، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾. وقيل: هي في محل نصب حال، ولا وجه له. وجملة: «هم ثلاثة...» إلخ المقدرة في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿سَيَقُولُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها، وإعرابها مثلها. ﴿رَجْمًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف؛ أي: يرجمون رجماً. وقيل: عامله (يقولون)؛ لأن القول والرجم واحد. وقيل: هو مصدر في موضع الحال؛ أي: راجمين. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَجْمًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ...﴾ إلخ: الواو أي: الواقعة قبل (ثامنهم). قيل: هي حرف عطف. وقيل: هي واو الحال، وعلى هذا يقدر المبتدأ اسم إشارة؛ أي: هؤلاء سبعة ليكون في الكلام ما يعمل في الحال، ويردُّ ذلك: أنَّ حذف عامل الحال إذا كان معنوياً ممتنع. وانظر قول من قال: إنها واو الثمانية، والمعتمد أنها زائدة مؤكدة للصوق الصفة بالموصوف، والجملة الاسمية: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ تابعة للقول بالواو. ﴿قُل﴾:

أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَبِّي﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِعِدَّتِهِم﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُهُمْ﴾: مضارع والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الضمير فقط، والجملة الاسمية: ﴿رَّبِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (لا): ناهية. ﴿تُمَارِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِرَآءً﴾: مفعول مطلق. ﴿ظَٰهِرًا﴾: صفته، وجملة: ﴿فَلَا تُمَارِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً وصحيحاً فلا... إلخ، وجملة: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿أَحَدًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، والكلام ﴿فَلَا تُمَارِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن قريشاً اجتمعوا. وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة، والصدق، وما اتهمناه بكذب قط، وقد ادعى ما ادعى، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة، واسألوهم عنه، فإنهم أهل كتاب، فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء، فإن أجاب عن كلها، أو لم يجب عن شيء منها، فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنتين، ولم يجب عن واحدة فهو نبي. فاسألوه عن فتية فُقِدُوا في الزمن الأول: ما كان شأنهم؟ فإنه كان لهم شأن عجيب! وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها ما خبره؟ وعن الروح.

قال: فسألوا النبي ﷺ، فقال: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي. قال مجاهد: اثني عشر يوماً. وقيل: خمسة عشر يوماً. وقيل: أربعين يوماً، وأهل مكة يقولون: قد وعدنا محمد غداً، وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء، حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي، وشقَّ عليه ما يقوله أهل مكة، ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ...﴾ إلخ الآية، ونزل في الفتية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ...﴾ إلخ الآية رقم [٩] وما بعدها من هذه السورة، ونزل في الروح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ...﴾ إلخ الآية رقم [٨٥] من سورة (الإسراء). انتهى. خازن في سورة (الإسراء)، ونزل في الرجل الذي بلغ مشرق الأرض ومغربها الآية رقم [٨٣] وما بعدها.

هذا؛ وأضيف: أنه كان أشد الناس سخرية واستهزاء به ﷺ أم قبيح امرأة عمه أبي لهب، فكانت تقول له: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد قلاك، وهجرك. فنزل جبريل بما ذكرت، وبسورة الضحى، فلما رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام؛ قال له: «**يا أخي ما حبسك عني؟ لقد اشتقت إليك!**» فقال جبريل: إني كنت أشد شوقاً إليك، ولكني عبدٌ مأمور، ونزل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ...﴾ إلخ الآية رقم [٦٣] من سورة (مريم) عليها السلام. انتهى خازن من تفسير سورة (الضحى) بتصرف مني.

بعد هذا انظر ﴿الْقَوْلُ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء)، وشرح ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٣٥] من سورة (النحل)، وأما ﴿غَدًا﴾ فهو اليوم الذي بعد يومك على الأثر، وأصله: غدَوٌ، فحذفت منه الواو لغير علة تصريفية، وهو ما يسمى الحذف اعتباطاً، وقد ردها لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في قوله: [الطويل]

وَمَا النَّاسُ إلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وغَدْواً بَلَاقِعُ

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَقُولَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. إني: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿فَاعِلٌ﴾: خبر (إنَّ)، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به لاسم الفاعل قبله، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿غَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿فَاعِلٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾

الشرح: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: فالمعنى: إذا عزمت على فعل شيء؛ فقل: إن شاء الله، ولا تقله بغير ذكر المشيئة. وقال ابن عطية: في الكلام حذف يقتضيه الظاهر، ويحسنه الإيجاز، تقديره: إلا أن تقول إلا أن يشاء الله، أو إلا أن تقول: إن شاء الله. وما قاله هو قول الكسائي، والفراء، والأخفش. وقال البصريون: المعنى: إلا بمشيئة الله. فإذا قال الإنسان: أنا أفعل هذا إن شاء الله؛ فمعناه بمشيئة الله.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي: نسيت الاستثناء، فقل: إن شاء الله. وقال البيضاوي: ويجوز أن يكون المعنى: واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه. أو

اذكر ربك، وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به؛ ليبعثك على التدارك، واذكره إذا اعتراك النسيان لتذكر المنسي. انتهى.

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ...﴾ إلخ: أي: قل: أرجو أن يثبتني، أو يدلني على طريق هو أقرب، وأرشد، وأظهر دلالة من خبر أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين! وقد هداه الله لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعد عنه أيامهم من لدن آدم إلى عهده، والأخبار بالمغيبات، والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة، وهو كثير لا يعدُّ، ولا يُحصى.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يطلق عليه اسم الاستثناء. وانظر ما ذكرته آنفاً، فينبغي لكل مسلم أن يقوله عند العزم على عمل من الأعمال، وهو عند الشافعي للتبرك، وعند أبي حنيفة تعليق. ويطلق الاستثناء أيضاً على ما يستثنيه المسلم في تصرفاته كلها من طلاق، وعتاق، وإقرار بالديون، والحقوق، كقوله: لفلان عليَّ ألفٌ إلا مئة، ونحو ذلك. فجوزه ابن عباس - رضي الله عنهما - منقطعاً، ولو بعد سنة. وجمهور الفقهاء على خلافه، ولو أخذنا بقوله لم يتقرر إقرار، ولا طلاق، ولا عتاق. هذا؛ وفسر الاستثناء المنسي بأمور كثيرة، والمعتمد ما ذكرته لك.

هذا؛ والنسيان: مصدر نسيت الشيء أنساه، وهو مشترك بين معنيين: أحدهما: ترك الشيء عن ذهول، وغفلة، والثاني: عن تعمد، وقصد، وما هنا من الأول، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: إلا قائلاً إن شاء الله. على قول الكسائي، والفراء، والأخفش، وهو حل معنى كما ترى، وهو في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، التقدير: إلا ملتبساً بمشيئة الله، وهو قول البصريين، وهو أصح معنىً، وأقوى سبكاً. ﴿وَٱذْكُر﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه. ﴿رَّبَّكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جرٍّ بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله مبني على السكون في محل نصب. ﴿نَسِيتَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، التقدير: إذا نسيت ذكره، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة. ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿وَٱذْكُر...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَقُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر. ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض جامد. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَهْدِيَنِ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم، وهي المفعول به محذوفة، ﴿رَبِّي﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله... إلخ. و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل رفع فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾. وقيل: اسم ﴿عَسَىٰٓ﴾ ضمير، تقديره: «هو»، وهو غير صحيح قطعاً، وجملة: ﴿عَسَىٰٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُلْ...﴾ إلخ

معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿لِأَقْرَبَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة ووزن: «أفعل». ﴿مِنْ﴾: حرف جر. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِنْ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بـ: (أقرب). ﴿رَشَدًا﴾: تمييز. وقيل: مفعول مطلق على تفسيره بـ: «هداية»، وهو ضعيف.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَبِثُوا۟...﴾ إلخ: أي: أقاموا في كهفهم. قال الخازن: قيل: هذا خبر عن قول أهل الكتاب، ولو كان خبراً من الله عن قدر لبثهم، لم يكن لقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ...﴾ إلخ وجه، وقد رد قولهم به. والأصح: أنه إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف، ويكون المعنى: إن نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل أنت: الله أعلم منكم، وقد أخبر بمدة لبثهم. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا، وهو اجتماعهم بالنبي ﷺ ثلاثمئة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك. وقال ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله تعالى. انتهى.

هذا؛ و﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ المراد: السنوات الشمسية، وهي بالقمرية تزيد تسع سنين، والمسلمون يعتمدون عليها في عبادتهم، ومعاملاتهم، وعُدَدِ نسائهم، وفي جميع أحوالهم، وتصرفاتهم. هذا، ويقرأ بتنوين «مئة»، وبغير تنوين بالإضافة لسنين، وهو ضعيف في الاستعمال؛ لأن «مئة» تضاف إلى المفرد. قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وَمِـئَـةً والأَلْـفَ لِـلْـفَـرْدِ أَضِـفْ ... وَمِـئَـةٌ بِـالْـجَـمْـعِ نَـزْراً قَـدْ رُدِفْ

وهو محمول على الأصل، والأصل إضافة العدد إلى الجمع، ويقوي ذلك أن علامة الجمع هنا جبر لما دخل السنة من الحذف، فإنها تتمة الواحد. انتهى عكبري. والذي حذف من السنة هو لامها كما هو معروف في الإعلال وهل أصلها سنةٌ، أو سنو؟ خلاف، وجمعها على الأول: سنهات وعلى الثاني: سنوات. وكلاهما جمع مؤنث سالم، والنسبة إليها سنوي، أو سنهي، وتجمع بالواو، والنون، أو بالياء والنون على أنها ملحقة بجمع المذكر السالم، كما في الآية الكريمة، وكثير غيرها، وكسرت السين في سنين؛ لتدل على أنه جمع على غير الأصل؛ لأن كل ما جمع جمع السلامة، لا يتغير فيه بناء الواحد، فلما تغير بناء الواحد في هذا الجمع بكسر أوله، وقد كان مفتوحاً في الواحد، علم: أنه جمع على غير أصله؛ لذا فإنه يلحق بجمع المذكر السالم إلحاقاً.

الإعراب: ﴿وَلَبِثُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (لبثوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى كَهْفِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثَلَٰثَ﴾:

ظرف زمان متعلق بالفعل (لبثوا) و﴿ثَلَٰثَ﴾: مضاف، و﴿مِاْئَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿سِنِينَ﴾: بدل من ﴿ثَلَٰثَ﴾ أو عطف بيان عليه، وأجاز قوم اعتباره تابعاً لـ: «مئة» بما ذكرته، وضعفه ابن هشام؛ لأنه إذا أقيم مقام «مئة» فسد المعنى. هذا؛ وعلى قراءته بالإضافة فهو تمييز مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وعلامة النصب، أو الجر على جميع الاعتبارات الياء نيابة عن الفتحة أو عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱزْدَادُواْ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿تِسْعًا﴾: مفعول به، واكتفى به مع أنَّ «زاد» ينصب مفعولين، كما رأيت في الآية رقم [٤١] من سورة (الإسراء)؛ لأنه لما نقل إلى باب «افتعل» نقص واحداً، واعتباره تمييزاً أجازه قوم.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾: تقدم: أن هذه الجملة، ردٌّ لما كان اليهود يزعمونه من لبث أهل الكهف، و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم، وليس على بابه. ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: إنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهل السموات والأرض، فإنه العليم الخبير البصير بذلك وحده، فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف؟! والغيب: ما غاب عن الإنسان، ولم تدركه حواسه. قال الشاعر المسلم: [الطويل]

وَبِـالْـغَـيْـبِ آمَـنَّـا وَقَـدْ كَـانَ قَـوْمُـنَـا يُـصَـلُّـونَ لِـلأَوْثَـانِ قَـبْـلَ مُـحَـمَّـدِ

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ معناه: ما أبصر اللهَ بكل موجود، وأسمعه بكل مسموع! لا يغيب عن بصره وسمعه شيء، يدرك البواطن، كما يدرك الظواهر، والقريب والبعيد، والمحجوب، وغيره، لا تخفى عليه خافية، وهو السميع البصير. ﴿مَا لَهُم﴾: ما لأهل السموات والأرض. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: من دون الله. ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ﴾: لا يشرك الله علم غيبه. وقيل في قضائه ﴿أَحَدًا﴾ من خلقه. هذا؛ وقرئ: (لا تشرك...) إلخ بتاء المضارعة، والنهي للنبي ﷺ، والمراد: به كل واحد. هذا؛ و(الولي) بمعنى: النصير، والمعين، والمتولي شؤون غيره.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿لَبِثُواْ﴾: ماض، وفاعله، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، وفاعله مستتر؛ إذ التقدير: أعلم بلبثهم. وقيل: (ما) اسم موصول مجرور، التقدير: أعلم بالزمن الذي لبثوه، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿غَيْبُ﴾: مبتدأ مؤخر، و(غيب): مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه.

﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿لَهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿أَبۡصِرۡ﴾: ماض جامد أتى على صيغة الأمر، بمعنى: ما أبصره، والهاء عائدة على الله، وهي الفاعل، والباء الجارة مزيدة فيه إصلاحاً للفظ. وقيل: إن الفاعل ضمير المصدر. وقيل: هو ضمير المخاطب؛ أي: أوقع الأبصار أيها المخاطب. وقيل: هو أمر حقيقة لا تعجب، وإن الهاء تعود على الهدى المفهوم من الكلام ويعزى هذا القول للزجاج. والمعتمد الأول: من كل هذه الوجوه. ﴿وَأَسۡمِعۡۚ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله فيما رأيت، وقد حذف المتعجب منه، وهو الفاعل لزوماً لدليل، وهو عطفه على ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ﴾ المذكور معه مثل ذلك المحذوف، ومثله قوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ الآية رقم [٣٨] من سورة (مريم)، ومثل الآيتين ـ ولا ثالثة لهما ـ قول الشاعر: [الرجز]

أَعْـــزِزْ بِـــنَـــا وَأَكْـــفِ إِنْ دُعِـــيـــنَـــا ... يَـــوْمـــاً إِلَـــى نُـــصـــرةِ مَـــنْ يَـــلِـــيـــنـــا

وأيضاً قول الآخر: [الطويل]

وَمُسْتَبْدِلٍ مِنْ بَعْدِ غَضْبَى صُرَيْمَةً ... فَأَحْرِ بِهِ مِنْ طُولِ فَقْرٍ وَأَحْرِيَا

فإن التقدير في الأول: وأكْفِ بنا، وفي الثاني: وأحْرِيَا بهِ. والكلام: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ كله في محل نصب مقول القول، وإن اعتبرته مستأنفاً فلست مفنداً. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بالخبر المحذوف نفسه، أو بمحذوف حال مِن الضمير المستتر فيه. وقيل: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿وَلِيّٖ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ، والمحققون لا يجيزون مجيء الحال مِن المبتدأ. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِيّٖ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. لا: نافية. ﴿يُشۡرِكُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿فِي حُكۡمِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَحَدٗا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها. هذا؛ وعلى قراءة النهي فالجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾

الشرح: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، والمعنى: اقرأ يا محمد ما أنزل الله إليك من القرآن، وآياته، ولا تلتفت لقول المشركين، والكافرين: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ وأعرض أيضاً عما يتقولونه في أصحاب الكهف. ﴿لَا مُبَدِّلَ

﴿لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها، كما فعل بالتوراة، والإنجيل من التحريف، والتغيير، والتبديل والتزييف. ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾: من دون الله. ﴿مُلۡتَحَدٗا﴾: ملجأ تلجأ إليه، وملاذاً تلوذ به.

الإعراب: ﴿وَٱتۡلُ﴾: الواو: حرف عطف. (اتل): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أُوحِيَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَآ﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾، أو صفتها. ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن كِتَابِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن نائب الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في: (ما) و﴿كِتَابِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَۖ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿وَٱتۡلُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿مُبَدِّلَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ في محل نصب حال مِن (ربك)، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف استئناف. (لن): حرف نفي ونصب، واستقبال. ﴿تَجِدَ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، أو بمحذوف حال مِنه، كان صفة له... إلخ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُلۡتَحَدٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿وَلَن تَجِدَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾: احبسها، وثبتها. وانظر (الصبر) في الآية رقم [٢٤ ـ من سورة (الرعد). وشرح ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾ في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾: يعبدون ربهم، ويتضرعون إليه. ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ أي: طرفي النهار. وقيل: المراد: صلاة العصر، والفجر. والأولى حملها على جميع أوقاتهم، بل وعلى كل الحالات. هذا؛ والعشي، ومثله: عشية، ويراد بهما الوقت من صلاة المغرب إلى العتمة، وهو قول الجوهري. وقال: قلت: وقال الأزهري: العشي: ما بين زوال الشمس، وغروبها. انتهى. وهذا هو المعتمد. والغداة: الضحوة الكبرى، وقد قوبل العشي بالإبكار في الآية رقم [٤١] من سورة (آل عمران) ومثلها الآية رقم [١١] من سورة (مريم) عليها السلام، كما قوبل البكرة بالأصيل في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان) وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (الرعد) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: يريدون طاعته، ورضاه، وذلك بإخلاص العبادة له. وانظر (الإرادة) في الآية رقم [٤٠] من سورة (النحل). ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تنصرف عيناك عنهم، وهو بمعنى: لا تصرف عينيك عنهم، فالفعل مسند إلى العينين، وهو في الحقيقة موجه إلى النبي ﷺ. ويزيدك وضوحاً قول الزجاج: إن المعنى: لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات، والزينة، وهو على فرض التقدير، مثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، والشرك محال في حقه ﷺ. وانظر شرح ﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ في الآية رقم [١٠٧] من سورة (النحل).

تنبيه: قال ابن هشام في مغنيه: إن الفعل ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ متعد، وقد جاء لازماً هنا؛ لأنه بمعنى: (لَا تَنْبُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) وأورد قول ذي الرمة وهو الشاهد رقم [٩٢٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

وإنْ تَعْتَذِرْ بالْمَحْلِ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا إلَى الضَّيْفِ يجْرَحْ في عراقيبِهَا نَصلي

فإنه قال: ضمَّن «يجرح» معنى: «يفسد» ولذا جاء لازماً. وقال الزمخشري: ألا ترى كيف رجع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ إلى قولك: ولا تقتحم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي: لا تضموها إليها آكلين، وكل ما ذكر إنما هو من باب التضمين؛ الذي هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر، فيعطونه حكمه، وفائدته أنْ تؤدي كلمة مؤدى كلمتين. وانظر الشاهد رقم [١١٦٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وهو للفرزدق: [الرجز]

كَيْفَ تَرَانِي قَالِباً مِجَنِّي قَدْ قَتَلَ اللهُ زِيَاداً عَنِّي

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً لا يقبل الهدى، ولا ينتفع بآيات القرآن، و(الذِّكْر) يطلق على التوحيد، والإيمان، وعلى القرآن، ومحال أن يطيع الرسول ﷺ المطبوع على قلوبهم، فهو مثل سابقه، وفيه دليل على أنَّ الله خالق للعبد وعمله، خلافاً للمعتزلة. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] من سورة (الرعد). ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: ما تزينه له نفسه من الشرك، وطلب الشهوات الدنيئة، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: ضياعاً، ضيع أمره، وعطل حياته. وقيل: ندماً. وقيل: سرفاً وباطلاً. هذا؛ والفرط بفتحتين ما يتقدم غيره إلى الشيء، فعليه يكون المعنى متقدماً على الباطل، وجريئاً على ارتكابه، وإقحام نفسه فيه. هذا؛ وانظر شرح: ﴿هَوَىٰهُ﴾ في الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

تنبيه: جاء في القرطبي، والخازن، وغيرهما: أن الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس التميمي، وغيرهما، أتوا النبي ﷺ، وعنده جماعة من الفقراء، منهم سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ وعليه شملة من صوف قد عرق فيها، وبيده خوص يشقه، وينسجه، فقال عيينة للنبي ﷺ: أما يؤذيك ريح هؤلاء، ونحن سادات مضر، وأشرافها إن أسلمنا أسلم

الناس، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء، فنحِّهم حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً، فأنزل الله الآية، وما قبلها، وما بعدها، فقال النبي ﷺ بعد ذلك: «**الحمدُ لله الَّذِي جَعَلَ في أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أُصَبِّرَ نَفْسِي مَعَهُمْ**».

أقول: وهذا يعني: أن الآيات مدنية، ولم يقل بذلك غير الجلال رحمه الله تعالى، بينما أجمع المفسرون على: أنَّ سورة (الكهف) بكاملها مكية. وإذا رجعنا إلى الآية رقم [٥٢] من سورة (الأنعام) وفهمنا فحوى الآيتين هنا وهناك عرفنا: أن ذلك كان في مكة قبل الهجرة، وأن الذين طلبوا ذلك من النبي ﷺ هم زعماء قريش، والذي أغفل الله قلبه عن اتباع الحق هو أمية بن خلف، ومن على شاكلته من زعماء قريش. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. ولا تنس: ما ذكر الله عن قوم نوح في هذا الصدد في الآية رقم [٢٧] من سورة (هود) على نبينا وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة وأتم تسليم.

الإعراب: ﴿وَٱصْبِرْ﴾: الواو: حرف عطف. (اصبر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿نَفْسَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْعَشِيِّ﴾: معطوف على ما قبله. وجملة: ﴿وَٱصْبِرْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآيتين السابقتين لا محل لها مثلهما، وجملة: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ في محل نصب حال مِن واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. لا: ناهية جازمة. ﴿تَعْدُ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها. ﴿عَيْنَاكَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَلَا تَعْدُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿تُرِيدُ﴾: مضارع والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿زِينَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة الحياة مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿تُرِيدُ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن كاف الخطاب، وصح مجيء الحال مِن المضاف إليه؛ لأن المضاف جزؤه. قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وَلَا تُجِزْ حالاً مِنَ المضافِ لَهْ ... إلَّا إذا اقْتَضى المضافُ عَمَلَهْ

أَوْ كَانَ جُزْءَ مَالَهُ أُضِيفَا ... أَوْ مِثْلَ جزئِهِ فلَا تَحِيفَا

﴿وَلَا تُطِعْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل: أنت. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أونكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ صلة ﴿مَنْ﴾ أو

صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها، وجملة: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ معطوفة على جملة: ﴿أَغْفَلْنَا﴾. . . على الوجهين المعتبرين فيها. وأيضاً جملة: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ معطوفة عليها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ .. فَلْيَكْفُرْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: من ربكم الحق، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، وليس إلي من ذلك شيء، فالله يهدي إلى الحق من يشاء، وإن كان ضعيفاً، ويحرمه من يشاء، وإن كان غنياً قوياً، ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، وليس هذا بترخيص، وتخيير بين الإيمان، والكفر، وإنما هو وعيد وتهديد؛ أي: إن كفرتم فلكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة. انتهى قرطبي، وخازن بتصرف.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾ أي: هيَّأنا وحضَّرنا للكافرين ناراً يحترقون فيها، انظر التعبير عن الكافرين بالظالمين، ونحوه في الآية رقم [١٣] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام. وانظر دركات النار في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر). ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: السرادق: السور. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو حائط من نار، فعن النبي ﷺ قال: «**سُرَادِقُ النارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ كُثُفٍ، كُلُّ جدارٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً**». أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وقيل: هو عنق يخرج من النار فيحيط بالظالمين كالحظيرة، والمعتمد: أنه سور، أو حائط. هذا؛ والسرادق في الأصل واحد السرادقات؛ التي تمد فوق صحن الدار، وكل بيت من قطن، ونحوه فهو سرادق. قال رؤبة. وقيل: هو للكذاب الحِرَّمازي: [الرجز]

يـا حَـكَـمَ بْـنَ الـمـنـذرِ بـنِ الْـجَـارُودْ سُـرَادِقُ الـمـجـدِ عَـلَـيْـكَ مَـمْـدُودْ

يقال: بيت مُسَرْدَق: إذا كان فيه ما ذكرت. وقال سلامة بن جندل يذكر أَبْرَوَيْز وقتله النعمان بن المنذر تحت أرجل الفيلة: [الطويل]

هُـوَ الْـمُـدْخِـلُ الـنـعـمـانَ بـيـتـاً سـمـاؤُهُ صُـدورُ الْـفُـيـولِ بـعـدَ بـيـت مُـسَـرْدَقِ

وقال الراغب: السرادق: فارسي معرب، وليس في كلامهم اسم مفرد ثالث حروفه ألف بعدها حرفان إلا هذا. ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾: من شدة الحر، وحرارة العطش. ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾:

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هو ماء غليظ مثل دُرْدِيِّ الزيت؛ أي: عكره الذي يبقى في الأسفل، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال فيه: «**كَعَكَرِ الزَّيتِ، فإذا قرِّبَ إليه سَقَطَتْ فرْوَةُ وجهِهِ مِنهُ**». أخرجه الترمذي. وقيل: المهل: الدم، والقيح. وقال أبو عبيدة: هو كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد، ورصاص، ونحاس، وقزدير فتموج بالغليان، فذلك المهل. وانظر شرح الآية رقم [١٦] و [١٧] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام ففيها الكفاية. ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ أي: المذموم المهل الذي يغاثون به، وقل: بئس الطعام الذي يأكلونه قياساً على الشراب، والخلاصة: أن المهل اسم جامع لكل مستقذر تتقزز منه النفس، وتتألم، وتنفر. ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: ساءت النار منزلاً. قاله ابن عباس. وقال مجاهد: مجتمعاً كأنه ذهب إلى معنى المرافقة. وقيل غير ذلك، وأصله من المتكأ، يقال منه: ارتفقت؛ أي: اتكأت على المرفق. قال الشاعر: [الرجز]

قَالَتْ لَهُ وارْتَفَقَتْ أَلَا فَتًى   يَسُوقُ بالْقَوْمِ غَزَالَاتِ الضُّحَى

ويقال: ارتفق الرجل: إذا نام على مرفقه، لا يأتيه نوم. قال أبو ذؤيب الهذلي: [البسيط]

نَامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَيلَ مُرْتَفِقاً   كَأَنَّ عَيْنَيَّ فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

وأخيراً: قال الله تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ لمقابلة قوله الآتي: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلا فلا ارتفاق لأهل النار، إلا بالويل والثبور، وعظائم الأمور، لطفك يا غفور، وعفوك يا عفوُّ! كما أن قوله تعالى: ﴿يُغَاثُوا۟﴾ تهكم بهم؛ حيث سمى أقسى أنواع العذاب إغاثة، والإغاثة في الحقيقة هي الإنقاذ من العذاب تهكماً بهم وتشفياً منهم.

بعد هذا انظر شرح (نعم) و(بئس) في الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد)، وشرح ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء)، وشرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية [٨] منها، وشرح ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في الآية [٨١] منها. وشرح (شاء) في الآية [٢] من سورة (النحل)، وشرح (الكفر) في الآية رقم [١٠٧] منها، وشرح (ماء) في الآية رقم [١٠] منها أيضاً.

الإعراب: ﴿وَقُلِ﴾: الواو: حرف عطف. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو الحق. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿ٱلْحَقُّ﴾. هذا؛ وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُلِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريع. من: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿شَآءَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من)،

والمفعول محذوف، التقدير: شاء الإيمان والهداية. ﴿فَلْيُؤْمِن﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ليؤمن): مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً فهو مبتدأ، وجملة: ﴿شَآءَ﴾ صلته، وجملة: ﴿فَلْيُؤْمِن﴾ خبره، ودخلت الفاء في خبره لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، ولكن الأول: هنا أقوى وأرجح. تأمل، والجملة الاسمية مستأنفة مفرعة عما قبلها، ولكنها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَعْتَدْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿نَارًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿نَارًا﴾: مفعول به. هذا؛ وقد نصب هذا الفعل مفعولين في الآية رقم [١٠٢] من هذه السورة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿أَحَاطَ﴾: ماض. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سُرَادِقُهَا﴾: فاعل، وها: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَحَاطَ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿نَارًا﴾. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَسْتَغِيثُوا۟﴾: فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُغَاثُوا۟﴾: مضارع مبني للمجهول جواب الشرط مجزوم؛ وعلامة جزمه حذف الون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿بِمَآءٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (ماء).

﴿يَشْوِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى (ماء). ﴿ٱلْوُجُوهَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية لـ: (ماء)، أو في محل نصب حال مِنه بعد وصفه بما تقدم. و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف، ولكنه في محل نصب مقول القول. ﴿بِئْسَ﴾: ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿ٱلشَّرَابُ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف التقدير: المذموم المهل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَسَآءَتْ﴾: الواو: حرف عطف. (ساءت): ماض جامد دال على إنشاء الذم، والفاعل يعود إلى (النار). ﴿مُرْتَفَقًا﴾: تمييز، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، هذا هو الإعراب الظاهر، وفي الحقيقة: أن الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» دل عليه التمييز بعده، وهو مرتفقاً. هذا؛ وأنث الفعل ساءت مع كون الفاعل مميز بمذكر، وهو: (مرتفق) لأن المرتفق هنا عبارة عن

النار، ولفظها مؤنث، فلذا جاز تأنيث فعله، ولا تنس: أنَّ المخصوص بالذم محذوف، التقدير: ساءت مرتفقاً هي هي، فهي الثاني: هو المخصوص. هذا؛ وأجيز في مثل هذه الآية اعتبار: (ساءت) بمعنى: أحزنت، فتكون متصرفة ناصبة للمفعول، وهو هنا محذوف أي: إن النار أحزنت أصحابها وداخليها، ويكون مرتفقاً تمييزاً، أو حالاً، وهو تكلف لا داعي له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾

الشرح: لما ذكر الله ما أعد للكافرين من الهوان؛ ذكر أيضاً ما للمؤمنين من الكرامة، والثواب، وتلك سنة الله في كتابه العظيم حيث اقتضت حكمته تعالى ورحمته، فلا يذكر التصديق من المؤمنين؛ إلا ويذكر التكذيب من الكافرين، ولا يذكر الإيمان؛ إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة؛ إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر الغضب، والسخط؛ ليكون المؤمن راغباً، راهباً، راجياً خائفاً، والمراد: بـ: (عملوا الصالحات): الأعمال الصالحات على اختلافها، وتفاوت درجاتها ومراتبها، ولا تنس: أن عطف العمل الصالح على الإيمان يسمى في فن البديع احتراساً، وهو يفيد: أن الإيمان وحده بدون العمل الصالح قد لا يكفي، كما أن العمل الصالح بدون إيمان لا يجدي، ولا يقبل. ومَنْ قرأ القرآن بتدبُّر، وتفهُّم؛ يجد العمل الصالح معطوفاً على الإيمان في كثير من الآيات. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٣] من سورة (الحجر)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

فعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ: أن أعرابياً قام إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع؛ وهو واقف بعرفات على ناقته العضباء، فقال: إني رجل مسلم، فأخبرني عن هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ إلخ فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَنْتَ مِنْهُمْ بِبَعِيدٍ، وَلَا هُمْ بِبَعِيدٍ مِنْكَ، هُمْ هؤلاءِ الأربعةُ: أَبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، فأَعْلِمْ قومَكَ: أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نزلَتْ فِيهِمْ**». ذكره الماوردي. انتهى قرطبي. أقول وهي تشمل كل مؤمن، ومؤمنة قد عملا الصالحات إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وقد عرفت: أنه صفة لموصوف محذوف. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، وجملة: ﴿لَا نُضِيعُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿أَجۡرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿مَنۡ﴾ اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أَحۡسَنَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى من، وهو العائد، أو

الرابط. ﴿عَمَلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنْ﴾، أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى، والرابط محذوف؛ إذ التقدير: إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم، أو مستغنىً عن الرابط بعموم ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، كما هو مستغنى عنه في قولك: (نعم الرجلُ زيدٌ) ووقع موقعه الظاهر، وهو (مَنْ) لأنَّه بمعنى: الموصول الذي هو اسم ﴿إِنَّ﴾ هذا؛ وقيل: خبر ﴿إِنَّ﴾ الجملة الاسمية: ﴿أُولَٰئِكَ...﴾ إلخ وما بينهما معترض. وقيل: يجوز أن تكون الجملتان، أعني ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ...﴾ إلخ و﴿أُولَٰئِكَ...﴾ إلخ خبرين لإن الأولى عند من يرى جواز تعدد الخبر، وإن لم يكونا في معنى واحد. وقيل: الخبر محذوف تقديره: إن الذين... يجازيهم الله بأعمالهم، ودلَّ على ذلك قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ...﴾ إلخ، أوجه، أقواها أولها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية لا محل لها على الاعتبارين.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿أُولَٰئِكَ﴾: الإشارة إلى الذين آمنوا، وعملوا الصالحات من الرِّجال وهو يشمل النساء كما ذكرته مراراً. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: انظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد) ففيها الكفاية. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: من بين أيديهم ينظرون إليها، من أعالي أسرتهم وقصورهم، وهذا أحسن في السرور، والنزهة، والفرجة. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: على كل واحد منهم ثلاثة أسورة: واحد من ذهب، وواحد من وَرِقٍ، وواحد من لؤلؤ. انتهى. وهذا منصوص عليه في القرآن، فقال هنا: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ وقال في (الحج): ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ رقم [٢٣]، ومثلها في سورة (فاطر) رقم [٣٣]، وقال في سورة (الإنسان): ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾، وفي الحديث الصحيح: «**تبلغُ حلية المؤمنِ حيثُ يبلُغُ الوضوءُ**».

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾: خص الخضرة بالذكر؛ لأنها أحسن الألوان، وأكثرها طراوة، ولأن البياض يبدد النظر ويؤلم، والسواد يذم، والخضرة بينهما، وذلك يجمع الشعاع. ﴿مِّن سُندُسٍ﴾: هو الرقيق من الديباج، واحده: سندسة، والاستبرق: ما غلظ منه، وهو موشًّى بالذهب، واحده: استبرقة، وهل هو عربي الأصل مشتق من البريق، أو هو معرب أصله: إِسْتَبْرَهْ؟ خلاف بين اللغويين، وفي سورة (الرحمن) ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ والمراد: الفرش كما ستعرفه بعونه تعالى. ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ أي: يجلسون على السرر كما هو حال المتنعمين المترفين في الدنيا. هذا؛ و﴿الْأَرَائِكِ﴾ جمع: أريكة، وهي في الجنة من ذهب مكللة بالدرِّ والياقوت، وأصل ﴿مُّتَّكِئِينَ﴾: موتكئين، واتكأ،

أصله: اوتكأ، والتكأة أصلها: وكأة، فقلبت الواو تاء، وأدغمت في التاء. ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: هو في مقابلة: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾، و(حسنت مرتفقاً): هو في مقابلة: (ساءت مرتفقاً).

هذا؛ وأساور جمع سوار، وهو زينة المرأة في الدنيا، ويحلى به الرجال في الجنة أيضاً تكريماً لهم. وقيل: جمع سوار: أسورة، وأساور: جمع الجمع، وثياب: جمع: ثوب، أصله ثواب قلبت الواو ياء، لمناسبة الكسرة، ومثله: حوض، وحياض، وسوط، وسياط.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جَنَّٰتُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، و﴿جَنَّٰتُ﴾: مضاف، و﴿عَدْنٍ﴾ مضاف إليه. ﴿تَجْرِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ، ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، أو هي في محل نصب حال مِن الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط على الاعتبارين؛ الضمير. وقيل: هي حال مِن ﴿جَنَّٰتُ﴾ أو صفة لها، ولا وجه له قطعاً؛ لأنه لا يوجد فيها رابط يعود إلى ﴿جَنَّٰتُ﴾. ﴿يُحَلَّوْنَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان به. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة مفعول به ثان؛ أي: شيئاً من أساور، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. هذا؛ ويجوز على مذهب الأخفش اعتبار ﴿مِن﴾ زائدة في الإيجاب وهو مذهب الكوفيين. فيكون أساور مفعولاً ثانياً مجروراً لفظاً منصوباً محلاً. ﴿مِن ذَهَبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَسَاوِرَ﴾، وجملة: ﴿يُحَلَّوْنَ...﴾ إلخ تصلح للحالية، والخبرية مثل سابقتها، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ أو هي مستأنفة على حسب ما رأيت في الآية السابقة، وجملة: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها، وإعرابها، ومحلها مثلها. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: حال مِن واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وفاعله مستتر فيه، وعاملها محذوف؛ أي: ويجلسون متكئين. ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: كلاهما متعلقان بـ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾، ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: انظر إعراب مثل هاتين الجملتين في الآية رقم [٢٩].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: هذه الآية وما بعدها تقصُّ علينا قصة رجلين كثرت أقوال المفسرين فيها بطرق متعددة، وروايات مختلفة، وها أنذا أذكرها لك باختصار، فالرجلان أخوان من بني إسرائيل: أحدهما كافر، اسمه قطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وَرِثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار،

فاقتسماها بالسوية، فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار، وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف، فتصدق به، ثم بنى أخوه داراً بألف، فقال: اللهم إني أشتري منك داراً في الجنة بألف، فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف، فقال: اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحور العين، ثم اشترى أخوه خدماً، ومتاعاً بألف دينار، فقال: اللهم إني اشتريت منك الوِلدان المخلدين بألف، فتصدق به، ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه، فمر به في حشمه، فتعرض له، فرده، ووبَّخه على التصدق بماله. والآيات التالية تبين لنا ما حل به وبما له من الهلاك والوبار. هذا؛ وأكثر المفسرين على أنَّ هذين الأخوين هما اللذان قص الله علينا خبرهما بعد الموت في سورة (الصافات)، وذلك في قوله جل شأنه: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ...﴾ إلخ الآية رقم [٥٠] وما بعدها، فبين الله حالهما في الدنيا في هذه السورة، وبين حالهما في الآخرة في سورة (الصافات).

هذا؛ وقيل: إن الأخوين كانا في مكة من بني مخزوم: أحدهما مؤمن، وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد زوج أم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ قبل النبي ﷺ، والآخر كافر، وهو الأسود بن عبد الأسد. وقيل: هو مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان، وصهيب، وأصحابهما، والمعتمد الأول، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا انظر: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام، و﴿أَعْنَٰبٍ﴾: جمع عنب، وعنب: اسم جنس جمعي مثل: تمر، ويفرق بينه وبين واحده بالتاء، وهي عنبة، وتمرة، ونخل أيضاً مثل عنب، ومفرده: نخلة، ونخيلة، وجمعه: نخيل، وفي المختار: النخيل، والنخل بمعنىً، فهو يفيد أنهما جمعان لنخلة، وهو ما رأيته في الإسراء [٩١] تأمل، ومعنى جنتين بستانين، والزرع: ما يزرع من الحبوب على جميع أنواعها، والخضار على اختلاف أجناسها، وأشكالها. هذا؛ ووجود الأشجار العالية على جوانب البستان، ووجود الحبوب والخضار في وسطه، ممَّا يزيده جمالاً وروعة، مع توفر ما يحتاج إليه الإنسان من قوت، وما يشتهيه من تفكه بالفواكه، وتلذذ في الخضار.

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: جعلنا النخل محيطاً بهما من كل جانب، يقال: حفَّه القَوم: إذا طافوا به، وحففته بهم: إذا جعلتهم حافين حوله. وقال الرسول ﷺ: «**حُفَّت الْجَنَّةُ بالْمَكَارِهِ، وَحُفَّت النَّارُ بالشَّهَوَات**». وفي آخر سورة (الزمر) قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾.

أما (أحد) فأصله: وحد؛ لأنه من الوحدة، فأبدلت الواو همزة، وهذا قليل في المفتوحة، وإنَّما يحسن في المضمومة والمكسورة، مثل قولهم: وجوه، وأجوه، ووسادة، وإسادة، وهو مرادف للواحد في موضعين: أحدهما: وصف الباري جل علاه، فيقال: هو الواحد، وهو الأحد، والثاني: أسماء العدد، فيقال: أحد وعشرون، وواحد وعشرون، وفي غير هذين الموضعين يفرق

بينهما في الاستعمال، فلا يستعمل أحد إلا في النفي، وهو كثير في الكلام، أو في الإثبات مضافاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بخلاف الواحد، وقولهم: ما في الدار أحد هو اسم لمن يعقل. ويستوي فيه الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث. قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقال جل ذكره: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

الإعراب: ﴿وَٱضْرِبْ﴾: الواو: حرف استئناف. (اضرب): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والمخاطب بذلك النبي ﷺ. ﴿لَهُم﴾ أي: لأهل مكة: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّثَلًا﴾: مفعول به. ﴿رَّجُلَيْنِ﴾: بدل من ﴿مَّثَلًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَٱضْرِبْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، والاستئناف أقوى فلا محل لها على الوجهين. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِأَحَدِهِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، والاستئناف أقوى فلا محل لها على الوجهين. وقيل: متعلقان بمحذوف مفعول به ثان تقدم على الأول، وهو ضعيف معنىً، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿جَنَّتَيْنِ﴾: مفعول به منصوب مثل: رجلين. ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿جَنَّتَيْنِ﴾، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ في محل نصب صفة رجلين. ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب صفة مثلها. ﴿بِنَخْلٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل مفعول به ثان. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿زَرْعًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب أيضاً.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾

الشرح: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ﴾: أعطت. ﴿أُكُلَهَا﴾: هو كل ما يؤكل من ثمر النخل، والأعناب، وجميع أنواع الحبوب، ومنه قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ في الآية رقم [٣٥] من سورة (الرعد)، وقرئ: (كل الجنتين آتى أكله) ويقرأ: (أُكلُها) بضم الهمزة وضم الكاف وسكونها قراءتان سبعيتان. ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾: ولم تنقص من أكلها شيئاً يعرف في البساتين، فإن الثمار تتم في عام، وتنقص في عام غالباً، وأما ثمر هاتين الجنتين فهو تام في جميع الأعوام. وقيل: المعنى لم تمتنع منه شيئاً، ومن نوادر الأعراب. قيل لأعرابي: أتأكل العنب؟ قال: ما ظلمني أن آكله؛ أي: ما منعني أن آكله. وقيل منه: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾.

تنبيه: كلا، وكلتا مفردان لفظاً مثنيان معنًى، مضافان أبداً، لفظاً، ومعنًى إلى كلمة واحدة معرفة دالة على اثنين، إما بالحقيقة والتنصيص، كما في هذه الآية، وإما بالحقيقة والاشتراك، نحو: (كلانا)، فإن «نا» مشتركة بين الاثنين والجماعة، أو بالمجاز كقول عبد الله بن الزِّبْعْرى: [الرمل]

إنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ

ويجوز مراعاة لفظ كلا وكلتا في الإفراد، كما في هذه الآية، ومراعاة معناهما كما في الآية التالية، وقد جمع الفرزدق بينهما في قوله: [البسيط]

كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ السَّيْرُ بيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَعَا وَكِلَا أَنْفَيْهِمَا رَابِي

ففي قوله «أقلعا» راعى معنى «كلا»، وفي قوله: «رابي» راعى لفظها، وهو الإفراد. هذا؛ وإن أضيفا إلى الاسم الظاهر أعربا بحركات مقدرة على الألف كالاسم المقصور، وإن أضيفا إلى الضمير أُعربا إعراب المثنى بالإلحاق، علماً بأن لفظ ﴿كِلْتَا﴾ لم يرد في غير هذه الآية، ولفظ «كلا» لم يرد في غير آية الإسراء رقم [٢٣] أما في الشعر فلفظ «كِلَا» كثير، ومنه البيتان المذكوران، وأما لفظ «كلتا» فخذه في قول حسان ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

إن التي ناولتَني فرددْتُها قُتِلتْ قُتِلتَ، فهاتها لم تُقتلِ

كلتاهما حلبُ العصير فعاطِني بِزُجاجة أرخاهما للمفصلِ

الإعراب: ﴿كِلْتَا﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، و﴿كِلْتَا﴾: مضاف، و﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ. ﴿ءَاتَتْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى لفظ ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية: ﴿كِلْتَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. لم: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَظْلِم﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل يعود إلى لفظ ﴿كِلْتَا﴾ أيضاً. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿شَيْـًٔا﴾ كان صفة له على نحو ما رأيت في الآية رقم [٩] ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به وأجيز اعتباره نائب مفعول مطلق، والأول: أولى، وجملة: ﴿وَلَمْ تَظْلِم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب حال مِن فاعل ﴿ءَاتَتْ﴾ المستتر؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: أجرينا، وشققنا، وهو يقرأ بالتشديد والتخفيف، انظر الآية رقم [٩٠ و٩١] من سورة (الإسراء). ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾: وسطهما. ﴿نَهَرًا﴾: ليدوم شرب الجنتين، فإن الماء سبب لإنعاش النبات على جميع أنواعه، ويزيد الأرض جمالاً وبهاءً. هذا؛ و(نهر) بفتح الهاء لغة في النَّهْر، ونَهَر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ هو في معنى الجمع؛ أي: أنهار. هذا؛ و«نَهَر» يجمع على أنهارٍ، وَأَنْهُر، وَنُهُر، ونُهُور. هذا؛ وانظر «نا» في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب «حفظنا» في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر). ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿نَهَرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿وَفَجَّرْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَلَمْ تَظْلِم...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها، وعلى اعتبار الحالية، فيجب تقدير «قد» قبل هذه لتقربها من الحال.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ أي: للأخ الكافر. ﴿ثَمَرٌ﴾: جمع: ثمرة، وهو بفتح الثاء والميم. قال في المختار: الثمرةُ: واحدةُ الثمر، والثمرات، وجمع الثَّمرِ ثمارٌ، مثل: جَبَل، وجِبال، وجمعُ الثمارِ: ثُمُر، مثل: كتاب، وكُتُب، وجمع الثُّمر: أَثْمار، كعُنُق، وأعْناق. هذا؛ وعلى قراءة: (ثمر) بالضم فسر بالأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب، والفضة وغيرهما، فيكون من: ثمر ماله: إذا جمعه، وكثره. هذا؛ و(ثُمر) بضم الثاء مع ضم الميم وسكونها، و﴿ثَمَرٌ﴾ بفتحتين، فالقراءات الثلاث سبعية. انتهى جمل. ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أي: لأخيه المؤمن الذي أنفق ماله في سبيلِ الله. هذا؛ والصاحب يكون بمعنى: الصديق، والزوج، ويكون بمعنى المالك، كقولك: صاحب الدار؛ أي: مالكها، ويجمع على أَصْحاب، وصَحْب، وصِحَابة، وصِحاب، وصُحْبة، وصُحْبَان، ثم يجمع: أصحاب على: أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب.

﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: يراجعه في الكلام، ويجادله، والمحاورة: المراجعة في الكلام بين اثنين وانظرها في سورة (المجادلة). ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾: انظر شرح «المال» في الآية رقم [٦] من سورة (الإسراء). ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: أقوى عشيرة، أو ولداً. وقيل: خدماً، وحشماً. هذا؛ و«نفر» اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل: قوم، ومعشر، ورهط، ويحدد بما دون العشرة. قيل: إنه أخذ بيد أخيه المؤمن، وجعل يطوف به في الجنتين، ويريه ما فيهما، ويفاخره بما ملك من مال، وثمار، وأنهار... إلخ. تأمل، وتدبر.

الإعراب: ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): ماض ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ثَمَرٌ﴾: اسم (كان) مؤخر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى الكافر. ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: مضارع، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى الكافر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال مِن فاعل قال المستتر، والرابط: الواو، والضمير، ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿أَكْثَرُ﴾: خبره. ﴿مِنكَ﴾: متعلقان بأكثر.

﴿مَالًا﴾: تمييز. ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿أَنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أي: دخل الكافر جنته آخذاً بيد أخيه المؤمن، يطوف به فيها، ويريه إياها. ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: بكفره، وفيه دليل على أنَّ العاصي لا يضر إلا نفسه، والمؤذي للناس يعود أذاه على نفسه؛ لأنه يسبب لها العقاب الشديد، والعذاب الأليم في نار الجحيم. ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ أي: تهلك، وتفنى. ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾: وذلك أنه راقه حسنها، وغرته زهرتها، فتوهم: أنها لا تفنى أبداً، فأنكر الحشر، والنشر، وهو ما في الآية التالية، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك في هذا الزمن.

هذا؛ وقد قال البيضاوي: وإفراد الجنة؛ لأن المراد ما هو جنته، وهي ما متع بها في الدنيا، تنبيهاً على أنه لا جنَّة له غيرها، ولاحظَّ له في الجنة التي وعد المتقون. أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى، أو لأن الدخول يكون في واحدة واحدة. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَدَخَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الأخ الكافر. ﴿جَنَّتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. وانظر إعراب: ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [١٠٤] من سورة (الإسراء). وجملة: ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ﴾ في محل نصب حال مِن فاعل (دخل) المستتر، والرابط: الواو، والضمير، ﴿لِّنَفْسِهِۦ﴾: متعلقان بظالم. هذا؛ وأجيز اعتبار اللام زائدة، ونفسه مفعول به لظالم، فيكون مجروراً لفظاً، منصوباً محلاً، وفاعل ظالم مستتر فيه، وجملة: ﴿وَدَخَلَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله تقديره: «هو». ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَظُنُّ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿أَن تَبِيدَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن». ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَبِيدَ﴾ في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿أَظُنُّ﴾ وجملة: ﴿أَظُنُّ﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: فهو ينفي القيامة، ولا يعتقد بوجودها. ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾: إقسام منه على أنه إن ردَّ إلى ربه على سبيل الفرض، كما يزعم صاحبه؛ ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا؛ ادعاء لكرامته على رغم مكانته عنده،

والمنقلب: المرجع، والمآب، وهو اسم مكان، أو مصدر ميمي. هذا؛ ويقرأ: (خيراً منهما) بالتثنية بالرجوع إلى ﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَظُنُّ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنا». ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: مفعول به أول. ﴿قَآئِمَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف عطف. اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿رُّدِدتُّ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَأَجِدَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أجدن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾. ﴿مُنقَلَبًا﴾: تمييز، وجملة: ﴿لَأَجِدَنَّ﴾ جواب لأقسم، لا محل لها، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه، انظر الآية رقم [٦٢] من سورة (الإسراء)، فالكلام فيها كافٍ وافٍ. هذا؛ والكلام ﴿وَمَآ أَظُنُّ...﴾ إلخ معطوف على ما قبله، وهو في محل نصب مقول القول مثله.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَهُۥ﴾ أي: للكافر المنكر للبعث. ﴿صَاحِبُهُۥ﴾ أي: المؤمن. وانظر المحاورة في الآية رقم [٣٥]. ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: الذي ابتدأ خلقك من تراب، وهذا الخلق غير مباشر إذا كان المراد: خَلَقَ أباك آدم، وهو مباشر إذا كان المراد خلقَكَ؛ لأن خلق الإنسان مبدؤه من النطفة التي تقذف في رحم المرأة، وهذه النطفة من الدم، والدم منشؤه من الطعام والشراب، وكلاهما مستخرج من الأرض. وانظر ما أذكره في الآية رقم [١٢] من سورة (المؤمنون) والآية رقم [٥] من سورة (الحج). ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ أي: عدلك بشراً سوياً، وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، فقد جعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى؛ لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿صَاحِبُهُۥ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ في محل نصب حال مِن صاحبه، والرابط: الواو، والضمير. ﴿أَكَفَرْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (كفرت): فعل، وفاعل. ﴿بِٱلَّذِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿سَوَّىٰكَ﴾: ماض مبني على فتح

مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الذي خلقك من تراب) والكاف مفعول به أول. ﴿رَجُلًا﴾: مفعول به ثان وجوزت فيه الحالية، وجملة: ﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿أَكَفَرْتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾: هذا استدراك لقوله: أكفرت لأخيه، فالمعنى أنت كافر لكني مؤمن موحد. ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾: فيه تعريض بأخيه بأنه مشرك بالله تعالى يعبد غيره بدليل إنكاره البعث، والحساب، والجزاء. هذا؛ وأصل: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾: لكن أنا؛ فحذفت الهمزة، ثم أدغمت النونان في بعضهما.

الإعراب: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾: (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. (أنا): مبتدأ أول. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ ثالث. ﴿رَبِّى﴾: خبر الثالث: مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ رَبِّى﴾ في محل رفع خبر المبتدأ الثاني، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: (لكن أنا. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها، والرابط في هذه الأخبار، هو ياء المتكلم. هذا؛ وأجيز اعتبار لفظ الجلالة بدلاً من الضمير، أو بياناً له، والأول: أقوى. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. لا: نافية. ﴿أُشْرِكُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِرَبِّىٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ فهي في محل رفع مثلها، والذي لا يجيز عطف الفعلية على الاسمية يعتبر الجملة حالاً من ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْلَآ﴾: وهلا. ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: المعنى: هلا قلت عند دخولك جنتك، والنظر إلى ما رزقك الله منها: ما شاء الله، اعترافاً منك بأنها وكل ما فيها من خير، إنما هو بمشيئة الله تعالى وفضله. وإن أمرها بيده، وإنه إن شاء تركها عامرة، وإن شاء تركها خراباً يباباً. ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: وهلا قلت: لا قوة إلا بالله، إقراراً منك بأن ما قويت به على عمارتها، وتدبير أمرها، إنما هو بمعونة الله، وتدبيره، وتأييده، ولا أقدر على حفظ مالي، ودفع

شيء عنه إلا بالله تعالى. ﴿إِن تَرَنِ...﴾ إلخ: هذا من المؤمن رد لقول الكافر: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾. والمعنى: لأجل هذا تكبرت عليَّ وتعظَّمت. هذا؛ وقوله جل ذكره: (ولدا) انتصار لمن فسر ﴿نَفَرًا﴾ بالأولاد. هذا؛ ويقرأ: (تَرَنِ) هنا، و﴿يَهْدِيَنِ﴾ في الآية رقم [٢٤]، و﴿يُؤْتِيَنِ﴾ في الآية التالية و﴿تُعَلِّمَنِ﴾ في الآية رقم [٦٦] الآتية بإثبات ياء المتكلم وحذفها.

تنبيه: ينبغي لكل من دخل بيته أن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فقد روي: أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**أَلَا أَدُلُّكَ على كَلِمةٍ من كنوزِ الجنةِ، أو قال: كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟!**». قُلْتُ: بلَى يا رسولَ الله! قال: «**لا حَوْلَ ولا قوَّة إلَّا بالله؛ إذَا قَالَهَا العبدُ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: أسلَم عبدي، واسْتَسْلَمَ**». أخرجه مسلم. وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**إذا خرجَ الرجُل مِنْ منزلِهِ، فقالَ باسمِ اللهِ. قالَ الملكُ: هُدِيتَ، وإذَا قالَ: مَا شَاء اللهُ. قالَ الملكُ: كُفِيتَ. وإذا قالَ: لا قُوَّةَ إلا بالله. قالَ الملكُ: وُقِيتَ**». خرجه الترمذيُّ. انتهى قرطبي بتصرف. هذا؛ وهذه الكلمات وقاية من العين فينبغي لكل مسلم، ومسلمة أن يكثرا منها، ولا سيما عند إرادة السفر، وعند الرجوع منه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لولا): حرف تحضيض. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿قُلْتَ﴾. ﴿دَخَلْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿جَنَّتَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. وانظر: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [١٠٤] من سورة (الإسراء) والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿قُلْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر الذي شاءه الله، أو في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، التقدير: الذي شاءه الله كائن. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) شرطية مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم لفعل شرطها، والجواب محذوف، التقدير: أيُّ شيء شاء الله كان، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿قُوَّةَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: لا قوة موجودة. إلا: حرف حصر. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بـ: «موجودة» المقدَّرة، وعلقهما أبو البقاء بمحذوف خبر لا، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً. وهو فحوى ما تقدم. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَرَنِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، والمفعول الأول، وهو ياء المتكلم محذوف. ﴿أَنَا﴾: ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وأجيز اعتباره تأكيداً لياء المتكلم المقدرة على المحل، والأول: أقوى. ﴿أَقَلَّ﴾: مفعول به ثان. هذا؛ ويقرأ برفعه على أنه خبر للضمير، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به، وهذا على إجراء البصرية مجرى العلمية. ﴿مِنكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَقَلَّ﴾. ﴿مَالًا﴾: تمييز. ﴿وَوَلَدًا﴾: معطوف عليه، وجملة: ﴿تَرَنِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط ما يلي:

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ﴾: هذا رجاء من المؤمن. ﴿أَن يُؤْتِيَنِ...﴾ إلخ: أن يعطيني في الدنيا، أو في الآخرة لإيماني بقدرته، وثقتي بعظمته، ووحدانيته أفضل من جنتك التي تفاخر بها. ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي: على جنتك. ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مرامي من السماء، واحدها: حسبانة، وهي قطعة من نار. والحسبانة: السحابة، والحسبانة: الوسادة، وهي أيضاً الصاعقة، والحسبان العذاب، والحسبان الجراد، وهو أيضاً الحساب. قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾. ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضاً بيضاء، لا ينبت فيها نبات، ولا تثبت عليها قدم لملامستها، فتكون أخبث أرض بعد أن كانت أنفع أرض. وانظر ﴿صَعِيدًا﴾ في الآية رقم [٨].

الإعراب: ﴿فَعَسَىٰ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عسى): ماض جامد مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿رَبِّيٓ﴾: اسم عسى مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُؤْتِيَنِ﴾: منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّيٓ﴾ والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به أول. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّن جَنَّتِكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾ والكاف في محل جر بالإضافة، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُؤْتِيَنِ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (عسى)، ويلزم تأويله باسم الفاعل، وجملة: ﴿فَعَسَىٰ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿وَيُرْسِلَ﴾: معطوف على ﴿يُؤْتِيَنِ﴾ منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّيٓ﴾ أيضاً. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل مفعوله الأول. ﴿حُسْبَانًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿حُسْبَانًا﴾. ﴿فَتُصْبِحَ﴾: الفاء: للسببية. (تصبح): مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، واسمه يعود إلى ﴿جَنَّتِكَ﴾. ﴿صَعِيدًا﴾: خبره. ﴿زَلَقًا﴾: صفة مؤكدة لما قبلها، و«أن» المضمرة والفعل (تصبح) في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا﴾: ماء الجنة الجاري فيها. ﴿غَوْرًا﴾: غائراً ذاهباً، فتكون أعدم أرض للماء بعد أن كانت، أوجد أرض للماء، والغور: مصدر وضع موضع اسم الفاعل، كما يقال: رجل صوم، وفطر، وعدل، ورضا، وفضل، وزور، ونساء نَوْم، ويستوي فيه المذكر، والمؤنث، والتثنية والجمع. وقيل: الأصل: أو يصبح ماؤها ذا غور، فحذف المضاف على

حد: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾. ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ أي: لا تستطيع ردَّ الماء الغائر، وإلى هنا انتهت مناظرة المؤمن لأخيه الكافر. وانظر شرح ﴿مَآءً﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُصْبِحَ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله. ﴿مَآؤُهَا﴾: اسم ﴿يُصْبِحَ﴾، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿غَوْرًا﴾: خبرها. ﴿فَلَن﴾: الفاء: حرف عطف. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تَسْتَطِيعَ﴾: منصوب بـ: (لن)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بـ ﴿طَلَبًا﴾؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة، انظر الآية رقم [٩]. ﴿طَلَبًا﴾: مفعول به، ولعلك تدرك معي: أن الكلام من قوله: ﴿لَّٰكِنَّا...﴾ إلخ إلى هنا كله من مقول المؤمن. تأمل، وتدبر.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: أهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه، وأنذره منه، وهو مأخوذ من أحاط به العدو، فإنه إذا أحاط به غلبه، وإذا غلبه أهلكه، ونظيره أتى عليه: إذا أهلكه، من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعلياً عليهم، ففي الكلام استعارة تبعية بالفعل. وانظر شرح ﴿ثَمَرٌ﴾ وما فيه من قراءات في الآية رقم [٣٤]. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أي: فصار الكافر يضرب إحدى يديه على الأخرى ندماً، وتحسراً؛ لأن هذا يصدر من النادم. ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في عمارتها وزراعتها. ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة سقوفها. وقيل: إن أشجار العنب المعرشة سقطت عروشها على الأرض، ومثله في الآية رقم [٢٥٩] من سورة (البقرة). ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ...﴾ إلخ: فقد تذكر موعظة أخيه المؤمن، وعلم: أنه أتي من جهة شركه وطغيانه، فتمنى أن لو لم يكن مشركاً، وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأُحِيطَ﴾: الواو: حرف استئناف. (أحيط): ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر يعود إلى مصدر الفعل، وأقوى منه تعليق ﴿بِثَمَرِهِۦ﴾ بنائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة. وقيل: معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فهلكت جنته بالصواعق وغور الماء، وأحيط بثمره بالهلاك أيضاً. ﴿فَأَصْبَحَ﴾: ماض ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هو». ﴿يُقَلِّبُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَفَّيْهِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ مَآ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يُقَلِّبُ﴾ أو بمحذوف حال مِن فاعله المستتر، وجملة: ﴿أَنفَقَ فِيهَا﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: على الذي أنفقه فيها، وجملة: ﴿فَأَصْبَحَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، والجملة الاسمية: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ في محل نصب حال مِن الضمير المجرور

بفي، والرابط: الواو، والضمير. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَاوِيَةٌ﴾ لأنها اسم فاعل، وفاعلها مستتر، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَقُولُ﴾: مضارع، فاعله مستتر فيه. (يا): حرف تنبيه، واعتبارها أداة نداء، والمنادى محذوف ضعيف أفاده ابن هشام في مغنيه. (ليتني): حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها، وجملة: ﴿لَمْ أُشْرِكْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (ليت)، وجملة: ﴿يَٰلَيْتَنِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة ﴿يُقَلِّبُ...﴾ إلخ، وأجيز اعتبارها حالاً من فاعل ﴿يُقَلِّبُ﴾، وهذا يحوج إلى تقدير مبتدأ قبلها. تأمل، وتدبر؛ لأن المضارع الواقع جملته حالاً لا يقرن بالواو.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾: جماعة من عشيرة، ونحوها. هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء، والتاء قراءتان سبعيتان. ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يمنعونه من عذاب الله، وضل عنه من افتخر بهم من الخدم والولد. هذا؛ وجمع الضمير مع كونه عائداً على ﴿فِئَةٌ﴾ لأنها اسم جمع مثل: قوم، ورهط... إلخ. ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ أي: ممتنعاً من العذاب، فهو لا يقدر على الانتصار لنفسه. وانظر شرح الجلالة في الآية رقم [١] وشرح: ﴿دُونِ﴾ في الآية رقم [١٤].

الإعراب: ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِئَةٌ﴾: اسم يكن مؤخر، وجملة: ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ في محل رفع صفة ﴿فِئَةٌ﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار هذه الجملة خبراً لـ: ﴿تَكُن﴾ وعليه فالجار والمجرور: ﴿لَّهُۥ﴾ متعلقان بمحذوف حال من ﴿فِئَةٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً .. إلخ، والوجه الأول: هو رأي: سيبويه، والثاني: هو رأي: أبي العباس المبرد، محتجاً بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَلَمْ تَكُن...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَأُحِيطَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى الكافر. ﴿مُنتَصِرًا﴾: خبر كان، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، واعتبارها حالاً من الضمير المنصوب غير مستبعد، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ أي: في ذلك المقام، وتلك الحال النصرة لله وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها سواه، هو تقرير لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقيل: ﴿هُنَالِكَ﴾: إشارة للآخرة. هذا؛ ويقرأ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بكسر الواو، وفتحها، وهما بمعنى: واحد، كالرِّضاعة

والرَّضاعة. وقيل: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بالفتح من الموالاة، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وبالكسر: السلطان، والقدرة، والإمارة. هذا؛ ويقرأ: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ بالرفع، والجر. ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: في الدنيا، والآخرة لمن آمن به، وليس أحد ثَمَّ يرجى خيره، ولكنه أراد في ظنِّ الجهال؛ أي: هو خير من يرجى. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: هو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به، ويقرأ: ﴿عُقُبًا﴾: بضم القاف، وسكونها. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم مَنْ يثقله، وذلك مثل عُسُر ويُسُر، ورُحُم، وحُلُم، ورُسُل... إلخ.

بعد هذا انظر ﴿ٱلْحَقِّ﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (الإسراء)، أما ﴿خَيْرٌ﴾ فهو أفعل تفضيل، أصله: أَخْيَر، نقلت حركة الياء إلى الخاء؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم حذفت الهمزة استغناء عنها بحركة الخاء، ومثله قل في حبَّ وشرٍّ اسمَيْ تفضيل؛ إذ أصلهما أحبَبُ وأَشْرَرُ، فنقلت حركة الباء الأولى والراء الأولى إلى ما قبلهما، ثم أدغم الحرفان المتماثلان في بعضهما، ثم حذفت الهمزة من أولهما، استغناء عنها بحركة الخاء، والشين، وقد يستعمل: خير، وشر على الأصل، كقراءة بعضهم قوله تعالى: (سيعلمون غداً من الكذابُ الأَشَرُّ) بفتح الشين، ونحو قول رؤبة: [الرجز]

يَا قَاسِمَ الْخَيْرَاتِ وَابْنَ الأَخْيَرِ ... مَا سَاسَنَا مِثْلُكَ مِنْ مُؤَمَّرِ

وخير وشر وحب يستعملن بصيغة واحدة للمذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع؛ لأنهنَّ بمعنى: أفعل، كما رأيت. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية، أو الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هو متعلق بـ: ﴿مُنتَصِرًا﴾، وعليه فالوقف على: ﴿هُنَالِكَ﴾. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالولاية على الوجه الأول في الإعراب. ومتعلقان بمحذوف خبر ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ على الوجه الثاني في إعراب ﴿هُنَالِكَ﴾ والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلْحَقِّ﴾: بالجر صفة الجلالة، وبالرفع صفة الولاية، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، وأجاز أبو البقاء اعتباره خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الحق، واعتباره مبتدأ خبره الجملة الاسمية بعده. ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثَوَابًا﴾: تمييز. ﴿وَخَيْرٌ﴾: معطوف على سابقه. ﴿عُقْبًا﴾: تمييز.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ...﴾ إلخ: أي: اذكر، وقرر لأهل مكة حال الدنيا في زهرتها، ونضارتها، وسرعة زوالها، وفنائها. وينبغي أن تعلم: أن هذا الكلام فيه التفات من الغيبة، وهي

قصة الرجلين اللذين رأيت الكلام فيهما إلى الحضور والخطاب للنبي ﷺ، ولأهل مكة المعاندين الحق، كما هو واضح للعيان. ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ أي: بالماء. ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: فالتف بسببه، وخالط النبات بعضه بعضاً من كثرته، وتكاثفه، وحقه أن يكون الكلام، فاختلط بنبات الأرض، لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه، عكس للمبالغة في كثرته. وانظر الآية رقم [٢٤] من سورة (يونس) عليه السلام، فإنها مثل هذه الآية في التشبيه التمثيلي، وفي كل شيء.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: متكسراً من اليبس متفتتاً بسبب انقطاع الماء عنه. ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: تفرقه، وتذهب به، وقرئ: (تذريه) بضم التاء من أذرى الرباعي، وبفتحها من ذرى الثلاثي. هذا؛ وفي الآية تشبيه التمثيل، انظر سورة (يونس). ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإنشاء، والإفناء، والإحياء، والاماتة، وغير ذلك. ﴿مُّقْتَدِرًا﴾: قادراً لا يعجزه شيء في هذا الكون.

تنبيه: قالت الحكماء: إنما شبه الله تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى، ويذهب، كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أن يدخله أحد إلا ويبتل، كذلك الدنيا لا يسلم من دخلها من فتنتها، وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضارًّا مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع، وفضولها يضر، وفي حديث النبي ﷺ قال له رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! إني أريدُ أَنْ أكونَ منَ الفائزين. قال: «**ذَرِ الدُّنْيَا، وَخُذْ منها كَالْمَاءِ الرَّاكِدِ، فإِنَّ القليلَ منها يَكفي، والكثيرَ منها يطغي**». وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسلمَ، ورُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**». انتهى. قرطبي بحروفه.

هذا؛ وأقول: إن كل إنسان وحياته كالنبات الذي ينبت من الأرض بسبب المطر: طفولته، ومراهقته، وشبابه، وكهولته، وشيخوخته، وهرمه. كل ذلك شبيه بأطوار النبات على الأرض، ورحم الله من يقول: [البسيط]

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خَضْرَتِهِ ... لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الآفَاتِ مَقْصُودُ

فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ أَجْمَعِهَا ... فَأَنْتَ مِنْ بَعْدِ ذَا لَا بُدَّ مَحْصُودُ

الإعراب: ﴿وَٱضْرِبْ﴾: الواو: حرف استئناف. (اضرب): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَّثَلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف. ﴿كَمَآءٍ﴾: متعلقان بالفعل (اضرب) على أنهما مفعوله الثاني، إن كان بمعنى: صير، وأوضح منه أن تعتبر الكاف اسماً بمعنى: مثل مبنياً على الفتح في محل نصب مفعوله الثاني، والكاف مضاف، و(ماء) مضاف إليه. هذا؛ وإن كان الفعل بمعنى: اذكر، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو كماء،

وعليه فالجملة الاسمية في محل نصب بدلاً من ﴿مَثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾. وجملة: ﴿وَٱضۡرِبۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة (ماء). ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المنصوب. ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾: ماض. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان به. ﴿نَبَاتُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ مضاف إليه، والجملة: ﴿فَٱخۡتَلَطَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿فَأَصۡبَحَ﴾: ماض ناقص، وهو بمعنى: صار، واسمه يعود إلى ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾. ﴿هَشِيمٗا﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. هذا؛ ووجود رابط في الأولى رابط لكل ما يعطف عليها. ﴿تَذۡرُوهُ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والهاء مفعول به. ﴿ٱلرِّيَٰحُۗ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ثان لأصبح، وهو أقوى من اعتبارها صفة هشيماً. ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بما بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيۡءٖ﴾ مضاف إليه. ﴿مُّقۡتَدِرًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ...﴾ إلخ: يتزين بهما الإنسان في دنياه، ثم تفنى هذه الزينة، وإنما كانا زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً، ونفعاً، وفي البنين قوة، ودفعاً، فصارا زينة الحياة الدنيا، وإنما أفرد ﴿زِينَةُ﴾ مع كونها عائدة على اثنين؛ لأنها مصدر، فصح الإخبار بها عن الاثنين، وهي بمعنى: المفعول، أو هي من قبيل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ الآية رقم [٦٢] من سورة (التوبة).

﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: لقد اختلف في تفسيرها، فقال ابن عباس، وابن جبير، وأبو ميسرة، وعمرو بن شُرَحْبِيل: هي الصلوات الخمس. والصحيح: أنها كل عمل صالح من قول، أو فعل يبقى للآخرة. وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: «**الحرث حرثان، فحرث الدنيا: المال والبنون، وحرث الآخرة: الباقيات الصالحات، وقد جمعهن الله تعالى لأقوام**». وقال الجمهور: هي الكلمات المأثور فضلها: (سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، وَلَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، والله أكبرُ، وَلَا حَوْلَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ العظيم) خرجه مالك في موطئه عن عمارة بن صيَّاد عن سعيد بن المسيب. وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، وَلَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، والله أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله، فَإِنَّهُنَّ الباقِيَاتُ الصَّالِحاتُ، وَهُنَّ يَحْطُطْنَ الْخَطَايَا كَمَا تَحُطُّ الشجرةُ وَرَقَها، وَهِيَ من كُنُوزِ الْجَنَّةِ**». رواه الطبراني.

وقال عبيد بن عمير: هن البنات، يدل عليه، أوائل الآية. قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ يعني البنات الصالحات، هن عند الله لآبائهن خير ثواباً، وخير أملاً في الآخرة لمن أحسن إليهن. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٩] من سورة (النحل)، وخذ ما يلي: روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي أُمِرَ بِهِ إلى النارِ، فتعلقَ به بناتُهُ، وَجعلْنَ يصرخْنَ، ويقلْنَ: رَبِّ إنه كَانَ يُحْسِنُ إلَيْنَا في الدُّنْيَا، فرحِمَهُ اللهُ بهنَّ**». هذا؛ وليس في زينة الدنيا خير، ولكنه في التحقيق ممَّا يظنه الجهال: أنه خير في ظنهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر الآية رقم [٧٦] من سورة (مريم) عليها السلام.

هذا، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ...﴾ إلخ فن الجمع، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد، فقد جعل الله المال والبنين زينة الحياة الدنيا، ومنه قوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [٩٠]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ...﴾ إلخ ومنه قول الشاعر: [البسيط]

آراؤُهُ وعطاياهُ ونعمتُهُ وعَفْوُهُ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمِ

وانظر المحسنات البديعية في كتاب قواعد اللغة العربية الذي شرحته، وحققته.

الإعراب: ﴿ٱلْمَالُ﴾: مبتدأ. ﴿وَٱلْبَنُونَ﴾: معطوف عليه مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿زِينَةُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة الحياة مجرور مثله، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف، والجملة الاسمية: ﴿ٱلْمَالُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: صفة لها. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، أو هي مستأنفة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿ثَوَابًا﴾: تمييز. ﴿وَخَيْرٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَمَلًا﴾: تمييز.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي: نزيلها من أماكنها من على وجه الأرض، ونسيرها كما نسير السحاب. قال تعالى في سورة (النمل): ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ و﴿وَتَرَى﴾: الخطاب للنبي ﷺ، أو لكل واحد. ﴿بَارِزَةً﴾: ظاهرة، ليس عليها ما يسترها من جبل، أو شجر، أو بنيان. وقيل: المعنى برز ما فيها من الكنوز، والأموات، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ وقال: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وهذا قول عطاء رحمه الله تعالى. ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: أخرجناهم من قبورهم، وسقناهم إلى المحشر جميعاً برهم، وفاجرهم، إنسهم،

وجنهم. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: فلم نترك أحداً منهم، والمغادرة: الترك، ومنه الغدر؛ لأنه ترك الوفاء. هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿نُسَيِّرُ﴾ بالتاء، والبناء للمجهول، والبناء للمعلوم، ورفع الجبال معهما. هذا؛ والتعبير بالفعل الماضي في هذه الآية وما بعدها، وهو ينص على شيء يقع في المستقبل بلا ريب، إنما هو لتحقق وقوع ما يذكر، وهذا التعبير مستعمل في القرآن الكريم بكثرة. هذا؛ و﴿ٱلْجِبَالَ﴾ مفرده جبل ويجمع على: أجبل، وأجبال أيضاً.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): معطوف على الظرف ﴿عِندَ﴾ التقدير: وخير يوم، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: واذكر يوم . . إلخ وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿وَٱضْرِبْ...﴾ إلخ وما بينهما اعتراض. ﴿نُسَيِّرُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْجِبَالَ﴾: مفعول به، وعلى القراءتين الأخريين هو فاعل، أو نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة يوم إليها. ﴿وَتَرَى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿بَارِزَةً﴾: حال مِن الأرض؛ لأن الفعل بصري، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً، أو هي في محل نصب حال مِن الأرض على تقدير قد قبلها، والرابط: الواو فقط على حد قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾. ﴿فَلَمْ﴾: الفاء: حرف عطف. لم: حرف جازم. ﴿نُغَادِرْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». منهم: متعلقان بمحذوف حال مِن أحداً، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على نحو ما رأيت في الآية رقم [٩] ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. والعطف هو الأقوى.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾: قال مقاتل: يعرض الخلق صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة، كل أمة، وزمرة صفاً، لا أنهم صف واحد. وقيل: جميعاً. وقيل: قياماً، وخرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ تباركَ وتَعالَى يُنادِي يَوْمَ القيامَةِ بصوْتٍ رفيعٍ غيرِ فَظِيعٍ: يَا عبادِي أنَا اللهُ، لَا إلِهَ إلَّا أنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ، وَأحكَمُ الحاكِمينَ، وأَسْرَعُ الحاسِبينَ، يَا عِبادِي لا خوفٌ عَلَيْكُمُ اليومَ، وَلَا أَنْتُمْ تحزَنونَ، أَحْضِرُوا حُجَّتَكُمْ وَيَسِّروا جواباً، فإنكمْ مَسْؤولونَ محاسبونَ، يَا مَلَائِكَتِي أَقِيموا عِبَادِي صفوفاً عَلَى أَطْرافِ أَنَامِلِ أقدامِهِمْ لِلْحِسَابِ**». انتهى. قرطبي.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة، عراة، لا مال معكم، ولا ولد. وقيل: فرادى كما في الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنعام)، انظرها فالبحث فيها جيد. هذا؛ وفي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**». قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ! الرجالُ والنساءُ ينظرُ بعضُهُمْ إلى بَعْضٍ؟ قالَ: «**يا عائشةُ! الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ**». زاد النسائي في رواية له: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ومعنى غرلاً: غير مختونين، والمراد: وجود القلفة التي تزال عند الختان، وهو تحقيق لما في هذه الآية. ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ...﴾ إلخ: بل ادعيتم باطلاً، وافتراء أننا لن نجعل لكم وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الرسل من البعث، والحشر، والنشور، أو نجعل لكم مكان وعد للمحاسبة. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف تحية، وألف صلاة.

الإعراب: ﴿وَعُرِضُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (عرضوا): ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿صَفًّا﴾: حال بمعنى: مصطفين، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿لَّقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم مقدر. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جِئْتُمُونَا﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، ونا مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول لقول محذوف واقع حالاً، التقدير: مقولاً لهم: لقد. . . . إلخ.

﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، وهو مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾ مضاف إليه، وما المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: جئتمونا مجيئاً كائناً مثل خلقنا إياكم أول مرة. وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال مِن المصدر المضمر، المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة معينة، وليس هذا منها.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب تستأنف بعده الجمل. ﴿زَعَمْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَلَّن﴾: حرف مشبه بالفعل، مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف. التقدير: أننا. (لن): حرف ناصب. ﴿نَّجْعَلَ﴾: مضارع منصوب بـ: (لن) والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، أو هما متعلقان بموعداً بعدهما الذي هو مفعول به،

وجملة: ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنْ)، و(أنْ) واسمها المحذوف وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي زعم، وجملة: ﴿زَعَمْتُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: نشرت كتب الأعمال؛ التي عملها بنو آدم في الدنيا. وانظر التعبير بالماضي عن المستقبل في الآية [٤٨] فقد روى القرطبي - رحمه الله تعالى -: أن عمر - رضي الله عنه - قال لكعب: وَيْحك يا كعبُ! حدثنا من حديث الآخرة. قال: نعمْ يا أميرَ المؤمنينَ! «إذا كان يومُ القيامةِ رُفِعَ اللوحُ المحفوظُ، فلمْ يبقَ أحدٌ من الخلائقِ، إلَّا وهو ينظرُ إلى عملِهِ. قال: ثم يُؤْتى بالصحف التي فيها أعمالُ العبادِ، فتُنْثَر حولَ الْعَرْشِ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ...﴾ إلخ. قال كعب: ثم يُدعَى المؤمنُ، فيُعْطَى كتابَهُ بيمينِهِ، فَيَنْظُرُ فيهِ، فإذا حسناتُهُ بادياتٌ للناسِ، وهو يقرأ سيئاتِهِ؛ لكيلا يقول: كانت لي حسناتٌ، فلم تذكر، فأحب الله أن يريه عمله كلَّهُ حتى إذا استنقص ما في الكتاب؛ وَجَدَ في آخر ذلكَ كُلِّهِ أنَّهُ مغفورٌ لك، وأنك من أهل الجنةِ، فعند ذلك يُقبل إلى أصحابه، ثم يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ ثم يُدْعَى بالكافرِ، فيُعْطَى كتابَهُ بشمالِهِ، ثم يُلَفُّ، فيُجْعَلُ من وَرَاءِ ظَهرِهِ، ويُلْوَى عُنُقُه، فذلك قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ فينظر في كتابه، فإذا سيئاته بادياتٌ للناسِ، وينظر في حسناته لكيلا يقول: أفأثاب على السيئات؟!. وكان الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - إذا قرأ هذه الآية، يقول: يا ويلتاه! ضجُّوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر.

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: مكتوباً في الصحف، أو وجدوا جزاء ما عملوا حاضراً. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: بنقص شيء من ثوابه، ولا بزيادة شيء من عقابه. وانظر الآية رقم [١٤] من سورة (الإسراء). هذا؛ والصغيرة: النظرة المحرمة، وكذلك: اللمسة، والقبلة، ونحو ذلك، وأما الكبيرة فهي ما تستحق حداً في الدنيا، وعقاباً في الآخرة، ولا تنس: أنَّ الإصرار على الصغيرة، والإكثار منها كبيرة. وخذ ما يلي: عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: **«إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ، نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وجاء ذا بعودٍ حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذنوبِ متى يأخُذ بها صاحِبُها تُهْلِكهُ»**. رواه أحمد، وفي كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري كثير من هذا، ولا تنس: أن في المسلمين كثيراً من المجرمين والظالمين والفاسقين... إلخ، وقد بينته فيما مضى كثيراً، والله أسأل، وبنبيه أتوسل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل، فإنه خير مسؤول.

الإعراب: ﴿وَوُضِعَ﴾: الواو: حرف عطف. (وضع): ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. (ترى): مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مفعول به منصوب. ﴿مُشْفِقِينَ﴾: حال مِن المجرمين؛ لأن الفعل بصري، منصوب، وعلامة النصب فيهما الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿فَتَرَى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بـ: ﴿مُشْفِقِينَ﴾؛ لأنه اسم فاعل، لذا فاعله مستتر فيه. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل. ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾: يا: قال الجلال: حرف تنبيه. (ويلتنا): قال الجلال: مصدر، لا فعل له من لفظه، وهو يعني: أنه مفعول مطلق، والتحقيق: أنه منادى، ونداء الويلة على تشبيهها بشخص يطلب إقباله، كأنه قيل: يا هلاكنا أقبل، فهذا، أوانك، ففيه استعارة مكنية، وتخييلية، وفيه تقريع لهم، وإشارة إلى أنه لا صاحب لهم غير الهلاك، وطلبوا هلاكهم، لئلا يروا ما هم فيه. انتهى جمل نقلاً عن الشهاب. أقول: انظر شرح «الويل» في الآية رقم [٢] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. وانظر إعراب ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٧٢] من سورة (هود) عليه السلام، و(نا): في محل جر بالإضافة.

﴿مَالِ هَٰذَا﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (لهذا): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(ها) التنبيه مقحمة بينهما، وهو حرف لا محل له. ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، والجملة الاسمية، والندائية قبلها كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها أيضاً، جملة: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ في محل نصب حال مِن ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾، والرابط: الضمير فقط والعامل اسم الإشارة. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَحْصَىٰهَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الكتاب، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿صَغِيرَةً﴾ و﴿كَبِيرَةً﴾، أو هي في محل نصب مفعول به ثان؛ لأن يغادر بمعنى: يترك. ﴿وَوَجَدُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: وجدوا الذي، أو شيئاً عملوه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: وجدوا عملهم. ﴿حَاضِرًا﴾: حال مِن الضمير المنصوب المقدر، أو من المصدر عملهم، أو هو مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَوَجَدُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها، ويجب تقدير قد قبلها، وجملة: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ معطوفة أيضاً، واعتبارها مستأنفة وجه صحيح، لا غبار عليه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: انظر خلق آدم، وما المراد من السجود لآدم في الآية رقم [٢٦] من سورة (الحجر) وما بعدها. وانظر شرح (آدم) في الآية رقم [٦١] من سورة (الإسراء). ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: انظر شرح (إبليس) في الآية رقم [٣١] من سورة (الحجر). ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان من حيٍّ من الملائكة، يقال لهم: الجن خلقوا من نار السموم. وقال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: كان من الجن، ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس، وكونه من الملائكة، لا ينافي كونه من الجن، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ وذلك: أن قريشاً قالت: الملائكة بنات الله، فهذا يدل على أنَّ الملك يسمى جناً، ويعضده اللغة؛ لأن الجن مأخوذ من الاجتنان، وهو الستر، فعلى هذا تدخل الملائكة فيه، فكل الملائكة جن لاستتارهم، وليس كل جن ملائكة، ووجه كونه من الملائكة أن الله تعالى استثناه من الملائكة، والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل، ويصح دخوله، وذلك يوجب كونه من الملائكة، ووجه من قال: إنه كان من الجن، ولم يكن من الملائكة قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ والجن جنس مخالف للملائكة. وقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ فأثبت له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم، وأجيب عن الاستثناء: أنه استثناء منقطع، وهو مشهور في كلام العرب. قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ قيل: إنه كان من الملائكة، فلما خالف الأمر؛ مسخ، وطرد، ولعن. انتهى. خازن.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: خرج عن طاعة ربه. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ...﴾ إلخ: فيه توبيخ، وتقريع لمن اتبع خطوات الشيطان الرجيم. ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ أي: بئس عبادة الشيطان بدلاً من عبادة الله تعالى، أو بئس إبليس بدلاً من الله. هذا؛ وقيل: ﴿عَنْ﴾ هنا بمعنى: بَعْدَ، انظر رقم [٦٣] من سورة (النور) تجد ما يسرك.

بعد هذا لقد اختلف: هل لإبليس ذرية من صلبه. فقال الشعبي: سألني رجل، فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: ذاك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم. وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه، فباض خمس بيضات، فهذا أصل ذريته. وقيل: إن الله تعالى خلق له في فخذه اليمنى ذكراً، وفي اليسرى فرجاً، فهو ينكح هذا بهذا، فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً، وشيطانةً، فهو يخرج، وهو يطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بني آدم فتنة. وقال قومٌ: ليس له أولاد، ولا ذرية، وذريته: أعوانه من الشياطين.

قال القشيري أبو نصر: والجملة: أن الله تعالى أخبر: أن لإبليس أتباعاً، وذريةً، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم، وهم أعداؤهم، ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم، وحدوث الذرية عن إبليس، فيتوقف الأمر فيه على نقل صحيح.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يدخلُ السوقَ، ولا آخِرَ مَنْ يخرجُ مِنها، فَبِهَا باضَ الشيطانُ، وَفَرَّخَ»**. وهذا يدل على أنَّ للشيطان ذرية من صلبه، والله أعلم. انتهى. باختصار السند، أقول: وإذا علمت: أنَّ لكل واحد من بني آدم قريناً من الشياطين، كما ذكرته لك مراراً؛ علمت: أنه لا بد من التوالد، وأنهم يموتون كما يموت بنو آدم إلا إبليس اللعين الذي طلب من الله النَّظِرةَ، والإمهال كما رأيت مراراً.

وذكر الطبري وغيره: أن مجاهداً قال: ذرية إبليس: الشياطين، وكانَ يَعُدُّهُمْ: زَلَنْبُور صاحب الأسواق، يضع رايته في كل سوق بين السماء والأرض، يجعل تلك الراية على حانوت أول من يفتح، وآخر من يغلق، ويزين اللغو، والحلف الكاذب، ومدح السلع. وبتر، وهو صاحب المصائب، يزين ضرب الوجوه، وشق الجيوب، والدعاء بالويل، والثبور. والأعور صاحب الزنى ينفخ في إحليل الرجل، وعجيزة المرأة. ومطوس صاحب الأخبار الكاذبة، يلقيها في أفواه الناس، فلا يجدون لها أصلاً. وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته، ولم يسم، ولم يذكر الله دخل معه، وشاركه في مبيته، وطعامه، وشرابه، انظر مشاركة الشيطان لابن آدم في الآية رقم [٦٤] من سورة (الإسراء). والولهان، وهو صاحب الطهارة يوسوس فيها. ومرة، وهو صاحب المزامير، وبه يُكْنَى.

قال ابن عطية: هذا؛ وما جانسه ممَّا لم يأت به سند صحيح، ولم يمرَّ بي في هذا صحيح إلا ما في كتاب مسلم مِنْ أن للصلاة شيطاناً يسمى خِنْزَب، وذكر الترمذي: أن للوضوء شيطاناً يسمى: الولهان. انتهى. قرطبي.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ إبليسَ يَضَعُ عرْشَهُ على الْماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فأدناهُمْ مِنْهُ منزلةً، أعظمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيقولُ: فعلْتُ كَذا وَكَذَا، فَيَقُولُ: ما صَنَعْتَ شيْئاً، ثُمَّ يجيء أحدُهُمْ، فيقولُ: ما تركْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امرأتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، ويقولُ: نِعْمَ أَنْتَ»**. رواه مسلم.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف، فهو مبني على السكون في محل نصب. ﴿قُلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱسْجُدُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿لِأَدَمَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها، وجملة: «اذكر . . .» إلخ المقدرة

معطوفة على جملة: (اضرب لهم...) إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، وجملة: ﴿فَسَجَدُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها.

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿إِبْلِيسَ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّآ﴾، وهل هو متصل، أو منقطع؟ انظر الشرح. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه، يعود إلى ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر كان، وجملة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ في محل نصب حال مِن ﴿إِبْلِيسَ﴾، و«قد» قبلها مقدرة، والرابط: الواو، والضمير، وأجيز اعتبارها تعليلاً مستأنفاً. ﴿فَفَسَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿عَنْ أَمْرِ﴾: متعلقان به، و﴿أَمْرِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِۦٓ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿فَفَسَقَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (سجدوا...) إلخ، فهي في محل جر مثلها. وقيل: معطوفة على جملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ فهي في جملة التعليل، وهو أولى.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ. الفاء: حرف استئناف. (تتخذونه): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعول به أول. ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: معطوف على الضمير المنصوب منصوب مثله وأجيز اعتباره مفعولاً معه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِن دُونِى﴾: متعلقان بما قبلهما إما بالفعل، أو بمحذوف صفة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بعدوّ بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿عَدُوٌّۢ﴾: خبر المبتدأ. وانظر شرحه في الآية رقم [٥٣] من سورة (الإسراء)، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن واو الجماعة، أو من المفعول به، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير. ﴿بِئْسَ﴾: ماض جامد دال على إنشاء الذم، وفاعله مستتر فسره التمييز بعده. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَدَلًا﴾، أو بمحذوف حال مِنه، كان صفة له... إلخ. ﴿بَدَلًا﴾: تمييز، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: هو إبليس، وجملة: ﴿بِئْسَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الضمير المنصوب يعود إلى ﴿إِبْلِيسَ﴾ وذريته، المعنى: لم أحضرهم على خلق السموات والأرض، ولم أشاورهم بذلك، فكيف تتخذونهم

أولياء من دوني؟!. وقيل: يعود الضمير إلى الملائكة. وقيل: يعود إلى الكفار أنفسهم، فكيف ينسبون إلى الله ما لا يليق بجلاله، وعظمته؟!، وقرئ: (ما أشهدناهم) على التعظيم. ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ولا أشهدتهم خلق أنفسهم، ولا استشرتهم في خلقها. قال القرطبي: فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين، وأهل الطبائع، والمتحكمين من الأطباء، وسواهم من كل من ينخرط في هذه الأشياء. انتهى.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: معيناً، وناصراً، ومساعداً، والمراد: بالمضلين الشياطين، وأولياؤهم، وأتباعهم، وأصل العضد: العضو الذي هو من المرفق إلى الكتف. ففي الكلام استعارة، وفيه قراءات ثمانية. هذا؛ وقرئ بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ. هذا؛ والعضد تذكر، وتؤنث. وقال اللحياني: العضد مؤنثة لا غير، وهي العضو ما بين المرفق، والكتف، وتكون بمعنى: الناصر والمعين، كما في الآية الكريمة على سبيل الاستعارة. قال أبو الشعر الهلالي، من قصيدة له مستجادة: [البسيط]

كِلَا أَخِي وَخَلِيلِي وَاجِدِي عَضُداً ... فِي النَّائِبَاتِ وَإِلْمَامِ الْمُلِمَّاتِ

وتكون بمعنى: القوة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي: سنقويك بأخيك. وقال طرفة بن العبد: [السريع]

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ ... إلا يَداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

والعضد: قوام اليد، وبشدتها تشتد، ويقال في دعاء الخير: شدَّ اللهُ عضدك! وفي ضده: فتَّ الله في عضدك! وقال تعالى لموسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ في سورة (القصص): ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿مَّآ﴾: نافية. ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿خَلْقَ﴾: مفعول به ثان، و﴿خَلْقَ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: زائدة لتأكيد النفي. ﴿خَلْقَ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿أَنفُسِهِمْ﴾ مضاف إليه... إلخ. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مُتَّخِذَ﴾: خبر (كان)، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ مضاف إليه، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله الأول، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَضُدًا﴾: مفعول به ثان لـ: ﴿مُتَّخِذَ﴾ وجملة: ﴿وَمَا كُنتُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: اذكروا يوم يقول الله تعالى. هذا؛ وقرئ الفعل بالنون، والياء قراءتان سبعيتان، فبالنون لمناسبة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وبالياء لمناسبة: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾. ﴿نَادُوا شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: ادعيتم أنهم آلهة فليمنعوكم من العذاب، وهذا القول لعبدة الأوثان يوم القيامة. ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: فنادوا، واستغاثوا بهم. ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: لم يجيبوهم، ولم يستطيعوا نصرهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ أي: بين الأصنام وعبدتها مهلكاً. قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: هو وادٍ في جهنم من قيح ودم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو وادٍ في النار. وقيل: نهرٌ تسيلُ منه نارٌ وعلى حافتيه حياتٌ مثلُ البغالِ الدُّهم. وقيل: كل حاجز بين شيئين فهو موبق. وقيل: البين: تواصلهم في الدنيا، كان هلاكاً لهم في الآخرة، انظر شرح: (بين) في الآية رقم [٤٥] من سورة (الإسراء)، وشرح (اليوم) في الآية رقم [١٤] منها، وشرح (القول) في الآية رقم [١٦] منها، وشرح «زعم» في الآية رقم [٥٦] منها أيضاً، ومعنى ﴿شُرَكَآءِيَ﴾: الذين أشركتموهم معي في العبادة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ و«موبق» اسم مكان، وياتي مصدراً ميمياً أيضاً، وجاء على وزن مفعل بكسر العين لأن مضارعه مكسور عينه، فهو من باب ضرب، وواوي الفاء أيضاً. وانظر ما ذكرته في شرح (مسجد) في الآية رقم [٢١] و(مصرف) في الآية الآتية مثل (موبق)؛ لأن ماضيه: صرف، ومضارعه: يصرف بكسر الراء.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، انظر، الشرح. ﴿يَقُولُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿نَادُوا﴾: أمر وفاعله، والألف للتفريق. ﴿شُرَكَآءِيَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب بدلاً ممَّا قبله، أو هو صفة له. ﴿زَعَمْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعولاه، أو ما يسد مسدهما محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية صلة الموصول، وجملة: ﴿نَادُوا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة يوم إليها، وجملة: «اذكروا...» إلخ المقدرة مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف

مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو مفعول به على تفسيره بـ: «وصلهم» والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿مَّوْبِقًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾: أبصر الكافرون النار، وما فيها. ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أيقنوا: أنهم واقعون في جهنم، وفي الخبر: إن الكافر ليرى جهنم، ويظن: أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة، والمواقعة: ملابسة الشيء بشدة. ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مهرباً، أو ملجأ يلتجئون إليه. هذا؛ وانظر ما ذكرته عن ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في الآية رقم [٤٩] وانظر الظن في الآية رقم [١٠٢] من سورة (الإسراء) وهو هنا معناه اليقين؛ لأن رؤية النار يوم القيامة لا شك فيها.

بعد هذا فالنار أصلها: النَّوَر، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنث المجازي، وقد تذكر، وتصغيرها: نُوَيْرَة، وجمعها: أَنْوُر، ونيرَة، ونِيَران، ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين، والفاسقين، والمجرمين، والظالمين... إلخ، من أبناء المسلمين. وانظر دركاتها في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر)، والفعل: نار، ينور. يستعمل لازماً ومتعدياً إذا بدئ بهمزة التعدية، كما في قولك: أنارَتِ الشمسُ الكونَ.

الإعراب: ﴿وَرَءَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل مرفوع... إلخ. ﴿ٱلنَّارَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾: الفاء: حرف عطف. (ظنوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾: خبر (أنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وها: في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظنُّوا)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. لم: حرف جازم. ﴿يَجِدُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون ... إلخ، والواو فاعله والألف للتفريق. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما؛ لأنه اسم زمان، أو مكان، أو هو مصدر ميمي. ﴿مَصْرِفًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ...﴾ إلخ معطوفة على خبر (أنَّ)، واعتبارها حالاً من فاعل ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾ المستتر لا بأس به.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٤١] من سورة (الإسراء) ففيها الكفاية. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ أي: جدالاً في الباطل. قال ابن عباس ـ رضي الله

عنهما ـ: أراد النضر بن الحارث، وجداله في القرآن. وقيل: أراد به أُبَيَّ بْنَ خَلَف. وقيل: أراد جميع الكفار، وهو الأولى.

فعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: أن رسول الله ﷺ طرقه، وفاطمة ـ رضي الله عنها ـ ليلاً، فقال: «**أَلَا تُصلِّيانِ**». فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ إنما أَنْفُسُنَا بِيدِ اللهِ فإذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنا، فانصرفَ حينَ قلْتُ لهُ ذَلك، ثُمَّ سَمِعْتُهُ، وهو مدْبرٌ يَضْرِبُ فخذَهُ، ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾. والجدل: شدة الخصومة. وهي مذمومة إلا عند الضرورة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**». ثم قرأ قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾. رواه الترمذي وابن ماجه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٤١] و [٨٩] من سورة (الإسراء) ففيهما الكفاية. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): ماض ناقص. ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: اسم (كان). ﴿أَكْثَرَ﴾: خبر (كان)، و﴿أَكْثَرَ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿جَدَلًا﴾: تمييز، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال مِن الناس؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط الواو فقط، و«قد» قبلها مقدرة.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ...﴾ إلخ: المعنى وما منع الكافرين من الإيمان بالله ورسوله وقت مجيء الهدى إليهم، وما صدهم عن استغفار ربهم، وطلب العفو منه عنهم إلا انتظارهم أن يحل بهم ما حل بالأمم السابقة، وهو عذاب الاستئصال، والهلاك، أو إلا أن يحل بهم حكم الله بالانتقام منهم. وقيل: المعنى: ما منعهم من الإيمان إلا طلبهم أن تأتيهم سنّة الأولين. فحذف. وهذا تجلى في قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٢] من سورة (الأنفال). ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ أي: عياناً، ومشاهدة. وقيل: فجأة. وهو يقرأ بضمتين، فقيل: جمع: قبيل بمعنى: أنواع. ويقرأ بفتحتين، وهو لغة فيه. وقيل: هو بمعنى: متفرقاً يتلو بعضه بعضاً، وقرئ: (قِبَلاً) بكسر وفتح، وهو بالمعنى الأول: الذي رأيته، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا انظر شرح: (الناس) في الآية رقم [٦٠] من سورة (الإسراء)، وشرح ﴿جَآءَ﴾ في الآية رقم [٥] منها، وشرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] منها، وشرح: ﴿سُنَّةُ﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (الحجر)، وشرح ﴿أَتَىٰٓ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (النحل)، وشرح (أوّل) في الآية رقم [٢٤] منها.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مَنَعَ﴾: ماض. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُؤْمِنُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو، فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثان، أو في محل جر بحرف جر محذوف، على الخلاف بين سيبويه، والخليل. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل يؤمنوا، وعلقه الجمل بالفعل ﴿مَنَعَ﴾. ﴿جَآءَهُمُ﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: فاعله مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ﴾: معطوف على ﴿يُؤْمِنُوٓاْ﴾ منصوب مثله... إلخ. ﴿رَبَّهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر، والمصدر المؤول، من: ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ في محل رفع فاعل ﴿مَنَعَ﴾ وهنا يجب تقدير مضاف قبل المصدر المؤول؛ أي: انتظار إتيان العذاب. وانظر الشرح، ﴿سُنَّةُ﴾: فاعل تأتي، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: فاعل. ﴿قُبُلًا﴾: حال مِن العذاب، أو من الضمير المنصوب. هذا؛ ويشبه هذه الآية في معناها وإعرابها الآيتان رقم [٥٩ و٩٤] من سورة (الإسراء)، وجملة: ﴿وَمَا مَنَعَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: للمؤمنين الطائعين بالرحمة، والجنة. ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للكافرين، والعاصين، والمجرمين بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم، في نار الجحيم. ﴿وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾: باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات، والسؤال عن قصة أصحاب الكهف، ونحوه تعنتاً، ومنه قولهم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ و﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾، ونحو ذلك. ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾: ليزيلوا بجدالهم الحق عن مقره، ويبطلوه، وأصل الدحض: الزلق، يقال: دَحَضَتْ رجله؛ أي: زَلِقَتْ، وَدَحَضَتْ حجتهُ دحوضاً: بَطَلَتْ؛ لذا في الكلام استعارة بالفعل. ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى﴾ أي: القرآن المنزل على قلب محمد ﷺ. ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾: من العقاب، والتهديد، والوعيد. ﴿هُزُوًا﴾: استهزاءً وسخريةً. هذا؛ وهزواً مصدر هزأ يهزأ هُزْأً من باب فتح، ويأتي أيضاً من باب تعب، والمصدر يأتي بضم الزاي وسكونها، وتخفيف الهمزة، فتقلب واواً، وقد قرئ بهما، وهما سبعيتان. هذا؛ والاستهزاء بالناس حرام قطعاً، وآية الحجر الناهية عن السخرية والاستهزاء بالناس معروفة،

وأحاديث النبي ﷺ الناهية عن ذلك مسطورة، ومشهورة. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قصر إضافي، وهو هنا قصر موصوف على صفة، وهو كثير في كتاب الله تعالى، ومطابقة أيضاً بين ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ و(منذرين). تأمل.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿نُرْسِلُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: حال منصوب. ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: معطوف عليه فهو حال مثله، وعلامة النصب في الثلاثة الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَمَا نُرْسِلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وعطف المثبتة على المنفية جائز. ﴿وَيُجَٰدِلُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يجادل): مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والمفعول محذوف أي: المرسلين. ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: متعلقان بالفعل (يجادل) والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِيُدْحِضُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محلٍ جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل يجادل أيضاً. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به. ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتخذوا): ماض، والواو فاعله. ﴿ءَايَٰتِى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَيُجَٰدِلُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، واعتبارها حالاً من واو الجماعة جيد أيضاً، والرابط: الواو، والضمير، وقد قبلها مقدرة أيضاً. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. ما: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على ﴿ءَايَٰتِى﴾. ﴿أُنذِرُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول به. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: واتخذوا الذي، أو شيئاً أنذروا به هزوا، هذا، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤوَّل مع الفعل بمصدر في محل نصب معطوف على ﴿ءَايَٰتِى﴾ فيكون التقدير: اتخذوا آياتي وإنذارهم هزواً. تأمل، وتدبر.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن...﴾ إلخ: أي: لا أحد أظلم لنفسه من إنسان وعظ بآيات الله، فأعرض عنها، وتركها، وتهاون بها، ولم يعمل بها. ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: ما عمل من

المعاصي، فالنسيان هنا بمعنى: الترك. وانظر الآية رقم [٢٤] هذا؛ ونسبت الأعمال كلها للأيدي وإن كانت من أعمال القلوب، والأرجل، والعيون والآذان تغليباً للأكثر على الأقل.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٤٥] و [٤٦] من سورة (الإسراء) ففيهما الكفاية. ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: إلى الإيمان، والمخاطب بذلك النبي ﷺ. ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾: وهذا في حق أقوام علم الله منهم: أنهم لا يؤمنون. وانظر الآية رقم [١٧] والمحال عليها من سورة (الرعد) برقم [٢٧] هذا؛ وفي أول الآية مراعاة لفظ (من)، وهو الإفراد، وفي آخرها مراعاة معنى (من)، وهو الجمع بالضمائر. تأمل، وفي الآية التفات من الغيبة إلى الحضور، انظر [٢٢] (النحل).

هذا؛ و﴿يَدَاهُ﴾ مثنى: يد، وهما كناية عما يعمله الإنسان من أعمال، وليست كل الأعمال من عملهما كما هو معروف. هذا؛ واليد تستعمل في الأصل لليد الجارحة، وتطلق، ويراد بها القوة، والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كما تطلق على النعمة، والمعروف، يقال: لفلان عندي يد؛ أي: نعمة، ومعروف وإحسان، وتطلق على الحيلة، والتدبير، فيقال: لا يد لي في هذا الأمر؛ أي: لا حيلة لي فيه، ولا تدبير.

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِمَّن﴾: متعلقان بـ: ﴿أَظْلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿ذُكِّرَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، أو الرابط. ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية: ﴿ذُكِّرَ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها، وجملة: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ معطوفة عليها.

﴿وَنَسِىَ﴾: ماض. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿قَدَّمَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿يَدَاهُ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نسي الذي، أو شيئاً قدمته يداه، وهذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿ذُكِّرَ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها للتخفيف، وبقيت ألفها. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: معلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَكِنَّةً﴾: مفعول به، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، و«لا» مقدرة؛ إذ التقدير: لئلا يفقهوه، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿جَعَلْنَا﴾،

وهذا عند الكوفيين، وهو عند البصريين على حذف مضاف، التقدير: كراهية فهمهم له، فالمحذوف مفعول لأجله. ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: معطوفان على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾. ﴿وَقْرًا﴾: معطوف على ﴿أَكِنَّةً﴾ وإن قدرت: «جعلنا» قبلهما، وضح لك ذلك، وجملة: ﴿جَعَلْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ بمنزلة التعليل لإعراضهم عن آيات ربهم، ونسيانهم ما قدمته أيديهم.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَدْعُهُمْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فَلَن﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَهْتَدُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ: (لن) وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف لدلالة ما قبله عليه. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل، لا عمل له. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَرَبُّكَ﴾: الخطاب للرسول ﷺ. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة. ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: صاحب الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء، وهي تعمُّ كل مخلوق في الدنيا، وتختصُّ بالمؤمنين في الآخرة. وانظر الآية رقم [١٥٥] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي: من الكفر، والمعاصي، والسيئات. ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: في الدنيا، ولكنه سبحانه يمهل، ولا يهمل. وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (النحل). ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ أي: أجل مقدر يؤخرون إليه، كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فإذا حل الأجل لم يتأخر العذاب عنهم، و﴿مَّوْعِدٌ﴾ يحتمل اسم المكان، والزمان، والمصدر الميمي، ومثله: (موئل). وانظر ما ذكرته في الآية [٥٣]. ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ﴾: من دون الله. ﴿مَوْئِلًا﴾: ملجأً، ولا منجاً، بل، ولا مهرباً، يقال: وأل: إذا نجا، ووأل إليه إذا لجأ إليه. هذا؛ والكلام في أهل مكة، وهو يشمل أهل الظلم، والطغيان، والمعاصي، والسيئات في كل زمان ومكان، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَرَبُّكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ربُّكَ): مبتدأ مرفوع، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: خبر أول. ﴿ذُو﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾ مضاف، و﴿ٱلرَّحْمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يُؤَاخِذُهُم﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (ربك)، والهاء مفعول به. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، إذ التقدير: بالذي، أو بشيء كسبوه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم. وجملة: ﴿يُؤَاخِذُهُم...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَعَجَّلَ﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (عجل): ماض، والفاعل يعود إلى ربك. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محل لها، ولو ومدخولها في محل رفع خبر ثالث للمبتدأ، أو هو كلام مستأنف بالإعراض عما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَرَبُّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَل﴾: حرف إضراب. ﴿لَّهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّوْعِدٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَّن﴾: حرف ناصب.. إلخ. ﴿يَجِدُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَّن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق... ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن: ﴿مَوْئِلًا﴾ كان صفة له، فلما... إلخ. انظر مثله في الآية رقم [٩]، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿مَوْئِلًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَّن يَجِدُواْ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ﴿مَّوْعِدٌ﴾. تأمَّل.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي: تلك القرى التي قصصنا عليك يا محمد نبأهم، نحو قرى عاد، وثمود، ومدين، وقوم لوط، وقومك يمرون على هذه القرى في أسفارهم إلى اليمن وإلى الشام، أفلا يعتبرون؟! هذا؛ والمراد: أهل القرى بلا ريب بدليل رجوع الضمير عليهم كما ترى. ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أي: بأنواع من العذاب كما رأيت في سورة (الأعراف) وسورة (هود) عليه السلام. ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ أي: كفروا، وظلموا أنفسهم بمخالفة الله تعالى. ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي: وقتاً معلوماً، لا يستأخرون عنه ساعة، ولا يستقدمون. هذا؛ ويقرأ بضم الميم وفتح اللام على زنة المفعول، ويقرأ بفتح الميم مع كسر اللام وفتح اللام، فالقراءات ثلاث سبعيات، و(موعد) يحتمل الزمان، والمكان، والمصدر. وانظر ما ذكرته في ﴿مَّوْبِقًا﴾ في الآية [٥٣].

الإعراب: ﴿وَتِلْكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان، أو في محل نصب حال مِن أهل القرى، والعامل في الحال اسم الإشارة. هذا؛ ويجوز أن يكون القرى بدلاً من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، وتبقى الجملة الفعلية خبراً لاسم الإشارة، ويجوز أن يكون: ﴿وَتِلْكَ﴾ منصوب المحل بفعل مقدر يفسره المذكور بعده، التقدير: أهلكنا أهل القرى أهلكناهم، والكلام مستأنف على جميع الاعتبارات لا محل له. ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمان بمعنى: حين، مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿ظَلَمُوا۟﴾ مع المفعول المحذوف في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ على جملة الوجوه المعتبرة فيها. ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿مَّوْعِدًا﴾ بعدهما، أو بمحذوف حال مِنه على نحو ما رأيت في الآية السابقة قبلها؛ أي: في قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، تأمل. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر الميمي لفاعله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: هو ابن عمران بن قاهت بن لاوي، بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم على نبينا، وحبيبنا، وعليهم جميعاً ألف سلام، وألف صلاة. هذا؛ وموسى في الأصل: «موشى» مركباً من اسمين: الماء، والشجر، فالماء يقال له في العبرانية: (مو) والشجر يقال له: (شا) فعربته العرب. وقالوا: موسى بالسين، وسبب تسميته بذلك: أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء، والشجر، لمَّا ألقته أمه فيه، كما هو مذكور في سورة (طٰه) و(القصص).

﴿لِفَتَىٰهُ﴾: هو يوشع بن نون، بن افراثيم، بن يوسف بن يعقوب، وهو صاحب موسى، وولي عهده بعد وفاته، وهو الذي قاتل الجبابرة بعد موسى، وفتح مدينة أريحا. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٦] من سورة (المائدة) تجد ما يسرك، والفتى: الشاب. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٢] من سورة (يوسف) عليه الصلاة، والسلام. ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزال أسير. ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: ملتقاهما ببعضهما، واختلف في البحرين، فقيل: هما: بحر فارس، والروم. وقيل: هما: بحر الأردن، وبحر القلزم. وقيل: مجمع البحرين عند طنجة، فيكون المراد بالأولين الأبيض، والأسود، وملتقاهما هو مضيق الدردنيل، والمراد: بما بعدهما الأبيض والأحمر، وملتقاهما قناة السويس، وبما بعدهما الأبيض والأطلنطي، وملتقاهما مضيق جبل

طارق، والله أعلم. ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ أي: أسير زماناً، هذا؛ وقيل: الحقب ثمانون سنة. وقيل: سبعون، والجمع: أحقاب، وقافه تضم، وقد تسكن. هذا؛ والحقبة بكسر الحاء: واحدة الحِقب، وهي السنون. قال تعالى في سورة (النبأ): ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾.

وسبب هذه القصة ما خرجه الصحيحان عن أُبَيّ بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ موسَى عليه السلام قامَ خطِيباً في بني إسرائيل، فسُئِلَ: أيُّ الناس أَعْلَمُ؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مِكْتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ**». وذكر الحديث، واللفظ للبخاري. انتهى. قرطبي.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما ظهر موسى وقومه على أرض مصر، أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم الدار، أمره الله أن ذكرهم بأيام الله، فخطب قومه، فذكرهم ما آتاهم الله من الخير، والنعمة؛ إذ نجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، واستخلفهم في الأرض، ثم قال: وكلم الله نبيكم تكليماً، واصطفاه لرسالته، وألقى عليَّ محبة منه، وآتاكم من كل ما سألتموه، فجعلكم أفضل أهل الأرض، ورزقكم العز بعد الذل، والغنى بعد الفقر، والتوراة بعد أن كنتم جهالاً. فقال له رجل من بني إسرائيل: عرفنا الذي تقول، فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟! قال: لا. فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فبعث الله جبريل عليه السلام، أن يا موسى، وما يدريك أين علمي؟ بل إن لي عبداً بمجمع البحرين أعلم منك.

قال علماؤنا قوله في الحديث: «**هو أعلم منك**» أي: بأحكام وقائع مفصلة، وحكم نوازل معينة، لا مطلقاً، بدليل قول الخضر لموسى: إنك على علم علمكه الله، لا أعلمه أنا، وأنا على علمٍ علمنيه، لا تعلمه أنت. فيصدق على كل واحد منهما: أنه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه كل واحد منهما، لا يعلمه الآخر، فلما سمع موسى ـ عليه السلام ـ هذا تشوقت نفسه الفاضلة، وهمته العالية لتحصيلِ ما لم يعلم، وللقاء من قيل فيه: إنه أعلم منك، فعزم، وسأل سؤال الذليل بـ: كيف السبيل؟ فأُمِر بالارتحال على كل حال. وقيل له: احمل معك حوتاً مالحاً في مِكتل، فحيث يحيا، وتفقده؛ فَثَمَّ السبيل، فانطلق مع فتاه لما واتاه مجتهداً طلباً قائلاً: لا أبرح حتى... إلخ. انتهى قرطبي.

هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقيل: إن موسى عليه السلام سأل ربه؛ أيُّ: عبادك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يذكرني، ولا ينساني. قال: فأي: عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق، ولا يتبع الهوى. قال: فأي: عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدل على هدًى، أو ترده عن ردًى، فقال: إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه. قال: أعلم منك الخضر. قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة.

قال: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مِكْتَل، فحيث فقدته؛ فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت، فأخبرني، فذهبا يمشيان. انتهى. والآيات التالية تفصل وتبين ما جرى.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف، وجملة: ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لِفَتَىٰهُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَبْرَحُ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر تقديره: «أنا»، والخبر محذوف، تقديره: أسير. انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف غاية وجر. ﴿أَبْلُغَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل «أسير» المقدر. ﴿مَجْمَعَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء.... إلخ، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أَمْضِيَ﴾: معطوف على ﴿أَبْلُغَ﴾ منصوب مثله، والفاعل تقديره: «أنا». ﴿حُقُبًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أي: فلما وصل موسى، وفتاه مجمع البحرين. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: كان النسيان من يوشع وحده، فنسب للاثنين على حد قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ وإنما يخرج من الملح وحده، وإنما نسب إليهما للصحبة. ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾: طريقه. ﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مسلكاً يسلكه. وقيل: المعنى: دخل فيه، واستتر، وأمسك الله عنه جري الماء، فصار عليه مثل الكوة.

قيل: كان عند الصخرة التي انتهى إليها موسى وفتاه عين ماء، تسمى: عين الحياة، لا تصيب شيئاً إلا حيي، فلما أصاب الحوت المشوي روح الماء وبرده؛ اضطرب في المكتل، وهاج، ودخل البحر. وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة، فانتضح الماء على الحوت، فعاش، ووثب. ومثله مروي في البخاري عن ابن عباس، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: حين عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿بَلَغَا﴾: ماض مبني على الفتح، والألف فاعله. ﴿مَجْمَعَ﴾:

مفعول به، وهو مضاف، و﴿بَيْنِهِمَا﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وجملة: ﴿بَلَغَا...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها على القول بحرفية (لمَّا)، وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على القول بظرفيتها. ﴿نَسِيَا﴾: ماض، والألف فاعله. ﴿حُوتَهُمَا﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وجملة: ﴿نَسِيَا...﴾ إلخ جواب لمَّا، لا محل لها، ولمَّا ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَاتَّخَذَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿حُوتَهُمَا﴾. ﴿سَبِيلَهُ﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جواب لما لا محل لها مثلها. ﴿فِي الْبَحْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن سبيله، كما أجيز تعليقهما بمحذوف حال مِن ﴿سَرَبًا﴾ كان: صفة له... إلخ. ﴿سَرَبًا﴾: مفعول به ثان.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: فلما ترك موسى وفتاه المكان الذي سقط فيه الحوت في البحر، وهو مجمع البحرين. ﴿قَالَ﴾ أي: موسى. ﴿لِفَتَاهُ﴾ أي: يوشع بن نون. ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾: أعطنا طعاماً. ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ أي: تعباً وشدة، وذلك: أنه ألقي على موسى عليه السلام الجوع بعد ما جاوز المكان الموعود فيه أن يلتقي بذلك العالم؛ ليستفيد من علمه، وذلك؛ ليتذكر الحوت، ويرجع في طلبه. هذا؛ و﴿لَقِينَا﴾ بمعنى: وجدنا، أو صادفنا، ومصدره: اللُّقِي بضم اللام وكسر القاف، واللُّقى بضم اللام مقصوراً، واللقاء بكسرها ممدوداً، ومقصوراً.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: انظر الآية السابقة والمفعول محذوف، التقدير: جاوزا المكان الموعود فيه الالتقاء بالرجل العالم. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى موسى، عليه السلام. ﴿لِفَتَاهُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿آتِنَا﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهوالياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به أول. ﴿غَدَاءَنَا﴾: مفعول به ثان، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. قد: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿لَقِينَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن سَفَرِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا) في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة سفرنا، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿نَصَبًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ: جواب القسم المقدَّر لا محلَّ لها، ثم الكلام ﴿آتِنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ﴾... جواب لما، لا محل لها، ولما ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: يوشع عليه السلام. ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ أي: أتذكر حالنا وقت التجأنا إلى الصخرة، ونمت عندها، وهي في المكان الموعود للقاء الرجل الذي ننشده، وإن الحوت قد حيي، وذهب في البحر شاقاً طريقه فيه، وقد أبصرته، ولكني نسيته، ومراده بالاستفهام تعجب موسى عليه السلام ممَّا اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من حياة الحوت من العظائم التي لا تنسى، وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب. وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس، يقول أحدهم لصاحبه: إذا نابه خطب: أرأيت ما نابني؟! يريد بذلك تهويله، وتعجيب صاحبه منه، وأنه ممَّا لا يعهد وقوعه. انتهى جمل بتصرف.

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ أي: ما أنساني ذكره إلا الشيطان، فهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه، والحال وإن كانت عجيبة لا ينسى مثلها، لكنَّه لمَّا عرف أمثالها، وشاهده من معجزات موسى عليه السلام، وهي كثيرة؛ قلَّ اهتمامه بها، أو لعله نسي ذلك لاستغراقه في التفكر، وانجذاب قلبه إلى عالم القدس، بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة، وإنما نسب النسيان للشيطان هضماً لنفسه، وتوبيخاً لها. ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾: طريقه. ﴿فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾: روي في بعض الأخبار: كان البحر للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً. وقيل: أي: شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهراً. ثم صار حياً بعد أن أكل بعضه؟! هذا؛ وانظر شرح النسيان في الآية رقم [٢٤] وشرح (إبليس) وجنوده في الآية رقم [٥١] وشرح: ﴿سَبِيلًا﴾ في الآية رقم [٤٢] من سورة (الإسراء) وشرح العجب في الآية رقم [٩].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى فتى موسى. ﴿أَرَءَيْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتنبيه. (رأيت): فعل، وفاعل، ومفعولاه محذوفان، التقدير: أرأيت أمرنا ما عاقبته؟ هذا؛ وقدر البيضاوي الكلام كما يلي: أرأيت ما دهاني؟ وتكون الجملة الاستفهامية قد سدت مسد المفعولين. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿أَرَءَيْتَ﴾ على التقدير الأول، ومتعلق بالفعل: دهاني على التقدير الثاني.

﴿أَوَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل، ﴿إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿فَإِنِّى﴾: الفاء: حرف عطف، وسبب. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿نَسِيتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْحُوتَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، ومتسببة عنه. وقيل: تعليل للدهشة التي اعترتهما ممَّا نابهما، والمعنى لا يؤيده. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الاعتراض. (ما): نافية.

﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾: مضارع مرفوع. وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، والهاء في محل نصب مفعول به ثان، وهو يقرأ بضمه وكسره. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ في محل نصب بدلاً من الضمير المنصوب بدل اشتمال، وجملة: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ...﴾ إلخ معترضة بين الجملتين المتعاطفتين، واعتبارها حالاً من تاء الفاعل، أو من الحوت لا بأس به، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير، وإعراب: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ مثل إعراب: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ في الآية [٦٢] والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ فهي في محل رفع مثلها، والكلام ﴿أَرَءَيْتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

هذا؛ وقال مكي: ﴿عَجَبًا﴾ مصدر إن جعلته من قول موسى عليه الصلاة والسلام، وتقف على ﴿ٱلْبَحْرِ﴾، كأنه لما قال فتى موسى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾. قال موسى: أعجب عجباً. وإن جعلت: ﴿عَجَبًا﴾ من قول فتى موسى، كان مفعولاً ثانياً لـ: ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ وقيل: تقديره: واتخذ سبيله في البحر يفعل شيئاً عجباً، فهو نعت لمفعول محذوف. وقيل: إنه من قول موسى عليه السلام كله، تقديره: واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر يعجب ﴿عَجَبًا﴾، فالوقف على عجباً في هذا التأويل حسن. انتهى. وما يقارب هذا الكلام في البيضاوي أيضاً.

تنبيه: في الآية الكريمة إبدال الظاهر من الضمير، ومثله الآية رقم [٨٠] من سورة (مريم) وهذا الإبدال سائغ من ضمير الغيبة مطلقاً، وكذلك سائغ إن كان ضمير حاضر، والبدل بدل بعض، أو اشتمال، فالأول: كقول العديل بن الفرخ: [الرجز]

أَوْعَدَنِي بِالسِّجْنِ والأَداهِمِ   رِجْلِي فَرِجْلِي شَثْنَةُ الْمَناسِمِ

ف: رجلي بدل بعض من ياء المتكلم، ومثال الثاني: قول عدي بن زيد العبادي: [الوافر]

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعَا   وَمَا أَلْفَيْتِنِي حِلْمِي مُضَاعَا

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى عليه السلام. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أمر الحوت، وفقده. ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: هو الذي نطلبه؛ لأنه أمارة على وجود الرجل الذي ننشده. ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه يقصان قصصاً؛ أي: يتبعان آثارهما اتباعاً. وانظر شرح ﴿نَقُصُّ﴾ في الآية رقم [١٣].

تنبيه: حذف نافع، وأبو عمرو، والكسائي ياء ﴿نَبْغِ﴾ وقفاً، وأثبتوها وصلاً، وابن كثير أثبتها في الحالين، والباقون من السبعة حذفوها في الحالتين اتباعاً للرسم، وكان من حقها

الثبوت، وإنما حذفت تشبيهاً بالفواصل، أو لأن الحذف يأنس بالحذف، فإن (ما) موصولة حذف عائدها، . انتهى جمل. وانظر ما ذكرته في: ﴿يَأْتِ﴾ في الآية رقم [١٠٥] من سورة (هود) عليه السلام، ولا تنس: أن القراءة توقيفية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى موسى عليه السلام. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿نَبْغِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة، أو الثابتة حسبما رأيت، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: ذلك الذي كنا نبغيه، والجملة الاسمية هذه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَارْتَدَّا﴾: الفاء: حرف عطف. (ارتدا): ماض، والألف فاعله. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿قَصَصًا﴾: مفعول مطلق عامله: (ارتد) على المعنى، أو هو محذوف، التقدير: يقصان آثارهما قصصاً، وعليه فالجملة الفعلية في محل نصب حال من ألف الاثنين؛ أي: مقتصين، أو هو نفسه حال على تأويل المصدر بمقتصين، وجملة: ﴿فَارْتَدَّا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَجَدَا﴾ أي: عند رجوعهما إلى مجمع البحرين. ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور، وبمقتضى الأحاديث الثابتة، وخالف من لا يعتد بقوله، فقال: ليس صاحب موسى بالخضر، بل هو عالم آخر. وقال مجاهد: سمي الخضر؛ لأنه كان إذا صلى اخضرَّ ما حوله. وروى الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ؛ لأنه جلسَ على فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فإذا هيَ تَهْتَزُّ تَحْتَهُ خَضْرَاءَ**». الفروة هنا: وجه الأرض. قاله الخطابي، وغيره، والخضر نبي عند الجمهور. وقيل: هو عبد صالح غير نبي. والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضاً: فإن الإنسان لا يتعلم، ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي. وقيل: كان ملكاً وليس بشيء، واسمه: بَلْيَا بن مَلْكان، وكنيته أبو العباس. قيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا، وتركوا الدنيا.

روي: أن موسى، وفتاه حين رجعا إلى مجمع البحرين رأيا الخضر مسجًى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى أتيتك لتعلمني ممَّا علمت رشداً. وروي: أن الخضر كان نائماً على طِنْفَسَةٍ خضراء على وجه الماء. وقيل: على جانب

البحر، وهو متشح بثوب أخضر. هذا؛ واختلف: هل الخضر حيٌّ اليوم، أو ميتٌ؟ فأنكر البخاري أن يكون حياً. وفي صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال قبل موته: «**مَا مِنْ نفْسٍ مَنْفُوسَةٍ يأْتِي عَلَيْهَا مئةُ سَنةٍ وهي حيَّةٌ**». وسئل غير البخاري من الأئمة، فتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عنه، فقال: (لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ، ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه). هذا؛ وما نقل من سؤال الخضر للعز بن عبد السلام في مجلس وعظه عن تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الله أعلم بحقيقة ذلك. وقد أثبت القرطبي حياته، وحياة إلياس، وأنهما يجتمعان مرة كل موسم من مواسم الحج. ومعنى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ...﴾ إلخ أي: علماً ممَّا يختصُّ بنا، ولا يعلم إلا بتوفيقنا، وهو علم الغيوب. هذا؛ والإضافة في قوله تعالى: ﴿عِبَادِنَآ﴾ إضافة تشريف كما في الآية رقم [١] من سورة (الإسراء). وانظر شرح (لدن) في الآية رقم [٨٠] وانظر «نا» والكلام عليها في الآية رقم [٢١] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿فَوَجَدَا﴾: ماض، وفاعله. ﴿عَبْدًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿عَبْدًا﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿عَبْدًا﴾ أو بمحذوف حال مِنه بعد وصفه بما تقدم. ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾: متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿مِن﴾: حرف جر. ﴿لَّدُنَّا﴾: اسم مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِن﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿عِلْمًا﴾، كان: صفة له... إلخ. ﴿عِلْمًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ...﴾ إلخ وجملة: ﴿فَوَجَدَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَٱرْتَدَّا...﴾ إلخ تأمل.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾: معناه: أتأذن لي في صحبتك. ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا...﴾ إلخ: أي: علماً ترشدني به إلى ما ينفعني في ديني، ودنياي، فقد روي: أن الخضر قال لموسى: كفى بالتوراة علماً، وببني إسرائيل شغلاً، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا.

قال البيضاوي: ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممَّن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين، وفروعه، لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب، فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً له، وسأله أن يرشده، وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله به عليه. انتهى.

وقال القرطبي: في هذه الآية دليل على أنَّ المتعلم تابع للعالم، وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن: أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أنَّ الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضَّله الله، فالخضر إن كان ولياً فموسى أفضل منه؛ لأنه نبي، والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبياً فموسى فضله بالرسالة. والله أعلم. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢٣] من سورة (النحل)، ففيها مزيد فائدة.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان به. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعله مرفوع... إلخ. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أَتَّبِعُكَ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنا» والكاف مفعول به. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تُعَلِّمَنِ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به أول، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مِن الكاف؛ أي: أتبعك حال كونك معلماً لي. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿عُلِّمْتَ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني، وهو العائد، أو الرابط محذوف، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والتقدير: مِنَ الذي، أو مِنْ شيء علمته. ﴿رُشْدًا﴾: مفعول به ثان لـ: ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ وأجيز اعتباره مفعولاً لأجله، وحالاً على تأويله بـ: «مرشداً». وهو يقرأ بفتحتات، وبضم الراء وسكون الشين. هذا؛ والكلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: قال الخضر لموسى عليه السلام: إنك لا تقدر أن ترى مني عملاً، وتسكت عليه؛ لأنك على علم علمك الله إياه لا أعلمه، وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وهو علم الكشف، وقد ترى مني أفعالاً مخالفة لشرعك، ظاهرها: أنها مناكير، وبواطنها لم يحط علمك بها.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الخضر. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَن﴾: حرف ناصب. ﴿تَسْتَطِيعَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَعِىَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو بالمصدر بعده، أو بمحذوف حال مِنه. فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. ﴿صَبْرًا﴾: مفعول به.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: المعنى: وكيف تصبر يا موسى على أمور تراها مني، ولم تعلم أسرارها، وبواطنها، وهي مخالفة لشرعك في ظواهرها. هذا؛ وإن المتعلم على قسمين: متعلم ليس عنده شيء من العلوم، ولم يمارس الاستدلال، ولم يتعود التقرير، والاعتراض. ومتعلم حصل العلوم الكثيرة، ومارس الاستدلال، والاعتراض، ثم إنه يريد أن يخالط إنساناً أكمل منه، ليبلغ درجة الكمال، فالتعلم في حق هذا القسم الثاني: شاقٌّ شديد؛ لأنه إذا رأى شيئاً، أو سمع كلاماً، فربما يكون ذلك في الظاهر منكراً عنده إلا أنه في الحقيقة صوابٌ حق، ويمكن أن يكون موسى ـ على حبيبنا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ من القسم الثاني. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال عامله ما بعده، وهو مفيد للتعجب. ﴿تَصْبِرُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿عَلَىٰ مَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿تُحِطْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿خُبْرًا﴾: مفعول مطلق؛ لأنه مرادف لمصدر ﴿تُحِطْ﴾ وملاق له في المعنى، وأجيز اعتباره تمييزاً، والجملة: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾.. إلخ مستأنفة، وهي من مقول الخضر عليه السلام.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن...﴾ إلخ: أي: سأصبر إن شاء الله على ما أرى من أفعالك، وتصرفاتك، ولا أخالفك في أمر تريده، ولا أعترض عليك بشيء أراه منك. وتعليق الوعد بالمشيئة، إما للتيمن، أو لعلمه بصعوبة الأمر، فإن مشاهدة الفساد، والصبر على خلاف المعتاد أمر صعب وشاق. وفيه دليل على أنَّ أفعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى. وقد اختلف في الاستثناء: هل يشمل عدم العصيان؟ فقيل: يشمله. وقيل: استثنى في الصبر، فصبر، وما استثنى في قوله: ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فاعترض، وسأل. بعد هذا انظر (الصبر) في الآية رقم [٤٢] من سورة (النحل) والمحال عليها أيضاً في سورة (الرعد). وانظر شرح (القول) في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء)، وشرح لفظ الجلالة في الآية رقم [١]. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾: السين: حرف استقبال. (تجدني): مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول.

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن شاء الله تجدني، والجملة الشرطية معترضة بين مفعولي الفعل (تجد). ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿أَعۡصِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متلعقان بما بعدهما؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف حال مِنه، كان صفة له... إلخ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩]. ﴿أَمۡرٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿وَلَآ أَعۡصِي...﴾ إلخ معطوفة على ﴿صَابِرٗا﴾ فإنَّ التقدير: تجدني صابراً، وغير عاص. هذا؛ والكلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾

الشرح: المعنى: قال الخضر لموسى: فإن صحبتني، ومشيت معي، فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني، ولم تعلم وجه صحته؛ حتى أبين لك وجه صحته. وهذا منه تأديب، وإرشاد لما يقتضيه دوام الصحبة، فلو صبر، ودأب؛ لرأى العجب، لكنه أكثر الاعتراض، فتعين الفراق، والإعراض.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الخضر عليه السلام. ﴿فَإِنِ﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ. (إن): حرف شرط جازم. ﴿ٱتَّبَعۡتَنِي﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والنون للوقاية، والياء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها على نحو ما رأيت في الآية السابقة. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَسۡـَٔلۡنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وقرئ بفتح اللام وتشديد النون فيكون مبنياً على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بـ: (لا) الناهية، وتكون نون الوقاية قد حذفت، وياء المتكلم مفعول به، وقرئ: (فلا تسْألْنِ) بحذف ياء المتكلم، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿عَن شَيۡءٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني؛ لأنه ينصب مفعولين، ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف غاية وجر. ﴿أُحۡدِثَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. منه: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف حال مِنه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿ذِكۡرٗا﴾: مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل ﴿أُحۡدِثَ﴾ في تأويل مصدر في

محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تَسْـَٔلْنِى﴾، والكلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ أي: يمشيان على ساحل البحر يطلبان سفينة يركبانها، فوجدا سفينة، فركباها، فقال أهل السفينة: هؤلاء لصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص، ولكن أرى وجوه الأنبياء. وفي صحيح البخاري، ومسلم عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ مرت بهم سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحملوهم بغير نوْل، فلما ركبا في السفينة؛ لم يَفْجَأْ موسى إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالْقَدُوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نَوْل عَمَدْتَ إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت. . . . إلخ. قال: وقال رسول الله ﷺ: «**وكانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرة في البحر، فقال له الخضر: ما علمي، وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**». انتهى. واطلاق لفظ النقص هنا تجوُّز، قصد به التمثيل، والتفهيم؛ إذ لا نقص في علم الله، ولا نهاية لمعلوماته.

هذا؛ وعن أبي العالية: لم ير الخضرَ حين خرق السفينة غيرُ موسى، ولو رآه القوم لمنعوه من ذلك. وقيل: خرج أهل السفينة إلى جزيرة، وتخلف فخرق السفينة. وقيل: غير ذلك، ومعنى ﴿إِمْرًا﴾ عجباً. وقيل: منكراً. وقال أبو عبيدة: الإمر: الداهية العظيمة، وأنشد: [الرجز]

قَدْ لَقِيَ الأقرانُ مِنِّي نُكْرا دَاهِيَةً دهياءَ إدّاً إمْرا

وقال الأخفش: يقال: أمِرَ أمرُهُ يأمَرُ أَمْراً: إذا اشتد. هذا؛ والأهل: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، والأهل: العشيرة، وذو القربى، ويطلق على الزوجة، وعلى الأتباع بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ...﴾ إلخ. والجمع: أَهْلون، وأَهَال، وآهَال، وأهْلات، وأَهَلات، وبالأولين قرئ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

الإعراب: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (انطلقا): ماض، والألف فاعله. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، وجملة: «يمشيان. . .» إلخ المقدرة في محل نصب حال. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿رَكِبَا﴾: فعل ماض، وفاعله. ﴿فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿خَرَقَهَا﴾: ماض،

والفاعل يعود إلى الخضر، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف كالجملة الفعلية قبله، لا محل له مثلها. هذا؛ ويعتبر الأخفش في مثل هذه الآية ﴿حَتَّىٰٓ﴾ جارة لـ: ﴿إِذَا﴾، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى قول الأخفش فهي متعلقة مع مجرورها بالفعل (انطلقا) وعلى الأول: فالوقف على انطلقا ثم يستأنف ما بعده. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى موسى. الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (خرقتها): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِتُغْرِقَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، ويقرأ الفعل بتشديد الراء وتخفيفها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَهْلَهَا﴾: مفعول به، ويقرأ: (لِيَغْرَقَ أهلُها) فيكون فاعلاً، و(ها): في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جِئْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، وأجيز اعتباره مفعولاً مطلقاً؛ أي: مجيئاً إمراً، والأول: أقوى. ﴿إِمْرًا﴾: صفة شيئاً، وجملة: ﴿لَقَدْ جِئْتَ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الخضر. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف جازم. ﴿أَقُلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ لَن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وانظر الإعراب بكامله في الآية رقم [٦٧] وجملة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى عليه السلام. ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: بسبب نسياني وصيتك. وقيل: معناه: بما تركت من عهدك، ووصيتك أول مرة، وفيه دليل على أنَّ النسيان لا يقتضي المؤاخذة، وأنه لا يدخل تحت التكليف. ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أي: لا تكلفني مشقة، ولا تضيق عليَّ أمري، ولا تعسر عليَّ متابعتك، ويسرها بالإغضاء عما ترى مني. وانظر (النسيان) في الآية رقم [٢٤] و﴿عُسْرًا﴾ يقرأ بضمتين، وبضم وسكون. وانظر ﴿رُشْدًا﴾ في الآية رقم [٨١] الآتية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى موسى عليه السلام. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تُؤَاخِذْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء نسيته، وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل بما بعدها بمصدر في محل جرٍّ بالباء، التقدير: بنسياني وصيتك. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا ترهقني): مضارع مجزوم بـ: (لا) والفاعل تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿مِنْ أَمْرِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بالمصدر بعدهما، أو بمحذوف حال مِنه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿عُسْرًا﴾: مفعول به ثان، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَانطَلَقَا﴾ أي: يمشيان في الأرض بعد خروجهما من السفينة، ومعهما يوشع، وإنما لم يذكر في الآيات الثلاث؛ لأنه تابع لموسى فالمقصود ذكر موسى، والخضر، ويكون اكتفى بذكر المتبوع عن التابع. وقيل: الأظهر: أن موسى صرف فتاه لمَّا لقي الخضر، وهو ضعيف. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾: روي: أن الخضر وجد غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً، فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين، كما روي: أنه أخذ رأسه بيده، فاقتلعه. وروي: أنه أخذ حجراً، فضرب به رأسه؛ حتى دفعه، فقتله. قال أبو العالية: لم يره إلا موسى، ولو رأوه؛ لحالوا بينه وبين الغلام.

قال القرطبي: ولا اختلاف بين هذه الأحوال الثلاثة، فإنه يحتمل أن يكون دفعه أولاً بالحجر، ثم أضجعه، فذبحه، ثم اقتلع رأسه. والله أعلم بما كان من ذلك، وحسبك بما جاء في الصحيح، وهو يعني الروايتين الأولى، والثانية. هذا؛ وقد اختلف في الغلام: هل كان بالغاً أم لا؟ فالجمهور على أنه لم يكن بالغاً؛ ولذلك قال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي: لم تذنب، ولم تدرك الحنث، وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام، فإن الغلام في الرجال يقع على من لم يبلغ، وتقابله الجارية في النساء. وقد قتله الخضر لِمَا علم من سره، وأنه طبع كافراً، كما في صحيح الحديث، وأنه لو أدرك؛ لأرهق أبويه كفراً، وقتل الصغير غير مستحيل إذا أذن الله في ذلك، فإن الله تعالى الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء. انتهى. قرطبي بتصرف.

ومعنى ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: قتلاً لم يكن قصاصاً بقتل نفس مثلها، ولقد اختلف أيهما أبلغ ﴿إِمْرًا﴾ أم ﴿نُكْرًا﴾ فقالت فرقة من الناس: هذا قتل بين، وهناك؛ أي: إغراق من في السفينة مترقب فـ: ﴿نُكْرًا﴾ أبلغ. وقالت فرقة: هذا قتل واحد، وذاك قتل جماعة فـ: ﴿إِمْرًا﴾ أبلغ. وقال ابن عطية: ﴿إِمْرًا﴾ أفظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم، و﴿نُكْرًا﴾ بين في الفساد؛ لأن مكروهه قد وقع، وهذا بين فكانا لمعنيين مختلفين. بقي أن تعرف الفرق بين دخول الفاء بقوله: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ وعدم دخولها بقوله: ﴿خَرَقَهَا﴾ قال السمين: جعل خرقها جزاء للشرط، وجعل قتل الغلام من جملة الشرط معطوفاً عليه، فإن قلت: لم خولف بينهما؟ قلت: لأن الخرق لم يعقب الركوب، وقد عقب القتل لقاء الغلام. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن نجدة الحروري كتب إليه، كيف جاز للخضر أن يقتل الغلام، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل. انتهى نسفي.

بعد هذا انظر (لقي) في الآية رقم [٦٢] وشرح (غلام) في الآية رقم [٥٣] من سورة (الحجر)، وشرح ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٣٥] من سورة (النحل)، وشرح ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وانظر شرح «غير» في الآية رقم [٢] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾: انظر الآية رقم [٧٢]. ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الخضر، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ فهي في محل جر مثلها. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿أَقَتَلْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (قتلت): فعل، وفاعل. ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به. ﴿زَكِيَّةً﴾: صفة ﴿نَفْسًا﴾، ويقرأ: (زاكية). ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بالفعل (قتلت)، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، التقدير: قتلا كائناً بغير نفس. وقيل: متعلقان بمحذوف على أنه حال مِن الفاعل، أو من المفعول؛ أي: قتلته ظالماً، أو مظلوماً، كذا قدره أبو البقاء، واستبعده السمين. انتهى جمل. و(غير): مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿أَقَتَلْتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ انظر الآية رقم [٧١] ففيها الكفاية، والجملة القسمية في محل نصب مقول القول.

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ الجزء ١٦

شرح هذه الآية وإعرابها مثل الآية رقم [٧٢] وزيد فيها هنا ﴿لَّكَ﴾ توكيداً للتوبيخ؛ لأنه اعترض مرتين، وفي البيضاوي: زاد فيه ﴿لَّكَ﴾ مكافحةً بالعتاب على رفض الوصية، ووسماً بقلة الثبات، والصبر لمَّا تكرر منه الاشمئزاز، والاستنكار، ولم يرْعو بالتذكير أول مرة، حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة. انتهى.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى متعذراً. ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ أي: بعد هذه المرة، ففارقني، ولا تصحبني معك. هذا؛ وقرئ: (فلا تَصْحَبنِي) و(لا تَصْحَبَنِّي). ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: بلغت مبلغاً تعذر به في ترك مصاحبتي. وقرئ: ﴿لَّدُنِّي﴾ بقراءات كثيرة. وانظر رقم [٨٠] من سورة (الإسراء).

فعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحمةُ الله علينا، وعلى موسى**» ـ وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه ـ «**لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذَمَامة**». متفق عليه، ومعنى ذمامة: حياء وإشفاق، من الذم واللوم.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَى﴾ تقديره: «هو». ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿سَأَلْتُكَ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿عَن شَيْءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿بَعْدَهَا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف صفة ﴿شَيْءٍ﴾، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُصَاحِبْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، أو هو مبني على الفتح في محل جزم على القراءة الثانية، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿بَلَغْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن لَّدُنِّي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿عُذْرًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، و(لدن) مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِن﴾، وانظر ما قيل فيه من قراءات، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿عُذْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿قَدْ بَلَغْتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن الفاعل المستتر، والرابط: الضمير، وإن اعتبرتها تعليلاً للنهي فالمعنى لا يأباه. تأمل.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي إنطاكية. وقيل: هي الأُبُلَّة قاله قتادة، وابن سيرين، وهي أبخل قرية، وأبعدها من السماء. وقيل غير ذلك أقوال كثيرة، وهذا كله بحسب الخلاف في أي ناحية من الأرض كانت القصة، كما رأيت في الكلام على مجمع البحرين، والله أعلم بحقيقة ذلك.

﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾: طلبا طعاماً. ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾: قال أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**أتيا أهلَ قرية لئاماً، فطافا في المجالِس، فاستطعما أهلها، فأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفوهما**». وعن أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «أطعمتهما امرأة من أهل بربر، بعد أن طلبا من الرجال، فلم يطعموهما، فدعا موسى لنسائهم، ولعن رجالهم» وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: شر القرى التي لا تضيف الضيف. انتهى. وقد قال الرسول ﷺ: «**مَنْ كانَ يؤمنُ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يسقط، وهذا من مجاز الكلام؛ لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قرب، ودنا من السقوط، كما تقول: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها، فاستعير لها النظر، كما استعير للجدار الإرادة، وهو مستعمل في اللغة العربية نثراً، ونظماً. قال الشاعر: [الوافر]

يُـــرِيـــدُ الـــرُّمْـــحُ صَـــدْرَ أبِـــي بَـــرَاءٍ ... ويَــعْــدِلُ عَــنْ دِمَــاءِ بَــنِــي عَــقِــيــلِ

فجعل للرمح إرادة بشيء، وعدولاً عن شيء آخر. وقال حسان ـ رضي الله عنه ـ: [الخفيف]

إنَّ دَهْــراً يَــلُــفُّ شَــمْــلِــي بِــجُــمْــلٍ ... لَــزَمَــانٌ يَــهُــمُّ بــالإحْــســانِ

وقال الزمخشري في كشافه: وسمعت من يقول: عزم السِّراج أن يطفأ، وطلب أن يطفأ. وإذا كان القول، والنطق، والشكاية، والصدق، والكذب، والسكوت، والتمرد، والإباء، والعزة، والطواعية، وغير ذلك مستعارة للجماد، ولما لا يعقل، فما بال الإرادة؟. انتهى. ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: سواه. وفي حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «**فقال الخضِرُ بيدِه هكذا؛ فأَقامَهُ**». وقال ابن عباس: هدمه، وقعد يبنيه. وقال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: مسحه بيده، وأقامه فقام. قال القرطبي: وهذا هو القول الصحيح، وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل والأولياء. وفي بعض الأخبار: إنَّ سُمْكَ ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعاً بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمسمئة ذراع، وعرضه خمسون ذراعاً، فأقامه الخضر عليه السلام؛ أي: سواه بيده فاستقام. انتهى.

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: والمعنى: أنك قد علمت أننا جياع، وأن أهل القرية لم يطعمونا، فلو أخذت أجراً على عملك؛ حتى نستدفع فيه الضرورة، ومسيس الحاجة إلى الطعام. هذا؛ وقد قيل في تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر عليهما السلام: إنها حجة على موسى، وعجب له، وذلك: أنه لما أنكر خرق السفينة؛ نودي: يا موسى! أين كان تدبيرك هذا، وأنت في التابوت مطروحاً في اليم؟! فلما أنكر أمر الغلام؛ قيل له: أين إنكارك هذا من وكزك القبطي، وقضائك عليه؟! فلما أنكر إقامة الجدار؛ نودي: أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر؟!

الإعراب: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ انظر إعراب مثل هذا الكلام إفراداً وجملاً في الآية رقم [٧١] ﴿فَأَبَوۡاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَن﴾ حرف مصدري، ونصب. ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والميم، والألف حرفان دالان على التثنية، وأن والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَأَبَوۡاْ...﴾ إلخ معطوفة على جواب ﴿إِذَآ﴾، لا محل لها مثله. ﴿فَوَجَدَا﴾: ماض، والألف فاعله. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان به. ﴿جِدَارًا﴾: مفعول به. ﴿يُرِيدُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الجدار) والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَنقَضَّ﴾ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿يُرِيدُ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿جِدَارًا﴾، وجملة: (وجدا. .) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. (أقامه): ماض ومفعوله، وفاعله يعود إلى الخضر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿لَوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شِئۡتَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَتَّخَذۡتَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (اتخذت): فعل، وفاعل والجملة جواب (لو)، لا محل لها. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن أجراً، كان صفة له. . إلخ. ﴿أَجۡرًا﴾: مفعول به، ولو ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقيل: إن جملة: ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ...﴾ إلخ صفة ﴿قَرۡيَةٍ﴾ فيكون ما بعدها معطوفاً عليها، وتكون جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَآ﴾، وهو كما ترى ضعيف معنى.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الخضر. ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾ أي: هذا؛ وقت فراق بيني وبينك. وقيل: الإشارة إلى الاعتراض الثالث. ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: سأخبرك. ﴿بِتَأۡوِيلِ﴾: بتفسير، وشرح، وبيان الأمور التي لم تقدر أن تصبر عليها، ولم يحط علمك بها. وانظر شرح ﴿نَبَأَهُم﴾ في الآية رقم [١٣] وشرح (بين) في الآية رقم [٤٥] من سورة (الإسراء). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو». ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿فِرَاقُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿بَيۡنِي﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيۡنِكَ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول،

وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: السين: حرف استقبال. (أنبئك): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا» والكاف مفعول به. ﴿بِتَأْوِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(تأويل): مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿تَسْتَطِع﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَّلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف حال مِنه على نحو ما رأيت فيما سبق. ﴿صَبْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَمْ تَسْتَطِع...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (على)، وجملة: ﴿سَأُنَبِّئُكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: قيل: إن موسى عليه السلام أخذ بثوب الخضر. وقال: أخبرني بمعنى: ما علمت قبل أن تفارقني، فقال الخضر عليه السلام: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ أي: التي قلعت لوحاً من ألواحها بالقدوم. ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي: يؤجرونها للناس في نقل بضائعهم، وكانوا عشرة إخوة منهم خمسة عجزة لا يستطيعون العمل، وخمسة أصحاء أقوياء، وهم الذين يعملون في البحر لهم، ولإخوتهم العجزة. ففي الكلام تغليب، وكانوا قد ورثوها عن أبيهم.

﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلها ذات عيب. يقال: عبت الشيء، فعاب: إذا صار ذا عيب، فهو معيب، وعائب. ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ أي: أمامهم. ﴿مَّلِكٌ﴾ أي: جائر ظالم، اسمه الجَلَنْدىٰ الأزْدي، وكان كافراً. وقيل: كان اسمه هُدَد بن بُرَد. وروي: أن الخضر اعتذر إلى القوم، وذكر لهم شأن الملك الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره. وقال: أردت أن أعيبها ليتركها؛ إذا هي مرت به، فإذا جاوزوا أرض الملك الظالم أصلحوها، وانتفعوا بها. ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ أي: صالحة، وبه قرأ ابن عباس، وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فقد حذفت الصفة، ومثلها قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ التقدير: شيء سلطت عليه. وقوله تعالى حكاية عن قول قوم موسى له: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الواضح البين؛ وإلا لكان مفهومه كفراً. وقال المرقش الأكبر: [الوافر]

وَرُبَّ أَسِيلَةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ   مُهَفْهَفَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ

الفرع: الشعر، وأصل الكلام لها فرع فاحم وجيد طويل.

وقال العباس بن مرداس السلمي ـ رضي الله عنه ـ: [المتقارب]

وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَأٍ   فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُمْنَعِ

إذ التقدير: فلم أعط شيئاً نافعاً. ﴿غَصْبًا﴾: قهراً من أصحابها.

بعد هذا: فالسفينة معروفة، وتجمع على: سفين، وسفائن، ويجمع السفين على: سفن بضمتين، وجمع السفينة على سفين شاذ؛ لأن الجمع الذي يفرق بينه وبين واحده بالهاء بابه المخلوقات، مثل تمر، وتمرة، ونخل ونخلة، وأما في المصنوعات مثل سفينة وسفين فمسموع في ألفاظ قليلة. ومنهم مَنْ يقول: السفين لغة في الواحدة، وهي فعيلة بمعنى: فاعلة، كأنها تسفن الماء؛ أي: تقشره، وصاحبها: سفَّان. انتهى. جمل نقلاً من المصباح المنير.

هذا؛ واحتج الشافعي وغيره في الآية الكريمة على أنَّ المسكين أحسن حالاً من الفقير، فقد سماهم الله مساكين مع كونهم عندهم سفينة يعملون في البحر، وقد بينت هذا في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة). أما (وراء) فهو هنا بمعنى: أمام، وقدَّام. وقيل: هو بمعنى: خلف، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول: أصح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، كما يأتي بمعنى: بعد، خذ قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: من بعد إسحاق يعقوب. وقال النابغة الذبياني: [الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

أي: وليس بعد الله جل جلاله، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: من بعده. ومن مجيئه بمعنى: أمام، وقدَّام قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

أَلَيْسَ وَرَائي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزُومُ العصَا تُحْنى عَلَيْهَا الأَصابِعُ

وأيضاً قول سوار بن المضرب السعدي، وكان قد هرب من الحجاج حين فرض البعث مع المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج: [الطويل]

أَيَرْجُو بنو مَرْوَانَ سَمْعي وطَاعَتي ... وَقَوْمي تَمِيمٌ والفَلَاةُ ورَائِيَا؟

الإعراب: ﴿أَمَّا﴾: أداة شرط، وتوكيد، وتفصيل، أما كونها أداة شرط؛ لأنها قائمة مقام أداة الشرط، وفعله بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل مهما يكن من شيء؛ فالأمر كذا، فأنيبت أما مناب: مهما، ويكن من شيء، فصار: أما السفينة. وأما كونها أداة توكيد؛ لأنها تحقق الجواب، وتفيد: أنه واقع لا محالة؛ لكونها علقته على أمر متيقن، وأما كونها أداة تفصيل؛ لأنها في الغالب تكون مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك مَنْ تتبع مواقعها. ﴿ٱلسَّفِينَةُ﴾: مبتدأ. ﴿فَكَانَتْ﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿أَمَّا﴾. (كانت): ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿ٱلسَّفِينَةُ﴾، والتاء للتأنيث. ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ في محل جر صفة (مساكين)، وجملة:

(كانت. . .) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿فَأَرَدتُّ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿أَعِيبَهَا﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَنْ﴾، والفاعل تقديره: «أنا»، وها: مفعول به، و﴿أَنْ﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَأَرَدتُّ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (كانت. .) إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿وَرَآءَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كان مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّلِكٌ﴾: اسم (كان) مؤخر. ﴿يَأْخُذُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَّلِكٌ﴾. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، و(كل): مضاف، و﴿سَفِينَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿غَصْبًا﴾: مفعول مطلق عامله محذوف؛ أي: يغصبها غصباً، والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال مِن فاعل يأخذ. وقيل: هو مفعول لأجله. وقيل: هو مصدر في موضع الحال؛ وقيل: مفعول مطلق عامله أخذ من معناه، وجملة: ﴿يَأْخُذُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ﴿مَّلِكٌ﴾، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (كانت. . .) إلخ فهي في محل رفع مثلها. وقيل: هي في محل نصب حال مِن واو الجماعة، والأول: أقوى. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ إذ هي من مقول الخضر عليه السلام.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ أي: الذي قتلته. ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾: وهو كافر، فقد جاء في صحيح الحديث: «أنه طبع يوم طبع كافراً» وهذا يؤيد: أنه غير بالغ. ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا...﴾ إلخ: هذا من كلام الخضر وهو الذي يؤيده سياق الكلام، والمعنى خفنا أن يكلف أبويه الكفر لشدة محبتهما له، أو يحملهما عليه حملاً، وذلك مجاراة له فيما يحب ويرغب؛ لأنه مجبول على الكفر حال ولادته، وحال معيشته، وحال موته، وكأن الله قد أباح للخضر الاجتهاد في قتل الأولاد على هذه الجهة. وقيل: هو من كلام الله تعالى وعنه عبر الخضر. قال الطبري: معناه فعلمنا، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وهذا يكون كما كنى سبحانه عن العلم بالخوف في قوله جل ذكره: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾. هذا؛ وجاء: «خشي» بمعنى: علم في قول الشاعر: [الكامل]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنَّ مَنْ تَبِعَ الهُدى   سَكَنَ الجِنَانَ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قالوا: معناه: علمت. هذا؛ والخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، وهو المراد منه بخشية عباد الله المؤمنين المتكررة في القرآن العظيم. هذا؛ والماضي: خشِيَ، والمضارع: يَخْشَى، والأمر: اخْشَ، والمصدر: خشْيَةٌ، والرجل خَشْيَانُ، والمرأة خَشْيَا.

الإعراب: ﴿وَأَمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (أما): انظر الآية السابقة. ﴿ٱلْغُلَٰمُ﴾: مبتدأ. الفاء: واقعة في جواب (أما). (كان): ماض ناقص. ﴿أَبَوَاهُ﴾: اسم (كان) مرفوع، وعلامة رفعه

الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُؤْمِنَيْنِ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: (كان...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. (خشينا): فعل، وفاعل. ﴿أَن﴾ حرف مصدري ونصب. ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى (الغلام)، والهاء مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿طُغْيَنًا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَكُفْرًا﴾: معطوف عليه، وأن والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَخَشِينَآ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَكَانَ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، والآية معطوفة بكاملها على سابقتها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾: تكلم بنون العظمة، والمريد في الحقيقة هو الله تعالى. ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: أن يرزقهما الله ولداً. ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي: ديناً وصلاحاً، وطهارةً من الذنوب، والأخلاق الرديئة. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمة، وعطفاً على والديه بأن يبرهما، ويشفق عليهما. قال الشاعر: [الطويل]

لَعَلَّ الْتِفاتاً مِنْكَ نَحْوِي مُقَدَّرٌ يَمِلْ بِكَ مِنْ بَعْدِ القَسَاوَةِ لِلرُّحْمِ

قيل: أبدلهما الله جارية، فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت نبياً، فهدى الله على يديه أمة من الأمم. وقيل: ولدت اثني عشر نبياً. وقيل: غير ذلك، والمعتمد الأول. هذا؛ ويستفاد من هذه الآية تهوين المصائب بفقد الأولاد، وإن كانوا قطعاً من الأكباد، ومن سلم للقضاء؛ أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء، فليرض العبد بقضاء الله تعالى، فإن قضاءه للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب، فالغلام الذي قتله الخضر فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي حياً كان فيه هلاكهما.

هذا؛ وقرئ: ﴿رُحُمًا﴾ بضمتين وضم الراء وسكون الحاء قراءتان سبعيتان. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب مَنْ يخففه، ومنهم مَنْ يثقله، وذلك مثل: حُلُم، وأُسُد، وعُسُر، ويُسُر... إلخ.

الإعراب: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: (حفظنا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر). ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُبْدِلَهُمَا﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والهاء مفعول به أول. ﴿رَبُّهُمَا﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله. وفاعله مستتر فيه، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّنْهُ﴾:

متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾. ﴿زَكَوٰةً﴾: تمييز. ﴿وَأَقْرَبَ﴾: معطوف على ﴿خَيْرًا﴾. ﴿رُحْمًا﴾: تمييز أيضاً. وقيل: مفعول لأجله، وحال، ومفعول مطلق، والمعتمد الأول. و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والآية معطوفة بكاملها على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ أي: الذي أقامه، وسوَّاه. ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾: اسمهما: أصرم، وصريم، واسم أبيهما: كاشح، واسم أمهما: دنيا. ﴿يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: وهي القرية التي استطعما أهلها. وفيه دليل على أنَّ القرية تسمى مدينة، وقد عبر عنها بالقرية فيما سبق تحقيراً لها لخسة أهلها، وعبر هنا عنها بالمدينة تعظيماً لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما. انتهى جمل. ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ﴾ أي: تحت الجدار. ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾: اختلف في هذا الكنز:

فقد روى أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**كان الكنز ذهباً، وفضةً**». أخرجه الترمذي. وقيل: كان صحفاً فيها علم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! عجباً لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟! عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب؟! عجباً لمن أيقن بالحساب كيف يغفل؟! عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا، وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله. انتهى. خازن. وفي القرطبي والبيضاوي: «عجبت» بدل «عجباً»، و«يؤمن» بدل «أيقن» وزاد القرطبي في أوله: بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال الخازن: وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله، لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير، وأجريته على يديه، والويل كل الويل لمن خلقته للشرِّ، وأجريته على يديه. انتهى.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: ظاهر اللفظ: أنه أبو الغلامين المباشر، وكان من الأتقياء. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حُفِظَا بصلاح أبيهما. وقيل: كان بينهما وبين الأب سبعة آباء. وقال محمد بن المنكدر: إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده، وولد ولده، وعشيرته، وأهل دويراتٍ حوله، فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: إني لأصلي فأذكر ولدي، فأزيد في صلاتي. انتهى خازن.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي: يعقلا، ويدركا قوتهما العقلية، والبدنية، وهو البلوغ، أو ثماني عشرة سنة. ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ أي: من تحت الجدار، وذلك إذا بلغا، وعقلا، وقويا. ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: إن استخراج الكنز من تحت الجدار بيد اليتيمين رحمة رحمهما الله بها، ونعمة سابغة أسبغها عليهما.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ أي: إقامة الجدار. أو الضمير يرجع إلى الأمور الثلاثة التي رأيتها، وهو الأقوى. ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ أي: باختياري، وإرادتي، بل فعلته بأمر الله، وإلهامه إياي؛ لأن تنقيص أموال الناس، وإراقة دمائهم، وتغيير أحوالهم لا يكون إلا بالنص، وأمر الله تعالى، واستدل بعضهم بذلك على أنَّ الخضر عليه السلام كان نبياً، لأن هذا يدل على الوحي، وذلك للأنبياء، والصحيح: أنه ولي.

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾: شرح، وتفسير ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: الأمور التي لم تقدر أن تصبر عليها، بل أنكرتها مني. هذا؛ وقد حذفت التاء من المضارع، وهي لغة في «تستطيع» كما حذفت من ماضيه في الآية رقم [٩٧] الآتية، وقد حذفت التاء منهما للخفة؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء، ومثل الآية قول طرفة بن العبد في معلَّقته: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتي ... فَدَعْني أُبادِرْها بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

تنبيه: لقد أضاف الخضر عليه السلام العيب إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أدباً مع الله؛ لأنه إفساد في الظاهر، وأضاف إرادة البلوغ واستخراج الكنز إلى الله تعالى؛ لأنه إنعام محض، وهو في غير مقدور البشر، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ...﴾ إلخ، وأما ذكر القتل؛ فذكره بلفظ الجمع تنزيهاً على أنه من العلماء العظماء في علم الباطن، وعلوم الحكمة، وأنه لم يقدم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية، فقال: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا...﴾ إلخ وهو مثل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام في سورة (الشعراء): ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ...﴾ إلخ الآية رقم [٧٨] وما بعدها.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: ومن فوائد هذه القصة: ألا يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه، فلعل سراً لا يعرفه، وأن يداوم على التعلم، ويتذلل للمعلم، ويراعي الأدب في المقال، وأن ينبه المجرم على جرمه، ويعفو عنه، حتى يتحقق إضراره، ثم يهاجر عنه.

تنبيه: روي أن الخضر لما ذهب يفارق موسى. قال له موسى: أوصني. قال: كن بساماً، ولا تكن ضحاكاً، ودع اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تَعِبْ على الخطائين خطاياهم، وابك على خطيئتك يا بن عمران. انتهى. قرطبي، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾: انظر الآية رقم [٧٩] فهو مثلها. ﴿يَتِيمَيْنِ﴾: صفة (غلامين) مجرور مثله، وعلامة الجر فيهما الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: (غلامين) أو بمحذوف

حال مِنه بعد وصفه بما تقدم. ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿تَحْتَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَنزٌ﴾: اسم (كان) مؤخر. ﴿لَّهُمَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿كَنزٌ﴾، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿أَبُوهُمَا﴾: اسم (كان) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿صَٰلِحًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. (أراد): ماض. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَن يَبْلُغَآ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والألف فاعله. ﴿أَشُدَّهُمَا﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف... إلخ، و﴿أَن يَبْلُغَآ﴾: في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَأَرَادَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾: مضارع معطوف على ﴿يَبْلُغَآ﴾ منصوب مثله، والألف فاعله. ﴿كَنزَهُمَا﴾: مفعول به... إلخ. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول لأجله عامله أراد. وقيل: حال. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: متعلقان برحمة، أو بمحذوف صفة له، والكاف... إلخ، الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿فَعَلْتُهُۥ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿عَنْ أَمْرِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال؛ أي: ما فعلته صادراً عن أمري، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال أيضاً. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿تَأْوِيلُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ انظر الآية رقم [٧٨] ففيها الكفاية، بعد هذا ينبغي أن تعلم أن الآية بكاملها معطوفة على ما قبلها، فهي من قول الخضر عليه الصلاة والسلام.

خاتمة: فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أحدثكم عن الخَضِر؟**». قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجلٌ مكاتَبٌ، فقال: تصدق عليَّ بارك الله فيك! فقال الخضر: آمنتُ بالله، ما شاءَ مِنْ أمرٍ يكون! ما عندي شيءٌ أعطيكه! فقال المسكين: أسألك بوجه الله لَما تصدَّقْتَ عليَّ، فإني نظرتُ السماحةَ في وجهك، ورجوتُ البركة عندك! فقال الخضر: آمنتُ بالله، ما عندي شيءٌ أعطيكَهُ، إلا أَنْ تأخذني، فتبيعَني! فقال المسكينُ: وهل يستقيمُ هذا؟! قال: نَعمْ، أقول: لقد سألْتَني بأمرٍ عظيمٍ، أما إنِّي لا أُخَيِّبُكَ بوجهِ ربِّي**».

قال: «**فقدَّمَهُ إلى السوق، فباعه بأربعمئة دِرْهم، فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء، فقال: إنما اشتريتني التماسَ خيرٍ عندي، فأوصِني بعملٍ. قال: أكره أن أَشُقَّ عليكَ، إنكَ شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ. قال: لَيْسَ يَشُقُّ عليَّ! قال: قُمْ، فانقلْ هذه الحجارةَ، وكان لا ينقلها دون**

ستةِ نفر في اليوم، فخرج الرجلُ لبعض حاجتِهِ، ثُمَّ انصرفَ، وقد نقل الحجارة في ساعَةٍ. قال: أحسنتَ، وأجملْتَ وأطقتَ مَا لَمْ أركَ تَطيقُه».

قال: «ثمَّ عرض للرجل سفرٌ، فقالَ: إني أحبك أميناً، فاخلفني في أهلي خِلافةً حَسَنةً. قال: وأوصِني بعملٍ. قال: إني أكره أن أشُقَّ عليكَ. قال: ليس يشقُّ عليَّ. قال: فاضرب من اللَّبِنِ بيتي حتى أقدمَ عليكَ». قال: «فمرَّ الرجلُ لسفرِهِ». قالَ: «فرجَع الرجلُ، وقدْ شيَّد بناءَهُ. قال: أسألك بوجه الله ما سَبَبُكَ؟ وما أمْرُك؟ قال: سألتني بوجه الله، ووجهُ الله، أوقعني في هذه العبودية. فقال الخضرُ: سأخبركَ من أنا، أنا الخضر الذي سمعتَ به، سألني مسكينٌ صدقةً، فلم يكن عندي شيء أعطيه، فسألني بوجه الله، فأمكنته من رقبتي، فباعني. وأخبِرُك: أنه مَنْ سُئِلَ بوجه الله، فردَّ سائِلَهُ، وهوَ يَقْدِرُ وقفَ يوم القيامة جلدةً، ولا لحمَ له يَتَقعْقَع. فقال له الرجلُ: آمنتُ بالله، شَقَقْتُ عليكَ يا نبيَّ الله، ولمْ أعلم! قال: لا بأسَ! أحسنتَ، وأتقنتَ، فقال الرجلُ: بأبي أنتَ وأمي يا نبيَّ الله! احكمْ في أهلي، ومالي بما شئت، أو اخترْ فأُخَلِّيَ سبيلكَ. قال: أحبُّ أن تخلِّيَ سبيلي، فأعبدَ ربي. فَخلَّي سبيلهُ، فقال الخضرُ: الحمد للهِ الذي، أوثقني في العبودية، ثمَّ نجَّاني منها». انتهى. والله أعلم بصحة ذلك!.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والسائل له كفار قريش بإيعاز من يهود المدينة كما رأيت في الآية رقم [٢٣] انظرها ففيها الكفاية. هذا؛ والسؤال هنا سؤال تعنت، وامتحان بخلافه في أول سورة (الأنفال) فإنه سؤال استفهام، واستفتاء، أما ذو القرنين؛ فقد قال القرطبي: قال ابن إسحاق: وكان من خبر ذي القرنين: أنه أوتي ما لم يؤتَ غيره، فمدت له الأسباب؛ حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضاً إلا سُلِّط عليها؛ حتى انتهى من المشرق، والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق. انتهى.

هذا؛ ولقد اختلف في اسمه: قيل: اسمه: مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية بمصر، فنسبت إليه. وقيل: هو الإسكندر الملك اليوناني المقدوني. وقيل: اسمه هرمس، ويقال: اسمه هرديس. وقيل: إنَّه عربي من حمير مع اختلاف في اسمه، وهو الذي افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول، وهو تُبَّع: [الكامل]

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ جَدِّي مُسْلِماً ... مَلِكاً عَلَا فِي الأرض غَيْرَ مُفَنَّدِ
بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي ... أَسْبَابَ مُلْكٍ مِنْ كَرِيمٍ مُرشِدِ
فَرأى مَآبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا ... فِي عَيْنِ ذِي خُلُبٍ وَثَأطَةٍ حَرْمَدِ

الخلب: بضمتين الحمأة، وهي الطين، والثأطة: الحمأة المختلطة بالماء، فتزيد رطوبة، وتفسد، والحرمد: الطين الأسود.

واختلف فيه: هل هو نبي، أو ولي، فلقد سئل علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ عنه، أكان نبياً؟ فقال: لم يكن نبياً، ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله، فأحبه، وناصح الله، فناصحه الله، واختلف في زمانه، فقيل: كان بعد موسى. وقيل: كان في الفترة بعد عيسى. وقيل: كان في وقت إبراهيم وإسماعيل، وكان الخضر عليه السلام صاحب لوائه الأعظم، وكان السبب في حياة الخضر فيما حكي: أنه شرب من عين الحياة، وذلك: أن ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة، وكان الخضر على مقدمته، فوقع الخضر على العين، فاغتسل وشرب منها، وصلى شكراً لله تعالى، وأخطأ ذو القرنين الطريق فرجع. وذكرت لك فيما مضى: أنه قيل: إن الخضر، وإلياس حيّان يلتقيان كل سنة في الموسم؛ أي: موسم الحج. انظر الآية رقم [٦٥].

قال السهيلي: والظاهر من علم الأخبار: أنهما اثنان: أحدهما كان على عهد إبراهيم عليه السلام، ويقال: إنه الذي قضى لإبراهيم عليه السلام حين تحاكموا إليه في بئر السبع بالشام. والآخر كان قريباً من عهد عيسى عليه السلام. وقيل: إنه أفريدون الذي قتل بيو راسب بن أرونداسب الملك الطاغي، على عهد إبراهيم عليه السلام. انتهى والله أعلم بالحقيقة.

وفي الجمل: ذو القرنين الأكبر، وهو ولي الله تعالى من أولاد سام بن نوح، وكان ابن عجوز ليس لها غيره، وكان أسود اللون، وكان على شريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه أسلم على يديه، ودعا له، وأوصاه بوصايا، وكان يطوف معه، وكان الخضر وزيره، فكان يسير معه على مقدمة جيشه، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر فإنه من ولد العيص بن إسحاق، وكان كافراً عاش ألفاً وستمئة سنة، وكان قبل المسيح بثلاثمئة سنة. انتهى. نقلاً عن شيخه.

هذا؛ وقد روي: أن عدد من ملك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وإسكندر ذو القرنين، والكافران: نمرود الذي ادعى الألوهية على عهد إبراهيم عليه السلام، وبختنصر الذي خرب بيت المقدس، وأهلك بني إسرائيل، كما رأيت في الآية رقم [٥] من سورة (الإسراء)، وسيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ وهو المهديُّ في آخر الزمان، وحين نزول عيسى عليه السلام. كذا في القرطبي.

واختلف في السبب الذي لقب به بـ: «ذي القرنين» فقيل: إنه كان ذا ضفيرتين من شعر، فسمي بهما، والضفائر قرون الرأس، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الكامل]

فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذاً بِقُرُونِهَا ... شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الحَشْرَجِ

وقيل: إنه سمي بذلك؛ لأنه بلغ المغرب، والمشرق، فكأنه حاز قرني الدنيا. وقيل: سمي بذلك؛ لأنه ملك فارس، والروم. وقيل: لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس. وقيل: كان

لتاجه قرنان. وقيل: كان له قرنان تحت عمامته. وقيل: يحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته، كما يقال للشجاع: كبش، كأنه ينطح أقرانه. والله أعلم بالحقيقة. ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ...﴾ إلخ: أي: سأقص عليكم خبراً من حاله، وشأنه.

الإعراب: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: الواو: حرف استئناف، أو هي حرف عطف قصة على قصة قبلها. (يسألونك): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعوله. ﴿عَن﴾: حرف جر. ﴿ذِى﴾: اسم بمعنى: صاحب مجرور بـ: ﴿عَن﴾، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و﴿ذِى﴾: مضاف، و﴿ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: أمر وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿سَأَتْلُواْ﴾: السين: حرف استقبال. (أتلو): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿ذِكْرًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على مثال ما تكرر معنا. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿سَأَتْلُواْ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: قال علي كرم الله وجهه: سخر الله له السحاب، ومدت له الأسباب، وبسط له في النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، وسهل عليه السير في الأرض، وذلل له طريقها. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد. وقيل: من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل شيء يستعين به الملوك من فتح المدائن، وقهر الأعداء. وأصل السبب: الحبل، فاستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: سلك طريقاً يوصله إلى ما يريد، وقدره الله له. هذا؛ وقرئ: (فاتَّبَع سبباً) بوصل الهمزة وتشديد التاء، وهما بمعنى: واحد. قال الأخفش: تبعته، وأتبعته بمعنًى، مثل: ردفته، وأردفته. انتهى. فيتعديان لمفعول واحد. وقيل: «أتبع» بالقطع متعد لاثنين حذف أحدهما، تقديره: فأتبع سبباً سبباً آخَرَ. أو فأتبع أمره سبباً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ ومن حذف أحد المفعولين قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ أي: أتبعوا جنودهم. واختار أبو عبيد (اتَّبع) بالوصل، قال: لأنه من المسير. قال: تقول: تبعت القوم، واتبعتهم، فأما الإتباع بالقطع فمعناه: اللحاق، كقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. وقال يونس، وأبو زيد: «أتبع» بالقطع عبارة عن المجدِّ المسرع الحثيث الطلب، وبالوصل يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. و(نا): في محل نصب اسمها. ﴿مَكَّنَّا﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، تقديره: أمره. ﴿لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿مَكَّنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة، أو ابتدائية لا محل لها. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿سَبَبًا﴾ كان صفة له... إلخ، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿سَبَبًا﴾: مفعول به ثان. ﴿فَأَتْبَعَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾. ﴿سَبَبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: سار ذو القرنين بجيشه في جهة المغرب التي تغرب فيها الشمس. ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: ذات حمأة، وهي الطينة السوداء، من: حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة حامية، فعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل، فرأى الشمس حين غابت، فقال: «**يا أَبَا ذَرٍّ! أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هَذِهِ؟**». قُلْتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قالَ: «**فَإِنَّها تَغرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ**».

وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عند معاوية، فقرأ معاوية: (حامية) فقال ابن عباس: ﴿حَمِئَةٍ﴾ فقال معاوية لعبد الله بن عمر: كيف تقرؤها؟ فقال: كما يقرأ أمير المؤمنين، ثم وجه إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة، فوافق قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ولا تنافي، فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعاً. انتهى نسفي.

هذا؛ وقال القرطبي: ويجوز أن تكون (حامية) من الحمأة، فخففت الهمزة، وقلبت ياء، وقد يجمع بين القراءتين، فيقال: كان حارة، وذات حمأة. انتهى. هذا؛ وقال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد: أنه انتهى إلى الشمس مغرباً، ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها، ومسَّها؛ لأنه تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفةً، بل المراد: أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب، ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، وكما أن راكب البحر يرى: أَنَّ الشمس كأنها تغيب في البحر. انتهى. وهو جيد. رحمه الله.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: عند تلك العين. ﴿قَوْمًا﴾: قيل: كان لباسهم جلود الوحش، وطعامهم ما لفظه البحر، وما نبت من الأرض، وكانوا كفاراً، لذا خيره الله بين أن يعذبهم، أو يدعوهم إلى الإيمان وهم أهل مدينة: جابَرْس، ويقال لها بالسريانية: جَرْجِيسَا، يسكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح عليه السلام؛ أي: وكفروا مع تطاول الزمن. هذا؛ وانظر شرح (قوم) في الآية رقم [١٣] من سورة (النحل). وانظر ما ذكرته في (مسجد) في الآية رقم [٢١].

هذا؛ وتجمع عين على: عيون، وأعين، وأعيان أيضاً، والأخير غير مشهور، وقليل الاستعمال، وأعين جمع قلة، وغيره جمع كثرة، والمراد: بها هنا عين الماء كما يظهر، وتطلق على العين الباصرة، وعلى الجاسوس، كما في قولك: بث الأمير عيونه في المدينة؛ أي: جواسيسه، كما تطلق على ذات الشخص، كما في قولك: جاء محمود عينه. وعين الشيء: خياره، وتطلق على النقد من ذهب، وغيره، وإليك قول الشاعر: [البسيط]

وَقَدْ سَمَحْتُ بِهَا أَيَّامَ وَصْلِهِمُو ... واسْتَخْدَمُوا الْعَيْنَ مِنِّي، وَهْيَ جَارِيَةٌ

فالمراد بالعين: ذاته، والمراد: بـ: «جارية» عينه التي تجري بالدمع، والمراد: بقوله: «بها»: نقد الذهب، وهذا يسمى في فن البديع: استخداماً، كما تطلق على الماء الجاري النابع من الأرض، وتطلق على المطر الهاطل من السحاب. قال عنترة: [الكامل]

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ ... فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

هذا؛ وأعيان القوم: أشرافهم، وبنو الأعيان: الإخوة من الأبوين.

﴿قُلْنَا يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: هذا القول له إن كان نبياً؛ فهو وحي، وإن كان ولياً؛ فهو إلهام. ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ...﴾ إلخ: خير الله ذا القرنين كما خير محمداً ﷺ، فقال جل شأنه: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وقال جل ذكره: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ فقد خيره الله بين تعذيبهم وبين الإحسان إليهم بالإرشاد، وتعليم الشرائع، والعفو، والصفح عنهم؛ إن هم استجابوا لذلك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: لإمَّا خمسة معان:

أحدها: الشك، نحو: جاءني إما زيدٌ، وإما عمروٌ. إذا لم تعلم الجائي منهما.

الثاني: الإبهام: كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية رقم [١٠٦] من سورة (التوبة).

الثالث: التخيير، وهو ما في الآية التي نحن بصدد شرحها، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ومثلها الآية رقم [٦٥] من سورة (طه).

الرابع: الإباحة، نحو: (تعلَّم إما فقهاً، وإما نحواً).

الخامس: التفصيل، نحو قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. انتهى. مغني اللبيب باختصار.

أقول: والتفصيل هو المعنى الذي لا يفارقها مع كل من المعاني المذكورة.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا﴾: انظر الآية رقم [٧١] ففيها الكفاية: وأضيف: أن في الآية انتصاراً لمذهب الأخفش؛ إذ لا بد من تقدير فعل قبل ﴿حَتَّىٰٓ﴾ كما رأيت في الشرح؛ ليتم المعنى. ﴿تَغْرُبُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّمْسِ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان لـ: (وجد). وقيل: هي في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب. ﴿فِى عَيْنٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَمِئَةٍ﴾: صفة ﴿عَيْنٍ﴾. ﴿وَوَجَدَ﴾ ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾. ﴿عِندَهَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو بمحذوف حال مِن ﴿قَوْمًا﴾ على مثال ما تقدم. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ معطوفة على جملة: ﴿وَجَدَهَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿قُلْنَا﴾: فعل، وفاعل. (يا): أداة نداء تنوب مناب «أدعو». (ذا): منادى منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذا) مضاف، و﴿ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى... إلخ. ﴿إِمَّآ﴾: أداة شرط، وتخيير. وقيل: تقسيم، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُعَذِّبَ﴾ في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: إما التعذيب واقع عليهم، أو هو خبر والمبتدأ محذوف، التقدير: إمَّا هو تعذيبك لهم، أو المصدر المؤول في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: «إما أن توقع التعذيب عليهم» ومن شواهد الرفع قول تأبط شراً: [الطويل]

هُـمَـا خُـطَّـتَـا إِمَّـا إِسَـارٌ ومِـنَّـةٌ ... وإمَّـا دَمٌ والـقَـتْـلُ بـالْـحُـرِّ أَجْـدَرُ

و﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ﴾ فهو مثله في التأويل والتقدير، والجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية، فهي معطوفة على ما قبلها. ﴿فِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما، أو بمحذوف حال مِنه كان صفة له.. إلخ. ﴿حُسْنًا﴾: مفعول به، والكلام: ﴿يَٰذَا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، ومثلها الآية رقم [٦٥] من سورة (طٰه).

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: نفسه بالكفر بأن أصر عليه، ولم يقبل الإرشاد، والنصح. ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أي: بالقتل. ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: الموت. ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: شديداً. وهو عذاب الآخرة في النار. وفحوى هذا: أنه اختار الدعوة إلى الله، وسلوك الطريقة الحسنى معهم.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾. ﴿أَمَّا﴾: أداة شرط، وتوكيد، وتفصيل. وانظر الآية رقم [٧٩] ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ظَلَمَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، ومفعوله محذوف كما رأيت. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (سوف): حرف استقبال، وتسويف. ﴿نُعَذِّبُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن» والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٢٩] هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ موصولة فالجملة الفعلية بعدها صلتها، وجملة: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُرَدُّ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (يعذبه): مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّهِۦ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿نُّكْرًا﴾: صفة له، وهو يقرأ بضم الكاف وسكونها قراءتان سبعيتان. وانظر: ﴿رُحْمًا﴾ في الآية رقم [٨١] والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ أي: بالله تعالى. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: عمل عملاً صالحاً، وهو ما يوجب الإيمان بالله تعالى، وهذا احتراس كما بينته فيما سبق. وانظر الآية رقم [١٠٧]. ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً﴾: يقرأ بالنصب، والرفع بالتنوين، وعدمه. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: المثوبة الحسنى، وتُفسَّر بالجنة. وقال البيضاوي: فله؛ أي: في الدارين؛ أي: فله في الدنيا الإعزاز والإكرام، وحفظ حقوقه المالية وغيرها، وله في الآخرة جنات عدن تجري من تحتها الأنهار. وانظر شرح ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء).

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ﴾ أي: لمن آمن وعمل صالحاً. ﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نأمره بالشيء الصعب الشاق عليه، ولكن نأمره بالسهل المتيسر من دفع زكاة وخراج وغير ذلك من التكاليف. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: سلك طريقاً يوصله إلى المشرق، بعد أن دان له المغرب، ويذكر أنه جند جيشاً عظيماً من أهل المغرب وتوجه به إلى جهة المشرق، وهو ما تفيده الآية التالية. وانظر الآية رقم [٨٦] وما فيها من بحث فإنه جيد، ويقرأ يسراً بضم السين وسكونها، انظر رحماً في الآية رقم [٨٢].

الإعراب: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾: انظر الآية السابقة ففيها البيان الشافي، وجملة: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ معطوفة على جملة: ﴿ءَامَنَ﴾ على الوجهين المعتبرين فيها، و﴿صَٰلِحًا﴾ صفة لمفعول به محذوف، التقدير: وعمل عملاً صالحاً. وقيل: المحذوف مفعول مطلق. وهو ضعيف. ﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (له): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جَزَآءً﴾: فعلى قراءة الرفع فهو مبتدأ مؤخر، أو هو فاعل بالجار والمجرور، وعلى قراءته بغير تنوين فهو مضاف، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مضاف إليه، وعلى قراءته بالتنوين، فالحسنى بدل منه، أو هو خبر لمبتدأ محذوف وعلى قراءته بالنصب، والتنوين، فهو منصوب على الحال مِن الضمير المستقر في الجار والمجرور، أو هو مفعول مطلق عامله من لفظه، وهو محذوف، أو هو تمييز، وعلى قراءته بغير تنوين فهو مثل المنون في جميع، أوجه إعرابه، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين، وعليه ف: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: ﴿فَلَهُۥ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط... إلخ، انظر الآية السابقة لتتمة الإعراب، والجملة الاسمية في هذه الآية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَسَنَقُولُ﴾: الواو: حرف عطف. (سنقول): مضارع، والسين حرف استقبال، وتنفيس، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿يُسْرًا﴾، كان صفة له على نحو ما رأيت في الآية السابقة وغيرها. ﴿يُسْرًا﴾: مفعول به، وهو على تقدير: قولاً ذا يسر، أو شيئاً ذا يسر، فيكون المحذوف مفعولاً مطلقاً، أو نائب مفعول مطلق، والآية معطوفة على ما قبلها، فهي من مقول ذي القرنين. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ فيكون ما بينهما معترضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: المعنى: سار ذو القرنين بجيشه الخضم من مغرب الشمس حتى وصل، وبلغ أقصى المشرق، وهي الجهة التي تطلع منها الشمس. ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي: رأى ذو القرنين أقواماً في أقصى المشرق، ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل، أو شجر، ولا يستقر عليهم بناء، فإذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت عنهم الشمس خرجوا إلى معايشهم، حفاة، عراة، عماة عن الحق، يتسافدون مثل الكلاب، ويتهارجون تهارج الحمر. قيل: إنهم قوم من نسل مؤمني قوم هود عليه السلام، واسم مدينتهم: جَابَلْق، واسمها بالسريانية مَرْقيسيا، وهم مجاورون يأجوج، ومأجوج. هذا؛ و(سِتْر) اسم آلة؛ فلذا كسرت السين، وقرئ ﴿مَطْلِعَ﴾ بكسر اللام، وفتحها.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا﴾ انظر الآية رقم [٨٦] والمحال عليها برقم [٧١] ففيهما الكفاية. ﴿تَطْلُعُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّمْسِ﴾ تقديره: «هي». ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان لـ: (وجد). وقيل: هي في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿نَجْعَل﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَّهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الأول، أو مفعوله الثاني. ﴿مِّن دُونِهَا﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿سِتْرًا﴾ كان صفة له... إلخ، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿سِتْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَّمْ نَجْعَل...﴾ إلخ في محل جر صفة قوم.

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكانة، وبسطة الملك. أو أمره في أهل المشرق كأمره في أهل المغرب من التخيير، والاختيار. ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: من الجنود، والآلات، والعدد، والأسباب. ﴿خُبْرًا﴾: علماً تعلق بظواهر أمره، وخفاياه، والمراد: أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: سلك ذو القرنين طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق، والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر) هذا؛ وأما ﴿لَدَيْهِ﴾ فهو ظرف بمعنى: «عند»، وهي معربة مثلها، وقد تستعملان في الزمان، وإذا أضيف «لدى» إلى مضمركما هنا قلبت ألفه ياء عند جميع العرب إلا بني الحارث بن كعب، وبني خناعة، فلا يقلبونها تسوية بين الظاهر، والمضمر، ثم اعلم: أن (عند) أمكن من (لدى) من وجهين: أحدهما: أنها تكون ظرفاً للأعيان، والمعاني، تقول: هذا القول عندي صواب، وعند فلان علم به، ويمتنع ذلك في لدى. ذكره ابن الشجري في أماليه، ومَبْرمان في حواشيه، والثاني: أنك تقول: عندي مال، وإن كان غائباً، ولا تقول: لديَّ مال إلا إذا كان حاضراً. قاله جماعة.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، التقدير: الأمر كذلك، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، عامله (وجد) أو ﴿نَجْعَل﴾ والأول: أقوى، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: حرف استئناف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَحَطْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿لَدَيْهِ﴾: ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء لاتصاله بالهاء التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهو متعلق بمحذوف

صلة (ما)، أو بمحذوف صفتها. ﴿خُبْرًا﴾: مفعول به. وقيل: مفعول مطلق؛ لأن في ﴿أَحَطْنَا﴾ معنى: خبرنا وقيل: تمييز، وهو ضعيف، وجملة: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ معطوفة على ما قبلها، وإن اعتبرت الأولى حالاً من فاعل الفعل: ﴿نَجْعَل﴾ المقدر فلست مفنداً، ولا تصح الحالية على التقدير الأول.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: المعنى سار ذو القرنين بجيشه العرمرم حتى وصل بين السدين، وهما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان في منقطع أرض الترك، وقد قرئ بضم السين، وفتحها، انظر الآية التالية. وحكي: أن الواثق العباسي بعث بعض من يثق به من أتباعه إليه؛ ليعاينوه، فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه، وشاهدوه، فوصفوه: أنه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب، وعليه باب مقفل. انتهى. خازن.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: من وراء السدين. ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لا يفهمون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة، وقد قرئ الفعل ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بفتح الياء على المعنى الأول، وبضم الياء على المعنى الثاني.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف غاية وجر. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان... إلخ، ﴿بَلَغَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾. ﴿بَيْنَ﴾: مفعول به، وهو في الأصل ظرف مكان مثل مغرب ومطلع، فحصل التصرف فيهن بوقوعهن مفعولاً، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿بَلَغَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿وَجَدَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾. ﴿مِن دُونِهِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿قَوْمًا﴾ كان صفة له... إلخ على مثال ما تقدم، أو هما في محل نصب مفعوله الثاني: تقدم على الأول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَجَدَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. هذا؛ ويعتبر الأخفش في مثل هذه الآية ﴿حَتَّىٰٓ﴾ جارة لـ: ﴿إِذَا﴾، وعلى قوله فـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ومجرورها متعلقان بفعل محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَكَادُونَ﴾: مضارع ناقص مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، وجملة: ﴿يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿لَّا يَكَادُونَ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿قَوْمًا﴾. تأمل.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قالت أمة من الإنس صالحة مجاورة. وفي البيضاوي: قال مترجموهم. ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: انظر الآية رقم [٨٣] لشرحه. ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: هما قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام. وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجيل والديلم. ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: كانوا يأكلون الناس. وقيل: كانوا يخرجون في أيام الربيع، فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وكانوا يَلْقَوْنَ منهم قتْلاً، وأذًى شديداً، وهم خلق كثير، لا يحصي عددهم إلا الله.

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ سألت النبي ﷺ عن يأجوج، ومأجوج، فقال: «**يأجوج ومأجوج أُمَّتَانِ، كُلُّ أمةٍ أربعمئة ألف أمةٍ، كُلُّ أمَّةٍ لا يعلم عددها إلا الله، لا يموتُ الرجلُ منهم حتى يُولَدُ لهُ أَلفُ ذكرٍ مِنْ صُلْبِهِ، كُلُّهُم قد حمل السِّلاحَ**». وقيل: هم على صنفين: طوال مفرطو الطول، وقصار مفرطو القصر. وقد ذكر القرطبي، والخازن الكثير من صفاتهم، وأحوالهم. وبالجملة: هم نادرة عجيبة في ذرية آدم عليه السلام. هذا؛ وقرئ: (ياجوج وماجوج) بدون همز.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: وقرئ: (خراجاً)، وهما بمعنى: جُعْلاً، وقسماً من أموالنا نقدمه إليك، وهو في الآية [٧٢] من سورة (المؤمنون) بمعنى: الأجر، والإثابة على عمل ما. ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ أي: حاجزاً منيعاً، يحول بيننا وبينهم، فلا يصلون إلينا. ف: ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى: لام التعليل هنا وقرئ بضم السين، وهما لغتان. وقيل: المضموم لِمَا خلقه الله تعالى، والمفتوح لِمَا عمله الناس.

قال القرطبي: ويلزم أهل هذه المقالة أن يقرؤوا ﴿سَدًّا﴾ بالفتح، وقبله. ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بالضم. وقال أيضاً: في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدون، ولا يتركون وما هم عليه، بل يوجعون ضرباً، ويحبسون، أو يكلفون ويطلقون، كما فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ.

فائدة: قال بعضهم: مسافة الأرض بتمامها خمسمئة عام، ثلاثمئة منها بحار، ومئة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج، وتبقى عشرة، سبعة للحبشة، وثلاثة لجملة الخلق غيرهم. هذا؛ وأرض يأجوج ومأجوج منحصرة وراء الجبلين العظيمين، وليس لهم طريق إلى أرض العمارة إلا هذه الفتحة الموجودة بين الجبلين التي أقام فيها ذو القرنين السد، وعلى هذا فلا يزالون في العالم المجهول الذي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى. وذكر: أن سعة الفتحة التي بين الجبلين مئة فرسخ، فيكون طول السد وامتداده على وجه الأرض مئة فرسخ، ومسيرة الفرسخ

ساعة ونصف، فتكون مسيرته مئة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوماً، ونصفاً، فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر. تأمل. انتهى. جمل. وانظر الآية رقم [٩٤].

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: «دخلوا» في الآية رقم [٥٢] من سورة (الحجر). ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: انظر الآية رقم [٨٦]. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿يَأْجُوجَ﴾: اسم (إنَّ). ﴿وَمَأْجُوجَ﴾: معطوف عليه. ﴿مُفْسِدُونَ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُفْسِدُونَ﴾. ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام، وتأدب، وتلطف هنا. ﴿نَجْعَلُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما مفعوله الثاني: تقدم على الأول. ﴿خَرْجًا﴾: مفعول به. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَجْعَلَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال مِن ﴿سَدًّا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿سَدًّا﴾: مفعول به. هذا؛ و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نَجْعَلُ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة ﴿خَرْجًا﴾. هذا؛ والجمل في الآية كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾: المعنى قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله تعالى لي من القدرة، والملك خير من خرجكم، وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان؛ أي: برجالٍ، وعملٍ منكم بالأبدان، والآلة التي أبني بها السد، وهذا تأييد من الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاورة، فإن القوم لو جمعوا له خرجاً لم يعنه أحد، وَلَوَكلوه إلى البنيان، ومعونته بأنفسهم أجمل به، وأسرع في انقضاء العمل، وربما أربى ما ذكر على الخرج. انتهى. قرطبي.

وقال أيضاً: في هذه الآية دليل على أنَّ الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وسدِّ فرجتهم، وإصلاح ثغورهم من أموالهم التي تفيء عليهم، وحقوقهم التي تجمعها خزانتهم تحت يده، ونظره، حتى لو أكلتها الحقوق، وأنفذتهم المؤن؛ لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لهم، وذلك بثلاثة شروط: الأول: أن لا يستأثر عليهم بشيء، الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة منهم. الثالث: أن يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم. انتهى. باختصار.

هذا؛ والردم هو السد. وقيل: الردم أبلغ من السد؛ إذ السد كل ما يسد به، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة، أو تراب، أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه ردم ثوبه إذا رقعه برقاع متكاثفة، بعضها فوق بعض، ومنه قول عنترة: [الكامل]

هَلْ غَادَرَ الشعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ؟

أي: من قول يركب بعضه على بعض. هذا؛ وانظر شرح: (خير) في الآية رقم [٤٤] وشرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ذي القرنين. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مَكَّنِّي﴾: ماض مبني على الفتح، وسكنت نونه، وأدغمت في نون الوقاية، وقرئ: (مكَّنَنِي) بالفك، وياء المتكلم مفعول به. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّي﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور بـ: (في). ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿فَأَعِينُونِي﴾: الفاء: هي حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كنت لست بحاجة إلى مال؛ فأعينوني... إلخ، وفعل الأمر هذا مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿بِقُوَّةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَجْعَلْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿بَيْنَكُمْ﴾ متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال مِن ﴿رَدْمًا﴾، كان صفة له على مثال ما رأيت في الآية السابقة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿رَدْمًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: أعطوني، وناولوني. هذا؛ ويقرأ الفعل بهمزة وصل فيكون معناه جيئوني بزبر الحديد، وتكون الباء الجارة محذوفة، و﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: قطعه الكبيرة العظيمة. فأتوه بها، وبالحطب، فجعل الحطب على الحديد، والحديد على الحطب. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾

أي: رفع البناء لمستوى الجبلين. هذا؛ و﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ هما جانبا الجبل، سميا بذلك لتصادفهما، وتلاقيهما. هذا؛ ويقال لكل بناء مرتفع: صدف تشبيهاً له بجانب الجبل. وقيل: لا يقال للواحد صدف، وإنما يقال: صدفان للاثنين؛ لأن أحدهما يصادف الآخر. هذا؛ وقرئ ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بقراءات كثيرة، لم يتغير فيهما المعنى، والإعراب. ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ أي: قال للعمال: انفخوا النار في الأكوار على قطع الحديد. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ أي: أصبحت قطع الحديد كالنار، وهذا مشاهد في الحديد إذا أحمي عليه بحرارة مرتفعة، فإنه يصير كالجمر المتقد. ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ...﴾ إلخ أي: أعطوني قطراً أصب عليه، فجعلت النار تأكل الحطب، وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس، والتأم، واشتد، ولصق البعض بالبعض. وهذا العمل أجراه على أدوار، وطاقات بعضها فوق بعض حتى صار السد جبلاً صلداً. هذا؛ والقطر: النحاس عند أكثر المفسرين، وأصله من القطر؛ لأنه إذا أذيب قطر كما يقطر الماء. وقالت فرقة: القطر الحديد المذاب. وقالت أخرى: هو الرصاص المذاب، والمعتمد الأول، ومنه قوله تعالى في سورة (سبأ): ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ الآية رقم [١٢].

هذا؛ وفيما تقدم من العمل كرامة ظاهرة لذي القرنين؛ حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون بالأكوار، ويفرغون القطر مع أنَّه كالنار، ومع أنَّ الحديد المصبوب عليه كالنار، أو أشد، فلم تصبهم حرارة النار مع قربهم منها، بل ولمخالطتهم لها، فكأن الله تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك العاملين حتى تمكنوا من العمل في ذلك.

قال قتادة: صار السد كالْبُرْدِ المُحَبَّر، طريقةً سوداءَ، وطريقةً حمراء. ويروى: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني رأيت سَدَّ يأجوجَ ومَأجوجَ قال: «**كيف رَأَيْتَهُ؟**». قال: رأيتُهُ كالْبُرْد المحبَّر، طريقة صفراء، وطريقة حمراء وطريقة سوداء، فقال ﷺ: «**قد رأيْتَه**». وقيل: إن عرضه خمسون ذراعاً، وارتفاعه مئة ذراع، وطوله فرسخ. وانظر ما ذكرته برقم [٩٤].

الإعراب: ﴿ءَاتُونِى﴾: فعل أمر، مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، والياء مفعول به أول. ﴿زُبَرَ﴾: مفعول به ثان، و﴿زُبَرَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَدِيدِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول ذي القرنين. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ انظر الآية رقم [٩٣] فالإعراب فيها كافٍ. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل ﴿سَاوَىٰ﴾، أو هو متعلق بمحذوف حال مِن المفعول المحذوف، وهو البناء، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ. قال: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ وجملة: ﴿ٱنفُخُوا۟﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، وعلى قول الأخفش فحتى ومجرورها يتعلقان بمحذوف، التقدير: استمر في العمل حتى إذا.. إلخ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾: إعراب هذا الكلام مثل سابقه

بلا فارق. ﴿أُفۡرِغۡ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قِطۡرٗا﴾: تنازعه كل من الفعلين السابقين ف: ﴿ءَاتُونِيٓ﴾ يطلبه مفعولاً ثانياً، و﴿أُفۡرِغۡ﴾ يطلبه مفعولاً له، والأول: أولى عند الكوفيين لسبقه، والثاني: أولى عند البصريين لقربه. قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

إنْ عَامِلانِ اقْتَضَيا في اسمٍ عَمَلْ قَبْلُ فلِلْواحِدِ مِنْهُما العَمَلْ
والثَّانِي أَوْلَى عِنْدَ أَهْلِ البَصْرَهْ واخْتَارَ عَكْساً غَيْرُهُم ذا أَسْرَهْ
وأعْمِلِ المُهْمَلَ في ضميرِ مَا تَنازَعَاهُ والْتَزِمْ مَا الْتُزِمَا

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾

الشرح: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾: فلم يقدروا أن يعلوه بالصعود عليه لارتفاعه، وانملاسه، حذفت منه التاء على مثال ما رأيت في الآية رقم [٨٢]، وقرئ بقلب السين صاداً ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾: وذلك لثخنه، وصلابته. هذا؛ وقرأ الأعمش الفعلين بالتاء ﴿ٱسۡتَطَٰعُوٓاْ﴾.

هذا؛ وقال القرطبي: وذكر يحيى بن سلام، عن سعد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يخرِقونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إذا كادُوا يَرَوْن شعاعَ الشمس. قال الذين عليهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غداً فيعيدُهُ الله كأَشَدِّ ما كانَ، حتى إذا بَلَغَت مُدَّتُهُمْ، وأرَادَ الله أَن يَبْعَثَهُمْ على الناس، حَفَروا حتى إذا كادوا يرونَ شعاعَ الشَّمْسِ. قال الذين عليهم: ارجعوا فستحفِرونَهُ غداً إنْ شاء الله، فيعودونَ إليه، وهو كهيئتِهِ حين تركوهُ، فيخرِقُونَهُ ويخرُجون على الناس**». أخرجه ابن ماجه في السنن. انتهى. قرطبي.

وزاد القرطبي، والخازن أيضاً: «**فينشِّفُون الماءَ، ويتحصَّن الناسُ مِنْهُم في حُصونِهِمْ، فيرمُونَ بِسهامِهِم إلى السماءِ، فيرجعُ عليها الدَّمُ، فيقولونَ: قَهَرْنَا مَن في الأرضِ، وعَلَوْنا أهل السماء، فيبعثُ اللهُ تعالى عليهم نَغفاً في أقفائِهِم، فيقتلهُمْ بها**». . قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده! إنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وتَشكرُ شكراً من لُحومِهِم**». وقال الخازن: أخرجه الترمذي.

هذا؛ والنغفُ: دود يكون في أنوفِ الإبل، والغنم، فيقتلها، ويقال: شَكَرَت الشاة، تشْكَر، شَكَراً: إذا امتلأ ضرعها لبناً. انتهى. وروي: أنهم يشربون ماء الأنهار، ويأكلون الشجر، وجميع النباتات، ومن ظفروا به من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة، والمدينة، وبيت المقدس. قال الجمل: وذلك عقب قتل الدجال، فينحاز عيسى عليه السلام بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم، ولا يصلون إلى مَنْ تحصَّن منهم بورد، أو ذكر.

الإعراب: ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف، التقدير: فجاء قوم يأجوج بعد أن أنهى ذو القرنين بناء السد، وتسويته، يحاولون أن يعلوه، أو يثقبوه فما اسطاعوا... إلخ. (ما): نافية. ﴿ٱسْطَـٰعُوٓا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وما بعدها معطوفة عليها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَقْبًا﴾، كان صفة له... إلخ على نحو ما رأيت في الآية رقم [٩٧].

﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: ذو القرنين. ﴿هَـٰذَا﴾: إشارة إلى الردم السد الذي أقامه. ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ أي: على عباده؛ حيث حال هذا السد بين المؤمنين وبين القوم المفسدين، وهم قوم يأجوج، وقوم مأجوج الذين صاروا، وراء هذا السد العظيم محصورين، ولا يستطيعون اقتحامه، ولا نقبه. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾: المراد به يوم القيامة. ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي: مدكوكاً مبسوطاً مسوًّى بالأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ فعند ذلك يخرج منه قوم يأجوج، وقوم مأجوج، وقد قال جل شأنه في سورة (الأنبياء): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ...﴾ إلخ رقم [٩٦] والمراد: فتح سد يأجوج، ومأجوج. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ أي: كائناً لا محالة؛ أي: فلا بد من قيام الساعة، وخروج يأجوج، ومأجوج من علامتها الكبرى، كما صرحت بذلك الأحاديث الشريفة، بعد هذا انظر شرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (الإسراء)، وشرح (الوعد»)في الآية رقم [٣١] من سورة (الرعد). وإلى هنا انتهى كلام ذي القرنين.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾. ﴿هَـٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿رَحْمَةٌ﴾: خبر لمبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مِّن رَّبِّى﴾: متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةٌ﴾، أو بمحذوف صفة لها، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه منصوب بجوابه، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءَ وَعْدُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة إذا إليها، و﴿وَعْدُ﴾: مضاف، و﴿رَبِّى﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة المصدر لفاعله، فهو مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿جَعَلَهُۥ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّى﴾، والهاء مفعول به. ﴿دَكَّآءَ﴾: مفعول به ثان. وقيل: هو حال، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، وهو من مقول ذي القرنين

أيضاً. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): ماض ناقص. ﴿وَعْدُ﴾: اسم كان، وهو مضاف، و﴿رَبِّي﴾: مضاف إليه... إلخ. ﴿حَقًّا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية مستأنفة، وهي من مقول ذي القرنين كسابقتها، أو هي في محل نصب حال من ﴿رَبِّي﴾، والرابط الواو، وإعادة لفظ ﴿رَبِّي﴾ وكان حقه الإضمار، فأظهره للتعظيم، والتفخيم، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)﴾

الشرح: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ...﴾ إلخ: هذا من قول العلي القدير، فيقول: تركنا قوم يأجوج ومأجوج منحصرين وراء السد يختلط بعضهم ببعض كموج بحر يلطم بعضه بعضاً. وقيل: هذا عند قيام الساعة يدخل بعضهم في بعض لكثرتهم، ويختلط إنسهم بجنهم حيارى مدهوشين، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة. وفيه دليل واضح على أنَّ خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة. ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ أي: جميع المخلوقات من إنس، وجنٍّ، يجمعون في صعيد واحد للحساب، والجزاء يوم القيامة.

هذا؛ وفي قوله تعالى: يموج بعضهم... إلخ استعارة، فقد استعار الموج لهم، وهو عبارة عن حيرة الخلق، وتردد بعضهم في بعض كالمولَهين لما يحيط بهم من هم، وخوف، ورعب، فشبههم بموج البحر الذي يضطرب، ويلطم بعضه بعضاً. وانظر شرح: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل).

أما ﴿الصُّورِ﴾ فهو قرن كهيئة البوق. قاله مجاهد، ويدل على صحته ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: مَا الصُّورُ؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**». أخرجه أبو داود والترمذي، وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَقَدِ الْتَقَمَ صاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَن يُنْفَخ؟!**». وكأنَّ ذلك ثَقُلَ على أَصْحَابِهِ، فَقالُوا: كَيْفَ نفعلُ يا رسولَ اللهِ! وَكَيْفَ نقولُ؟ فقالَ: «**قُولُوا: حَسْبنا الله ونعم الوكيل، على اللهِ توكلنا**». وربما قال: «**توكلنا على اللهِ**». أخرجه الترمذي.

وينبغي أن تعلم أن الذي ينفخ في الصور، إنما هو إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة العشرة المقربين، وهو ينفخ نفختين بينهما أربعون عاماً على الصحيح، الأولى لإماتة جميع المخلوقات، والثانية لإحيائهم، وبعثهم للحساب والجزاء، خذ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ بعد هذا أذكر: أن الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إن كل ما فاؤه نون، وعينه فاء يدل على معنى الخروج، والذهاب، مثل: نفق، ونفد، ونفث، ونفش... إلخ.

الإعراب: ﴿وَتَرَكْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (تركنا): فعل، وفاعل. ﴿بَعْضَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، وإذ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، وهذا التنوين عوض عن جملة محذوفة كما رأيت في شرحه. ﴿يَمُوجُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿بَعْضَهُمْ﴾. ﴿فِي بَعْضٍ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، أو هي في محل نصب حال مِن بعضهم، وجملة: ﴿وَتَرَكْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَنُفِخَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿فِي الصُّورِ﴾: في محل نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي في محل نصب حال مِن بعضهم، وتكون «قد» مقدرة قبلها، والرابط: الواو، والضمير في الجملة المعطوفة عليها. ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿جَمْعًا﴾: مفعول مطلق.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أبرزناها، وأظهرناها للكافرين؛ ليشاهدوها عياناً في ذلك اليوم الطويل زمانه، العظيم شأنه. هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل في هذه الآية وسابقتها لتحقق وقوع ما يحدث يوم القيامة، وهذا التعبير مستعمل في القرآن الكريم بكثرة كما في الآية الأولى من سورة (النحل) وغيرها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَعَرَضْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب (حفظنا) في الآية رقم [١٧] من سورة (الحجر). ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. وانظر الآية السابقة، ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَرْضًا﴾: مفعول مطلق، وجملة: ﴿وَعَرَضْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: مغطاة بغطاء يمنعهم النظر في الحق. ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾: عن النظر بآياتي، فيستدلون بها على قدرتي، فيذكروني، أو عن الإيمان، والقرآن، والهدى، والبيان، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: لا يقدرون أن يسمعوا آياتي التي يتلوها عليهم محمد ﷺ، هذا هل كانوا عمياً حقيقة، وصماً حقيقة؟ لا، إنما كانت لهم أعين، ولكن لم يبصروا بها طريق الحق والرشاد، وكانت لهم آذان، ولكن لم يسمعوا بها النصح، والإرشاد، فكانوا كالأنعام بل هم أضل، وكل من تعامى عن الحق، وتصامم عن قبوله في هذه الأيام، فهو على شاكلتهم. وانظر الآية رقم [١٩] من سورة (الرعد). وانظر شرح «العين» في الآية رقم [٨٦]. والله اعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة لـ: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، أو هو بدل منه، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو في محل نصب على الذم بفعل محذوف، تقديره: أذم. ﴿كَانَتْ﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث. ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾: اسم ﴿كَانَتْ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِى غِطَآءٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَتْ﴾. ﴿عَن ذِكْرِى﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿غِطَآءٍ﴾، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وجملة: ﴿كَانَتْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَكَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله. ﴿سَمْعًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟...﴾ إلخ: أي: أفظن الكافرون الذين يتخذون عبادي من ملائكة، ونحو عيسى، وعزير ـ عليهما السلام ـ أرباباً، وآلهةً من دوني أني لا أغضب عليهم، ولا أعاقبهم على ذلك؟! أو المعنى: أفظنوا أن ينفعهم ذلك؟! لا بل إنَّ من عبدوه من دوني يتبرأ منهم يوم القيامة، ويصير خصمهم. ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ أي: هيأنا، وأعددنا جهنم ضيافةً، وإكراماً للكافرين الذين عبدوا غير الله تعالى. قال تعالى في سورة (الواقعة) بعد أن ذكر ما أعد لهم في جهنم من العذاب الأليم: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ هذا؛ و(النزل) ما يقام للضيف من إكرام وحفاوة، وفيه تهكم بالكافرين، ومثله قول أبي السعد الضبي: [الطويل]

وكنا إذا الجبَّارُ بالجيْشِ ضافَنا ... جَعَلْنَا القَنَا والمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزْلا

وشتان ما بين نزل الكفار، ونزل الأبرار المذكور في الآية رقم [١٩٨] من سورة (آل عمران)، ونزل المؤمنين الذين يعملون الصالحات المذكور في الآية رقم [١٠٧] الآتية ألا فليعتبر المعتبرون، فاعتبروا يا أولي الأبصار!.

الإعراب: ﴿أَفَحَسِبَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار، وتوبيخ. وانظر ﴿أَفَمَن﴾ ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [١٧] من سورة (النحل) تجد ما يسرك. الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (حسب): ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوٓا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَتَّخِذُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله،

والألف للتفريق. ﴿عِبَادِى﴾: مفعول به أول منصوب. ﴿مِن دُونِىٓ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾؛ لأنه جمع ولي، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنه على نحو ما رأيت في الآية رقم [٩٣] وعلامة النصب في الأول، وعلامة الجر في الثاني: فتحة، أو كسرة مقدرتان على ما قبل ياء المتكلم على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩٨] والياء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَتَّخِذُواْ﴾ إلخ في محل نصب مفعول به أول للفعل: (حسب)، والثاني: محذوف، تقديره: أظنوا أن الاتخاذ المذكور نافعهم؟! أو لا أعذبهم عليه، ونحو ذلك. هذا؛ واعتبر السمين، وأبو البقاء المصدر ساداً مسد المفعولين، ولا تقدير. هذا؛ ويقرأ: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ على أنه مبتدأ، فيكون المصدر المؤول من ﴿أَن يَتَّخِذُواْ﴾ في محل رفع خبر، ويكون المعنى: أفكافيهم في النجاة اتخاذهم... إلخ، والكلام معطوف على مقدر، أو هو مستأنف، لا محل له على الاعتبارين. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿أَعْتَدْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به للكافرين متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿نُزُلًا﴾ كان صفة له.. إلخ ﴿نُزُلًا﴾: مفعول به ثان، ولم أر هذا الفعل قد نصب مفعولين في غير هذه الآية. وقيل: إن نزلاً حال، والمعنى لا يؤيده، وجملة: ﴿أَعْتَدْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ﴾... إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: يقول الله تعالى لمحمد ﷺ قل لهؤلاء الكفرة الفجرة الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به ثواباً، فنالوا هلاكاً وخساراً. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هم اليهود، والنصارى. وقيل: هم الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع، وهم الرهبان. وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: هم الخوارج، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر شرح «نبأهم» في الآية رقم [١٣].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿نُنَبِّئُكُم﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿أَعْمَٰلًا﴾: تمييز، وإنما جمع ، والقياس: الإفراد؛ لتنوع الأهواء، أو؛ لأنه من أسماء الفاعلين، وجملة: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الذين ضاع عملهم الذي يعملونه في هذه الدنيا، وذهب أدراج الرياح، فلا يجدون له نفعاً في الآخرة، وهم يحسبون: أنهم... إلخ:

وهم يظنون: أن عملهم حسن وجيد مقبول عند الله تعالى. هذا؛ وانظر شرح: ﴿ضَلَّ﴾ في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل)، وشرح ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في الآية رقم [١٠٧] منها. وانظر (حسب) في الآية رقم [٩].

وانظر أعمال الكافرين في الآية رقم [٥٤] من سورة (التوبة) والآية [١٥] من سورة (هود) عليه السلام، وما ذكرته في الآية رقم [٣٩] من سورة (النور)، وقد جمع ما ذكرته في السورتين المذكورتين. والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: هو مثل الآية رقم [١٠١]. ﴿ضَلَّ﴾: ماض. ﴿سَعْيُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال، التقدير: حالة كونهم في الحياة. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة الحياة مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿ضَلَّ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَحْسَبُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يُحْسِنُونَ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿صُنْعًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿يَحْسَبُونَ﴾، وجملة: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية (هم..) إلخ في محل نصب حال مِن الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، وقد جاءت الحال مِن المضاف إليه، انظر الآية رقم [١٢٣] من سورة (النحل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: الإشارة إلى الذين ضل سعيهم... إلخ، ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي: جحدوا دلائل توحيده، وقدرته، وكفروا بالبعث، والثواب، والعقاب، وذلك؛ لأنهم كفروا بالنبي ﷺ وبالقرآن، فصاروا كافرين بهذه الأشياء. ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: بطلت أعمالهم الصالحة كصدقة، وصلة رحم، ونحو ذلك، فلا يجدون لها أجراً، وثواباً في الآخرة، بسبب كفرهم المذكور. ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي: لا ننصب ميزاناً لأعمالهم؛ لأنها لا قيمة لها، ولا اعتبار. قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ والميزان ينصب لحسنات المؤمنين وسيئاتهم.

قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة، هي عندهم من العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها؛ لم تزن شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾

وقيل: المعنى: نزدري بهم، ونحتقرهم، فليس لهم عندنا حظٌّ، ولا قدرٌ، ولا وزنٌ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتي الرَّجُلُ العظيمُ السمينُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعوضَةٍ، اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾» متفق عليه.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ وفي هذا الحديث من الفقه ذم السمن لمن تكلفه، لما في ذلك من تكلف المطاعم، والاشتغال بها عن المكارم، بل يدل على تحريم الأكل الزائد على قدر الحاجة المبتغى به الترفه، والسمن، وقد قال ﷺ: «**إنَّ أبغضَ الرِّجالِ إلى اللهِ تَعالَى الحَبْرُ السَّمينُ**». ومن حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُكُم قَرْني، ثم الذين يَلُونَهُم ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين، أو ثلاثةً؟ ـ ثُمَّ إنَّ من بعْدِكُم قَوْماً يشهدونَ، ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخونُونَ، ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرون، ولا يُوفون، ويظهرُ فيهمُ السِّمَنُ**». أخرجه البخاري ومسلم.

وهذا ذم، وسبب ذلك: أن السمن المكتسب إنما هو من كثرة الأكل، والشره، والدَّعة، والراحة، والأمن، والاسترسال مع النفس على شهواتها، فهو عبد نفسه لا عبد ربه، ومن كان هذا حاله وقع لا محالة في الحرام، وكل لحم تولد عن سحت فالنار أولى به، وقد ذم الله الكفار بكثرة الأكل، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ فإذا كان المؤمن يتشبه بهم، ويتنعم بتنعمهم في كل أحواله، وأزمانه، فأين حقيقة الإيمان، والقيام بوظائف الإسلام؟! ومن كثر أكله، وشربه كثر نهمه، وحرصه، وزاد بالليل كسله، ونومه، فكان نهاره هائماً، وليله نائماً. انتهى. هذا؛ وقد ذكرت في الآية رقم [٣١] من سورة (الأعراف) أضرار كثرة الأكل، والشراب. وانظر وزن الأعمال، والميزان في الآية رقم [٨] منها أيضاً. هذا؛ وإعلال ﴿نُقِيمُ﴾ مثل إعلال: ﴿مُقِيمَ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. هذا؛ وقد قرئ: (يقيم) على أنَّ الفاعل هو الله، وقرئ: (يقوم) على أنَّ الفاعل (وزن)، وبه قرأ مجاهد. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

فائدة، وهدية لك: ضحك الصحابة لما رأوا ساق عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ دقيقة نحيفة، وهو يصعد نخلة، فقال حبيب الحق، وسيد الخلق ﷺ: «**تَضْحَكُونَ من سَاقٍ تُوزَنُ بعملِ أهلِ الأرضِ؟**». وفي رواية: «**تعجبون من ساق ابن مسعود؟! إنها في الميزان أثقل من جبل أحد!**». فدل هذا على أنَّ الأشخاص توزن يوم القيامة، كما يحتمل التمثيل والتشبيه، والله أعلم بحقيقة ذلك.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على وجه فيه بعيد، وجملة:

﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَلِقَائِهِ﴾: معطوف على (آيات) والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿فَحَبِطَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿نُقِيمُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال مِن ﴿وَزْنًا﴾، كان صفة له على نحو ما رأيت في الآية رقم [٩٤] ﴿وَزْنًا﴾: مفعول به هذا؛ وقد قال أبو البقاء: تمييز، أو حال، ولا وجه له؛ لأن الفعل توصل إليه بهمزة التعدية؛ لأن ماضيه: أقام. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ: الإشارة إلى ترك وزنهم، أو وزن أعمالهم، واحتقارهم، واستحقوا جهنم بسبب كفرهم، وعتوهم، وعنادهم، واتخاذهم آياتي التي أنزلتها على رسلي سخريةً، واستهزاءً، واستخفافاً. هذا؛ وانظر شرح ﴿جَهَنَّمَ﴾، ودركات النار في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر)، وشرح: ﴿ءَايَٰتِى﴾ في الآية رقم [١] منها، وشرح: ﴿هُزُوًا﴾ في الآية رقم [٥٦] وشرح (الكفر) في الآية رقم [٢٧] من سورة (النحل).

الإعراب: في إعراب هذه الآية أربعة، أوجه ذكرها السمين، وأبو البقاء: أحدها: أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك، و﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ جملة برأسها. الثاني: أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ أول، وجزاؤهم مبتدأ ثان، وجهنم خبره، وهو وخبره خبر الأول، والعائد محذوف؛ أي: جزاؤهم به. الثالث: أنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ؛ ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾: بدل، أو عطف بيان، و﴿جَهَنَّمُ﴾ خبره. الرابع أن يكون ذلك مبتدأ أيضاً، وجزاؤهم خبره، وجهنم بدل، أو بيان، أو خبر مبتدأ محذوف. انتهى. جمل. والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لمفعوله وفاعله مستتر يعود إلى العذاب المذكور. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية، تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالمصدر جزاؤهم، ومنعه السمين للفصل بـ: ﴿جَهَنَّمُ﴾ ورد بأن الخبر من معمولات المبتدأ، فليس أجنبياً عنه. انتهى. جمل. قال أبو البقاء: متعلقان بخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ وهذا يكون على أحد الوجوه المعتبرة فيه. ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، انظر الشرح لتأويل الكلام بمصادر. وقيل: الجملة مستأنفة، لا محل لها، والأول: أصح معنًى وأقوى سبكاً. ﴿ءَايَٰتِى﴾: مفعول به أول. ﴿وَرُسُلِى﴾: معطوف عليه، وعلامة النصب فيهما فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الأعمال الصالحات على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها. ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ﴾: انظر شرح (الجنات) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد). وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (يونس) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ففيها ذكر الجنان السبع. هذا؛ وجنة الفردوس قال قتادة: الفردوس: ربوة في الجنة، وأوسطها، وأعلاها، وأفضلها وأرفعها؛ أي: فأوسطها بالنسبة للمكان، وأعلاها باعتبار الدرجات والقصورة، وأفضلها بالنسبة للنعيم الموجود فيها، وأرفعها بالنسبة لمقامها، ومكانتها. قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر. وقال النبي ﷺ: «**إذا سَأَلْتُم الله، فاسألوهُ الفِرْدَوسَ، فإنهُ أَوْسَطُ الجنَّةِ، وأَعلَى الجنةِ، وفوقَهُ عَرْشُ الرحمنِ، وَمِنْهُ تَتَفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ**». انتهى. من حديث طويل أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ وقيل: الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب. وقيل: هي الجنة الملتفة بالأشجار التي تنبت ضروباً من النبات على اختلاف أنواعها، وهو أجود. واختلف فيه، فقيل: هو عربي. وقيل: هو رومي. وقيل: هو فارسي. وقيل: سرياني، وأقول: إنه صار عربياً لاستعمال القرآن له، كما رأيت في ألفاظ كثيرة، انظر الآية رقم [٢] و [٢٣] من سورة (يوسف) على حبيبنا، ونبينا وعليه، وآبائه، وأجداده ألف صلاة، وألف سلام تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ ولم يذكر لفظ ﴿ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾ في غير هذه الآية، والآية رقم [١١] من سورة (المؤمنون). وقال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

وَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ ... جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ

هذا؛ وفردوس اسم روضة في بلاد اليمامة. قال الشاعر، وهو مضرس بن ربعي الأسدي: [الطويل]

وقُلْنَ على الفِرْدَوسِ أَوَّلُ مَشْرَبٍ ... أَجَلْ جَيْرِ إِنْ كانَتْ أُبِيحَتْ دَعَاثِرُهْ

وقال أمية بن أبي الصلت، وقد جمع الفردوس: [البسيط]

كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ آهِلَةً ... فِيهَا الفَرَادِيسُ والفومَانُ والبَصَلُ

هذا؛ وعطف العمل الصالح على الإيمان في الآية وغيرها يوحي بأن العمل قرين الإيمان، وقد لا يجدي الإيمان بلا عمل، وهو ما أفاده قول الرسول ﷺ: «**الإيمانُ والعملُ قرينَانِ، لا يَقْبَلُ اللهُ أحَدَهُمَا بدونِ صَاحِبِهِ**». كما أن الإيمان مشروط لقبول العمل، كما رأيت في الآية

رقم [١٠٣] ويسمى مثل هذا في علم البديع احتراساً. وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (النحل). هذا؛ وانظر شرح (نزلاً) في الآية رقم [١٠٢].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وما بعدها معطوفة عليها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم وهو صفة لمحذوف، التقدير: الأعمال الصالحات. ﴿كَانَتْ﴾: ماض ناقص، والتأء للتأنيث. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بكانت، أو بمحذوف حال من ﴿نُزُلًا﴾ كان صفة له على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩٤] ﴿جَنَّٰتُ﴾: اسم (كان)، و﴿جَنَّٰتُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾: مضاف إليه. ﴿نُزُلًا﴾: خبر (كان). هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿لَهُمْ﴾ متعلقين بمحذوف خبر (كان) تقدم على اسمها، واعتبار ﴿نُزُلًا﴾ حالاً من ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ والأول: أقوى، وجملة: ﴿كَانَتْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية لا محل لها على الاعتبارين.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: الذين آمنوا، وعملوا الصالحات مخلدون في جنات الفردوس، مقيمون لا يموتون، ولا يهرمون، ولا يخرجون منها. ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾: لا يطلبون تحولاً منها إلى غيرها، كما ينتقل الرجل من دار إلى أخرى إذا لم توافقه. هذا؛ و(الحول): مصدر سماعي لـ: «تحول». وفي السمين: والحول: قيل: مصدر بمعنى: التحول، يقال: حال عن مكانه حِولاً، فهو مصدر كالعِوَج، والصِّغر. انتهى. جمل. هذا؛ ومعنى ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ أي: في علم الله تعالى الأزلي، فإنه علم علماً أزلياً أنهم يعملون الصالحات مقرونة بالإيمان الصحيح، فقدرها لهم.

الإعراب: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال مقدرة من الضمير المجرور باللام منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَبْغُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ، الواو فاعله، ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿حِوَلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، فهي حال متداخلة، أو هي حال أخرى تفيد توكيد الخلود. هذا؛ والحال بالنسبة للزمان على ثلاثة أقسام:

حال مقارنة، وهي الغالبة نحو قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾. وحال مقدرة، وهي المستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. وحال محكية، وهي الماضية، نحو: جاء زيد أمس راكباً.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُل﴾: خطاب للنبي ﷺ. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قالت اليهود: يا محمد! تزعم أننا قد، أوتينا الحكمة، وفي كتابك: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ثم تقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فأنزل الله تعالى هذه الآية. هذا؛ و(المداد): الحِبر الذي يستعمل للكتابة، و(كلمات ربي): المراد بها: علمه وحكمه. وقيل: مواعظه. وقيل: معلوماته. وقيل: عنى بها الكلام القديم الذي لا غاية له، ولا منتهى، وهو وإن كان واحداً، فيجوز أن يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فرائد الكلمات، ولأنه ينوب منابها، فجاءت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيماً. قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ وغير ذلك كثير. ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾: عدداً، وزيادةً، وعليه فالمدد غير المداد، وهو الصحيح.

المعنى: لو كان الخلائق يكتبون، وماء البحر حبراً يستعملونه في الكتابة لإحصاء كلمات الله؛ لفني البحر، ولم تفن كلمات الله، ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مدداً وزيادةً؛ لنفد كذلك، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة (لقمان): ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾. انظر شرحها هناك. والآيتان نزلتا بسبب واحد.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱلْبَحْرُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿مِدَادًا﴾: خبرها، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لِّكَلِمَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿مِدَادًا﴾، و(كلمات): مضاف، و﴿رَبِّى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَنَفِدَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (نفد): ماض. ﴿ٱلْبَحْرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب ﴿لَّوْ﴾، لا محل لها. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَنفَدَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿قَبْلَ﴾ إليه، التقدير: قبل نفاد الكلمات.. إلخ، ﴿كَلِمَٰتُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿رَبِّى﴾ مضاف إليه... إلخ، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل لَّوْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، و﴿وَلَوْ جِئْنَا...﴾ إلخ معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مثله، وجواب ﴿لَّوْ﴾ محذوف، التقدير لنفد البحر ومثله معه. ﴿مَدَدًا﴾: تمييز.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠...﴾ إلخ: قال: ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ علَّم الله تعالى رسوله محمداً ﷺ التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره أن يقر، فيقول: أنا آدمي مثلكم، إلا أني خصصت بالوحي، وأكرمني الله به، ولا أعلم إلا ما يعلمني الله تعالى. ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لا شريك له في ملكه، ولا مناوئ له في سلطانه. ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: يرجو رؤيته، وثوابه، ويخشى عقابه. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: مَنْ حصل له رجاء لقاء الله تعالى، وأيقن: أنه راجع إليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: لا يرائي بعمله أحداً من الناس، فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ إني أقِفُ الموقفَ أُريدُ وَجْهَ اللهِ، وأُرِيدُ أن يُرَى مَوْطِني، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ حتى نَزلت: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ...﴾ إلخ. رواه الحاكم، والبيهقي. قال الماوردي: قال جميع أهل التأويل: إن المراد بالآية النهي عن الرياء، كيف لا؟ وأحاديث الرسول ﷺ تصرح بأن الرياء شرك.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقولُ: أنا أغنَى الشركاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عملاً أَشْرَكَ فيهِ غَيْري؛ تَرَكْتُهُ؛ وشِرْكَهُ**». أخرجه مسلم. ولغير مسلم: فأنا منه بريء هو والذي عمله. وعن سعيد بن أبي فضالة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جَمَعَ اللهُ الناسَ لِيَوْمِ لا رَيْبَ فيهِ نَادَى مُنادٍ من كَانَ يُشْرِكُ في عَمَلٍ عملَهُ للهِ أحداً، فَلْيَطْلُبْ ثوابَهُ مِنْهُ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ**». أخرجه الترمذي، وابن ماجه.

وعن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**مَنْ صامَ يُرائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، ومَنْ صَلَّى يُرائي فقد أشرَكَ، ومَنْ تَصَدَّقَ يُرائي فقد أَشْرَكَ**». رواه البيهقي. هذا؛ وهناك أحاديث كثيرة في كتاب «الترغيب والترهيب» في هذا الباب، انظرها فيه إن شئت.

بعد هذا؛ وردت أحاديث ترغب في حفظ سورة (الكهف)، وقراءتها، في جميع الأوقات، وفي يوم الجمعة وليلتها يسن قراءتها بوجه خاص، وروي: أن رجلاً قال لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل، فيغلبني النوم، فقال: إذا أردت أن تقوم أي ساعةٍ شئت من الليل؛ فاقرأ إذا أخذت مضجعك: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى...﴾ إلخ: إلى آخر السورة. فإن الله تعالى يوقظك متى شئت من الليل. انتهى. قرطبي. قلت: وهو مجرب، والحمد لله! وانظر ما ذكرته في أول السورة.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: أمر وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَشَرٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾: صفة بشر، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَيَّ﴾: متعلقان به. ﴿أَنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿إِلَٰهُكُمۡ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَٰهٞ﴾: خبر، ﴿وَٰحِدٞۖ﴾: صفة. هذا؛ والكلام: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ...﴾ إلخ في تأويل مصدر في محل رفع نائب فاعل، ﴿يُوحَىٰٓ﴾. هذا؛ وكف (أنَّ) بما عن العمل لا يخرجها عن المصدرية، وجملة: ﴿يُوحَىٰٓ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿بَشَرٞ﴾، أو في محل نصب حال مِنه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمه ضمير مستتر، وجملة: ﴿يَرۡجُواْ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ﴾: الفاء: واقعة في الشرط. واللام: لام الأمر، و(يعمل): مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل يعود إلى من. ﴿عَمَلٗا﴾: مفعول به. ﴿صَٰلِحٗا﴾: صفته. وانظر باقي الإعراب في الآية رقم [٨٨] فهو مثله بلا فارق، والجملة الاسمية: ﴿فَمَن...﴾ إلخ مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل يعود إلى (من). ﴿بِعِبَادَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿أَحَدَۢا﴾ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٩٤] ﴿أَحَدَۢا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها.

خاتمة: لقد ذكر الرحالة المصري محمد ثابت في كتابه: (جولة في ربوع آسيا) عن السد المذكور في هذه السورة ما يلي:

السور الأعظم (سدُّ يأجوج ومأجوج) لقد تحقق حلم كنت أتمناه طوال السنين، وهو أن تتاح لي الفرصة لزيارة سور الصين، أحد عجائب الدنيا، وكاد يغلب اليأس الرجاء منه، لما أن رفضت جميع شركات السياحة هناك القيام بأية رحلة إليه؛ لأن طريقه أضحى غير مأمون، وكانوا ينصحونني ألَّا أذهب خشية اللصوص، الذين اختطفوا سيارةً بمن فيها من الأمريكان، ولم يمض على الحادث أسبوعان.

لبثت حائراً. ثم اعتزمت الذهاب مهما كلفني ذلك، وقد وقفت إلى زميل ألماني في النُّزل، هو مدرس بمدرسة خربين، حدثته عن السور، فرغب في زيارته، ركبنا قطار الضواحي الصغير زهاء ثلاث ساعات، وبعد أن اجتزنا محطة نانكاوْ الهامة، أخذ القطار يعلو في جبال معقدة، تكسوها الخضرة، واخترق بعض الأنفاق، حتى باغتنا السور، وكأنه إفريز، يطوق الجبال، ويتبعها علواً وانخفاضاً إلى الآفاق.

حللنا محطة السور الأعظم، وهناك أَقَّلتنا الحمير، وسارت بنا في وادٍ كأنه وادي الملوك، صخوره نارية، وحره قائظ، أدى بنا إلى السور، فاعتليناه، فبدت روعته في تغضنه، وامتداده، إلى الآفاق، وهو يتلوَّى كالأفعى، وقد لبثت أسير فوقه ساعتين، والذكريات التاريخية المجيدة تمر بالخاطر، فتكبر القوم تارةً، وتحط من قدرهم أخرى؛ إذ كان يتجلَّى جبروت الإنسان، وبطشه بأخيه الإنسان، وتسخيره فيما لا ينفع.

وقد قرر الخبيرون: أن السور أضخم عمل أنجزته يد الإنسان، يفوق الهرم، وحدائق بابل المعلقة، وهو يطوق الصين من الشمال مبتدئاً من البحر (عند شايْ هايْ كوايَ على خليج لياوتونج) إلى ممر كيايو في التيبت، وطوله في استقامة ١٢٥٥ ميلاً، وبتعرجاته، وشعابه ١٥٠٠ وعلوه يتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ قدماً، وعرضه في أعلاه ١٥ وفي أسفله ٢٥ به ٢٥ ألف برج حربي، و١٥ ألف برج للحراسة، وكأن الصين قد اختصت في بناء الأسوار حتى قال بعضهم: إننا لو جمعنا أسوارهم كلها لطوقنا الكرة الأرضية.

أمر بإقامته الإمبراطور (شِي هوانجْ تِي) الذي اعتلى الملك سنة ٢٢١ قبل الميلاد، ومحا نظام الإقطاع، وقسم البلاد إلى مديريات، وكان كلفاً بالمباني الضخمة، من بينها قصره الذي وسعت ردهته عشرة آلاف نفس، رأى هذا العاهل مناماً أنذره أن الخطر مقبل من الشمال، وقد أيد التاريخ ذلك، فإن كل ما قاسته الصين من المغيرين جاء من تلك الناحية، فأرغم من الناس ثلث الرجال القادرين في الصين كلها، وكثيراً ما عاقب العلماء، وألزمهم بالعمل في السور؛ لأنهم ناوؤوه. وقيل: إنه أحرق كتب العلم، وفلسفة كنفوشيوس لما أن رأى الناس يجلونها، ويكبرون العلماء أكثر من إكبارهم للبراطرة.

ويطلق القوم على السور أحياناً اسم (أطول مقابر الدنيا) لكثرة من ماتوا في بنائه، ولم يتم بناء السور إلا في عهد ليو بانج من أسرة هان، وفي عهد أسر منج دعم السور، وزيد في طوابيه، ولعظيم هذا العمل أحاطه الناس في جميع العصور بخرافات، لا تزال عالقة بالأذهان، منها: أن الإمبراطور كان ساحراً ماهراً، وكان يمتطي جواداً سماوياً اختط طريقه، وكان له سوط سحري، استطاع به أن يزيل الجبال، وينظم صرف مياه الهوانج هو، وكان يستخدم مردة الجن في جلب الأحجار، ويخال البعض أن كنوز البراطرة دفنت بين طياته، والكثير يعتقد: أن السور أقيم سداً في وجه الجن، لا الآدميين ويؤيدون ذلك بكثرة المعبودات البشعة، التي توضع على منافذ السور كلها، وممَّا أثار دهشتي: أن السور يختط، أوعر المسالك؛ إذ يسلك الجبال، والربى العاتية، وهذا يتطلب مجهود الجبابرة.

وقال البعض: إن الأبراج كانت تقام أولاً، ثم يوصل ما بينهما، وعند ممر نانكاوْ، الذي وقفنا قبالته، كان يعلو السور فوق مستوى البحر بنحو أربعة آلاف قدم وفي البقاع التي كانت

تتهددها الرمال، أقاموا سلسلة من أسوار خارج بعضها، وفي امتداده هذا غالب ثلاث صعوبات: الجبال الشاهقة، والصحارى الرملية المجدبة، وطبقات الأرض الهشة (اللويس).

والعجيب: أني لما زرت مقبرة هذا الإمبراطور في مدافن أسرة منج رأيت الناس يقذفونها بالحجارة، فخلتهم يذكرونه بانتصاره على الصخور، التي أقام بها سوره العظيم، على أني علمت أنهم يأتون ذلك حطاً من شأنه، واحتقاراً له؛ لأنه امتهن تقاليد أجداده، وأهان العلم، وأهله حتى إنهم لم يلقبوه بباني السد، بل بمبيد الكتب العلمية، ويذهل المرء كيف استطاع الإمبراطور أن يزود السور بالجنود لحراسته، على طول امتداده، ومن العجيب: أنه لم يغن عنهم في الدفاع فتيلاً؛ إذ اخترقه جنكيز خان سنة ١٩١٢، وكذلك لم يرد غارات المانشو بعد ذلك، ولا يعزو القوم ذلك إلى ضعف في السور نفسه، بل إلى خمود الروح العسكرية بين أفراد شعوب الصين الزراعية، على أني لما ألقيت على السور نظرة الوداع مرَّ بخاطري مظهر الهرم الأكبر، فبدا السور بجانبه ضئيلاً، لم يشعرني بالرهبة، والذهول التي يوحيها هرمنا. انتهى بحروفه.

ممَّا تقدم يلاحظ أنَّ الرحالة أهمل ذكر السد في القرآن الكريم، وأنَّ جعْلَه دَكَّاء إنما هو من علامات الساعة الكبرى، بل هو من مقدماتها، وأنه استبدل اسم ذي القرنين الرجل الصالح، المختلف في نبوته المؤيد من ربه، الموفق في أعماله باسم الإمبرطور (شِي هوانجْ تِي) واستبدل زهده، وورعه، وتقواه بكَلَفِه في المباني الضخمة، من بينها قصره الذي وسعت ردهته عشرة آلاف نفس، واستبدل التماس الناس المجاورين لقوم يأجوج ومأجوج منه إقامة السد بقهر الناس وظلمهم، واستعمالهم بالسد ظلماً، وعدواناً، حتى أطلق على السد اسم (أطول مقابر الدنيا) لكثرة من ماتوا في بنائه.

واستبدل حبه للعلم، وتعظيمه للعلماء بحرق كتب العلم، وفلسفة كنفوشيوس، ومعاقبته للعلماء، وإهانة العلم وأهله، حتى إن الناس لم يلقبوه بباني السد، بل بمبيد الكتب العلمية، واستبدل إتمامه للسد، وقوله: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ بأن بناءه لم يتم إلا في عهد ليوبانج من أسرة هان، وفي عهد أسرة مُنج دعم السور، وزيد في طوابيه (سُبْحَانَكَ ربي هذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) ولولا كلمته في أول مقاله (سد يأجوج ومأجوج) ما أخذت عليه هذه الملاحظات واعتبرت مقاله عن سد غير سد ذي القرنين، واعتبرت سد ذي القرنين لا يزال في العالم المجهول، وفي علم الله الواحد الأحد، استجابة لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ رقم [٩٦] من سورة (الأنبياء)، وقوله تعالى حكاية عن قول ذي القرنين في هذه السورة: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

ولعل الرحالة لم يؤمن بما في القرآن، ولم يعتقد بيوم القيامة، وما يسبقه من علامات، بل ومن مقدمات، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، عليه

توكلت، وإليه أنيب، والسلام على من اتبع الهدى، وجانب العصيان والرَّدى، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة (الكهف) شرحاً وإعراباً

بحمد اللّه، وتوفيقه.

سورة مريم

وهي مكية بالإجماع. وقيل: إلا آية السجدة والتي بعدها، فهما مدنيتان، وهي ثمان وتسعون آية، وثمانون وسبعمئة كلمة، وثلاثة آلاف، وسبعمئة حرف. انتهى خازن. هذا؛ وانظر شرح البسملة، والاستعاذة، وإعرابهما في أول سورة (يوسف) على نبينا، وعليه، وعلى نسبه الشريف الكريم، ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾

انظر الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام. وأذكر هنا: أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال في هذا اللفظ: إن الكاف من: كاف، والهاء من: هاد، والياء من: حكيم، والعين من: عليم، والصاد من: صادق. وقيل: كاف لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم بهم، صادق في وعده. وقال ابن عباس أيضاً: هو اسم من أسماء الله. وقيل: هو اسم للقرآن. وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قسم أقسم الله تعالى به. هذا؛ وفيه قراءات كثيرة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ②﴾

الشرح: المعنى: هذا الذي نتلوه عليك يا محمد ذكر رحمة ربك... إلخ؛ أي: ما رحم الله به زكريا عبده. وانظر شرح: ﴿عَبْدَهُۥ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿ذِكْرُ﴾: قال السمين: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: فيما يتلى عليكم ذكر. الثاني: أنه خبر محذوف المبتدأ، تقديره: المتلو ذكر، أو هذا ذكر، الثالث: أنه خبر الحروف المقطعة، وهو قول يحيى بن زياد، وهو الملقب بالفراء. قال أبو البقاء: وفيه بعد؛ لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى، وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة، ولا في ذكر الرحمة معناها، و﴿ذِكْرُ﴾: مضاف، و﴿رَحْمَتِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف؛ أي: ذكر الله رحمة عبده زكريا، و﴿رَحْمَتِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله عبده، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿زَكَرِيَّآ﴾: بدل من ﴿عَبْدَهُۥ﴾، أو عطف بيان عليه، منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾

الشرح: ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا زكريا ربه دعاء خفياً؛ أي: في السر، وإنما أخفى دعاءه؛ لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان، والإخفاء أشد إخباتاً، وأكثر إخلاصاً. قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ انظر الآية رقم [٥٥] من سورة (الأعراف) أو أخفى دعاءه لئلا يلام على طلب الولد مع كبر السن، أو لئلا يطلع عليه مواليه، الذين خافهم، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته. واختلف في سنه حينئذ، فقيل: خمس وسبعون. وقيل: ثمانون. وقيل: تسع وتسعون. وقيل: غير ذلك. وقال الجلال: كان له مئة وعشرون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿رَحْمَتِ﴾ وأجيز تعليقه بـ: ﴿ذِكْرُ﴾. وقيل: هو بدل اشتمال من ﴿زَكَرِيَّآ﴾. ﴿نَادَىٰ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿زَكَرِيَّآ﴾. ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿نِدَآءً﴾: مفعول مطلق. ﴿خَفِيًّا﴾ صفة له، وجملة: ﴿نَادَىٰ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾: ضعف عظمي، ورق، وإنما ذكر العظم وحده؛ لأنه عمود البدن، وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن؛ تداعى، وتساقط سائر قوته، ولأنه أشد ما فيه، وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه، أوهن، ووحَّده؛ لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، والمراد: أن هذا الجنس الذي هو العمود، والقوام، وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، والضعف، ووهن، يهن من باب: وعد، فهو واهن في الأمر، والعمل، والبدن، ووهنته: أضعفته، يتعدى، ولا يتعدى في لغة فهو موهون البدن، والعظم، والأجود: أنه يتعدى بالهمزة، فيقال: أوهنته.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾: هذا من أحسن الاستعارة وأجملها في كلام العرب، فقد شبه الشيب في بياضه، وإنارته بشواظ من نار، وانتشاره، وفشوه في الشعر باشتعالها، ثم أخرج مخرج الاستعارة، وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة، ولا ترى كلاماً

أفصح من هذا، ألا ترى: أن أصل الكلام: يا رب قد شخت؛ إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن، وشيب الرأس المتعرض لهما.

هذا؛ والشيب، والشيبة: بياض الشعر، والمشيب عبارة عن الحيوان في زمان تكون قوته فيه غير غريزية، أما الشباب فهو الزمن الذي تكون فيه حرارة الحيوان الغريزية مشبوبة؛ أي: قوية مشتعلة. هذا قول الأصمعي. وقال الجوهري: الشيب، والمشيب بمعنى: واحد.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: عودتني الإجابة فيما مضى، وأرجو أن لا تخيبني هذه المرة، يقال: سعد فلان بحاجته: إذا ظفر لها، وشقي إذا خاب ولم ينلها، ومن حق الكريم أن لا يخيب رجاء من قصده، وأنت يا الله أكرم الأكرمين. هذا؛ وقد كرر لفظ (رب) لمزيد التأكيد، والإلحاح في الطلب، والله يحب الملحِّين في الدعاء على عكس ابن آدم الذي يغضب، إن سئل مرة بعد مرة، ورحم الله من يقول: [الكامل]

لا تَسْأَلَنَّ بنيَّ آدمَ حاجةً ... وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجَبُ

الله يغْضَبُ إنْ تركت سُؤالَهُ ... وبنيّ آدمَ حِينَ تَسْألُ يَغْضَبُ

تنبيه: قال مكي بن أبي طالب القيسي: ونداء الرب قد كثر حذف (يا) النداء منه في القرآن الكريم، وعلة ذلك: أن في حذفها من نداء الرب فيه معنى التعظيم له، والتنزيه، وذلك: أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيد؛ فمعناه: تعال يا زَيْدُ! أدعوك يا زَيْدُ! فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر، وينقص؛ لأن (يا) تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف (يا) التعظيم، والإجلال، والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن، والكلام في نداء الرب لذلك المعنى. هذا؛ وانظر الآية رقم [٨] من سورة (الإسراء) لشرحه، واشتقاقه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿زَكَرِيَّآ﴾ عليه السلام. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم المحذوفة في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، وفيه لغات، فمنهم مَنْ يثبت الياء ساكنة، فيقول: يا رَبِّي، ومنهم مَنْ يثبتها ويحركها بالفتحة، فيقول: يا رَبِّيَ، ومنهم مَنْ يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: يا رَبَّا، ومنهم مَنْ يقول: يا رَبُّ بضم الباء، ففيه خمس لغات، ويزاد سادسة، وهي حذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الباء، دليلاً عليها، فيقول: يَا رَبَّ. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿وَهَنَ﴾: ماض. ﴿ٱلْعَظْمُ﴾: فاعله. ﴿مِنِّي﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن العظم، وجملة: ﴿وَهَنَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿وَٱشْتَعَلَ﴾: ماض. ﴿ٱلرَّأْسُ﴾: فاعله. ﴿شَيْبًا﴾: تمييز نسبة. وقيل: هو مفعول مطلق

من معنى (اشتعل)؛ لأن معناه: شاب. وقيل: هو مصدر في موضع الحال، والمعتمد الأول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿أَكُنْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم)، واسمه مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِدُعَآئِكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَقِيًّا﴾ بعدهما، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿شَقِيًّا﴾: خبر ﴿أَكُنْ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، واعتبارها حالاً من ياء المتكلم يؤيده المعنى، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وبعضهم يعتبرها تفسيراً للنداء، ولا بأس به.

﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ أي: من بعدي، وأراد بالموالي: بني عمه، وأقاربه الذين يلونه في النسب، والعرب تسمي بني العم: موالي. قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: [البسيط]

مَهْلاً بَنِي عَمِّنَا، مَهْلاً مَوَالِينَا ... لا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا ما كانَ مدْفونا

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: خاف أن يرثوا ماله، وأن ترثه الكلالة، فأشفق أن يرثه غير الولد. وقالت طائفة: كان بنو عمه أشرار بني إسرائيل، فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته، ويبدلوا عليهم دينهم، وقرئ: (خَفَّتِ الموالي من وَرَائي) بمعنى: قلُّوا، وعجزوا عن إقامة الدين. وهي قراءة شاذة بعيدة جداً، حتى قيل: إنها لا تجوز. ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ أي: لا تلد لكبر سنها، والعاقر أيضاً: التي لا تلد من غير كبر. وهو مشتق من العقر، وهو القطع لقطعه النسل، وكذلك العاقر من الرجال الذي لا يلد، ومنه قول عامر بن الطفيل: [الطويل]

لَبِئْسَ الْفَتَى إنْ كُنْتُ أعورَ عاقِراً ... جَبَاناً، فَما عُذْرِي لَدى كُلِّ مَحْضَرِ

وهي من النوق التي لا تلد أيضاً. قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا

أراد بالعاقر: الناقة التي لا تلد، وبمطفل: الناقة التي لها ولد. ولم تلحق الهاء عاقر؛ لأنها إنما تلحق للفرق بين المذكر، والمؤنث، فما لا يكون للمذكر لا حاجة فيه إلى علامة التأنيث، مثل حائض، وحامل، وطالق، ومرضع، فإن أتي بها، فإنما هو على الأصل. هذا قول أهل الكوفة. وقال أهل البصرة: هذا غير مستمر لأن العرب تقول: رجل أيم، وامرأة أيم، ورجل

عانس وامرأة عانس مع الاشتراك. وقالوا: امرأة مصبية، وكلبة مجرية مع الاختصاص. قالوا: والصواب أن يقال: إن قولهم: حامل، وطالق، وحائض، ونحوها، أوصاف مذكرة، وصف بها الإناث، كما أن الربعة، والراوية، والخجأة، أوصاف مؤنثة وصف بها الذكور. انتهى. مختار الصحاح. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] من سورة (الحج).

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾: فيه سؤال، ودعاء؛ أي: امنحني ولداً صالحاً مرضياً من فضلك، وكرمك، وجودك هذا؛ و﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ جمع: مولى. وانظر شرحه في الآية رقم [٧٦] من سورة (النحل). وانظر شرح (وراء) في الآية رقم [٧٩] من سورة (الكهف). وانظر شرح: ﴿وَلِيًّا﴾ في الآية رقم [٦٣] من سورة (النحل)، وشرح ﴿لَّدُنكَ﴾ في الآية رقم [٨٠] من سورة (الإسراء)، أما ﴿خِفْتُ﴾ فأصله: خَوِفت، فاستثقلت الكسرة على الواو لثقلها، ثم قلبت فتحة الخاء كسرة لتدل على حركة المحذوف، ولو كانت الحركة دليلاً على المحذوف لكانت ضمة.

الإعراب: ﴿وَإِنِّي﴾: الواو: حرف عطف. (إني): حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها، وجملة: ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية معطوفة على سابقتها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿مِن وَرَآءِى﴾: متعلقان بما تضمنه (الموالي) مِنْ معنى الفعل، فإن المعنى: الذين يلون الأمر من بعدي، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن الموالي، أو هما متعلقان بمحذوف، التقدير: خفت فعل الموالي، أوجورهم من ورائي، وهو أصح معنى. تأمل. ﴿وَكَانَتِ﴾: الواو: واو الحال. ﴿وَكَانَتِ﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث. ﴿ٱمْرَأَتِى﴾: اسم كان مرفوع.. إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، ﴿عَاقِرًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَهَبْ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط جازم مقدر. (هب): فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿وَلِيًّا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» ولدن مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِن﴾ والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿وَلِيًّا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَهَبْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك متوقعاً؛ فهب... إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾

الشرح: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ...﴾ إلخ: لقد اختلف في هذا الميراث، فالمعتمد: أنه ميراث العلم، والحكمة؛ لأن الأنبياء لا تورث، وأن زكريا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد وراثة العلم، والنبوة

لا وراثة المال، لما ثبت عن حبيبنا وشفيعنا ﷺ: أنه قال: «**إنَّا مَعَاشرَ الأنْبياءِ لا نُورَثُ ما تَرَكْنا صَدَقة**». هذا؛ ومن قول النبي ﷺ: «**وإنَّ العُلَماءَ وَرَثَةُ الأنْبِياءِ، وإنَّ الأنبيَاءَ لَمْ يُورِّثُوا دِيناراً، ولا دِرْهَماً إنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍّ وافِرٍ**». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ، وهو طويل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ فإن سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه بعده، وإنما ورث منه العلم، والحكمة. هكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن، وكل قول يخالف قول النبي ﷺ فهو مدفوع مهجور، بل ويضرب به عرض الحائط.

والحكمة في أن الأنبياء لا يورثون؛ لأنه قد يقع في قلب الإنسان شهوة موت مورثه ليأخذ ماله. فنزه الله أنبياءه، وأهاليهم عن ذلك، ولئلا يَظنَّ بهم مبطِلٌ: أنهم يجمعون المال لورثتهم، ولأنهم كالآباء لأمتهم فيكون ما لهم لجميع الأمة، وهو معنى الصدقة العامة. هذا؛ وقد اختلف في المراد من يعقوب، فقيل: هو يعقوب بن إسحاق إسرائيل، وكان زكريا متزوجاً بإيشاع أخت مريم بنت عمران. وقيل: إيشاع بنت فاقوذا بن قبيل، وهي أخت حنة بنت فاقوذا، وحنة أم مريم، وأبوها من ولد سليمان بن داود، وهو من ولد يهوذا بن يعقوب، وزكريا من ولد هارون أخي موسى، وهما من ولد لاوي بن يعقوب، والنبوة كانت في أولاده. وقيل: المعني بيعقوب ها هنا يعقوب بن ماثان أخو عمران، بن ماثان أبي مريم، فهما أخوان من نسل سليمان بن داود على نبينا، وحبيبنا، وعليهم جميعاً ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام. ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً في أخلاقه وأفعاله.

الإعراب: ﴿يَرِثُنِي﴾: مضارع. والفاعل يعود إلى ﴿وَلِيًّا﴾ والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿وَلِيًّا﴾ أو هي مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقد قرئ الفعل بالجزم في جواب الطلب. ﴿وَيَرِثُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿وَلِيًّا﴾ ومفعوله محذوف، تقديره: العلم، ونحوه. ﴿مِنْ ءَالِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿ءَالِ﴾: مضاف، و﴿يَعْقُوبَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَٱجْعَلْهُ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣] ﴿رَضِيًّا﴾: مفعول به ثان، والجملة الندائية معترضة بين المفعولين، وجملة: ﴿وَٱجْعَلْهُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَهَبْ لِي...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

تنبيه: ذكرت لك أنه يجوز في جملة: ﴿يَرِثُنِي...﴾ إلخ وجهان: اعتبارها صفة، واعتبارها مستأنفة، وقد استشكل بعضهم الوجه الأول بناءً على أنَّ يحيى قتل قبل والده. كما ستعرفه في الآية رقم [١٤] بأن دعاء النبي قد يتخلف، وذلك؛ لأنه بموته قبله لم يرثه، ومعلوم ما يورث من الأنبياء، ورأى هذا المستشكل أن اعتبار الجملة مستأنفة أقوى، وأجيب بأن دعاء الأنبياء قد

يتخلف، وقد وقع لنبينا محمد ﷺ أنه سأل ربه ثلاثة أمور. فاستجاب له في اثنين، وتأخرت الإجابة في الثالث. وجواب آخر، وهو أنه عليه الصلاة والسلام قد صار في حياة والده مرجعاً مُهِمَّاً لكل من يستفتي في الشريعة الموسوية، القائمة على التوراة.

كما استشكل على اعتبار الجملة مستأنفة بأن مفاد الجملة حينئذ إخبار، وإخبار الأنبياء لا يتخلف قطعاً؛ لأنه قائم مقام: (صدق عبدي في كل ما يبلِّغ عَنِّي) وأجيب بأن هذا الإخبار باعتبار غلبة الظن؛ لأن نبي الله زكريا، لما كان مسناً غلب على ظنه أنه متى وهب له ولد يرثه. وقد ذكرت لك فيما مضى بأن المراد إرث النبوة، والعلم، وقد حصل ذلك في حياته، كما أشرت إليه. انتهى. هذا؛ والأمور الثلاثة التي سألها الرسول ﷺ ربه وردت في حديث الجمل الذي أخرجه ابن ماجه من حديث تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ، وهي: «**سكَّنَ اللهُ رُعْبَ أمتك يوم القيامة كما سكَّنْتَ رعبي، فقلْتُ: آمِين، ثمَّ قال: حقنَ اللهُ دِمَاءَ أُمَّتِكَ مِنْ أعْدَائِهَا، كما حَقَنْتَ دِمِي، فقُلْتُ: آمِينَ، ثم قال: لا جَعلَ اللهُ بأسَهَا بَيْنَهَا فبكَيْتُ، فإنَّ هذه الخِصال سألْتُ رَبِّي فَأعطانِيهَا، ومَنَعَني هذِهِ، وأخبرني جبريل عن الله تعالى: أن فناء أمتي بالسيف**». انتهى. من حديث طويل موجود في كتاب الترغيب والترهيب.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾

الشرح: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾: المعنى فاستجاب الله له دعاءه، فقال: يا زكريا. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ أي: بولد ذكر. وانظر شرحه في الآية رقم [٥٣] من سورة (الحجر). ﴿ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾: سماه الله بذلك؛ لأنه أحياه بالإيمان، والعلم، وإنما تولى تسميته تشريفاً. وقيل: سماه يحيى؛ لأنه حيي بين أب شيخ، وأم عجوز. أو سمي بذلك؛ لأن رحم أمه قد حيي به بعد موته بالعقم. ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ أي: لم يسم أحد بيحيى قبله، ومنّ عليه تعالى بأن لم يكل تسميته إلى الأبوين. وقال مجاهد، وغيره: ﴿سَمِيّٗا﴾ معناه: مثلاً، ونظيراً، وهذا فيه بعد؛ لأنه لا يفضل على إبراهيم، وموسى، اللهم إلا أن يفضل في خاص كالسؤدد، والحصر، كما قال في (آل عمران): ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا﴾ هذا؛ ويقرأ (زكريا) بالقصر والمد (زكرياء)، ومعناه في العبرية: دائم الذكر، والتسبيح.

الإعراب: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (زكريا): منادى مفرد علم مبني على ضم ظاهر على قراءة المد، ومقدر على الألف على قراءة القصر. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿نُبَشِّرُكَ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به. ﴿بِغُلَٰمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿ٱسۡمُهُۥ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿يَحْيَىٰ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل جر صفة (غلام). ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿نَجْعَل﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما، و﴿قَبْلُ﴾: مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنًى. ﴿سَمِيًّا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَمْ نَجْعَل...﴾ إلخ في محل جر صفة ثانية لغلام، أو في محل نصب حال مِنه بعد وصفه بما تقدم. هذا؛ والآية الكريمة كلها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر تقديره في الشرح. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ⁽٨⁾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾: هذا استفهام عن كيفية حدوث الغلام، واستبعاد من حيث العادة، أو استعظام لشأن خلقه، أو هو تعجب من قدرة الله، لا استبعاد، وإنكار، فلا يرد كيف قال زكريا ذلك، ولم يكن شاكاً في قدرة الله تعالى عليه؟. انتهى. جمل في (آل عمران). ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أي: النهاية في الكبر، ونحول الجسم، ودقة العظم، وذهاب القوى، وعتا الشيء: يبس، وقسا. وقال الشاعر: [الخفيف]

إنَّما يُعْذَرُ الوليدُ ولا يُعْـ ـذَرُ مَنْ كان في الزَّمَانِ عِتيَّا

هذا؛ و﴿عِتِيًّا﴾ أصله: عُتُوٌّ، كقعود، فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين، فكسرت التاء تخفيفاً، وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة، والثانية ياء أيضاً لتدغما في بعضهما، فحصل فيه ثلاثة أعمال، وهذا كله على غير قراءة حفص، وفي قراءته بكسر العين أيضاً إتباعاً لكسرة التاء، كقولهم في: عُصِي، وقُسِي: عِصي وقِسِي، فتكون الأعمال أربعة. هذا؛ والعتو: العناد، والطغيان. والعاتي: المجاوز للحد في الاستكبار، والعاتي: الجبار أيضاً. وقيل: العاتي: هو المبالغ في ركوب المعاصي، المتمرد الذي لا يقع منه الوعظ، والتنبيه موقعاً. انتهى. مختار، وخذ قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ وأما ﴿سَمِيًّا﴾ فأصله: (سميوٌ، فاجتمعت الواو، والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت فيها الياء، وهو فعيل بمعنى: مفعول. انتهى جمل. هذا؛ وانظر (عتياً) ومعناه في الآية [٦٩]).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (زكريا). ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام بمعنى: كيف، أو بمعنى: من أين، فعلى الأول: مبني على السكون في محل نصب حال مِن (غلام)، والعامل في الحال ﴿يَكُونُ﴾ وساغ مجيء الحال مِن النكرة

لتقدمها عليها، وقد رأيته كثيراً، وعلى المعنى الثاني، فهو مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر ﴿يَكُونُ﴾ على نقصانه، ومتعلق به على تمامه. ﴿لِي﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿يَكُونُ﴾ تقدم على اسمه، وذلك على الوجه الأول: في ﴿أَنَّىٰ﴾ أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن غلام، وذلك على الوجه الثاني: في ﴿أَنَّىٰ﴾ وأيضاً على اعتبار ﴿يَكُونُ﴾ تاماً. ﴿غُلَٰمٌ﴾: اسم ﴿يَكُونُ﴾ أو هو فاعل به، وجملة: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَكَانَتِ﴾: الواو: واو الحال. (كانت): ماض ناقص، والتاء للتأنيث. ﴿ٱمْرَأَتِي﴾: اسم (كان) مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿عَاقِرًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير؛ و«قد» قبلها مقدرة. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: حرف عطف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿بَلَغْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال مِن ﴿عِتِيًّا﴾ على نحو ما رأيت في الآية رقم [٤] ﴿عِتِيًّا﴾: مفعول به. وقيل: هو مصدر مؤكد لمعنى الفعل؛ لأن بلوغ الكبر في معناه. وقيل: هو مصدر في موضع الحال مِن فاعل ﴿بَلَغْتُ﴾؛ أي: عاتياً، أو ذا عتو. وقيل: هو تمييز، وعلى هذه الأوجه الثلاثة فـ ﴿مِنَ﴾ مزيدة. ذكره أبو البقاء، والأول: هو الأوجه. انتهى جمل نقلاً عن السمين. وقد تصرفت فيه، وجملة: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. هذا؛ والكلام: ﴿رَبِّ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله بدليل الكلام السابق، أو جبريل عليه السلام هو القائل بدليل قوله تعالى بسورة (آل عمران): ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٩] ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾ أي: خلق الولد من أبوين هرمين ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: لا أحتاج فيما أريد أن أفعله إلى الأسباب بأن أرد عليك قوة الجماع، وأفتق رحم امرأتك؛ حتى يصلح للعلوق، والحمل، وقد قال تعالى في سورة (الأنبياء): ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾. ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل خلق يحيى. ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: كنت في العدم وغير موجود في هذه الدنيا. هذا؛ وقد قرئ: (وقد خلقناك) بنون العظمة.

بعد هذا فأصل ﴿هَيِّنٌ﴾ هَيْوِن، فقل في إعلاله: اجتمعت الواو، والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء. وقل مثله في إعلال: سيد، وميت، ونحو ذلك، و﴿تَكُ﴾ أصله: «تكونُ» فلما دخل الجازم صار: «لَمْ تَكُونْ» فحذفت الواو لالتقاء

الساكنين فصار: «لم تَكُنْ» ثم حذفت النون للتخفيف، ولكثرة الاستعمال، وهذا الحذف جائز، وغير لازم، وله شروط: أن يكون مضارعاً ناقصاً مِنْ: كان، وأن يكون مجزوماً بالسكون، وأن لا يكون بعده ساكن، ولا يتصل به ضمير متحرك، كما في الآية الكريمة، وغيرها كثير، وهو وارد في الكلام العربي شعراً، ونثراً، ولا تحذف النون عند فقد أحد الشروط إلا في ضرورة الشعر، كما في قول الشاعر: [الطويل]

إِذَا لـم تَـكُ الـحَـاجَـاتُ مِـنْ هِـمَّـةِ الـفَـتَـى فَـلَـيْـسَ بِـمُـغْـنٍ عَـنْـكَ عَـقْـدُ الـرَّتَـائِـمِ

وقول الخنجر بن صخر الأسدي: [الطويل]

فَـإِنْ لَـمْ تَـكُ الـمـرآةُ أبـدَتْ وِسَـامَـةً فَـقَـدْ أبْـدَتِ الـمـرْآة جـبـهـةَ ضَـيْـغَـم

هذا؛ وقد قرئ شاذًّا قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ إلخ ولم تحذف النون في قول أبي الأسود الدؤلي لجريانه على القاعدة: [الطويل]

دَعِ الـخـمـرَ تَـشْـرَبْـهَـا الـغُـوَاةُ فـإنَّـنِـي رَأَيْـتُ أَخَـاهـا مُـجْـزِئـاً بـمـكَـانِـهَـا
فَـإلَّا يَـكُـنْـهَـا أوْ تَـكُـنْـهُ فـإنـهُ أَخُـوهَـا غَـذَتْـهُ أُمُّـهُ بِـلِـبَـانِـهَـا

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو»، انظر الشرح. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر كذلك. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده. وقيل: الكاف مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أفعل مثلَ ما طلبتَ. فتكون الكاف مضافاً، واسم الإشارة في محل جر بالإضافة. والمعتمد الأول، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: ماض، وفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيَّ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿هَيِّنٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، وفيها معنى التأكيد لما قبلها، أو هي تعليل للقول الأول. وانظر الآية رقم [٢٠] يتضح لك ذلك. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَقْتُكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم): حرف جازم. ﴿تَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). وانظر شرحه، واسمه مستتر تقديره: «أنت». ﴿شَيْـًٔا﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والرابط: الواو، والضمير المذكور بسابقتها، أو هي حال ثانية، فتكون حالاً متداخلة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: زكريا. ﴿ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾: علامة أعرف بها الحمل، لأستقبله بالفرح، والسرور، والشكر للرب الغفور. وانظر الآية رقم [١] من سورة (الحجر) لشرح آيات. ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ...﴾ إلخ: أي: قال الله تعالى: العلامة على حمل امرأتك عدم قدرتك على الكلام مع كونك سليماً من عاهة الخرس، والبكم مدة ثلاث ليال، وإنما ذكر الليالي هنا والأيام في الآية رقم [٤١] من سورة (آل عمران) للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس، والتجرد للذكر، والشكر ثلاثة أيام مع لياليهن. هذا؛ وقد قال تعالى في آل عمران ﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ أي: إشارة بيد، أو عين، أو حاجب، أو رأس.

فائدة: وإنما عبر هنا بالليالي، وفي آل عمران بالأيام؛ لأن هذه السورة مكية، والمكي سابق على المدني، والليل سابق على النهار، فأعطى السابق للسابق، وسورة (آل عمران) مدنية، والمدني متأخر عن المكي، والنهار متأخر عن الليل، فأعطي المؤخر للمؤخر. انتهى. جمل عن شيخه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى زكريا. ﴿رَبِّ﴾: انظر إعرابه في الآية رقم [٣] ﴿ٱجۡعَل﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّيٓ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ءَايَةٗ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية، والندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ءَايَتُكَ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، (أن): حرف مصدري، ونصب. (لا): نافية. ﴿تُكَلِّمَ﴾: مضارع منصوب بـ: (أنْ)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿ثَلَٰثَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿ثَلَٰثَ﴾: مضاف، و﴿لَيَالٖ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿سَوِيّٗا﴾: حال مِن فاعل ﴿تُكَلِّمَ﴾ المستتر، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه من صفة الليالي، بمعنى: أنها كاملات، فيكون نصبه على النعت للظرف. انتهى سمين. هذا؛ و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل رفع خبر المبتدأ، التقدير: آيتك عدم الكلام... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾

الشرح: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ أي: من الموضع الذي كان يصلي فيه، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه؛ حتى يفتح لهم، فيدخلون، ويصلون؛ إذ خرج إليهم

زكريا عليه السلام متغيراً لونه، فأنكروا ذلك عليه، وقالوا: مالك. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار إليهم، وهو معنى ﴿رَمْزًا﴾ المذكور في (آل عمران). ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: صلوا لله، ونزهوه، وقدسوه طرفي النهار؛ أي: في الصباح، والمساء. هذا؛ و﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾ مأخوذ من المحاربة، كأن ملازم يحارب الشيطان، والشهوات، ولذلك يقال لكل محل من محال العبادة: محراب. وانظر (الغداة) و(العشي) في الآية رقم [٢٨] من سورة (الكهف)، والمحال عليها من سورة (الرعد). وانظر شرح (قوم) في الآية رقم [١٣] من سورة (النحل). وينبغي أن تعلم: أن المدة التي مضت بين البشارة بيحيى عليه السلام وبين حمل أمه به هي ثلاث عشرة سنة. وقال الجمل: وبين وجوده في الخارج بالفعل؛ أي: ولادته. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿فَخَرَجَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (خرج): ماض، وفاعله يعود إلى زكريا. ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: متعلقان به أيضاً، وجملة: ﴿فَخَرَجَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (أوحى): ماض، والفاعل يعود إلى زكريا أيضاً. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَن﴾: حرف تفسير. ﴿سَبِّحُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية مفسرة لا محل لها. ﴿بُكْرَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿وَعَشِيًّا﴾: ظرف زمان معطوف على ما قبله. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿أَن﴾ مصدرية تؤوّل مع الفعل بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بتسبيحه. والأول: أقوى؛ لأن ﴿أَن﴾ مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰيَحْيَىٰ...﴾ إلخ: في الكلام حذف يدل عليه المقام؛ إذ التقدير: فولد له ولد، وقال الله له: يا يحيى.. إلخ: والمراد: بـ: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة بلا خلاف، ومعنى ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد، واجتهاد. وهذا يتطلب حفظه والعمل به، والالتزام لأوامره، والكف عن نواهيه. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: الأحكام والمعرفة بها. روى مَعْمَر أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما لِلَّعب خلقت. هذا؛ وقيل: كان ابن سنتين، أو ثلاث سنين حين أعطاه الله النبوة، وهذا من خوارق العادات للأنبياء. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم، فهو ممن، أوتي الحكم صبياً. وروي في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا ما كان من يحيى بن زَكَرِيَّا**». وانظر شرح: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (آل عمران).

الإعراب (يا): حرف نداء ينوب مناب: «أدعو». (يحيى): منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف للتعذر في محل نصب بـ: (يا). ﴿خُذِ﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿بِقُوَّةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: مفعول به ثان. ﴿صَبِيًّا﴾: حال من الضمير المنصوب، وجملة: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ...﴾ إلخ مستأنفة، وعند التأمل يتبين لك: أن الآية كلها في محل نصب مقول القول، انظر الشرح.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: ورحمة منا عليه، أو رحمةً، وتعطفاً في قلبه على أبويه وغيرهما من الناس. هذا؛ والحنان: الشفقة، والرحمة، والمحبة، وهو فعل من أفعال النفس، وأصله من حنين الناقة على ولدها، وهو محال في حقه جل ذكره بهذا المعنى. وقال أبو عبيدة: والعرب تقول: حنانَك يا ربُّ، وحَنانَيْكَ يا رَبُّ بمعنى: واحد، تريد: رحمتك. وقال امرؤ القيس: [الوافر]

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمَجَى بنِ جَرْمٍ مَعِيزُهُمُ حنَانَكَ ذا الحَنانِ

معناه: رحمتك يا رحمن! وقال طرفة بن العبد من قصيدة خاطب بها عمرو بن هند الملك حين أمر بقلته: [الطويل]

أَبَا مُنذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

معناه: تحنن علينا. وقال الحطيئة يخاطب عمر ـ رضي الله عنه ـ: [المتقارب]

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيكُ فَإنَّ لِكُلِّ مقامٍ مقالا

وحنة الرجل، وحنانه: امرأته لتوادهما. قال منذر بن درهم الكلبي: [الطويل]

فَقَالَتْ حَنانٌ: ما أتى بكَ هاهنَا؟ أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحيِّ عَارِفُ؟

﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: من عندنا. وانظر شرح (لدن) في الآية رقم [٨٠] من سورة (الإسراء). وانظر (نا) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر). ﴿وَزَكَوٰةً﴾: الزكاة: التطهير، والبركة، والتنمية في وجوه الخير والبر. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: مطيعاً لله تعالى، ولهذا لم يعمل خطيئة، ولم يهم بها كما قد رأيت.

الإعراب: ﴿وَحَنَانًا﴾: معطوف على الحكم. ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: متعلقان بـ: (حناناً)، أو بمحذوف صفة له، و(لدن) مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِّن﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَزَكَوٰةً﴾: معطوف على ما قبله، ومتعلقه محذوف اكتفاء بما قبله، وجملة: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ معطوفة على جملة: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: محسناً إليهما، لطيفاً بهما؛ لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين. وفي قوله: (والديه) تغليب الأب على الأم. ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبراً، طاغياً، متغطرساً. ﴿عَصِيًّا﴾: هو أبلغ من العاصي، والمراد: وصف يحيى عليه السلام بالتواضع، ولين الجانب، وخفض الجناح لأبويه، وللناس أجمعين، وأصله: عصييا بوزن فعيل، فأدغمت الياء في الياء، وأتي بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل، وليس المقصود المبالغة، بل المقصود نفي أصل العصيان.

الإعراب: ﴿وَبَرًّا﴾: معطوف على خبر (كان). ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما؛ لأنه اسم فاعل، وعلامة الجر الياء؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم): حرف جازم. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص، واسمه يعود إلى يحيى. ﴿جَبَّارًا﴾: خبر ﴿يَكُن﴾. ﴿عَصِيًّا﴾: خبر ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (كان...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

الشرح: المعنى: وأمان ليحيى عليه السلام من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان، كما ينال سائر بني آدم، وأمان له يوم يموت من عذاب القبر، وأمان له يوم يبعث حياً من عذاب يوم القيامة، فأكرمه الله تعالى بالأمان في هذه المواطن كلها، وهي، أوحش ما يكون الخلق فيها، وأشد خوفاً من غيرها. هذا؛ وقد قال الله هنا منكِّراً. وقال في قصة عيسى عليه السلام معرَّفاً؛ لأن ما هنا من الله تعالى، والقليل منه جل ذكره كثير، وما هنالك من عيسى نفسه، وأل فيه للاستغراق، أو للعهد، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ أي: ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إليَّ. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿وَسَلَامٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (سلام): مبتدأ. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بـ: (سلام) أو بمحذوف صفة له. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. هذا؛ واعتبر أبو البقاء ﴿عَلَيْهِ﴾ متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿يَوْمَ﴾: متعلقاً بالخبر أيضاً، ولكن إذا عرفت أن الخبر ما تتم به الفائدة ظهر لك: أن الأول: أحق بالاعتبار، و(يوم) مبني لإضافته لمبني. ﴿وُلِدَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (يحيى) والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿وَيَوْمَ﴾ معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَمُوتُ﴾ في محل جر بإضافة (يوم) إليها أيضاً ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ﴾ مثلها. ﴿حَيًّا﴾: حال مِن نائب الفاعل المستتر، والجملة الاسمية هي من مقول الله تعالى.

خاتمة: لقد عرفت: أن زكريا ـ عليه السلام ـ قد شاخ، وكبر. وأن امرأته قد بلغت سن الشيخوخة، وتجاوزت سن اليأس من الحمل بالولد، وينبغي أن تعلم: أن الذي حفزه وشجعه على طلب الولد من الله هو ما رآه من إكرام الله لمريم التي كفلها، وأشرف عليها؛ حيث رآها تأكل فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فعلم: أن القادر على ذلك قادر على الإتيان بالولد على الكبر، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧] من سورة (آل عمران) وما بعدها.

فولد يحيى عليه السلام، وتولاه ربه، ورعاه برعايته، وحفظه من المعاصي والسيئات، وكمله، وجمله بأحسن الصفات، وكريم الأخلاق، وقد ساد الناس في عبادة الله، وطاعته، وقد برع في الشريعة الموسوية، وصار مرجعاً مُهِمًّا لكل من يستفتي في أحكامها، وكان أحد حكام فلسطين في عهده يقال له: هيرودس، وكانت له بنت أخ، يقال لها: هيروديا بارعة الجمال، أراد عمها أن يتزوجها، وكانت البنت وأمها تريدان ذلك، غير أن يحيى عليه السلام لم يرض عن هذا الزواج؛ لأنه محرَّم، فانتهزت أم الفتاة إخراج بنتها إلى عمها في زينتها، فرقصت أمامه، فسُرَّ منها وطلب إليها أن تقول ما تتمناه ليعمله لها، وكانت أمها قد لقنتها أن تطلب منه رأس يحيى بن زكريا في هذا الطبق إذا سألها عمها أن تقول ما تتمناه، فقال: ويحك سليني غير هذا! قالت: لا أسألك غيره، فلما أبت عليه بعث إليه، فأتي برأسه في الطبق، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه، وهو يقول: لا تحل لك، فلما أصبح إذا دمه يغلي، ويفور، فأمر بتراب فألقي عليه، فارتفع الدم فوقه، فلم يزل يغلي ويفور؛ حتى أتى بختنصر كما ستعرفه.

فلما سمع زكريا عليه السلام أن ابنه يحيى قد قتل انطلق هارباً في الأرض حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الأشجار، فنادته شجرة يا نبي الله إلى هنا! فلما أتاها انفتقت له الشجرة، ودخل في وسطها، وانضمت عليه، فأخذ إبليس أخزاه الله بطرف ردائه، فأخرجه من شقها، وأخذ الملك وأعوانه يبحثون عن زكريا عليه السلام حتى أتوا البستان، فدلهم إبليس على الشجرة التي دخلها زكريا، وأراهم طرف ردائه، فأخذوا المناشير ونشروا الشجرة نصفين، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض علجاً مجوسيّاً، فانتقم الله به من بني إسرائيل بدم يحيى وزكريا على نبينا، وحبيبنا، وعليهما ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام، فقتل عظماءهم، وسبى منهم مئة وسبعين ألفاً. انتهى. من قصص الأنبياء للنجار، وللثعلبي بتصرف كبير. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥] من سورة (الإسراء)، وهكذا كان خبث بني إسرائيل، وخروجهم عن طاعة الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقد نوَّه القرآن الكريم بذلك في كثير من آياته، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

تنبيه: وينبغي أن تعلم أن قتل هذين النبيين كان في حياة عيسى، وأنهم كانوا جميعاً في زمن واحد، ولم يذكر أحد عمر يحيى عليه السلام، غير أن عبد الوهاب النجار قال: ولما بلغ المسيح: أنَّ يحيى قد قتل جهر بدعوته وقام في الناس واعظاً. انتهى. وإذا علمت أن يحيى،

وعيسى متقاربان في زمن ولادتهما، وأن عيسى قد رفع، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة تبين لك أن يحيى لم يعش ثلاثين عاماً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على حبيبنا، وشفيعنا محمد وعلى يحيى، وزكريا، وعيسى وجميع الأنبياء، والمرسلين، وسلم.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الخطاب لسيد الرسل ﷺ، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في القرآن. ﴿مَرْيَمَ﴾: المراد قصة مريم، وما تضمنت من آيات، وعبر. ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: تنحت، وتباعدت عن قومها. هذا؛ والنبذ: الطرح، والرمي. قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ والانتباذ: الاعتزال، والانفراد، وهو المراد هنا. واختلف لم انتبذت؟ قال الخازن: كان ذلك في يوم شاتٍ شديد البرد، فجلست في مشرق بيت المقدس تفلي رأسها. وقيل: تغتسل. وقيل: لتعبد الله، وهذا أحق بالاعتبار، وأولى. ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: مكاناً في الجهة الشرقية، ولهذا اتخذت النصارى المشرق قبلة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إني لأعلمُ النَّاسِ لم اتخذ النصارى المشرق قبلة لقوله عز وجل: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ فاتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة. وقالوا: لو كان شيء من الأرض خيراً من المشرق لوضعت مريم عيسى عليه السلام فيه. واختلف في نبوة مريم، فقيل: كانت نبية بهذا الإرسال، والمحاورة لِلْمَلَك، والمعتمد: أنها لم تكن نبية، وإنما هي ولية. انظر ما ذكرته في هذا الصدد في الآية رقم [٤٢] من سورة (آل عمران). وانظر نذر أمها لها، وكفالة زكريا لها في الآية رقم [٣٥] وما بعدها من سورة (آل عمران) تجد ما يسرك. ومريم بالعبرية بمعنى: الخادم ثم سمي به كثير من النساء، ومريم في لسان العرب: هي التي تكره مخالطة الرجال، ولم تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن الكريم إلا مريم، وقد ذكرت فيه في ثلاثين موضعاً. هذا؛ وفي القاموس المحيط: المريم هي التي تحب مخالطة الرجال، ولا تفجر، وهذا يناقض ما قبله. قال الشاعر: [الطويل]

وَزَائِرةٍ لَيلاً كَما لاح بَارِقٌ تَضَوَّعَ منها لِلْكِساءِ عَبِيرُ
فَقُلْتُ لَها: أهلاً وسهلاً أَمَرْيَمُ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ مَنْ أَنْتَ؟ قلْتُ لها: زِيرُ

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف عطف قصة مريم على قصة زكريا ويحيى عليهما السلام. (اذكر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان به. ﴿مَرْيَمَ﴾: مفعول به، وانظر الشرح. ﴿إِذِ﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب بدلاً من ﴿مَرْيَمَ﴾ لأن الأحيان مشتملة على ما فيها؛ لأن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لوقوع هذه القصة العجيبة فيه. قاله الزمخشري. وقيل: هو منصوب بالمحذوف المضاف

لـ: ﴿مَرْيَمَ﴾. وقيل: هو منصوب باذكر، وذكر أبو البقاء، أوجهاً أربعة: أحدها: أنها ظرف العامل فيها محذوف، تقديره: اذكر خبر مريم إذ. والثاني: أن تكون حالاً من المضاف المحذوف. الثالث: أن تكون منصوبة بفعل محذوف؛ أي: وبين إذ. والرابع: أن تكون بدلاً من مريم بدل اشتمال. والمعتمد الأول. ﴿انتَبَذَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر يعود إلى ﴿مَرْيَمَ﴾ والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذِ﴾ إليها. ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، و(ها) في محل جر بالإضافة. ﴿مَكَانًا﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، ويجوز أن يكون مفعولاً به على أنَّ معنى ﴿انتَبَذَتْ﴾ أتت مكاناً. أفاده السمين. ﴿شَرْقِيًّا﴾: صفة مكاناً، وجملة: ﴿وَاذْكُرْ...﴾ إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين بالواو.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: وضعت، وضربت بينها وبين قومها ستراً يمنعهم من رؤيتها. وقيل: جلست وراء جدار. وقيل: قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها، وكانت إذا حاضت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها امرأة زكريا، وتعود إليه إذا طهرت، فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة شاب أمرد، سوي الخلق لتأنس بكلامه، ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها. هذا؛ وقد عبر سبحانه عن جبريل بالروح، وأضافه إلى نون العظمة تشريفاً له، وتكريماً، وتمثله لها بصورة شاب حسن الصورة شبيه بتمثله للنبي ﷺ بصورة دحية الكلبي.

الإعراب: (اتخذت): ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى مريم. ﴿مِن دُونِهِمْ﴾: متعلقان به، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿حِجَابًا﴾ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٤]، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿انتَبَذَتْ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، ﴿إِلَيْهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رُوحَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿فَتَمَثَّلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى روحنا. ﴿لَهَا﴾: متعلقان به. ﴿بَشَرًا﴾: حال موطئة للصفة بعدها، وهو: ﴿سَوِيًّا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ: وقولها هذا كان حين رأت جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد، والمعنى: إني أستجير بالرحمن منك أن تبتعد عني إن كنت ممَّن يتقي الله ويخافه. فدل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على شدة عفتها، وكمال ورعها، وتعوذها منه إن كان تقياً على

حد قول القائل: إن كنت مؤمناً؛ فلا تظلمني. قيل: نكص جبريل فزعاً من ذكر الرحمن تبارك وتعالى. هذا؛ وقيل: «تقي» اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت، وليس بشيء، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى مريم. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَعُوذُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، ﴿بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعُوذُ﴾ والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها. ﴿تَقِيًّا﴾: خبرها، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فاتركني، وابتعد عني، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾

الشرح: قال جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠...﴾ إلخ: أسند الهبة إلى نفسه، وإن كانت من الله تعالى؛ لأنه أرسل به. ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة، ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَسُولُ﴾: خبره، و﴿رَسُولُ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكِ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿لِأَهَبَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿رَسُولُ﴾؛ لأنه بمعنى: مرسول. ﴿لَكِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿غُلَٰمًا﴾: مفعول به. ﴿زَكِيًّا﴾: صفة له، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ فهي تسأل: بأي كيفية يكون الغلام؟ من قبل زوج في المستقبل، أم يخلقه الله ابتداء؟ ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: لم يقربني زوج. ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي: زانية. تريد: أن الولد إنما يكون من نكاح، أو سفاح، ولم يكن هاهنا واحد منهما. هذا؛ ولم تلحق ﴿بَغِيًّا﴾ التاء؛ لأنه للمبالغة، أو للنسبة. وانظر ﴿عَاقِرًا﴾ في الآية رقم [٥] وانظر ﴿تَكُ﴾ في الآية رقم [٩] فـ: ﴿أَكُ﴾ مثله. والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿مَرْيَمَ﴾ عليها السلام. ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ انظر الآية رقم [٧] ففيها الكفاية. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف جازم. ﴿يَمْسَسْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿بَشَرٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم): حرف جازم. ﴿أَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه سكون النون المحذوفة، واسمه مستتر تقديره: «أنا». ﴿بَغِيًّا﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والكلام: ﴿أَنَّىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ أي: الأمر حاصل، وواقع مثل ذلك. ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾ أي: خَلْقُ الولد من غير أب. ﴿هَيِّنٌ﴾: غير صعب. ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: علامة على كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر وأنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. انتهى. جمل. ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: لمن تبعه على دينه الصحيح إلى بعثة محمد ﷺ، ولكن كان خلقه نقمة وضلالاً لأكثر الخلق، كما هو معروف ومشاهد، ولا تمتلئ جهنم بجميع دركاتها إلا ممن كذبه، أو أخطأ طريق الهدى والإيمان بسبب خلقه بدون أب. ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذا؛ وقدم الجار والمجرور: ﴿عَلَيَّ﴾ على ﴿هَيِّنٌ﴾ هنا وأخّره عن ﴿أَهْوَنُ﴾ في الآية رقم [٢٧] من سورة (الروم) لقصد الاختصاص هنا بخلافه هناك، فلا معنى للاختصاص، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وأصل ﴿مَّقْضِيًّا﴾ مَقْضُوياً بزنة مفعول، اجتمعت الواو، والياء، وسبقت، إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء على القاعدة، وأدغمت في الياء وكسرت الضاد لتصح الياء، وأصل بغياً بَغُوياً فعل به مثل ما فعل بـ: ﴿مَّقْضِيًّا﴾ وكسرت الغين أيضاً لمناسبة الياء، فلما كان بزنة فعول لم تلحقه التاء. هذا؛ وقد قال مكي: فلما أتى (بغي) بغيرها علم أنه فعول، وليس بفعيل، وهو قول المبرد. وقال ابن جني: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لقيل: بغوٌّ، كما قيل: فلان نهوٌّ عن المنكر. وقال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

ولا تـلـي فـارِقَـةٌ فَـعُـولا أصـلاً، ولا الـمِـفـعـالَ والْـمِـفـعـيـلَا

انتهى. جمل، ولكن ما ذكرته هناك من سبب أقوى؛ لأنه بمعنى: فاعل، لا بمعنى: مفعول، كما ذكر هنا.

الإعراب: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ انظر الآية رقم [٩] فالإعراب واحد لا يتغير. ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» والهاء مفعول به أول. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به ثان، ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿ءَايَةً﴾ و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: ونخلقه، أو نفعل ذلك لنجعله. وقال الجلال: معطوف على ما قبله؛ لأنه بمعنى: العلة. ولا وجه له. وقيل: معطوف على محذوف، التقدير: لنبين، ولنجعله. ﴿وَرَحْمَةً﴾: معطوف على آية. ﴿مِّنَّا﴾: متعلقان بـ: (رحمة)، أو بمحذوف صفة لها، وجملة: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مستأنفة، لا محل لها، واسم كان محذوف، التقدير: وكان خلقه من غير أب أمراً، ﴿مَّقْضِيًّا﴾: صفة أمراً.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي: حملت بعيسى عليه السلام. قيل إن جبريل عليه السلام رفع درعها؛ أي: ثوبها. فنفخ في جيبه، فحملت حين لبسته. وقيل: نفخ في كمها. وقيل: في ذيلها. وقيل: في فيها. وقيل: نفخ من بعيد، فوصل النفخ إليها. قال الطبري: وزعمت النصارى: أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وأن عيسى عليه السلام عاش إلى أن رُفع اثنتين وثلاثين سنة، وأياماً، وأمُّه مريم ـ عليها السلام ـ بقيت بعد رفعه ست سنين، فكان جميع عمرها نيفاً وخمسين سنة.

واختلف في مدة الحمل: فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان الحمل والولادة في ساعة واحدة. وقال القرطبي: وهذا هو الظاهر؛ لأن الله ذكر الانتباذ عقب الحمل. وقيل: كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء. وقيل: كانت مدة حمله ثمانية أشهر، وذلك آية أخرى له؛ لأنه لا يعيش ولد لثمانية أشهر.

وقال وهب: إن مريم لما حملت بعيسى، كان معها ابن عم لها، يقال له: يوسف النجار وكانا يخدمان المسجد، ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادةً، واجتهاداً منهما، وأول من علم بحمل مريم يوسف، فبقي متحيراً في أمرها، كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها، وصلاحها، وأنها لم تغب عنه، وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل، فأول ما تكلم به أن قال: إنه وقع في نفسي من أمرك شيء، وقد حرصت على كتمانه، فغلبني ذلك، فرأيت أن أتكلم به أشفى لصدري. قالت: قل قولاً جميلاً.

قال: أخبريني يا مريم، هل ينبت زرع بغير بذر؟ وهل ينبت شجر بغير غيث؟ وهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر؟ ألم تر أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث؟ أو تقول أن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها. قال يوسف: أنا لا أقول هذا، ولكني أقول: إن الله تعالى قادر على كل شيء، يقول له: كن فيكون. قالت له مريم: ألم تعلم أن الله خلق آدم، وامرأته من غير ذكر، ولا أنثى، فعند ذلك زال ما عنده من التهمة، وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل، فلما دنت، ولادتها، أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك. انتهى خازن. وهذا يفيد أن مدة الحمل متطاولة، والمشهور: أن مريم عليها السلام، كانت مخطوبة لابن عمها يوسف المذكور، والله أعلم بحقيقة الحال. هذا؛ وانظر لشرح (انتبذت) في الآية رقم [١٦]. ﴿قَصِيًّا﴾: بعيداً. من أهلها، وراء الجبل، إلى أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، وإنما بعدت، وتنحت فراراً من تعيير قومها إياها بالولادة من غير زوج.

الإعراب: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (حملته): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى مريم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وهي في الحقيقة معطوفة على جملة محذوفة، انظر الشرح. وانظر إعراب مثل: ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ في الآية رقم [١٦] والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجار والمجرور: ﴿بِهِۦ﴾ متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر، التقدير: انتبذت؛ وهو معها في بطنها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ...﴾ إلخ: أي: ألجأها شدة الطلق إلى ساق النخلة لتعتمد عليه، ولتستر به، وكان جذعاً يابساً لا رأس له، ولا ورق فيه، وكان الوقت شتاءً، فلما اعتمدت عليه؛ اخضر، وأطلع الجريد، والخوص، والثمر الطيب في وقت واحد، سبحانه وتعالى من إله قادر مقتدر، وأل التعريف، إما للجنس، وإما للعهد؛ إذ لم يكن ثمة غيرها، وكانت كالمتعالم عند الناس. هذا؛ والفعل: (أجاء) منقول من جاء، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، والاضطرار، ونظيره: آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، وهو منقول من: أتى بمعنى: جاء. هذا؛ ويقرأ: (فاجأها) من المفاجأة، ويقرأ ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ بفتح الميم وكسرها.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ أي: اليوم، أو الحمل، أو الولادة، تمنت الموت استحياء من الناس، وخوفاً من الفضيحة، وتعيير أهلها بها، وذلك يكون فيه هتك لكرامتهم، وحط لشرفهم. هذا؛ و﴿مِتُّ﴾ يقرأ بكسر الميم، وضمها. ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ أي: ما من شأنه أن ينسى،

والنسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى، ولا يتألم لفقده كالوتد، والحبل للمسافر، ونحوه. وقال الفراء: النَّسِيُّ: ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها. وهو يعني: خرق حيضها، ويقرأ ﴿نَسْيًا﴾ بقراءات كثيرة، ﴿مَّنسِيًّا﴾: هو بمعنى: الأول، وهو في إعلاله مثل: ﴿مَّقْضِيًّا﴾ في الآية رقم [٢١].

الإعراب: ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (أجاءها): ماض، و(ها): مفعول به. ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَىٰ جِذْعِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، ويؤيده المعنى. تأمل، و﴿جِذْعِ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّخْلَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى مريم. (يا): حرف تنبيه. وقيل: أداة نداء، والمنادى محذوف، التقدير: يا قوم، ونحوه. وهو ضعيف. (ليتني): حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿مِتُّ﴾: فعل، وفاعل وفي الحقيقة: فعل ونائب فاعله؛ لأن الإنسان لا يموت بنفسه. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿قَبْلَ﴾: مضاف، و﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له، وجملة: ﴿مِتُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (ليت)، وجملة: ﴿يَٰلَيْتَنِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها حالاً جيد، وتكون «قد» قبلها مقدرة. ﴿وَكُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمها. ﴿نَسْيًا﴾: خبرها. ﴿مَّنسِيًّا﴾: توكيد لما قبله، أو هو صفة، وجملة: ﴿وَكُنتُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿مِتُّ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾: يقرأ بفتح الميم وكسرها. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد بـ: (مَنْ) جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها. وقاله علقمة، والضحاك، وقتادة، ففي هذا لها آية، وأمارة: أن هذا من الأمور الخارقة للعادة التي لله فيها مراد عظيم. انتهى. قرطبي. قيل: كانت على أكمة، وجبريل وراء الأكمة. وقيل: إن الذي ناداها هو عيسى عليه السلام. ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ أي: من أجل، ولادتك. ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: المراد به: عيسى، والسري من الرجال: العظيم الخصال، الكريم الفعال، وكان عيسى عليه السلام من أعظم الرجال، كيف لا؟ وهو من الرسل أولي العزم الكرام. وقيل: المراد به: نهراً سرياً؛ أي: جارياً، وكان قد جف ماؤه، فأجراه الله لمريم عليها السلام تكريماً لها. وقيل: ضرب عيسى ـ وقيل: جبريل ـ برجله في الأرض، فظهرت عين ماء عذبة، وجرت. هذا؛ والسري: النهر جاء في قول لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ من معلقته: [الكامل]

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وصَدَّعَا ... مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلَّامُهَا

الإعراب: ﴿فَنَادَىٰهَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ناداها): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وها: في محل نصب مفعول به. ﴿مِن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿تَحْتِهَآ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، وعلى اعتبار ﴿مِن﴾ حرف جر، فالجار والمجرور متعلقان بما قبلهما، وعليه فالفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى جبريل، أو إلى عيسى عليهما السلام. و(ها) في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَّا﴾: (أن): مفسرة. (لا): ناهية. ﴿تَحْزَنِى﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وياء المخاطبة فاعله، والجملة الفعلية مفسرة للنداء لا محل لها. هذا؛ وأجيز اعتبار (أن) ناصبة، و(لا) نافية فيكون الفعل منصوباً، لا مجزوماً. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَعَلَ رَبُّكِ﴾: ماض، وفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية تعليل للنهي، لا محل لها. ﴿تَحْتَكِ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿سَرِيًّا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَنَادَىٰهَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهو أقوى من العطف على ما قبلها.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُزِّىٓ...﴾ إلخ: هزي، وحركي نحوك جذع النخلة التي أحياها الله لك، فأورقت، وأثمرت وأنت تنظرين إليها في ساعة واحدة. ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾ أي: يسقط عليك من ثمرها الطيب. وفي الفعل ﴿تُسَٰقِطْ﴾ تسع قراءات. ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾: الجني ما طاب، وصلح للاجتناء، وهو فعيل بمعنى: فاعل، وهو بمعنى: طرياً. قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل. وقيل: إذا عسر، ولادها لم يكن لها خير من الرطب.

الإعراب: ﴿وَهُزِّىٓ﴾: الواو: حرف عطف. (هزي): أمر مبني على حذف النون، وياء المخاطبة فاعله. ﴿إِلَيْكِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه في تعليق الجار والمجرور في هذه الآية. وفي قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ الآية رقم [٢٦٠] من سورة (البقرة)، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٢] من سورة (القصص)، وقوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ رقم [٣٧] من سورة (الأحزاب)، وهذا كله يتخرج على التعلق بمحذوف، كما قيل في اللام في: «سقيا لك» وإما على حذف مضاف، التقدير: هزي إلى نفسك. . . إلخ. وانظر ما ذكرته في الشاهد رقم [٢٥٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» إعراب شواهد مغني اللبيب. ﴿بِجِذْعِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (جذع): مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. وقيل: المفعول محذوف، والجار والمجرور حال مِن ذلك المحذوف، تقديره: وهزي إليك رطباً كائناً بجذع

النخلة، و«جذع» مضاف، و﴿ٱلنَّخۡلَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿تُسَٰقِطۡ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلنَّخۡلَةِ﴾. ﴿عَلَيۡكِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رُطَبٗا﴾: مفعول به، أو تمييز على حسب القراءات، ﴿جَنِيّٗا﴾: صفة، وجملة: ﴿تُسَٰقِطۡ...﴾ إلخ لا محل لها، وجملة: ﴿وَهُزِّيٓ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي...﴾ إلخ لا محل لها، وذلك على النهي.

﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ۝٢٦﴾

الشرح: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ أي: فكلي من الجَنِيِّ، واشربي من السَّرِيِّ، وقري عيناً برؤية الولد النبي. هذا؛ وقد قرئ: (قري) بفتح القاف وكسرها، فالأولى قراءة الجمهور، والثانية لغة نجد، واشتقاقه من القرار، فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره، أو من القر فإن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة. وضعَّف ناس هذا. وقالوا: الدمع كله حار، فمعنى أقر الله عينه؛ أي: سكن الله عينه بالنظر إلى من يحبه حتى تقر، وتسكن، وإذا أريد بهذه الجملة الدعاء، فيكون المعنى أقر الله عينه؛ أي: أسكنها بالموت، فيكون الفعل من الأضداد، وفلان قرة عيني؛ أي: نفسي تسكن بقربه. قالت ميسون بنت بحدل: [الوافر]

ولُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْني   أَحَبُّ إِلَيَّ من لُبْسِ الشُّفُوفِ

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٤] من سورة (الفرقان) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾: فإما تبصرن، فالأصل فيه: (تَرْأَيِينَ) فحذفت الهمزة، كما حذفت من (ترى) في الآية رقم [١٧] من سورة (الكهف)، ونقلت فتحتها إلى الراء، فصار: (تريين) ثم قلبت الياء الأولى ألفاً، لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الألف المنقلبة، عن الياء وياء المؤنثة المخاطبة، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار (تَرَيْنَ) ثم حذفت النون علامة للجزم، فبقي (تَرَيْ) ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة، فكسرت ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين؛ لأن نون التوكيد، بمنزلة نونين، الأولى ساكنة، فصار (تَرَيِنَّ) فالأعمال فيه ستة، أو سبعة كما رأيت.

﴿فَقُولِيٓ إِنِّي...﴾ إلخ: قبل هذه الجملة جملة محذوفة، وتقدير الكلام: إن رأيت أحداً من الناس، فسألك عن ولدك؛ فقولي . . إلخ، والمخاطب لها بذلك جبريل، أو عيسى ـ عليهما السلام ـ حسبما رأيت فيما تقدم. ﴿صَوۡمٗا﴾: صمتاً. قيل: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام، كما يصوم عن الطعام، فلا يتكلم حتى يمسي. هذا؛ وقد قرئ: (صمتاً) وإنما منعت من الكلام لأمرين: أحدهما: أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها، وفيه دلالة على أنَّ تفويض الكلام إلى الأفضل أولى.

الثاني: كراهة مجادلة السفهاء، وفيه أن السكوت عن السفيه، واجب، ومن أذلِّ الناس سفيهٌ لم يجد مسافهاً. ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي: إنساناً من البشر، يقال: إنها كانت تكلم الملائكة، ولا تكلم الإنس.

هذا؛ وقد رد ابن هشام في مغنيه بهذه الآية على الزمخشري القائل: إن «لن» تفيد التأبيد. فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ولكان ذكر الأبد في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ تكراراً، والأصل عدمه. انتهى.

هذا؛ وقرئ شاذًّا: (تَرَيْنَ) بياء ساكنة، بعدها نون الرفع، ذكره ابن جنِّي. انظر الشاهد رقم [٤٦٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، فالبحث فيه جيد.

الإعراب: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي﴾: أمر مبني على حذف النون لاتصاله بياء المؤنثة المخاطبة. التي هي فاعله، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الأفعال، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على السكون المقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالكسرة التي جيء بها لمناسبة ياء المخاطبة، وقل: مثله في نحو قولك: كلا، واشربا. والمانع من ظهور السكون الفتح الذي جيء به لمناسبة ألف الاثنين. وأيضاً قولك: كلوا، واشربوا. والمانع من ظهور السكون الضم الذي جيء به لمناسبة واو الجماعة التي هي فاعله. ﴿عَيْنًا﴾: تمييز محول عن الفاعل، والجمل الفعلية معطوفة على جملة: (هُزِّي) لا محل لهن مثلها. ﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: حرف تفريع. (إما): حرف شرط جازم مدغم في (ما) الزائدة لتؤكد معنى الشرط؛ لأن معنى «إن» في الأصل الشك، فزال هذا المعنى بسبب (ما) ولذا أكد الفعل بنون التوكيد. ﴿تَرَيِنَّ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله، ونون التوكيد حرف لا محل له. ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَحَدًا﴾ كان صفة له على نحو ما رأيت في الآية رقم [٤] أحداً مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. وانظر الجملة المحذوفة في الشرح.

﴿فَقُولِي﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قولي): أمر وفاعله مثل ما تقدم. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿نَذَرْتُ﴾: ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل التي هي فاعله. هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذا اللفظ، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، وقل مثله في إعراب كل ماض اتصل به ضمير رفع متحرك، مثل نَذَرْنَا، نَذَرْنَ، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿صَوْمًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿نَذَرْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إني) والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُولِي...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور،

والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و«إن» الشرطية، ومدخولها كلام مفرع عما قبله، فهو من جملة النداء لها. تأمل. ﴿فَلَنْ﴾: الفاء: حرف عطف. (لن): حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿أُكَلِّمَ﴾: مضارع منصوب بـ: (لن)، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿إِنسِيًّا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الشرطية، فمحلها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ أي: بعيسى عليه السلام، روي: أن مريم لما اطمأنت بما رأت من الآيات، وعلمت: أن الله تعالى سيبين عذرها؛ أتت به تحمله من المكان القصي الذي كانت قد انتبذت فيه. قال ابن عباس: خرجت من عندهم حين أشرقت الشمس، فجاءتهم عند الظهر، ومعها صبي تحمله، فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات من النهار. وقال الكلبي: ولدت حيث لم يشعر بها قومها، ومكثت أربعين يوماً للنفاس، ثم أتت به قومها تحمله، فلما رأوها ومعها الصبي؛ حزنوا، وكانوا قوماً صالحين. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١] من الاختلاف في مدة الحمل، ويروى: أن عيسى كلمها في الطريق، فقال: يا أماه لا تحزني، وأبشري فإني عبد الله، ومسيحه.

﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾: عظيماً، منكراً. هذا؛ و(الفري): العظيم من الأمر، ومنه قول النبي ﷺ في وصف عمر ـ رضي الله عنه ـ من حديث الرؤيا التي رآها في منامه: «**فلم أَرَ عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فَرْيَهُ**». هذا؛ و(الفري): قطع الجلد للخرز، والإصلاح، والإفراء: إفساده. هذا؛ وقال السدي، ووهب بن منبه: لما أتت به قومها تحمله تسامع بذلك بنو إسرائيل، فاجتمع رجالهم ونساؤهم، فمدت امرأة يدها إليها لتضربها، فأجف الله شطرها. وقال رجل: ما أراها إلا زنت، فأخرسه الله تعالى، فتحامى الناس من أن يضربوها، أو يقولوا لها كلمة تؤذيها، وجعلوا يخفضون إليها القول ويلينون، فقالوا: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾. انتهى. قرطبي، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَتَتْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أتت): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى مريم. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر. ﴿قَوْمَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى مريم، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن فاعل (أتت)، فهي حال متكررة، أو من الضمير المجرور بالباء، فهي حال متداخلة، وجملة: (أتت. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالُوا۟﴾: ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق، هذا هو

الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة واو الجماعة، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿يَٰمَرۡيَمُ﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب «أدعو». (مريم): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: «يا». ﴿لَقَدۡ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله، وهذا الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نقسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. جئت: فعل، وفاعل. ﴿شَيۡـٔٗا﴾: مفعول به على معنى فعلت شيئاً. وقيل هو مصدر مفعول مطلق على معنى جئت مجيئاً. ﴿فَرِيّٗا﴾: صفة له والجملة الفعلية: ﴿لَقَدۡ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها. والكلام: ﴿يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾: لقد اختلف الناس في معنى هذه الأخوة، ومَنْ هارون؟ فقيل: كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل، شبهت به في عفتها، وصلاحها، وليس المراد منه الأخوة في النسب. قيل: إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً، كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس. وقيل: كان هارون أخاها لأبيها. وقيل: إنما عنوا هارون أخا موسى؛ لأنها كانت من نسله، وبينهما ألف سنة، كما يقال: للتميمي: يا أخا تميم نسبة للقبيلة. وقيل: بل كان في زمنها رجل فاجر اسمه هارون، فنسبوها إليه على جهة التعيير، والتوبيخ، والله أعلم بحقيقة الأمر.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ أي: عمران. ﴿ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ أي: يفعل السوء. هذا؛ وأصل امرأ: المرْء، ولما كثر استعمالهم لها، حتى أصبحت تستخدم للدَّلالة على الإنسان، وعلى الحيوان مجازاً، وكان الهمز في آخرها ثقيلاً بعد السكون خففوها كثيراً بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على الراء، فقالوا: المرَ، وبذلك أشبهت الراء منها النون من (ابن) في تلقي حركات الإعراب، ولإعلالهم هذه الكلمة كثيراً بحذف الهمزة شبهوها بما حذف آخره، نحو (اسم، ابْن، اسْت) فجبروها بهمزة وصل في حالة التنكير، ثم ردوا إليها الهمزة، فقالوا: امرؤ، وبذلك أصبحت تعرب من مكانين، فتظهر حركات الإعراب فيها على الراء والهمزة، فتقول: هذا امرؤ، ورأيت امرءاً، ومررت بامرئٍ. قال تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾، ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾.

هذا؛ و(السَّوْء): الشر والفساد، والجمع: أسواء، وهم بضم السين من ساءه، وهو بفتحها كما هنا المصدر، وتقول: رَجُلُ سَوْءٍ بالإضافة، ورَجُلُ السَّوْءِ، ولا تقول: الرجلُ السَّوْء. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ﴾ وتأنيث السُّوءِ: السُّوأى، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾. ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾: زانية. وانظر الآية رقم [٢٠] لإعلاله، فمدحوا

أباها ونفوا عن أمها البغاء، وعرضوا لمريم بذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التعريض لها؛ أي: أنت بخلاف أبيك، وأمك حيث أتيت بهذا الولد.

الإعراب: ﴿يَٰٓأُخْتَ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب «أدعو». (أخت): منادى منصوب، وهو مضاف، و﴿هَٰرُونَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿أَبُوكِ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱمْرَأَ﴾: خبر كان، وهو مضاف، و﴿سَوْءٍ﴾: مضاف إليه، وإعراب الجملة التالية مثل إعراب هذه الجملة. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول قومها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: أشارت مريم إلى عيسى أن كلموه، وذلك أنها التزمت الصمت لما أمرت بترك الكلام، ولذا كان معنى: ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ...﴾ إلخ أي: أشيري إشارة. يروى: أنهم لما أشارت إلى الطفل؛ قالوا: استخفافها بنا أشد علينا من زناها، لذا قالوا لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن...﴾ إلخ هذا؛ والمهد: السرير. وقيل: ﴿ٱلْمَهْدِ﴾: الحجر، فالمراد: حجرها. هذا؛ و﴿ٱلْمَهْدِ﴾: الموضع والفراش يهيأ، ويوطأ للصبي. قال الصلاح الصفدي: رأيت بخط ابن خلكان: أن مسلماً ناظر نصرانياً، فقال له النصراني في خلال كلامه، متخفياً في خطابه بقبيح آثامه: يا مسلم! كيف كان وجه عائشة زوجة نبيكم في تخلفها عن الركب عند نبيكم، معتذرة بضياع عقدها؟ فقال له المسلم: يا نصراني كان وجهها كوجه بنت عمران لما أتت بعيسى تحمله من غير زوج، فمهما اعتقدت في دينك من براءة مريم اعتقدنا مثله في ديننا من براءة عائشة زوج نبينا! فانقطع النصراني، ولم يُحِرْ جواباً.

الإعراب: ﴿فَأَشَارَتْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أشارت): ماض، والفاعل يعود إلى (مريم) والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال عامله ما بعده. ﴿نُكَلِّمُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، ﴿كَانَ﴾: قال السمين في ﴿كَانَ﴾ أقوال: أحدها: أنها زائدة، وهو قول أبي عبيدة؛ أي: كيف نكلم من في ﴿ٱلْمَهْدِ﴾ و﴿صَبِيًّا﴾ على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور، الواقع صلة، والثاني: أنها تامة، بمعنى: حدث، ووجد، والتقدير: كيف نكلم من

وجد صبياً؟! و﴿صَبِيًّا﴾ حال مِن الضمير في ﴿كَانَ﴾. الثالث: أنها بمعنى: صار؛ أي: كيف نكلم من صار في المهد صبياً، و﴿صَبِيًّا﴾ على هذا خبرها. الرابع: أنها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ولذلك يعبر عنها بأنها ترادف (لم يزل). انتهى. جمل.

وقال ابن الأنباري: لا يجوز أن يقال: زائدة، وقد نصبت ﴿صَبِيًّا﴾، ولا أن يقال: بمعنى: «حدث»؛ لأنه لو كانت بمعنى: الحدوث، والوقوع؛ لاستغنى فيه عن الخبر، تقول: كان الحر، وتكتفي به، والصحيح أن ﴿مَن﴾ في معنى الجزاء، و﴿كَانَ﴾ بمعنى: يكن، التقدير: من يكن في المهد صبياً، فكيف نكلمه. انتهى. قرطبي. وأطال الكلام في الاستدلال لما قاله. هذا؛ وذكر أبو البقاء هذا القول، وضعفه بقوله: وقيل: ﴿مَن﴾ شرطية، وجوابها ﴿كَيْفَ﴾. انتهى. أقول: وضعفه ظاهر، والمعنى يأباه، والمعتمد: أنها على بابها من النقصان.

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾: قيل كان عيسى ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ يرضع، فلما سمع كلام اليهود لأمه ترك الرضاعة، وأقبل عليهم بوجهه. وقال: إني عبد الله. وقال وهب: أتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود، فقال لعيسى: انطق بحجتك؛ إن كنت أمرت بها، فقال: عند ذلك عيسى، وهو ابن أربعين يوماً. وقيل: بل يوم ولد: إني عبد الله، أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ إلهاً. انتهى. هذا؛ وإنما نطق بذلك، وإن كانت الحاجة أشد ليزيل التهمة عن أمه، ليزيل التهمة عن الله باتخاذ الولد، وإزالة التهمة عن الله إزالة للتهمة عن أمه بطريق الأولى؛ لأن ابن الزنى لا ينطق وهو صبي.

﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الإنجيل. ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾: قيل: معناه سيجعلني نبياً، ويؤتيني الكتاب، وهذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ في قديم الأزل، كما قيل للنبي ﷺ: **«متى كُنْتَ نبيًّا؟ قالَ: كُنْتُ نبيًّا، وآدمُ بينَ الروحِ والجَسَدِ»**. وقال الأكثرون: إنه، أوتي الإنجيل، وهو صغير، وكان يعقل عقل الرجال الكمل، وذكرت لك في الآية رقم [١١] أن يحيى عليه السلام أعطي النبوة، وهو صبي كذلك.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى عيسى. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿عَبْدُ﴾: خبرها، و﴿عَبْدُ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ءَاتَىٰنِىَ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والنون للوقاية، ويا المتكلم مفعول به أول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ﴿ٱللَّهِ﴾، والرابط رجوع الفاعل فقط، و«قد» قبلها مقدرة، وجملة: ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ معطوفة، وهي مثلها في إعرابها ومحلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾: نفاعاً للناس، أعلمهم الخير، وأرشدهم إلى جميل الأفعال، وكريم الأخلاق. ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾: في أي مكان، وجدت وحللت فيه. ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: أمرني بأدائهما إذا أدركني التكليف، وأمكنني أداؤهما. وقيل: إن الله صيره بالغاً عاقلاً مكلفاً حين انفصل من أمه. ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: فهذا يفيد: أنه مكلف في جميع أدوار حياته حين كان في الأرض، وحين رفع إلى السماء، وحين ينزل إلى الأرض في آخر الزمان، هذا، أو يراد بالزكاة المذكورة تطهير النفس من الرذائل، والأفعال الذميمة. هذا؛ والتعبير بلفظ الماضي، إما باعتبار ما سبق في قضائه تعالى، أو بجعل المحقَّق وقوعه كالواقع.

هذا؛ و(الصلاة) في اللغة: الدعاء، والرحمة، والعبادة، وهي في الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، ولها شروط وأركان، ومبطلات ومكروهات مذكورة في الفقه الإسلامي، وقد جمعت الأنواع الثلاثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ هذا؛ ويكثر في القرآن لفظ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والمعنى: أدِّ الصلاة كاملة في أوقاتها، وحافظ على طهارتها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل، يقال عنه صلى، ولا يقال: أقام الصلاة. أما (الزكاة) فهي في اللغة: التطهير، والنماء، وفي الشرع اسم لمال مخصوص يدفع لأشخاص معلومين مذكورين في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة) وانظر ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في الآية [٥٨] الآتية.

هذا؛ وخص الصلاة والزكاة بالذكر؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، وشرعت لذكر الله، والزكاة أفضل العبادات المالية، ومجموعهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. هذا؛ وأضيف: أن الزكاة قرينة الصلاة، فقد روي: أن أعرابياً جاء إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، فقال له: يا ابن عباس، أنت حبر الأمة، وترجمان القرآن علمك الله أسرار الكتاب، وفقهك في الدين، فقل لي بربك: لماذا قرن الله الصلاة إلى الزكاة في القرآن في أكثر من ثلاثين آية؟ فقال ابن عباس ذلك لتعلم: أن الصلاة، والزكاة توأمان، لا يقبل الله إحداهما بدون الأخرى، تلك حق الله، وهذه حق الناس. ورضي الله عن الصديق الذي سوى بين المرتدين ومانعي الزكاة في القتال، والمحاربة، كما هو مشهور، وخذ قول أحمد شوقي رحمه الله تعالى: [الوافر]

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جَمْعِ المَالِ دَاءً ... وَلا مِثْلَ البَخِيلِ بِهِ مُصَابَا

عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ صَلَّوا، وصامُوا ... ظَواهِرَ خَشْيَةٍ وتُقَىً كِذَابَا

وتُلْفِيهِمْ حِيَالَ المَالِ صُمّاً ... إذا دَاعِي الزكاةِ بِهِمْ أَهَابا

لَقَدْ كتمُوا نصيبَ الله مِنْهُ ... كَأَنَّ الله لَم يُحْصِ النِّصَابا

ومَنْ يَعْدِلْ بِحُبِّ الله شَيْئاً ... كَحُبِّ المالِ ضلَّ هوىً وَخَابَا

وخذ قول أبي العتاهية الصوفي: [الكامل]

أقم الصلاة لوقتها بشروطِهَا ... فمنَ الضَّلال تفاوتُ الميقات

وإذا اتَّسَعْتَ برزقِ رَبِّك فاجعَلن ... مِنْهُ الأجَلَّ لأوجهِ الصَّدَقاتِ

في الأقربين وفي الأباعدِ تَارَةً ... إنَّ الزكاةَ قرينةُ الصَّلَواتِ

الإعراب: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، وهي مثلها في محلها، وإعرابها. ﴿أَيْنَ مَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون. وقيل: مبني على الفتح، و«ما»: زائدة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: أينما كنت جعلني مباركاً، والجملة الشرطية في محل نصب حال مِن الضمير المستتر في مباركاً، أو هي في محل نصب مفعول به من تعدد الثاني؛ لأن الخبر في الأصل يتعدد، وكذلك يتعدد حين صار مفعولاً ثانياً. تأمل. هذا؛ وجملة: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ﴾ معطوفة على جملة: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فهي مثلها في إعرابها وفي محلها. ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: معطوف على الصلاة. ﴿مَا﴾: مصدرية ظرفية. ﴿دُمْتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿حَيًّا﴾: خبره، و﴿مَا﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل، (أوصاني)، وتقدير الكلام: مدة دوامي حياً، فإذاً المصدر المؤول مضاف إليه الزمان المقدر. تأمل.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى﴾ أي: مطيعاً لها: محسناً إليها. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما قال: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى﴾ ولم يقل: «بوالِدَيَّ» علم أنه من جهة الله تعالى. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا﴾: متكبراً طاغياً متغطرساً. ﴿شَقِيًّا﴾: خائباً من الخير، مطروداً من رحمة الله؛ إذ الشقي الحقيقي هو الذي طرد من رحمة الله تعالى. قيل: بلغ من تواضعه، ولينه، وزهده: أنه كان يأكل ورق الشجر، ويجلس على التراب، ولم يتخذ له مسكناً. قال النبي ﷺ في حق أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ: «**إنَّه يسير على زُهْدِ ابْنِ مَرْيَمَ**».

الإعراب: ﴿وَبَرًّا﴾: معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾، ورجح نصبه بفعل محذوف لطول الفصل. هذا؛ وقرئ شاذاً بالجر عطفاً على الصلاة، وفاعله مستتر فيه؛ لأنه اسم فاعل، ﴿بِوَالِدَتِي﴾: متعلقان به، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر تقديره: «هي». ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف جازم. ﴿يَجْعَلْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل يعود إلى (الله)، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿جَبَّارًا﴾: مفعول به ثان، ﴿شَقِيًّا﴾: من تعدد المفعول الثاني، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى من العطف على الجمل السابقة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: شرح هذه الآية وإعرابها مثل الآية رقم [١٥] بلا فارق، انظرها هناك، ففيها الكفاية. هذا؛ وقال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: وصف نفسه بصفات ثمانية: أولها: العبودية، فاعترف بها لئلا يتخذوه إلهاً، وآخرها تأمين الله له في أخوف المقامات، وكل هذه الصفات تقتضي تبرئة أمه. انتهى. وأقول: تقتضي أيضاً تبرئته من الألوهية التي ألصقها به النصارى.

تنبيه: روي: أن عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفولته بما رأيت، ثم عاد إلى حالة الأطفال: حتى مشى على عادة البشر إلى أن بلغ مبلغ الصبيان، فكان نطقه في المهد إظهار براءة أمه، لا أنه كان مِمَّن يعقل في تلك الحالة، وهو كما ينطق الله الجوارح يوم القيامة، ولم ينقل أنه دام نطقة في تلك الحالة، وهو ما ذكرته في الآية رقم [٤٦] من سورة (آل عمران)، ولا أنه كان يصلي، وهو ابن يوم، أو شهر ولو كان يدوم منه ما ذكر في صغره من وقت الولادة لكان مثله ممَّا لا ينكتم، وكلامه في المهد أنقذ أمه من حد الزنى المقرر في التوراة، وقد أجمعت فرق بني إسرائيل أنها لم تحد. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

فائدة: قال قتادة: ذكر لنا أن امرأة رأت عيسى عليه السلام يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص في سائر آياته، فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أرضعك، فقال لها: طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى، واتبع ما فيه، وعمل به. انتهى قرطبي.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: ذلك الذي قال: إني كذا، وكذا، هو عيسى ابن مريم، لا كما قالت النصارى: إنه إله، أو ابن الله، ولا كما يقول اليهود: إنه ابن الزنى، وإنه ابن يوسف النجار، وهو تكذيب للجميع فيما يصفونه به على الوجه الأبلغ، والطريق الأوضح.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: وسمي: قول الحق كما سمي كلمة الله، و﴿ٱلْحَقِّ﴾ هو الله عز وجل. وقيل: التقدير: هذا الكلام قول الحق، وليس بباطل. هذا؛ وقرئ بنصب اللام وضمها. ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكون، بل ويختلفون. هذا؛ وقرئ: (قَالُ الحقِّ) و(قُولُ الحقِّ) والقول والقال والقول بمعنى: واحد. وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء). هذا؛ وعيسى بالعبرية هو يسوع. وقال أبو البقاء: مأخوذ من العيس، وهو: بياض يخالطه شقرة.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب للنبي ﷺ، ولكل عاقل. ﴿عِيسَى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱبْنُ﴾: صفة عيسى، أو بدل منه، أو عطف بيان عليه، أو خبر ثان للمبتدأ. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿عِيسَى﴾ بدلاً من ﴿ذَٰلِكَ﴾ أو عطف بيان عليه، و(ابن) يبقى على ما تقدم ذكره، وعليه فالخبر قول بالرفع على قراءته بذلك، وعلى اعتبار ﴿عِيسَى﴾ خبر المبتدأ فـ: ﴿قَوْلَ﴾ خبر ثان للمبتدأ، أو خبر مبتدأ محذوف، التقدير: قول ابن مريم قول الحق، وعلى هذا فالوقف على ﴿مَرْيَمَ﴾. هذا؛ وعلى قراءة (قول) بالنصب فهو مفعول مطلق مؤكد لمعنى الجملة الاسمية. وقيل: مفعول به لفعل محذوف، والأول: أقوى، وابن مضاف، ومريم مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي، و﴿قَوْلَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه مجرور. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدلاً من ﴿عِيسَى﴾ أو صفة، أو هو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو الذي... إلخ وقيل: هو صفة للقول، أو صفة للحق، والمعتمد الأوجه الأولى. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَمْتَرُونَ﴾: مضارع مرفوع.. إلخ والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ...﴾ إلخ: ما صح، ولا يليق، ولا ينبغي لله أن يتخذ ولداً؛ لأن الولد يرغب فيه بالمعاونة، والمناصرة، والله غير محتاج لذلك، بل هو منزه عن الشريك والصاحبة والولد، ولذا نزه نفسه بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾. ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد أمراً من الأمور. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: أحدث، فيحدث، وليس المراد حقيقة أمر، بل هو تمثيل لما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور والمطيع بلا توقف. بعد هذا انظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٠] من سورة (النحل). وانظر شرح سبحانه في الآية رقم [١] منها. وانظر شرح: ﴿قَضَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان) تقدم على اسمها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَتَّخِذَ﴾ في محل رفع اسم (كان) مؤخراً، التقدير: ما

كان اتخاذ الولد واقعاً، وحاصلاً لله. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلَدٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿مَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿سُبْحَـٰنَهُۥٓ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿قَضَىٰٓ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله). ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل خبر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المرجوح، وهو المشهور. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَقُولُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كُن﴾: أمر تام بمعنى: أحدث، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَيَكُونُ﴾: مضارع تام أيضاً، وفاعله يعود إلى ﴿أَمْرًا﴾ والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو يكون، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها، وهذا القول يعزى لسيبويه رحمه الله تعالى. وقيل: إن (يكونُ) معطوف على ﴿يَقُولُ﴾ وهو يعزى للزجاج، والطبري. وقيل: هو معطوف على ﴿كُن﴾ من حيث المعنى، وهو قول الفارسي. انتهى جمل في سورة (البقرة). هذا؛ ويقرأ يكون بالنصب على أنَّ الفعل منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، وضعفه أبو البقاء، وأقول: لا يمكن سبك مصدر من «أن» المضمرة والفعل، وعطفه على مصدر متصيد من الفعل السابق؛ إذ لا يقال: يقولُ له: ليَكُنْ حدوثٌ فحدوثٌ. تأمل، وتدبر.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾: قال الخازن: هذا إخبار عن عيسى عليه السلام أنه قال ذلك. يعني ولأن الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه. ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: هذا الذي أخبرتكم به ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى...﴾ إلخ هو الصراط المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة. هذا؛ وقد قرئ بفتح همزة (أن) وكسرها، وينبغي أن تعلم: أن الآية قد ذكرت بحروفها في سورة (آل عمران) برقم [٥١].

هذا؛ و(الصراط): الطريق، وهو مستعار هنا للدين القويم كما في سورة (الفاتحة)، وسمي الدين طريقاً؛ لأنه يؤدي إلى الجنة فهو طريق إليها، وهو يقرأ بالصاد والسين والزاي، ويذكر، ويؤنث، والأول: أكثر، و(المستقيم): هو الذي لا اعوجاج فيه، والأصل فيه: (مُسْتَقْوِم)؛ لأنه

من استقام، وهو أجوف واوي، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف بعد سلب سكونها، فصار (مُسْتَقِوم) ثم قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة فصار: (مستقيم).

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف، ويقرأ بدون واو. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿رَبِّي﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَرَبُّكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وعلى قراءة كسر الهمزة فالجملة اسمية، وهي مستأنفة، لا محل لها. وقيل: هي في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قل إن الله... إلخ، بدليل قوله في سورة (المائدة): ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وعلى فتح الهمزة تؤوَّل مع اسمها وخبرها بمصدر، وفي محله، أوجه: أحدها أنه على حذف حرف الجر متعلقاً بما بعده، التقدير: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وإليه ذهب الزمخشري تابعاً للخليل، وسيبويه. الثاني: أنه معطوف على (الصلاة) والتقدير: أوصاني بالصلاة وبأن الله... إلخ، وإليه ذهب الفراء. الثالث: أن يكون في محل نسقاً على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله: ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ على أن يكون الخطاب بذلك لمعاصري عيسى عليه السلام، والقائل لهم ذلك هو عيسى. هذا؛ وأجاز الكسائي أن يكون في موضع رفع بمعنى: والأمر أن الله ربي، وفيه قول خامس، وهو أنه معطوف على ﴿أَمْرًا﴾ ويكون المعنى: إذا قضى أمراً، وأن الله ربي... إلخ، وهذا ضعيف كما قيل على كسرة الهمزة: إن الجملة الاسمية معطوفة على قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فهو داخل في حيز القول، ويكون ما بينهما اعتراضاً، وهو من البعد بمكان. ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٤] (اعبدوه): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿صِرَٰطٌ﴾: خبر المبتدأ، ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلفت الفرق من أهل الكتاب في أمر عيسى عليه السلام فاليهود قالوا: هو ساحر وابن زنى، والنصارى ثلاث فرق: قالت النسطورية منهم: هو ابن الله. وقالت الملكانية: ثالث ثلاثة. وقالت اليعقوبية: هو الله، فأفرطت النصارى، وغلت، وفرطت اليهود، وقصرت، أما المسلمون فقد قالوا الحق: إنما هو عبد الله، وكلمته.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من اليهود، والنصارى. ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من شهود يوم عظيم هوله، وحسابه، وجزاؤه، وهو يوم القيامة، أو من وقت الشهود، أو من مكانه، فـ: ﴿مَّشْهَدِ﴾ يحتمل المصدر والزمان والمكان، وكل له معنى خاص فيه، وأقواها: شهادة ذلك اليوم عليهم، وهو أن يشهد عليهم الملائكة، والرسل، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم بالكفر، والفسوق، والعصيان. انظر سورة (التوبة) [٣٠].

هذا؛ و﴿الْأَحْزَابُ﴾ جمع: حزب، وهو الطائفة من الناس اجتمعوا على أمر من الأمور، وكل قوم تشاكلت قلوبهم، وأعمالهم حزب، وإن لم يلق بعضهم بعضاً، وحزب الشيطان: هم المتبعون وساوسه وزخارفه، ودعوته إلى الشر، والفساد، وحزب الله: هم المتبعون، أوامره، المنتهون عن مناهيه، قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الآية رقم [٥٣] من سورة (المؤمنون) ورقم [٣٢] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿فَاخْتَلَفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (اختلف): ماض. ﴿الْأَحْزَابُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿بَيْنِهِمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال مِن ﴿الْأَحْزَابُ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ويل): مبتدأ سوغ الابتداء به، ـ وهو نكرة ـ الدعاء؛ لأنه من المسوغات، سواء أكان له، أو عليه. . إلخ. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن مَّشْهَدِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (ويل) بعد الخبر، وهو جائز، ولا يجوز أن يتعلقا بـ: (ويل) لأجل الفصل. انتهى عكبري. وقال أبو السعود: متعلقان به على معنى: يولولون، ويضجون منه. والأول: أولى، و﴿مَّشْهَدِ﴾: مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة يوم، والجملة الاسمية: ﴿فَوَيْلٌ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٨)﴾

الشرح: ﴿أَسْمِعْ...﴾ إلخ: هذا تعجب عجب الله نبيه ﷺ من اختلافهم في شأن عيسى عليه السلام، ووصفه بصفات الربوبية. قال الكلبي: لا أحد أسمع منهم يوم القيامة، ولا أبصر، حين يقول الله تبارك وتعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾. ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا. ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: وأي ضلال أبين من أن يعتقد المرء في شخص مثله حملته الأرحام، وأكل وشرب، وأحدث، ومرض، واحتاج: أنه إله؟! ومن هذا؛ وصفه، فهو أصم، وأعمى، ولكنه سيبصر، ويسمع في الآخرة إذا رأى العذاب، ولكنه لا ينفعه ذلك. انتهى. قرطبي. هذا؛ وأظهر: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ في موضع الإضمار زيادة في التشنيع عليهم.

وانظر: (ضل) في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل) وشرح «الظلم» في الآية رقم [٩٠] منها. وانظر إعلال ﴿مُّبِينٍ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (الحجر).

الإعراب: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ انظر الآية رقم [٢٦] من سورة (الكهف)، ففيها الكفاية، وأضيف هنا أن الفعل ﴿أَسْمِعْ﴾ مبني على السكون، أو قل: مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض، الذي جيء به لبناء الفعل على صيغة الأمر، والباء زائدة، والهاء فاعل مجرور لفظاً، مرفوع محلاً. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بأحد الفعلين الجامدين على التنازع. ﴿يَأْتُونَنَا﴾: مضارع مرفوع... إلخ والواو فاعله، و(نا): مفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها، والكلام: ﴿أَسْمِعْ...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له. ﴿لَٰكِنِ﴾: حرف استدراك عطف مهمل لا عمل له. ﴿الظَّالِمُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُّبِينٍ﴾ بعده. ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿ضَلَالٍ﴾ والجملة الاسمية: ﴿لَٰكِنِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: خوف يا محمد الكفار من أهل مكة وغيرهم يوم الحسرة، سمي بذلك لأن المسيء يتحسر: هلَّا أحسن العمل! والمحسن: هلَّا ازداد في الإحسان! يدل عليه ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ أَحَدٍ يموتُ إِلَّا نَدِمَ**». قالُوا: ما ندَمُهُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**إنْ كانَ مُحسِناً؛ ندِمَ أَنْ لا يَكُونَ ازْدادَ، وإنْ كانَ مُسِيئاً، ندِمَ أن لا يكُونَ نَزَعَ**». أخرجه الترمذي. هذا؛ وقال أكثر المفسرين: يعني بيوم الحسرة حين يذبح الموت.

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتى بالموتِ كهيئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ! فيشْرَئِبُّونَ، وينظُرُونَ، فَيَقُولُ: هلْ تعرفونَ هذا؟ فيقُولُونَ: نَعَمْ؛ هذا الموتُ، وكلُّهم قد رآه، فيُذْبَحُ بين الجنةِ والنارِ، ثمَّ يقولُ: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ بلا مَوْتٍ! ويا أَهْلَ النارِ خُلُودٌ بلا مَوْتٍ!**». ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ...﴾ إلخ الآية. متفق عليه، وزاد الترمذي في الحديث نفسه: «**فَلَو أنَّ أحداً مات فرحاً لماتَ أَهْلُ الجنةِ، ولوْ أنَّ أحداً ماتَ حُزْناً لماتَ أَهْلُ النارِ**». انتهى خازن. وقريب منه في القرطبي. وقال: هذه الأحاديث والآية الكريمة ترد على من قال: إن صفة الغضب تنقطع، وإن إبليس ومن تبعه من الكفرة يدخلون الجنة. انتهى. بتصرف. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فرغ الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت كما رأيت. ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ أي: الكافرون غافلون عما يراد بهم، ولا تنس: أن كثيراً من المسلمين أغفل، وأضل، وأجرم من الكافرين. ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يصدقون بالبعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (أنذرهم): أمر وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿يَوْمَ﴾: مفعول به ثان. وقيل: هو ظرف متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَسْرَةِ﴾: مضاف إليه، ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالحسرة، وهو بدل من ﴿يَوْمَ﴾ على اعتباره مفعولاً كما رأيت. ﴿قُضِىَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْأَمْرُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. هم: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال مِن الضمير المستتر في متعلق ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ أو في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب، والجملة الاسمية بعدها معطوفة عليها على الاعتبارين فيها، وفي السمين قوله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ...﴾ إلخ جملتان حاليتان، وفيهما قولان: أحدهما: أنهما حالان من الضمير المستتر في قوله: ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالتين السيئتين، والثاني: أنهما حالان من مفعول أنذرهم؛ أي: (أنذرهم) على هذه الحالة وما بعدها، وعلى الأول: يكون قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ اعتراضاً. انتهى جمل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: أن نميت أهلها، وسكانها، فلا يبقى لأحد عليها وعليهم ملك غيرنا. وانظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الحجر) ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنجازي كلاً بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وفي قوله: ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ استعارة. تأمل. وإعلال: ﴿نَرِثُ﴾ مثل إعلال ﴿تَزِرُ﴾ في الآية رقم [١٥] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿نَحْنُ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو تأكيد لـ: (نا) على المحل، وثانيها هو ضمير فصل لا محل له، وثالثها: هو مبتدأ. ﴿نَرِثُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) على الوجهين الأولين في الضمير، وفي محل رفع خبره على الوجه الثالث فيه، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. و(مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على الأرض. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. و(إلينا): متعلقان

بما بعدهما. ﴿يُرْجَعُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع.. إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿نَرِثُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له قطعاً؛ لأن الجملة المضارعية، الواقعة حالاً لا تقترن بالواو.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: في القرآن الكريم. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: انظر نسبه، وأولاده، وقصته مع سارة، وهاجر في الآية رقم [٣٥] من السورة المسماة باسمه. وانظر عمره وما جرى له مع الملكين اللذين بشراه بإسحاق في الآية رقم [٧١] وما بعدها من سورة (هود) عليه السلام.

﴿صِدِّيقًا﴾ أي: كثير الصدق، وهو مبالغة في كونه صديقاً. وقيل: الصدِّيق: كثير التصديق. وقيل: مَنْ صدَّق الله في وحدانيته، وصدَّق أنبياءه ورسله فيما جاؤوا به، وصدَّق بالبعث بعد الموت، وقام بالأوامر، فعمل بها، وانتهى عن المناهي وابتعد عنها؛ فهو صِدِّيق، ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي؛ انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً، و(النبي) يقرأ بالهمز، وبدونه مأخوذ من النبأ، وهو الخبر. وقيل: بل هو مأخوذ من النَّبْوَةِ، وهي الارتفاع؛ لأن رتبة النبي ارتفعت عن رتب سائر الخلق. هذا؛ والنبيُّ: ذكر، حر من بني آدم، سليم عن منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به، وإن لم يؤمر بتبليغه، وإن أمر بالتبليغ فهو رسول. هذا؛ ومعنى الآية: اقرأ يا محمد على قومك، وعلى اليهود، والنصارى أيضاً في القرآن أمر إبراهيم، وقصته مع أبيه، فقد عرفوا أنهم من ذريته؛ وأنه كان حنيفاً مسلماً، وما كان يتخذ من دون الله إلهاً؛ فهؤلاء لِمَ يتخذون آلهةً من دونه؟! وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: استمهنها، وأذلها، واستخف بها.

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الواو: حرف عطف يعطف قصة إبراهيم مع أبيه على قصة مريم مع ابنها. (اذكر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿صِدِّيقًا﴾: خبر كان. ﴿نَّبِيًّا﴾: خبر ثان. وقيل: صفة، وليس بشيء، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: انظر الكلام على أبيه آزر في الآية رقم [٧٤] من سورة (الأنعام) تجد ما يسرك. ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: انظر الكلام على هذا اللفظ في الآية رقم [٤] من سورة (يوسف) عليه

السلام، فإنَّه طويل، وجيد. ﴿لِمَ﴾: كلمة مؤلفة من حرف، واسم، فالحرف: اللام الجارة، والاسم: (ما) الاستفهامية، وقد حذفت ألفها، كما تحذف مع كل جار، نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ للفرق بين الموصولة، والاستفهامية. ويقال: للفرق بين الخبر، والاستخبار. هذا؛ وقد وصف إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ الأصنام التي كان أبوه يعبدها بثلاثة أشياء، كل واحد منها قادح في الإلهية، وصفها بعدم السمع، وبعدم البصر، وبعدم الإغناء؛ أي: النفع في شيء من الأشياء، والعبادة هي غاية التعظيم للمعبود، فلا يستحقها إلا من له ولاية الإنعام وله، أوصاف الكمال، وهو الله تعالى، لذا فلا يستحق العبادة إلا هو.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل نصب بدلاً من إبراهيم، وما بينهما اعتراض. وقال الزمخشري: متعلق بـ: ﴿كَانَ﴾ وهذا على رأي: من يجيز التعليق بالأفعال الناقصة. وقيل: متعلق بـ: ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿لِأَبِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. (يا): أداة نداء تنوب مناب «أدعو». (أبت): منادى منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، والمعوض عنها التاء كما رأيت في الشرح (لم) اللام: حرف جر، و﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام، وحذفت الألف الساكنة بسبب الجر، كما رأيت في الشرح، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَعْبُدُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْمَعُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط، والمفعول محذوف، تقديره: صوتاً، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، وجملة: ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة عليها، وكذلك جملة: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ معطوفة عليها أيضاً، ويجوز أن يكون ﴿شَيْـًٔا﴾ مفعولاً به، وأن يكون نائب مفعول مطلق. هذا؛ والكلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. تأمل، وتدبر.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ أي: من اليقين، والمعرفة بالله، وما يكون بعد الموت، وأنَّ من عبد غير الله عذب. ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾: إلى ما أدعوك إليه. ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾: أرشدك، وأدلك إلى دين مستقيم فيه النجاة، هذا فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق منه، ثم ثبطه عما كان عليه

بأنه مع خلوه من النفع مستلزم للضر؛ لأنه في الحقيقة عبادة للشيطان من حيث إنه الآمر به، وهو ما يلي في الآية التالية.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَنِي﴾: ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل (جاء). ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَأْتِكَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ما، وهو العائد، أو الرابط، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، وجملة: ﴿قَدْ جَآءَنِي...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٤] (اتبعني): التماس من أبيه، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكرت حاصلاً وصحيحاً؛ فاتبعني. ﴿أَهْدِكَ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، وعلامة جزمه حرف العلة... إلخ، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «أنا»، والكاف مفعوله الأول. ﴿صِرَٰطًا﴾: مفعوله الثاني. ﴿سَوِيًّا﴾: صفة له. هذا؛ والآية كلها في محل نصب مقول القول.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: لا تطعه فيما يأمرك به من الكفر، ومن أطاع شيئاً في معصية؛ فقد عبده وانظر الآية رقم [٣١] من سورة (التوبة) تجد ما يسرك. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾: ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص، وكل عاص حقيق بأن يسترد منه النعم، وينتقم منه، ولا تنس: أن الرضا بالمعصية معصية، والسكوت عليها ممَّن يستطيع تغييرها معصية أيضاً.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿لَا تَعْبُدِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمها يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ تقديره: «هو». ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَصِيًّا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية تعليل للنهي. هذا؛ وينبغي أن تعلم: أنه يجوز في ﴿كَانَ﴾ هنا ما جاز فيها في الآية رقم [٢٨] من أوجه، ما عدا الزيادة وينبغي أن تعلم أيضاً: أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول أيضاً؛ إذ هي من قول إبراهيم عليه السلام كالسابقة، واللاحقة.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ أي: أعلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ من الآية رقم [٢٢٩] من سورة (البقرة). وقيل: هو على ظاهره؛ لأنه يمكن أن يؤمن، فيكون من أهل الجنة، أو يصر على الكفر، فيكون من أهل النار، فحمل الخوف على ظاهره أولى. ﴿أَن يَمَسَّكَ﴾: يصيبك، ويقع عليك. ﴿عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: إن مت على ما أنت عليه من الكفر، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ أي: قريناً من النار.

قال الخازن رحمه الله تعالى: واعلم: أن إبراهيم ـ على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ قد رتب الكلام في غاية الحسن، مقروناً بالتلطف والرفق، فإن قوله في مقدمة كلامه: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ دليل على شدة الحب، والرغبة في صرفه عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب؛ لأنه نبه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الأصنام، ثم أمره باتباعه في الإيمان، ثم نبه على أنَّ طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي، بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ...﴾ إلخ ثم قال: وإنما فعل إبراهيم هذا مع أبيه لأمور: أحدها: لشدة تعلق قلبه بصلاح أبيه، وأداء حق الأبوة، والرفق به، وثانيها: أن النبي الهادي إلى الحق لا بد أن يكون رفيقاً لطيفاً حتى يقبل منه كلامه، وثالثها: النصح لكل أحد. فالأب أولى. انتهى.

كيف لا؟ وقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَوْحى الله إلى إبراهيم عليه السلامُ: يا خليلي حَسِّنْ خُلُقَكَ، وَلَوْ مَع الكُفَّارِ تَدْخُلُ مَدْخَلَ الأبْرارِ، وَإنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ أَنْ أُظِلَّهُ تحت عَرْشِي، وأَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ حَظِيرِهِ قُدْسِي وَأَنْ أُدْنِيَهُ مِنْ جِوارِي**». رواه الطبراني.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: انظر الآية رقم [٤١]. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَذَابٌ﴾ أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿فَتَكُونَ﴾: مضارع ناقص معطوف بالفاء على ﴿يَمَسَّكَ﴾ فهو منصوب مثله، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿لِلشَّيۡطَٰنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿وَلِيّٗا﴾ بعدهما، أو بمحذوف حال مِنه على مثال ما رأيت في الآية رقم [٤]. ﴿وَلِيّٗا﴾: خبر (تكون). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، والآية بكاملها من مقول إبراهيم على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: أبوه. ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ أي: تاركها، وتارك عبادتها. هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ قابل استعطافه، ولطفه في الإرشاد بالفظاظة، وغلظة

العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بـ: «يا بني» وأخره، وقدم الخبر على المبتدأ، وصدَّره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة، على ضرب من التعجب، كأنها ممَّا لا يرغب عنها عاقل، ثم هدده، فقال: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ أي: عن مقالك فيها، أو عن الرغبة عنها، أو عن شتمك إياها. ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: لأضربنك، أو لأقتلنك بالحجارة، أو لأشتمنك، أو لأبعدنك عني بالقول القبيح، والأول: هو الصحيح. وانظر الآية رقم [١١٦] من سورة (الشعراء). ﴿وَٱهْجُرْنِى﴾: اجتنبني. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: اعتزلني سالماً، لا يصيبنك مني معرة. ﴿مَلِيًّا﴾: دهراً طويلاً، ومنه قول المهلهل: [الكامل]

فتصدَّعَتْ صُمُّ الجِبَالِ لِمَوْتِهِ وبَكَتْ عَلَيْهِ المُرْمِلاتُ مَلِيَّا

هذا؛ و(راغب) اسم فاعل من رغب، وهذا الفعل وما اشتق منه يتغير معناه بتغير الجار الذي يتعلق به، تقول: رغبت عن الشيء: إذا كرهته، ولم تحبه، ورغبت فيه: إذا أردته، وأحببته، ولذا كان قول القائل: [الطويل]

وَيَرْغَبُ أَنْ يَبْنِي المَعَالِيَ خَالِدٌ وَيَرْغَبُ أَنْ يَرْضَى صَنِيعَ الأَلَائِمِ

محتملاً للمدح والذم بسبب تقدير الجار، كما يجوز تقدير «عن»، أو «في» في قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ومثل «رغب» وما اشتق منه: «ادَّعى» يقال: ادَّعى فلان في بني هاشم: إذا انتسب إليهم، وادَّعى عنهم: إذا عدل بنسبه عنهم، ومثله أيضاً: عدَلَ، ومالَ، وانحرفَ، وغير ذلك كثير، وهذا ممَّا يدل على اتساع اللغة العربية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى أبي إبراهيم. ﴿أَرَاغِبٌ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري، (راغب): مبتدأ، سوغ الابتداء به تقدم الاستفهام عليه. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل بـ: (راغب) وقد سد مسد خبره، وهذا أولى من اعتباره مبتدأ، و(راغب) خبر مقدم كما ذهب إليه الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي؛ لأنه لا تقديم فيه، ولا تأخير؛ إذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه، ولأنه لا فصل فيه بين العامل الذي هو ﴿أَرَاغِبٌ﴾ وبين معموله، وهو: ﴿عَنْ ءَالِهَتِى﴾ بأجنبي، وهو: ﴿أَنتَ﴾ إذا كان مبتدأ؛ لأن الخبر ليس عاملاً في المبتدأ. انتهى. جمل. ومثل الآية الكريمة قول وداك بن ثميل المازني، وهو الشاهد رقم [٥٩٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

أَجَاعِلٌ أَنْتَ بَيْقُوراً مُسَلَّعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللهِ والْمَطَرِ؟

﴿عَنْ ءَالِهَتِى﴾: متعلقان بـ: (راغب) وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. (يا): أداة نداء تنوب مناب «أدعو». (إبراهيم): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿لَئِن﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف جازم. ﴿تَنتَهِ﴾: مضارع

مجزوم بـ: (لم)، وهو في محل جزم فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، ومتعلقه محذوف انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أرجمنك): مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

واحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَم جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿وَٱهْجُرْنِي﴾: أمر، وفاعله: أنت، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿مَلِيًّا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، أو هو حال على تفسير ابن عباس من الفاعل المستتر، والجملة الفعلية معطوفة على جملة جواب القسم لا محل لها، وعطفها الزمخشري على جملة محذوفة، التقدير: فاحذرني، واهجرني، وهذا يعني: أن الفاء هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. هذا؛ والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها من الإعراب.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ﴾ هذا سلام توديع، ومتاركة، ومفارقة، ومقابلة للسيئة بالحسنة؛ أي: لا أصيبك بمكروه، لا أقول لك بعد ذلك ما يؤذيك. وقال النقاش: حليم خاطب سفيهاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام، وجوز بعضهم تحية الكافر، وأن يبدأ بها، فقال النخعي: إذا كانت لك حاجة عند يهودي، أو نصراني فأبدأه بالسلام، فظهر بذلك أن قول النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: **«لا تَبْدَؤوا اليهودَ والنّصارى بالسَّلامِ، وَإِذا لَقِيتُم أَحَدَهُمْ في طريقٍ؛ فاضْطَروهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»**. رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي؛ إذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدؤوهم بالسلام، من قضاء ذمام، أو حاجة تعرض لكم قبلهم، أو حق صحبة، أو جوار، أو سفر. . . إلخ.

قال الطبري: وقد روي عن السلف: أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب، وفعل ذلك ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقه. قال علقمة، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدؤوا بالسلام. قال: نعم، ولكن حق الصحبة. وسئل الأوزاعي عن مسلم مرَّ بكافر، فسلم عليه، فقال: إن سلمت فقد سلم الصَّالحون قبلك، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك. انتهى قرطبي بتصرف.

هذا؛ وإذا ورد على إنسان كتاب بالتحية، أو نحوها، ينبغي أن يرد الجواب؛ لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر، وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان يرى رد الكتاب واجباً، كما يرى رد السلام، والله أعلم.

أقول: لم يتعرض للكلام في الرد عليهم أحد، وأذكر ما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سَلَّمَ عليْكُمْ أهلُ الكِتابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ**». رواه الستة إلا النسائي، وهذا يعني أن لا يرد عليهم السلام كاملاً، ولكن في هذا العصر كثر الاختلاط بهم، وتغيرت الأوضاع كما هو معروف ومعلوم، فإذا كان قد أجاز بعض العلماء بدأهم بالسلام كما رأيت، فرد السلام عليهم كاملاً، جائز بالأحرى، ولا سيما في هذا العصر الذي ضعفت فيه الروحانية الإسلامية عند كثير من المسلمين، وكذلك ما أصاب المسلمين من ضعف وهوان في هذه الأيام، وإن أراد المسلم التبرئة من التبعة؛ فلينو بالسلام عليهم والرد عليهم الملائكة الذين يكتبون أعمالهم وتصرفهم في جميع أحوالهم، وكذلك ينوي المسلمين من الجن الذين يكونون قريباً منهم. أقول هذا؛ والله ولي التوفيق، وأضيف: أنه لا يرد عليهم بالرحمة وبالبركة، بل يكتفي بقوله: وعليكم السلام.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾: ما أحراك أن تنظر الكلام على هذا الاستغفار في الآية رقم [١١٤] من سورة (التوبة) ففيها الكفاية. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾: الحفي: المبالغ في البر، والرفق، والألطاف. وقال الفراء: أي: عالماً لطيفاً إذا دعوته يجيبني. هذا؛ و(الحَفِيُّ) أيضاً: المستقصي في السؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى إبراهيم عليه السلام. ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، سوغ الابتداء به ـ وهو نكرة ـ لأن فيها معنى الدعاء، وفيها أيضاً معنى التبري، والمتاركة، فلما أفادت فوائد جاز الابتداء بها. انتهى. مكي. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ﴾: السين: حرف استقبال، وتسويف. (أستغفر): مضارع وفاعله تقديره: «أنا»، والسين والتاء للطلب؛ أي: سأطلب لك المغفرة من ربي. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّيٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة عل ما قبل ياء المتكلم.. إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿رَبِّيٓ﴾. ﴿بِى﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿حَفِيًّا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجمل ﴿سَلَٰمٌ...﴾ إلخ كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: أفارقكم، وأفارق ما تعبدون من الأصنام، وذلك: أنه فارقهم، وهاجر إلى الأرض المقدسة. وانظر الاعتزال في الآية رقم [١٦] من سورة

(الكهف)، ولا تنس: ما فعل قبل الاعتزال من تكسير الأصنام، وما فعله قومه من محاولتهم تحريقه بالنار، وقد تكفلت سورة (الأنبياء) ببيان ذلك، أوضح البيان. ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾: أعبده وأوحِّده. ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ...﴾ إلخ: أي: أرجو وآمل أن لا أشقى بدعاء ربي وعبادته، كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام، ففيه التواضع لله تعالى، مع التعريض بشقاوتهم، وحرمانهم من رحمة ربهم. هذا؛ وقد قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ وفي تصدير الكلام بـ: ﴿عَسَىٰٓ﴾ التواضع، وهضم النفس، والتنبيه على أنَّ الإجابة والإثابة تفضل غير واجب، وأنَّ ملاك الأمر خاتمته، وهو غيب.

بعد هذا انظر (دعا) في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء) وشرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] منها. وانظر شرح لفظ الجلالة في الآية رقم [١] من سورة (الكهف)، وشرح (دون) في الآية رقم [١٤] منها. والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أعتزلكم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على الكاف. وقيل: في محل نصب مفعول معه، وهو ضعيف. والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً تدعونه. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المحذوف المنصوب، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَأَدْعُواْ﴾ مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿رَبِّى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَسَىٰٓ﴾: ماض جامد دال على إنشاء الترجي مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أَلَّآ﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿أَكُونَ﴾: مضارع ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِدُعَآءِ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَقِيًّا﴾ بعدهما، و(دعاء) مضاف، و﴿رَبِّى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. إلخ والإضافة مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: بدعائي ربي... ﴿شَقِيًّا﴾: خبر ﴿أَكُونَ﴾، والمصدر المؤول من: ﴿أَلَّآ...﴾ إلخ في محل رفع فاعل بـ: ﴿عَسَىٰٓ﴾، وجملة: ﴿عَسَىٰٓ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن فاعل (أدعو) والرابط: الضمير فقط، والتقدير: أدعو ربي راجياً عدم شقوتي بدعائه. وياء المتكلم في محل جر بالإضافة... إلخ.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: فارقهم، وهاجر إلى الأرض المقدسة. ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: قيل: إنه لما قصد الشام؛ أتى حران، فتزوج سارة عليها السلام،

فولدت منه إسحاق، وولد منه يعقوب، ولعل تخصيصهما بالذكر؛ لأنهما شجرتا الأنبياء، أو لأن إسحاق أتاه على الكبر، أو؛ لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد. هذا؛ وقد ذكرت لك في الآية رقم [٧١] من سورة (هود) عليه السلام: أنه قد عاش إبراهيم، وسارة حتى رأيا يعقوب، فقرت عيناهما بالحفيد، كما قرتا بالوليد. ﴿وَكُلًّا﴾ أي: من إسحاق، ويعقوب. ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾: والمعنى: حين اعتزل إبراهيم أهل الكفر، والفسوق، والعصيان رزقه الله أولاداً أنبياء مؤمنين. وفي الآية دليل واضح على أنَّ الولد الصالح هبة، ومنحة من الله للوالدين، فلم يقل سبحانه وتعالى: أعطينا، ورزقنا... إلخ، وإنما قال ﴿وَهَبْنَا﴾ قال الشاعر الحكيم: [الكامل]

نِعَمُ الإلهِ عَلَى العِبَادِ كَثِيرةٌ وَأَجَلُّهُنَّ نَجَابَةُ الأَوْلَادِ

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [٦٢] من سورة (الكهف). ﴿اعْتَزَلَهُمْ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى إبراهيم والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ انظر إعرابه في الآية السابقة. ﴿وَهَبْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِسْحَاقَ﴾: مفعول به. ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: معطوف عليه. ﴿وَكُلًّا﴾: الواو: حرف عطف. (كلًّا): مفعول به أول تقدم على عامله. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿نَبِيًّا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها مثله، واعتبارها حالاً من ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ جيد، ويكون الرابط: الواو، والضمير الواجب ذكره بعد (كلًّا)، أو هي حال مِن (نا) والرابط: الواو، والضمير أيضاً، ويجب تقدير «قد» قبلها على الاعتبارين. تأمل، وتدبر.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ أي: لإبراهيم، ولذريته على نبينا وعليهم جميعاً ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام. ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: من فضلنا، وإنعامنا عليهم، ووهبنا لهم النبوة، والأموال الوفيرة، والأولاد الكثيرة. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أي: ذكراً حسناً رفيعاً في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة؛ حتى ادعاهم أهل الأديان كلهم، فهم يتولونهم، ويقدسونهم ويعظمونهم استجابة لدعوة إبراهيم حيث قال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ والمراد: باللسان: الثناء الذي يكون عليهم به، ولسان العرب لغتهم، وإضافته إلى الصدق، ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار، وتحول الدول، وتبدل الملل، ونحن المسلمين نقدسهم، ونجلهم، ونصلي عليهم في كل صلاة نصليها لله الواحد القهار؛ حيث نقول: اللهُمَّ صَلِّ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمد كما صَلَّيْتَ على سيدنا

إبراهيمَ، وعَلى آلِ سيِّدِنَا إبراهيمَ. . .إلخ. هذا؛ والذكر الحسن الجميل للإنسان بعد موته عمر ثان له، ورحم الله أمير الشعراء إذ يقول: [الكامل]

دَقَّاتُ قَلْبِ المَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ: إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقٌ وثَوانِ

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ موتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلإنسَانِ عُمْرٌ ثَانِ

هذا؛ وانظر شرح (اللسان) في الآية رقم [٤] من سورة (إبراهيم) تجد ما يسرك أما (نا) فقد قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وقوله تعالى: «جعلنا، وهبنا، نحن، إنا» لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم، الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا له شركاء، ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة، وسائر العالمين جنوده، فإذا كان الواحد من الملوك يقول: فعلنا، وإنا، ونحن. . . إلخ، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه هو أحق أن يقول: فعلنا، وإنا، ونحن. . . إلخ، مع أنه ليس له شريك، ولا مثل، بل له جنود السموات والأرض. انتهى.

أقول: و(نا) هذه تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، كما يزعم الملحدون والكافرون، فالله لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم بها العبد، فيقول: أخذنا، وأعطينا. . . إلخ، وليس معه أحد، والغاية من هذا الكلام الرد على النصارى الذين يدخلون الشبهة على السذج من المسلمين بأن الإله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس، ويدعمون شبهتهم هذه بالألفاظ الموجودة في القرآن والتي ظاهرها يفيد الجمع. تأمل.

الإعراب: ﴿وَوَهَبْنَا﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن المفعول المحذوف، وهو أولى من قول الجمل: المال والولد تفسير للرحمة ومن للتبعيض، وقوله: يعني أن الجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَوَهَبْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَوَهَبْنَا...﴾ إلخ في الآية السابقة لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿عَلِيًّا﴾: صفة ﴿لِسَانَ﴾. واعتباره مفعولاً ثانياً، أو حالاً من ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ لا بأس به.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ﴾ أي: اذكر في القرآن الكريم قصة موسى عليه الصلاة والسلام من حين نشأته، وولادته إلى وفاته، وهي مذكورة ومفصلة في القرآن، وعلى الأخص في سورة (الأعراف)، وسورة (طه)، وسورة (القصص). ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام؛ أي:

مختاراً، اختاره الله، واصطفاه لرسالته. ويقرأ بكسر اللام، على معنى: موحداً أخلص عبادته عن الشرك، والرياء، أو أسلم وجهه لله، وأخلص نفسه عما سواه. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾: أرسله الله إلى أهل زمانه، فأخبرهم عن الله. وانظر شرحهما في الآية رقم [٤٠].

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الواو: حرف عطف. (اذكر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على مثلها في الآية رقم [٤١] وإعراب آخر الآية مثل إعراب: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ في الآية المذكورة.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أي: من ناحية يمين موسى، وكانت الشجرة التي صدر منها الصوت في جانب الجبل عن يمين موسى حين أقبل راجعاً من مدين إلى مصر، وإن الجبال لا يمين لها، ولا شمال كما هو معروف، وجبل الطور معروف بين مصر ومدين. ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أي: مناجياً، وهذا التقريب تقريب تشريف، وتكريم، شبهه الله تعالى بمن قربه الملك لمناجاته. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قربه وأدناه حتى سمع صرير الأقلام، وأصل ﴿نَجِيًّا﴾ نَجيوٌ؛ لأنه من نجا ينجو، فقلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياء في الياء. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (ناديناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها. ﴿مِن جَانِبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿جَانِبِ﴾: مضاف، و﴿ٱلطُّورِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾: صفة ﴿جَانِبِ﴾؛ لأنه تبعه في الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ وقيل: إنه صفة للطور. ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب (نذرت) في الآية رقم [٢٥]. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿نَجِيًّا﴾: حال مِن الضمير المنصوب. تأمل، وتدبر.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ...﴾ إلخ: أي: أنعمنا على موسى، وتكرمنا عليه؛ حيث منحنا أخاه هارون النبوة والرسالة، إجابة لدعوته، وذلك في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى...﴾ إلخ وكان هارون أسن من موسى، ولم يذهب معه إلى مدين، ولم يكن معه حين ناداه الله من الشجرة في الوادي المقدس طوى. فمعنى هبته له: جعله عضداً، وناصراً، ومعيناً على أعباء الرسالة.

الإعراب: ﴿وَوَهَبْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾: عبارة السمين: في ﴿مِن﴾ هذه وجهان: أحدهما: أنها تعليلية؛ أي: من أجل رحمتنا. والثاني: أنها تبعيضية، وهو يعني على الاعتبارين: أن الجار والمجرور متعلقان بالفعل (وهبنا). وأقول: لا معنى للتعليل، ولا للتبعيض هنا، وإنما معنى ﴿مِن﴾ الابتداء، وعليه فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿هَٰرُونَ﴾ التقدير: حالة كونه من رحمتنا، على مثال ما رأيت في الآية رقم [٥٠] ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰرُونَ﴾: بدل من ﴿أَخَاهُ﴾، أو عطف بيان عليه، وأجيز اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف، تقديره: أعني. ﴿نَبِيًّا﴾: حال مِن: ﴿هَٰرُونَ﴾، وجملة: ﴿وَوَهَبْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ﴾ أي: اقرأ في القرآن على قومك قصة إسماعيل عليه الصلاة، والسلام وما اتصف به من صفات جليلة، فإنه أبوهم الأول، وإنهم يفخرون بالانتساب إليه. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾: خصه الله تعالى بذكر صدق الوعد، وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء من غير شك، تشريفاً له، وإكراماً، كالتلقيب بنحو: الحليم، والأواه والصدِّيق، ولأنه المشهور المتواتر من خصاله الجليلة.

واختلف في ذلك، فقيل: إنه وعد من نفسه بالصبر على الذبح، فصبر حتى فدي، كما ستجده في سورة (الصافات) إن شاء الله تعالى. وقيل: وعد رجلاً أن يلقاه في موضع، فنسي ذلك الرجل الوعد، فانتظره إسماعيل في ذلك الموضع اثنين وعشرين يوماً، وقد فعل نبينا ﷺ مثل ذلك قبل أن يبعث فعن عبد الله بن أبي الحمساء ـ رضي الله عنه ـ قال: بايَعْتُ النَّبيَّ ﷺ ببيعٍ قبلَ أن يُبْعَثَ، وبقِيَتْ له بقيَّةٌ، فوعدتُهُ أَنْ آتِيَهُ بها في مكانِهِ فنسيتُ، ثم ذكرتُ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ، فجئتُ فإذا هُوَ مكانَهُ، فقال: «**يا فتى لقد شققتَ عليَّ، أنا ها هُنا منذُ ثلاثٍ أنتظرك**». خرجه الترمذي وغيره. ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾: إلى قبيلة جرهم الذين نزلوا عليه وعلى أمه هاجر في مكة، وزوجوه منهم كما رأيت في الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) وشريعته هي شريعة أبيه إبراهيم.

هذا؛ والوفاء بالوعد حلية الأنبياء، وشعار ذوي التقى والفضل من الأصفياء، ورمز الثقة من ذوي الرأي والحكمة من العقلاء، وقد أكد الرسول المعظم ﷺ أمر العهد، وشدد في طلب الوفاء بالوعد، وبين: أن من أخلف الوعد، ونكث العهد، فقد خان الله ورسوله، وباع آخرته بدنياه، وخرج من دينه، ودخل في النفاق، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «**لا إيمانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ**». رواه أحمد

والطبراني. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافِقِ ثلاثٌ؛ إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذَا اؤتُمِن خَانَ**». رواه البخاري، ومسلم، وزاد مسلم في رواية له: «**وإنْ صَلَّى وَصَامَ، وزَعَم أنَّهُ مُسْلِمٌ**». وزاد أبو يعلى من رواية أنس: «**وإنْ صَامَ وصَلَّى، وحَجَّ واعتمرَ، وقالَ: إني مُسْلِمٌ**». وقال الشاعر: [الطويل]

فإنْ تجمعِ الآفاتِ فالبُخلُ شَرُّهَا ... وشَرٌّ من البُخْلِ المواعيدُ والمَطْلُ

وَلا خَيْرَ في وَعْدٍ إذا كَانَ كَاذِباً ... ولا خَيْرَ في قَوْلٍ إذا لم يَكُنْ فِعْلُ

ومن أحسن ما قيل في تشبيه من يخلف الوعد بمسيلمة الكذاب قول بعضهم: [الكامل]

وَوَعَدْتَني وَعْداً حَسِبْتُكَ صَادِقاً ... فَبَقِيتُ مِنْ طَمَعِي أَجِيءُ وأَذْهَبُ

فإذا جَلَسْتُ أَنَا وَأَنْتَ بِمَجْلِسٍ ... قَالُوا مُسَيْلَمَةُ، وهذا أشْعَبُ

وانظر الآية [٣١] من سورة (الرعد)، إن أردت الزيادة.

الإعراب: ﴿وَاذْكُرْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على مثلها في الآية رقم [٥١] لا محل لها مثلها، وإعراب باقي الآية انظر مثله في الآية المذكورة. هذا؛ و﴿صَادِقَ﴾: مضاف، و﴿الْوَعْدِ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة الصفة المشبهة لفاعله؛ إذ التقدير: صادِقٌ وعْدُه، وإنما اعتبرت صادق صفة مشبهة؛ لأنها صفة ثابتة، وليست متجددة، مثل طاهر القلب، ونحوه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾: قال البيضاوي رحمه الله تعالى: بدأ بالأهم، وهو أن يقبل الرجل على نفسه، ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل. قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وقال جل ذكره: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وقيل: ﴿أَهْلَهُ﴾ أمّته، فإن الأنبياء، آباء أممهم، أقول: وهو الأولى. ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أي: قائماً لله بطاعته. وقيل: رضيه لنبوته، ورسالته، وهذا نهاية في المدح؛ لأن المرضي هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات. وإعلال: ﴿مَرْضِيًّا﴾ مثل إعلال ﴿مَقْضِيًّا﴾: في الآية رقم [٢١] هذا؛ والعندية عندية تشريف، وتكريم، لا عندية مكان.

الإعراب: ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى إسماعيل عليه السلام، ﴿يَأْمُرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إليه أيضاً. ﴿أَهْلَهُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِالصَّلَوٰةِ﴾: متعلقان

بالفعل قبلهما. ﴿وَالزَّكَوٰةِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَأْمُرُ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية السابقة، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى إسماعيل أيضاً. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمرضياً، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَرْضِيًّا﴾: خبر كان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾: انظر الآية رقم [٥٤] ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾: انظر الآية رقم [٤١] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أي: بشرف الرسالة، والزلفى عند الله. وقيل: الجنة. وقيل: إلى السماء السادسة. وقيل: إلى الرابعة، وإدريس عليه السلام أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم، والحساب، وسيرها، وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وكان أول من أعطي الرسالة من ولد آدم بعد شيث، وقد جاء في الصحيحين في حديث الإسراء والمعراج: أن رسول الله ﷺ مر به في السماء الرابعة.

هذا؛ وقال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ: وروى ابن جرير الطبري عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف. قال: سأل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كعباً، وأنا حاضر، فقال له: ما قول الله تعالى في إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

فقال كعب: أما إدريس، فإن الله، أوحى إليه: إني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم، فأحب أن يزداد عملك، فأتاه خليل له من الملائكة فقال له: إن الله، أوحى إليَّ كذا، وكذا، فكلِّمْ ملكَ الموتِ حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً، فكلَّم مَلَكَ الموت في الذي كلَّمه فيه إدريسُ، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو على ظهري، فقال ملك الموت: فالعجب، بعثت. وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة، وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ورواه ابن حاتم عند تفسيرها. وعنده فقال لذلك المَلَك: سل لي ملك الموت كم بقي من عمري؟ فسأله وهو معه، كم بقي من عمره؟ فقال: لا أدري حتى أنظر، فنظر فقال: إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك تحت جناحه إلى إدريس، فإذا هو قد قبض، وهو لا يشعر. قال الحافظ ابن كثير: وهذا من الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة. أقول: الأسلم تفويض علم ذلك، إلى الله تعالى. انتهى.

هذا؛ وقد ذكر القرطبي، والخازن روايات، وحكايات طويلة تنص في نهايتها: أن إدريس عليه السلام حيٌّ في الجنة. وقال الخازن. وقالوا: أربعة من الأنبياء أحياء: اثنان في الأرض، وهما الخضر وإلياس، واثنان في السماء: وهما: إدريس، وعيسى عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام.

هذا؛ وقال عبد الوهاب النجار: اختلف الحكماء في مولده ونشئته، وعمن أخذ العلم، فقالت فرقة: ولد بمصر، وسموه هرمُس الهرامسة. وقال هؤلاء: إن معلمه اسمه الغوثاذيمون، ومعناه: الجد السعيد. وقالوا: خرج هرْمُس من مصر وجاب الأرض كلها، ثم عاد إليها ورفعه الله إليه بها، وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره. وقالت فرقة أخرى: ولد إدريس ببابل، وبها نشأ، وأنه أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم، وهو جد جد أبيه؛ لأنه إدريس بن يارد، بن مهلائيل، بن قينان، بن أنوش بن شيث، ولما كبر إدريس؛ آتاه الله النبوة، فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم، وشيث، فأطاعه أقلهم، وخالفه جلهم، فنوى الرحلة عنهم، وأمر من أطاعه منهم بذلك، ثم خرج بهم إلى مصر، وأقام إدريس عليه السلام ومن معه بمصر، وأخذ يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وطاعة الله عز وجل، وقيل: إن اسمه الحقيقي أخنوخ.

ودعا إلى دين الله، والقول بالتوحيد، وعبادة الخالق، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحض على الزهد في الدنيا، والعمل بالعدل، وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر، وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء بها، وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة، والخنزير والكلب، وحرم المسكر بجميع أنواعه. انتهى. باختصار.

وأضيف ما ذكر الجمل نقلاً من التحبير للسيوطي: أن إدريس عليه السلام هو جد نوح، ولد في حياة آدم قبل موته بمئة سنة، وبعث بعد موته بمئتي سنة، وعاش بعد نبوته مئة وخمسين سنة، فتكون جملة عمره أربعمئة سنة، وكان بينه وبين نوح ألف سنة. انتهى. أقول: هذا يخالف ما ذكر، وأقول: إن بعث رسول ومنحه الرسالة بعد ثلاثمئة سنة من عمره لم يقل به أحد، ولم ينقل: أن نبيّاً تنبأ بعد مجاوزة الأربعين من عمره.

تنبيه: إعراب الآية الأولى واضح إن شاء الله تعالى، وقد مر معنا كثير مثلها. ﴿وَرَفَعْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿مَكَانًا﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. ﴿عَلِيًّا﴾: صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ فهي في محل رفع مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال مِن ﴿إِدْرِيسَ﴾ فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير و«قد» قبلها مقدرة.

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: الإشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس، عليهم الصلاة والسلام. والخطاب للرسول ﷺ. ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾: المراد به: إدريس وحده؛ لأنه أقرب الرسل إلى آدم؛ لأنه جد أبي نوح كما رأيت. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: المراد به إبراهيم وحده؛ لأنه من ولد سام بن نوح. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: المراد: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب. ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: ومن ذرية إسرائيل، وهو يعقوب، والمراد: موسى، وهارون، وسليمان، وداود، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل، صلوات وسلامه عليهم أجمعين. فرتب الله تعالى أحوال الأنبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبهاً بذلك على أنهم كما شُرِّفوا بالنبوة شُرِّفوا بالنسب.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي: إلى الإسلام. ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ أي: اخترنا على الأنام. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟﴾: سقطوا على الأرض. ﴿سُجَّدًا﴾: ساجدين، فهو جمع: ساجد. ﴿وَبُكِيًّا﴾: باكين جمع: باك. أخبر الله تعالى: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كانوا إذا سمعوا آيات الله المنزلة عليهم؛ سجدوا، وبكوا خضوعاً، وخشوعاً، وخوفاً، وحذراً، وكذلك المسلمون ينبغي لهم أن يسجدوا، ويبكوا، ويخشعوا عند سماع آيات القرآن.

هذا؛ وهذه الآية من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها، فيقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، ويقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود. وقيل: يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك الآية، فإن قرأ آية (الإسراء)؛ قال: اللهم اجعلني من الباكين إليك، الخاشعين إليك. وإن قرأ آية (مريم)؛ قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك، وإن قرأ آية ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ﴾ قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسبحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٠] من سورة (النحل).

تنبيه: لقد تبين لك من شرح الآية وتفسيرها الترتيب الزمني بالنسبة للرسل، ولكن هذا الترتيب لم يحصل بين الرسل عند تفصيل حال كل واحد منهم في هذه السورة، فيحيى، وزكريا، وعيسى وأمه هم من أحفاد أحفاد أحفاد إبراهيم عليه السلام، وإسماعيل يعد من أجداد موسى وهارون، وقد ذكر بعدهما، وإدريس هو من أجداد إبراهيم الأول، وقد ذكر آخراً كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن الله لم يذكرهم على حسب ترتيبهم الزمني، كما أن ترتيبهم المذكور

لم يكن على حسب ترتيبهم في الفضل، والشرف، وإنما ترتيبهم في الذكر على حسب الحالة المشابهة بين السابق واللاحق، والغاية من ذلك: التبصر، والاعتبار، وهذه الظاهرة تبرز في سورة (الشعراء) أكثر ما تبرز، ويمكن القول: إن ذكر الرسل في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) عليه السلام، إنما هو على حسب ترتيبهم الزمني.

هذا؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**اقْرَؤوا، وابْكُوا، وإنْ لَم تَبْكُوا فَتَبَاكوا**». وبُكِيٌّ أصله: بُكُويٌّ، فإعلاله مثل إعلال ﴿بَغِيًّا﴾ و﴿مَّقۡضِيًّا﴾ في الآية رقم [٢٠] و[٢١].

بعد هذا انظر شرح ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الإسراء)، وشرح (آدم) في الآية رقم [٦١] منها وشرح (البكاء) في الآية رقم [١٠٩] منها أيضاً.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. وقيل: صفة، أو هو في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المجرور بـ: (على) و﴿مِّنَ﴾ بيان لما أبهم في الموصول، وعلامة الجر الياء... إلخ. ﴿مِن ذُرِّيَّةِ﴾: بدل ممَّا قبلهما بدل بعض من كل، و﴿ذُرِّيَّةِ﴾: مضاف، و﴿ءَادَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَمِمَّنۡ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وهناك مضاف محذوف؛ إذ التقدير: ومِنْ ذرية مَنْ، و(مَنْ) اسم موصول مبني على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿حَمَلۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿نُوحٖ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، و﴿ذُرِّيَّةِ﴾: مضاف، و﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة.

﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: معطوف على ما قبله مجرور مثله. ﴿وَمِمَّنۡ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿هَدَيۡنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: ومن الذين هديناهم: وجملة: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾: مع المفعول المحذوف معطوفة عليها، لا محل مثلها. وانظر إعراب: ﴿نَذَرۡتُ﴾ في الآية رقم [٢٦] ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿تُتۡلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَٰتُ﴾: نائب فاعل ﴿تُتۡلَىٰ﴾ وهو مضاف، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿خَرُّواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٢٧] لإعراب ﴿قَالُواْ﴾. ﴿سُجَّدٗا﴾: حال مِن واو الجماعة.

﴿وَبُكِيًّا﴾: معطوف عليه وقيل: هو مصدر، وليس جمع باك، التقدير: خروا سجداً، وبكوا بكياً، وقرئ (بِكياً) بكسر الباء مثل ﴿عِتِيًّا﴾ في الآية رقم [٨]، وجملة: ﴿خَرُّواْ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها في محل رفع خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ على اعتبار الموصول بدلاً... إلخ، ومستأنف على اعتبار الموصول خبر المبتدأ. تأمل، وتدبر.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: فجاء من بعد هؤلاء القوم الكرام، والنبيين العظام أولاد سَوْءٍ. هذا؛ و﴿خَلْفٌ﴾ بسكون اللام يستعمل في الشر، والذم كما هنا، ويستعمل بفتح اللام في الخير والمدح، فيقال: خَلَفُ صِدْقٍ وخَلْفُ سَوْءٍ، واختلف في المراد هنا، فقيل: هم اليهود، والنصارى الذين حرفوا، وزيفوا شرائع الأنبياء، بل وقتلوا كثيراً منهم، وأهملوا عبادة الله من صلاة وغيرها. وقيل: هم في هذه الأمة، ولا ريب بأن كل من لم يسر على طريقة آبائه الصالحين، فهو خَلْفُ سَوْء.

هذا؛ والخلف: القرن، أو الجيل الذي يأتي بعد ما قبله. قال تعالى في الآية رقم [١٦٩] من سورة (الأعراف): ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ إلخ وقال البيضاوي: ﴿خَلْفٌ﴾ مصدر نعت به، ولذلك يقع على الواحد، وعلى الجمع. هذا؛ وخذ قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ في أكنافِهِمْ ... وبَقِيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ

وقال النبي ﷺ: «**يَحْمِلُ هذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**». وقد يتعاوضان فيستعمل مفتوح اللام في الشر، ويستعمل ساكن اللام في الخير. قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ مستعملاً ساكن اللام في الخير يخاطب النبي ﷺ: [الطويل]

لَنَا الْقَدَمُ الأُولى إِلَيْكَ وخَلْفُنَا ... لأَوَّلِنَا في طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ

وقال آخر مستعملاً مفتوح اللام في الشر: [الرجز]

إِنَّا وجَدْنَا خَلَفاً بِئْسَ الخَلَفْ ... أَغْلَقَ عَنَّا بَابَهُ ثُمَّ حَلَفْ

لا يُدْخِلُ البَوَّابُ إِلَّا مَنْ عرفْ ... عَبْداً إذا ما نَاءَ بالحِمْلِ وَقَفْ

هذا؛ وقال اللحياني: الخَلَف ـ بفتحتين ـ: الولد الصالح. والخَلْف ـ بفتح فسكون ـ: الولد الرديء.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: جحدوها، أو أهملوها، أو أخروها عن وقتها، أو صلَّوها غير صحيحة بإهمال شيء من شروطها، وأركانها، وواجباتها، وقد قال الرسول ﷺ للرجل المسيء صلاته: «**ارجع فصل، فإنك لم تصل، ثلاث مرات**». أخرجه مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. قال

حذيفة ـ رضي الله عنه ـ لرجل يصلي، ولم يتم صلاته: منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين عاماً. قال: ما صليت، ولو متَّ وأنتَ تصلي هذه الصلاة؛ لمت على غير فطرة محمد ﷺ. ثم قال: إن الرجل ليخفف الصلاة، ويتم، ويحسن. وقال ﷺ: «**تِلْكَ الصلاةُ صَلاَةُ المنافِقِ، يَجْلِسُ يَرقُبُ الشمس حتى إذا كانَتْ بَيْنَ قَرْنَي الشَّيْطَانِ؛ قامَ فنَقَرَها أَرْبعاً، لا يذكرُ الله فيها إلَّا قليلاً**». وباختصار: فقد وردت أحاديث كثيرة تشدد النكير على الذي لا يحسن صلاته، أكتفي بما يلي:

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الصَّلواتِ لِوَقْتِهَا، وأَسْبَغَ لَهَا وُضُوءَهَا، وَأَتَمَّ لها قيامَها وخُشوعَها، ورُكوعَها، وسُجودَها؛ خَرَجَتْ، وهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرةٌ، تقولُ: حفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي! وَمَنْ صَلَّاها لِغَيْرِ وقْتِها، وَلَمْ يُسْبِغْ لَهَا وُضُوءَها، وَلَمْ يُتِمَّ لَها خُشُوعَهَا، ولا ركوعَهَا، ولا سُجودَهَا؛ خَرَجَتْ، وِهِيَ سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ، تقولُ: ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي، حتى إذا كانَتْ حَيثُ شَاءَ اللهُ لُفَّتْ كما يُلَفُّ الثوْبُ الخَلَقُ، ثُمَّ ضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ**». رواه الطبراني في الأوسط. وانظر معنى الصلاة لغةً وشرعاً في الآية رقم [٣٠].

﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: كشرب الخمور والزنى وسلب الأموال، والتلذذ بالفواحش، والمنكرات والانهماك في المعاصي، والسيئات، وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من بناء المشَيَّد، وركوب المنظور، ولبس المشهور. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الغي: واد في جهنم، وإن، أودية جهنم لتستعيذ من حره، أعده الله تعالى للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن له، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور. وقال كعب: (غي): واد في جهنم أبعدها قعراً، وأشدها حراً، فيه بئر يسمى البهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تعالى تلك البئر، فتسعر بها جهنم. هذا؛ و(الغي): الشر، والضلال، والخيبة. هذا؛ وكل شر عند العرب غي، وكل خيرٍ رشادٌ. قال المرقش الأصغر: [الطويل]

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لا يعدمْ عَلى الغَيِّ لائِما

هذا؛ وأصل ﴿غَيًّا﴾: غَوْياً، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء.

الإعراب: ﴿فَخَلَفَ﴾: ماض. ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن: (خلف)، كان صفة له... إلخ على نحو ما رأيت في الآية رقم [٤] والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿خَلْفٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: (خلف...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿خَلْفٌ﴾ وجملة: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل رفع صفة مثلها. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: هي الفصيحة، التقدير: إن شئت أن تعلم عاقبتهم؛ فسوف. (سوف): حرف تسويف واستقبال. ﴿يَلْقَوْنَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿غَيًّا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَسَوْفَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل جزم جواب الشرط المقدر بـ: «إن».

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ أي: من تضييع الصلوات، واتباع الشهوات. ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: بالله، ورسله، وملائكته، وكتبه... إلخ، وذلك بعد الجحود والإنكار، والكفر والضلال. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: الأعمال الصالحات على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي: تكريماً لهم، وجزاء على إيمانهم، وأعمالهم الصالحة. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أي: بزيادة شيء من سيئاتهم، أو نقص شيء من حسناتهم. هذا؛ ، ولا تنس: أن التوبة وحدها بدون إيمان، وعمل صالح لا تجدي شيئاً، وأن التوبة، والإيمان بدون عمل صالح لا يغنيان فتيلاً. فإذاً فالثلاثة مرتبطة ببعضها، وكل واحد من الثلاثة مقرون بالآخرين، ومشروط قبوله، ونفعه بوجودهما، وهذا ما يسمى في علم البلاغة: الاحتراس، وقد نبهتك عليه كثيراً، ومثله في الآية رقم [٨٢] من سورة (طه) ﷺ. وفي الآيتين دليل على أنَّ الإيمان الصحيح، المقرون بالتوبة النصوح، والعمل الصالح يَجُبُّ ما قبله. وانظر تبديل سيئات التائبين بحسنات في الآية رقم [٧٠] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع إن كان المراد في الآية السابقة الكفار، والمتصل، إن كان المراد المؤمنين من هذه الأمة. ﴿تَابَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَن﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿وَءَامَنَ﴾ مع المتعلق المحذوف معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. وأيضاً: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ معطوفة عليها، لا محل لها، وهذا الإعراب يجعل الجملة الاسمية الآتية، غير مرتبطة بما قبلها إعراباً مع أنها مرتبطة به معنًى، لذا فالوجه اعتبار: ﴿مَن﴾ مبتدأ، والفاء زائدة في خبره لتحسين اللفظ؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يَدْخُلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: مفعول به. وانظر إعراب: ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾: في الآية رقم [١٠٤] سورة (الإسراء) والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الأول، ومضمون الجملة الاسمية: ﴿إِلَّا مَن...﴾ إلخ مستثنى من مضمون الكلام السابق، والاستثناء متصل، أو منقطع حسبما رأيت، ومثل هذه الآية في الإعراب الآية رقم [١٦٠] من سورة (البقرة)، ولا تنس: أنه روعي لفظ ﴿مَن﴾ في إرجاع الفاعل إليها، وروعي معناها في لفظ الإشارة، ورجوع الفاعل بعد الإشارة إليها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُظْلَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به ثان، أو هو نائب مفعول مطلق، وجملة: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. وقيل: معترضة بين البدل، والمبدل منه.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١﴾

الشرح: ﴿جَنَّٰتِ﴾: جمع: جنة، وهي في الأصل: البستان الكثير الأشجار، وسميت الجنة بذلك؛ لأنها تجن؛ أي: تستر من يدخل فيها لكثرة أشجارها، وكثافتها. وانظر أسماء الجنات في الآية رقم [٢٥] من سورة (يونس) عليه السلام، ومعنى ﴿عَدۡنٍ﴾: إقامة وخلود يقال: عدن بالمكان: إذا أقام به، ومنه: المعدن أي: الموجود في باطن الأرض. وقال النبي ﷺ: «**عَدْنٌ دارُ اللهِ، التي لم تَرَهَا عَيْنٌ قَطّ، ولم تَخْطُرْ على قلبِ بَشَرٍ، لا يَسْكُنُهَا إِلَّا ثلاثةٌ: النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقونَ والشهداءُ، يقول اللهُ: طُوبى لمنْ دَخَلَكِ**». رواه الطبراني عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾: المؤمنين المطيعين. والإضافة للتشريف، والتكريم. ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: وعدها إياهم، وهي غائبة عنهم غير حاضرة، فصدَّقوا بها، وعملوا الصالحات في الدنيا، وجدُّوا، واجتهدوا في العمل للحصول عليها.

وانظر شرح (الغيب) في الآية رقم [٢٦] من سورة (الكهف). ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ أي: لا خلف فيه، ومن أوفى بعهده من الله. وانظر الوعد في الآية رقم [٣١] من سورة (الرعد). هذا؛ وانظر ما ذكرته في كان في الآية رقم [٣] من سورة (الإسراء)، و﴿مَأۡتِيّٗا﴾: اسم مفعول أصله مأتوياً، انظر إعلال مثله في الآية رقم [٢٠] وقيل: هو مفعول بمعنى: فاعل، وهو الأصح.

الإعراب: ﴿جَنَّٰتِ﴾: بدل من ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ بدل الاشتمال، أو مفعول به لفعل محذوف، تقديره أعني، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، ويقرأ برفعه على اعتباره خبر مبتدأ محذوف، و﴿جَنَّٰتِ﴾: مضاف، و﴿عَدۡنٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب، أو في محل رفع صفة ﴿جَنَّٰتِ﴾ وساغ ذلك لأن ﴿عَدۡنٍ﴾ علم، فتعرف به المضاف، ﴿وَعَدَ﴾: ماض، ومفعوله الأول، وهو العائد محذوف. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: فاعله. ﴿عِبَادَهُۥ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿عِبَادَهُۥ﴾ وأجيز تعليقهما بالفعل ﴿وَعَدَ﴾ وجملة: ﴿وَعَدَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وهذا الضمير يحتمل عوده على ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ والثاني: أنه ضمير الأمر والشأن؛ لأنه مقام تعظيم وتفخيم، وعلى الأول: يجوز أن يكون في ﴿كَانَ﴾ ضمير هو اسمها يعود على ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ووعده بدل من ذلك الضمير بدل اشتمال، ويجوز أن لا يكون فيها ضمير، بل اسمها ﴿وَعۡدُهُۥ﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، و﴿مَأۡتِيّٗا﴾ خبرها على الاعتبارين، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ تعليل، أو مستأنفة، لا محل لها، وهي مقوية لوعد الله تعالى، ومؤكدة له، والجملة الاسمية: «هي جنات عدن» المقدرة على قراءة الرفع مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي: في الجنة، واللغو: هو الباطل من الكلام، والذي لا ينتفع به، ومنه قول الرسول ﷺ الذي رواه عنه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**إذا قُلْتَ لصاحِبِكَ يَوْمَ الجُمْعَةِ، والإمَامُ يَخطُبُ: أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَوْتَ**». وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: اللغو: كل ما لم يكن فيه ذكر الله تعالى. ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ أي: ولكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب، والنقيصة. أو إلا تسليم الملائكة عليهم، أو إلا تسليم بعضهم على بعض (على الاستثناء المنقطع) وما أحراك أن تنظر قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (يونس) عليه السلام. وأيضاً في الآية رقم [٢٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. وانظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد). هذا؛ وقيل: إن ﴿سَلَٰمًا﴾ مُسْتَثْنًى من صفة ذم منفية، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وقال النابغة الذبياني: [الطويل]

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

﴿وَلَهُمْ﴾ أي: للذين تابوا، وآمنوا، وعملوا الصالحات. ﴿رِزْقُهُمْ﴾ أي: ما يشتهون من المطاعم، والمشارب. ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل، ولا نهار حتى يعرف به البكرة، والعشي، بل هم في نور أبداً، ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار. كعادتهم في الدنيا. وقيل: إنَّهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب، ووقت الليل بإرخاء الحجب، وإغلاق الأبواب. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي، والمهدوي، وغيرهما. هذا؛ والمراد: بذكر البكرة والعشي: دوام الرزق، ودروره، لا أنهم ممنوعون من الرزق في غير هذين الوقتين المقدرين في الجنة.

وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أَبَانَ عن الحسن، وأبي قلابة قالا: قال رجل: يا رسول الله! هل في الجنة من ليل؟ قال: وما هيَّجك على هذا؟ قال: سمعت الله تعالى يذكر في الكتاب: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقلت: الليل بين البكرة، والعشي. فقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ هُنَاكَ لَيْلٌ، إنَّما هُوَ ضَوْءٌ ونورٌ، يَرُدُّ الغُدُوَّ على الرَّواحِ، والرواحَ على الغُدُوِّ، وتأتيهم طُرَفُ الهَدَايا من اللهِ تعالى لمواقِيتِ الصَّلاةِ، التي كانوا يصلونَ فِيها في الدُّنْيا، وتُسَلِّمُ عليهِم الملائكةُ**». وهذا في غاية البيان لمعنى الآية. انتهى. قرطبي بتصرف. هذا؛ وانظر شرح «الغداة والعشي» في الآية رقم [٢٨] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَغْوًا﴾: مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿سَلَٰمًا﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾.

وانظر الشرح وقيل: بدل من ﴿لَغْوًا﴾ وهو ضعيف، وجملة: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي في محل نصب حال مِن ﴿عِبَادَهُۥ﴾ والمعنى يؤيده وقيل: حال مِن ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ والمعنى لا يؤيده. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رِزْقُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالمصدر، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنه ﴿بُكْرَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالمصدر أيضاً. ﴿وَعَشِيًّا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُمْ﴾... إلخ في محل نصب حال مِن واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة وهو أقوى من اعتبارها مستأنفة.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي: الموصوفة بما ذكر. والخطاب للنبي ﷺ، ولكل مؤمن عاقل. ﴿ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ...﴾ إلخ: ندخرها لهم، ونكرمهم بها جزاء لهم، ومكافأة على تقواهم، كما نورث الوارث مال مورثه، والميراث أقوى لفظ يستعمل في التمليك، والاستحقاق، من حيث إنه لا يعقب بفسخٍ، ولا استرجاع بإقالة، ونحوها، ولا يبطل بردٍّ، ولا إسقاط، فهو من باب التشبيه التمثيلي البليغ. وقيل: يرى المتقون من الجنة المساكن، والمنازل التي كانت لأهل النار لو آمنوا، وعملوا الصالحات، وذلك زيادة في كرامة المتقين. هذا؛ والإضافة إضافة تشريف. وانظر (نا) في الآية رقم [٤٩] وانظر (التقوى) في الآية رقم [٢] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: خبره. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾. ﴿نُورِثُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» ومفعوله الأول: محذوف، وهو عائد الموصول. ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بـ: ﴿تَقِيًّا﴾ و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثانٍ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿مَن﴾ وهو العائد. ﴿تَقِيًّا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ والجملة الفعلية صلة (مَنْ) لا محل لها، وجملة: ﴿نُورِثُ...﴾ إلخ صلة ﴿ٱلَّتِى﴾.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ...﴾ إلخ: هذه الآية حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، ولم يدر ما يجيب، ورجا أن يوحى إليه فيه، فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً. وقيل: أربعين؛ حتى قال

المشركون: ودَّعه ربه، وقلاه، ثم نزل ببيان ذلك، فقال ﷺ: أبطأت علي يا أخي حتى ساء ظني، واشتقت إليك! فقال جبريل عليه الصلاة والسلام: «**إني كُنْتُ أَشْوَق إِلَيْكَ، ولكني عبدٌ مأمورٌ؛ إذا بُعِثْتُ؛ نزلتُ، وإذا حُبِسْتُ؛ احْتَبَسْتُ**». وما أحراكَ أن تنظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الكهف). ﴿لَهُۥ﴾ أي: لربك. ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: علم ما بين أيدينا. ﴿وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾:

قال ابن عباس، وابن جريج: ما مضى أمامنا من أمر الدنيا، وما يكون بعدنا من أمرها وأمر الآخرة، وما بين ذلك من البرزخ. وقال قتادة، ومقاتل: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ أي: ما مضى من الدنيا، وما بين ذلك؛ أي: ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

وقال البيضاوي: أي: وهو ما نحن فيه من الأماكن، والأحايين، لا ننتقل من مكان إلى مكان، أو لا ننزل في زمان دون زمان إلا بأمر الله، ومشيئته. وانظر الآية [١١٠] من سورة (طه). ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تاركاً لك؛ أي: ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به، ولم يكن ذلك عن ترك الله لك، وتوديعه إياك، كما زعمت الكفرة وإنما كان لحكمة رآها فيه.

هذا؛ وقيل: إن الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، والمعنى: وما ننزل الجنة إلا بأمر الله، ولطفه، وهو مالك الأمور كلها السالفة، والمترقبة، والحاضرة، فما وجدناه وما نجده من لطفه، وفضله. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تقرير من الله لقولهم؛ أي: وما كان ربك ناسياً لأعمال العاملين، وما وعدهم من الثواب عليها. انتهى. بيضاوي، وعلى هذا القول فالآية متصلة بما قبلها، ومرتبطة بها، وعلى ما تقدم تكون غير متصلة بما قبلها، وشأنها مع اللاحقة لها كشأنها مع السابقة من الارتباط بها، وعدمه. تأمَّل، وتدبر.

بعد هذا انظر شرح ﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (الإسراء)، وشرح: ﴿بَيْنَ﴾ في الآية رقم [٤٥] منها أيضاً وانظر شرح (النسيان) في الآية رقم [٢٤] من سورة (الكهف)، هذا بالإضافة لما ذكرته في تفسير ﴿أَيْدِينَا﴾ أقول: ف: (اليد) تستعمل في الأصل لليد الجارحة، وتطلق، ويراد بها القدرة، والقوة، كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كما تطلق على النعمة والمعروف، يقال: لفلان يدٌ عندي؛ أي: نعمة، ومعروف، وإحسان، وتطلق على الحيلة، والتدبير، فيقال: لا يدلي في هذا الأمر؛ أي: لا حيلة لي فيه، ولا تدبير.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿نَتَنَزَّلُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»: ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِأَمْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، و(أمر): مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان

متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِينَا﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، و(نا): في محل جر بالإضافة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: معطوف على ما قبله، فهو مثله في الإعراب. وأيضاً: ﴿وَمَا بَيْنَ﴾ معطوف عليه أيضاً، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجملة الاسمية: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن ﴿رَبُّكَ﴾ والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿رَبُّكَ﴾: اسم كان... إلخ. ﴿نَسِيًّا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ربهما، وخالقهما، وخالق ما بينهما، ومالكهما، ومالك ما بينهما، فكما إليه تدبير الأزمان؛ كذلك إليه تدبير الأعيان، ومن كان كذلك فيمتنع عليه النسيان قطعاً، وفي ذلك دليل واضح على أنَّ أفعال العبد مفعولةٌ لله تعالى، كما يقوله أهل السنّة والجماعة، وهو القول الحق الذي لا ريب فيه، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: إن العبد يخلق أفعاله الاختيارية.

﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾: هذا خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه: أنه لمَّا عرفت ربك كما ذكر، وعرفت: أنه لن ينساك؛ فأقبل على عبادته، واصطبر عليها، ولا تتشوش بإبطاء الوحي، ولا تكترث بهزء الكافرين. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ﴾ أي: لله. ﴿سَمِيًّا﴾ أي: مثلاً، ونظيراً يستحق أن يسمى إلهاً، أو أحداً يسمى الله، أو الرحمن، فإن المشركين وإن سموا الصنم إلهاً، فلم يسموه الله، أو الرحمن، وذلك لظهور أحديَّته، وتعالي ذاته عن المماثلة، بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر الآية رقم [١] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿رَّبُّ﴾: بدل من ﴿رَبُّكَ﴾ أو هو خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو رب، وذلك على القطع، والجملة الاسمية على هذا الاعتبار مستأنفة، لا محل لها، و(رب): مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٥] (اعبده): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذاكان ذلك واقعاً فاعبده، والشرط المقدر ومدخوله

كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾: أمر، وفاعله: أنت، وأصل الفعل: «اصتبر» فثقل الجمع بين الصاد والتاء لاختلافهما، فأبدل من التاء طاء، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. هذا؛ وهناك من يجيز اعتبار: ﴿رَّبُّ﴾ مبتدأ، وجملة: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ﴾ في محل رفع خبره، وهذا على رأي: الأخفش الذي يجيز زيادة الفاء في الخبر، ولنا كلام طويل على مثل ذلك في الآية رقم [٤١] من سورة (المائدة)، والآية رقم [١٥] من سورة (النساء)، وسأعيده في الآية رقم [٢] من سورة (النور) إن شاء الله تعالى. ﴿لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، ﴿تَعْلَمُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿سَمِيًّا﴾: مفعول به. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: المراد به: جنس الإنسان بأسره، فإن المقول مقول فيما بينهم، وإن لم يقله كلهم، كقولك: بنو فلان قتلوا فلاناً، والقاتل واحد منهم، والمراد: الكفار الذين ينكرون الحشر، والنشر، والحساب، والجزاء، أو المراد به أُبَيُّ بن خلف الجمحي، وكان منكراً للبعث، وجد عظماً بالياً فتته بيده، وجاء به إلى النبي ﷺ. وقال له: يا محمد أُبْعَث أنا بعد أن أصير عظماً بالياً، كما صرحت به آية سورة (يٰس). ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ أي: وصرت عظماً بالياً. ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: قاله استهزاء، واستنكاراً، فكأنه قال: أحقاً أنَّا سنخرج من القبور حين يتمكن فينا الموت، والهلاك؟! هذا؛ وقرئ بدون همزة الاستفهام كما قرئ: (أخرج) بالبناء للمعلوم. وانظر شرح: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿وَيَقُولُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقول الإنسان): مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَءِذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إذا): ظرف زمان متعلق بفعل محذوف يدل عليه ﴿أُخْرَجُ﴾ الآتي، ولا يتعلق به؛ لأن ما بعد لام التوكيد لا يعمل فيما قبلها. وقال الجلال: اللام زائدة، وعليه يصح التعليق بالفعل بعدها، هذا؛ واعتبرها ابن هشام واقعة في جواب قسم محذوف، وعلق (إذا) بالفعل ﴿أُخْرَجُ﴾. وقال: وإنما جاز تقديم الظرف على لام القسم، لتوسعهم في الظرف، وأورد قول الأعشى، وهو الشاهد رقم [٢٦٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

رَضِيعَيْ لِبَانِ ثَدْيِ أُمٍّ تَحَالَفَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ

أي: لا نتفرق أبداً، و«لا» النافية لها الصدر في جواب القسم. انتهى. مغني. ثم قال: وقيل: العامل محذوف؛ أي: أئذا ما مت أبعث لسوف أخرج. ﴿مَا﴾: صلة. ﴿مِتُّ﴾: فعل، وفاعل، وهو في المعنى والحقيقة فعل ونائب فاعله؛ لأن الإنسان لا يموت بنفسه، والجملة

الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿لَسَوْفَ﴾: اللام: هي لام الابتداء مفيدة للتوكيد. (سوف): حرف استقبال صرفته اللام للحال. ﴿أُخْرَجُ﴾: مضارع مبني للمجهول، أو للمعلوم حسب ما رأيت، والفاعل، أو ونائبه مستتر تقديره: «أنا». ﴿حَيًّا﴾: حال مِن الفاعل، أو من نائبه، والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الذي ينكر الحشر، والنشر، بمعنى: أَوَلَا يتنبه، ويعلم علم اليقين؟! ويقرأ: (يذّكّر) بتشديد الذال، والكاف بمعنى: يتفكر، ويتدبر. ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها. ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾: بل كان شيئاً معدوماً. والمعنى للآية: أيقول ذلك الإنسان الكافر المنكر للإعادة بعد الموت، ولا يتذكر حال النشأة الأولى؛ حتى لا ينكر النشأة الأخرى؟ فإن تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر، والأعراض من العدم إلى الوجود، وأما الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق. انتهى. نسفي بتصرف.

الإعراب: ﴿أَوَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَذْكُرُ﴾ معطوف على (يقول). وقيل: معطوف على محذوف بعد الهمزة، التقدير: أيقول، ولا يذكر. ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: فاعله. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المنصوب، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه سكون النون المحذوفة للتخفيف، واسمه يعود إلى الإنسان. ﴿شَيْـًٔا﴾: خبر ﴿يَكُ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: يحشر الله الكافرين مقرنين مع شياطينهم الذين أضلوهم، كل كافر يحشر مع شيطانه مقرونين في سلسلة واحدة، كقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ هذا؛ وإن كان الحشر للناس أجمعين مؤمنهم، وكافرهم، فإن المراد من الآية قرن الكافرين مع شياطينهم كما رأيت. هذا؛ وقال الجمل: فائدة القسم أمران: أحدهما أن العادة جارية بتأكيد الخبر في اليمين. والثاني: أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً إلى

رسول الله ﷺ رفعاً منه لشأنه، كما رفع من شأن السماء، والأرض في قوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾. انتهى. نقلاً من كرخي. هذا؛ والمراد: من إضافته إلى الرسول إضافته إلى الكاف المخاطب بها ﷺ.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي: باركين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع لشدة ما هم فيه، لا يقدرون على القيام. وقيل: جاثين على الركب لضيق المكان. وقيل: إن البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل، قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ فقد وُصِفُوا بالجثوّ على العادة المعهودة في مواقف المقالات، أو؛ لأنه من توابع التوافق للحساب قبل التواصل إلى الثواب، والعقاب.

وإنما لم يفرق بينهم في المحشر، وأحضروا جميعاً حول جهنم، وأورد السعداء النار، كما، أوردها الكفار، ليشاهد السعداء الأهوال التي نجاهم الله، وخلصهم منها، فيزدادوا سروراً إلى سرورهم، ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم، وتزداد حسرة الكافرين، ويشتد غيظهم من سعادة المؤمنين، وشماتتهم بهم. هذا؛ ويقرأ ﴿جِثِيًّا﴾ بكسر الجيم وفتحها، وعلى ما تقدم من الشرح فهو جمع: جاث، وأصله: جُثُوٌّ، أو جُثُويٌ، فالأول: بواوين قلبت الواو الثانية ياء، ثم الأولى كذلك، وأدغمت الياء في الياء، والثاني: قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وعلى الوجهين كسرت الثاء لتصح الياء. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿جِثِيًّا﴾ أي: جماعات. وقال مقاتل: جمعاً جمعاً، وهو على هذا التأويل جمع: جثوة بتثليث الجيم ثلاث لغات، وهي في الأصل الحجارة المجموعة، والتراب المجموع، فأهل الخمر على حدة، وأهل الزنى على حدة، وهكذا. قال طرفة بن العبد البكري في معلقته: [الطويل]

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدِ

الإعراب: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (وربك): متعلقان بفعل محذوف، تقديره أقسم، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والميم علامة جمع الذكور، واللام واقعة في جواب القسم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾: معطوف على الضمير المنصوب، أو هو مفعول معه، والواو بمعنى: مع، ورجح هذا على الأول. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾: هو مثل سابقه في إعرابه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿حَوْلَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿حَوْلَ﴾: مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿جِثِيًّا﴾: حال مِن الضمير المنصوب. وقيل: هو مفعول مطلق، وليس بشيء.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾: لنخرجن ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: من كل أمة، وأهل دين من الكفار. ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني: جرأة. وقيل: فجوراً، وتمرداً. وقيل: قائدهم ورئيسهم في الشرك، والمعنى: أنه يُقَدَّم في إدخال النار الأعتى، فالأعتى، ممن هو أكبر جرماً، وأشد كفراً. وفي بعض الأخبار: أنهم يحضرون حول جهنم مسلسلين ومغلولين، ثم يقدم إلى جهنم الأكفر فالأكفر، فمن كان منهم أشد تمرداً في كفره خص بعذاب أعظم، وأشد؛ لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال. وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب، فلذلك قال في جميعهم ما يلي. انتهى. خازن. وانظر شرح: ﴿عِتِيًّا﴾ وإعلاله في الآية رقم [٨]، وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٥٣] من سورة (النحل). وانظر شرح ﴿شِيَعِ﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (الحجر)، فإنه جيد.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾: إعراب هذا الفعل مثل إعراب: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ في الآية السابقة، والجملة الفعلية هذه معطوفة على تلك لا محل لها مثلها. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شِيعَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَيُّهُمْ﴾: اسم موصول مبني على الضم في محل نصب مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَشَدُّ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو أشد، والجملة الاسمية هذه صلة الموصول، وهذا عند سيبويه؛ لأنه حقه أن يبني كسائر الموصولات لكنه أعرب حملاً على كل و«بعض» للزوم الإضافة، فإذا حذف صدر صلته زاد نقصه، فعاد إلى حقه منصوب المحل بالفعل قبله؛ ولذلك قرئ بنصبه، وهو مرفوع عند غير سيبويه على الابتداء على أنه اسم استفهام، وخبره: ﴿أَشَدُّ﴾ والجملة الاسمية محكية، وتقدير الكلام: لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم: أيهم أشد. وقيل: إن الفعل معلق عنها لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم. وقيل: الجملة الاسمية هذه مستأنفة، والفعل واقع على ﴿كُلِّ شِيعَةٍ﴾ على زيادة ﴿مِن﴾ في الإيجاب، أو على معنى: لننزعن بعض شيعة. انتهى. بيضاوي بتصرف. هذا؛ وقد قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

أَيٌّ كَمَا وَأُعْرِبَتْ مَا لَمْ تُضَفْ وَصَدْرُ وَصْلِهَا ضَمِيرٌ انْحَذَفْ

قال ابن عقيل رحمه الله تعالى في شرحه: يعني أن أيًّا مثل «ما»، في أنها تكون بلفظ واحد للمذكر، والمؤنث مفرداً كان، أو مثنًى، أو مجموعاً، نحو يعجبني أيهم هو قائم، ثم إن أياً لها أربعة أحوال: أحدها: أن تضاف ويذكر صدر صلتها، نحو يعجبني أيهم هو قائم، الثاني: ألا تضاف، ولا يذكر صدر صلتها، نحو يعجبني أي: قائم، الثالث: أن لا تضاف، ويذكر صدر الصلة، نحو يعجبني أي: هو قائم، وفي هذه الأحوال الثلاثة تكون معربة بالحركات الثلاث.

الرابع: أن تضاف ويحذف صدر الصلة، نحو يعجبني أيهم قائم وفي هذه الحالة تبني على الضم أي: في جميع حالات الإعراب، ثم قال: (وبَعْضُهُمْ أعرَبَ مُطْلَقاً) يعني أن بعض العرب أعرب أياً في جميع حالاتها؛ أي: وإن أضيفت، وحذف صدر صلتها. ثم قال ابن عقيل: وقرئ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ بالنصب. ﴿عَلَى الرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بـ: (أَشَدُّ). ﴿عِتِيًّا﴾: تمييز. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: يقول الله جل ذكره: نحن أعلم، وأعرف بالذين هم أحق بجهنم، ودخولها، والاحتراق بها. وانظر ما ذكرته في الآية السابقة من شرح. هذا؛ و﴿صِلِيًّا﴾ يقرأ بضم الصاد، وكسرها قراءتان سبعيتان. هذا؛ وقال الجوهري: يقال: صَلَيْتُ الرجل ناراً: إذا أدخلته النار، وجعلته يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق، قلت: أَصْلَيْتُهُ بالألف، وصَلَّيْتُهُ تَصْلِيَةً. ويقال أيضاً: صَلِيَ بالأمر: إذا قاسى حره، وشدته، واصطليتُ بالنار، وتصلَّيْتُ بها إذا استَدْفَأْتُ بها، وفلان لا يُصْطَلى بناره: إذا كان شجاعاً لا يُطاق. هذا؛ وأصل ﴿صِلِيًّا﴾: صلوياً، فإعلاله مثل إعلال ﴿مَأْتِيًّا﴾ ﴿مَقْضِيًّا﴾ في الآية رقم [٦١] [٢٠].

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف. ﴿لَنَحْنُ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (نحن): ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على جواب القسم في الآية رقم [٦٨] لا محل لها مثله. ﴿بِالَّذِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَوْلَىٰ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وفاعله وفاعل أعلم مستتر وجوباً تقديره: «هو»، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿أَوْلَىٰ﴾. ﴿صِلِيًّا﴾: تمييز له. وقيل: حال، وليس بشيء.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: هذا قسم، والواو يتضمنه، ويفسره حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَموتُ لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثلاثةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ»**. رواه الستة إلا أبا داود. هذا؛ واختلف الناس في الورود، فقيل: الورود: الدخول. فعن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الوُرُودُ: الدخولُ، لا يَبْقَى بَرٌّ، ولا فاجرٌ إلا دَخَلَها، فتكونُ على المؤمنين بَرْداً وسلاماً كَما كانَتْ على إبْراهيم»**. وتلا الآية التالية: وهو قول ابن عباس، وغيره.

هذا؛ وقالت فرقة أخرى: المراد بهذا الورود: المرور على الصراط، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ وفي حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ الطويل في الحشر عن النبي ﷺ قال: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ على ظَهْرِ جَهَنَّمَ، وتَحِلُّ الشفاعةُ، ويقولون: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**». قيل: يا رسولَ اللهِ، وما الجِسْرُ؟ قال: «**دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فيهِ خَطَاطيفُ، وَكَلَاليبُ وَحَسَكَةٌ تكونُ بنجدٍ فيها شويكةٌ، يقال لها: السَّعدانُ، فيمرُّ المؤمنون كطرْفِ العينِ، وكالبرْقِ، وكالرِّيحِ، وكالطيرِ، وكأَجَاويدِ الخيل والرِّكاب، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدُوشٌ في نارِ جهنَّم**». انظر الحديث بتمام في صحيح مسلم [١٨٢].

وقالت فرقة: بل هو ورود إشراف، واطِّلاع، وقرب، وذلك: أنهم يحضرون موضع الحساب، وهو بقرب جهنم فيرونها، وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا ممَّا نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ.....﴾ إلخ أي: أشرف عليه لا أنه دخله. وانظر الآية [٨٦] لشرح الورد وقال مجاهد: ورود المؤمنين النار هو الحمَّى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا، وهي حظه من النار، فلا يردها يوم القيامة. روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً من وَعَكٍ به، فقال له النبي ﷺ: «**أَبْشِرْ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالَى يقولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُها على عَبْدِي الْمُؤْمِنِ لِتَكونَ حَظَّهُ من النارِ**». وفي حديث آخرَ: «**الْحُمَّى حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنَ النارِ**». وقيل: غير ذلك. انتهى. باختصار من القرطبي: وإنني أعتمد المرور على الصراط من كل هذه الأقوال، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: كان ورود جهنم قضاءً لازماً، قضاه الله عليكم، وأوجبه، وقد أكد هذا الوجوب بالقسم، وهو يفيد عدم الخلف في وعده، ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز. وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (الفرقان). وانظر إعلال ﴿مَّقْضِيًّا﴾ في الآية رقم [٢١].

هذا؛ و(وارد) اسم فاعل من: ورد الماء يرده، وجمعه: واردون، وورَّاد. قال الشاعر: [البسيط]

رِدُوا فوالله لا ذُدْناكُمُو أبَداً مَا دامَ في مائِنَا وِرْدٌ لِوُرَّادِ

هذا؛ والمورد: المنهل من الماء، والمورود: الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد عليه أيضاً، وقد اعتبرت النار في هذه الآية مورداً على سبيل الاستعارة التصريحية. وقيل: استعارة مكنية تهكمية للضد، وهو الماء، ولا تنس: أن الضمير عائد على النار، وهو قائم مقام التصريح بها.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: فوربك، ونحوه. والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (إن): حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف يقع مبتدأ، التقدير: وما أحد كائن منكم. هذا؛ وفي الكلام التفات من الغيبة في الآية السابقة إلى الخطاب في هذه الآية. ومثل الآية في حذف الموصوف وإبقاء الصفة قول الشاعر: [الرجز]

لَوْ قُلْتَ ما في قومِهَا لَمْ تَيْثَمِ يَفْضُلُهَا في حَسَبٍ وَمِيسَمِ

فأصل الكلام: لو قلت ما في قومها أحد يفضلها، ومثل الآية قوله تعالى في سورة (النساء) ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ...﴾ إلخ، وأيضاً قوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [١٦٤]: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وَارِدُهَا﴾: خبر المبتدأ المقدر، و(ها): في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية جواب القسم الذي رأيت تقديره، والقسم، وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى الورود المفهوم من واردها. ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَانَ﴾ أو بـ: ﴿مَّقْضِيًّا﴾ بعدهما، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾: خبر لـ ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. هذا؛ وابن هشام يعتبر الواو عاطفة، والجملة الاسمية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ...﴾ إلخ فإنها وما قبلها أجوبة لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ...﴾ إلخ، والأحاديث التي ذكرتها تؤيد ما ذكرته من إعراب، والله الموفق، وإليه المرجع، والمآب يوم الحساب.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى...﴾ إلخ: لقد رأيت في الآية السابقة على أنه قد استدل بهذه الآية على أنَّ الورود: الدخول. هذا؛ ويقرأ: ﴿ثَمَّ﴾ بفتح الثاء على أنها ظرف مكان بمعنى: هناك، وبضمها على أنه حرف عطف. وانظر شرح ذلك في الآية رقم [٥٣] من سورة (النحل). وانظر شرح (نذر) في الآية رقم [٣] من سورة (الحجر). وانظر التعبير عن الكافرين بالظالمين، ونحوه في الآية رقم [١٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، وشرح (التقوى) في الآية رقم [٢] من سورة (النحل)، وشرح (جثياً) في الآية رقم [٦٨].

تنبيه: قالت المعتزلة: في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة، والفاسق يخلد في النار؛ بدليل: أن الله بين: أن الكل يردونها، ثم بين صفة من ينجو منها، وهم المتقون، والفاسق لا يكون متقياً فيبقى في النار أبداً. وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك يقول: لا إله إلا الله، وقد وردت أحاديث شريفة تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ مِنَ النارِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ وفي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرةٍ مِنْ خَيْرٍ. ويَخْرُجُ مِن النارِ مَنْ قالَ: لا إله إلَّا اللهُ، وفي قلبِهِ وزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيرٍ. ويخرجُ مِنَ النارِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وفي قلبِه وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**». وفي رواية «**من إيمان**». أخرجه البخاري.

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُعَذَّبُ ناسٌ مِنْ أَهْلِ التوحيدِ في النَّارِ حَتى يكونُوا حُمَماً، ثم تُدْرِكُهم الرحمةُ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ، فيُطْرَحونَ عَلَى أبوابِ الجنَّةِ، قَالَ: فَيرشُّ عليهِمْ أَهلُ الجنةِ مِنَ الماءِ، فينبتونَ كما تنبتُ الحَبَّةُ في حَمَالَةِ السيلِ**». أخرجه الترمذي. فدلت الآية الأولى على أنَّ الكل دخلوا النار، ودلت الآية الثانية، والأحاديث: أن الله تعالى أخرج منها المتقين، وجميع الموحدين، وترك فيها الظالمين، وهم المشركون. انتهى. خازن بتصرف كبير. والمأخوذ من تلك الأحاديث الشريفة: أن مرتكب الذنوب والمعاصي يعاقب بقدر ذنبه، ثم ينجو. وقالت المرجئة: لا يدخل النار موحد مهما فعل من سيئات، وهذا قول يضرب به عرض الحائط، وحديث جابر المذكور أصدق دليل لأهل السنَّة والجماعة.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف على ضم الثاء، وظرف مكان مبني على الفتح على فتحها متعلق بالفعل بعده. ﴿نُنَجِّي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿اتَّقَوا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿نُنَجِّي...﴾ إلخ معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ أو هي مستأنفة على الوجه الثاني في ﴿ثُمَّ﴾، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَنَذَرُ﴾: مضارع والفاعل تقديره: «نحن». ﴿الظَّالِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل نذر، أو هما متعلقان بـ: ﴿جِثِيًّا﴾. ﴿جِثِيًّا﴾: حال مِن ﴿الظَّالِمِينَ﴾، أو هو مفعول به ثان لـ: (نذر)، وجملة: ﴿وَنَذَرُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفار قريش. ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: مرتلات الألفاظ، ملخصات المعاني، مبينات المقاصد. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: مشركو قريش. وأظهر في مقام الإضمار زيادة في التشنيع عليهم. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: فقراء أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون في رغد من العيش، وسعة في الرزق. ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ أي: المؤمنين، والكافرين. ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي: أفضل، وأعلى منزلاً، ومسكناً. وقيل: المقام: الموضع الذي يقام فيه بالأمور الجليلة، أَيْ أَيُّ الفريقين أكثر جاهاً، وأنصاراً؟ ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: مجلساً، والندي: مجلس القوم، ومتحدثهم، وكذلك الندوة، والنادي. ومنه: دار الندوة التي كان كفار قريش يتشاورون فيها في أمورهم.

تنبيه: إنما قال كفار قريش للمؤمنين هذه المقالة بعد أن عجزوا عن معارضة القرآن، وبعد أن تحداهم مراراً، فأخذوا يتعززون بالدنيا، وحطامها الفاني، ومتاعها الزائل، وغرضهم بذلك إدخال الشبهة على المستضعفين، وإيهامهم: أن من كثر ماله، وعلا جاهه هو المحق في دينه وعبادته، وكأنهم لم يروا في الكفار فقيراً، ولا في المؤمنين غنياً، ولم يعلموا: أن الله تعالى حفظ أولياءه من الاغترار بالدنيا، والركون إليها.

الإعراب: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾: انظر الآية رقم [٥٨] ففيها الكفاية. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ مؤكدة منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل ﴿قَالَ﴾ والموصول مبني على الفتح في الأول في محل رفع، وفي الثاني في محل جر باللام، وجملة ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿أَيُّ﴾: اسم استفهام مبتدأ، و﴿أَيُّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنًّى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مَّقَامًا﴾: تمييز. ﴿وَأَحْسَنُ﴾: معطوف على خير. ﴿نَدِيًّا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ: جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أهلكنا كثيراً قبل كفار قريش من الأمم والقرون السابقة؛ لأن (كم) كناية عن عدد مبهم، وهي بمعنى: كثير، ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ أي: أحسن متاعاً، والأثاث متاع البيت. ﴿وَرِءْيًا﴾: منظراً حسناً، وفيه خمس قراءات. هذا؛ و(القرن) مفرد لفظاً متعدد معنًى، ولذا عاد الضمير عليه جمعاً. وانظر الآية رقم [١٧] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك. هذا؛، ولا تنس: أن في الآية نقضاً وردًّا لما قاله كفار قريش في الآية السابقة من المفاخرة بزينة الحياة الدنيا، ومتاعها الزائل الفاني، وهذا الرد مقرون بالتهديد، والوعيد، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكَمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (كم): خبرية بمعنى: كثير مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿قَبْلَهُم﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْنٍ﴾: تمييز (كم) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَحْسَنُ﴾: خبره، والجملة

الاسمية صفة قرن باعتبار لفظه، أو محله، وقال الزمخشري وأبو البقاء: صفة (كم)، ورده ابن هشام في المغني، وجمع الضمير حملاً على معنى ﴿قَرْنٍ﴾، ﴿أَثَٰثًا﴾: تمييز. ﴿وَرِءْيًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ أي: في الكفر، والطغيان. ﴿فَلْيَمْدُدْ...﴾ إلخ: هذا أمر، ومعناه الخبر؛ أي: من كان في الضلالة مد له الرحمن في هذه الدنيا، وفتح عليه من أبواب الرزق، والنعيم ما يريد، حتى يطول اغتراره بالدنيا، فيكون ذلك أشد لعقابه. نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ وقوله جل ذكره: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: فليعش ما شاء، وليوسع لنفسه في العمر، فمصيره إلى الموت، والعقاب، فإن هذا الإمداد استدراج، وليس بإكرام، وهذا في غاية التهديد، والوعيد. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨٢ و١٨٣] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

وأفيدك: أنه قد ذكر لفظ الرحمن في هذه السورة في ستة عشر موضعاً. هذا؛ ومثل الآية الكريمة في وقوع الجملة الطلبية بمعنى: الخبر قول رجل من بني نهشل، وهو الشاهد رقم [١٠٠٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكِّرِينِي ... وَدَلِّي دَلَّ مَاجِدَةٍ صَنَاعِ

إذ المعنى: وكوني بالمكارم تذكرينني.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: يمد الله لهم في هذه الدنيا، ويعطيهم ما يتمنون، ويستمرون في طغيانهم حتى يروا ما يحل بهم إما العذاب في الدنيا، وذلك بالقتل، والأسر، والخزي، وقد أنجز الله وعيده لهم يوم بدر بما حصل فيهم، كما هو معروف، وإما قيام الساعة، وما ينالهم فيها من الخزي والنكال. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: إذا نزل بهم أحد الأمرين فعند ذلك يعلمون من هو شر مكاناً، وأضعف جنداً، أهم أم المؤمنون؟ حيث يعاينون الأمر على عكس ما قدروه، وعاد ما متعوا به خذلاناً، ووبالاً عليهم. وهذا الكلام في مقابلة قولهم: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ في الآية رقم [٧٣] في يوم القيامة مكانهم جهنم، ومكان المؤمنين الجنة، وجندهم الشياطين، وجند المؤمنين الملائكة.

بعد هذا انظر شرح: ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في الآية رقم [٨٥] من سورة (الحجر)، وإعلال ﴿رَأَوْا۟﴾ مثل إعلال: «ألقوا» في الآية رقم [٨٧] من سورة (النحل)، والفعل (يعلمون) من المعرفة لا العلم،

انظر الآية رقم [٧٤] منها. وانظر شرح ﴿عَذَابًا﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (الإسراء) وشرح: ﴿شَرٌّ﴾ في الآية رقم [٤٤] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه يعود إلى ﴿مَن﴾، تقديره: «هو». ﴿فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾. الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ليمدد): مضارع مجزوم بلام الأمر، وقد فك المضعف، ويجوز إبقاؤه من غير فك، ولكن الفك أفصح، وقد جاء به القرآن في غير هذه الآية أيضاً. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: فاعله. ﴿مَدًّا﴾: مفعول مطلق. هذا؛ وقد اختلف في خبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً، وجملة: ﴿كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ صلته، وجملة: ﴿فَلْيَمْدُدْ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في خبره لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى الاعتبارين فالجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٥٨]. ﴿رَأَوْا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، وقد جمع الضمير مراعاة لمعنى ﴿مَن﴾، بعد مراعاة لفظها في الآية السابقة، ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، ﴿يُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني: محذوف، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِمَّا﴾: حرف شرط، وتفصيل. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: بدل من الموصول. ﴿إِمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (إمَّا الساعة): معطوفان على ما قبلهما. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. السين: حرف استقبال وتسويف وتهديد، ووعيد كما رأيت. (يعلمون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ شَرٌّ﴾ صلة الموصول.

هذا؛ وأجيز اعتبار (مَنْ) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، والضمير مبتدأ ثان و﴿شَرٌّ﴾ خبره، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ شَرٌّ﴾ في محل رفع خبر ﴿مَنْ﴾ وعليه فالفعل: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ معلق عن العمل بسبب الاستفهام، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ هُوَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به، وهناك قول لأبي البقاء، وهو أن ﴿مَن﴾ مبتدأ وشر خبره، والضمير فصل لا محل له من الإعراب، ومحل الجملة الاسمية يبقى كما رأيته. ﴿مَّكَانًا﴾: تمييز لـ: ﴿شَرٌّ﴾. ﴿وَأَضْعَفُ﴾: معطوف على ﴿شَرٌّ﴾. ﴿جُندًا﴾: تمييز له، وجملة: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها

في محل نصب مقول القول. وقيل: مستأنف. والأول: أقوى معنى، وقد رأيت في الآية رقم [٧١] من سورة (الكهف) أن الأخفش يعتبر حتى في مثل ذلك جارة لـ: ﴿إِذَا﴾، انظر الكلام هناك.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: أي: ويثبت الله المؤمنين على الهدى، ويزيدهم في النصرة، وينزل من الآيات ما يكون سبب زيادة اليقين مجازاةً لهم، هذا قول القرطبي، وغيره. وأرى أن المعنى من سلك طريق الهدى، والطاعة يزيده الله من فضله، وكرمه، وذلك بتقويته، وتنشيطه للطاعة، وشرح صدره للعبادة، وبالمقابل: من سلك طريق الشر، والضلال، والفسوق، والعصيان يزيده الله في ذلك، وذلك يكون بتخليه عنه، وطرده من رحمته، وتسليمه لشيطانه يتلاعب به تلاعب الصبيان بالكرة. اللهم تولني بعنايتك، ورعايتك، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، واحفظني في عقبي، وذريتي، إنك خير مسؤول، وأكرم منعم، ومتفضل يا أرحم الراحمين! انظر الآية رقم [٨٣] الآتية.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ...﴾ إلخ: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٤٦] من سورة (الكهف) ففيها بحث وافٍ كافٍ ضافٍ، والمراد: هنا: العاقبة، والمرجع. وقيل: الفائدة، والنفع، وإنما كانت الباقيات الصالحات أعظم نفعاً، وأجل فائدةً؛ لأن ما متع به الكافرون من النعم الوفيرة، والجاه الرفيع في هذه الدنيا، إنما هو فان وزائل، ومآله الحسرة، والعذاب المقيم بخلاف ثواب الباقيات الصالحات، فإن ثوابها مدخر عند الله، ولا يطرأ عليه زوال، ولا نفاد في الآخرة، وأفعل التفضيل: ﴿خَيْرٌ﴾ إما لمجرد الزيادة، أو على طريقة قولهم: الصيف أحر من الشتاء؛ أي: أبلغ من حره منه في برده، أو أن اسم التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة لكلامهم السابق في الآية رقم [٧٣]. هذا؛ وانظر إعلال ﴿هُدًى﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿وَيَزِيدُ﴾: الواو: حرف عطف. (يزيد): مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعوله الأول. وانظر الآية رقم [٤١] من سورة (الإسراء). ﴿ٱهْتَدَوْا﴾: مثل: ﴿رَأَوْا﴾ في الآية السابقة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿هُدًى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الفعلية: ﴿وَيَزِيدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على الجملة الشرطية المحكية بالقول، التقدير: قل: من كان في الضلالة... إلخ، وقل: يزيد الله... إلخ. انتهى. من السمين، والبيضاوي. هذا؛ وانظر باقي الإعراب في الآية رقم [٤٦] من سورة (الكهف)، ففيها الكفاية.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾

الشرح: عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رجلاً قيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين، فأتيته أتقاضاه ـ وفي رواية: فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً، فجئته أتقاضاه ـ فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله، ثم تبعث. قال: وإني لميت، ثم مبعوث؟! قلت: بلى! قال: دعني حتى أموت، وأبعث، فسأوتى مالاً وولداً، فأقضيك، فنزل: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾. متفق عليه. هذا؛ والقين: الحداد، أو الصائغ.

هذا؛ و﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني، والاستفهام تعجيب؛ أي: تعجب يا محمد من قصة هذا الكافر ومن مقالته المذكورة. ولما كانت الرؤية أقوى سند الأخبار، استعمل (أرأيت) بمعنى: الإخبار. هذا؛ وقرئ: ﴿وَوَلَدًا﴾ بفتحتين، وبضم فسكون، واختلف فيهما، فقيل: هما لغتان بمعنى: واحد. وقيل: إنَّ قيساً تجعل الوُلْد بالضم جمعاً، والوَلَد بالفتح واحداً. وإنما قال ذلك الكافر هذا الكلام سخريةً، واستهزاءً، وقد مات على كفره لعدم تقدير السعادة له في الأزل. وانظر شرح (المال) في الآية رقم [٦] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتعجب. الفاء: حرف عطف، والمعنى: أخبر بقصة هذا الكافر عقب قصة أولئك. (رأيت): فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): ماض، والفاعل يعود إلى الذي. ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل، والفعل مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «أنا»، وهو المفعول الأول. ﴿مَالًا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَوَلَدًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لقسم مقدر، واللام واقعة في جواب ذلك القسم، والقسم المقدر وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. تأمل. هذا؛ وانظر إعراب الآية رقم [٧٥] من سورة (الشعراء) فهي مثلها.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾

الشرح: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ...﴾ إلخ ألفه ألف الاستفهام لمجيء ﴿أَمِ﴾ بعدها، ومعناه التوبيخ، وأصله (أإطلع) فحذفت الألف الثانية؛ لأنها ألف وصل، فإن قيل: فهلا أتوا بمدة بعد الألف، فقالوا: آطلع كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ...﴾ إلخ قيل له: كان

الأصل في هذا (أألله) (أألذَّكرين) فأبدلوا من الألف الثانية مدة، ليفرقوا بين الاستفهام، والخبر، وذلك: أنهم لو قالوا: الله خيرٌ بلا مد؛ لالتبس الاستفهام بالخبر، ولم يحتاجوا إلى هذه المدة في قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ﴾ لأن ألف الاستفهام مفتوحة وألف الخبر مكسورة، وذلك أنك تقول في الاستفهام: (أَطَّلَعَ؟ أَفْتَرَى؟ أَصْطَفى؟ أَسْتَغْفَرْتَ؟) بفتح الألف، وتقول في الخبر: (اِطَّلع، اِفترى، اِصطفى، اِستغفرت لهم) بالكسر، فجعلوا الفرق بالفتح، والكسر، ولم يحتاجوا إلى فرق آخر. انتهى. قرطبي. هذا؛ وأصل: «اطلع» اطتلع على وزن افتعل مثل: اجتمع، فقلبت التاء طاء، وأدغمت في مثلها.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: المعنى: أقد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى عالم الغيب الذي توحَّد به الواحد القهار؛ حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً، وولداً، وتألّى عليه؟! ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أو اتخذ من علام الغيوب عهداً بذلك؟! فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين. وقيل: العهد: كلمة الشهادة، والعمل الصالح، فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه. انتهى. بيضاوي.

الإعراب: ﴿أَطَّلَعَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (اطلع): ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾. ﴿ٱلْغَيْبَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (أرأيت). ﴿أَمِ﴾: حرف عطف. ﴿ٱتَّخَذَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال مِن ﴿عَهْدًا﴾ كان صفة لهن انظر الآية رقم [٤] وقيل مفعول به ثان لـ: ﴿ٱتَّخَذَ﴾ وعهداً مفعول به أول، ولا وجه له قطعاً، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: مضاف إليه. ﴿عَهْدًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ٱتَّخَذَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. تأمل.

﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنظهر له: أنا كتبنا وسجلنا قوله على حد قول زائدة بن صعصعة يعرِّض فيه بزوجه، وكانت أمها سُرِّيَّة: [الطويل]

إِذَا مـا انْـتَـسَـبْـنَـا لَـمْ تَـلِـدْنـي لَـئِـيـمـةٌ وَلَـمْ تَـجِـدي مِـنْ أَنْ تُـقِـرِّي بـه بُـدّا

أي: وتبين، وظهر: أني لم تلدني لئيمة، أو معنى الآية: سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو، وحفظها عليه؛ لأن نفس الملائكة الكتبة لا يتأخرون عن كتابة قوله. قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: ونزيد له من العذاب، ونضاعفه له لكفره، وافترائه، واستهزائه على الله، ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه. وقيل: نطيل مدة عذابه. وهذا ليس بصحيح؛ لأنه يفيد انتهاء مدة عذاب الكافر.

أما القول في ﴿كَلَّآ﴾، فإني أنقله لك بحروفه من مغني اللبيب لابن هشام ـ طيب الله ثراه ـ لتكون على بصيرة من أمرك. قال رحمه الله تعالى: وهي عند سيبويه، والخليل، والمبرد، والزجاج، وأكثر البصريين حرف معناه الردع، والزجر، لا معنى لها عندهم إلا ذلك، حتى إنهم يجيزون أبداً الوقف عليها، والابتداء بما بعدها، وحتى قال جماعة منهم: متى سمعت (كَلَّا) في سورة؛ فاحكم بأنها مكية؛ لأن فيها معنى التهديد، والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكة؛ لأن أكثر العتو كان بها، وفيه نظر؛ لأن لزوم المكية إنما يكون عن اختصاص العتوِّ بها، لا عن غلبته، ثم لا تمتنع الإشارة إلى عتو سابق، ثم لا يظهر معنى الزجر في ﴿كَلَّآ﴾ المسبوقة بنحو قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

وقولهم: المعنى: انته عن ترك الإيمان بالتصوير في أي: صورة ما شاء الله، وبالبعث، وعن العجلة بالقرآن تعسفٌ؛ إذ لم يتقدم في الأوليين حكاية نفي ذلك عن أحد، ولطول الفصل في الثالثة بين كَلَّا وذكر العجلة. وأيضاً: فإن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق، ثم نزل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ فجاءت في افتتاح الكلام، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعاً كلها في النصف الأخير (وذلك في خمس عشرة سورة منه، وكلها مكية).

ورأى الكسائي، وأبو حاتم، ومن وافقهما: أن معنى الردع، والزجر ليس مستمِرًّا فيها، فزادوا فيها معنى ثانياً، يصح أن يوقف دونها، ويبتدأ بها، ثم اختلفوا في تعيين ذلك على ثلاثة أقوال: أحدها للكسائي ومتابعيه: قالوا: تكون بمعنى: حَقًّا، والثاني: لأبي حاتم، ومتابعيه: قالوا: تكون بمعنى: «أَلَا» الاستفتاحية، والثالث: للنضر بن شميل، والفراء، ومن وافقهما: قالوا: تكون حرف جواب بمنزلة: «إي» ونعم، وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ فقالوا: معناه: إي والقمر.

قول أبي حاتم عندي أولى من قولهما؛ لأنه أكثر اطراداً، فإن قول النضر لا يتأتى في آيتي (المؤمنون) و(الشعراء) على ما سيأتي، وقول الكسائي لا يتأتى في نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ لأن همزة «أنَّ» تكسر بعد ألا الاستفتاحية، ولا تكسر بعد حقاً، ولا بعد ما كان بمعناها، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم، وأما قول مكيٍّ: إن «كلَّا» على رأي: الكسائي اسم إذا كانت بمعنى: «حقاً» فبعيد؛ لأن اشتراك اللفظ بين الاسمية، والحرفية قليل، ومخالف للأصل، ومحوج لتكلف دعوى علة لبنائها، وإلَّا فَلِمَ نُوِّنَتْ؟!

وإذا صلح الموضع للردع، ولغيره جاز الوقف عليها، والابتداء بها على اختلاف التقديرين، والأرجح حملها على الردع؛ لأنه الغالب فيها، وذلك نحو قوله تعالى في سورة (مريم): ﴿أَطَّلَعَ

﴿ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ وقوله جل شأنه في سورة (مريم): ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾.

وقد تتعين للردع، أو الاستفتاح، نحو قوله جل شأنه في سورة (المؤمنون): ﴿حَتَّىٰٓ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾؛ لأنها لو كانت بمعنى: حقاً؛ لما كسرت همزة (إنَّ)، ولو كانت بمعنى: نعم؛ لكانت للوعد بالرجوع؛ لأنها بعد الطلب، كما يقال: أكرم فلاناً، فتقول: نعم، ونحو قوله جل ذكره في سورة (الشعراء): ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ وذلك لكسر (إنَّ)، ولأن «نعم» بعد الخبر للتصديق.

وقد يمتنع كونها للزجر، نحو قوله تعالى في سورة (المدثر): ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ إذ ليس قبلها ما يصح رده، وقول الطبري، وجماعة: إنه لما نزل في عدد خزنة جهنم قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال بعضهم: اكفوني اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر، فنزل: ﴿كَلَّا﴾ زجراً له تعسُّفٌ؛ لأن الآية لم تتضمن ذلك. انتهى. مغني اللبيب.

أقول: ويتلخص من هذا: أن الأكثر في «كلَّا» أن تكون حرف ردع، وزجر، وذلك إذا سبقها كلام يستدعي ذلك، ولا ردع في سورة (الانفطار)، ولا في سورة (العلق)، ولا في سورة (المطففين)، وما جرى مجراهنَّ، وإنما هي للتنبيه، والاستفتاح كما هو واضح، وتكون حرف جواب بمعنى: «إي» كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾، ولا تكون بمعنى: «حقاً» كما بينه ابن هشام لعدم فتح همزة (إنَّ) بعدها، ونقل الجمل عن السمين للنحويين فيها ستة مذاهب. والمعتمد ما لخصته لك، والوارد منها في القرآن الكريم ثلاثة وثلاثون موضعاً، كلها في النصف الأخير. قال الديربي في تفسيره المنظوم: [الطويل]

وَمَا نَزَلَتْ كَلَّا بِيَثْرِبَ فَاعْلَمَنْ وَلَمْ تَأْتِ في الْقُرْآنِ في نِصْفِهِ الأَعْلَى

الإعراب: ﴿كَلَّآ﴾: حرف ردع وزجر. ﴿سَنَكْتُبُ﴾: السين: حرف استقبال، ومعناها هنا التوكيد. (نكتب): مضارع والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: سنكتب الذي، أو شيئاً يقوله ذلك الكافر، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: سنكتب قوله. ﴿وَنَمُدُّ﴾: مضارع، والفاعل: نحن. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَدًّا﴾ كان صفة له... إلخ، انظر الآية رقم [٤]. ﴿مَدًّا﴾: مفعول مطلق، والجملة الفعلية: ﴿وَنَمُدُّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾

الشرح: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث ما يدعيه لنفسه من المال، والولد، وذلك بموته، وخروجه من الدنيا خالياً من ذلك. وفي القرطبي: وقيل: نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد، ونجعله لغيره من المسلمين. ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: لا مال له، ولا ولد، ولا عشيرة، والمراد: بالفردية: الانقطاع عنهما بالكلية، ولا شك: أن مثل هذه الفردية لا تحصل إلا للكافر، وإلا فالمؤمن والكافر سواء عند البعث في كونهما منفردين عن المال، والولد لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنعام). وانظر الآية رقم [٤٩] من سورة (الكهف). ثم يتفاوتون بعد ذلك. فالمؤمن يلاقي أحبابه، وأولاده، وما اشتهاه في الجنة، والكافر يحال بينه وبين ما يشتهيه، وينفرد عنه أبداً، وكيف يشتهي ذلك، وهو مشغول بنفسه بسبب العقاب الشديد، والعذاب الأليم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَنَرِثُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به ﴿مَا يَقُولُ﴾ إعرابه مثل إعراب ما قبله في الآية السابقة، وعلى الاعتبارات الثلاثة فهو بدل اشتمال من الضمير المنصوب، ويجوز أن يكون مفعولاً به مثل سابقه، والضمير منصوب بنزع الخافض، التقدير: ونرث منه ما يقول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَيَأْتِينَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى الكافر المعاند، و(نا): مفعول به. ﴿فَرْدًا﴾: حال من الفاعل المستتر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾

الشرح: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ أي: وعبد المشركون عامة، أوثاناً، وأصناماً. ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾: قوة، ومنعة يمنعونهم من العذاب، ويكونون لهم شفعاء عند الله، وقد صرحوا بذلك ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ هذا؛ وإنما جمعت المعبودات الباطلة بواو الجماعة التي هي للعقلاء مع أنها من الجمادات التي لا تعقل؛ لأن الكفار يعاملونها معاملة من يعقل من سؤالهم لها حوائجهم، وتذللهم لها، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا عاملوه معاملته وأنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل وهو كثير ومستعمل في القرآن الكريم والكلام العربي. وانظر شرح ﴿دُونِ﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الكهف) وشرح لفظ الجلالة في الآية رقم [١] منها أيضاً.

الإعراب: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (اتخذوا): ماض والواو فاعله والألف للتفريق. وانظر إعراب (قالوا) في الآية رقم [٢١] ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان

بمحذوف حال مِن ﴿ءَالِهَةً...﴾ إلخ، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به ثان والمفعول الأول: محذوف، التقدير: اتخذوا الأوثان... إلخ. ﴿لِّيَكُونُواْ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما. ﴿عِزًّا﴾: خبره: و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (اتخذوا) وجملة: ﴿وَٱتَّخَذُواْ...﴾ إلخ متضمنة حكاية حال الكافرين، وهي معطوفة على حكاية مقالة الكافر المعاند الذي رأيت في الآيات السابقة.

﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿كَلَّآ﴾ أي: ليس الأمر كما ظنوا، وتوهموا، ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ أي: ينكرون أنهم عبدوا الأصنام، أو تجحد الآلهة عبادة المشركين لها، كما حكى عنهم سبحانه ما يقولون في الآخرة: ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ الآية رقم [٦٣] من سورة (القصص). ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ أي: ينقلبون ضدهم، ويكونون لهم أعداء، والضد يكون واحداً ويكون جمعاً كالعدو والصديق. وقيل: وقع هنا موقع المصدر؛ أي: ويكونون عليهم عوناً، فلهذا لم يجمع، وهذا في مقابلة قوله: ﴿لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا﴾ والعز مصدر، فكذلك ما وقع في مقابلته، هذا؛ ويقرأ ﴿كَلَّآ﴾ بالتنوين وفتح الكاف وضمها، فعلى الأول: هو مصدر: كَلَّ؛ أي: أعيا، والمعنى كَلُّوا في دعواهم وانقطعوا. وقيل: هو بمعنى: الثقل؛ أي: حملوا كَلّاً؛ أي: ثِقلاً، وعلى الثاني: هو تنوين كل، واستبعده أبو البقاء، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿كَلَّآ﴾: حرف ردع وزجر لا محل له، وعلى تنوينه وفتح الكاف هو مفعول مطلق عامله محذوف، أو مفعول به لفعل محذوف. انظر الشرح، وعلى ضم الكاف مع التنوين هو حال، المعنى: سيكفرون كُلّاً؛ أي: جميعاً. السين: حرف استقبال، وتنفيس. (يكفرون): مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِعِبَادَتِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والمفعول محذوف، التقدير: سيكفر المشركون بعبادتهم الأصنام، أو من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: سيكفر الأصنام، ونحوها بعبادة المشركين إياهم. ﴿وَيَكُونُونَ﴾: مضارع ناقص مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على تجويز ذلك، أو هما متعلقان بما بعدهما. ﴿ضِدًّا﴾: خبر (يكونون)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعجب، وخطاب للرسول ﷺ من أقاويل الكفرة، وتماديهم في الغي، وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة. ﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: سلطنا، أو قيضنا لهم الشياطين، أو المعنى خلَّيْنا الشياطين، والكافرين، ولم نعصمهم منهم. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تغريهم إغراءً بالشر، والمعاصي، وذلك بالتسويل، والزخرفة، وتحبيب الشهوات، والمعاصي، والمنكرات. هذا؛ والأز: التهييج، والإغراء. هذا؛ وفي الآية دليل على أنَّ ما يفعله العبد إنما هو بتقدير العزيز العليم، وتيسيره له، فهنيئاً لمن خلقه الله للإيمان، والخير ويسَّره له! وويل ثم ويل لمن تخلى الله عنه، ووكله لشيطانه يتلاعب به! ولكن لا بد للعبد من إرادة للخير، أو إرادة للشر. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٦]. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٤٩] وشرح الشيطان في البسملة أول سورة (يوسف) عليه السلام، وشرح ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآية رقم [١٠٧] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل ﴿تَرَ﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ والهاء مفعول به. ﴿أَزًّا﴾: مفعول مطلق، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ والرابط: الضمير فقط. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تطلب لهم العذاب، وتستعجله. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: نعد لهم آجالهم بالسنين، والشهور، والليالي، والأيام، والساعات، بل والخطوات، واللحظات، والأنفاس، وروي: أن المأمون العباسي قرأ هذه السورة، وعنده جماعة من الفقهاء، فمر بهذه الآية، فأشار إلى ابن السماك أن يعظه، فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد. وقيل في هذا المعنى: [الطويل]

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا ... مَضَى نَفَسٌ مِنْكَ انْتَقَصْتَ بِهِ جُزْءا

يُـمِـيـتُـك مـا يُـحْـيـيـكَ فـي كُـلِّ لَـيـلـةٍ ويـحـدُوكَ حَـادٍ مـا يـريـدُ بـهِ الـهُـزْءَا

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة وانظر الآية رقم [٥] (لا): ناهية. ﴿تَعْجَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً؛ فلا تعجل عليهم، والكلام معطوف على ما قبله في الآية السابقة لا محل له مثله. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿نَعُدُّ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَدًّا﴾: مفعول مطلق، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها. وقيل: حالية.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ...﴾ إلخ: المعنى يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: اذكر يوم القيامة الذي يجتمع فيه المتقون، ويسيرون إلى جنة الرحمن جماعات جماعات، وذلك بعد الحساب، وتسليم البطاقات إلى الجنة. ولاختيار هذا الاسم الكريم وتكراره في هذه السورة شأن، ولعله؛ لأن مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام، وشرح حال المؤمنين والمتقين، وشرح حال الكافرين المعاندين.

هذا؛ و(الوفد) اسم للوافدين، كما يقال: قوم صَوْم، وفَطْر، وزَور، فهو جمع: وافد، مثل: رَكب وراكب، وصحب وصاحب، وجمع الوفد: وفاد، ووفود، والاسم: الوفادة وأوفدته أرسلته، والوفد مصدر وفد يفِد، وَفْداً ووفادةً وإفادةً إلي، أو على الأمير: قدم وورد رسولاً، فهو وافد.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: السوق: الحث على السير، أو نسوقهم لورود النار، فيساقون عطاشاً، حفاةً، عراة، مشاةً، أفواجاً، والورد أيضاً: الجماعة التي ترد الماء من طير، وإبل، ونحوهما، والوِرد: الماء الذي يورد. وانظر الآية رقم [٧١] وقد ورد في كيفية حشر المتقين، وحشر المجرمين أحاديث كثيرة أكتفي منها بما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى ثلاثَةِ طَرَائِقَ رَاغِبينَ رَاهِبينَ: اثْنَانِ على بَعِيرٍ، وثلاثَةٌ على بَعِيرٍ، وأَرْبَعَةٌ على بعيرٍ، وعشْرَةٌ على بعيرٍ، وتُحْشَرُ مَعَهُمُ النّارُ، تقِيلُ مَعَهُمْ حيْثُ قَالُوا، وتَبيتُ مَعَهُمْ حيْثُ بَاتُوا، وتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أصْبَحوا، وتُمْسِي مَعَهُم حيثُ أَمسَوْا**». متفق عليه، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثَلاثَةَ أصنافٍ: صِنْفاً مُشَاةً، وصِنْفاً رُكْبَاناً، وَصِنْفاً على وجوهِهِمْ**». قيلَ: يا رسولَ اللهِ كيفَ يمشونَ على وجوهِهِمْ؟! قَالَ: «**الذي أمشاهُمْ على أقدامِهِم قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُم على وُجوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُم يَتَّقُونَ بوجوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ، وَشَوكٍ**». أخرجه الترمذي.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لذلك المحذوف. وقيل: متعلق بالفعل ﴿يَمْلِكُونَ﴾ الآتي. ﴿نَحْشُرُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر، تقديره:

«نحن». ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿وَفْدًا﴾ كان صفة له... إلخ، انظر الآية رقم [٥] ﴿وَفْدًا﴾: حال مِن المتقين، وجملة: ﴿نَحْشُرُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها، وجملة: ﴿وَنَسُوقُ...﴾ إلخ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها، وإعراب هذه مثل إعراب تلك بلا فارق.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: الضمير يعود إلى القسمين المذكورين. وقيل: يعود إلى الكفار. ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: وهم المسلمون الذين قدموا العمل الصالح في الدنيا. وهذا على عود الضمير على القسمين المذكورين، فيكون المعنى: فإن المؤمنين يملكون الشفاعة لغيرهم. وعلى الثاني: فإن المعنى: لا يستحق الشفاعة من غيره، ولا يستأهلها إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. فعلى الأول: فقد تظاهرت الأخبار بأن أهل الفضل، والصلاح، والعلم يَشْفَعُونَ، فيُشفَّعُونَ، وعلى الثاني: فإن الرسول ﷺ يشفع في العصاة من المسلمين، فيكون المعنى: فإنهم يملكون الشفاعة بأن يُشْفَعَ فيهم، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا أزالُ أشْفَعُ حَتّى أقولَ: يا رَبِّ! شَفِّعْني فِيمَنْ قالَ: لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله، فيقُولُ: يا محمدُ إنَّها لَيْسَتْ لَكَ، وَلَكِنَّها لِي**». أخرجه مسلم بمعناه. انتهى قرطبي. أما عبدة الأصنام فلا يشفعون لأحد، ولا يملكون شفاعة أحد؛ أي: لا يستحقونها من أحد. قال تعالى في سورة (المدثر): ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

هذا؛ وقد قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «**أيَعْجِزُ أحدُكم أَنْ يَتَّخِذَ كلَّ صَباحٍ ومساءٍ عندَ اللهِ عهداً؟**». قيل: يا رسول الله! وما ذَاكَ؟ قال: «**يقولُ عِنْدَ كُلِّ صباحٍ ومساءٍ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَواتِ والأرضِ عالِمَ الغَيبِ والشَّهَادةِ إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ في هذه الحياة بأَنِّي أشهدُ أَنْ لا إله إلا أنتَ وحدَكَ لا شريك لكَ، وأنَّ محمداً عَبْدُكَ ورسولُكَ، فلا تَكِلْني إلى نفسِي فإنك إن تكلني إلى نفسي؛ تُباعدني مِنَ الْخَير، وتُقَرِّبني من الشَّرِّ، وإني لا أَثِقُ إلَّا برَحْمتِكَ، فاجْعَلْ لي عِنْدَكَ عَهْداً توفِينيهِ يَوْمَ القيامةِ، إنَّكَ لا تخلفُ الميعَادَ، فإذَا قالَ ذلكَ طَبَعَ عليْهَا طَابعاً، ووَضَعَها تحْتَ الْعَرْشِ، فَإذا كانَ يومُ القيامةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ الذينَ لَهُمْ عِندَ اللهِ عَهْدٌ؟ فيقومونَ، فيَدْخُلُونَ الجنةَ؟**».

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أو منهم ومن المتقين حسب ما رأيت في الشرح، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبني

على السكون في محل نصب على الاستثناء المتصل، أو المنقطع حسب ما رأيت في الشرح، أو هو في محل رفع بدل من واو الجماعة، وهذا على القاعدة: «إذا كان الكلام تاماً منفياً جاز في الاسم الواقع بعد إلا النصب على الاستثناء، والإتباع على البدلية». ﴿ٱتَّخَذَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَنِ﴾، وهو العائد، أو الرابط على اعتبارها نكرة موصوفة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بـ: ﴿عَهْدًا﴾ أو بمحذوف حال مِنه على مثال ما رأيت في الآية رقم [٥] وقيل: متعلق بمحذوف مفعول ثان لـ: ﴿ٱتَّخَذَ﴾ و﴿عَهْدًا﴾ هو المفعول الأول، والمعنى لا يؤيده. ﴿عَهْدًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ٱتَّخَذَ...﴾ إلخ: صلة ﴿مَنِ﴾ أو صفتها.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: اليهود، والنصارى، ومن زعم: أن الملائكة بنات الله. ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: وقرئ بضم الواو، وسكون اللام، وبفتحتين وأيضاً ما يأتي قرئ كذلك وهما لغتان، وكلتاهما بمعنى: الجمع. وقيل: وُلْد بسكون اللام: جمع وَلَد بفتحها، مثل: أسْد، وأسَد، وعُرْب، وعَرَب انظر الآية رقم [٧٧]. ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ أي: منكراً عظيماً، والأَدُّ والأُدُّ والإدُّ والإدَّةُ: كل ذلك بمعنى: الشيء العظيم، وكأن المادة مأخوذة من الثقل، وفي آية الكرسي: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الذم، والتسجيل عليهم بالجراءة على الله، انظر الالتفات في الآية رقم [٢٢] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٢٦] وجملة: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَّقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (قد) حرف تحقيق، يقرب الماضي من الحال. ﴿جِئْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب ﴿نَذَرْتُ﴾ في الآية رقم [٢٦] ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، أو هو نائب مفعول مطلق. ﴿إِدًّا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿لَّقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام مستأنف، وهو رد على ادعاء الكفرة اتخاذ الله ولداً.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشققن مرة بعد مرة، وقرئ (ينفطرن) قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ والأول: أبلغ؛ لأن التفعل مطاوع: فَعَّل. والانفعال مطاوع: فَعَل. ﴿مِنْهُ﴾ أي: من قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾. ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾:

تتصدع، أو تخسف بهم. ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾: تسقط. ﴿هَدًّا﴾: هدماً؛ أي: تسقط بصوت شديد، وتتفتت، يقال: هدني هذا الأمر وهدَّ ركني؛ أي: كسرني، وبلغ مني. وهَدَّتْهُ المصيبة: أي: أوهنته. والمعنى: أن هول ما قالوه وعظمه بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام، وتفتت من شدتها، وافترائها. أو لأن فظاعتها مجلبة لغضب الله تعالى بحيث لولا حلمه، ولطفه؛ لخرب هذا العالم، وبددت قوائمه غضباً على من تفوَّه بها. وانظر الآية رقم [١١١] من سورة (الإسراء) ففيها بحث جيد.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فزعت السموات، والأرض، والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت تزول، وغضبت الملائكة، واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً. وانظر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (النحل)، وشرح (كاد) في الآية رقم [٧٣] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿تَكَادُ﴾: مضارع ناقص. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: اسمها. ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿تَكَادُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، ومتعلق الفعل والذي بعده محذوف لدلالة ما قبله عليه. وأيضاً جملة: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾ معطوفة عليها. ﴿هَدًّا﴾: نائب مفعول مطلق؛ لأنه مصدر مرادف لمصدر (تخر) أو هو حال؛ لأنه بمعنى: مهدودة، أو هو مفعول لأجله. قال الزمخشري: أي: لأن تهد.

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: أي: قاربت السموات أن تتفطر، وقاربت الأرض أن تتشقق، وقاربت الجبال أن تتفتت لافترائهم على الله تعالى اتخاذ الولد، وقد نزه سبحانه نفسه عن ذلك، ونفاه نفياً قاطعاً؛ حيث قال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ...﴾ إلخ أي: لا يصح، ولا يليق؛ لأن الولد لا بد أن يكون شبيهاً بالوالد، ولا شبيهَ له تعالى، ولأن اتخاذ الولد يكون لأغراض لا تصح في الله تعالى: من سرور بالولد، واستعانة به، وذكرٍ جميل بعده، ولأن الولد لا يكون إلا من والد، يكون له والد، وأصل، والله تعالى تنزه عن ذلك، وتقدس فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: «**كذَّبني ابْنُ آدَمَ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذلِكَ، وشَتَمَني، ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تكذِيبُهُ إيَّايَ؛ فقولُه: لَيْسَ يُعيدُني كما بَدأني، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إعادَتِهِ. وأَمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ؛ فقولُهُ: اتَّخَذَ اللهُ ولداً، وأنا الأحدُ الصمدُ، لم يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ له كُفُواً أحدٌ**».

الإعراب: ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، ﴿دَعَوْا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والفعل في محل نصب بـ: «أنْ»، و«أن» والفعل في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأجل، أو من أجل دعواهم. . . إلخ، والجار والمجرور متعلقان بأحد الأفعال الثلاثة السابقة على التنازع. تأمل. وقال أبو البقاء: فيه ـ أي: المصدر المؤول ـ ثلاثة أوجه: أحدها هو في موضع نصب؛ لأنه مفعول له. والثاني: في موضع جر على تقدير اللام. والثالث: في موضع رفع؛ أي: الموجب لذلك دعاؤهم. والمعتمد الثاني، وهو ما ذكرته أولاً. وقال الزمخشري: فيه ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في (منه) ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل؛ أي: هداً لأن دَعَوْا، ومرفوعاً بأنه فاعل ﴿هَدًّا﴾ أي: هدها دعاء الولد للرحمن. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿وَلَدًا﴾ على نحو ما تقدَّم، وتكرر. ﴿وَلَدًا﴾: مفعول به. وقال البيضاوي: والفعل: «دعا» بمعنى: «سمى» المتعدي لمفعولين، وإنما اقتصر على المفعول الثاني: ليحيط بكل من ادعى له ولداً. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء). ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿يَنۢبَغِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ في محل رفع فاعل ﴿يَنۢبَغِى﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن (الرحمن)، والرابط: الواو، وإعادة لفظ الاسم الكريم.

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: المعنى: ما كل من في السموات والأرض إلا وهو يأتي يوم القيامة مقراً له في العبودية، خاضعاً ذليلاً كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ أي: صاغرين أذلاء، وهو يشمل العابدين، والمعبودين من دون الله، فلا يكون واحد إلهاً، أو ولداً له عز وجل، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيراً.

هذا؛ وفي ﴿مَن﴾ تغليب العاقل على غير العاقل. تأمل. هذا؛ وفي تكرير الرحمن في هذه السورة، واختصاص هذا الاسم بالذكر مع كونه تعالى له تسعة وتسعون اسماً كما رأيت في الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء) بيان من العلي القدير: أنه وحده الذي يستحق هذا الاسم، ولا يستحقه غيره لأن أصول النعم وفروعها منه وحده لا شريك له، فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه، فمن أضاف إليه ولداً؛ فقد جعله كبعض خلقه، وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن، واختصاصه به.

الإعراب: ﴿إِن﴾: نافية. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، و﴿كُلُّ﴾: مضاف، و﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة من، التقدير: كل شيء كائن في السموات. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿ءَاتِي﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وآتي مضاف، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿عَبْدًا﴾: حال؛ لأنه بمعنى: ذليلاً، وخاضعاً، والجملة الاسمية: ﴿إِن كُلُّ...﴾ إلخ تعليل للنفي في الآية السابقة لا محل لها.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ أي: أحصى الله جميع خلقه. ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي: عد أنفاسهم، وأيامهم، وآثارهم، وسائر تصرفاتهم، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم، وكلهم تحت تدبيره، وقهره، وقدرته. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ أي: منفرداً وحيداً، ليس معه مال، ولا ولد، ولا معين، ولا نصير. وانظر ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في الآية رقم [٥٨] من سورة (الإسراء). وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٠] والمحال عليها.

الإعراب: ﴿لَّقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر، والقسم، وجوابه كلام مستأنف، لا محل له، وجملة: ﴿وَعَدَّهُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. وهي مؤكدة لها. ﴿عَدًّا﴾: مفعول مطلق. ﴿وَكُلُّهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ءَاتِيهِ﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق باسم الفاعل، ويوم مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَرْدًا﴾: حال مِن فاعل ﴿ءَاتِيهِ﴾ المستتر، والجملة الاسمية: ﴿وَكُلُّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى من العطف على الجملة الفعلية، هذا، ويحتمل أن يكون ﴿ءَاتِيهِ﴾ فعلاً مضارعاً مرفوعاً، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾

واختلف فيمن نزلت، فقيل: في علي ـ رضي الله عنه ـ، فقد روى البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**قُلْ يا عليُّ: اللهمَّ اجعلْ لِي عِنْدكَ عهداً،**

واجعلْ لي في قلوب المؤمنين مَوَدَّةً». فنزلت الآية. ذكره الثعلبي. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ، جعل الله له في قلوب العباد مودة، لا يلقاه مؤمن إلا وَقَّرهُ، ولا مشرك، ولا منافق إلا عظَّمَهُ

الشرح: (الود): المحبة، والمودة، وهو بتثليث الواو، والمعنى: سيجعل للمؤمنين الذين يعملون الصالحات محبة في قلوب عباده المؤمنين بالإضافة إلى محبته لهم، والسين؛ لأن السورة مكية، وكانوا ممقوتين معذبين بين الكفرة، فوعد ذلك سبحانه لهم في المستقبل إذا انتشر الإسلام، وقد حقق وعده، وأنجزه بعد الهجرة.

أقول: وخصوص السبب لا يمنع التعميم، فكل من آمن بالله الإيمان الصحيح، وتحلى بالعمل الصالح، وابتعد عن إيذاء العباد يحبُّه الناس، ويودونه. وذلك دليل واضح على محبة الله له، وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ تَعالى إذا أَحَبَّ عَبْداً؛ دَعَا جِبريلَ عليهِ السَّلامُ، فقال: إني أُحِبُّ فلاناً، فأحبَّهُ، فيحبُّه جبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادي في السماء، فيقولُ: إن الله يُحِبُّ فلاناً، فأَحِبُّوهُ، فيحبُّه أَهل السَّماءِ، ثُمَّ يوضَع لهُ القَبولُ في الأرضِ. وإذا أبغضَ عبداً؛ دَعَا جِبريل عليه السلام. وقالَ: إني أُبْغِضُ فلاناً، فأَبْغِضْهُ، فيُبْغضُهُ جبريلُ، ثُمَّ يُنادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ الله يُبغِضُ فلاناً، فأَبْغِضُوهُ. قال: فيُبْغِضُونَهُ، ثم تُوضعُ لَهُ البغضَاءُ في الأَرْضِ**». أخرجه مسلم. هذا؛، ولا تنس: الاحتراس الذي ذكرته لك في الآية رقم [٣٠] من سورة (الكهف) وغيرها.

هذا؛ وكان هرم بن حيان يقول: ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم، ورحمتهم. وقال كعب الأحبار: مكتوب في التوراة: لا محبة لأحد في الأرض، حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل، ينزلها على أهل السماء، ثم على أهل الأرض. انتهى. هذا، ولا عبرة لبغض أهل الضلال، والفساد أهل التقوى، والإيمان، وفي الحديث الشريف: «يُعْطى الْمُؤْمِنُ مِقَةً في قُلُوبِ الأَبْرارِ ومَهَابَةً في قُلُوبِ الفجَّار».

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم وهو صفة لموصوف محذوف؛ إذ التقدير: وعملوا الأعمال الصالحات. ﴿سَيَجۡعَلُ﴾: السين: حرف استقبال، وتنفيس. (يجعل): مضارع. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ﴾: فاعله. ﴿وُدّٗا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿سَيَجۡعَلُ...﴾

إلخ: في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، أو مستأنفة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي: بينا القرآن. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك العربية، وجعلناه سهلاً على من تدبَّره وتأمَّله. ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الصابرين على التقوى، والمداومين عليها بأنَّ لهم الجنة. ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾: وتخوف بهذا القرآن قوماً أشداء الخصومة، و(لُدّ) جمع الألد، وهو شديد الخصومة، ومنه قوله تعالى في سورة (البقرة) في حق الأخنس بن شريق ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: وقيل: (الألد) الظالم الذي لا يستقيم، ولا يقبل الحق، ويدعي الباطل، وفي سورة (الدخان): ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وانظر شرح (لسان) في الآية رقم [٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، و(التقوى) في الآية رقم [٢] من سورة (النحل)، وشرح (قوم) في الآية رقم [٣] منها.

الإعراب: ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على مقدر، كأنه قيل: بلِّغ هذا المنزل عليك... فإنما... إلخ. ﴿بِلِسَانِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المنصوب، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِتُبَشِّرَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَتُنذِرَ﴾: معطوف على (تبشر) منصوب مثله، والفاعل تقديره أنت. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَوْمًا﴾ مفعول به. ﴿لُّدًّا﴾: صفة له.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: انظر الآية رقم [٧٤] ففيها الكفاية، والمراد: تخويف أهل مكة، وتجسير الرسول ﷺ على إنذارهم. ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: هل تشعر بأحد من الأمم الهالكة، أو تراه بعينك. ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: والركز: الصوت الخفي؛ أي: قد ماتوا، وهلكوا جميعاً. هذا؛ و«الركاز» المال المدفون في الأرض، كأنه ركز في الأرض. هذا؛ وانظر شرح «أحد» في الآية رقم [٣٢] من سورة (الكهف)، وشرح «تسمع» في الآية رقم [٦٥] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: انظر إعراب الآية رقم [٧٤] ففيها الكفاية. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿تُحِسُّ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنْهُم﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن أحد كان صفة له على نحو ما رأيت في الآية رقم [٤] ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة، ﴿أَحَدٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة: ﴿هَلْ تُحِسُّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَسْمَعُ﴾: مضارع، وفاعله أنت. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿رِكْزًا﴾ على مثال ما تقدم. ﴿رِكْزًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿تَسْمَعُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

انتهت سورة (مريم) شرحاً وإعراباً

بحمد الله، وتوفيقه.

سُورَةُ طه

مكية، وهي مئة وأربع. وقيل: خمس وثلاثون آيةً، وألف وستمئة وإحدى وأربعون كلمةً، وخمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً، فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ السورة التي فيها (البقرةُ) من الذكرِ الأوَّلِ، وأُعْطِيتُ (طه) و(الطواسينُ) من ألواح موسى، وأعْطِيتُ فواتحَ القرآنِ وخَواتِيمَ سورةِ (البقرة) من تحتِ العرشِ، وأُعْطيتُ المفصَّلَ نافِلةً**». النافلة: الزيادة. وفقنا الله لفهم ذلك. هذا؛ وقد نزلت السورة الكريمة قبل إسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ، وقصته مع أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد مشهورة، مسطورة لا أطيل الكلام بذكرها هنا.

﴿طه ۝١﴾

الشرح: لقد اختلف في معناه، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: يا رَجُلُ! فيكون المراد به النبي ﷺ. وقيل: إنها لغة معروفة في قبيلة عُكَل، وأنشد الطبري في ذلك قول متمم ابن نويرة: [الطويل]

دَعَوْتُ بِطَهَ في القتالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوائِلا

أي: ناديته بيا رجل. وقال عبد الله بن عمرو معناه: يا حبيبي بلغة قبيلة عك. وقال قطرب: هو بلغة طيئ، وأنشد ليزيد بن المهلهل: [البسيط]

إنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ شَمَائِلِكُمْ ... لا بَارَكَ اللهُ في الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ

معناه: إن السفاهة يا حبيبي. . . إلخ، واستشهد بهذا البيت أيضاً مَنْ قال: معناه: يا رجل كما استشهد بسابقه. وقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقسم أقسم به. وقيل: هو اسم من أسماء النبي ﷺ سماه الله به، كما سماه محمداً، وهو المشهور، والمعروف لدى الناس، فقد روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**لِي عِنْدَ رَبِّي عَشْرَةُ أَسْمَاءٍ**». فذكر: أن فيها طه، وياسين. وقيل: إنه اسم للسورة، ومفتاح لها. وقيل: إنها حروف مقطعة، يدل كل حرف منها على معنى، فالطاء افتتاح اسمه: طاهر، وطيب، والهاء افتتاح اسمه: هادي. وقيل: الطاء: يا طامع بالشفاعة للأمة، والهاء: يا هادي الخلق إلى الله. وقيل: غير ذلك. وقيل: إن معناه: طَإِ الأَرْض، وذلك أن النبي ﷺ كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورَّمان، فقيل له: خَفِّفْ عنْ نَفْسِكَ. وقيل: كان ﷺ إذا صلى قام على رجل واحدة، ورفع الأخرى، فقال الله له: طإِ الأرض بقدَمَيْكَ يا محمد. انتهى. من

القرطبي باختصار كبير. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١] من سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام. ولا تنس: أن اللفظ يقرأ بقراءات كثيرة.

أما الإعراب، فهو منادى حذف منه حرف النداء على تفسيره بـ: يا رجل، أو يا حبيبي، أو هو اسم علم له ﷺ، أو هو فعل أمر على التفسير الأخير له، ولا محل له من الإعراب على اعتباره من الحروف المقطعة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

الشرح: لقد اختلف في سبب نزول هذه الآيات، فقال الكلبي: لما نزل على النبي ﷺ الوحي بمكة؛ اجتهد في العبادة، واشتدت عبادته، فجعل يصلي الليل كله زماناً حتى نزلت هذه الآية، فأمره الله تعالى أن يخفف عن نفسه، فيصلي، وينام، فنسخت هذه الآية قيام الليل، فكان بعدها يصلي، وينام. وقال مقاتل، والضحاك: فلما نزل القرآن على النبي ﷺ؛ قام هو، وأصحابه، فصلوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى. وقيل: إن النبي ﷺ كان شديد التأسف والتحسر على عدم إيمان قومه، فيكون الكلام مثل الآية [٦] من سورة (الكهف). هذا؛ وأصل الشقاء في اللغة: العناء، والتعب. قال المتنبي: [الكامل]

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى في النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الجَهَالَةِ في الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

هذا؛ ومصدر الفعل يشقى: شَقاءً، وشِقْوةً، وشَقَاوَة، وهن ضدُّ السعادة. وقد شَقِيَ شقاءً، وشقاوةً، وأشقاه الله، فهو شقي بيِّنُ الشقاوة. وفي القاموس: الشقاء: الشدة، والعسر. وشَقِيَ، كرَضِيَ شقاءً، وشقاوةً.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ أي: يخاف الله تعالى، وإنما خص مَنْ يخشى بالتذكرة؛ لأنه هو الذي ينتفع بالموعظة، والتذكرة. ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ أي: نزله عليك يا محمد العلي القدير الذي خلق الأرض، والسموات العلية الرفيعة؛ التي لا يقدر على خلقها في عظمها، وعلوها إلا الله تعالى.

هذا؛ ويقرأ: (ما نُزِّلَ عليكَ القُرْآنُ لِتَشْقَى) والفرق بين أَنْزَلَ ونَزَّلَ: فالأول: يفيد التنزيل جملة واحدة، وأما الثاني: فإنه يفيد: أن القرآن نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع، ومقتضيات الأحوال، على ما نرى عليه أهل الشعر، والخطابة، وهذا ممَّا كان يريب المشركين، كما حكى سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾، فبين سبحانه الحكمة من ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ وانظر شرح

(القرآن) في الآية رقم [١] من سورة (الحجر). وانظر شرح «خشي» في الآية رقم [٨٠] من سورة (الكهف). هذا؛ و﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع: العليا، مثل كبرى، وكبر، وصغرى، وصغر.

الإعراب: ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به. ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة جوازاً بعد لام التعليل وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت» و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿مَآ أَنزَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة على اعتبار ﴿طه﴾ منادى، أو فعلاً كما رأيت، وفي محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ، وجوابه إن جعلته قسماً.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿تَذْكِرَةً﴾: منصوب على الاستثناء المنقطع، ولا يجوز أن يكون بدلاً من محل ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ لاختلاف الجنسين، ولا مفعولاً له لـ: ﴿أَنزَلْنَا﴾ فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين. وقيل: هو مصدر في موقع الحال مِن الكاف، أو القرآن، أو المفعول له على أنَّ لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن. انتهى. بيضاوي، وهو قول الزمخشري، ودافع عنه، وأيده، وأنكره الفارسي. ﴿لِّمَن﴾: متعلقان بـ: ﴿تَذْكِرَةً﴾ أو بمحذوف صفة له، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿يَخْشَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها، والمفعول محذوف للعلم به.

﴿تَنزِيلًا﴾: مفعول مطلق بفعل محذوف، أو هو بدل من ﴿تَذْكِرَةً﴾ على اعتباره حالاً فقط، وقرئ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو، أو هذا تنزيل. ﴿مِّمَّنْ﴾ متعلقان بـ﴿تَنزِيلًا﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ صلة (مَنْ)، والعائد رجوع الفاعل إليها. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿ٱلْعُلَى﴾: صفة (السموات) منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾

الشرح: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٢] من سورة (الرعد) ففيها الكفاية، أو الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنبياء). ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها إلا هو، وهي التي ذكرها لقمان لابنه، وذلك في قوله تعالى في سورة (لقمان): ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

تنبيه: قال البيضاوي رحمه الله تعالى في هذا الكلام تفخيم لشأن المُنَزَّل بعرض تعظيم المُنْزِل؛ أي: القرآن، بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل، فبدأ بخلق السموات والأرض التي هي أصول العالم، وقدم الأرض؛ أي: في الآية السابقة؛ لأنها أقرب إلى الحسِّ، وأظهر عنده من السموات العلى، ثم أشار إلى وجه إحداث الكائنات، وتدبير أمرها بأن قصد العرش، فأجرى منه الأحكام، والتقادير، وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته، وتعلقت به مشيئته، فقال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ...﴾ إلخ ليدل بذلك على كمال قدرته، وإرادته، ولما كانت القدرة تابعة للإرادة ـ وهي لا تنفك عن العلم ـ عقب ذلك بإحاطة علمه بجليات الأمور، وخفياتها على سواء، فقال: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ...﴾ إلخ.

هذا؛ و«استوى» له في اللغة معان كثيرة. قال في «القاموس»: استوى الشيء: اعتدل، واستقام، يقال: سويت الشيء، فاستوى، واستوى الرجل: استقام أمره، وانتهى شبابه، وبلغ أشده. قال تعالى في حق موسى ـ على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ...﴾ إلخ. واستوى عليه: ظهر واستولى. واستوى على ظهر الدابة: استقر، وثبت. واستوى على سرير الملك: كناية عن التملك. واستوى إلى الشيء: قصده. قال تعالى في الآية رقم [١١] من سورة (فصلت): ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ...﴾ إلخ. واستوى الطعام: نضج، والفاكهة: نضجت، وطاب أكلها. هذا؛ و﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ هنا بمعنى: استولى، وقهر. هذا مذهب الخلف. ومذهب السلف: استوى استواءً يليق به.

أما ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ بالقصر، فهو التراب الندي، فإن لم يكن ندياً؛ فهو تراب، ولا يقال له حينئذ: ثرى، وفي اللسان وغيره: شهرٌ ثَرَى، وشهرٌ تَرَى، وشهر مَرْعى؛ أي: تكون الأرض ندية أولاً، ثم ترى الخضرة، ثم يطول النبات حتى يصلح للرعي. هذا؛ والثراء بالمد: الغنى، وكثرة المال. والثري الغني، وكثير المال.

الإعراب: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: مبتدأ، ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الرحمن، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الرحمن، وعليه فالجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ المحذوف، أو هي في محل نصب حال مِن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ كما أجيز اعتبار ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بدلاً من فاعل ﴿خَلَقَ﴾ فتبقى الجملة الفعلية حالاً. وقال القرطبي: ويجوز النصب على المدح، فتبقى الجملة الفعلية حالاً، ولكن لم أر من قرأ بالنصب. هذا؛ وقرئ بالجر بدلاً من الموصول، فتبقى الجملة الفعلية حالاً. وقال الزمخشري: هي خبر مبتدأ محذوف لا غير، ولا أراه قوياً. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والجملة الاسمية

مستأنفة، لا محل لها، وأجيز اعتبارها خبراً لـ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ على رفعه. ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه. ﴿بَيۡنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (ما) والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿تَحۡتَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، و﴿تَحۡتَ﴾: مضاف، و﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ.

﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾

الشرح: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ويشمل كل عاقل، والمعنى: إن ترفع صوتك بالذكر، ونحوه؛ فاعلم: أنه غني عن جهرك. ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: السر: ما تسر في نفسك؛ وأخفى من السر: ما يلقيه الله في قلبك من بعد، ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك؛ لأنك لا تعلم ما تسر اليوم، ولا تعلم ما تسر غداً، والله يعلم ما أسررت به اليوم، وما تسر به غداً. وانظر الآية [١٠] من سورة (الرعد). وانظر ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء)، والفعل ﴿يَعۡلَمُ﴾ بمعنى: يعرف، انظر الآية رقم [٧٤] من سورة (النحل)، وفي الكلام التفات من التكلم إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، ومنه إلى الغيبة، وذلك للتفنن. وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (النحل) تجد ما يسرك.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾ إلخ: وحد الله نفسه، وذلك: أن رسول الله ﷺ دعا المشركين إلى عبادة الله تعالى، وخلع عبادة الأوثان، فكبر ذلك عليهم، فلما سمعه أبو جهل يذكر الرحمن؛ قال للوليد بن المغيرة: محمد ينهانا أن ندعو مع الله إلهاً آخر، وهو يدعو الله، والرحمن، فأنزل الله الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء) ثم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾ إلخ انظر آية الإسراء المذكورة تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن) حرف شرط جازم. ﴿تَجۡهَرۡ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِٱلۡقَوۡلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَعۡلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. ﴿ٱلسِّرَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية تعليل لجواب الشرط. ﴿وَأَخۡفَى﴾: يجوز فيه أن يكون فعلاً ماضياً، وفاعله يعود إلى الإنسان، ومفعوله محذوف، التقدير: وأخفى السر عن الخلق، أو هو أفعل تفضيل معطوف على ﴿ٱلسِّرَّ﴾ التقدير: وأخفى من السر، والمعنى عليه أقوى، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، التقدير: لا إله موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع، وفيه ثلاثة أوجه: الأول: اعتباره بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء، والثاني: اعتباره بدلاً من ﴿لَآ﴾ واسمها؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: اعتباره بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأولى والأقوى، والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: صفة الأسماء مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾

الشرح: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: قال أهل المعاني: هو استفهام، وإثبات، وإيجاب معناه: أليس قد أتاك؟ وقيل: معناه: وقد أتاك. قاله ابن عباس، وغيره، ومجيء «هل» بمعنى: «قد» ذكره ابن هشام في مغنيه، وجعل منه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾. هذا؛ وفي ذكر نبوة محمد ﷺ في أول السورة، ثم ذكر نبوة موسى عليه الصلاة والسلام، وما جرى له مع فرعون، ثم مع قومه ذلك: ليأتم به في تحمل أعباء النبوة، وتبليغ الرسالة، والصبر على مقاساة الشدائد، فإن هذه من أوائل ما نزل.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا حين قضى الأجل؛ أي: الذي عاقد شعيباً عليه، ثم استأذنه في الرجوع إلى أهله بمصر، وخرج بزوجه، وهي بنت شعيب كما ستعرفه، وتعرف نشأته في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى، فلما وافى وادي طوىً وفيه جبل الطور، وكانت أيام الشتاء، فأخذ على غير الطريق المعروف مخافةً من ملوك الشام، وامرأته حامل في شهرها، لا يدري: أليلاً تضع، أم نهاراً؟ فسار في البرية غير عارف بطرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن، وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد لما أراد من كرامته، فأخذ امرأته الطلق، فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور، فذهب إليها. وقال لأهله:

﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أقيموا مكانكم لأني أبصرت ناراً. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فلما توجه نحو النار؛ فإذا النار في شجرة عناب، فوقف متعجباً من حسن ذلك الضوء، وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا شدة حرِّ النار تغيِّر حسن خضرة الشجرة، ولا كثرة ماء الشجرة،

ولا نعمة الخضرة تغيّران حسن ضوء النهار. ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ أي: بشعلة، أو بجمرة. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أي: هادياً يهديني، ويدلني على الطريق، ولما كان حصول الاثنين مترقباً متوقعاً، وليس محققاً بناه على الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان محققاً، فلذا حققه. هذا؛ ومعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أن أهلها مشرفون عليها، أو هم مستعلون على المكان القريب منها، ومثله قول الأعشى من قصيدة مدح بها المحلَّق: [الطويل]

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدى والْمُحَلَّقُ

هذا؛ وفي سورة (النمل) قوله تعالى: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ وفي سورة (القصص) قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ والمعنى واحد، واختلاف الألفاظ لشحذ الأذهان، ويورث لذة على الأسماع، وهو دليلٌ واضح على بلاغة القرآن الذي أخرس الفصحاء، وأسكت البلغاء من العرب، وما يتذكر إلا أولو الألباب. وقال بعضهم: لا منافاة بين هذه الأشياء، فهو تعالى ذكر الكل، إلا أنه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء.

هذا؛ و﴿ءَانَسْتُ﴾: أبصرت، والإيناس: الإبصار البين، الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين؛ لأنه يبصر به الأشياء، و(القبس): الجذوة من النار.

بعد هذا فالفعل «أتى» يستعمل لازماً؛ إذا كان بمعنى: حضر، وأقبل، وقرب كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ ويستعمل متعدياً إذا كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما في هذه الآية، ونحوها. ومثله: «جاء» في التعدية، واللزوم مع اختلاف اللفظ واتفاق المعنى. هذا؛ و﴿مُوسَىٰٓ﴾ أصله: (موشى) مركَّباً من اسمين: الماء، والشجر، فالماء يقال له في العبرانية: (مو) والشجر يقال له: (شا) فعربته العرب. وقالوا: موسى بالسين، وسبب تسميته بذلك: أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء، والشجر لما ألقته أمه فيه، كما ستعرفه قريباً، أما «النار» فأصلها النَّوَر، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فهي في المؤنث المجازي، وقد تذكر، وتصغيرها: نُوَيْرة، والجمع: أَنْوُر، ونيران، ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين، والفاسقين من أبناء المسلمين، والفعل: نار، ينور، ويستعمل لازماً، ومتعدياً إذا بدئ بهمزة التعدية، كما في قولك: أنارت الشمس الكون. وانظر شرح (الأهل) في الآية رقم [٧١] من سورة (الكهف)، وإعلال ﴿هُدًى﴾ في الآية رقم [١٣] منها، وإعلال ﴿أَجِدُ﴾ مثل إعلال ﴿تَزِرُ﴾ في الآية رقم [١٥] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿وَهَلْ﴾: الواو: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام. وانظر الشرح. ﴿أَتَىٰكَ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿حَدِيثُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿مُوسَىٰٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية

مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿حَدِيثُ﴾، أو هو متعلق بفعل محذوف، تقديره: أذكر، أو هو مفعول به لهذا المقدر. وقيل: متعلق بمحذوف مؤخر، التقدير: حين رأى ناراً كان كيت، وكيت ﴿رَءَا﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿نَارًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿فَقَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿لِأَهْلِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب (اشربي) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل وياء المتكلم اسمها. ﴿ءَانَسْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿نَارًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها، ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل معناه الترجي، والياء اسمها. ﴿ءَاتِيكُم﴾: مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَّعَلِّيٓ...﴾ إلخ تعليل لـ: ﴿ءَانَسْتُ﴾ لا محل لها. ﴿مِّنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن (قبس) كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿بِقَبَسٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف، ﴿أَجِدُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنا». ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هُدًى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي: أتى النار، واقترب منها. قيل: إن موسى عليه السلام أخذ شيئاً من حشيش الأرض اليابس وقصد الشجرة التي رأى فيها النار، فكان كلما دنا منها؛ نأت عنه، وإذا نأى؛ دنت منه، فوقف متحيراً، وسمع تسبيح الملائكة، وألقيت عليه السكينة، فعند ذلك ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ قيل: إنه لما نودي؛ قال: من المتكلم؟ قال: «إني أنا الله» فوسوس إليه إبليس، لعلك تسمع كلام الشيطان، فقال: أنا عرفت: أنه كلام الله؛ لأني أسمعه من جميع الجهات، وبجميع الأعضاء. قيل: إنه سمعه بكل أجزائه، حتى إن كل جارحة كانت أذناً.

﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾: كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً. قال: كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وإنما أمر بخلعهما صيانة للوادي المقدس. وقيل: أمر بخلعهما؛ ليباشر بقدميه تراب الأرض المقدسة؛ لتنالهما بركتها، فخلعهما، وألقاهما وراء الوادي. وقيل: أمره بخلعهما؛ لأن الحفوة تواضع، وأدب، ولذلك طاف بعض السلف حول الكعبة حافين. ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر. ﴿طُوًى﴾: اسم الوادي الذي حصل فيه الكلام، ويقرأ بغير تنوين على أنه معرفة مؤنث علم للبقعة. وقال في القاموس: وطوى بالضم والكسر، وينون واد بالشام. انتهى. وهو غير المذكور في الآية حتماً.

هذا؛ و«الوادي» هو المنفرج بين جبلين يجري فيه السيل، ويجمع على، أودية وأوديات، وأوادية، وأوداء وأوداه. قال جرير: [الوافر]

عَرَفْتُ بِبُرْقَةِ الأوداهِ رسْماً مُحِيلاً طَالَ عَهْدُكَ مِنْ رُسومِ

ولم أعثر على «وديان» مع أنه كثير، ومستعمل. هذا؛ وقد قال أبو البقاء في جمع «واد» على: أودية، وجمع فاعل على أفعلة شاذ ولم نسمعه في غير هذا الحرف، ووجهه: أن فاعلاً قد جاء بمعنى: فعيل، وكما جاء فعيل، وأفعلة كجريب، وأجربة كذلك فاعل. انتهى.

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿أَتَىٰهَا﴾: ماض ومفعوله، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على القول بحرفية (لمَّا)، وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على القول بظرفيتها. ﴿نُودِيَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية جواب (لمَّا)، لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. (يا): حرف نداء ينوب مناب: «أدعو». (موسى): مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف للتعذر في محل نصب بـ: (يا)، والجملة الندائية في محل نصب مفعول به، وهي في معنى مقول القول. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل يجوز أن يكون فصلاً لا محل له، وأن يكون توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل، وأن يكون مبتدأ. ﴿رَبُّكَ﴾: خبر (إنَّ) على الوجهين الأولين في الضمير، وخبره على الوجه الثالث، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر إن، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ يقال فيها ما قيل بالجملة الندائية قبلها. هذا؛ ويقرأ بفتح همزة (أنَّ)، وعليه فهي تؤوَّل مع اسمها وخبرها بمصدر في محل جرٍّ بحرف جر محذوف، التقدير: بكوني ربك، والجار والمجرور على هذا متعلقان بالفعل ﴿نُودِيَ﴾.

﴿فَٱخۡلَعۡ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأعتبرها الفاء الفصيحة، (اخلع): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿نَعۡلَيۡكَۖ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ﴾ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً فاخلع... إلخ والكلام كله يقال فيه ما قيل فيما قبله. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿بِٱلۡوَادِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء. ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: صفة الوادي. ﴿طُوٗى﴾: بدل من الوادي، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أي: اصطفيتك برسالاتي، وبكلامي، وقرئ: (وأنَّا اخْتَرْناك). ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: فيه نهاية الهيبة، والجلال له، فكأنه قال له: لقد جاءك أمر عظيم، فتأهب له. قيل: لما قيل له ذلك؛ وقف على حجر، واستند إلى حجر ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره، ووقف يستمع، وكان لباسه صوفاً.

قال القرطبي: حُسْنُ الاستماع كما يجب قد مدح الله عليه، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ وذمَّ على خلاف هذا الوصف، فقال: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ...﴾ إلخ، فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور العقل، وأمر عباده بذلك أدباً لهم، فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾؛ لأنه بذلك ينال الفهم عن الله تعالى.

قال وهب بن منبه: من أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يشغلها بشيء.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ .. لِذِكۡرِيٓ﴾: لقد اختلف في تأويل قوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ فقيل: يحتمل أن يريد لتذكرني فيها، أو يريد: لأذكرك بالمدح في عليين بها. وقيل: المراد: إذا نسيت الصلاة، ثم تذكرت، فصل، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نسِيَ صَلَاةً فلْيُصَلِّ إذا ذكرَهَا، لا كفَّارَةَ لَها إلَّا ذلكَ**». متفق عليه. وقيل: المعنى: لإخلاص ذكري، وطلب وجهي، ولا ترائي فيها، ولا تطلب بها غرضاً آخر.

الإعراب: ﴿وَأَنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محلِّ رفع مبتدأ. ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة

الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وعلى القراءة الثانية فالمصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها فيه، وجهان: أحدهما: هو مجرور بحرف جر محذوف، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل بعدهما، التقدير: فاستمع لاختيارنا إياك. والثاني: هو معطوف على ما قبله؛ أي: بأني ربك، وبأنَّا اخْتَرْنَاكَ.

﴿فَٱسْتَمِعْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وجملة: ﴿فَٱسْتَمِعْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم. التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً فاستمع. ﴿لِمَا﴾: متعلقان بأحد الفعلين السابقين، و«ما»: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، ونائب الفاعل يعود إلى (ما)، وهو العائد، أو الرابط، والمتعلق محذوف، التقدير: للذي، أو لشيء يوحى إليك. ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ في الآية رقم [١٢]. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية رقم [٨] والجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر ثان لـ: (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّنِيٓ...﴾ إلخ بدل من «الذي يوحى» أو هي تفسير له. تأمل. ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾: الفاء: هي الفصيحة، (اعبدني): أمر، وفاعله تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط على مثال ما رأيت. ﴿وَأَقِمِ﴾: الواو: حرف عطف. (أقم): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِذِكْرِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: لذكري إياك، أو مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف، التقدير: لتذكرك إياي، و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: قيل: معنى ﴿أُخْفِيهَا﴾ أظهرها؛ لأنه يقال: خفيت الشيء، وأخفيته: إذا أظهرته، فأخفيته من حروف الأضداد يقع على الستر، والإظهار. واستدلوا بقول امرئ القيس: [المتقارب]

فَإِنْ تَدْفِنُوا الداءَ لا نُخْفِهِ وإنْ تبعثوا الحربَ لا نَقْعُدِ

أراد: لا نظهره، وقوله أيضاً: [الطويل]

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كأَنَّمَا خَفَاهُنَّ ودْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ

المعنى: أظهرهن من أنفاقهن. وقال أبو بكر الأنباري: بعد ﴿أَكَادُ﴾ كلام مضمر، التقدير: أكاد آتي بها، وأيد هذا القول علي بن سليمان، والنحاس، وعليه فيبقى: ﴿أُخْفِيهَا﴾ من الإخفاء

لا الإظهار، وتكون الجملة، مستأنفة. قال القرطبي: وهذا معنى صحيح؛ لأن الله عز وجل قد أخفى الساعة التي هي القيامة، والساعة التي يموت فيها الإنسان؛ ليكون الإنسان يعمل والأمر عنده مبهم، فلا يؤخر التوبة.

وقال أبو علي الفارسي: معنى ﴿أُخْفِيهَا﴾ أزيل عنها خفاءها، وهو سترها، وإذا أزال عنها سترها؛ ظهرت. وحكى أبو حاتم عن الأخفش: أن «كاد» زائدة مؤكدة. قال: ومثله: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ لأن الظلمات التي ذكرها الله تعالى، بعضها يحول بين الناظر، والمنظور إليه. وروي معناه عن سعيد بن جبير، واستشهدوا بقول زيد الخير: [الطويل]

سَرِيعٌ إلى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سلاحُه فَمَا إنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّس

أراد، فما يتنفس قرنه؛ أي: مقارنه، وهو محاربه. وقال آخر: [الطويل]

وَأَلَّا أَلُومُ النفسَ فِيما أَصابَني وأَلَّا أَكَادُ بالذي نِلْتُ أَنْجَحُ

معناه: وألا أنجح بالذي نلت. وقيل: المعنى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي: أقارب ذلك. قال اللغويون: «كدت أفعل» معناه عند العرب: قاربت الفعل، ولم أفعل، وشاهده قول الله جلت عظمته: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ معناه فعلوا بعد إبطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم. وقيل: المعنى: أريد أخفيها. قال الأنباري: وشاهد هذا القول الفصيح من الشعر: [الكامل]

كَادَتْ وكِدْتُ، وَتِلْكَ خَيْرُ إرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ زَمَنِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

معناه: أرادت، وأردتُ. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وأكثر المفسرين فيما ذكره الثعلبي: إن المعنى أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها مخلوق، وكيف أظهرها لكم؟! وهو محمول على أنه جاء على ما جرت به عادة العرب في كلامها، من أن أحدهم إذا بالغ في كتمان الشيء. قال: أخفيه من نفسي، والله تعالى لا يخفى عليه شيء، ورد هذا الزمخشري بقوله: ولا دليل على الكلام في هذا المحذوف، ومحذوف لا دليل عليه مُطَّرح. انتهى. قرطبي بتصرف.

وقال الجمل: والحكمة مِنْ إخفاء الساعة ومن إخفاء وقت الموت: أن الله تعالى وعد بعدم قبول التوبة عن قربهما، فلو عرف وقت الموت لاشتغل الإنسان بالمعصية إلى قرب ذلك الوقت، ثم يتوب، فيتخلص من عقاب المعصية، فتعريف وقت الموت كالإغراء بفعل المعصية، وهو لا يجوز. انتهى.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: اسمها. ﴿ءَاتِيَةٌ﴾: خبرها. ﴿أَكَادُ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر تقديره: «أنا». وخبرها محذوف، انظر ما ذكرته في الشرح، وعلى زيادتها فلا محل لها، وعلى تفسيرها بـ «أريد» فهي تامة والجملة بعدها مفعول به. وانظر الشرح بتدبر، وتعقل ينجلي لك الأمر، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو تعليلية، أو

مستأنفة، لا محل لها. ﴿أُخۡفِيهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾ وجملة: ﴿أَكَادُ﴾ معترضة في بعض الوجوه، أو الجملة في محل نصب خبر أكاد على وجه آخر وتكون جملة: ﴿أَكَادُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾.

﴿لِتُجۡزَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿كُلُّ﴾: نائب فاعل، و﴿كُلُّ﴾ مضاف، و﴿نَفۡسِۭ﴾ مضاف إليه، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ أو بالفعل: (أخفي). ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل (تجزى) و(ما) تحتمل الموصولة، والمصدرية، فعلى الأول: مبنية على السكون في محل جر بالباء، وعلى الثاني: تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسعيها؛ أي: بعملها الذي عملته. ﴿تَسۡعَىٰ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ﴾ والجملة الفعلية صلة (ما) على الوجه الأول فيها، التقدير: بالذي تسعى له مِنْ خير، أو مِنْ شر.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾: فلا يصرفنك عن الإيمان بالساعة ومجيئها... إلخ، والخطاب لموسى عليه الصلاة والسلام، والمراد: أمته؛ لأنه معصوم من اتباع قول من لا يؤمن بها؛ لأن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: هوى نفسه وميله إلى اللذات المحسوسة، وخالف أوامر الله وأوامر رسله. ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾: فتهلك مع الهالكين.

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (لا): ناهية. ﴿يَصُدَّنَّكَ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والنون حرف لا محل له، والكاف مفعول به. ﴿عَنۡهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: عود الفاعل إليها. ﴿وَٱتَّبَعَ﴾: ماض، وفاعله، يعود إلى من. ﴿هَوَىٰهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء السببية، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة بعد الفاء، والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منك صد عنها، واتباع لهوى من لا يؤمن بها، فإرداء لك. والجملة الفعلية: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر بـ: «إذا» التقدير: وإذا كانت الساعة آتية؛ فلا يصدنك... إلخ.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾

الشرح: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: سؤال تقرير، والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا، حتى إذا قلبها حية علم: أنها معجزة، وإلا فقد علم الله في الأزل ما هي؟ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ أي: أعتمد عليها في المشي، والوقوف. ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ أي: أخبط بها ورق الشجر ليسقط. فيسهل على غنمي تناوله، فتأكله. قال الراجز: [الرجز]

أَهُشُّ بِالْعَصَا عَلَى أَغْنَامِي ... مِنْ نَاعِمِ الأَرَاكِ والْبَشَامِ

هذا؛ وقرئ (أَهُشُّ) بكسر الهاء وضمها، كما قرئ (أهسُّ) بالسين، والهس: زجر الغنم. هذا؛ وأما هش، يهش بفتح الهاء، وكسرها في المضارع، فهو بمعنى: السرور، والبشاشة. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ أي: حوائج كثيرة، واحدها: مأربة، بتثليث الراء وانظر الآية رقم [٣١] من سورة (النور)، ووصفها بـ: ﴿أُخْرَىٰ﴾ بلفظ المفرد؛ لأن ﴿مَـَٔارِبُ﴾ في معنى الجمع لغير العاقل، وما كان من هذا فإنه يعامل معاملة الواحدة المؤنثة، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وكقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾.

تنبيه: تعرض كثيرون لتعديد منافع العصا منهم ابن عباس - رضي الله عنهما -، فقال: إذا انتهيتُ إلى رأس بئر، فقصر الرِّشا؛ وصلتُه بالعصا. وإذا أصابني حر الشمس؛ غرزتها في الأرض، وألقيت عليها ما يظلني. وإذا خفت شيئاً من هوام الأرض؛ قتلته بها. وإذا مشيت؛ ألقيتها على عاتقي، وعلقت عليها القوس، والكنانة، والمِخْلَاة، وأقاتل بها السباع عن الغنم.

وقال البيضاوي: وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم: أن المقصود من السؤال أن يتذكر حقيقتها، وما يرى من منافعها، حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة، ووجد منها خصائص خارقة للعادة، مثل أن يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع، وتصيران دَلْواً عند الاستقاء، وتطول بطول البئر. وتحارب عنه إذا ظهر عدو، وينبع الماء بركزها، وينضب بنزعها، وتورق، وتثمر إذا اشتهى ثمرة، فركزها؛ علم: أن ذلك آيات باهرة، ومعجزات قاهرة، أحدثها اللهُ فيها لأجله، وليست من خواصها، فذكر حقيقتها، ومنافعها مفصلاً ومجملاً، على معنى: أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها، ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه. هذا؛ ومن فوائد العصا: أن الرجل إذا كبر يعتمد عليها في مشيه. قال عمرو بن أحمد الباهلي: [البسيط]

وَقَدْ جَعَلْتُ إذا ما قُمْتُ يُثْقِلُنِي ... ثَوْبِي فأَنْهَضُ نَهْضَ الشَّارِب السَّكِرِ
وكُنْتُ أَمْشِي على رِجْلَيْنِ مُعْتَدِلاً ... فصِرْتُ أَمْشِي على أُخْرى مِنَ الشَّجَرِ

ومن فوائدها: التنبيه على الانتقال من هذا الدار، كما قيل لبعض الزهاد: مالك تمشي على العصا، ولست بكبير، ولا مريض. قال: إني أعلم أني مسافر، وأنها دار قلعة، وأن العصا آلة السفر، فأخذه بعض الشعراء فقال: [الطويل]

حَمَلْتُ العَصَا لا الضَّعْفُ، أوجبَ حَمْلَها عَلَيَّ، ولا أَني تَحنَّيْتُ مِنْ كِبَرْ

ولكِنَّنِي أَلْزَمْتُ نفْسِي حَمْلَها لأُعْلِمَهَا أَنِّي مُقِيمٌ على سَفَرْ

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع خبر المبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِيَمِينِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن اسم الإشارة، والعامل في الحال معنى الاستفهام. هذا؛ والكوفيون يعتبرون ﴿تِلْكَ﴾ اسماً موصولاً، ويعتبرون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صلة (ما)، والتقدير عندهم، وما التي بيمينك؟ انظر مبحث ذلك في الشاهد [٨٣٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١١] والجملتان: الاسمية، والندائية مستأنفتان، وعند التأمل يتبين لك: أن الكلام من قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠﴾ إلى هنا كله في محل نصب بقوله: ﴿نُودِيَ﴾. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (موسى). ﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَصَايَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، وهو يقرأ بقراءات كثيرة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَتَوَكَّؤُاْ﴾: مضارع والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ياء المتكلم، والرابط: الضمير فقط. وقيل: مستأنفة. وقيل في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، وجملة: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلِيَ﴾: الواو: حرف عطف. (لي): متعلقان بخبر مقدم. ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة ﴿مَـَٔارِبُ﴾ والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال أيضاً، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾

الشرح: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾: لما أراد الله تعالى أن يدرّبه في تلقي النبوة، وتكاليفها أمره بإلقاء العصا التي كانت بيده على الأرض. ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾: فقلب الله أوصافها، وأعراضها، وكانت عصا ذات شعبتين، فصارت الشعبتان لها فماً، وصارت حية تسير بسرعة، وتلتقم الحجارة، فلما

رآها موسى عليه السلام؛ خاف منها: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فقال الله له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ وإنما أظهر له هذه الآية لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون. ويقال: إن العصا كانت بعد ذلك تماشيه، وتحادثه، ويعلق عليها أحماله، وتضيء له الشعبتان بالليل كالشمع. وقيل: إنها كانت من آس الجنة. وقيل: أتاه جبريل بها. وقيل: قال له شعيب عليه الصلاة والسلام: خذ عصا من ذلك البيت، فوقعت بيده تلك العصا، وكانت عصا آدم عليه السلام هبط بها من الجنة.

﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: قيل: لما ألقاها؛ انقلبت حية صفراء بغلظ الإصبع، ثم تورمت، وانتفخت، وعظمت، فلذلك سماها الله تارة جاناً نظراً إلى المبدأ، وتارةً ثعباناً باعتبار المنتهى، وحية تارة أخرى باعتبار الحالين. ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: إلى هيئتها، وحالتها المتقدمة، فلما قال الله له ذلك؛ اطمأنت نفسه، فأدخل يده في فمها، وأخذ بلحييها، فعادت كما كانت. هذا؛ والسيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان غريزية كانت، أو مكتسبة، وهي في الأصل فعلة من السير، كالركبة من الركوب، ثم استعملت بمعنى: الحالة، والطريقة. قال خالد بن زهير الهذلي: [الطويل]

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّل رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

تنبيه: إلقاء العصا، وانقلابها حية حصل ثلاث مرات: الأولى في طريق عودته من مدين إلى مصر، وهي المذكورة هنا، والثانية كانت بحضرة فرعون، وكانت سبباً في جمع السحرة، والثالثة كانت بحضرة السَّحرة، كما ستعرفه في الآيات التالية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿أَلْقِهَا﴾: أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١١] والجملة الندائية مع الجملة الفعلية قبلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ألقاها): ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: انظر الآية رقم [٦٦] الآتية.

والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿تَسْعَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿حَيَّةٌ﴾ والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿حَيَّةٌ﴾ وقيل: في محل رفع خبر ثان. وقيل: في محل نصب حال مِن ﴿حَيَّةٌ﴾، وكأن القائل يريد: أنها علم. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، ﴿خُذْهَا﴾: أمر، وفاعله: أنت، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا تَخَفْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل أنت، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿سَنُعِيدُهَا﴾: السين: حرف استقبال معناه هنا: التحقيق، والتأكيد. (نعيدها):

مضارع، والفاعل: نحن، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، ﴿سِيرَتَهَا﴾: منصوب بنزع الخافض، التقدير: إلى سيرتها، أو هو ظرف مكان. وقيل: مفعول مطلق؛ لأن معنى ﴿سَنُعِيدُهَا﴾: سنسيرها. وقال أبو البقاء: بدل من الضمير المنصوب والمعتمد الأول، وهو قول ابن هشام في المغني. ثم قال: ويحتمل ﴿سِيرَتَهَا﴾ أن يكون بدلاً من ضمير المفعول بدل اشتمال؛ أي: سنعيدها طريقتها. انتهى. و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة ﴿سِيرَتَهَا﴾ مجرور مثله... إلخ، وجملة: ﴿سَنُعِيدُهَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: إلى جنبك تحت العضد؛ إذ يقال لكل ناحيتين: جناحان كجناحي العسكر، وذلك استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك؛ لأنه يجنحهما عند الطيران؛ أي: يميلهما. والمعنى أدخلها تحت عضدك، والمراد: كف اليد اليمنى، فعبر بالكل عن الجزء. هذا؛ وفي سورة (النمل) قال الله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ وقال في سورة (القصص): ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ فيكون المراد أدخلها في جيبك، وأوصلها تحت العضد، وضم عليها العضد، وهو ما صرحت به آية القصص. وانظر شرح الاستعارة في الآية [٢٤] من سورة (الإسراء).

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: من غير عاهة قبح، كنى به عن البرص، كما كنى بالسوءة عن العورة؛ لأن الطباع تعافه، وتنفر منه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان ليده نور ساطع، يضيء بالليل، والنهار كضوء الشمس، والقمر، فكان يعشي البصر من شدته. ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: معجزة ثانية بعد العصا، وعلامة واضحة على نبوّتك.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت يد موسى أكبر آياته. هذا؛ وانظر شرح (اليد) في الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) وشرح (سوء) في الآية رقم [٢٨] منها، أما «غير» فهو اسم شديد الإبهام، لا يتعرف بالإضافة لمعرفة وغيرها، وهو ملازم للإضافة، ويجوز أن يقطع عنها إن فهم المعنى، أو تقدمت عليها كلمة ليس، يقال: قبضت عشرة ليس غير، وهو مبني على الضم، أو الفتح خلاف، ولا تنس: أنَّ بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ احتراساً دفع توهم البياض لمرض من برص، ونحوه.

الإعراب: ﴿وَٱضْمُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (اضمم): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَدَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما،

والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَٱضْمُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿تَخْرُجْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، والفاعل يعود إلى ﴿يَدَكَ﴾ والجملة الفعلية من جملة مقول القول. ﴿بَيْضَآءَ﴾: حال من الضمير المستتر. ﴿مِنْ غَيْرِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تَخْرُجْ﴾ أو متعلقان بمحذوف حال من الضمير في ﴿بَيْضَآءَ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَيْضَآءَ﴾ وهو ضعيف، وتعليقهما بنفس ﴿بَيْضَآءَ﴾ جيد لما فيها من معنى الفعل، نحو ابيضت من غير سوء. ﴿ءَايَةً﴾: حال أخرى من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾ المستتر، وهي في معنى البدل من ﴿بَيْضَآءَ﴾، أو هي حال من الضمير المستتر في ﴿بَيْضَآءَ﴾. وقيل: منصوبة بفعل محذوف، التقدير: جعلناها آية، ونحوه. ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة ﴿ءَايَةً﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِنُرِيَكَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف يدل عليه ﴿ءَايَةً﴾ التقدير: دللنا بها لنريك، ونحوه. ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ تقدمت عليها، وعليه فـ: ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ مفعول ثان، أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ثان، وعليه فـ: ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ صفة ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ والنصب والجر مقدر على الألف للتعذر، و(نا): في محل جر بالإضافة.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾
وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى
﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا
﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: بهاتين الآيتين، وذلك بعد أن آنسه بالعصا واليد، وأراه ما يدل على أنه رسول أمره بالذهاب إلى فرعون. ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: عصى، وتكبر، وكفر، وتجبر، وتجاوز الحد. وانظر الآية رقم [٦٠] من سورة (الإسراء).

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾: قال البيضاوي: لما أمره الله بخطب عظيم، وأمر جسيم؛ سأله أن يشرح صدره، ويفسح قلبه، لتحمل أعبائه، والصبر على مشاقه، والتلقي لما ينزل عليه، ويسهل له الأمر بإحداث الأسباب، ورفع الموانع، وفائدة ﴿لِى﴾ إبهام المشروح، والميسر أولاً، ثم رفعه بذكر الصدر، والأمر تأكيداً، ومبالغةً. هذا؛ وقد قال الزمخشري: فإن قلت: ﴿لِى﴾ من قوله: ﴿ٱشْرَحْ لِى...﴾ إلخ: ما جدواه؟ والكلام مستتب بدونه. قلت: أبهم الكلام

أولاً: فقيل: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي﴾ ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ﴾ فعلم أن ثَمَّ مشروحاً، وميسراً، ثم بين، ورفع الإبهام بذكرهما، فكان آكد لطلب الشرح، والتيسير لصدره، وأمره. انتهى. هذا؛ وشيء آخر يلحظ من ذكرهما، وهو الاعتراف بنعمة الله تعالى، وأن شرح الصدر، وتيسير الأمر لا يكونان إلا منه تعالى.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾: المراد بالعقدة التي كانت بلسانه: الرُّتَّة التي حصلت من الجمرة التي التقمها، وذلك: أن موسى رُبِّي في حجر فرعون، فكان يلاعبه ذات يوم، فلطم موسى فرعون لطمة على وجهه، وأخذ بلحيته، فقال فرعون لامرأته آسية بنت مزاحم، وهي بنت عمِّ موسى: إن هذا عدوي، وأراد قتله، فقالت له آسية عليها السلام: إنه صبي لا يعقل، جربه؛ إن شئت، فجاءت بطستين، في أحدهما جمر، وفي الآخر جوهر. وقيل: تمر، فوضعتهما بين يدي موسى؛ وفرعون ينظر، فأراد أن يأخذ الجوهر، فأخذ جبريل ـ عليه السلام ـ يد موسى عليه السلام، فوضعها على الجمر، فأخذ جمرة، فوضعها في فمه، فاحترق لسانه، وصارت فيه عقدة ومعنى ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ يفهموه. هذا؛ ولقد اختلف في زوال العقدة بكمالها، فمن قال به تمسك بقوله تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ومن لم يقل به فقد احتج بقوله تعالى: ﴿هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي﴾ أي: معيناً، وظهيراً، والوزير: من يوازرك، ويحتمل عنك بعض ثقل عملك. أو هو من الوَزَر، وهو الملجأ؛ لأن الملك يعتصم برأيه، ويلجأ إليه في أموره العظام، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ثم عين الوزير بقوله: هارون أخي، وكان هارون عليه السلام أكبر من موسى، وأفصح لساناً، وأجمل، وأوسم، وكان أبيض اللون، وكان موسى آدم أقنى جعداً، وكان هارون ألين عريكة من موسى، على نبينا، وحبيبنا، وعليهم ألف ألف ألف صلاة، وألف ألف ألف سلام.

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ أي: قوِّ به ظهري، واجعله سنداً في أموري. ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي: في أمر النبوة وتبليغ الرسالة. هذا؛ وكان هارون عليه السلام بمصر في أهله، فأمر الله موسى أن يأتي هو، وهارون فرعون، وأوحى الله إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقاه إلى مرحلة، وأخبره بما، أوحي إليه، فقال له موسى: إن الله أمرني أن آتي فرعون، وسألت ربي أن يجعلك معي رسولاً.

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾ أي: نصلي لك، ونعبدك، ونقدسك. ﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾: وفحواه: أن التعاون على الأمور يهيج الرغبات ويؤدي إلى تزايد الخير، وتكاثره، وهذا ملموس في الحضور إلى المساجد، فإن المسلم تشتد رغبته في العبادة، ويكثر نشاطه حينما يرى إخوانه يسبقونه إلى المساجد، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾. ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾: عالماً بأحوالنا، وتصرفاتنا، وأن

التعاون ممَّا يصلحنا، ويقوي عزمنا، وقد أحسنت إلينا فيما مضى من أعمارنا، فأحسن إلينا فيما بقي منها يا أرحم الراحمين! آمين!

الإعراب: ﴿اذْهَبْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل. والهاء في محل نصب اسمها. ﴿طَغَى﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣] من سورة (مريم)

﴿اشْرَحْ﴾: فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿صَدْرِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وإعراب ما بعدها مثلها. ﴿مِّن لِّسَانِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿عُقْدَةً﴾، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿يَفْقَهُوا﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف. ﴿قَوْلِي﴾: مفعول به منصوب... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله.

هذا؛ وقال أبو البقاء: وفي مفعولي، (اجعل) ثلاثة أوجه: أحدها: أنهما ﴿وَزِيرًا﴾ و﴿هَارُونَ﴾ ولكن قدم المفعول الثاني، فعلى هذا يجوز أن يتعلق ﴿لِّي﴾ بـ: (اجعل) وأن يكون حالاً من ﴿وَزِيرًا﴾ أي: على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». والثاني: أن يكون ﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاً أول، و﴿لِّي﴾ الثاني، و﴿هَارُونَ﴾ بدل، أو عطف بيان، و﴿أَخِي﴾ كذلك. والثالث: أن يكون المفعول الثاني: ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾ و﴿لِّي﴾ تبيين مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ و﴿هَارُونَ أَخِي﴾ على ما تقدم، ويجوز أن ينتصب ﴿هَارُونَ﴾ بفعل محذوف؛ أي: اضمم إليَّ هارون. انتهى. ولم يعلق ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾ بالوجهين السابقين، وهما متعلقان بالفعل (اجعل) أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿وَزِيرًا﴾.

﴿اشْدُدْ﴾ و(أشركه): هذان الفعلان يقرآن بصيغة الأمر، وعليه فهما فعلا دعاء، وفاعلهما مستتر تقديره: «أنت»، ويقرآن بصيغة المضارع، وعليه فالأول: مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، والثاني: معطوف عليه، وفاعلهما مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». هذا؛ وحاصل ما ذكر في هذين الفعلين قراءات خمسة. والجار والمجرور ﴿بِهِ﴾ متعلقان بالفعل ﴿اشْدُدْ﴾. ﴿أَزْرِي﴾: مفعول به، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِي أَمْرِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (أشركه) وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر

بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر؛ إذ الأصل: فيما تأمرني به. ﴿كَيْ﴾: حرف ناصب ﴿نُسَبِّحَكَ﴾: منصوب بـ: ﴿كَيْ﴾ والفاعل: نحن، والكاف مفعول به. ﴿كَثِيرًا﴾ صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: نسبحك تسبيحاً كثيراً، و﴿كَيْ﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف التقدير: لكي نسبحك، والجار والمجرور متعلقان بأحد الأفعال: (اجعل) ﴿ٱشْدُدْ﴾، (أشركه) على التنازع، ولا تنس: أن بعضهم يعتبر الناصب «أن» مضمرة بعد ﴿كَيْ﴾، والمصدر المؤول منها، ومن المضارع في محل جر بـ: ﴿كَيْ﴾. ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمها. ﴿بِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بَصِيرًا﴾: خبر (كان) وجملة: ﴿كُنتَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للتسبيح، والذكر، وأخيراً ينبغي أن تعلم أن الكلام من قوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على محمد الهادي وسلم.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله تعالى. ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾: أعطيت، ﴿سُؤْلَكَ﴾: ما سألت، وطلبت، و«السُّؤْل»: فُعْل بمعنى: مفعول كالخبز بمعنى: المخبوز، والأُكْل بمعنى: المأكول. ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾: أنعمنا، وتفضلنا من النعمة. ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ أي: قبل إجابة طلبتك هذه، وهي حفظه سبحانه له من شر الفراعنة حين حاولوا قتله؛ وهو صبي مع ما قتلوا من صبيان بني إسرائيل. ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ: وبذلك بإلهام الله لها، أو في المنام، أو على لسان نبي في وقتها، لا على وجه النبوة، وكذلك كما، أوحى إلى مريم عليها السلام، بعد هذا انظر شرح ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ في الآية رقم [٧٨] من سورة (النحل) وشرح «الوحي» في الآية رقم [٦٨] منها، وشرح ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء). وانظر شرح (نا) في الآية رقم [٢١] من سورة (مريم).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أُوتِيتَ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿سُؤْلَكَ﴾: مفعول به ثان، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١١]. ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر. اللام: واقعة في جواب القسم المقدر: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَنَنَّا﴾: ماض، وفاعله. وانظر إعراب ﴿نَذَرْتُ﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم). ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿مَرَّةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿أُخْرَىٰٓ﴾: صفة ﴿مَرَّةً﴾ منصوب مثله... إلخ. هذا؛ وقيل: ﴿مَرَّةً﴾ مصدر، وهو يعني: أنه مفعول مطلق، وبالأحرى نائب مفعول مطلق. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدلاً من ﴿مَرَّةً﴾ على اعتباره ظرفاً، ومتعلق بـ: ﴿مَنَنَّا﴾ على اعتبار مرة مصدراً. وقيل: هو حرف تعليل. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَا﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة (ما)، لا محل لها، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والكلام: ﴿قَدْ أُوتِيتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

تنبيه: بعضهم يعتبر الواو عاطفة بقوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبران الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف، ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو أقسم والله. اللام واقعة في جواب القسم المحذوف. وبعضهم يقول: اللام موطئة للقسم، والموطئة معناها المؤذنة، وهذه اللام، إنما تدخل على «إن» الشرطية، لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر). افهم هذا؛ واحفظه فإنه جيد.

فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم، فالجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ فإن التقدير: ورب الضحى، ورب السماء... إلخ الدليل عليه التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٣] من سورة (الذاريات) وحذف المقسم به ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٧١] من سورة (مريم)، وأظهر منه في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية رقم [٧٣] من سورة (المائدة)، فالواو في الآيتين حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب، والله أعلم، وأجل، وأعظم.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ أي: ألهمنا أمك، وقلنا لها: ألقيه في التابوت، وذلك حين ولدتك، وخافت عليك من القتل. قال مقاتل: الذي صنع التابوت، ونجره مؤمن آل فرعون،

وكان اسمه: حزقيل. ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾: فاطرحيه في نهر النيل، و﴿ٱلْيَمِّ﴾ في الأصل: البحر، فأطلق على نهر النيل لعظمه.

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئ النهر، وكانت أمه قد جعلت فيه قطناً، ووضعت فيه موسى، وقيَّرت رأسه، وشقوقه، ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر صغير، فدفعه الماء إليه، فأداه إلى بركة في البستان، وكان فرعون جالساً على رأسها مع امرأته: آسية بنت مزاحم، فأمر به ففتح، فإذا فيه صبي أصبح الناس وجهاً، فأحبه حباً شديداً، وذلك قوله تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ وقيل: كان لفرعون بنت برصاء، فقال له الأطباء: لا تبرأ إلا من قبل البحر، يوجد فيه شبه إنسان، دواؤها ريقه، فلما رأته البنت أخذت من ريقه فلطخت به برصها، فبرئت. هذا؛ وقوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ...﴾ إلخ أمر بمعنى: الخبر، مثل رقم [٧٥] من سورة (مريم).

هذا؛ وقيل: جعل الله في عيني موسى عليه السلام ملاحة ما رآه أحد إلا أحبه، وعطف عليه. وفي محبة فرعون لموسى عليه السلام هنا تناقض مع قوله تعالى في سورة (القصص): ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ...﴾ إلخ فقال فرعون لها: أمَّا لَكِ فنعمْ، وأمَّا لي فلا، فروي أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ فِرْعَوْنَ قَالَ: نَعمْ قرةُ عينٍ لي ولك؛ لآمنَ وصَدَّقَ**». فقالت: هبه لي، ولا تقتله، فوهبه لها، والتوفيق بين ما هنا وبين آية القصص أن يقال: المراد محبة من رآه من الناس أجمعين، أما محبة فرعون له، فهي حماية الله له من أن يقتله فرعون، بل في تبنيه له بعد ذلك، وتربيته في بلاطه تربية دلال، وعزة، ورفاهية. وانظر سورة (القصص) فالكلام فيها، أوفى، وأتم. هذا؛ وفي إسناد الإلقاء إلى اليم، وهو لا يعقل تمثيل لمشيئة الله تعالى وإرادته التي لا تخطئ، ولا يعزب عنها شيء، فأسند إليه الإلقاء المقرر في علم الله الأزلي كأنه عاقل ذو تمييز يطيع، ويمتثل ما يؤمر به.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي: تربى، وتغذى على مرأى مني، بل وبعنايتي، ورعايتي. هذا؛ وانظر شرح ﴿عَيْنٍ﴾ في الآية رقم [٨٦] من سورة (الكهف)، أما ﴿عَدُوٌّ﴾ فهو ضد الصديق، وهو على وزن فعول بمعنى: فاعل، مثل: صبور، وشكور، وما كان على هذا الوزن يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث إلا لفظاً واحداً جاء نادراً. قالوا: هذه عَدُوَّةُ اللهِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وقال تعالى حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والجمع: أعداء، وأعادٍ، وعُدَات وعِدًى. وقيل: أعادٍ جمع: أعداءٍ، فيكون جمع الجمع، وفي القاموس المحيط: والعدا بالضم والكسر اسم الجمع.

الإعراب: ﴿أَنِ﴾: حرف تفسير. وقيل: حرف مصدري. ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾: أمر مبني على حذف النون، والياء فاعله، والهاء مفعول به. وانظر إعراب (اشربي) في الآية رقم [٢٦] من سورة

(مريم) عليها السلام. ﴿فِي ٱلتَّابُوتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مفسرة للإيحاء لا محل لها. وقال الشلوبين: بحسب ما تفسره. هذا؛ وعلى اعتبار ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤوَّل مع الفعل بمصدر في محل نصب بدلاً من ﴿مَا﴾، والأول: أقوى؛ لأن ﴿أَنِ﴾ مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه، وجملة: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾: الفاء: حرف عطف. اللام: لام الأمر. (يلقه): مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْيَمُّ﴾: فاعله. ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿ٱلْيَمِّ﴾ التقدير: مطروحاً بالساحل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿يَأْخُذْهُ﴾: مضارع مجزوم بجواب الأمر، أو بجواب لام الأمر، والهاء مفعول به. ﴿عَدُوٌّ﴾: فاعل. ﴿لِّي﴾: متعلقان بـ: ﴿عَدُوٌّ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الفعلية لا محل لها ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ معطوف على ما قبله.

﴿وَأَلْقَيْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَحَبَّةً﴾: مفعول به. ﴿مِّنِّي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف صفة ﴿مَحَبَّةً﴾ وجملة: ﴿وَأَلْقَيْتُ...﴾ إلخ: مستأنفة، أو هي معطوفة على جملة: ﴿أَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، ويكون في الكلام التفات من الجمع إلى التكلم بالمفرد. ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾: يقرأ بالجزم على أنَّ اللام لام الأمر، وهو مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَلْيُلْقِهِ...﴾ إلخ، ويكون في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتقدير الكلام في الأصل: وليصنعك غيرك بأمري، وقراءة الجمهور بكسر اللام، وفتح العين فهو منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على محذوف، وذلك المحذوف متعلق بالفعل (ألقيت) التقدير: ألقيت عليك محبة مني ليعطف الناس عليك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ واسمها: مريم، وهي غير أم عيسى، وكانت أمها قد أمرتها باتباع أثره، وتلقِّي أخباره، كما في سورة (القصص). ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾: لمَّا وهبه فرعون لامرأته، وأحبته؛ طلبت له المراضع، فأبى أن يأخذ ثدي واحدة منهن، فلما رأت البنت ذلك تقدَّمت. وقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قالوا:

فأحضريها! فأحضرتها، فناولته ثديها، فأخذه، فسرت آسية سروراً عظيماً بذلك، فاستأجرتها لرضاعه، كما ستعرفه في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى، وهو مفاد قوله تعالى هنا: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أي: بلقائك، ورؤيتك. وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام.

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ أي: لفراقك. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: المراد به القبطي الذي قتله خطأ، كما ستعرف قصته في سورة (القصص) إن شاء الله تعالى، وكان طباخاً لفرعون. وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأنبياء)، وكان عمره إذ ذاك ثلاثين سنة. وقيل: اثنتي عشرة سنة، والمعتمد الأول. ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي: من الخوف، والكرب الذي أصابك بسبب قتل القبطي؛ لأنه خاف من القتل، أو الحبس. ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ أي: اختبرناك اختباراً، وأخلصناك إخلاصاً للرسالة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الفتون: وقوعه في محنة بعد محنة، وخلصه الله منها: أولها: أن أمه حملت فيه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الصبيان، ثم إلقائه في البحر في التابوت، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مدين خائفاً يترقب، ثم رعايته الغنم. انتهى. ويضاف إلى ذلك ما لقيه في ذهابه إلى مدين من مشقة السفر، ومفارقة الأهل، والوطن، والمشي راجلاً على حذر، وفقد الزاد، والماء، ونحو ذلك.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾: هي عشر على المعتمد. وقيل: ثمانية وعشرون سنة، والمعتمد الأول. ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: هي بلدة شعيب عليه الصلاة والسلام على ثمان مراحل من مصر. و«مدين» هو اسم ابن إبراهيم الخليل، على نبينا، وحبيبنا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، ثم صار علماً للقبيلة من أولاده. وقيل: هو في الأصل اسم مدينة بناها مدين المذكور. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾: على القدر الذي قدرت لك أن تجيء فيه، وذلك على رأس أربعين سنة، وهو القدر؛ أي: السن الذي يوحى إلى الرسل فيه. قال جرير في مدح عمر بن عبد العزيز، حين تولى الخلافة الإسلامية، وعمره في حدود الأربعين ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

جَاءَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

هذا؛ وقال الجمل نقلاً عن شيخه: وحاصل ما ذكره الله من المنن على موسى من غير سؤال ثمانية: الأولى: قوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ إلى قوله: ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾. الثانية: قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً...﴾. إلخ الثالثة: قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ...﴾ إلخ إلى قوله: ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ﴾. الرابعة: قوله: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ إلخ إلى قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾. الخامسة: قوله: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾. السادسة: قوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾. السابعة: قوله: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ...﴾ إلخ إلى قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾. الثامنة: قوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾.

وأذكر أن وضع موسى عليه السلام في تابوت محكم الإغلاق، لا يدخله الهواء، وإلقاؤه في لجَّة اليم، وبقاؤه حياً إنما هو معجزة باهرة فيها عظة بالغة لقوم يتعظون، كل واحد يدرك: أنَّ كل ذي روح إذا حبس عنه الهواء لحظات يموت، وما أشبه هذه المعجزة بمعجزة يونس عليه السلام الذي التقمه الحوت، وجاب به أعماق البحار، وبقي حياً أيضاً حتى نبذه إلى شاطئ البحر.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر. أو هو مفعول به لهذا المقدر. أو هو متعلق بأحد الفعلين السابقين. أو هو بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى. وقال الجلال، ووافقه الجمل عليه: حرف تعليل. ﴿تَمْشِيٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿أُخْتُكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. (تقول): مضارع، والفاعل يعود إلى (أختك). ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أَدُلُّكُمْ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: أنا، والكاف مفعول به. ﴿عَلَىٰ مَن﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مَن﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر. ﴿يَكْفُلُهُۥ﴾: مضارع، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها، وجملة: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (تقول..) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فأجيبت، فجاءت بأمها، فَقَبِلَتْ ثديها. وانظر الشرح. ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿كَىْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَقَرَّ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿كَىْ﴾. ﴿عَيْنُهَا﴾: فاعل، و(ها): في محل جر بالإضافة، و﴿كَىْ﴾: والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: إن النصب بـ: «أنْ» مضمرة بعد ﴿كَىْ﴾ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٣٣]. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَحْزَنَ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿أُمِّكَ﴾. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ وجملة: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ معطوفة عليها أيضاً، وجملة: ﴿وَفَتَنَّٰكَ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿فُتُونًا﴾: مفعول مطلق مثل: القعود، والجلوس. أو هو منصوب على نزع الخافض؛ إذا كان جمع: فتنة، فيكون المعنى: اختبرناك بأنواع الفتن، والشدائد.. ﴿فَلَبِثْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿سِنِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فِىٓ أَهْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أَهْلِ﴾: مضاف، و﴿مَدْيَنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿فَلَبِثْتَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿جِئْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن تاء الفاعل؛ أي: موافقاً على

قدر، والجملة الفعلية: ﴿جِئْتَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١]. هذا؛ والكلام كله من قول الله تعالى. تأمل، وتدبر.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ أي: اخترتك، واصطفيتك لرسالتي، ووحيي لتتصرف على إرادتي، ومشيئتي، ومحبتي، وذلك لأن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله، ومحبته. انتهى. خازن. هذا؛ ومثله فيما خوله الله من الكرامة مثل مَنْ قربه الملك، واستخلصه لنفسه. ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾: بمعجزاتي. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد بها الآيات التسع. انتهى. ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾: قال ابن عباس: لا تضعفا في أمر الرسالة، وقاله قتادة. وقيل: لا تفترا. قال العجاج: [الرجز]

فَمَا وَنَى محمدٌ مُذْ أَن غَفَرْ ... لَهُ الإلهُ ما مَضَى ومَا غَبَرْ

والونى: الضعف، والفتور، والإعياء، والكلال. قال امرؤ القيس: [الطويل]

مِسَحّ إذا ما السابحاتُ على الْوَنى ... أَثَرْنَ غُباراً بالكديدِ الْمرَكَّلِ

هذا؛ وفلان لا يني كذا؛ أي: لا يزال، وبه فسر أبان معنى الآية، واستشهد بقول طرفة: [الطويل]

كأنَّ القُدورَ الرَّاسياتِ أَمامَهُمْ ... قِبَابٌ بَنَوْهَا لا تَني أبداً تَغْلي

الإعراب: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لِنَفْسِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱذْهَبْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستتر. ﴿وَأَخُوكَ﴾: معطوف على الضمير المستتر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المستتر وما عطف عليه، التقدير: مصحوبين بآياتي، وعلامة الجر كسرة مقدرة... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا) ناهية. ﴿تَنِيَا﴾: مضارع تام، أو ناقص مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله، أو اسمه. ﴿فِى ذِكْرِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف خبره على نقصانه، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَا تَنِيَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها، والكلام من مقول الله تعالى. تأمل.

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿اذْهَبَا...﴾ إلخ: فقد حذف الله المذهوب به ﴿بِآيَاتِي﴾ هنا، وذكره في الآية السابقة، بينما حذف في الآية السابقة المذهوب إليه، وهو فرعون، فقد حذف من كل واحد ما أثبته في الآخر، وهذا يسمى في فن البلاغة احتباكاً. هذا؛ وانظر طغى في الآية رقم [٢٤] أما فرعون فقد قال المسعودي: ولا يعرف لفرعون تفسير في العربية، وظاهر كلام الجوهري: أنه مشتق من معنى العتو، فإنه قال: والفراعنة: العتاة، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة؛ أي: دهاء، ومكر، وفرعون لقب لمن ملك العمالقة في مصر، ككسرى، وقيصر لملكَي الفرس، والروم، وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان. وقيل: ابنه الوليد من بقايا عاد، وفرعون يوسف ريان بن الوليد، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة.

وكان ملك فرعون أربعمئة سنة، وعاش ستمئة وعشرين سنة، ولم ير مكروهاً قط، ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم، أو وجع يوم، أو حمَّى يوم لما ادعى الربوبية.

هذا؛ وقد كان هارون في مصر، ولم يكن حاضراً في مجلس المناجاة، وإنما جمعهما في هذا الخطاب من باب تغليب الحاضر على الغائب، وقد ذكر: أن الله في ذلك الوقت أرسل جبريل بالرسالة إلى هارون، فيكون الخطاب إليهما في وقت واحد، وهما في مكانين متباعدين، والله أعلم.

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: فيه دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمة، واختلف في معنى اللين، فقالت فرقة: كنياه، وكانت كنيته أبو العباس، أو أبو الوليد، أو أبو مرة، فعلى هذا القول تكنية الكافر جائزة، وقد كنى الرسول ﷺ ناساً من الكافرين، وناساً من المنافقين. وقال عليه الصلاة والسلام: **«إذا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قومٍ فأَكْرِمُوهُ»**.

وقيل: القول اللين مثل: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة. وقيل: عِدَاه شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لا يزول إلا بالموت، وتبقى عليه لذة المطعم، والمشرب، والمنكح إلى حين موته، فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه، وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً، فلما قدم؛ خبره بالذي دعاه إليه موسى. وقال: أردت أن أقبل منه. فقال له هامان، كنت أرى أن لك رأياً، وعقلاً، أنت رب تريد أن تكون مربوباً، وأنت تُعبَدُ تريد أن تَعْبُدَ غيرَك؟! فقال فرعون: ما قلته صواب! وغلبه على رأيه.

﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي: يتعظ، ويخاف، ويسلم. فإن قيل: كيف قال: لعله يتذكر، وقد سبق في علمه: أنه لا يتذكر، ولا يسلم، فالجواب: معناه: اذهبا على رجاء منكما،

وطمع، وقضاء الله وراء أمركما. وقيل: هو إلزام الحجة، وقطع المعذرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾. هذا؛ وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي الآية فبكى يحيى. وقال: إلهي هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله. انتهى. خازن بتصرف.

هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لعباده. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً. وانظر: ﴿يَخْشَىٰ﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿اذْهَبَآ﴾: أمر، مبني على حذف النون، وألف الاثنين فاعله. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية فيها معنى التوكيد لما قبلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾ حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿طَغَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى فرعون، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿فَقُولَا﴾: الفاء: حرف عطف. ﴿قُولَا﴾: أمر وفاعله. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق. ﴿لَّيِّنًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾ والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية تعليل للأمر لا محل لها. ﴿يَخْشَىٰ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾ والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها. هذا؛ والكلام من تتمة مقول الله تعالى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَا﴾ أي: موسى، وهارون، وذلك بعد تلاقيهما، واجتماعهما، وتوجيه الأمر إليهما بالذهاب إلى فرعون معاً. وانظر ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء). ﴿رَبَّنَآ﴾: انظر الآية رقم [٨] منها. ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: أن يعجِّل علينا بالعقوبة، ولا يصبر إلى إتمام الدعوة، وإظهار المعجزة. يقال: فرط مني أمر؛ أي: بدر، ومنه: الفارط في الماء الذي يتقدم القوم إلى الماء. قال الرسول ﷺ: **«وأنا فَرَطُكُمْ على الحوضِ»**. وقرئ بقراءات كثيرة منها (يَفْرِطَ) من الرباعي ومعناه: يشطط، ويتجاوز الحد في أذيتنا. قال الراجز: [الرجز]

قَدْ أَفْرَطَ العِلْجُ عَلَيْنَا وَعَجَلْ

وانظر الآية رقم [٦٢] من سورة (النحل)، ففيها مزيد فائدة. وانظر: «الخوف» و«التخوف» في الآية رقم [١٣] من سورة (الرعد). ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: يجاوز الحد في الإساءة إلينا، أو يزداد طغياناً، فيقول فيك: ما لا ينبغي لجراءته، وقساوته، وخلوه من حسن الأدب. وانظر الآية رقم [٢٤].

الإعراب: ﴿قَالَا﴾: ماض، والألف فاعله. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿نَخَافُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَن يَفْرُطَ﴾: مضارع منصوب بـ: (أن)، والفاعل يعود إلى فرعون، ﴿عَلَيْنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿نَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية، والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَطْغَىٰ﴾ معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مثله.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾: بالحفظ، والنصرة، والمعونة. ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أي: ما يجري بينكما، وبينه من قول، وفعل، فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما، ويوجب نصرتي لكما. هذا؛ وفي الآية الكريمة، وسابقتها دليل واضح على أنَّ الخوف من الأعداء، والحذر من شرهم إنما هو سنة الله في أنبيائه، وأوليائه مع معرفتهم به وثقتهم بنصره، ومنه حفر النبي ﷺ الخندق حول المدينة تحصيناً للمسلمين، وأموالهم مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه أحد، ثم كان من أصحابه ما لا يجهله أحد من تحولهم عن منازلهم مرة إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة، تخوفاً على أنفسهم من مشركي مكة، وهرباً بدينهم أن يفتنوهم عنه بتعذيبهم. وخاب الفسقة والفجرة الذين يصمون الصديق ـ رضي الله عنه ـ بالجبن، وضعف الإيمان لما ناله من الخوف في ليلة الهجرة الشريفة، ودخوله مع حبيبه ﷺ الغار، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله) تعالى، ﴿لَا تَخَافَآ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والألف فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّنِى﴾: حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿مَعَكُمَآ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (إنَّ)، ولا يتعلق بالفعل بعده لفساد المعنى، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿أَسْمَعُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ: (إنَّ)، وجملة: ﴿وَأَرَىٰ﴾ مع المفعول المحذوف لتساوي رؤوس الآي معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها، واعتبار الجملتين حالاً من الضمير المستتر في الخبر المحذوف جيد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّنِى...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أي: أرسلنا اللهُ إليك يا فرعون؛ لندعوك إلى الإيمان به، وإلى عبادته. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أطلقهم، وخلهم يسيرون معنا، ويتركون بلادك. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: بالأعمال الشاقة، والتكاليف الصعبة، وقتل الصبيان، فإنهم كانوا في أيدي القبط، يستخدمونهم، ويتعبونهم بالعمل، ويقتلون الذكور عاماً، دون عام، وقد ذكَّر اللهُ بني إسرائيل بهذا بعد أن أنجاهم من كيد فرعون في كثير من الآيات. ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾: قال فرعون: وما هي؟ فأخرج موسى يده من تحت عضده؛ فإذا لها شعاع كشعاع الشمس، فعجب منها فرعون، ولم يره العصا إلا في يوم الزينة، كذا قيل، وقال البيضاوي: وإنما وحد الآية، وكان معه آيتان؛ لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها، لا الإشارة إلى وحدة الحجة، أو تعددها، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: ليس المراد من هذا السلام سلام التحية، بل معناه: السلامة من العذاب، وسخط الله تعالى في الدارين. وقيل: المراد: سلام الملائكة، وخزنة الجنة على المهتدين، فيكون مثل الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿فَأْتِيَاهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [١٢]. (اِئتياه): أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً مني؛ فائتياه. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿رَسُولَا﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الألف؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، و﴿رَسُولَا﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُولَآ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَأَرْسِلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والفاء هي الفصيحة أيضاً. ﴿مَعَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿بَنِيٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿فَأَرْسِلْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك صحيحاً وواقعاً؛ فأرسل... إلخ، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال.

﴿جِئْنَكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، وهذه الجملة مفسرة ومبينة لقوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آية)، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله. وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَىٰ مَنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿مَنِ﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾. ﴿ٱتَّبَعَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَنِ﴾، وهو العائد، أو الرابط. ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنِ﴾ أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وأخيراً فالآية بكاملها من مقول الله تعالى.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: المعنى: إن الله أخبرنا، وأعلمنا بواسطة وحيه إلينا: أن الهلاك، والدمار في الدنيا، والخلود في جهنم في الآخرة هو مقرر على مَنْ كذب رسل الله، وأعرض عن الإيمان بالله تعالى. هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذه الآية أرجى آية للموحدين؛ لأنهم لم يكذبوا، ولم يتولوا.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق... إلخ، ﴿أُوحِىَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَيْنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿عَلَىٰ مَن﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾ و﴿عَلَىٰ مَن﴾ مثلها في الآية السابقة، ﴿كَذَّبَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَن﴾ ومفعوله محذوف، والجملة صلتها، أو صفتها، وجملة تولى مع المتعلق معطوفة عليها، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع نائب فاعل: ﴿أُوحِىَ﴾ على حد قوله تعالى: ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾. وجملة: ﴿قَدْ أُوحِىَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ من جملة قول الله تعالى الذي أمر به موسى، وهارون أن يقولاه لفرعون، التقدير: وقولا له: والسلام على من... إلخ، وقولا له: إنا قد، أوحي... إلخ.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾: ذكر فرعون موسى دون هارون موافقة لرؤوس الآي. وقيل: خصه بالذكر؛ لأنه صاحب الرسالة، والكلام والآية. وقيل: إنهما جميعاً بلَّغا الرسالة، وإن كان هارون ساكتاً؛ لأنه في وقت الكلام، إنما يتكلم واحد، والخطاب يكون منه، وإليه وحده.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ أي: إنه يعرف بصفاته، وليس له اسم علم حتى يقال: هو فلان، بل هو خالق العالم أجمع، وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة، وصورة،

وشكل يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، وأعطى الأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكذا الأنف، والرِّجل، واليد، وسائر الجوارح، كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة به.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: هداه، وعرفه كيف يرتفق بما أعطاه، وكيف يتوصل به إلى بقائه، وكماله، وهداه إلى منافعه من المطعم، والمشرب، والمنكح. وقيل: المعنى: جعل الزوجة للرجل والأنثى من سائر المخلوقات للذكر، ثم ألهم الذكر، وهداه كيف يأتي الأنثى، وذلك للتوالد، وبقاء الجنس من كل المخلوقات، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى فرعون. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف صلة. (مَنْ): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَّبُّكُمَا﴾: خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١١] والجملتان الاسمية والندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿رَبُّنَا﴾: مبتدأ، ونا في محل جر بالإضافة... إلخ، ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَعْطَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وهو العائد. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به ثان تقدم على الأول، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿خَلْقَهُۥ﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَعْطَىٰ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿هَدَىٰ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: فرعون ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ما حال الأمم السابقة كقوم نوح، وصالح، وهود، ونحوهم، فإنهم كانوا ينكرون البعث، ويعبدون الأوثان، وكيف حالهم من شقاوة، أو سعادة. وإنما قال فرعون هذا؛ لأن موسى عليه الصلاة والسلام قد خوفه، وقومه مصارع الأمم الخالية، وإذا لم يؤمن؛ يحل به ما حل بهم.

هذا؛ وقد قال الرازي في مختاره: البال: القلب، يقال: ما يخطر فلان ببالي؛ أي: بقلبي، والبال: رخاء النفس. يقال: فلان رخي البال. والبال: الحال، يقال: ما بالك؟ والبال: الشأن. يقال: ما باله لا يفعل كذا؟! هذا؛ وقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يعرض بمن ينكر عليهم

بعض أعمالهم، فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» وقال البغدادي: وقد التزم بعده ذكر حال يفسره غالباً، وقد يأتي بدونها، كقوله تعالى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقد تتبعت استعمال هذه الحال في كلام العرب ـ ولم أر من سبقني له ـ فرأيتهم يستعملونها على وجوه شتَّى: منها: أنها ماضوية مقرونة بقد، وماضوية بدون قد، ومضارعية مثبتة، ومضارعية منفية، وتكون مفردة، وتكون اسمية غير مقترنة بواو، ومقترنة بالواو، وأورد لكل وجه مثالاً شعرياً.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾: المعنى قال موسى مجيباً لذلك الضال: إنما تسأل عن أمور مغيبة قد استأثر الله بها، لا يعلمها إلا الله، وما أنا إلا عبد مثلك، لا أعلم منها إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون الأولى مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ، وإنما رد موسى علم ذلك إلى الله تعالى؛ لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون، وقومه.

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾: الضلال: أن تخطئ الشيء في مكانه، فلم تهتد إليه، والنسيان: أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك، وهما محالان على الله تعالى، لذا كان أحسن قول من أقوال مختلفة في تفسير ذلك: إن الوقف على ﴿كِتَٰبٍ﴾ والابتداء بما بعده، والمراد: تنزيه الله تعالى عن هاتين الصفتين. وقيل: إن المراد: الكتاب لا يضل؛ أي: غير ضال عن الله تعالى، وغير ناس له، وهو معنى ركيك كما ترى. هذا؛ وقرئ: (لا يُضِلُّ) من الرباعي على معنى لا يضيعه ربي، ولا ينساه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله: لا يترك من كفر به؛ حتى ينتقم منه، ولا يترك من وحده؛ حتى يجازيه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى فرعون، تقديره: «هو». ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف صلة. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَالُ﴾: خبره، و﴿بَالُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُرُونِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة القرون مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف، والجملة الاسمية: ﴿فَمَا بَالُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (موسى) عليه السلام، تقديره: «هو». ﴿عِلْمُهَا﴾: مبتدأ، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّي﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وعلى هذا فالجار والمجرور: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ متعلقان بالخبر المحذوف، أو متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو متعلقان بمحذوف حال مِن الضمير المستتر في الخبر المحذوف المقدر بكائن، أو بموجود. هذا؛ وأجيز اعتبارهما متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ، وتعليق عند بمحذوف حال مِن الضمير المستتر في الخبر المقدر، وهذا على قول الأخفش وقيل: متعلق بمحذوف حال مِن الضمير المضاف إليه في ﴿عِلْمُهَا﴾. وقيل: هو ظرف متعلق بالمصدر:

(علم). هذا؛ وقيل: الظرف والجار والمجرور كلاهما متعلقان بخبر واحد، مثل: هذا حلو حامض، وهذا يعطي معنى الاعتبار الأول. تأمل. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَضِلُّ﴾: مضارع. ﴿رَبِّي﴾: فاعله، مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو في محل جر صفة ﴿كِتَٰبٍ﴾ على وجه مرَّ ذكره في الشرح، فيكون الرابط محذوفاً: التقدير في كتاب لا يضله ربي، أو لا يضل حفظه ربي، وجملة: ﴿وَلَا يَنسَى﴾ معطوفة عليها، والمفعول محذوف، التقدير: لا ينساه.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: هذا؛ ويقرأ: (مهاداً) مثل قوله في سورة (النبأ): ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ فقيل: هما لغتان لما يبسط، ويفرش. وقيل: ﴿مَهْدًا﴾ مصدر، و(مهاداً) جمع له، والمعنى: جعلها فراشاً، وقراراً تستقرون عليها. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: جعل لكم فيها طرقاً بين الجبال، والأودية، والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض؛ لتبلغوا منافعها. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: انظر الآية رقم [١٠] من سورة (النحل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: عدل به من لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى، تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة، والحكمة، وإيذاناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته، وعلى هذا نظائره كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ وقوله جل ذكره: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾. هذا؛ وقيل: تم الكلام على قوله: ﴿مَآءً﴾، وما بعده مستأنف.

﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً، سميت بذلك لازدواجها، واقتران بعضها ببعض. ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: مختلف الألوان، والطعوم، والمنافع، فمنها ما هو للناس، ومنها ما هو للبهائم. وانظر الآية رقم [٤] من سورة (الرعد) ففيها فضل بيان. هذا؛ و﴿شَتَّىٰ﴾ مأخوذ من: شتَّ الشيء؛ أي: تفرق. قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ وتقول: جاؤوا أشتاتاً؛ أي: متفرقين، وعليه ف: ﴿شَتَّىٰ﴾ جمع، واحده: شتٌّ، أو شتيت، كمريض، ومرضى. ولا تنس: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدل من ﴿رَبِّي﴾، أو عطف بيان عليه، أو هو صفة له، أو هو خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني الذي... إلخ، ﴿جَعَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَهْدًا﴾ كان

نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً».
﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به أول. ﴿مَهْدًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَسَلَكَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، أو بمحذوف حال مِن ﴿سُبُلًا﴾ على مثال ما قبله. ﴿سُبُلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها. ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَزْوَٰجًا﴾. ﴿شَتَّىٰ﴾: يجوز اعتباره صفة لـ: ﴿أَزْوَٰجًا﴾، وصفة لـ: ﴿نَّبَاتٍ﴾ أو هو حال مِن ﴿أَزْوَٰجًا﴾ بعد وصفه بالجار والمجرور، وجملة: ﴿فَأَخْرَجْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة على اعتبارها من تتمة كلام موسى عليه السلام، ويكون المعنى: أخرجنا به أي: بالحرث والسقي، ونحوهما؛ لأن الماء المنزل سبب خروج النبات، وتكون مستأنفة على اعتبارها من كلام الله تعالى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾: هذا أمر إباحة، و(الأنعام) المواشي، انظر الآية رقم [٥] من سورة (النحل). ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في إنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لدلالات، وعلامات واضحة على قدرة الله تعالى. ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾: لأصحاب العقول السليمة الذين ينتهون عن الأفعال القبيحة، والأخلاق الذميمة، الواحدة: نهية. أما (أولي)، فهو جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده: «ذو» المضاف إن كان مرفوعاً، و«ذا» المضاف إن كان منصوباً، و«ذي» المضاف إن كان مجروراً.

الإعراب: ﴿كُلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب (اشربي) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم)، والجملة الفعلية في محل نصب لقول يقع حالاً، من نا: التقدير: قائلين كلوا، وجملة: ﴿وَٱرْعَوْا۟﴾ معطوفة عليها. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اللام: هي لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّأُو۟لِى﴾: متعلقان بمحذوف صفة آيات، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و﴿لِّأُو۟لِى﴾ مضاف، و﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، أو هي مستأنفة.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾: للعمل، والثواب، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي: للدود، والتراب. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾: للجزاء، والحساب. هذا؛ وخلق بني آدم من الأرض إنما هو بخلق الأب من التراب، وقد بينت ذلك، وشرحته في الآية رقم [٢٦] من سورة (الحجر)، وهذا خلق غير مباشر. وقيل: كل نطفة مخلوقة من التراب وعلى هذا يدل ظاهر القرآن، وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلودٍ إلَّا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ تُرَابِ حُفْرَتِهِ**». أخرجه أبو نعيم. وقال عطاء الخراساني: إذا وقعت النطفة في الرحم؛ انطلق الملك الموكل بالرحم، فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه، فيذرُّه على النطفة، فيخلق الله النسمة من النطفة، ومن التراب.

هذا؛ وهناك خلق مباشر من الأرض، وذلك إذا عرفنا: أن النطفة المادة التي يتخلق منها ابن آدم من الدم، والدم مصدره من الغذاء، والشراب، وهما من الأرض بلا ريب، ولا شك، وقد أشار النسفي إلى هذا حيث قال: أو لأن النطفة من الأغذية، وهي من الأرض. هذا؛ وأراد بإخراجهم من الأرض: أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب، ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾.

هذا؛ وقد قال الزمخشري: عدد الله على الخلق ما علق بالأرض من مرافقهم؛ حيث جعلها لهم فراشاً، ومهاداً يتقلبون عليها، وسوى لهم فيها مسالك، يترددون فيها كيف شاؤوا، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم، وعُلُوفاتِ بهائمهم، وهي أصلهم الذي منه تفرعوا، وأمهم التي منها ولدوا، ثم هي كفاتُهُم إذا ماتوا، ومِنْ ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «**تَمَسَّحُوا بالأَرْضِ فإنَّها بِكُمْ بَرَّةٌ**». انتهى. هذا؛ وخذ ما رواه ربيعة الجرشي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**اسْتَقِيمُوا، ونِعِمَّا إنِ اسْتَقَمْتُمْ، وَحَافِظوا على الوضوءِ، فإنَّ خيرَ أعْمَالِكُم الصلاةُ، وتَحَفَّظُوا مِنَ الأرضِ، فإنها أُمُّكُمْ وإنه لَيْسَ أَحَدٌ عَامِلٌ عَلَيْهَا خَيْراً أَو شراً إلَّا وهي مُخْبِرَةٌ بِهِ**». رواه الطبراني.

هذا؛ وقد ورد بأن الأرض تضم كل إنسان يدفن فيها بعد موته؛ لأنها أمه، والأم من بني آدم تضم ولدها إذا كان غائباً، وحضر، ولكن ضمة الأرض للعبد المؤمن ضمة عطف، ولطف، وشفقة، وحنان، وضمها للكافر، والفاجر، والفاسق ضمة غضب، وسخط، وقسوة، وإزعاج. اللهم وفقنا للعمل بكتابك، وللاهتداء بهدي نبيك محمد ﷺ.

الإعراب: ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة وهي من قول الله تعالى بلا ريب، وهذا ممَّا يقوي: أن الكلام: ﴿فَأَخْرَجْنَا...﴾ إلخ هنا إنما هو من مقول الله تعالى، وليس من مقول موسى عليه السلام، وجملة: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ معطوفة عليها، وكذا جملة: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ معطوفة عليها، وهو ظاهر. ﴿تَارَةً﴾: نائب مفعول

مطلق، أو هو ظرف مثل ﴿مَرَّةً﴾ في الآية رقم [٣٧]. ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة ﴿تَارَةً﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أي: لفرعون رأى المعجزات بعينه. ﴿كُلَّهَا﴾ أي: التي أيد الله بها موسى. وانظر الآية رقم [١٠١] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك. ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: فرعونُ موسىٰ. ﴿وَأَبَىٰ﴾: الإيمان كفراً، وعناداً، وطغياناً. وانظر شرح ﴿أَبَىٰ﴾ في الآية رقم [٣١] من سورة (الحجر). وانظر شرح آيات في الآية [١] منها.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. وانظر الآية رقم [٣٧]. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب ﴿نَذَرْتُ﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿كُلَّهَا﴾: توكيد ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ و(ها): في محل جر بالإضافة. (كذب): ماض، وفاعله يعود إلى فرعون، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَأَبَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾ أيضاً، ومفعوله محذوف أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: المعنى: جئت لتوهم الناس: أنك جئت بآية توجب اتباعك والانقياد لك حتى تغلب علينا وعلى أرضنا، وذلك لما رأى معجزة اليد فقط، وهذا تعلل، وتحير ودليل على أنه علم أن موسى كان محقاً حتى خاف منه على ملكه، وإلا فأي: ساحر يقدر أن يخرج ملكاً من أرضه. هذا؛ والسحر: كل ما لطف، ودق، يقال: سحره: إذا أبدى له أمراً يدق، ويخفى. وقال الغزالي في الإحياء ما نصه: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الحواس هيكل على صورة الشخص المسحور، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور. انتهى. وانظر الآية رقم [٤٧] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿أَجِئْتَنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري، (جئتنا): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل والفاعل تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و(نا): في محلِّ جرٍّ بالإضافة. ﴿بِسِحْرِكَ﴾: متعلقان بالفعل: (تخرج) أيضاً. ﴿يَـٰمُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١١] والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: عين موعداً لاجتماعنا وحضور الناس؛ ليروا ما نأتيك به من السحر، ويعرفوا: أننا أعلم منك بالسحر. ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾: بل نحضره جميعاً بدون تخلف. ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ أي: وسطاً بيننا، وبينك تستوي فيه مسافة الفريقين. وقيل: معناه: سوى هذا المكان؛ أي: غيره.

هذا؛ و﴿مَوْعِدًا﴾ يحتمل أن يكون اسم زمان، أو اسم مكان، أو مصدراً ميمياً، ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ويشهد للثاني: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ ويشهد للمصدر قوله تعالى: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ وإذا أعرب ﴿مَكَانًا﴾ بدلاً منه لا ظرفاً لـ: ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾ تعينت الظرفية.

فعلى الأول: يكون المعنى: اجعل لنا يوماً معلوماً، وعلى الثاني: اجعل لنا مكاناً معروفاً، وعلى الثالث: اجعل بيننا وبينك وعداً، ورجح هذا الأخير، بسبب عود الضمير عليه؛ إذ التقدير: لا نخلف ذلك الوعد. هذا؛ وأما ﴿سُوًى﴾ فإنه يقرأ بكسر السين، وضمها مع تنوينه، مثل: عِدًى، وعُدًى، وطِوًى، وطُوًى، وقد رأيت شرحه، وهو يقصر، ويمد. ويقال: مررت برجل سِواك، وسُواك، وسَوائِك؛ أي: غيرك، وهما في هذا الأمر سواء، وإن شئت: سواءان، وهم سواء للجمع، وهم أسواء، وهم سواسية، وهذا كله بمعنى: مستوون في هذا الأمر. هذا؛ وانظر شرح «بين» في الآية رقم [٤٥] من سورة (الإسراء). وانظر شرح مثل في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

الإعراب: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾: الفاء: حرف استئناف، وأجيز اعتبارها فصيحة. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نأتينك): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل

لها؛ لأنها جواب قسم مقدر، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿بِسِحْرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلها، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر. ﴿مِّثْلِهِۦ﴾: صفة (سحر) والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَٱجْعَلْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [١٢]. (اجعل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا) في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكَ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَوْعِدًا﴾: مفعول به. وانظر الشرح، وجملة: ﴿فَٱجْعَلْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط يقدر بـ: «إذا». ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية صفة موعداً. ﴿نَحْنُ﴾: توكيد للفاعل المستتر. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع معطوف على الضمير المستتر، وساغ ذلك لوجود الفاصل، وهو التوكيد بالضمير. وقال ابن مالك: إن التقدير: ولا تخلفه أنت؛ لأن مرفوع فعل الأمر لا يكون ظاهراً، ومرفوع الفعل المضارع ذي النون لا يكون غير ضمير المتكلم. انتهى. مغني. وعليه فالجملة المقدرة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، والضمير ﴿أَنتَ﴾ توكيد للضمير المستتر في الفعل المحذوف، وفيه: أن الحذف، والتوكيد متنافيان، ومتناقضان.

﴿مَكَانًا﴾: فيه خمسة أوجه: أحدها: أنه بدل من ﴿مَوْعِدًا﴾ على اعتباره ظرفاً. والثاني: أنه مفعول ثان لـ: (اجعل). الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل. الرابع: أنه منصوب بالمصدر ﴿مَوْعِدًا﴾. الخامس: هو ظرف مكان متعلق بـ: (اجعل). ﴿سُوًى﴾: صفة له منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. هذا؛ والآية بكاملها من مقول فرعون أخزاه الله تعالى.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾: هو يوم عيدٍ كان لهم، يتزينون، ويجتمعون فيه في كل سنةٍ. ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ أي: يجتمع الناس في ذلك اليوم وقت الضحوة نهاراً جهاراً؛ ليكون أبعد من الريبة، وإنما عينه موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليظهر الحق، ويزهق الباطل. وانظر شرح ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الإسراء). وانظر شرح (الناس) في الآية رقم [٦٠] منها.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (موسى) عليه السلام. ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر الميمي لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَوْمُ﴾: خبر المبتدأ، ويقرأ بالنصب على أنه ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، ويوم مضاف، و﴿ٱلزِّينَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَأَن﴾ حرف مصدري ونصب. ﴿يُحْشَرَ﴾: مضارع مبني للمجهول

منصوب بـ: (أن). ﴿ٱلنَّاسُ﴾: نائب فاعل. ﴿ضُحًى﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها، وإعلاله مثل إعلال ﴿هُدًى﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف)، والمصدر المؤول من ﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ في محل رفع معطوف على خبر المبتدأ، وأجيز اعتباره معطوفاً على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾ ويكون التقدير: ويوم حشر الناس، والجملة الاسمية: ﴿مَوْعِدُكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ﴾... إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾: فذهب، وأعرض عن موسى عليه السلام. ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: حيله، وسحره، والمراد: جمع السحرة، وآلاتهم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل ساحر منهم حبال وعِصي. وقيل: كانوا أربعمئة. وقيل: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل غير ذلك، وكان لهم رئيس يقال له: شمعون، هذا، ويقال: أجمع الأمر: إذا عزم عليه، والأمر مُجْمَعٌ، ويقال أيضاً: اجمع أمرك، ولا تدعه منتشراً. قال تعالى حكاية عن قول فرعون، وأشياعه في الآية رقم [٦٤] الآتية: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ...﴾ إلخ. ولا يقال: أجمع أعوانه، وشركاءه، وإنما يقال: جمع أعوانه وأصدقاءه، وهذا مبني على قاعدة: يقال: أجمع في المعاني، وجمع في الأعيان، وأما قوله تعالى هنا: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾: فصحيح لتأويله بما رأيت.

هذا؛ ويقرأ في الآية [٦٤] بقطع الهمزة: ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾ أي: اعزموا، وجِدُّوا. ويقرأ بهمزة الوصل (فاجمعوا) قال النحاس: ويصحح هذه القراءة أن المعنى أجمعوا كل كيد لكم، وكل حيلة فضموه مع أخيه. وقال الثعلبي: القراءة بقطع الألف وكسر الميم لها وجهان: أحدهما: بمعنى: الجمع، تقول: أجمعت الشيء، وجمعته بمعنى: واحد. وفي الصحاح: وأجمعت الشيء: جعلته جميعاً. قال أبو ذؤيب يصف حُمُراً: [الكامل]

فَكَأَنَّهَا بِالجِزْعِ بَيْنَ نُبَايِعٍ وَأُولَاتِ ذِي العَرْجَاءِ نَهْبٌ مُجْمَعُ

أي: مجموع، والثاني: أنه بمعنى: العزم، والإحكام. قال الشاعر: [الرجز]

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْماً، وَأَمْرِي مُجْمَعُ؟

هذا؛ ونُبايع اسم مكان، أو جبل، أو واد في بلاد هذيل. انتهى. قرطبي بتصرف. وابن هشام قال في المغني: إن «أجمع» لا يتعلق بالذوات، بل بالمعاني، كقولك: أجمعوا على كذا، بخلاف «جمع»، فإنه مشترك، بدليل قوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ هذا؛ والتعبير بـ: ﴿ثُمَّ﴾ وهي للتراخي، دلالة على أنه استغرق وقتاً طويلاً في جمع السحرة، وترتيب الحيل، ورسم الخطط، والله من ورائه محيط.

الإعراب: ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: الفاء: حرف استئناف. (تولى فرعون): ماض، وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَتَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (فرعون) والجملة معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي: للسحرة الذين جمعهم فرعون للمناظرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾: الويل: الهلاك، والعذاب. وانظر الآية رقم [٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا وحبيبنا وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام. ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا تختلقوا عليه الكذب، ولا تشركوا به شيئاً، ولا تقولوا للمعجزات: إنها سحر. وانظر ما ذكرته بشأن الكذب في الآية رقم [١٥] من سورة (النحل). ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ أي: يستأصلكم بالإهلاك، يقال فيه: سَحَتَ، وأَسْحَتَ بمعنًى، ويقرأ الفعل من الأول، وهو الثلاثي، وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ حفص، وغيره من الرباعي، وهي لغة نجد، وبني تميم، ومصدر الأول: السحت، ومصدر الثاني: الإسحات. وقال الفرزدق: [الطويل]

وعَـضُّ زمَـانٍ يـا بـنَ مَـرْوَانَ لـم يَـدَعْ ... مـن الْـمَـالِ إلا مُـسْـحِـتـاً أو مُـجَـلَّـفُ

هذا؛ والسحت: المال الحرام؛ كالرشى، والربا، وغير ذلك من أنواع الحرام، وهو مِنْ سَحَتَه؛ إذا استأصله؛ لأنه مسحوت البركة. وانظر الآية رقم [٤٢] من سورة (المائدة) وأصل المادة يدل على الاستقصاء والنفاد، ومنه سحت الحالق الشعر؛ أي: استقصاه فلم يترك منه شيئاً، ويستعمل في الإهلاك، والإذهاب وهو ما في الآية.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي: خسر، وهلك، وخاب من الرحمة، والثواب من ادعى على الله ما لم يأذن به. هذا؛ وقد قال الزمخشري في بيت الفرزدق: لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه مع كون مسحت يروى بالرفع والنصب فعلى رواية الرفع فهو مرفوع على المعنى، فكأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت، أو مجلف، وعلى رواية النصب فهو منصوب بالفعل لم يدع، ويكون رفع مجلف على المعنى، والتقدير: لم يدع إلا مسحتاً، وبقي مجلف، ومثل بيت الفرزدق قول الآخر: [الطويل]

غَـداةَ أحـلَّـتْ لابْـنِ أصْـرَمَ طَـعْـنَـةٌ ... حُـصَـيْـنٍ عَـبِـيطَـاتِ الـسَّـدَائِـفِ والْـخَـمْـرُ

إذ التقدير: أحلت له عبيطات السدائف وحَلَّت له الخمر.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَيْلَكُمْ﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: ألزمكم وَيْلاً، وأجاز الزجاج أن يكون نداء، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَا تَفْتَرُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به. ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم افتراء على الله فإسحات، أو فسحت لكم. ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَابَ﴾: ماض. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل. ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَنِ﴾ وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنِ﴾ أو صفتها، وجملة: (قد خاب...) إلخ في محل نصب حال مِن واو الجماعة، والرابط الواو فقط، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تناظروا، وتشاوروا يعني: السحرة في أمر موسى عليه السلام سراً من فرعون. وقالوا: إن غلبنا موسى؛ اتبعناه. وقيل: قالوا: إن كان ما يفعله سحراً؛ فسنغلبه، وإن كان من عند الله؛ فسيكون له أمر، وهذا هو الذي أسروه. هذا؛ و﴿ٱلنَّجْوَىٰ﴾ حديث السر بين اثنين، أو أكثر. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾. وقال الرسول ﷺ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثلاثةً، فلا يَتَنَاجَ اثنَانِ دُونَ الثالِثِ، فَإِنَّ ذلِكَ يُحْزِنُهُ**». هذا؛ وقد قيل: إن النجوى القوم الذين يتناجون، وبه قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (الإسراء). هذا؛ وقيل: إن الضمير يعود لفرعون، وقومه.

هذا؛ وقيل: إن أَسَرُّوا يحتمل أن يكون بمعنى أظهروا، وأخفوْا، فهو من الأضداد كما قيل به في قول امرئ القيس: [الطويل]

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً عَلَيْهَا وَمَعْشَراً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

وبه قيل في الآية رقم [٣] من سورة (الأنبياء). وأيضاً قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ الآية رقم [٥٤] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿فَتَنَازَعُوٓا﴾: الفاء: حرف استئناف. (تنازعوا): ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب (قالوا) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي معطوفة على جملة: ﴿قَالَ لَهُم...﴾ إلخ لا محل لها على الاعتبارين. ﴿أَمْرَهُم﴾: مفعول به. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿النَّجْوَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿قَالُوٓا إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓا﴾ أي: السحرة، أو فرعون، وقومه على مثال ما رأيت. ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾: هذه الجملة تقرأ: (إنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ) وهذه القراءة موافقة للإعراب، مخالفة لرسم المصحف، ويقرأ: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب، ويكون معناها، ما هَذَانِ إلَّا سِاحِرانِ، فَإِنْ نافية بمعنى: «ما» واللام بمعنى: إلا، والإعراب واضح، واعتبرها ابن هشام في الشذور مخففةً من الثقيلة مهملةً لا عمل لها، وهذانِ مبتدأ، واللام هي الفارقة، وساحران خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: لهما ساحران، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وفاته أنَّ المخففة المهملة يشترط أن يليها فعل ناسخ للابتداء مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ﴾. ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ قال ابن مالك رحمه الله تعالى: [الرجز]

والـفِـعْـلُ إنْ لَـمْ يَـكُ نَـاسِـخـاً فَـلا   تُـلْـفِـيـهِ غَـالـبـاً بِـإنْ ذِي مُـوصَـلَا

ويقرأ: (إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فوافقوا رسم المصحف، وخالفوا الإعراب.

قال النحاس: فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة الأئمة. قال القرطبي: وللعلماء في قراءة أهل المدينة، والكوفة ـ ويعني بها الأخيرة ـ ستة أقوال ذكرها ابن الأنباري في آخر كتاب الردِّ لَه، وذكرها النحاس في إعرابه، والمهدوي في تفسيره:

القول الأول: أنها لغة بني الحارث بن كعب، وزبيد، وخثعم، وكنانة بن زيد، يجعلون رفع الاثنين، ونصبه، وخفضه بالألف، وأنشد الفراء قول المتلمس: [الطويل]

فـأَطْـرَقَ إطْـرَاقَ الـشـجـاعِ، وَلَـوْ رَأَى   مَـسـاغـاً لِـنَـابَـاهُ الـشُّـجَـاعُ لَـصَـمَّـمَـا

الشجاع: الثعبان العظيم، وصمم: عضَّ، وَنيَّبَ، ويقولون: كَسَرْتُ يداه، وركبْتُ علاه بمعنى: كسرت يديه، وركبت عليه. وقال هُوبر الحارثي: [الطويل]

تَـزَوَّدَ مِـنَّـا بـيـن أذْنَـاهُ طَـعْـنَـةً دَعَـتْـهُ إلـى هَـابـي الـتُّـرابِ عَـقِـيـمُ

أي: بين أذنيه. وقال أبو النجم العجلي، وينسب لرؤبة بن العجاج: [الرجز]

إنَّ أَبَـاهَـا وأَبَـا أَبَـاهَـا قَـدْ بَـلَـغَـا فـي الـمَـجْـدِ غَـايـتَـاهَـا

أي: إن أبا أبيها، وغايتيها. قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية؛ إذ كانت هذه اللغة معروفة، وقد حكاها من يرتضى بعلمه، وأمانته. منهم أبو زيد الأنصاري، وأبو الخطاب الأخفش، والكسائي، والفراء، كلهم قالوا: هذا على لغة بني الحارث بن كعب.

القول الثاني: أن تكون إنَّ بمعنى: «نعم». قال الشاعر: [الكامل]

قـالـوا: غَـدَرْتَ فـقـلْـتُ إنَّ وَرُبَّـمـا نـالَ الـعُـلَا وشـفـى الْـغَـلـيـلَ الْـغَـادِرُ

أي: فقلت: نعم، فعلى هذا جائز أن يكون قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ بمعنى: نعم، ولا تنصب. قال النحاس: أنشدني داود بن الهيثم. قال: أنشدني ثعلب: [الرمل]

لـيْـتَ شِـعـري هـل لـلـمـحـبِّ شِـفـاءٌ مِـنْ جَـوَى حُـبِّـهِـنَّ؟ إنَّ الـلِّـقـاءُ

أي: نعم هو اللقاء. وقال عبد الله بن قيس الرقيات: [مجزوء الكامل]

ويَـقُـلْـنَ شَـيْـبٌ قَـدْ عَـلا كَ وَقَـدْ كَـبِـرْتَ فَـقُـلْـتُ: إنَّـهْ

أي: فقلت: نعم، والهاء للسكت. قال ابن هشام في مغنيه: وردَّ بأنَّا لا نسلم: أن الهاء للسكت، بل هي ضمير منصوب بها، والخبر محذوف؛ أي: إنه كذلك، والجيد الاستدلال بقول ابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ لمن قال له: لعن الله ناقةً حملتني إليك: (إنَّ وراكِبَهَا) أي: نعم، ولَعَنَ رَاكِبَها.

هذا؛ وذكر القرطبي سنداً طويلاً يتصل بعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: لا أحصي كم سمعت رسول الله ﷺ يقول على منبره: «**إنَّ الحمدُ للهِ نحمدُهُ ونسْتَعِينُهُ**». كأنه ﷺ يريد: نَعَمْ الحَمْدُ للهِ... إلخ وذلك: أن خطباء الجاهلية كانت تفتتح خطبها بنعم.

القول الثالث: قاله الفراء: وجدت الألف دعامة ليست بلام الفعل، فزدت عليها نوناً ولم أغيرها، كما قلت: الذي، ثم زدت عليها نوناً فقلت: جاءني الذي عندك، ورأيت الذين عندك، ومررت بالذين عندك.

الرابع: قاله بعض الكوفيين. قال: الألف في هذان مشبهة بالألف في يفعلان، فلم تغير.

القول الخامس: قال أبو إسحاق: النحويون القدماء يقولون: الهاء ها هنا مضمرة، والمعنى: إنَّه هذان لساحران. قال ابن الأنباري: فأضمرت الهاء التي هي منصوب (إنَّ)،

و﴿هَٰذَانِ﴾ خبر، و(ساحران) يرفعهما «هما» المضمر، والتقدير: إنه هذان لهما ساحران، والأشبه عند أهل هذا الجواب: أن الهاء اسم (إنَّ) وهذان رفع بالابتداء، وما بعده خبر الابتداء.

السادس: قال أبو جعفر النحاس: وسألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية، فقال: القول عندي: أنه لما كان يقال: (هذا) في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة، وكانت التثنية يجب ألا يغير لها الواحد أجريت التثنية مجرى الواحدة. انتهى. قرطبي بتصرف كبير مني مع ما أضفته من المغني لابن هشام. رحم الله الجميع رحمة واسعة! وله في الشذور وجهان آخران بعيدان.

أقول: والمعتمد عند النحويين القولان: الأول، والثاني، وهما اللذان يستشهدون لهما بما ورد من شعر العرب، كما رأيت والله الموفق، والمعين وبه أستعين. ويبقى إشكال على القول الثاني، وهو دخول اللام على خبر المبتدأ، ويؤول الكلام بما يلي: (إنَّ هذان لهما ساحران) وفحواه أن (ساحران) خبر مبتدأ محذوف، والجملة الاسمية خبر ﴿هَٰذَانِ﴾.

﴿يُرِيدَانِ﴾ أي: موسى، وهارون. ﴿أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾: أرض مصر. ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾: وهذا من قول فرعون وملئه للسحرة؛ أي: غايتهما إفساد دينكم الذي أنتم عليه، كما حكى الله عن فرعون في آية أخرى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ هذا؛ والطريقة: المذهب الذي يتبعه الإنسان، والسنة التي يسير على نهجها، فيكون المعنى: ويذهبا بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبه، وإعلاء دينه. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني: يذهبا بسراة قومكم، وأشرافكم. وقيل: أراد أهل طريقتكم، وهم بنو إسرائيل، فإنهم أرباب علم، ويرجعون بالانتساب إلى الأنبياء، والمعتمد الأول. هذا؛ و﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ تأنيث الأمثل، كما أن الفضلى تأنيث الأفضل، والحسنى تأنيث الأحسن.

الإعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ انظر القول الأول، والثاني: في الشرح ففيهما الكفاية. ﴿يُرِيدَانِ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، وألف الاثنين فاعله. ﴿أَن يُخْرِجَاكُم﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والألف فاعله، والكاف مفعوله، وأن والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿مِّنْ أَرْضِكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ألف الاثنين؛ أي: ملتبسين بسحرهما. والكاف والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. وجملة: ﴿يُرِيدَانِ...﴾ إلخ في محل رفع صفة (ساحران). ﴿وَيَذْهَبَا﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وألف الاثنين فاعله، ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾: صفة طريقتكم مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف، والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ أي: اجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٣] فهو يحتمل أن يكون من قول السحرة بعضهم لبعض، وأن يكون من قول فرعون لهم. هذا؛ والكيد: المكر، والخبث، والحيلة. ﴿ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ أي: مصطفين، فيكون أشد لهيبتكم. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ﴾: فاز، ونجح. ﴿مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: من غلب خصمه.

هذا؛ و﴿ٱئْتُوا۟﴾ أمر من: أتى، يأتي، والأمر بهمزتين: همزة الوصل، التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، والثانية هي فاء الفعل، ولا يجتمع همزتان، فإذا ابتدأت الكلام، قلت: إيتُوا، بإبدال الثانية ياءً لكسر ما قبلها، فإذا وصلت الكلام زالت العلة في الجمع بين همزتين، فتحذف همزة الوصل، وتعود الهمزة الأصلية فتقول: إِئْتِ، ومثل ذلك قل في إعلال: أَذِنَ يَأْذَنُ إِءْذَنْ.

الإعراب: ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اجمعوا): أمر مبني على حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين فأجمعوا... إلخ، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول. ﴿كَيْدَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱئْتُوا۟﴾: أمر... إلخ، ﴿صَفًّا﴾: حال؛ أي: مصطفين. وقيل: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَفْلَحَ﴾: ماض. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن واو الجماعة، والرابط الواو فقط. هذا؛ وقال الزمخشري معترضة في آخر الكلام، وعليه فلا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ القائل هم السحرة، وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن منهم مع موسى عليه السلام، وكأن الله ألهمهم ذلك، وقد وصلت إليهم بركته، فهداهم الله للإيمان، وأعلم الله موسى اختيار إلقائهم أولاً، فقال لهم: بل ألقوا... إلخ. هذا؛ وانظر شرح «أول» في الآية رقم [٢٤] من سورة (النحل)، وشرح ﴿إِمَّآ﴾ في الآية رقم [٨٧] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (موسى): منادى مفرد علم، مبني على ضم مقدر على الألف المقصورة في محل نصب بـ: (يا).

﴿إِمَّآ﴾: أداة شرط، وتخيير. وقيل: تقسيم، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُلْقِيَ﴾ في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: إما الإلقاء حاصل منك، أو خبر لمبتدأ محذوف التقدير: الأمر إلقاؤك، ونحوه، أو المصدر المؤول في محل نصب مفعول به، التقدير: اختر إلقاءك، ومفعول الفعل محذوف للعلم به؛ إذ التقدير: إما أن تلقي عصاك. ﴿وَإِمَّآ﴾: الواو: حرف عطف. (إما): معطوفة على سابقتها. ﴿أَن نَّكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: ﴿أَن﴾ واسمه ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَوَّلَ﴾: خبر ﴿نَّكُونَ﴾، و﴿أَوَّلَ﴾: مضاف، و﴿مَنْ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أَلْقَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾، وهو العائد، والمفعول محذوف، التقدير: ألقى حبالنا، وعصينا، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنْ﴾، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّكُونَ...﴾ إلخ فهو مثل سابقه في التأويل، والجملة الاسمية سواء أكانت اسمية، أم فعلية معطوفة على ما قبلها، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وألفت النظر إلى أنَّ الآية شبيهة في الآية رقم [٨٧] من سورة (الكهف).

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ مقالة أدب بأدب، وعدم مبالاة بسحرهم، وليُبْرِزوا ما معهم من مكايد السحر، ويظهر الله سلطانه، ويقذف بالحق على الباطل، فيدمغه، ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه، فيصير آية نيرة للمناظرين، وعبرة للمعتبرين. ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ...﴾ إلخ: قبله محذوف، التقدير: فألقوا ما معهم، فإذا حبالهم... إلخ.

﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾: يقرأ بضم العين، وكسرها، مثل: قُسي، وقِسِي، ومفرده: عصا، ومقتضى القياس أن يقال في جمعها: (عُصُوٌّ) فأبدل من الواو الثانية ياء؛ لأنها طرف ليس بينها وبين الضمة إلا حرف ساكن، فصار: (عُصوْيٌ) فاجتمعت الواو، والياء، والأول: ساكن، فقلبت الواو الأولى ياء، ثم أدغمت الياء في الياء، ثم قلبت ضمة الصاد كسرة لتصح الياء. ثم تبعت حركة العين حركة الصاد، فكسرت على قراءة كسرها، وبقيت على حالها على قراءة ضمها. هذا؛ وانظر بالإضافة لما ذكرته في الآية رقم [١٨] ما ذكرت في الآية رقم [١٠٦] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك ويثلج صدرك، وكذا الآية رقم [٤٥] من سورة (الشعراء).

﴿يُخَيَّلُ﴾: يظن، وتخيل الشيء: توهمه، ويقرأ (تُخَيَّل) على أنَّ نائب الفاعل يعود إلى العصي، والحبال، وقرئ (تَخَيَّل) بالبناء للمعلوم على أنَّ أصله: تَتَخَيَّلُ، ويقرأ (نُخَيِّل) بالنون على أن الله هو المخيل. ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: تمشي، وذلك: أنهم لطخوا الحبال والعصي، فلما ضربت عليها الشمس، اضطربت، فخيل إلى موسى: أنها تسعى، فرأى أن الأرض قد امتلأت حيات، وكانت قد أخذت ميلاً في ميل من كلِّ جانب.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (موسى). ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿أَلْقُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ...﴾ إلخ: الفاء: حرف عطف وتعقيب، وخذ ما قاله السيوطي في «همع الهوامع»، فقد قال رحمه الله تعالى: اختلف في هذه الفاء. فقال المازني: هي زائدة لازمة للتوكيد؛ لأن الفجائية فيها معنى الاتباع، ولذا وقعت في جواب الشرط موقع الفاء، وهذا ما اختاره ابن جني. وقال مَبْرُمَان: هي عاطفة لجملة (إذا) ومدخولها على الجملة قبلها، واختاره الشَّلُوبينُ الصغيرُ، وأيده أبو حيان بوقوع (ثم) موقعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ وقال الزجاج: دخلت على حد دخولها في جواب الشرط. انتهى. أي: للسببية المحضة وفي مغني اللبيب نحو هذا.

(إذا): كلمة دالة على المفاجأة هنا، وهي تختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو خرجت فإذا الأسدُ بالباب؛ وهي حرف عند الأخفش وابن مالك، ويرجحه: (خَرَجْتُ فإذا إنَّ زيداً بالبابِ) لأن (إنَّ) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرد، وابن عصفور، وظرف زمان عند الزجاج، والزمخشري، وزعم الأخير: أن عاملها فعل مشتق من لفظ المفاجأة، ولا يعرف هذا لغير الزمخشري، وإنما ناصبها الخبر المذكور في نحو: خرجتُ فإذا زيدٌ جالِسٌ. أو المقدر في نحو: (فإذا الأسدُ) أي: حاضرٌ، وإذا قدرت: أنها الخبر؛ فعاملها: مستقر، أو استقر، ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرحاً به. انتهى. ملخصاً من مغني اللبيب.

﴿حِبَالُهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء فيهما ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يُخَيَّلُ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى «الكيد» وعلى قراءته بالتاء فنائب الفاعل يعود إلى: «الحبال، والعصي» وهما بمعنى: الملقى، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ على اعتبار (إذا) حرفاً، وفي محل نصب حال مِن «الحبال، والعصي» على اعتبار (إذا) ظرفاً متعلقاً بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن سِحْرِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما، وهو أجود، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، (أنها): حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿تَسْعَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل يعود إلى «الحبال، والعصي» والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، والمصدر المؤول من ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بكونها تسعى، أو في محل رفع بدل من نائب الفاعل المستتر بدل الاشتمال، أو هو نفسه نائب فاعل، التقدير: يخيل إليه سعيها، أو في محل نصب حال على حذف مضاف. التقدير: تخيل الحبال ذات سعي، اعتبارات على حسب القراءات. تأمل، وتدبر، والكلام: ﴿بَلْ أَلْقُوا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨﴾

الشرح: ﴿فَأَوْجَسَ...﴾ إلخ: فأضمر. وقيل: وجد في قلبه، أو وقع، وهو أولى. قال الشاعر: [البسيط]

جَاءَ الْبَرِيدُ بِقِرطَاسٍ يَخُبُّ بِهِ فَأَوْجَسَ القَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ جَزَعَا

وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأنبياء). وانظر شرح ﴿مُوسَىٰ﴾ في الآية رقم [٩] و﴿خِيفَةً﴾ أصلها: خِوْفَة، قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها. وإنما خاف عليه الصلاة والسلام أن يكون ما أتى به السحرة من جنس معجزته، وخوفه هذا إنما كان لطبع البشرية من ضعف القلب، وإن كان قد علم: أنهم لا يصلون إليه بسوء، وأن الله ناصره، وذكرت لك في سورة (الأعراف) أنَّ هذه الخيفة لم تكن لأجل سحرهم لأنه كان على ثقة ويقين: أنهم لن يغلبوه، وإنما كان خوفه أن يتفرق الناس خوفاً ممَّا رأوا قبل ظهور معجزته، وحجته.

﴿قُلْنَا﴾ أي: له بواسطة جبريل، ولم يكن ثمة مناجاة مباشرة. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: عليهم بالغلبة والنصر، وفيه إشارة إلى أن لهم علواً، وغلبة بالنسبة إلى سائر الناس، ولذا فقد رد الله ذلك بأنواع من المبالغة: أحدها: ذكر كلمة التوكيد، وهي (إنَّ). وثانيها: تكرير الضمير. وثالثها: لام التعريف. ورابعها: لفظ العلو، وهي الغلبة الظاهرة، وهو أعلى درجات التوكيد كما هو معروف في علم المعاني. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم).

الإعراب: ﴿فَأَوْجَسَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أوجس): ماض. ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿خِيفَةً﴾: مفعول به. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَا تَخَفْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ في الآية رقم [١٢] بلا فارق مع ملاحظة إبدال ياء المتكلم بكاف المخاطب. والجملة الاسمية تعليل للنهي، وجملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾

الشرح: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ المراد به: العصا، وإنما أبهمه، ولم يقل: «عصاك» تحقيراً لها؛ أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويدة التي في يدك. أو أبهمه تعظيماً لها؛

أي: لا تحتفل بكثرة الأجرام وعظمها، فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثراً، فألقه. ﴿تَلْقَفْ﴾ أي: تأخذ، وتبتلع. ومثله: تلقم، وتلهم، واللقف: الأخذ بسرعة، ورجل لقِف ثقِف؛ أي: خفيف حاذق. ويقرأ برفعه، وجزمه، ويقرأ (تَلَقَّف) بتشديد القاف، أصله: تَتَلَقَّف. هذا؛ والتَّلَقِّي، والتَّلَقُّف، والتَّلَقُّن معانٍ متقاربة خلا أنَّ في الأول: معنى الاستقبال، وفي الثاني: معنى الخطف، والأخذ بسرعة، وفي الثالث: معنى الحذق، والمهارة.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أي: إن الذي زوروا، وافتعلوا، ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾: ويقرأ (كيد سِحْر). ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ أي: لا يفوز، ولا ينجو، وإنما أفرده؛ لأن المراد الجنس، ونكر الأول: لتنكير المضاف، وعرف الثاني: على حد قوله تعالى في سورة (المزمل): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ...﴾ إلخ ﴿حَيْثُ أَتَى﴾: حيث كان وأين أقبل. وانظر شرح: ﴿أَتَى﴾ في الآية رقم [٩].

أما ﴿حَيْثُ﴾ فهي ظرف مكان، وهي مبنية، وإنما بنيت؛ لأنها لا تدل على موضع بعينه، ولأن ما بعدها من تمامها، كالصلة من الموصول، وبنيت على حركة؛ لأن ما قبل آخرها ساكن، وكان الضم أولى بحركتها؛ لأنها غاية، فأعطيت غاية الحركات، وهي الضمة؛ لأنها أقوى الحركات. وقيل: بنيت على الضم؛ لأن أصلها حَوْثُ. فدلت الضمة على الواو، ويجوز فتحها، وفي «حيثُ» ستُّ لغات بالياء مع الضم، والفتح، والكسر، وبالواو مع الضم، والفتح، والكسر، وهي: حَيْثُ، وحَيْثَ، وحَيْثِ، وحَوْثُ، وحَوْثَ، وَحَوثِ.

الإعراب: ﴿وَأَلْقِ﴾: الواو: حرف عطف. (ألق): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِي يَمِينِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَأَلْقِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿تَلْقَفْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، التقدير: إن تُلْقِ. . . تلقف. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: تلقف الذي، أو شيئاً صنعوه. هذا؛ وعلى رفع الفعل ﴿تَلْقَفْ...﴾ إلخ فجملته مستأنفة، أو في محل نصب حال مِن ﴿مَا﴾ والرابط: الضمير فقط.

﴿إِنَّمَا﴾: (إن): حرف مشبه بالفعل، و(ما): اسمها، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إن الذي، أو شيئاً صنعوه. ﴿كَيْدُ﴾: خبر (إنَّ) وهو مضاف، و﴿سَاحِرٍ﴾: مضاف إليه. هذا؛ ويقرأ بنصب كيد، على أنَّ (إنما) كافة، ومكفوفة،

وهو مفعول به، والجملة على جميع الاعتبارات تعليل لما قبلها، لا محل لها. الواو: واو الحال. (لا): نافية، وجملة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ في محل نصب حال مِن ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ والرابط: الواو فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، وهو مبني على الضم في محل نصب. وجملة: ﴿أَتَىٰ﴾ في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها هذا، وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية في الموضعين، فهي تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب؛ ويكون التقدير: تلقف صنعهم، إن صنعهم كيد ساحر، ولكن الاعتبار الأول: أظهر كما هو واضح، كما يجوز فتح همزة (إنَّ) ولكن لم يقرأ به، وتؤوَّل بمصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، والكلام كله في محل نصب مقول القول. تأمل.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ أي: خروا ساجدين لله تعالى، وذلك بعد أن ألقى موسى عصاه، وتلقفت جميع ما صنعوه، فتحقق عندهم: أنه ليس بسحر، وإنما هو من آيات الله، ومعجزة من معجزاته، فإنَّ ما صنعوه كان حمل ثلاثمئة بعير، فابتلعته ثم عادت عصاً لا يعلم أحد أين ذهبت الحبال والعصي إلا الله تعالى، وروي: أنها لما تلقفت الحبال والعصي وابتلعتها بأسرها، أقبلت على الحاضرين، فهربوا، وازدحموا حتى هلك جمع عظيم منها. وانظر الآية رقم [١١٦] من سورة (الأعراف) ففيها فضل بيان.

هذا؛ وروي: أن السحرة لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار، والثواب والعقاب، ورأوا منازلهم في الجنة. وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم، وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر، والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾: قدم هارون لكبر سنه، أو لروي الآية، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأُلْقِىَ﴾: الفاء حرف استئناف، أو حرف عطف. (ألقي): ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾: نائب فاعله. ﴿سُجَّدًا﴾ حال مِن السحرة، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فألقى موسى عصاه، فتلقفت كل ما صنعوه، فألقي السحرة. لا محل لها على الاعتبارين. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله والألف للتفريق. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل فاعل. ﴿بِرَبِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ورب مضاف، و﴿هَٰرُونَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، والإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَمُوسَىٰ﴾: معطوف على هارون مجرور مثله، والجملة

الفعلية: ﴿ءَامَنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ في محل نصب حال أخرى من (السحرة) والرابط: الضمير فقط، وهو الواو.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ...﴾ إلخ وفي (الأعراف): ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ...﴾ إلخ. يقال: آمن بالله، وآمن به، وآمن له، فهو إنكار منه عليهم؛ أي: تعديتم، وفعلتم ما لم آمركم به. ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: رئيسكم في التعليم، وإنما غلبكم؛ لأنه أحذق به منكم، وأبرع، وإنما أراد فرعون بقوله هذا ليشبه على الناس؛ حتى لا يتبعوهم، فيؤمنوا كإيمانهم، وإلا فقد علم: أنهم لم يتعلموا من موسى، بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى وولادته، ولا تنس: أنه قال في سورة (الأعراف) بعد هذا القول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: قرئت الأفعال هنا وفي سورة (الأعراف) بفتح الهمزة، وتخفيف النون، والمراد: بقوله: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: اليد اليمنى، والرجل اليسرى. قيل: إنه أول من سن ذلك، فشرعه الله للبغاة، وقطاع الطريق تعظيماً لجرمهم، ولذا سماه محاربة الله ورسوله، ولكن على التعاقب لفرط رحمته، انظر الآية رقم [٣٣] من سورة (المائدة). ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: على جذوع النخل؛ لأن «في» بمعنى: «على» قال سويد بن أبي كاهل اليشكري: [الطويل]

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ في جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

وقيل: هي على بابها؛ لأن الجذع مكان للمصلوب، ومحتوٍ عليه. قيل: إنه نقر جذوع النخل حتى جوفها، ووضعهم فيها فماتوا جوعاً، وعطشاً بعد أن قطع الأيدي والأرجل، وهذا كله لم يصرفهم عن الإيمان بالله، ورسوله. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾: فهو يريد نفسه، وموسى عليه السلام، وموسى لم يعذب أحداً، فهو يريد تحقير موسى، والهزء به؛ لأنه لم يكن من التعذيب في شيء، والفعل يحتمل أن يكون قلبياً، وأن يكون عرفانياً، ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: أطول عذاباً، وأدومه، فحذف التمييز لدلالة ما قبله عليه.

بعد هذا انظر شرح (النخل) في الآية رقم [٢٤] وما بعدها من سورة (إبراهيم) عليه السلام تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وانظر شرح (اليد) في الآية رقم [٦٣] من سورة (مريم). وانظر شرح (السحر) في الآية رقم [٥٧]. أما ﴿عَذَابًا﴾ فهو اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر تعذيب؛ لأن الفعل عذب، يعذب بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: سلام، وعطاء، ونبات، من: سلَّم، وأعطى، وأنبت.

أما (لتعلَمُنَّ): فأصل الفعل: تَعْلَمُونَ، فلما دخله التوكيد صار: «لَتَعْلَمُونَنَّ» فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فصار: «لَتَعْلَمُونَّ» فحذفت واو الجماعة لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد، وبقيت الضمة على الميم لتدل على واو الجماعة المحذوفة، فصار: «لَتَعْلَمُنَّ» أما ﴿ءَامَنتُمْ﴾ فأصله: أَأْمَنتم، قلبت الهمزة الثانية مداً مجانساً لحركة الأولى، كما قلبت في إيمان، فإن أصله: إِأْمَان، وكما قلبت في: أُومِنُ، فإن أصله: أُؤْمِنُ ومثل «آمن» في إعلاله «آذن» و«آدم» ونحوهما.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى فرعون. ﴿ءَامَنتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿أَنْ ءَاذَنَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَنْ﴾ والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و﴿أَنْ﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلَ﴾ إليه. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كبيركم): خبر (إن) والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل لإيمانهم في نظر الخبيث فرعون. ﴿الَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدل، أو عطف بيان من (كبيركم). ﴿عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: ماض، ومفعولاه، والفاعل يعود إلى الذي، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان قد حصل منكم هذا فلأ... إلخ، واللام واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (أقطعن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب قسم مقدر. ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَأَرْجُلَكُم﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن: ﴿أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾ بمعنى: مختلفات، وجملة: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها مع ملاحظة الإعراب في هذا الفعل والبناء في الفعلين السابقين. ﴿أَيُّنَآ﴾: اسم استفهام مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره. ﴿عَذَابًا﴾: تمييز. ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: معطوفة على ﴿أَشَدُّ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وفاعلهما مستتر وجوباً تقديره: «هو»، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل (لتعلمن) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام إن كان الفعل علمياً، أو مفعوله الواحد إن كان عرفانياً، كما رأيت. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿أَيُّنَآ﴾ اسماً موصولاً مبتدأ بمعنى: الذي، وبنيت على الضم؛ لأنها قد أضيفت، وحذف صدر صلتها، و﴿أَشَدُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة الاسمية صلة لـ: (أي) وتكون أي: في محل نصب مفعول به للفعل

(لتعلمن) على اعتباره متعدياً لواحد فقط، ويكون الكلام على مثال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ من سورة (مريم) عليها السلام، وجملة: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً؛ لأنها جواب لقسم مقدر أيضاً، بعد هذا فالآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: السحرة لفرعون. ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: لن نختارك. ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات الواضحات. وانظر ما رأوا في الآية قبل السابقة. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد ما جاءنا من العلم واليقين. ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ أي: لا نختارك على الذي خلقنا، وإنما أخروا ذكره تعالى؛ لأنه من باب الترقي من الأدنى، إلى الأعلى. ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانعه، وافعل ما أنت فاعله من القطع والصلب، ونحوهما. ﴿إِنَّمَا تَقْضِى...﴾ إلخ: إنما تصنع ما تريد، وتهواه في أمور هذه الحياة الدنيا، وسيزول عن قريب، وقد زال بعونه تعالى.

بعد هذا انظر ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء)، وشرح: (قضينا) في الآية رقم [٤] منها، ولقد وصف الله تعالى في هذه الآية وغيرها الحياة التي يحياها ابن آدم بالدنيا لدناءتها، وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله الحريري إذ يقول: [الكامل]

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى، وقَرَارَةُ الأَكْدَارِ

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَداً تَبّاً لَهَا مِنْ دَارِ

أو هي من الدنو، وهو القرب؛ لأنها في متناول يد الإنسان ما دام حياً.

أما أصل «قاض» فهو: قاضي بكسرة على الياء علامة للجر، أو بضمة علامة للرفع، وبتنوين الصرف، لكن استثقلت الكسرة، أو الضمة على الياء بعد كسرة، فسكنت الياء، فالتقى ساكنان: الياء والتنوين، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، وبقيت الضاد مكسورة على ما كانت عليه قبل الإعلال، فقيل: قاض بالكسرة، وإنما لم يقل بالرفع لأن الياء محذوفة لعلة الالتقاء، فهي كالثابتة، فتمنع الرفع للضاد، وهكذا قل في إعلال كل اسم منقوص مجرد من أل، والإضافة، سواءً كان ثلاثياً، أم رباعياً؟

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم). ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿نُّؤْثِرَكَ﴾ مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾ والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(نا): مفعول به. ﴿عَلَىٰ مَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة،

والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر. ﴿جَآءَنَا﴾ ماض، ومفعوله، والفاعل يعود إلى (ما)، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها. ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر، ومن بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾. ﴿وَٱلَّذِى﴾: الواو: حرف عطف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ﴿مَا﴾ وأجيز اعتبار الواو، واو القسم، والذي مقسماً به، وجواب القسم محذوف، التقدير: وحق الذي فطرنا لا نؤثرك، وجملة: ﴿فَطَرَنَا﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَٱقْضِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اقض): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿قَاضٍ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: اقض الذي أنت قاضيه، والجملة الفعلية هذه لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر بـ: «إذا» التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منا؛ فاقض. . . إلخ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿تَقْضِى﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل قبله، والمفعول محذوف، التقدير: إنما تقضي غرضك في هذه الحياة. وعلى الثاني و(ما) نفسها اسم (إنَّ) والتقدير: إنَّ الذي تقضيه نافذ في هذه الحياة. أو اسم الإشارة مفعول به على الاتساع، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾: بدل من ﴿هَٰذِهِ﴾ أو عطف بيان عليه. ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾: صفة الحياة مجرور مثله، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. هذا؛ وأجيز اعتبار (إنَّ) عاملة. و(ما) تحتمل المصدرية والموصولة، فعلى الأول: تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب اسم (إنَّ) والخبر محذوف، وهو متعلق الظرف، التقدير: إن قضاءك نافذ في هذه الحياة، وعلى الثاني فـ: (ما) نفسها اسم (إنَّ) والتقدير: إنَّ الذي تقضيه نافذ في هذه الحياة ويكون العائد محذوفاً، وقد قدرته، وجملة: ﴿إِنَّمَا...﴾ إلخ تعليلية لما قبلها، وقول القرطبي: وأجاز الفراء الرفع على أنَّ تجعل (ما) بمعنى: «الذي» وتحذف الهاء من تقضي، ورفعت ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ ولكنني لم أجد من قرأ بالرفع، وأخيراً فالكلام كله في محل نصب مقول القول وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ أي: صدقنا بالله وحده لا شريك له، وأن ما جاء به موسى هو الحق. ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ أي: من الشرك، والمعاصي، وعمل السحر. ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ

﴿ٱلسِّحۡرِۗ﴾: المراد به إتيانهم من المدائن القاصية، أو تعليمهم صغاراً، فأما حين حضروا، وقابلوا موسى عليه السلام فلم يكونوا مكرهين بإلقاء حبالهم وعصيهم بدليل قولهم في سورة (الشعراء) لفرعون ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ وقولهم فيها: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ أي: ثوابه خير. ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أي: عذاباً، فيكون المعنى: الله خير ثواباً من ثوابك؛ إن أطعناه، وأبقى عقاباً؛ إن عصيناه.

تنبيه: وإنما آمن السحرة؛ لأنهم أيقنوا: أنَّ ما فعلته العصا من التقام حبالهم، وعصيهم ليس من فعل السحر، ولا يقدر على مثله البشر، وقد جرت سنة الله أن يتحدى القوم المكذبين بجنس ما برع به أولئك القوم، فقوم فرعون برعوا بالسحر، وكان فاشياً فيهم، فلما فعلت العصا ما فعلت، فأول من عرف: أن ذلك من صنع القوي القادر هم السحرة، وقوم عيسى عليه السلام برعوا في الطب، فلما أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده، فأول من عرف: أن ذلك من صنع القوي القاهر هم الأطباء، وقوم محمد ﷺ كانوا فرسان الفصاحة، والبلاغة، وقد برعوا بقول الشعر، والخطابة، ونحوهما، فلما جاء القرآن الكريم؛ أخرس فصحاءهم، وأسكت بلغاءهم، وقصة سماع عتبة بن ربيعة، وسماع الوليد بن المغيرة القرآن مشهورة مسطورة؛ حتى قال الوليد: إن له لحلاوة، وإن عليه، لطلاوة وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه يعلو، ولا يعلى عليه، والفضل ما شهدت به الأعداء.

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر إن. ﴿بِرَبِّنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِيَغۡفِرَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وهي تؤوَّل مع الفعل بمصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، والفاعل يعود إلى (ربنا). ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و(نا): في محل جر بالإضافة.

﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على خطايانا. ﴿أَكۡرَهۡتَنَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد: الضمير المجرور محلاً بـ: (على). ﴿مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن العائد، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في (ما). هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) مبتدأ والخبر محذوف، تقديره: والذي أكرهتنا. محطوط، أو موضوع عنا، وعليه فالجملة الاسمية في محل نصب حال مِن (نا)، والرابط: الواو، والضمير. وقيل: (ما) نافية، وليس بسديد. ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿خَيۡرٞ﴾: خبره. ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾: معطوف على ما قبله مرفوع مثله، وعلامة

رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية معترضة، أو مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ...﴾ إلخ: هذه الآية وما بعدها يحتمل أن تكون من قول السحرة، ويحتمل أن تكون من قول الله تعالى، ومعنى الإتيان: الموت على الشرك، والموت على الإصرار على المعاصي، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ: وهذا حال الكافر المكذب؛ إذا أدخل جهنم لا يخرج منها أبداً، ولا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، ولا يعيش عيشة هنيئة. وانظر ما ذكرته في هذا الصدد في الآية رقم [١٧] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. ، ولا تنس: المطابقة بين ﴿يَمُوتُ﴾ و﴿يَحْيَىٰ﴾.

هذا؛ وألفت النظر إلى أن التعبير عن الكافرين يكثر بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، وغير هذا، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولا سيما من قرأ القرآن، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، والله أعلم. هذا؛ ويجوز في العربية فتح همزة (إن) الثانية وكسرها، انظر الآية رقم [٥٤] من سورة (الأنعام)، والآية رقم [٤] من سورة (الحج)، ولكني لم أطلع على قراءتين في هذه الآية.

الإعراب: ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير الشأن اسمها. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَأْتِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُجْرِمًا﴾: حال مِن فاعل ﴿يَأْتِ﴾. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) تقدم على اسمها. ﴿جَهَنَّمَ﴾: اسمها مؤخر. ﴿لَا﴾: نافية ﴿يَمُوتُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (من). ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الضمير المجرور باللام، أو من جهنم؛ لأن في الجملة ضمير كل منهما، وجملة: ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ مع المتعلق المحذوف معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح

لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: ﴿مَن...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)؛ ومثل الآية الكريمة في وقوع الجملة الشرطية خبراً لإن قول الأخطل التغلبي النصراني وقد حذف اسم إن: [الخفيف]

إنَّ مَـنْ يَـدْخُـلِ الـكـنـيـسـةَ يَـوْمـاً يَـلْـقَ فـيـهـا جَـآذِراً وظِـبـاءَ

وأيضاً قول الأعشى ميمون من قصيدة يمدح فيها قيس بن معديكرب: [الخفيف]

إنَّ مَـن لَامَ فـي بَـنـي بِـنْـتِ حَـسَّـا نَ أَلُـمْـهُ، وأَعْـصِـهِ فـي الْـخُـطُـوب

هذا؛ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، إن كانت من مقول السحرة، ومستأنفة، لا محل لها إن كانت من قول الله عز وجل.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ﴾ أي: ربه. ﴿مُؤْمِنًا﴾ أي: مات على الإيمان، وذكر العمل الصالح احتراس حتى لا يفهم منه أن الإيمان وحده ينيل صاحبه الدرجات الرفيعة في الجنة، والمراد: بالصالحات على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها مع الكف عن المعاصي والسيئات على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها كلاهما بحسب القدرة والاستطاعة. قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ من سورة (التغابن). ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ﴾: المنازل الرفيعة في الجنة، و﴿ٱلْعُلَىٰ﴾ جمع: العليا، مثل كبرى، وكبر، وصغرى، وصغر، ولا تنس: أنه قد روعي لفظ (مَنْ) في صدر الآية، وروعي معناها في آخرها.

الإعراب: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ انظر الآية السابقة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَمِلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿قَدْ عَمِلَ...﴾ إلخ في محل نصب حال ثانية، من فاعل (يأت) المستتر، أو هي في محل نصب حال مِن الضمير المستتر في ﴿مُؤْمِنًا﴾ فتكون حالاً متداخلة. وقيل: الجملة صفة ﴿مُؤْمِنًا﴾، وهو ضعيف؛ لأنه صفة لموصوف محذوف. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط... إلخ. وانظر تتمة الإعراب في الآية السابقة، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية السابقة، فهي في محل رفع مثلها. ﴿ٱلْعُلَىٰ﴾: صفة الدرجات مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾

الشرح: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٦٠] من سورة (مريم)، و﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ جمع نهر. وانظر الآية رقم [٣٣] من سورة (الكهف). ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾: ماكثين، مقيمين، لا يخرجون منها أبداً. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تطهر من الكفر، والمعاصي، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أهلَ الدرجاتِ الْعُلَى، لَيَراهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ، كما تَرونَ النَّجمَ الطالعَ في أفق السماء، وإن أبا بكر، وعمر منهم، وأنعِمَا**». أخرجه الترمذي. أي: زادا، وتناهيا في الفضل إلى غايته. هذا؛ ومن قال: إن الآيات الثلاث من كلام السحرة، لعلهم سمعوه من موسى عليه السلام، أو من بني إسرائيل، وكان فيهم المؤمن من آل فرعون، كما يحتمل أن يكون ذلك إلهاماً من الله لهم أنطقهم بذلك لما آمنوا. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿جَنَّٰتُ﴾: بدل من الدرجات العلى، وأجيز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، و﴿جَنَّٰتُ﴾ مضاف، و﴿عَدۡنٖ﴾ مضاف إليه. ﴿تَجۡرِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وها: في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿جَنَّٰتُ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال مِن الضمير المجرور باللام منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَاۚ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَزَآءُ﴾: خبر المبتدأ، وجزاء مضاف، و﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ مع المتعلق المحذوف، صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: عود الضمير إليها.

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ...﴾ إلخ: وهذا الإيحاء والأمر بالسير كان بعد ثلاثين سنة أقامها موسى بينهم يدعوهم إلى توحيد الله، فلم يزدادوا إلا عتواً، وعناداً على كثرة المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام، وقد فصل ذلك في سورة (الأعراف) في الآية رقم [١٣٦] وما بعدها. هذا؛ وانظر شرح «أسرى» في الآية رقم [١] من سورة (الإسراء)، والمراد: بـ: (عبادي) بنو إسرائيل، والإضافة إضافة تشريف. وانظر الآية رقم [١] من سورة (الإسراء) أيضاً.

﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ أي: فاجعل لهم طريقاً في البحر يبساً، وهذا كان حين أمره الله أن يضرب بعصاه البحر في قوله تعالى من سورة (الشعراء): ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب

بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وقد أيبس الله لهم أرض البحر، فلم يبق فيه ماء، ولا طين، وأرسل الله الهواء عليه، فلم يبق في أرض البحر التي ساروا فيها رطوبة قطعاً.

قال أبو العتاهية الصوفي: [البسيط]

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدَنِّسَهُ ... وَثَوْبُكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ

تَرْجُو النَّجاةَ، ولَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا ... إنَّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي على الْيَبَسِ

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾: لحاقاً من فرعون، وجنوده. ويقرأ الفعل بالجزم. وانظر الإعراب. ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أي: غرقاً، فقد روي: أن فرعون لما لحقهم قرب البحر. قالوا: هذا فرعون قد أدركنا بجيشه، وهذا البحر أمامنا، فقال الله لموسى ليطمئن قومه: ﴿لَّا تَخَٰفُ...﴾ إلخ. هذا؛ والدرك بفتح الدال وتسكن: اللَّحاق كما رأيت، وإدراك الحاجة، وأقصى قعر الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ الآية رقم [١٤٥] من سورة (النساء). وانظر شرح (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها السلام.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٥٦]. ﴿أَنْ﴾: حرف تفسير. ﴿أَسْرِ﴾ أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِعِبَادِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة وجملة: ﴿أَنْ أَسْرِ...﴾ إلخ مفسرة للإيحاء. وانظر الآية رقم [٣٩] حيث جوز اعتبار ﴿أَنْ﴾ مصدرية. (اضرب): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿طَرِيقًا﴾: مفعول به. ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿طَرِيقًا﴾. ﴿يَبَسًا﴾: صفة ثانية، أو هو حال مِن ﴿طَرِيقًا﴾ بعد وصفه بما تقدم، والجملة الفعلية: ﴿فَٱضْرِبْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها، والكلام: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تَخَٰفُ﴾: مضارع، والفاعل أنت. ﴿دَرَكًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن فاعل (اضرب) المستتر، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ ويقرأ الفعل بالجزم في جواب الأمر، أو بـ: ﴿لَّا﴾ الناهية، والجملة الفعلية لا محل لها على الاعتبارين. هذا؛ والفعل: ﴿تَخْشَىٰ﴾ معطوف على ما قبله بحالة الرفع، وحالة الجزم، ففي حالة الرفع فالأمر بين، وفي حالة الجزم، فالجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وأنت لا تخشى، والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال مِن فاعل تخاف. والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وأجيز اعتباره مجزوماً بعطفه على ما قبله، واعتبار الألف الثابتة للإطلاق على حد قوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ وانظر ﴿يَتَّقِ﴾: في الآية رقم [٩٠] من سورة (يوسف) عليه الصلاة والسلام.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ أي: لحقهم بجنوده. وفيه قراءات. وانظر الآية رقم [٨٥] من سورة (الكهف) ففيها ما يسرك، ويثلج صدرك. . ﴿فَغَشِيَهُم...﴾ إلخ: أي: غطاهم ماء البحر. ويقرأ: (فغشاهم. . .) إلخ، فيكون الفاعل هو الله تعالى، وكرر الفعل للتهويل، والتعظيم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٠] من سورة (يونس) عليه السلام، ولنا كلام طويل في الآية رقم [٦٤] من سورة (الشعراء) إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: ما هدى نفسه، بل أهلك نفسه، وقومه. وقيل: هو جواب قول فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾. هذا؛ وانظر شرح (قوم) في الآية رقم [١٣] من سورة (النحل). وانظر شرح (ضل) في الآية رقم [٨٧] منها. وانظر شرح (فرعون) في الآية رقم [٤٣].

الإعراب: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، أو استئناف. (أتبعهم): ماض والهاء مفعول به. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعل. ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن فرعون، والمفعول الثاني: محذوف، التقدير: فأتبعهم فرعوه عقابه زاحفاً بجنوده. هذا؛ وقيل: الباء زائدة في المفعول الثاني. وقيل: الفعل متعد لواحد فقط، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَغَشِيَهُم﴾: الفاء: حرف عطف: (غشيهم): ماض، والهاء مفعول به، ﴿مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، وأبهم الفاعل للتهويل؛ والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد رجوع الفاعل إليها، وعلى القراءة الثانية، فالفاعل يعود إلى (الله)، و﴿مَا﴾: مفعول به، والجملة: ﴿فَغَشِيَهُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها، مثلها الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع. ﴿وَأَضَلَّ﴾: ماض. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله. ﴿قَوْمَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَأَضَلَّ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن ﴿فِرْعَوْنُ﴾ والرابط: الواو، وإعادة فرعون بلفظه، وهي على تقدير «قد» قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿هَدَىٰ﴾: ماض، ومفعوله محذوف، والفاعل يعود إلى (فرعون) والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. وقيل: جملة: ﴿وَأَضَلَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، والأول: أقوى.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: بعد أن أهلك الله فرعون وجنوده، وأنجى بني إسرائيل ذكرهم الله في هذه الآية

نعمته عليهم، ولعلك تدرك معي: أن موسى عليه السلام لقي منهم عناء، وذلك لما طبعوا عليه من خبث، ومكر، وفسوق. ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾: هذا الوعد كان لطلب التوراة التي وعدهم إياها موسى قبل إهلاك فرعون وجنوده، وإنما قال: (واعدناكم) لأنها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم، ورجعت منافعها إليهم، وبها قوام دينهم، وشريعتهم، وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه، وأرزاقه، وبقيت دستورهم، ومصدر حكمهم حتى جاء عيسى عليه السلام بالإنجيل، وما أحراك أن تنظر ما حصل لهم عندما سمعوا كلام الله تعالى في الآية رقم [١٥٥] من سورة (الأعراف)، أما ﴿ٱلۡمَنَّ﴾ فكان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع، وهو أحلى من السكر، و(السلوى) نوع من الطير يسمى السُّمَّانىٰ، فحشره عليهم ريح الجنوب فيذبح الرجل ما يكفيه، وعياله، وهذا كان في التيه المذكور في الآية رقم [٢٦] من سورة (المائدة). هذا؛ والكلام يحتمل أن يكون في محل نصب مقول القول، كما يحتمل أن يكون من تذكير اليهود الموجودين في عهد محمد ﷺ، بما أنعم الله على آبائهم الأولين، وكذلك التوبيخ، والتقريع الموجه إليهم بما فعل آباؤهم من عبادة العجل، ونقض العهود، وخلف الوعود، وغير ذلك من سيئ الأفعال، وفاحش الفعال، والأقوال. وانظر شرح ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (الإسراء)، وشرح (عدو) في الآية رقم [٣٩]، وانظر شرح (الوعد) في الآية رقم [٥٤] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿يَٰبَنِيٓ﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب: «أدعو». (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر، وحذفت النون للإضافة، و(بني): مضاف، و﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، أو التركيب المزجي. ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَنجَيۡنَٰكُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، أو هي في محل نصب حال مِن (بني إسرائيل)، والرابط: الضمير فقط، والعامل (يا)، لما فيها من معنى الفعل. ﴿مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿جَانِبَ﴾: مفعول به ثان وهو على حذف مضاف؛ أي: إتيان جانب، والجملة الفعلية: معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، و﴿جَانِبَ﴾: مضاف، و﴿ٱلطُّورِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلۡأَيۡمَنَ﴾: صفة جانب. ﴿وَنَزَّلۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيۡكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلۡمَنَّ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وأخيراً فالآية في محل نصب مقول القول، أو هي مستأنفة، لا محل لها، انظر الشرح. هذا؛ وقرئ الأيمن بالجر على الجوار، أفاده الزمخشري.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي: من حلاله، أو من لذائذه، والمراد: المن، والسلوى اللذان نزلا عليهم في التيه. ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ أي: لا تعصوا الله تعالى؛ لأن الطغيان: التجاوز إلى ما لا يجوز. وقيل: المعنى: لا تكفروا النعمة، ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم. وقيل: لا تدخروا. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ أي: يجب، أو ينزل. ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلك، وسقط في النار.

هذا؛ وذكر القرطبي عن شُفَيٍّ بن ماتع الأصبحي حديثاً موقوفاً عليه: «**إنَّ في جَهَنَّمَ جَبلاً يُدْعَى: صَعُوداً، يطلُعُ الكافِرُ فيه أَرْبَعِينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَرْقَاهُ. قال الله تعالى**: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ **وإنَّ في جَهَنَّمَ قَصْراً، يقالُ لَهُ: هَوَى يُرْمَى الكافِرُ مِنْ أَعْلاهُ، فيهوِي أربعينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَصْلَهُ، فالله تعالى يقول**: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾»، ولا تنس: أن في الآية التفاتاً من متكلم الجماعة إلى متكلم الواحد، انظر الالتفات في الآية رقم [٢٢] في سورة (النحل) وانظر شرح ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٥٣] منها. هذا؛ ويقرأ الفعلان (يحل) و﴿يَحْلِلْ﴾ بضم الحاء وكسرها، وفرق بينهما في المعنى، فقيل: معنى الأول: ينزل، ومعنى الثاني: يجب.

الإعراب: ﴿كُلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿طَيِّبَٰتِ﴾ مضاف. و﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: طيبات الذي، أو شيء رزقناكموه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية، تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: من طيبات رزقنا لكم، وجملة: ﴿كُلُوا۟﴾... إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَطْغَوْا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَيَحِلَّ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿غَضَبِى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم طغيان فحلول غضب عليكم. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.

﴿يَحۡلِلۡ﴾: فعل الشرط. ﴿غَضَبِي﴾: فاعله مرفوع. ﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿هَوَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (من)، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٧٤] والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهي من جملة مقول القول المحذوف.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾: من الشرك، ومن المعاصي. ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: بالله الإيمان الصحيح، وآمن بجميع الرسل، وجميع الكتب السماوية، وبوجود الملائكة، وباليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾: صلى، وصام، وحجَّ، وزكى، وعمل أنواع البر والخيرات. ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾: ثم استقام، وثبت على ما ذكر. وانظر الآية رقم [٦٠] من سورة (مريم) عليها السلام، ففيها فضل زيادة. وانظر تبديل سيئات التائبين بحسنات في الآية رقم [٧٠] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿وَإِنِّي﴾: الواو: واو الحال. (إني): حرف مشبه بالفعل. وياء المتكلم اسمها. ﴿لَغَفَّارٞ﴾: اللام: هي المزحلقة. (غفار): خبر (إنَّ). ﴿لِّمَن﴾: متعلقان بغفار، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، وجملة: ﴿تَابَ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها. وجملة: ﴿وَءَامَنَ﴾ مع المتعلق المحذوف معطوفة عليها، وكذلك جملة: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ وجملة: ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾ معطوفتان عليها، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن فاعل: ﴿يَحۡلِلۡ﴾ والرابط: الواو، والضمير، وهو أقوى من الاستئناف. تأمل، وتدبر.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾ أي: وما حملك على العجلة، ﴿عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: وذلك: أنَّ موسى عليه السلام، اختار من قومه سبعين رجلاً يذهبون معه إلى جبل الطور ليأخذوا التوراة التي وعده بها ربه، ووعد هو بها بني إسرائيل كما رأيت في الآية رقم [١٥٤] من سورة (الأعراف)، فسار بهم حتى قارب الجبل، ثم عجل السير من بينهم شوقاً إلى ربه، وتركهم خلفه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل على هينتهم، فقال له ربه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ...﴾ إلخ فأجاب ربه قال: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ أي: هم خلفي يلحقون بي، وليس بيني وبينهم إلا مسافة قصيرة. ويقرأ: ﴿أَثَرِي﴾ بفتحتين، وبكسر وسكون، لغتان، وهما بمعنى: واحد.

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي: عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمسير إليه لترضى عني؛ لأن المسارعة إلى امتثال أمرك، والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك. هذا؛ وإنما أجاب موسى عليه السلام بجوابين: أوَّلهما كان همُّ موسى بسط العذر، وتمهيد السبب في نفس ما أنكر عليه، فاعتذر بأنه لم يوجد منه إلا تقدم يسير عن رفقته وهذا يحصل بين الرفقة في غالب الأحيان ،ثم أعقبه بالجواب الثاني، وهو الموافق للسؤال. وينبغي أن تعلم: أن السؤال يقع من الله، لكنه ليس لاستدعاء المعرفة، بل إما لتعريف غيره، أو لتبكيته، أو تنبيهه، كما صرح به الراغب، وظاهره: أنه ليس بمجاز كما يقول التلميذ: سألني الأستاذ عن كذا ليعرف فهمي، ونحو ذلك. انتهى جمل. وانظر ما ذكرته بشأن العجلة في الآية رقم [١] من سورة (النحل) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْجَلَكَ﴾: ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى (ما). ﴿عَن قَوْمِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (موسى): منادى مبني على الضم المقدر على الألف في محل نصب بـ: (يا)، والآية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قال الله: وما أعجلك... إلخ. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أُولَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والياء في محل جر بالإضافة، وهذا الإعراب إنما هو على مذهب البصريين. هذا؛ وأجيز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر ثان للمبتدأ، أو في محل نصب حال مِن اسم الإشارة. وأما الكوفيون؛ فهم يعتبرون اسم الإشارة موصولاً وهو الخبر، والجار والمجرور صلته، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل نصب مقول القول. ﴿وَعَجِلْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٢٥] ﴿لِتَرْضَىٰ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل ، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة بعد لام التعليل والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: عجلت، وعليه فالجملة الندائية معترضة بينهما، وجملة: ﴿وَعَجِلْتُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: قال الله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم، وهم الذين خلف عليهم هارون، وكانوا ستمئة ألف، ما نجا من عبادة

العجل منهم إلا اثنا عشر ألفاً. وقيل: المعنى: ألقيناهم في الفتنة، ولذا قال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ وهذا يعود إلى أنَّ الله هو الفاعل لأعمال العبد. ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: وإنما أضاف الله الضلال إلى السامري؛ لأنهم ضلوا بسببه. ويقرأ: (أضلُّهم) بضم اللام مشددة؛ أي: أشدهم ضلالة. هذا؛ والسامري اسمه موسى بن ظفر، اختلف في نسبته، اختلافاً كبيراً. وقال الجمل نقلاً عن شيخه: منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل، كان منافقاً، وكان قد ربَّاه جبريل عليه السلام؛ لأن فرعون لما شرع في ذبح الولدان كانت المرأة من بني إسرائيل تأخذ ولدها وتلقيه في حفيرة، أو كهف من جبلٍ، أو غير ذلك، وكانت الملائكة تتعهد هذه الأطفال بالتربية حتى يكبروا، فيدخلوا بين الناس، وكان موسى السامري ممَّن تعهده جبريل عليه السلام، فكان يغذيه من أصابعه الثلاثة، فيخرج له من أحدها لبن، ومن الأخرى سمن، ومن الثالثة عسل. انتهى. وهذا القول ذكره الثعلبي في قصص الأنبياء، وكثير من المفسرين، ومن محفوظي قديماً هذان البيتان: [الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَم يُخْلَقْ سَعِيداً تَخَلَّفَتْ ... ظُنونُ مُرَبِّيهِ، وخابَ الْمُؤَمِّلُ
فموسَى الذي رَبَّاهُ جبريلُ كافِرٌ ... وموسَى الذي ربَّاهُ فرعونُ مُرْسَلُ

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿فَإِنَّا﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿فَتَنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿قَوْمَكَ﴾: مفعول به. والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن قومك، وهو أقوى من تعليقهما بالفعل، وجملة: ﴿قَدْ فَتَنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ﴿قَوْمَكَ﴾ والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير قد قبلها، وعلى القراءة الثانية فالجملة اسمية، وتبقى في محل نصب حال.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾: الأسف: شدة الحزن، ورجوعه كان بعد أن أتم أربعين يوماً كما رأيت في الآية رقم [١٤٢] من سورة (الأعراف) وأخذ التوراة. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾: وعدهم الله عز وجل الجنة؛ إذا أقاموا على طاعته، ووعدهم أن يسمعهم كلامه في التوراة على لسان موسى ليعملوا بما فيها، فيستحقوا ثواب عملهم. وقيل:

وعدهم النصر، والظفر. هذا؛ والغضب: تغير مزاج الإنسان، واحمرار عينيه، وانتفاخ، أوداجه، وهو مذموم إلا إذا كان لله تعالى. وهذا شأن الأنبياء، فكانوا لا يغضبون إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّتْ عَيْنَاهُ، وعَلا صَوْتُهُ، واشتَدَّ غضبُهُ، كأنه مُنْذِرُ جَيْشٍ، يقول: «**صَبَّحَكُمْ ومَسَّاكُمْ**». ويقول: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**». ويقرن بين أصبعيه: السبابة والوسطى، ويقول: «**أمَّا بَعْدُ فإنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ، وشَرَّ الأُمورِ محْدَثَاتُها، وَكُلُّ بدْعَةٍ ضَلَالةٌ**». رواه مسلم.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي: مدة مفارقتي لكم. ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: أردتم أن تفعلوا فعلاً تستحقون الغضب من ربكم بسببه، وذلك هو ما بدر منكم، وهو عبادة العجل. ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ أي: ما وعدتموني به من الثبات على الطاعة، والتمسك بعرى الإيمان.

الإعراب: ﴿فَرَجَعَ﴾: الفاء: حرف استئناف. ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾: ماض، وفاعله. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿مُوسَىٰٓ﴾، وهو أقوى، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾: حالان من ﴿مُوسَىٰٓ﴾، وجملة: ﴿فَرَجَعَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: إعرابه مثل إعراب «رب» في الآية رقم [٣٥] مع ملاحظة حذف أداة النداء هناك، وإثباتها هنا. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَعِدْكُمْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والكاف مفعول به أول. ﴿رَبُّكُمْ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَعْدًا﴾: مفعول به ثان، إن كان بمعنى: الموعود، أو هو مفعول مطلق إن كان على ظاهره. ﴿حَسَنًاۚ﴾: صفة ﴿وَعْدًا﴾. ﴿أَفَطَالَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي أيضاً. (طال): ماض. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلْعَهْدُ﴾: فاعله. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿أَرَدتُّمْ﴾: فعل، وفاعل. والمصدر المؤول من ﴿أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿غَضَبٌ﴾ والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَأَخْلَفْتُم﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (أخلفتم): فعل، وفاعل. ﴿مَّوْعِدِى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر الميمي لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ والجمل ﴿يَٰقَوْمِ...﴾ إلخ كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: مجيبين لموسى عليه السلام حين وبخهم على عبادة العجل. ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾: بقدرتنا، وطاقتنا، أو بإرادتنا، وهو يقرأ بتثليث الميم. ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: حملنا أحمالاً من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم عرس، أو بحجة عيد لنا، ثم لم يردوها عند الخروج مخافة أن يعلموا بهم. وقيل: هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم، فأخذه بنو إسرائيل، ولعلهم سموها، أوزاراً؛ لأنها آثام، فإن الغنائم لم تكن تحل لهم، أو؛ لأنهم كانوا مستأمنين، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي إذا كان مستأمناً.

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي: في النار. ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي: ما كان معه منها. روي أنَّ السامري قال لهم حين استبطأ القوم موسى: إنما احتبس عليكم من أجل ما معكم من الحلي، فجمعوه وأعطوه للسامري، فرمى به في النار، فذاب الذهب، وصاغ لهم منه عجلاً، ثم ألقى عليه قبضة تراب مِنْ أثر فرس جبريل، عليه السلام. وكان الخبيث قد رأى فرس جبريل عند سوقه القبط لا يدوس على تراب إلا نبت الحشيش مكان قدمه فأخذ تلك القبضة، واحتفظ بها. وقال: سيكون لها شأن. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مر هارون بالسامري، وهو يصنع العجل، فقال: ما هذا؟ فقال: ينفع، ولا يضر، فادع لي، فقال هارون عليه السلام: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى قبضة التراب في جوفه، فجعل يخور، وهو ما في الآية التالية.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَخْلَفْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَوْعِدَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر الميمي لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِمَلْكِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال مِن (نا)، والمعنى لا يؤيده. و(نا): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف؛ إذ التقدير: بملكنا الصواب، أو بملكنا قدرتنا. ﴿وَلَٰكِنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (لكنّا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت ألفها. ﴿حُمِّلْنَآ﴾: ماض، ونائب فاعله، أو هو ماض، وفاعله على قراءة التخفيف. ﴿أَوْزَارًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّن زِينَةِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَوْزَارًا﴾، و﴿زِينَةِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقَوْمِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿حُمِّلْنَآ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (لكنّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وقبلها كلام مقدر؛ أي: فقال لنا السامري اقذفوها في النار... إلخ. ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾: الفاء: حرف

عطف. الكاف: حرف جر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: ألقى السامري ما معه من الحلي إلقاء كائناً مثل إلقائنا حلينا، والكلام كله معطوف على ما قبله، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ أي: من تلك الحلي المذابة. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: صوت كصوت البقر، وقرئ: (جؤار) وهو بمعنى: الأول، واختلفوا: هل كان الجسد حياً من لحم ودم، أم هو تمثال من ذهب قولان: أحدهما لم يكن من لحم ودم؛ لأنه لا يجوز إظهار خرق العادة على يد ضال، بل صور السامري صورة على شكل عجل، وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث إذا دخل الهواء فيها صوت كصوت العجل، الثاني: أنه صار حياً، وهو قول الحسن، وقتادة، والسدي. أقول: وهذا أقرب إلى الصواب؛ لأنه لو بقي جماداً لم يكن فيه خرق للعادة، وكان العجل إذا خار؛ سجدوا له.

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ...﴾ إلخ: أي: قال السامري، ومن افتتن بالعجل أول ما رأوه. وقيل: عكفوا عليه، وأحبوه حباً لم يحبوا شيئاً قط مثله. ﴿فَنَسِىَ﴾ أي: قال السامري: إن موسى نسي إلهه، وتركه هنا، وذهب يطلبه. هذا؛ وقد روي: أن موسى عليه السلام لما رأى العجل المصنوع من ذهب قال: يا رب هذا السامريُّ أخرج لهم عجلاً جسداً له خوار من حليهم، فمن جعل الجسد والخوار؟ قال الله تبارك وتعالى: أنا. قال موسى ـ على نبينا وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام ـ: وعِزَّتِكَ، وجَلالِكَ، وارتفاعِكَ، وعلُوِّكَ، وسلطانِكَ ما أَضَلَّهُمْ غَيْرُكَ! قال: صدقتَ يا حكيمَ الحكماءِ! وانظر شرح ﴿جَسَدًا﴾ في الآية [٨] من سورة (الأنبياء).

الإعراب: ﴿فَأَخْرَجَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أخرج): ماض، والفاعل يعود إلى (السامري). ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عِجْلًا﴾: مفعول به، ﴿جَسَدًا﴾: صفة؛ أي: عجلاً مجسداً، وقول الجمل: هو حال من ﴿عِجْلًا﴾ غير واضح إلا أن يكون قد صار علماً بالغلبة، وهو غير مسلم، واعتباره بدلاً جيد. ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿خُوَارٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ثانية، أو في محل نصب حال من ﴿عِجْلًا﴾ بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿فَأَخْرَجَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على جملة: ﴿وَأَضَلَّهُمُ...﴾ إلخ وهو ضعيف جداً. ﴿فَقَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له.

﴿إِلَٰهُكُمْ﴾: خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِلَٰهُ﴾: معطوف على الخبر، و(إله) مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿فَنَسِيَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ بزعمهم، ومفعوله محذوف، التقدير: فنسي ﴿مُوسَىٰ﴾ إلهه هنا. وقيل: يعود الضمير إلى السامري، فيكون التقدير: فترك السامري ما كان عليه من الإيمان بالله تعالى، وعلى هذا فالجملة مستأنفة، لا محل لها، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿فَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَأَخْرَجَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾: يعتبرون، ويفكرون. ﴿أَلَّا يَرْجِعُ...﴾ إلخ: أي: أن العجل لا يرد لهم جواباً إذا دعوه، ولا يكلمهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: فكيف يكون إلهاً؟! والذي يعبده موسى عليه السلام يضر، وينفع، ويثيب، ويعذب، ويعطي، ويمنع. وهذا توبيخ لليهود إلى يوم القيامة حيث عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته، ولا ينفع من عبده، وكان العجل ابتلاءً ابتلى الله به بني إسرائيل. وانظر (رجع) في الآية رقم [٨٦].

الإعراب: ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي تقريعي. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَرَوْنَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه؛ أي: العجل. (لا): نافية. ﴿يَرْجِعُ﴾: مضارع مرفوع، وفاعله يعود إلى «العجل». ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَوْلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنْ) و(أنْ) المخففة واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: أفلا يرون عدم رجوعه بالقول، وقدر القرطبي: في أنه . . . إلخ، وهو ضعيف. هذا؛ ويقرأ بنصب الفعل، وضعفه القاضي البيضاوي، وجملة: ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَفْعًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿أَفَلَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل رجوع موسى من الميقات، أو حين عكفوا على عبادة العجل. ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ أي: اختبرتم وامتحنتم بعبادة العجل، أو ضللتم

بعبادته. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ﴾: الحقيقي المستحق للعبادة هو المسمى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾: في عبادة الرحمن. ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾: في ترك عبادة العجل.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم: أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه؛ لأنه زجرهم أولاً عن الباطل بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ ثم دعا إلى معرفة الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ثم دعاهم إلى معرفة النبوة بقوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ ثم دعاهم إلى اتباع الشرائع بقوله: ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ فهذا هو الترتيب الجيد؛ لأنه لا بد من إماطة الأذى عن الطريق، وهي إزالة الشبهات، ثم معرفة الله، فإنها هي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، وإنما قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فخص هذا الموضع بهذا الاسم؛ لأنه ينبههم على أنهم متى تابوا؛ قبل الله توبتهم؛ لأنه هو التواب الرحيم. فقابلوا هذا القول بالإصرار، والجحود. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧]. واللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَٰرُونُ﴾: فاعل. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وليس بشيء، وبني ﴿قَبۡلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنًى. ﴿يَٰقَوۡمِ﴾: انظر إعراب (رب) في الآية رقم [٢٥] ففيه الكفاية. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿فُتِنتُم﴾: ماض مبني على السكون مبني للمجهول، والتاء نائب فاعله. ﴿بِهِۦۖ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكُمُ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب حال مِن تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [١٢]. (اتبعوني): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما قلته صحيحاً فاتبعوني، وجملة: ﴿وَأَطِيعُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة عليها لا محل لها. ﴿أَمۡرِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. هذا؛ والكلام: ﴿يَٰقَوۡمِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له، وفيه معنى التأكيد للكلام السابق.

﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: مجيبين لهارون عليه السلام. ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾: لا نزال مقيمين على عبادة العجل. ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾: كأنهم قالوا: لن نقبل حجتك؛ حتى يعود

موسى، فننظر: هل يعبده كما عبدناه؟ فتوهموا: أن موسى يعبده؛ لأن السامري قال لهم: «هذا إلهكم وإله موسى فنسيه هنا» كما رأيت. وهددوه بالقتل، كما ستعرفه، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً، من الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى عليه السلام، وسمع الصياح والجلبة، ـ وكانوا يرقصون حول العجل ـ قال للسبعين الذين معه: هذا صوت الفتنة. فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه، ولحيته بشماله غضباً وصار يجره إليه كما في الأعراف [١٥٠]، وكان عليه الصلاة والسلام حديداً، خشناً، متصلباً في كل شيء، فكيف إذا انتهكت حرمات الله؟! لذا لم يتمالك حين رأى قومه يعبدون العجل عياناً؛ حتى فعل بهارون ما فعل.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿نَّبْرَحَ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَٰكِفِينَ﴾: خبر ﴿نَّبْرَحَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَرْجِعَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد حتى. ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلقان به. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بعاكفين، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان، وجملة: ﴿لَن نَّبْرَحَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾ كفروا بعبادة العجل. ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ أي: تتبع أمري، ووصيتي، وهلَّا قاتلتهم، وأنت تعلم أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم. وقيل: معناه ما منعك من اللحوق بي، وإخباري بكفرهم وضلالهم، فتكون مفارقتك إياهم زجراً لهم عما أتوه وعذراً عند الله تعالى؟!. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾: يريد: أن مقامك بينهم مع ما رأيت منهم مخالفة لأمري، ووصيتي. قيل: إن أمره ووصيته ما ذكر في الآية رقم [١٤٢] من سورة (الأعراف)، فلما أقام معهم، ولم يبالغ في منعهم نسبه إلى عصيانه، ومخالفة، أوامره، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ عليه السلام، (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (هارون): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بيا. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مَنَعَكَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، والكاف مفعول به. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة ضلوا في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط، وهي

على تقدير «قد» قبلها. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف ناصب. (لا): صلة للتوكيد. ﴿تَتَّبِعَنِ﴾: مضارع منصوب بـ: (أن)، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة، أو الثابتة في قراءة أخرى مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(أن) المصدرية، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من اتباعي. والجار والمجرور متعلقان بالفعل، (منع) على أنهما مفعوله الثاني، وهذه الآية مثل الآية رقم [١٢] من سورة (الأعراف). هذا؛ والجملة الفعلية: ﴿مَنَعَكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَا مَنَعَكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، ويقدر قبلها كلام محذوف، فلما رجع موسى ورأى ما رأى قال... إلخ. ﴿أَفَعَصَيْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف عطف على محذوف. (عصيت): فعل، وفاعل. ﴿أَمْرِي﴾: مفعول به... إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾: ناداه بذلك مع كونهما شقيقين للأبوين استعطافاً، وتلطفاً، وأدخل في الرقة، والرحمة. هذا؛ ويقرأ بكسر الميم، وفتحها، وكسر اللام، وفتحها، وكسر اللام أقوى. ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: خفت. ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: إن فارقتهم، وتبعتك فربما اقتتلوا بسبب اختلافهم في عبادة العجل، فتلومني على ذلك، وقد وعظتهم، ونصحتهم، فلم يأبهوا بذلك؛ لأنهم استضعفوني وقد همُّوا بقتلي. وهو فحوى آية (الأعراف) رقم [١٥٠]. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أي: لم تعمل بوصيتي حين قلت لك: اخلفني في قومي، وأصلح وارفق بهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا فاللحية: شعر الخدين، والذقن، وجمعها لِحىً، ومنبتها يقال له: لَحْيٌ. وانظر خشي في الآية رقم [٨٠] من سورة (الكهف) وشرح ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء) وشرح (بين) في الآية رقم [٤٥] منها، وشرح (إسرائيل) في الآية [٢] منها أيضاً، وشرح (أم) في الآية رقم [٧٨] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (هارون). (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (ابن): منادى، وهو مضاف، و(أم) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة والمدلول عليها بالكسرة على قراءة كسر الميم، وعلى فتحها، فتكون ياء المتكلم قد قلبت ألفاً، ثم حذفت للتخفيف، والفتحة على الميم تدل على الألف المحذوفة. هذا؛ وحذف هذه الألف يكثر في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم إذا كان (ابن أم)، أو (ابن عم) والثاني: وارد في الشعر العربي كقول الشاعر: [الرجز]

كُنْ لي، لا عَلَيَّ يا بْنَ عَمَّا ... نَعِشْ عَزِيزَيْنِ؛ وَنُكْفَ الْهَمَّا

وهذه الألف الثابتة للإطلاق، وليست المنقلبة عن ياء المتكلم، وقد ثبتت وليست للإطلاق، وهو من القليل، وذلك في قول أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي: [الرجز]

يَا ابْنَةَ عَمَّا لا تَلُومي، واهْجَعي ... لا يَخْرُقُ اللومُ حِجابَ مِسْمَعي

البيت الأول: هو الشاهد رقم [٤٣٤] والثاني: هو الشاهد [٤٣٦] من كتابنا فتح رب البرية إعراب شواهد جامع الدروس العربية.

﴿لَا تَأْخُذْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِلِحْيَتِي﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية داخلة على فعل محذوف، ﴿بِرَأْسِيٓ﴾ متعلقان به؛ إذ التقدير: ولا تأخذ برأسي، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة في الاسمين. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء في محل نصب اسمها. ﴿خَشِيتُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿أَن تَقُولَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والفاعل تقديره: «أنت». ﴿فَرَّقْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، وبين مضاف، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ﴾... إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم): حرف جازم. ﴿تَرْقُبْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿قَوْلِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً هذا؛ و﴿أَن تَقُولَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿خَشِيتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي خَشِيتُ...﴾ إلخ فيها معنى التعليل للنهي. وأخيراً فالجمل كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ﴾... إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى. ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾؟ أي: ما أمرك وشأنك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ قال قتادة: كان السامري عظيماً في بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها: سامرة، ولكن عدو الله نافق بعدما قطع البحر مع موسى. فلما مرت بنو إسرائيل بالعمالقة، وهم

يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ الآية [١٣٣] من سورة (الأعراف)، فاغتنمها السامري، وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل، فاتخذ العجل. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٥].

﴿قَالَ﴾ أي: السامري مجيباً لموسى. ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: رأيت ما لم يروْهُ، رأيت جبريل عليه السلام راكباً على فرس لا يمس شيئاً إلا حييَ من نبات، أو غيره، فألقي في نفسي أن أقبض من أثره قبضة، فما ألقيت منها على شيء إلا صار له روح ولحم ودم، فلما سألوك أن تجعل لهم إلهاً زينت لي نفسي ذلك. هذا؛ ويقرأ الفعل: (بما لم تبصروا) بالتاء أي: علمت بما لم تعلموا، وفطنت لما لم تفطنوا له، وبصر من الباب الخامس كما هو مشاهد.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: ويقرأ بالصاد، والفرق بينهما أن القبض بجميع الكف، والقبص بأطراف الأصابع، ونحوهما: الخصم، والقصم، والصاد، والضاد، تتعاقبان في كثير من الكلمات، مثل قولك: عاد إلى ضئضئه، وصئصئه؛ أي: أصله، ومناص، ومناض بمعنى: واحد. قال تعالى: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ وأنقاض، وأنقاص بمعنى: واحد، ومضمض، ومصمص لسانه كلاهما بمعنى: حركه.

والمراد: بالرسول: جبريل عليه السلام، ولعله لم يسمه باسمه؛ لأنه لم يعرف: أنه جبريل، أو أراد أن ينبه على الوقت الذي رآه فيه، وهو حين جاء جبريل إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ ليبلغه الذهاب إلى جبل الطور. وهنا مضافان محذوفان؛ إذ التقدير: فقبضت قبضة من أثر حافر فرس الرسول، ومثل هذه الآية قول كلحبة العرني اليربوعي: [الطويل]

فَأَدْرَكَ إِرْقَالَ الْعَرَادَةِ ظَلْعُهَا وَقَدْ جَعَلَتْنِي مِنْ حَزِيمَةَ إِصْبَعَا

فإن التقدير: جعلتني من حزيمة مقدار مسافة إصبع، وهذا البيت هو الشاهد رقم: [١٠٥٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها، وطرحتها في فم العجل المصنوع من ذهبٍ، فَخَارَ. ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾: زينت لي ذلك نفسي، وهواي، وجاء لفظ سولت في الآية رقم [١٨] و[٨٣] من سورة (يوسف) على حبيبنا، وشفيعنا عليه ألف ألف سلام، وألف ألف صلاةٍ، وإعظامٍ بهذا المعنى.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى موسى عليه السلام. ﴿فَمَا﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ. (ما): اسم استفهام إنكاري مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَطْبُكَ﴾: خبره، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى السامري. ﴿بَصُرْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما)

تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، وجملة: ﴿لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿فَقَبَضْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿قَبْضَةً﴾: مفعول مطلق إن كانت مصدراً بمعنى: المرة، ومفعول به وإن كانت بمعنى: المقبوض. ﴿مِّنْ أَثَرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَبْضَةً﴾ أو بمحذوف صفة لها، و﴿أَثَرِ﴾ مضاف، والرسول مضاف إليه.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف، (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: سولت لي نفسي تسويلاً كائناً مثل ذلك الذي صنعته، وأظهرته، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. وانظر تفصيل الإعراب في الآية [٨٧] ﴿سَوَّلَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿لِى﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿نَفْسِى﴾: فاعل مرفوع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وأخيراً فالجمل في الآية كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ﴾ أي: قال له موسى. ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا أمسُّ أحداً، ولا يمسني أحد طول الحياة، فنفاه موسى عليه السلام عن قومه، وأمر بني إسرائيل جميعاً ألا يخالطوه، ولا يقربوه، ولا يكلموه عقوبةً له، فمنع من مخالطة الناس منعاً كلياً، ومن كل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً، وإذا اتفق أن يمس أحداً، رجلاً، أو امرأةً؛ حمَّ الماسُّ والممسوس، فتحامى الناس، وتحاموه. قال الشاعر: [الطويل]

تَمِيمٌ كَرَهْطِ السَّامِرِيِّ وقولِه ... ألَا لا يُرِيدُ السامِرِيُّ مِسَاسا

وقد جعل الله عقوبته في الدنيا بأن جعله لا يماس أحداً، ولا يمكن من أن يمسه أحد، ويقال: ابتلي بالوسواس. وأصل الوسواس من ذلك الوقت. وقال قتادة: بقاياه إلى اليوم يقولون ذلك؛ أي: ﴿لَا مِسَاسَ﴾: وانظر الآية رقم [١٢٠] وقد هرب السَّامريُّ بعد ذلك، وعاش بقية حياته مع الوحش في البرية، وهذه الآية دليل واضح في نفي أهل البدع والمعاصي، وهجرانهم، وعدم مخالطتهم، وقد فعل النبي ﷺ ذلك بكعب بن مالك، وصاحبيه الذين تخلفوا عن الخروج معه إلى غزوة تبوك كما رأيت في الآية رقم [١١٨] من سورة (التوبة). هذا؛ وقرئ بكسر السين على وزن: فجارِ، وقطامِ، ورقاشِ. قال لجيم بن صعب والد حنيفة، وعجل: [الوافر]

إذَا قَـالَـتْ حَـذَامِ فَـصَـدِّقُـوهَـا فَـإِنَّ الْـقَـوْلَ مَـا قَـالَـتْ حَـذَامِ

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: المراد به يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين للحساب والجزاء، وقرئ الفعل بفتح اللام وكسرها وقرئ: (لن يخلفه) على إسناده لله عز وجل. ﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيماً على عبادته، وتعظيمه، وتقديسه، و﴿ظَلْتَ﴾ أصله: ظللت: فحذفت اللام الأولى تخفيفاً. وانظر شرح (ظلوا...) إلخ في الآية رقم [١٤] من سورة (الحجر) تجد ما يسرك، والمراد: به هنا الاستمرار.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أي: بالنار، ويقرأ بتشديد الراء وتخفيفها، وبكسرها، وضمِّها مع التخفيف. وقيل: المعنى لنبردنه بالمبارد، ويقال للمبرد: المِحْرَق. قال السُّدِّيُّ: ذبح العجل، فسال منه الدم، كما يسيل من العجل الحقيقي؛ إذا ذُبح، ثم برد عظامه بالمبرد، وحرَّقه. ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: لنذرينه، ولنطيرنه. ﴿فِي الْيَمِّ﴾: في البحر. والغاية من ذلك: زيادة عقوبته، وإهانته، وإظهار غباوة الذين فتنوا به لمن له أدنى نظر. فلما حرَّقه، وذراه في البحر، شرب بعضهم من مائه حباً له، فظهرت على شفاههم صفرة الذهب. وانظر رقم [١٠٥] الآتية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى موسى عليه السلام. ﴿فَاذْهَبْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنه أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك قد حصل منك؛ فاذهب. وهو أولى من اعتبارها زائدة هنا. (اذهب): أمر، وفاعله مستتر، والجملة الفعلية جواب الشرط المقدر بـ «إذا». ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء حرف تعليل. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ﴾: كلاهما متعلقان بمحذوف خبر مقدم على الإفراد أو على التعدد، ويجوز اعتبار: ﴿فِي الْحَيَوٰةِ﴾ متعلقين بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المقدر. والمصدر المؤوَّل من: ﴿أَن تَقُولَ﴾ في محل نصب اسم (إنَّ) مؤخر. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: (إنَّ). ﴿مِسَاسَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محلّ نصب وعلى قراءته بالكسر؛ فهو مبني على الكسر في محل نصب اسمها. واعتباره اسم فعل أمر مثل: دراك، ونزالِ، وقتال غير وجيه هنا معنىً. وخبر ﴿لَا﴾ محذوف، تقديره: حاصل لي، ونحوه. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾: خبر (إنَّ) متعلق. ﴿لَكَ﴾، واسمها المؤخر: ﴿مَوْعِدًا﴾. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في معنى التعليل مثلها. ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَّن﴾ على جميع القراءات، ونائب فاعله تقديره: «أنت»، وهو المفعول الأول، والهاء مفعوله الثاني، أو فاعله مستتر، تقديره: «أنت»، أو فاعله تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿مَوْعِدًا﴾. (انظر): أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت». ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾: متعلقان به، والكاف في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محلِّ جر صفة: ﴿إِلَٰهِكَ﴾ أو بدل منه. ﴿ظَلْتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿عَاكِفًا﴾: خبر ﴿ظَلْتَ﴾. والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» والهاء مفعول به، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب قسم محذوف، واللام واقعة في جواب ذلك القسم، والقسم وجوابه في محل نصب مفعول به لـ: (انظر) المعلق عن العمل لفظاً، وجملة: ﴿وَانظُرْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (اذهب. .) إلخ ثم: حرف عطف، وجملة: ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها بلا فارق بينهما. ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نَسْفًا﴾: مفعول مطلق. بعد هذا فالآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: فلما فرغ موسى من أمر العجل، وإبطال ما ذهب إليه السامري: رجع إلى بيان الدين الحق، فقال مخاطباً لبني إسرائيل: إنما إلهكم الله المستحق للعبادة، لا يستحقها غيره، فهو الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء، ولا يماثله، ولا يدانيه في كمال العلم والقدرة أحد بخلاف العجل المصنوع من الذهب فهو من الحقارة بمكان.

تنبيه: أما توبتهم من عبادة العجل فقد بينتها الآية رقم [٥٤] من سورة (البقرة) حيث أمرهم موسى عليه السلام بأمر الملك العلام أن يقتل بعضهم بعضاً بالسيوف. قيل: أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً. وقيل: أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة. روي: أن الرجل كان يلقى ابنه، أو أخاه، فلم يقدر على المضي لأمر الله تعالى، فأرسل الله عليهم ضبابة، أو سحابة سوداء، فجعلوا لا يعرف بعضهم بعضاً، فأخذوا يقتتلون من الغداة إلى العشي؛ حتى دعا موسى، وهارون عليهما السلام، فكشفت السحابة، ونزلت؛ أي: التي أتى بها موسى، وكانت القتلى سبعين ألفاً. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿إِلَٰهُكُمُ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبره. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة، أو بدل من ﴿ٱللَّهُ﴾ وجملة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ صلة الموصول، وانظر إعرابها في الآية رقم [٨]. ﴿وَسِعَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه، ﴿عِلْمًا﴾: تمييز. هذا؛ ويقرأ الفعل بالتشديد، فيكون مفعولاً ثانياً، وجملة: ﴿وَسِعَ كُلَّ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير قد قبلها، واعتبارها خبراً ثانياً للمبتدأ لا بأس به، ولكن الأول: أقوى معنى، واعتبارها مستأنفة جيد، والجملة الاسمية، أو الآية بكاملها إنما هي من قول موسى، على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ...﴾ إلخ: الخطاب للرسول ﷺ، والمعنى: نقص عليك يا محمد من أخبار الأمم السابقة مثل الذي قصصنا عليك من خبر موسى مع قومه، وفي ذلك تبصرة لك، وزيادة في علمك، وتكثير لمعجزاتك وتذكير وتنبيه للمعتبرين من أمتك. ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا﴾: من عندنا. ﴿ذِكْرًا﴾: كتاباً يشتمل على هذه الأحاديث، والأقاصيص حقيقاً بالتفكير فيه، والاستفادة منه، والمراد: القرآن الكريم وقيل: معنى ﴿ذِكْرًا﴾ شرفاً، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ والأول: أصح، دليله الآية التالية. بعد هذا انظر شرح (لدن) في الآية رقم [٨٠] من سورة (الإسراء)، وشرح ﴿نَقُصُّ﴾ و(أنباء) في الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف).

هذا؛ وفي الآية تذكير للنبي ﷺ وامتنان عليه بما أكرمه به ربه، وهذا كثير في القرآن الكريم، وهذا المن من الله على نبيه، وعلى عباده بما يذكرهم به مقبول؛ لأن الله يمن بما يملك حقيقة، فهو المتفضل والمنعم بخلاف المن الذي ذكرته في الآية رقم [٢٦٤] من سورة (البقرة) فإنه مذموم؛ لأن العبد يمن بما لا يملك على وجه الحقيقة.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: نقص عليك... قصصاً كائناً مثل القصص الذي قصصناه عليك من خبر موسى، وقومه. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٨٧]. ﴿نَقُصُّ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ أَنبَآءِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف يقع مفعولاً به، التقدير: نقص عليك نبأً كائناً من أنباء، و﴿أَنبَآءِ﴾: مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿سَبَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَا﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة (ما)، لا محل لها، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق... إلخ، ﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿ذِكْرًا﴾ كان صفة له... إلخ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٥٣] و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن فاعل ﴿نَقُصُّ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآن، فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه، ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾: عقوبةً ثقيلةً، سماها الله: وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب، وصعب

احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره، أو؛ لأنها جزاء الوزر، وهو العذاب. وانظر شرح ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في الآية رقم [٥٨] من سورة (الإسراء)، وشرح (يوم) في الآية رقم [١٤] منها.

الإعراب: ﴿مَّنْ﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْرَضَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، وفاعله يعود إلى ﴿مَّنْ﴾. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان به. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَحْمِلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَّنْ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، ويوم مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿وِزْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَّنْ﴾ مختلف فيه كما رأيته مراراً. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَّنْ﴾ موصولة فلست مفنداً، وتكون مبتدأ، وجملة: ﴿أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿مَّنْ...﴾ إلخ على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ مقيمين في عقوبة ذلك الوزر الذي حملوه في دنياهم. ﴿وَسَآءَ لَهُمْ...﴾ إلخ: أي: وبئس الحمل الذي حملوه حملهم.

تنبيه: قال الإمام الرازي - رحمه الله تعالى -: قال قوم: إن عذاب الله للكافرين منقطع، وله نهاية، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ وبأن معصية الظالم متناهية، فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم، والجواب: أن قوله تعالى: ﴿أَحْقَابًا﴾ لا يقتضي أن له نهاية؛ لأن العرب يعبرون به، وبنحوه عن الدوام، ولا ظلم في ذلك؛ لأن الكافر كان عازماً على الكفر ما دام حياً، فعوقب دائماً، ولم يعاقب بالدائم إلا على دائم، فلم يكن عذابه إلا جزاءً وفاقاً. انتهى. جمل في سورة (هود) [١٠٨].

الإعراب: ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ حال مِن فاعل ﴿يَحْمِلُ﴾ المستتر منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ وفيه مراعاة معنى ﴿مَّنْ﴾ هنا، وهو الجمع، ومراعاة لفظها في الآية السابقة. تأمل. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ وفاعله مستتر فيه. ﴿وَسَآءَ﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿وَسَآءَ﴾: ماض جامد، دال على إنشاء الذم، وفاعله مستتر فيه يفسره التمييز. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿حِمْلًا﴾ أو متعلق بمحذوف حال مِن ﴿حِمْلًا﴾ كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿حِمْلًا﴾: تمييز، والمخصوص بالذم محذوف؛ إذ التقدير: ساء الحمل حملاً هو وزرهم، وجملة: ﴿وَسَآءَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾: انظر الآية رقم [٩٩] من سورة (الكهف) ففيها الكفاية. هذا؛ ويقرأ: (ننفخ) و﴿يُنفَخُ﴾ بالبناء للمجهول، وبالبناء للمعلوم. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين، وقد ذكرت لك مراراً: أن في المسلمين مجرمين، وفاسقين، وضالين مضلين، فكل وعيد وتهديد يتوجه إليهم، وهم أولى به. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. ﴿زُرْقًا﴾: الزرق خلاف الكحل، والعرب تتشاءم بزرق العيون، وتذمه وهو من ألوان العيوب عندهم؛ لأن الروم كانوا أعداءهم، وهم زرق العيون. وقال بشار بن برد الأعمى في وصف البخيل: [البسيط]

وِلِلْبَخِيلِ على أموالِهِ عِلَلٌ ... زُرْقُ العُيونِ عليها أَوْجُهٌ سُودُ

وقيل: معناه: عمياً. وقيل: عطاشاً قد ازرقت عيونهم من شدة العطش، ويقال: رجل أزرق العين، والمرأة زرقاء: بينة الزرق، والاسم: الزرقة.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: قيل لابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وقال في موضع آخر: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فقال: إن ليوم القيامة حالات، فحالة يكونون فيها زرقاً، وحالة عمياً. وانظر الآية رقم [٩٧] من سورة (الإسراء) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. ﴿يُنفَخُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿فِي الصُّورِ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعله وعلى القراءتين الأخريين فالفاعل: نحن، أو هو، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿وَنَحْشُرُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. وانظر ما ذكرته في شرحه. ﴿زُرْقًا﴾: حال من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ وهو صفة مشبهة فاعله محذوف، التقدير: زرقاً عيونهم وجملة: ﴿وَنَحْشُرُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يتحادثون في موقف القيامة حديث السر، والخفاء. وانظر الآية رقم [١١٠] من سورة (الإسراء). وذلك لما يملأ صدورهم من الرعب، والهول. ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾: ما أقمتم في الدنيا. ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾: إلا عشر ليال، فهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا؛ لزوالها عنهم، أو لاستطالتهم أهوال يوم القيامة، أو لتأسفهم على الدنيا لما عاينوا الشدائد، وأيقنوا: أنهم استحقوها على إضاعة أعمارهم في قضاء الشهوات الدنيئة. أو المراد بقصر المدة

التي كانت في القبر. وقيل: المراد مدة ما بين النفختين، وهي أربعون سنة؛ حيث يرفع عنهم العذاب في تلك المدة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية من ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: ما. ﴿لَّبِثْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَشْرًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والمضاف إليه محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف يقع حالاً من واو الجماعة، التقدير: قائلين: إن لبثتم إلا عشراً.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: بما يتخافتون به فيما بينهم، أو بالمدة التي لبثوها. ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أعدلهم قولاً، وأعقلهم، وأعلمهم عند نفسه. ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: فتقاصرت المدة التي لبثوها في الدنيا، أو غير ذلك في نظرهم حتى كانت يوماً واحداً، وذلك لشدة ما عاينوا من الأهوال التي تنتظرهم، وهذا؛ وانظر شرح (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها. وانظر ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الإسراء)، وشرح ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ في الآية رقم [١٤] منها، وينبغي أن تعلم: أن نسبة القول إلى ﴿أَمْثَلُهُمْ﴾ لا لكونه أقرب إلى الصدق، بل لكونه أدل على شدة الهول.

الإعراب: ﴿نَّحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ، ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾ و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء يقولونه، ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿يَقُولُ﴾: مضارع. ﴿أَمْثَلُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿طَرِيقَةً﴾: تمييز، وإعراب: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ مثل إعراب: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، والجملة الاسمية: ﴿نَّحْنُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ أي: عن حال الجبال يوم القيامة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ، فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله

هذه الآية وقيل: لم يسأل، وتقديره: إن سألوك فقل؛ ولذا قرن الجواب بالفاء، بخلاف سائر السؤالات الموجودة في القرآن، فإنها سؤالات تقدمت، فورد جوابها، ولم يكن فيها معنى الشرط، فلم يذكر الفاء.

﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ أي: يجعلها كالرمل، أو تكون كالصوف المنفوش، كما في سورة (القارعة) ثم يرسل عليها الرياح، فيفرقها، كما يذري الطعام، ونحوه. وانظر الآية رقم [٩٧] ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدع أماكن الجبال، أو يدع الأرض لعلمه من المقام. ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾: أرضاً مستويةً ملساء، والقاع: المستوي من الأرض، والجمع: أَقْوُع، وأَقْوَاع، وقِيعان، وقيعة. هذا؛ وقيل: المعنى واحد في القاع، والصفصف، فالقاع: الموضع المنكشف، والصفصف: المستوي الأملس. قال الأعشى، وقد وصف بعد المسافة بينه وبين الممدوح الذي قصده: [المتقارب]

وَكَــمْ دُونَ بَـيْـتِـكَ مِــنْ صَـفْـصَـفٍ وَدَكْـــدَاكِ رَمْـــلٍ وَأَعْـــقَـــادِهَـــا

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ أي: لا اعوجاجاً، ولا نتوءاً، لا انخفاضاً، ولا ارتفاعاً، لا وادياً، ولا رابية. وانظر الآية رقم [٨٨] من سورة (النمل). هذا؛ وقد رأيت في الآية رقم [١] من سورة (الكهف) أن العرب خصوا العوج بكسر العين بالمعاني، وبفتحها في الأعيان، والأرض، أو الجبال هنا عين، ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما، وإن دقت الحيلة، ولطفت؛ جرت مجرى المعاني، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يسألونك): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأن من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به. ﴿عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني؛ لأن الفعل «سأل» تارة يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول، فيتعدى للثاني بـ: «عن» كهذه الآية، وقد يكون لاقتضاء، مال، ونحوه، فيتعدى لاثنين صريحين، نحو سألت زيداً مالاً، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَقُلْ﴾: الفاء: زائدة على الوجه الأول: في الشرح، وهي الفصيحة على الوجه الثاني. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَنسِفُهَا﴾: مضارع، و(ها): مفعول به. ﴿رَبِّى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . . إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿نَسْفًا﴾: مفعول مطلق مؤكد لعامله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلْ...﴾ إلخ مستأنفة على الوجه الأول، وهي جواب شرط جازم على الوجه الثاني: في الشرح، والشرط ومدخوله كلام مستأنف، لا محل له.

﴿فَيَذَرُهَا﴾: مضارع، و(ها): مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّى﴾ والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿قَاعًا﴾: حال مِن الضمير المنصوب، أو

هو مفعول به ثان، وهو أقوى. ﴿صَفْصَفًا﴾: حال ثانية، أو هو من تعدد المفعول الثاني: وهو الأقوى. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تَرَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن عوجاً كان صفة له... إلخ. ﴿عِوَجًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿أَمْتًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَّا تَرَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال مِن الضمير المنصوب أيضاً. تأمل، وتدبر.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ أي: صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف يوم القيامة، وهو إسرافيل، عليه السلام، وذلك: أنه يضع الصور في فيه، ويقف على صخرة بيت المقدس، ويقول: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، والشعور المتفرقة، والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وهو فحوى قوله تعالى في سورة (ق): ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾. ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا معدل لهم عنه؛ أي: عن دعائه، فلا يزيغون، ولا ينحرفون، بل يسرعون إليه، ولا يحيدون عنه. ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: ذلت، وسكنت، والمراد: أصحاب الأصوات، وإنما خشعت هيبةً وإجلالاً لأجل الرحمن، أو خوفاً، وإذلالاً. ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: الهمس: الصوت الخفي. وقيل: هو صوت وقع الأقدام بعضها على بعض إلى الحشر، ومنه قول الراجز: [الرجز]

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسا

وهمس الطعام: أي: مضغه؛ وفوه منضم. قال الراجز: [الرجز]

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً مُذْ أَمْسا ... عجائِزاً مِثلَ السَّعَالِي خَمْسا

يأْكُلْنَ ما في رَحْلِهِنَّ هَمْسَا ... لا تَرَكَ اللهُ لَهُنَّ ضِرسَا

وهذا هو الشاهد رقم [٣٥٣] من كتابنا فتح رب البرية.

الإعراب: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أو هو متعلق بالفعل بعده، وهو أقوى فيما يظهر. وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [١٠٢]. ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الظرف. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿عِوَجَ﴾: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ في محل نصب حال مِن ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ أو

هي مستأنفة، لا محل لها، وأجيز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف، تقديره: يتبعونه اتباعاً لا عوج فيه. انتهى. جمل.

﴿وَخَشَعَتِ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿الْأَصْوَاتُ﴾: فاعله. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. واعتبارها حالاً من ﴿الدَّاعِيَ﴾ أو غيره فيه ضعف، ولا يوجد رابط سوى الواو، وتحتاج إلى تقدير «قد» قبلها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَسْمَعُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هَمْسًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَلَا تَسْمَعُ﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة الموصوف بما تقدم. ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ...﴾ إلخ أي: لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن... إلخ، والمعنى: لا تقبل الشفاعة إلا ممن أذن له الرحمن في الشفاعة. أو المعنى: لا تنفع الشفاعة أحداً إلا من أذن الرحمن في الشفاعة له. ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: للشافع، أو المشفوع. هذا؛ والقول المرضي عند الله قول لا إله إلا الله مقروناً بالعمل الصالح، كما قد نبهت عليه مراراً. هذا؛ والشفاعة العظمى ثابتة للنبي ﷺ في الموقف العظيم وبعده، وشفاعة المؤمنين ثابتة بعد الحساب، والجزاء وإدخالهم الجنة في ذويهم، وأصحابهم في الدنيا الذين دخلوا النار لشؤم معاصيهم، وسوء أعمالهم.

هذا؛ والشفاعة في الأصل: التوسل وابتغاء الخير، والذي يكون منه التوسل يسمى الشفيع. والشفاعة في الآخرة لا تكون إلا حسنة؛ لأنها لطلب الخير الخالص، وأما في الدنيا فتكون حسنة، وأكثرها سيئة، فالشفاعة الحسنة هي التي روعي فيها حق مسلم، ودُفع بها عنه شر، أو جُلِب إليه خير، وابتغي بها وجه الله، ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق من حقوق الناس، والسيئة ما كانت بخلاف ذلك، والدستور في ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ هذا؛ وقيل: الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم؛ لأنها في معنى الشفاعة إلى الله، فعن النبي ﷺ قوله: «**مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ اسْتُجِيبَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ الملكُ: ولَكَ مِثْلُ ذلِكَ**». فذلك النصيب.

الإعراب: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: متعلق بالفعل بعده. وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [١٠٢]. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾: مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدل من ﴿الشَّفَاعَةُ﴾ وهو على حذف مضاف، والتقدير: إلا شفاعة مَنْ، أو هو مبني على السكون في محل نصب مفعول به؛ أي: إلا الذي... فإنها تنفعه، وجملة: ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ صلة ﴿مَنْ﴾ لا محل لها. ﴿وَرَضِيَ﴾:

ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان به. ﴿قَوۡلٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾

الشرح: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ...﴾ إلخ: الفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ والضمير المجموع يعود إلى المتبعين إلى الداعي، وهم جميع الخلق، والمعنى: يعلم الرحمن ما بين أيديهم من أمور الآخرة، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: وما خلفوه من أمور الدنيا. أو المعنى: يعلم ما قدموا من الأعمال الصالحة، وما تركوا خلفهم من الأموال، وحطام الدنيا، وغير ذلك. وانظر الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) عليها السلام ورقم [٧٦] من سورة (الحج). ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾: الضمير يعود إلى (الله)، أو يعود إلى معلومات الله، أو يعود إلى ﴿مَا﴾ والمعنى: إن العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علماً.

الإعراب: ﴿يَعۡلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بَيۡنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيۡنَ﴾: مضاف، و﴿أَيۡدِيهِمۡ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: معطوفة على ما قبلها. ﴿خَلۡفَهُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ﴿مَا﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعۡلَمُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. لا: نافية. ﴿يُحِيطُونَ﴾: مضارع مرفوع ... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿عِلۡمٗا﴾ بعدهما. ﴿عِلۡمٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾

الشرح: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾: ذلت، وخضعت، ومنه قيل للأسير: عانٍ؛ أي: ذليل خاضع لما يراد منه. قال أمية بن أبي الصلت: [الطويل]

مليكٌ عَلَى عَرْشِ السَّماءِ مُهَيْمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الوجوهُ وَتَسْجُدُ

والمراد: بالوجوه: أصحابها، وإنما خص الوجوه بالذكر؛ لأن آثار الذل، والخضوع إنما تبين في الوجوه، وهذا يكون يوم القيامة؛ حيث الملك، والقهر لله وحده. وقيل: المراد بذلك: المجرمون، والأصح: أن المراد جميع بني آدم، ويؤيده: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ أي: خاب وخسر من أشرك بالله. وأيضاً: من حمل مظالم العباد التي تحمَّلها في الدنيا بدليل الآية التالية.

هذا؛ و(الحي) هو الذي لا يموت، فهو الباقي أزلاً، وأبداً، و(القيوم) هو القائم المقيم لغيره. وقيل: الدائم الباقي، فيكون بمعنى: الحي، وتأكيداً له، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَعَنَتِ﴾: الواو: حرف استئناف. (عنت): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِلْحَيِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْقَيُّومِ﴾: بدل من سابقه، أو عطف بيان عليه. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَابَ﴾: ماض. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿حَمَلَ ظُلْمًا﴾ صلة ﴿مَنْ﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَقَدْ خَابَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ والرابط: الواو فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها. تأمل.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ف: (مَنْ) للتبعيض؛ أي: بعض الأعمال الصالحات. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: شرط في قبول العمل الصالح؛ لأن العمل لا يقبل بغير إيمان بوجود الله تعالى، وتصديق حبيبه المصطفى ﷺ، وقد ذكرت لك مراراً أن هذا يسمى: احتراساً، كما أن الإيمان بدون عمل لا يجدي، ولا ينفع في دخول الجنة مع السابقين. وانظر الآية رقم [٦٠] من سورة (مريم) عليها السلام، والآية رقم [١٠٧] من سورة (الكهف).

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ أي: نقصاً لثواب طاعته، ولا زيادةً عليه في سيئاته. (ولا هضماً): بالانتقاص من حقه، والهضم: النقص، والكسر، يقال: هضمت ذلك من حقي؛ أي: حططته، وتركته، وهذا يهضم الطعام؛ أي: ينقص ثقله، وامرأة هضيم الكشح: ضامرة البطن. والفرق بين الظلم، والهضم أن الظلم المنع من الحق كله، والهضم المنع من بعضه، والهضم ظلم وإن افترقا من وجه. قال المتوكل الليثي: [الكامل]

إِنَّ الأَذِلَّةَ واللِّئَامَ لَمَعْشَرٌ ... مَوْلَاهُمُ الْمُتَهَضِّمُ الْمَظْلُومُ

وانظر شرح ﴿هَضِيمٌ﴾ في الآية رقم [١٤٨] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَعْمَلْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في محل نصب حال مِن الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معترضة بين فعل الشرط

وجوابه، الغرض منها الاحتراس كما رأيت. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية. ﴿يَخَافُ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى من، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط، وبعضهم يقدر «فهو لا يخاف» أي: إنها خبر لمبتدأ محذوف، وعليه فالجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ ويقرأ بجزم الفعل على اعتبار (لا) ناهية. ﴿ظُلْمًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿هَضْمًا﴾: معطوف على ما قبله، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٧٤] والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: الضمير يعود إلى (القرآن) وإن لم يتقدم له ذكر للإيذان بعلوِّ شأنه، وكونه مركوزاً في العقول، حاضراً في الأذهان. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب ليفهموه، ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجاً عن طوق البشر، نازلاً من عند خلاق القوى، والقدر. وانظر ما ذكرته في شرح هذين اللفظين في الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام.

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي: بينا ما فيه من التخويف، والتهديد، وبيان الثواب، والعقاب، ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض، والأحكام؛ لأن الوعيد بهما يتعلق. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤١] من سورة (الإسراء). ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي؛ أي: يبتعدون عنها، فتصير التقوى ملكة راسخة فيهم. وانظر شرح (التقوى) في الآية رقم [٢] من سورة (النحل). ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: عظة، واعتباراً حين يسمعون آياته، وزواجره، ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم، والإحداث إلى القرآن. وانظر تفسيره في الآية رقم [٩٩].

بعد هذا انظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٤٤] وشرح (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها السلام وشرح الوعد، والوعيد في الآية رقم [٥٣] منها. وانظر «أنزل، ونزَّل» في الآية رقم [٢].

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده: التقدير: أنزلناه إنزالاً كائناً مثل ما قصصنا عليك أخبار الأمم السابقة. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿قُرْءَانًا﴾: حال موطئة؛ إذ المقصود الصفة، وهي ﴿عَرَبِيًّا﴾ ولذا جاز وقوعه حالاً، وهو جامد كما ترى، والجملة الفعلية معطوفة على ما في الآية رقم [٩٩] ﴿وَصَرَّفْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان به، ﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾:

متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف، التقدير: صرفنا في القرآن نوعاً من الوعيد، والمراد: به الجنس، ويجوز أن تكون ﴿مِنَ﴾ مزيدة في المفعول به على رأي: الأخفش الذي يجيز زيادة «مِنْ» في الإيجاب، وجملة: ﴿وَصَرَّفْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَتَّقُونَ﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله محذوف كما في الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلَّ) والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ تعليل للإنزال، وللتصريف لا محل لها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُحْدِثُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (القرآن). ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: في ذاته، وصفاته عن مماثلة المخلوقين، لا يماثل كلامهم كلامه، كما لا يماثل ذاتهم ذاته.

﴿ٱلْمَلِكُ﴾: النافذ أمره ونهيه الحقيقي بأن يرجى وعده، ويخشى وعيده. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثابت في ذاته وصفاته، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾: علَّم نبيه ﷺ كيف يتلقى القرآن. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان ﷺ يبادر جبريل عليه السلام، فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي، حرصاً على الحفظ، وشفقةً على القرآنِ مخافة النسيان، فنهاه الله عن ذلك، وهذا كقوله تعالى في سورة (القيامة): ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ وقيل: المعنى: لا تقرئه أصحابك، ولا تُمْلِه عليهم حتى يتبين لك معناه.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ أي: سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال، فإن ما أوحى إليك تناله لا محالة، فلم يأمر الله نبيه بطلب الزيادة في الشيء إلا في العلم، وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إذا قرأ هذه الآية يقول: اللهم زدني علماً، وإيماناً، ويقيناً. وقال الحسن: نزلت في رجل لطم وجه امرأته، فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص، فجعل لها القصاص، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ فيكون المعنى زدني فهماً؛ لأن عليه الصلاة والسلام حكم بالقصاص وأبى الله ذلك، انظر الآية رقم [٣٤] من سورة (النساء)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا فالفعل: «تعالى» بمعنى: تنزه، وتعاظم، وهو ناقص التصرف يأتي منه ماض، ومضارع، ولا يأتي منه أمر. وانظر شرح ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (الإسراء)، وشرح: (قضينا) في الآية رقم [٤] منها، وشرح: «زاد، يزيد» في الآية رقم [٤١] منها، وشرح

﴿رَبُّكُمْ﴾ في الآية رقم [٨] منها، وشرح ﴿الْقَوْلَ﴾ في الآية رقم [١٦] منها أيضاً. وانظر شرح (العجلة) في الآية رقم [١] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿فَتَعَالَى﴾: الفاء: حرف استئناف. (تعالى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿الْمَلِكُ﴾: بدل منه، أو عطف بيان عليه. ﴿الْحَقُّ﴾: مثل سابقه. هذا؛ ويقال: هما صفتان للفظ الجلالة، ولا أسلمه؛ لأنهما اسمان من أسماء الله الحسنى، وليسا صفتين مشتقين، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَعْجَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِالْقُرْآنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان به أيضاً. ﴿أَن يُقْضَى﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَحْيُهُ﴾: نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، هذا؛ ويقرأ: (من قبل أن نقضي إليك وحيه)، والإعراب واضح على هذه القراءة، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَعْجَلْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَّبِّ﴾: انظر إعرابه في الآية رقم [٣٥] ﴿زِدْنِي﴾: فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿عِلْمًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الندائية، والفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُل...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾: ولقد أمرناه، يقال: تقدم الملك إليه، وأوعز إليه، وعزم عليه، وعهد إليه: إذا أمره، وإنما عطف قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾ للدلالة على أنَّ أساس بني آدم على العصيان، وعِرْقهم راسخ في النسيان. والعهد هنا بمعنى: الوصية، والمراد: به النهي عن أكل الشجرة. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي، وتركوا الإيمان بي. ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: غفل عما، أوصيناه به من عدم الأكل من الشجرة، ولم يتذكره. هذا؛ وقال محمد بن يزيد: المعنى: فترك الأمر، وليس من النسيان، والغفلة، بدليل ما ذكر القرآن من قول إبليس له، ولحواء: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الآية رقم [٢٠] من سورة (الأعراف)، فلو كان آدم ناسياً لكان قد ذكره بهذا القول.

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي: صبراً عن أكل الشجرة، أو تصميم رأي، وثبات على الأمر؛ إذ لو كان ذا عزيمة، وتصلب في الرأي؛ لم يستزله الشيطان، ولم يستطع تغريره. وعن النبي ﷺ: **«لَوْ وُزِنَتْ أَحْلَامُ بَنِي آدَمَ بِحِلْمِ آدَمَ لَرَجَحَ حِلْمُهُ، وَقَدْ قَالَ الله تعالى**: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾».

هذا؛ وانظر شرح (آدم) في الآية رقم [٦١] من سورة (الإسراء)، وشرح (النسيان) في الآية رقم [٢٤] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم وانظر الآية رقم [٣٧]. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَهِدْنَا﴾: فعل، وفاعل ﴿إِلَىٰ ءَادَمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنًى، وجملة: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام معطوف على جملة: ﴿وَصَرَّفْنَا...﴾ إلخ ﴿فَنَسِيَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ءَادَمَ﴾ ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَلَمْ نَجِدْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم). والفاعل مستتر تقديره: «نحن» فإن كان الفعل من الوجود الذي بمعنى: العلم فـ: ﴿لَهُۥ عَزْمًا﴾ مفعولاه وإن كان من الوجود المناقض للعدم فـ: ﴿لَهُۥ﴾ حال مِن ﴿عَزْمًا﴾ أو هو متعلق بنجد. انتهى. بيضاوي. وجملة: ﴿وَلَمْ نَجِدْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: السجود في الأصل: تذلل مع تطامن، وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة. والمأمور به إما المعنى الشرعي، فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى، وجعل آدم قبلة سجودهم تعظيماً لشأنه، أو سبباً لوجوبه، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة، والصلاة لله، فمعنى: اسجدوا له؛ أي: إليه، وإما المعنى اللغوي، وهو التواضع لآدم، تحيةً، وتعظيماً له، كسجود إخوة يوسف له في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ فلم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض، إنما كان بالانحناء، فلما جاء الإسلام؛ أبطل ذلك بالسلام. ﴿أَبَىٰ﴾: امتنع من السجود. هذا؛ وانظر شرح: ﴿إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ في الآية رقم [٣١] من سورة (الحجر). وانظر الآية رقم [٥٠] من سورة (الكهف). وانظر شرح (الملائكة) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون متعلق بفعل محذوف، تقديره اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف. ﴿قُلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِءَادَمَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول

القول، وجملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. (سجدوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿إِبْلِيسَ﴾: مستثنًى بـ: ﴿إِلَّآ﴾ وهل هو متصل، أو منقطع. انظر الآية رقم [٥٠] من سورة (الكهف)، وجملة: (سجدوا. . .) إلخ معطوفة على جملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿أَبَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى إبليس، وهل الفعل بمعنى: امتنع، فيكون لازماً، أو هو متعد كما في سورة (الحجر)؟ والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن ﴿إِبْلِيسَ﴾ والرابط: الضمير فقط، و«قد» قبلها مقدرة. وقال البيضاوي: مستأنفة لبيان ما منعه من السجود، وهو الاستكبار.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إبليس. ﴿عَدُوٌّ لَّكَ﴾: سبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم، وتكريمه بسجود الملائكة له، فحسده، فصار عدواً له. ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾ أي: حواء، عدو الرجل عدو لزوجته بلا ريب، ما لم تخن المرأة زوجها، فتكون عدواً له. ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: أسند الإخراج إليه، وإن كان الله تعالى هو المخرج؛ لأنه لما كان بوسوسته، وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج؛ صح ذلك. ومعنى (تشقى): تتعب، ويكون عيشك من كد يمينك، وعرق جبينك، وهو الحرث والزرع، والحصد، والطحن، والخبز. هذا؛ والزوج يطلق على الرجل وعلى المرأة، والقرينة تبين الذكر من الأنثى، ويقال لها أيضاً: زوجة، وحذف التاء منها أفصح، إلا في الفرائض، فإنها بالتاء أفصح لتوضيح الوارث. هذا؛ والزوج: القرين. قال تعالى في سورة (الصافات): ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والزوج ضد الفرد، وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضاً، يقال للاثنين: هما زوجان، وهما زوج، كما يقال: هما سيان، وهما سواء. وقال تعالى في الآية رقم [٤٠] من سورة (هود) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً، أو أنثى. وقال تعالى في الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأنعام): ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ...﴾ إلخ والمعنى: ثمانية أفراد.

قيل: أُهبطَ إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق عن جبينه، فهو شقاؤه. هذا؛ وأسند سبحانه الشقاء إلى آدم وحده؛ لأنه هو المكلف بالسعي لنفسه، ولزوجه، وفيه إشارة إلى أن نفقة المرأة واجبة على الزوج. هذا؛ وإن أردت التوسع في قصة آدم، وما آل إليه أمره بعد الأكل من الشجرة، فانظر الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف) وما بعدها. وانظر الآية رقم [٣٠] من سورة (البقرة) وما بعدها، وانظر خلق آدم في الآية رقم [٢٦] من سورة (الحجر) وما بعدها؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (قلنا): فعل، وفاعل. (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (آدم): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَّكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَدُوٌّ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط محذوف. (لا): ناهية. ﴿يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: مضارع مبني على الفتح في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والنون للتوكيد حرف لا محل لها، والفاعل يعود إلى (إبليس) والكاف مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منه؛ فلا... إلخ. ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: فلا يكن إخراج لكما من الجنة، فشقاء لك. هذا؛ والجمل كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾: في الجنة. ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾ أي: من اللباس. ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟﴾: لا تعطش. ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ أي: تبرز للشمس، فيؤذيك حرها؛ لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود، والمعنى: إن الشبع، والري، والكسوة، والسكن هي الأمور التي يدور عليها كفاف الإنسان، فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء في الجنة، وأنه مكفي، لا يحتاج إلى كفاية كاف، ولا إلى كسب كاسب، كما يحتاج إليه أهل الدنيا. هذا؛ و﴿تَضْحَىٰ﴾ بمعنى: البروز للشمس جاء في قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

رَأَتْ رَجُلاً أَيْمَاً إذا الشمسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى، وأَمَّا بالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

وقال الصفوي رحمه الله تعالى: قابل سبحانه وتعالى بين الجوع والعري، والظمأ والضحو، وإن كان الجوع يقابل العطش، والعري يقال الضحو؛ لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن، والضحو حر الظاهر، فنفي عن ساكن الجنة ذل الظاهر، والباطن، وحر الظاهر، والباطن. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف ناصب. (لا): نافية. ﴿تَجُوعَ﴾: مضارع منصوب بـ: (أنْ) والفاعل

مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما و﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، التقدير: إن لك عدم الجوع في الجنة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿تَعْرَىٰ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿وَأَنَّكَ﴾: الواو: حرف عطف. (أنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، وجملة: ﴿لَا تَظْمَؤُا فِيهَا﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، والجملة بعدها معطوفة عليها، وأن واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب معطوف على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ وجاز أن يكون هذا المصدر المسبوك اسماً لـ: ﴿إِنَّ﴾ بكسر الهمزة للفصل بينهما، ولولا ذلك لم يجز؛ حتى لو قلت: إن أن زيداً قائم لم يجز، فلما فصل بينهما جاز. هذا؛ ويقرأ بكسر الهمزة على الاستئناف، أو على العطف على ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ﴾ وهذه الجملة ابتدائية، أو هي تعليل للنهي، أو مستأنفة، لا محل لها على جميع الوجوه.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: الكلام على هذه الوسوسة طويل انظره في الآية رقم [٢٠] من سورة (الأعراف). ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: الشجرة التي مَنْ أكل منها؛ خُلِّد، ولم يمت أصلاً، فأضافها إلى الخلد، وهو الخلود؛ لأن الأكل منها سببه بزعمه. ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يزول، ولا يفنى. هذا؛ والمراد: بالشجرة: شجرة الحنطة. وقيل: هي شجرة العنب؛ لأنها أصل كل فتنة. وقيل: غير ذلك.

قال الخازن رحمه الله تعالى: الشيء الذي رغَّب الله فيه آدم رغَّبه فيه إبليس إلا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة، وإبليس وقفه على الإقدام عليها، وآدم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقه، وربه، ومولاه، وناصره، وإبليس هو عدوه؛ أعرض عن قول الله تعالى، ولم يرد المخالفة، ومن تأمل هذا السر؛ عرف أنه لا دافع لقضاء الله، ولا مانع له منه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ ووسوس إلى الرجل: كلمه كلاماً خفياً، والوسواس: الاسم من: وسوس، والوسواس: الشيطان. والوسواس: مرض يحدث عند بعض الناس من غلبة السوداء، ويختلط معه الذهن، والموسوس في أمور الطهارة معروف لا يريد أن يمسه أحد. انظر الآية [٩٧].

هذا؛ ويروى: أن روح موسى التقت مع روح آدم على نبينا، وحبيبنا، وعليهم جميعاً ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام. فقال موسى: يا آدم أكلت من الشجرة حتى سببت لذريتك العناء والشقاء، فقال آدم: يا موسى أنت رسول الله وكليمه، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بآلاف السنين، فحجَّ آدم موسى؛ أي: غلبه بالحجة. هذا؛ ورواه مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن

النبي ﷺ كما يلي: «**قالَ: احْتَجَّ آدَمُ ومُوسَى، فقال موسى: يا آدَمُ أنت أبونا خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ! فقالَ آدَمُ: يا موسَى: اصطفاك الله بكلامِهِ، وخَطَّ لكَ بيدِهِ؛ يا مُوسى! أَتَلُومُني على أَمْرٍ قَدَّرَهُ الله عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخلُقَنِي بأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ موسَى ثلاثاً**». أي: قال النبي ﷺ فحج آدم موسى ثلاث مرات. انتهى. قرطبي. ولا يبيح هذا لمن عمل الخطايا، ولم تأته المغفرة أن يحتج بمثل حجة آدم، فيقول: أتلومني على أن قتلت، أو زنيت، أو سرقت. وقد قدر الله عليَّ ذلك.

الإعراب: ﴿فَوَسْوَسَ﴾: الفاء: حرف عطف. (وسوس): ماض. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الشيطان، (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (آدم): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أَدُلُّكَ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿شَجَرَةِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخُلْدِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمُلْكٍ﴾: معطوف على ﴿شَجَرَةِ﴾. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَبْلَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (ملك) والجملة الفعلية في محل جر صفة (ملك) والكلام: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ تفسير للوسوسة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ أي: أكل آدم، وحواء من الشجرة المنهي عنها، وذكر الله في سورة (الأعراف) أن إبليس حلف لهما إنه لمن الناصحين. وانظر الآية رقم [٢١] منها وما ذكرته من قول محمد بن قيس، رحمه الله تعالى، ففيه كبير فائدة. وانظر اللباس الذي نزع عن آدم وحواء حتى بدت لهما سوآتهما في الآية رقم [٢٠] من سورة (الأعراف).

﴿وَطَفِقَا﴾: أخذا، وشرعا، فهذا الفعل من أفعال الشروع، ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: يرقعان، ويلزقان ورقة فوق ورقة على القبل، والدبر، وهذا؛ وخصف النعل خصفاً خرزها، ورقعها. والورق قيل: ورق التين. وقيل: ورق الموز.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ أي: خالف أمره حيث أكل من الشجرة. ﴿فَغَوَىٰ﴾: ففسد عيشه بنزوله إلى الدنيا. والغيُّ: الفساد، وهو تأويل حسن، وهو أولى من تأويل من يقول: معناه ضل؛ من الغيِّ الذي هو ضد الرشد. وقيل: معناه جهل موضع رشده. انتهى قرطبي. قال البيضاوي رحمه الله تعالى: والنعي عليه بالعصيان، والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة، وزجر بليغ لأولاده عنها. انتهى هذا؛ وخذ قول القائل في هذا المقام: [الكامل]

تَضَعُ الذُّنوبَ على الذنوبِ وتَرْتَجي ... دَرَجَ الجِنَانِ وطِيبَ عيشِ العَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدماً ... مِنْهَا إلى الدُّنْيا بِذَنْبٍ واحِدِ

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اختاره، واصطفاه، ووفقه للتوبة. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي: قبل توبته لما تاب إلى الله، وأناب. ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي: هداه لرشده؛ حتى رجع إلى الندم، والاستغفار.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ المراد المثنى؛ لأن المقصود آدم، وحواء، وقد جمع المضاف، وهو سوآت في محل المثنى، وقد تكلم السيوطي رحمه الله تعالى على هذه المسألة في كتابه: (همع الهوامع) الذي شرحت شواهده، وأعربتها، وأرجو الله أن يمتن عليَّ بالتوفيق لطباعته، وها أنذا أنقل لك ما قاله بالحرف لتكون على بينة من أمرك.

قال رحمه الله تعالى: الأصل في كلام العرب دلالة كل لفظ على ما وضع له، فيدل المفرد على المفرد، والمثنى على اثنين، والجمع على جمع، وقد يخرج الكلام عن هذا الأصل، وذلك قسمان: مسموع، ومقيس:

فالأول: ما ليس جزءاً ممَّا أضيف إليه، سمع: ضع في رحالهما، يريد في اثنين، ودناركم مختلفة؛ أي: دنانيركم، وعيناه حسنة؛ أي: حسنتان، وأورد أربعة أبيات شعرية شاهداً لذلك. قال: ومنه: لبَّيْك وإخوته، فإنه مثنى وضع موضع الجمع. وقالوا: شابت مفارقه، وليس له إلا مفرق واحد، وعظيم المناكب، وغليظ الحواجب، والوجنات، والمرافق، وعظيمة الأوراك، فكل هذا مسموع لا يقاس عليه، وقاسه الكوفيون، وابن مالك إذا أُمِن اللبس، وهو ماش على قاعدة الكوفيين من القياس على الشاذ، والنادر. قال أبو حيان: ولو قيس شيء من هذا لالتبست الدلالات، واختلطت الموضوعات.

والثاني: ما أضيف إلى متضمنه، وهو مثنًى لفظاً، نحو قُطِعَتْ روؤسُ الكبشيْنِ؛ أي: رأسيهما، أو معنًى، نحو قول الشاعر: [الطويل]

رأيْتُ بني البكريِّ في حَوْمةِ الْوَغى ... كَفَاغِرِي الأفواه عِنْدَ عَرِينِ

فإن مثل ذلك ورد فيه الجمع، والإفراد، والتثنية، فمن الأول: قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾، ومن الإفراد قراءة الحسن: (بدت لهما سوءتهما)، ومن التثنية قراءة من قرأ: (بدت لهما سوءتاهما)، وقراءة الجمهور من الأول؛ أي: الجمع.

فطرد ابن مالك قياس الجمع، والإفراد أيضاً لفهم المعنى، وخص الجمهور القياس بالجمع، وقصر الإفراد على ما سمع، وورد، وإنما وافق الجمهور على قياس الجمع كراهة اجتماع تثنيتين مع فهم المعنى، ولذلك شرط ألا يكون لكل واحد من المضاف إليه إلا شيء

واحد؛ لأنه إن كان له أكثر التبس، فلا يجوز في قطعت أُذُني الزيدين الإتيان بالجمع، ولا الإفراد للإلباس، وأورد ستة أبيات شعرية شاهداً لذلك، فإن فرق متضمناهما، كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾.

فقال ابن مالك أيضاً بقياس الجمع، والإفراد، وخالفه أبو حيان؛ لأن الجمع إنما قيس هناك كراهة اجتماع تثنيتين؛ وقد زالت بتفريق المتضمنين. قال: فالذي يقتضيه النظر الاقتصار على التثنية، وإن ورد جمع ، أو إفراد؛ اقتصر فيه على مورد السماع. قال: وأما الآية فليس المراد فيها باللسان الجارحة، بل المراد الكلام، أو الرسالة، فليس جزءاً من داود، ولا من عيسى عليهما الصلاة والسلام. انتهى.

أقول: ولم يذكر السيوطي رحمه الله تعالى أرجح الأوجه الثلاثة في الثاني: وهو ما أضيف إلى متضمنه، وهو جمع المضاف، وبقاء المضاف إليه على تثنيته، وبقاء كلٍّ من المضاف والمضاف إليه على تثنيته، فأرجحهما الوجه الأول، وهذه لغة القرآن كما رأيت، وهو متفق على رجحانه عند جميع النحاة، واختلف في الوجهين الآخرين، فذهب ابن مالك إلى رجحان الثاني: على الثالث، وذهب أبو حيان إلى العكس، ومنه قول الرسول ﷺ: «**إذا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فالقاتلُ والمقتولُ في النار**». وقد أطلت عليك الكلام في ذلك قصد الإفادة، والله ولي التوفيق.

تنبيه: يرد سؤال: آدم معصوم؛ فكيف يخالف النهي؟! وأجيب بوجوه: منها: أنه اعتقد: أن النهي عن أكل الشجرة للتنزيه، لا للتحريم. ومنها: أنه نسي النهي كما رأيت في الآية رقم [١١٥]. ومنها: أنه اعتقد نسخه بسبب مقاسمة إبليس له: أنه من الناصحين، فاعتقد: أنه لا يحلف أحد بالله كذباً. هذا؛ ولا يستدل بما فعله آدم على جواز صدور الذنب من الأنبياء، وإنما ما حصل منهم، ولو عوتبوا عليه إنما وقع منهم على جهة الندور، وعلى جهة الخطأ، والنسيان، أو تأويل دعا إليه ذلك كالذي رأيته في أسرى بدر في سورة (الأنفال)، وكالإذن الذي كان من النبي ﷺ للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، كما رأيت في سورة (التوبة)، وكل ذلك لا يقدح في علوِّ مناصبهم ورفعة شأنهم، ولقد أحسن الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، ولقد اختلف في الذي كان من آدم: هل كان قبل النبوة، أو بعدها؟ والظاهر: أنه أعطي النبوة في الأرض، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَكَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (أكلا): ماض، والألف فاعله. ﴿مِنۡهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله في المعنى، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَبَدَتۡ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة، لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث التي هي حرف لا محل له. ﴿لَهُمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَوۡءَٰتُهُمَا﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها،

لا محل لها مثلها. ﴿وَطَفِقَا﴾: ماض ناقص، وألف الاثنين اسمه. ﴿يَخْصِفَانِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (طفق). ﴿عَلَيْهِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن وَرَقِ﴾: متعلقان به أيضاً. أو هما متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف، التقدير: ورقاً من ورق الجنة، و﴿وَرَقِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْجَنَّةِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَطَفِقَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وجملة: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ معطوفة أيضاً، لا محل لها، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَغَوَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى آدم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾: ماض، ومفعوله. ﴿رَبُّهُۥ﴾: فاعله... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَتَابَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبُّهُۥ﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَهَدَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ربه، ومفعوله محذوف، التقدير: وهداه. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. تأمَّل، وتدبَّر.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ أي: من الجنة، أو من السماء. هذا؛ والهبوط: الإنزال، والانحدار من فوق إلى أسفل على سبيل القهر، والهوان، والاستخفاف، وهو بكسر الباء، وقد تُضَمُّ. هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٣]: ﴿فَٱهْبِطْ﴾ بالإفراد. وقال في سورة (البقرة) رقم [٣٦ و٣٨]: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ بالجمع. وقال هنا: ﴿ٱهْبِطَا﴾ بالتثنية. والمراد بالأول: إبليس وحده كما هو ظاهر، والمراد بالثاني: آدم وحواء، وإبليس. وقيل: والحية، والصحيح: أن المراد: آدم وحواء وذريتهما. والمراد بالثالث: آدم وحواء، أو آدم وإبليس، وهو الظاهر. قال البيضاوي: ولما كانا أصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم، فقال: بعضكم لبعض عدو، وهذه العداوة بين آدم وإبليس من جهة، وبين إبليس وذريته من جهة أخرى حتمها الله، وقدرها من قديم الأزل، ولا تنس: العداوة التي تقع بين ذرية آدم بسبب المعاش، كما عليه الناس من التجاذب والتحارب والتكالب على حطام الدنيا، وذلك واضح جليٌّ للعيان.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ أي: كتاب، ورسول هو محمد ﷺ، أو المراد جميع الكتب، وجميع الرسل، وهو أليق بالمقام. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي: كتبي، ورسلي الذين أرسلهم لهداية البشر من ذريتك يا آدم. ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدنيا بالانحراف عن الصراط المستقيم. ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾: في الآخرة بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من

قرأ القرآن، واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة، وذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ...﴾ إلخ بعد هذا انظر إعلال ﴿هُدًى﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف)، وشرح «عدو» في الآية رقم [٣٩].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبُّهُۥ﴾. ﴿ٱهْبِطَا﴾: أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَمِيعًۢا﴾: حال مِن ألف الاثنين فيها معنى التأكيد. ﴿بَعْضُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَعْضٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَدُوٌّ﴾ بعدهما. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال مِن ألف الاثنين، والرابط: الضمير فقط، وقد رأيت في الشرح المراد من ألف الاثنين. ﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (إما): هي (إن) الشرطية مدغمة في (ما) الزائدة للتأكيد. ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به، ﴿مِّنِّى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والنون للوقاية، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿هُدًى﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً... إلخ، ﴿هُدًى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي.

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱتَّبَعَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿هُدَاىَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية. ﴿يَضِلُّ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (مَنْ)، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط، وجملة: ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ معطوفة عليها، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٧٤] هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً فالجملة الفعلية: ﴿ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ صلتها، وجملة: ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾... إلخ في محل رفع خبرها، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى الاعتبارين فالجملة الاسمية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾... إلخ في محل جزم جواب (إن) عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. هذا؛ والجمل ﴿ٱهْبِطَا...﴾ إلخ كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: عيشاً ضيقاً، يقال: منزل ضنك، وعيش ضنك، فهو مصدر يستوي فيه الواحد، والاثنان، والجمع، والمذكر، والمؤنث. قال عنترة: [الكامل]

إنْ يـلْـحَـقُـوا أكْـرُرْ، وإنْ يُـسْـتَـلْـحَـمُـوا أَشْـدُدْ، وإن يُـلْـفَـوْا بِـضَـنْـكٍ أَنْـزِلِ

وهذا من قبيل القاعدة التي ذكرها ابن مالك رحمه الله تعالى في قوله: [الرجز]

وَنَـعَـتُـوا بِـمَـصْـدرٍ كـثِـيـراً فَـالْـتَـزَمُـوا الإفْـرادَ والـتَّـذْكِـيـرا

وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى الضنك: يسلبه القناعة حتى لا يشبع، فمع الدين التسليم، والقناعة، والتوكل، فتكون حياة طيبة، كما قال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ ومع الإعراض الحرص، والشح فعيشة المعرض عن الإيمان ضنك، وحاله مظلمة، كما قال بعضهم: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته، وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشه ضنك. هذا؛ وقيل: المراد به: عذاب القبر. قال أبو سعيد الخدري: يضغط عليه في القبر؛ حتى تختلف أضلاعه. وقيل: هو الزقوم، والضريع، والغسلين في النار. وقيل: غير ذلك. هذا؛ ويقرأ: (ضَنْكَى) كسَكْرَى.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أعمى البصر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾. وقيل: أعمى عن الحجة. وقيل: أعمى عن جهات الخير لا يهتدى إليها. وأعتمد هذا؛ وانظر الآية رقم [٧٢] و [٩٧] من سورة (الإسراء) ففيهما الشفاء الكافي لقلبك، والغذاء الوافي لروحك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، ولا تنس: الالتفات من المتكلم المفرد إلى المتكلم المجموع.

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْرَضَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿عَن ذِكْرِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) تقدم على اسمها. ﴿مَعِيشَةً﴾: اسم (إنَّ) مؤخر. ﴿ضَنكًا﴾: صفة معيشة. وانظر الشرح، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وانظر بقية الكلام في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ...﴾ إلخ في الآية السابقة، فهو مثله بلا فارق، والجملة الاسمية معطوفة عليها، فمحلها مثلها.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾: الواو: حرف استئناف. (نحشره): فعل مضارع، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، وهو مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَعْمَىٰ﴾: حال مِن الضمير المنصوب، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ أي: بأي: ذنب عاقبتني بالعمى. ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ أي: في الدنيا، وكأنه يظن أن لا ذنب له. هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه، وقد نوهت بذلك فيما مضى. وانظر شرح ﴿رَبِّ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (مريم)، وشرح ﴿لِمَ﴾ في الآية رقم [٤٢] منها.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ءَادَمُ﴾ عليه السلام. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء. وانظر الآية رقم [٢٥] ﴿لِمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، (ما): اسم استفهام مبني على السكون، وهو الألف المحذوفة للفرق بين الخبر، والاستخبار. ﴿حَشَرْتَنِيٓ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والنون للوقاية. ﴿أَعْمَىٰ﴾: حال مِن ياء المتكلم منصوب... إلخ، والجملة الفعلية، والندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بَصِيرًا﴾: خبره، وجملة: ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في محل نصب حال ثانية من ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله. ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: الدلالات واضحة نيرة على وحدانيتنا وقدرتنا. ﴿فَنَسِيتَهَا ۖ﴾ أي: أهملتها، وأعرضت عنها، ولم تنظر فيها نظر تبصر، واعتبار. ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: تترك في النار، أو تنسى من الرحمة، ولا تنسى من العذاب. وينبغي أن تعلم أنَّ الكلام والخطاب مع آدم، والمراد: ذريته فرداً فرداً إلى يوم القيامة؛ كيف لا وقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

هذا؛ والتعبير بـ: ﴿تُنسَىٰ﴾ لمشاكلة (نسيتها) فالله لا يقع منه نسيان لشيء أبداً لا في الدنيا، ولا في الآخرة، وهذه المشاكلة نبهت عليها كثيراً في محالها، بعد هذا انظر (نا) في الآية رقم [٤٩] من سورة (مريم) عليها السلام. وانظر (النسيان) في الآية رقم [٢٤] من سورة (الكهف)، وشرح: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر كذلك، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: قال: أتتك آياتنا إتياناً مثل

ذلك. وهذا أولى من اعتبار عامله ما قبله، التقدير: حشرنا حشراً مثل ذلك. تأمل. ﴿أَتَتْكَ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث التي هي حرف لا محل له، والكاف مفعول به. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿فَنَسِيتَهَا﴾: الفاء: حرف عطف. (نسيتها): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي مثلها في محل نصب مقول القول. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (كذلك): متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: تنسى اليوم نسياناً كائناً مثل نسيانك آياتنا. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿تُنسَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي: وكما جزينا من أعرض عن القرآن، وعن النظر في دلائل قدرتنا، ووحدانيتنا؛ نجزي من أسرف في المعاصي، وانهمك في الشهوات. وهذه الآية أقوى دليل على تعذيب أهل المعاصي، والمنكرات، والفواحش من المسلمين. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: لم يصدق، ولم يعمل بها. هذا؛ وإني أقول: إن أرباب المعاصي من المسلمين لا يصدقون بآيات الله، والدليل على ذلك: أن الوعظ، والنصح، والإرشاد لا يقع منهم موقع القبول، بل يقابل بالرفض منهم، ومقاومة، ومعادات الواعظ، والناصح لهم، وهذا مشاهد وملموس في واقعنا الحاضر، ولا حول، ولا قوة إلا بالله.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: أفظع من المعيشة الضنك، وعذاب القبر؛ لأنه أدوم، وأثبت، فهو لا ينقطع، ولا ينقضي. هذا؛ وفي الآية التفات من التكلم إلى الغيبة. انظر شرح الالتفات في الآية رقم [٢٢] من سورة (النحل) وشرح الآخرة في الآية رقم [٣٠] منها، وشرح ﴿يَجْزِى﴾ في الآية رقم [٣١] منها أيضاً، وهذا آخر ما يتعلق من كلام بقصة آدم، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف سلام وألف صلاة. وإن أردت أن تعرف قصة آدم بحذافيرها فارجع إلى سورة (الحجر)، وسورة (الأعراف)، وسورة (البقرة)، فإن ما أغفل هنا ذكر هنا، أو هناك، والله الموفق والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (كذلك): متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: نجزي من أسرف في المعاصي جزاء كائناً مثل جزاء من نسي الآيات وأعرض عنها. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿نَجْزِى﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية

على السكون في محل نصب مفعول به أول، والمفعول الثاني: محذوف، وجملة: ﴿أَسْرَفَ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة ﴿مَنْ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، والتقدير: نجزي الذي، أو شخصاً أسرف في المعاصي عذاباً شديداً. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿بِآيَاتِ﴾: متعلقان به، و(آيات): مضاف، و﴿رَبِّهِ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، والفاعل مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، واعتبارها حالاً لا بأس به. ﴿وَلَعَذَابُ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: لام الابتداء. (عذاب): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿الْآخِرَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَشَدُّ﴾: خبر المبتدأ، ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: معطوف عليه مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وفيهما ضمير مستتر وجوباً هو فاعلهما. هذا؛ والآية بكاملها معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. تأمل، وتدبر.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ...﴾ إلخ: أي: أفلم يتبين لأهل مكة خبر من أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إذا سافروا، وخرجوا في التجارة لطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية خاوية، كقوم عاد، وثمود، وقوم لوط، أفلا يخافون أن يحل بهم ما حل بالمكذبين قبلهم من الهلاك، والانتقام. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: لدلالات واضحة، وبراهين ساطعة على قدرتنا، ووحدانيتنا. ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾: لذوي العقول السليمة الناهية عن التغافل، والتعامي عن التبصر والاعتبار. هذا؛ وانظر شرح (أولي) في الآية رقم [٥٤].

الإعراب: ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَهْدِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، وفي الفاعل أقوال كثيرة. قال ابن هشام في مغنيه بعد أن رد قول ابن عصفور: إنَّ ﴿كَمْ﴾ فاعل، مردود بأنَّ ﴿كَمْ﴾ لها الصدر، فقال: وإنما الفاعل ضمير اسم الله تعالى، أو ضمير العلم، أو الهدى المدلول عليه بالفعل، أو جملة: ﴿أَهْلَكْنَا﴾ على القول بأن الفاعل يكون جملة، وجوز أبو البقاء كونه ضمير الإهلاك المفهوم من الجملة، وليس هذا من المواطن التي يعود الضمير فيها على المتأخر. انتهى. هذا؛ واعتبر الجلال الفاعل المصدر المأخوذ من ﴿أَهْلَكْنَا﴾ واعتذر عن ذلك بقوله: وما ذكر من أخذ «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَمْ﴾: خبرية بمعنى: كثير مبنية على السكون في محل نصب

مفعول به مقدم. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل ﴿يَهْدِ﴾ وهو معلق عن العمل فيها لفظاً؛ لأن «كم» الخبرية تعلق ذكره ابن هشام في المغني، أو في محل رفع فاعل على حسب ما رأيت في الفاعل. ﴿قَبْلَهُم﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله والأولى تعليقه بمحذوف حال مِن القرون، التقدير: من القرون كائنين قبلهم، ومثله في آية (السجدة) رقم [٢٦] والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مِن ﴿كَمْ﴾ و﴿مِّنَ﴾ بيان لما أبهم فيها. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة تمييز ﴿كَمْ﴾ المحذوف؛ فإن التقدير: كم قرنًا من القرون أهلكنا.

﴿يَمْشُونَ﴾: مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الضمير فقط. ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم إن مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّأُوْلِي﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آيات) وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(أولي) مضاف، و﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والكلام: ﴿أَفَلَمْ...﴾ إلخ كله مستأنف، أو معطوف على كلام محذوف، التقدير: أغفلوا، فلم يهد... إلخ، لا محل له على الاعتبارين.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ١٢٩﴾

الشرح: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ولولا حكم أزلي سبق في علمه تعالى بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة؛ لكان العذاب واقعاً بأهل مكة، والمكذبين له ﷺ، كما وقع ولزم القرون الماضية، والأمم الخالية الكافرة التي كذبت رسلها. هذا؛ وانظر شرح: ﴿كَلِمَةٌ﴾ في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وإعلال ﴿مُّسَمًّى﴾ مثل إعلال ﴿هُدًى﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (الكهف). وانظر شرح ﴿لِزَامًا﴾ في الآية رقم [٧٧] من سورة (الفرقان) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿كَلِمَةٌ﴾: مبتدأ، والخبر محذوف وجوباً، تقديره: موجودة. ﴿سَبَقَتْ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿كَلِمَةٌ﴾ والتاء للتأنيث، والجملة الفعلية صفة ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَكَانَ﴾: اللام: واقعة في جواب

(لولا). (كان): ماض ناقص، واسمه محذوف معلوم من المقام، التقدير: لكان العذاب. ﴿لِزَامًا﴾: خبر كان، والجملة الفعلية جواب (لولا) لا محل لها. ﴿وَأَجَلٌ﴾: معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾. وقال الجلال: معطوفة على اسم كان المستتر، وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد. ويكون التقدير: لكان العذاب، أو الأخذ العاجل وأجل مسمى، لازمين لهم، كما كانا لازمين لعاد، وثمود، وغيرهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة أجل مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها، ولولا، ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على أقوالهم: إنه ساحر، إنه كذاب، إنه كاهن إلى غير ذلك. والمعنى: لا تكترث بهم، فإن لعذابهم وقتاً مضروباً لا يتقدم، ولا يتأخر. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صل، وأنت حامد لربك على هدايته، وتوفيقه، أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص، حامداً له على ما ميزك به، معترفاً بأنه مُولي النعم كلها.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي: صلاة الفجر. ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: يعني: الظهر، والعصر؛ لأنهما آخر النهار، أو العصر وحده. ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ أي: من أوقاته، وساعاته. ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فصل المغرب، والعشاء. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد أول الليل، وإنما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد من الفضل، فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلى الراحة، فكانت العبادة فيه أحزم؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾. ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: تكرير لصلاتي: الصبح، والمغرب. انتهى. بيضاوي. وفي القرطبي: المغرب، والظهر؛ لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، ومثله في الخازن، وما أحراك أن تنظر الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) عليه السلام، والآية رقم [١٧] و[١٨] من سورة (الروم).

تنبيه: جاء لفظ التسبيح بالماضي أحياناً، وبالمضارع أحياناً، وبالأمر أحياناً، وبالمصدر أحياناً أخرى، استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وألفاظها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمضارع، والأمر. وهذا الفعل بألفاظه الأربعة، وقد عُدِّي باللام تارةً، مثل قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ...﴾ إلخ: وبنفسه أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وقوله جل شأنه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾، وأصله التعدي بنفسه؛ لأن معنى سبَّحته بعدته من السوء، منقول من: سبَّح: إذا ذهب، وبعد، فاللام إما أن تكون مثل

اللام في نصحته، ونصحت له، وشكرته، وشكرت له، وإما أن يراد يسبح لله: اكتسب التسبيح لأجل الله، ولوجهه خالصاً. انتهى نسفي من سورة (الحديد).

﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ أي: لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به. وقيل: معناه لعلك ترضى بالشفاعة العظمى. هذا؛ ويقرأ: (تُرْضى) بضم التاء؛ أي: لعلك تعطى ما يرضيك. وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٤٤] وانظر شرح (الليل، والنهار) في الآية رقم [٩] من سورة (الإسراء). وانظر (الحمد، والشكر) في الآية رقم [٣٩] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

أما ﴿ءَانَآيِ﴾ فواحدها: أَنَى بفتح الهمزة، والنون، أو إِنَى بكسر الهمزة، وفتح النون، أو أَنْي بالفتح والسكون، أو إِنْي بالكسر والسكون، أو إِنْو بالكسر والسكون وبالواو، وكل واحد من هذه المفردات الخمس يطلق على الساعة من الزمان. وانظر مفرد (آلاء) في الآية رقم [٦٩] من سورة (الأعراف) فهو قريب منه، وأما (أطراف) فهو جمع: طرف بفتحتين، وهو في الأصل: حرف الشيء، ومنتهاه. وانظره بفتح الطاء وسكون الراء في الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) صلى الله على محمد، وعليه، وسلم.

الإعراب: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (اصبر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» ﴿عَلَىٰ مَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾ والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: على الذي، أو على شيء يقولونه، وعلى الثالث تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾ التقدير: فاصبر على قولهم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: الفاء الفصيحة، التقدير: إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال، بل إمهال، وهو واقع بهم، وآتٍ عليهم فاصبر، وهو تكلف كما ترى. ﴿وَسَبِّحۡ﴾: أمر، وفاعله أنت. ﴿بِحَمۡدِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن الفاعل المستتر، التقدير: سبح ملتبساً بحمد، و(حمد) مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿قَبۡلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل (سبح)، و﴿قَبۡلَ﴾: مضاف، و﴿طُلُوعِ﴾ مضاف إليه، و﴿طُلُوعِ﴾ مضاف، و﴿ٱلشَّمۡسِ﴾ مضاف إليه، ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾: معطوف على سابقه، وجملة: ﴿وَسَبِّحۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَمِنۡ ءَانَآيِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، و﴿ءَانَآيِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّيۡلِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَسَبِّحۡ﴾: الفاء: زائدة. وقيل: عاطفة على مقدر، أو واقعة في جواب شرط مقدر، والمعتمد الأول. (سبح): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَأَطۡرَافَ﴾: معطوف على محل (مِنْ آناء) فهو ظرف بلا ريب. وقيل: معطوف على: (قبل) والأول: أقوى، و(أطراف): مضاف، و﴿ٱلنَّهَارِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَعَلَّكَ﴾: حرف

مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تَرْضَىٰ﴾: مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل خبر (لعل) والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِن فاعل (سبح) المستتر، التقدير: سبح أي: صل حال كونك راجياً وطامعاً في أن الله يرضيك بما يعطيك من الثواب. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ إلخ: المعنى لا تتطَّلع يا محمد، ولا تنظر إلى ما أعطيناه الكفار من متع الحياة الدنيا، ولذائذها وشهواتها، فإن ذلك لا دوام له، ولا بقاء، وما أعطيناه الكفار من حطام الدنيا الفاني إنما هو كالزهرة تتفتح في أول النهار، ثم تذبل في آخره، فقد نهى الله النبي ﷺ عن الرغبة في الدنيا، ومزاحمة أهلها عليها، ولذا كان لا ينظر إلى شيء من متعها، ولا يلتفت إليه، ولا يستحسنه.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنختبرهم. وقيل: لنجعل ذلك فتنةً لهم، وضلالاً، فيزدادوا كفراً، وطغياناً، ومعنى أزواجاً: أصنافاً من الكفرة. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ أي: ما ادخر لك في الآخرة، أو ما رزقك من الهدى والنبوة. ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: أفضل، وأدوم؛ لأنه لا ينقطع، ولا ينتهي. هذا؛ وانظر شرح (العين) في الآية رقم [٨٦] من سورة (الكهف)، وشرح ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [٤٤] منها.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قال بعض الناس: سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ قال: نزل ضيف برسول الله ﷺ، فأرسلني عليه السلام إلى رجل من اليهود، وقال: «**قل له يقول لك رسول الله: نزل بنا ضيف، ولم يُلْفَ عندنا بعض الذي يصلحه، فبعني كذا، وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب**». فقال: لا، إلا برهن. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «**والله إني لأمين في السماء، أمين في الأرض، ولو أسلفني، أو باعني؛ لأديت إليه، اذهب بدرعي إليه**». ونزلت الآية تعزية له عن الدنيا.

قال ابن عطية: وهذا معترض أن يكون سبباً؛ لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ؛ لأنه مات؛ ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة التي ذكرت، وإنما الظاهر: أن الآية متناسقة مع ما قبلها، وذلك: أن الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة، ثم توعدهم بالعذاب المؤجل، ثم أمر نبيه ﷺ بالاحتقار لشأنهم، والصبر على أقوالهم، والإعراض عن أموالهم، وما في أيديهم من الدنيا؛ إذ ذلك منصرم عنهم، صائر إلى خزي. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٨] من سورة (الحجر) ففيها كبير فائدة. والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَمُدَّنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَيْنَيْكَ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿إِلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿إِلَىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَتَّعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿أَزْوَٰجًا﴾: فيه، وجهان: أحدهما أنه مفعول به، وهو واضح، والثاني: أنه حال مِن الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ فيكون فيه مراعاة لفظ ﴿مَا﴾ مرة ومعناها أخرى، فلذلك جمع. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ على اعتباره مفعولاً به، أو هما متعلقان بمحذوف مفعول به على اعتبار: ﴿أَزْوَٰجًا﴾ حالاً، وجملة: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَٱصْبِرْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿زَهْرَةَ﴾: فيه تسعة أوجه: أحدها: أنه مفعول به ثان على تضمين: ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى: «أعطينا»، والأول: هو ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أو متعلق ﴿مِّنْهُمْ﴾ حسب ما رأيت، الثاني: أن يكون بدلاً من ﴿أَزْوَٰجًا﴾ وذلك إما على حذف مضاف؛ أي: ذوي زهرة. وإما على المبالغة جعلوا نفس الزهرة. الثالث: أن يكون منصوباً بفعل مضمر دل عليه ﴿مَتَّعْنَا﴾ تقديره: جعلنا لهم زهرة، أو آتيناهم. وهو قول ابن هشام في المغني. الرابع: نصبه على الذم؛ أي: أذم زهرة، وسماه الزمخشري النصب على الاختصاص. الخامس: أن يكون بدلاً من موضع الموصول، ورد هذا ابن هشام في مغنيه، ورده مكي أيضاً لأن: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ من صلة ﴿مَتَّعْنَا﴾، وجملة: ﴿مَتَّعْنَا﴾ صلة الموصول، فيلزم الفصل بين أبعاض الصلة بأجنبي، وبأن الموصول لا يتبع قبل كمال صلته.

السادس: أن يكون بدلاً من محل: ﴿بِهِۦ﴾ قال ابن هشام: وفيه ما ذكر؛ أي: ما المانع المذكور، وزيادة الإبدال من العائد، وبعضهم يمنعه بناء على أنَّ المبدل منه في نية الطرح، فيبقى الموصول بلا عائد في التقدير. السابع: أن ينتصب على الحال مِن ﴿مَا﴾ الموصولة. الثامن: أنه حال مِن الهاء في ﴿بِهِۦ﴾، وهو ضمير الموصول، وهذا كالذي قبله، وإن التنوين حذف لسكونه وسكون اللام من ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ وإن جر ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ على أنه بدل من (ما) كما قرئ: (ولا الليلُ سابق النهارَ) فنصب النهار بسابق على تقدير حذف التنوين بسكونه وسكون اللام، وهو قول عزاه مكي لأبي محمد من غير تسمية له، ورده ابن هشام. التاسع: أنه تمييز لـ: ﴿مَا﴾ أو للهاء في ﴿بِهِۦ﴾ قاله الفراء. قال ابن هشام: وهذا على مذهب الكوفيين في تعريف التمييز. وقال مكي: ويجوز أن تنصب ﴿زَهْرَةَ﴾ على أنها موضوعة موضع المصدر، موضع «زينة» مثل: (صُنْعَ اللهِ) و(وَعْدَ اللهِ) وفيه نظر، فيكون وجهاً عاشراً. انتهى. جمل نقلاً من السمين. وفيه ما أدخلته من قول ابن هشام وقول مكي، رحم الله الجميع رحمة واسعة، وحشرنا معهم في مستقر رحمته.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿مَتَّعْنَا﴾. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَرِزْقُ﴾: الواو: حرف استئناف. (رزق): مبتدأ، و«هو» مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، من: إضافة المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: معطوف عليه، وفاعلهما مستتر فيهما وجوباً، تقديره: «هو»، والجملة الاسمية مستأنفة، أو معترضة في آخر الكلام لا محل لها. وقيل: حال. ولا وجه له.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾: أمر الله نبيه ﷺ بأن يأمر أهل بيته، أو التابعين له من أمته بالصلاة بعدما أمره بها، ويدخل في عموم هذا الأمر جميع أمته، وأهل بيته على التخصيص، وكان ﷺ بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة، وعلي رضوان الله عليهما، فيقول: الصلاة، ويروى: أن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ كان إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين، وأحوالهم بادر إلى منزله، فدخله، وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ إلخ، ثم ينادي بالصلاة، ويقول: الصلاة يرحمكم الله! ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: داوم عليها، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نطلب منك أن ترزق نفسك وأهلك، بل نحن نتكفل برزقك، وإياهم؛ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ وكان ﷺ إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة. ﴿وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: العاقبة المحمودة لأهل التقوى. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الذين صدقوك، وآمنوا بك، واتبعوك.

الإعراب: ﴿وَأْمُرْ﴾: الواو: حرف عطف. (اؤْمُر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَهْلَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿بِالصَّلَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَأْمُرْ...﴾ إلخ معطوفة عل جملة: (اصبر. . .) إلخ لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نَسْـَٔلُكَ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال مِن كاف المخاطب، والرابط: الضمير فقط. وانظر مجيء الحال مِن المضاف إليه في الآية رقم [٢٣] من سورة (الإسراء). ﴿نَّحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿نَرْزُقُكَ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول، والثاني:

محذوف، التقدير: نرزقك ما نشاء، ونحوه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليل للنفي لا محل لها، أو هي مستأنفة، لا محل لها أيضاً. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الواو: حرف استئناف. (العاقبة): مبتدأ. ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كفار مكة. ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا﴾: هلا يأتينا محمد ﷺ. ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي: معجزة تدل على صدقه، وذلك كعصا موسى، أو ناقة صالح، أو كالذي اقترحوه من شق الأنهار حول مكة، وتسيير الجبال، وغير ذلك، كما رأيت في الآية رقم [٩٠] من سورة (الإسراء) وما بعدها.

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يريد: التوراة، والإنجيل، والكتب المتقدمة التي بشرت بمحمد ﷺ. وأيضاً ما ذكر فيها من إهلاك الأمم السابقة الذين اقترحوا الآيات فلما أتتهم، ولم يؤمنوا؛ أهلكوا. وأيضاً، فإن القرآن الكريم قد جمع بين دفتيه زبدة ما في الكتب المتقدمة من العقائد والأحكام مع أن الآتي بها أمِّيٌّ لم يرها، ولم يتعلم من علمها، أليس في ذلك معجزة باهرة وبرهان ساطع على نبوة محمد ﷺ؟! والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿يَأْتِينَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الرسول ﷺ، و(نا): مفعول به. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آية) والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الواو: عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: ألم تأتهم سائر الآيات، ولم تأتهم خاصة بينة. هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء والتاء سبعيتان. ﴿بَيِّنَةُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويقرأ (بينة) بالتنوين منصوباً ومرفوعاً، فالنصب على الحال مِن ﴿مَا﴾ وقد قدمت عليها، والرفع على أنها فاعل، و﴿مَا﴾: بدل منها، أو خبر مبتدأ محذوف، وتكون الجملة صفة ﴿بَيِّنَةُ﴾. ﴿فِى ٱلصُّحُفِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة الصحف مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. هذا؛ والكلام: ﴿لَوْلَا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟﴾.. .إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾ أي: أهل مكة. ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: قبل بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن. ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ...﴾ إلخ: أي: لقالوا يوم القيامة: هلا أرسلت إلينا يا ربنا رسولاً يدعونا إلى الإيمان ويُبيِّن لنا ما يجب علينا من عبادتك، وتقديسك. ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ...﴾ إلخ: أن نذل بالقتل، والسبي في الدنيا، ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم في الآخرة. هذا؛ ويقرأ الفعلان للمعلوم بالبناء للمجهول.

هذا؛ وروى أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ في الهالك في الفترة والمعتوه، والمولود. قال: «**يَقُولُ الهالِكُ في الْفَتْرةِ: لَمْ يَأْتِني كِتَابٌ، ولا رسولٌ، ثمَّ تلا الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم...﴾ إلخ. ويقول المعتوهُ: رَبِّ لَمْ تَجعلْ لي عقلاً، أَعقِلُ به خَيْراً، ولا شَرًّا. ويقولُ المولودُ: رَبِّ لَمْ أُدْرِك العملَ. فتُرْفَعُ لَهُمْ نارٌ، فيقولُ لَهُمْ: رِدُوها وادْخُلُوها. قال: فيردُها، أو يدخلها من كان في عِلْم اللهِ سَعِيداً لَوْ أدْرَكَ الْعَمَلَ، ويُمْسِكُ عَنْهَا مَنْ كَانَ في عِلْم اللهِ شقيًّا لَو أدْرَكَ الْعَمَلَ، فيقولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى: إيايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ رُسُلِي لَو أتتْكُم؟!**». وبه احتج من قال: إن الأطفال وغيرهم يمتحنون في الآخرة. انتهى. قرطبي. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥] من سورة (الإسراء) بشأن أهل الفترة.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَهْلَكْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب (نذرت) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وتعليقهما بمحذوف صفة (عذاب) جيد معنى، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط لو عند المبرد، التقدير: ولو حصل، أو وقع عذابهم من قبل مبعث الرسول ﷺ. وقال سيبويه: هو في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو هلاكهم حاصل، أو واقع. وقول المبرد هو المرجح لأن (لو) لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفاعل المقدر على قول المبرد، وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي.

﴿لَقَالُواْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) عليها السلام. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، و(نا):

في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أَرْسَلْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به. ﴿فَنَتَّبِعَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفاعل السابق، التقدير: لولا حصل إرسال رسول إلينا، فاتباع منا... إلخ. ﴿ءَايَٰتِكَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿قَبْلِ﴾: مضاف، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّذِلَّ﴾ على القراءتين في محل جر بالإضافة. (نخزىٰ): مضارع معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل، أو نائب الفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». هذا؛ والكلام: ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَقَالُواْ...﴾ إلخ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: كل واحد منا، ومنكم. ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظر دوائر الزمان، وذلك: أن المشركين كانوا يقولون: نتربص بمحمد ريب المنون، وحوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا منه، وكان المؤمنون من جهتهم ينتظرون النصر، والعزة، وعلو شأن الإسلام، وذلّ الكافرين المعاندين. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾: هذا وعيد وتهديد، والمعنى: ستعلمون إذا جاء نصر الله للمؤمنين مَنْ أصحاب الطريقة المستقيمة، ومن هم أصحاب الطريقة المعوجة، وستعلمون من اهتدى إلى الحق وإلى النعيم المقيم، ومن ضل وانحرف إلى الباطل، ومآله العقاب الشديد، والعذاب الأليم في نار الجحيم. فحذف أحد المتقابلين لدلالة الآخر عليه. هذا؛ ويقرأ: (الصراط السواء) أي: الوسط الجيد، وقرئ (السَّوء) بفتح السين، و(السوأى) تأنيث الأسوأ، وقرئ و(السُّوَى).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ. وانظر الشرح لحذف المضاف إليه. ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (تربصوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله والألف للتفريق. وانظر إعراب: (اشربي) في الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان الأمر كذلك؛ فتربصوا. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: الفاء: حرف استئناف. السين: حرف استقبال. (تعلمون): مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على

السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبره، وأصحاب مضاف، و﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل (تعلمون) أو مسد مفعول واحد؛ لأنه علق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. هذا؛ وأجاز الفراء اعتبار (من) موصولة مفعولاً به، وعليه فـ: ﴿أَصْحَٰبُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، التقدير: الذين هم أصحاب، والجملة الاسمية صلة الموصول، وضعف هذا القول؛ لأن العائد قد حذف، ولم تطل الصلة. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبتدأ، وجملة: ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. هذا وعلى اعتبار: (من) موصولة، فهي معطوفة على ما قبلها، وجملة ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾ صلتها، وهذا يقوي ما قاله الفراء، و(أصحاب): مضاف، و﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾: صفة الصراط. بعد هذا فالكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (طه) بعونه تعالى تفسيراً وإعراباً.

فهرس